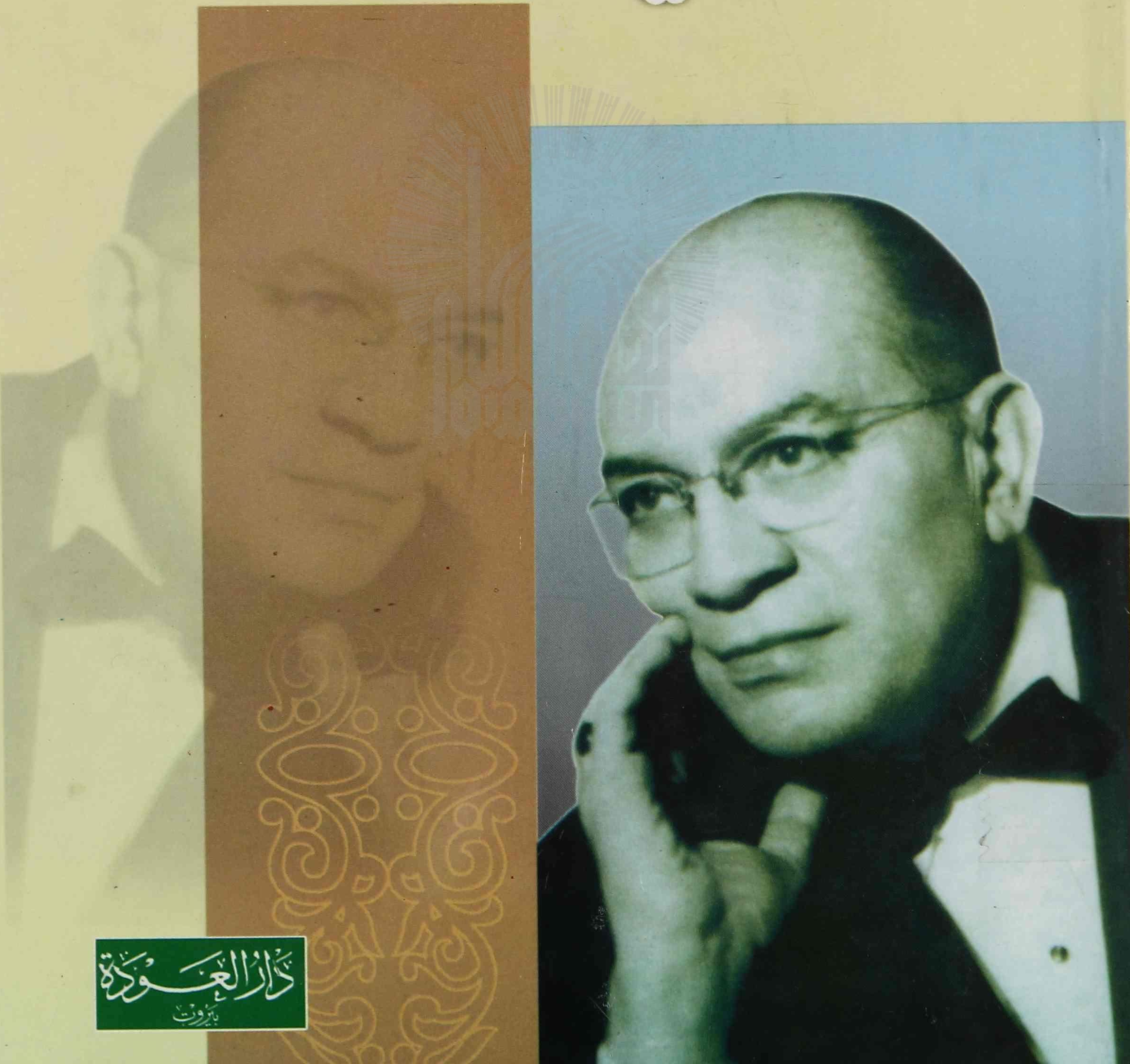
الأعمال الشعرية الكاملة

أحمد زكي أبو شادي



دار العودة
بيروت

الأعمال الشعرية الكاملة

أحمد زكي أبي شادي

٢٠٠٥

يطلب من دار العودة / بيروت - لبنان
كورنيش المزرعة – بناية الريفييرا سنتر
هاتـــف : 01 818405
فاكـــس :01 818 406
Email :lguemradi@yahoo.com
ص.ب. :146284 بيروت - لبنان

صورة من قُرب
للأديب الشاعر الدكتور أحمد زكي أبي شادي

لم يعد باقياً من المعاصرين الذين تواصلوا مع الشاعر أحمد زكي أبي شادي المولود في حي عابدين بالقاهرة في التاسع من شباط (فبراير) ١٨٩٢ إلاّ أربعة أدباء هم الأديب الأردني روكس بن زائد العزيزي والأديب التونسي أبو القاسم محمد كرو والأديب المصري الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي وكاتب هذه السطور، وهم قد تواصلوا مع رائد جماعة أبولو في مهجره الأمريكي السحيق إلى تاريخ وفاته في واشنطن العاصمة في الثاني عشر من نيسان (إبريل) ١٩٥٥ عن ثلاثة وستين عاماً.

وكان أبو شادي يعرف عني أنني صديق لشاعر القطرين خليل مطران بك الذي عانى صنوفاً من الأمراض سنوات طوالاً في أواخر أيامه، فأشار عليّ بأن أنصح المطران بأن يسافر إلى أمريكا حيث تتوافر أسباب العلاج الحديثة، ولكن مطران لم يستجب لهذه النصيحة وعاش إلى أن بلغ السابعة والسبعين من عمره في حين أن أبا شادي الذي عاش في بلاد المعالجات الحديثة مات عن ثلاثة وستين عاماً فقط.

وفي ظني أن التعريف بأبي شادي، ولاسيما بالجوانب الشخصية من حياته المجهولة، أبدى من دراسة شعره في هذا المقام لأنه في وسع أي باحث أن يتصدى لهذه الدراسة من أي زاوية تتراءى له استناداً إلى دواوين أبي شادي ومؤلفاته. بل لقد صدرت في حياة أبي شادي وبعد وفاته طائفة غير قليلة من الدراسات الجامعية والأدبية باللغتين العربية والإنكليزية، والمؤكد أنها كتبت بلغات أخرى لاهتمام المستشرقين الروس وغيرهم بآثاره، مما يُغنيني عن الخوض في هذه الدراسة، ولا سيما بالنظر إلى غزارة إنتاج أبي شادي شعراً ونثراً وباللغتين العربية والإنكليزية وهو إنتاج بثّ فيه أبو شادي آراءه ومعتقداته ورؤاه بتمام الصدق والأمانة مع نفسه، حتى وإن خالف ما تواضع عليه الناس أو مالت إليه جمهرتهم.

ولد أبو شادي في بيئة ذات حظوظٍ مقدورة من الثقافة والمنزلة الاجتماعية، فوالده محمد بك أبو شادي محامٍ مرموق، وكان نقيباً للمحامين وعضواً في مجلس النواب (البرلمان)، وكان صديقاً شخصياً للزعيم سعد زغلول باشا (١٨٥٩ – ١٩٢٧) وكان انتماؤه الحزبي إلى الوفد، كما كان يصدر جريدة "الظاهر". فلا غَرْوَ أن يرث الشاب أحمد زكي أبو شادي عن أبيه انتماءه إلى الوفد على مدى عمره، وهو ما عانى منه بسبب الحزازات الحزبية في مصر. أما والدته فهي أمينة نجيب، وكانت شاعرة ولها ديوان بقي مخطوطاً في حوزة ابنها فلم ير النور.

تلقى أحمد زكي أبو شادي تعليمه في المدارس المصرية قبل أن تقرر أسرته إيفاده إلى لندن لدراسة الطب والتخصص في البكتيريولوجيا، وكان قرار إيفاده إلى الخارج راجعاً أساساً إلى أن أبا شادي كان يهيم بقريبة له اسمها "زينب حسيب" على غير هوى الأسرة، فباعدت الأسرة بين الاثنين بهذه الرحلة العلمية. ولم ينسَ أبو شادي هواه القديم، فأصدر ديواناً عنوانه "زينب" تخليداً لهذه العاطفة البريئة التي ملكت عليه لُبّه وجميع مشاعره. في حين تزوجت زينب بشخصٍ آخر، تزوج أبو شادي في إنكلترا سيدة إنكليزية أنجب منها بعد عودته إلى مصر أبناءه الثلاثة: رمزي وصفية وهدى. وكان أبو شادي قد أسرَّ إليَّ بأنه بعدما ترملت زينب وتوفيت زوجته الإنكليزية، أعربت له زينب عن رغبتها في الانضمام إليه في مهجره لتحقيق حلم الصبا، ولكنّه صارحها بأن الحبّ القديم أصبح تاريخاً، وأن ظروفه الجديدة بدّلت من مشاعره القديمة.

قضى أبو شادي اثني عشر عاماً في إنكلترا حيث أنشأ مجلة "مملكة النحل" باللغة الإنكليزية تنازل عن امتياز إصدارها لهيئة بريطانية، ولعلّها ما زالت تصدر حتى اليوم، كما اهتمّ بتربية الدجاج وأصدر مجلة متخصصة في هذا المجال. وكان قد أكمل دراسته الطبية بما يؤهله للعمل كبكتيريولوجي عند عودته إلى مصر.

وعند عودته في عام ١٩٢٢ تلقفته وظائف الدولة في معامل التحليل البكتيريولوجي، ثم في معمل المستشفى الحكومي في الاسكندرية، ورغبةً منه في إفادة القراء عموماً والأطباء بصورة خاصة، أصدر كتاباً ضخماً عنوانه "الطبيب والمعمل" يزيد عدد صفحاته على ألف صفحة، وقد أهداه إلى صاحب السعادة الجليل الأستاذ الدكتور محمد شاهين باشا وكيل وزارة الداخلية للشؤون الصحية وزعيم النهضة الطبية المصرية، وإلى صاحب العزة المفضال الأستاذ الدكتور علي توفيق شوشة بك (١٨٩١ – ١٩٦٤) وكيل معامل الصحة العمومية اعترافاً بجهدهما العظيم لرفع مستوى الطبيب والمعمل وحفظ كرامتهما في مصر". ثم أردف هذا الإهداء ببيتين من الشعر جاء فيهما:

فإنَّ الذي يبني لنا رتبة العلى ... عظيم، وما في الجاهدين عظيم

ومن يعرف التقدير للفضل مرغماً ... وينكره حُرّاً، فذاك أثيم

على أن هاجس الشعر كان يؤرق أبا شادي منذ يفاعته، ولم يلبث أن استولى عليه حتى كاد يباعد بينه وبين الطبّ، فباع من ممتلكات أبيه ما طوّع له شراء مطبعة وإنشاء مجلة "أبولو" فكانت المجلة الشعرية الأولى والوحيدة في العالم العربي حتى ذلك الوقت، بل نجحت في تخريج جيل كامل من الشعراء الذين انضمّوا إلى جماعة أبولو وحملوا الراية بعد جيل أحمد شوقي (١٨٦٨ – ١٩٣٢) وحافظ إبراهيم (١٨٧٢ – ١٩٣٢) وخليل مطران (١٨٧٢ – ١٩٤٩) وبعد جيل عبد الرحمن شكري (١٨٨٦ – ١٩٥٨) وعباس محمود العقاد (١٨٨٩ – ١٩٦٤) وإبراهيم عبد القادر المازني (١٨٩٠ – ١٩٤٩)، وصار للمجلة تواصل واسع وعميق مع شعراء العالم العربي والمهاجر الأمريكية.

ولئن طغى الشعر على اهتمامات أبي شادي حتى كاد يحجب مناحي اهتماماته الأخرى، فقد كان متعدّد المواهب والمجالات: فهو رسّام وكانت لديه مجموعة من اللوحات الفنية التي أبدعها بريشته تضم ٣٦ لوحة ولكن زوجته

الثانية الأمريكية استولت عليها بعد وفاته ولا يعرف مصيرها، كما واصل هواية تربية النحل سواء في مصر أو بعد هجرته إلى أمريكا، كما عُني بالصناعات الزراعية وبالرسالة التعاونية، فكان في هذه الميادين سبّاقاً بل منفرداً في الساحة، ربّما إلى هذا اليوم.

أما اهتمامات أبي شادي الفكرية فقد انصرفت إلى معظم فنون الكتابة والتحرير من أدب إلى تاريخ إلى اجتماع إلى فلسفة إلى دين إلى نقد أدبي إلى ترجمة، هذا عدا ما أنتجه من مسرحيات شعرية وأوبريتات، وما ترجم من رباعيات عمر الخيام وسواه.

ولقد كان في وسع أبي شادي وهو منشئ جماعة أبولو في عام ١٩٣٢ أن ينصّب نفسه رئيساً لها، ولكنه - كدأبه دائماً - آثر أن يكون أمينها العام، واختار الشاعر أحمد شوقي رئيساً وخليل مطران وأحمد محرم وكيلين أو نائبين للرئيس، وبقي أبو شادي سكرتيراً. أما أعضاء مجلس الإدارة الأوّل فقد ضمّ إلى جانب هؤلاء إبراهيم ناجي والدكتور علي العناني وكامل كيلاني ومحمود عماد ومحمود صادق وأحمد الشايب وسيّد إبراهيم (الخطاط) وعلي محمود طه (المهندس) ومحمود أبو الوفا وحسن القاياتي وحسن كامل الصيرفي.

وفي العاشر من أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٣٢ دعا شوقي أعضاء مجلس إدارة جمعية أبولو إلى عقد اجتماعها الأول في دارته المسمّاة "كرمة ابن هانئ" على شاطئ نيل الجيزة لبحث المشروعات التي تضطلع بها الجمعية. وبعد أربعة أيام تماماً، فجعت جمعية أبولو في رئيسها الشاعر أحمد شوقي الذي رحل إلى الرفيق الأعلى في فجر الرابع عشر من تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٣٢، فاختير الشاعر خليل مطران خلفاً له في رياستها.

وكان شوقي قد أعرب عن سعادته بقيام هذه الجمعية فحيّاها بقصيدة من ثلاثة عشر بيتاً رحّب فيها بسوق عكاظ الجديدة، ونشرتها مجلة "أبولو" في صدر عددها الأول المؤرخ في أيلول (سبتمبر) ١٩٣٢. ولست أثبت نصّها هنا

من قبيل التسجيل وحسب، وإنّما لكي أورد بعد ذلك النصّ الذي لفّقه الشاعر محمد مصطفى حمام (١٩٠٤ – ١٩٩٤) ونسبه ظلماً وغدراً إلى الشاعر شوقي. أما قصيدة شوقي فنصّها:

أبولو، مرحباً بك يا أبولو ... فإنك من عكاظ الشعر ظلُّ
عكاظ وأنتِ للبلغاء سوق ... على جنباتها رحلوا وحلّوا
وينبوع من الإنشاد صافٍ ... صدى المتأدبين به يُبَلُّ
ومضمار يسوق إلى القوافي ... سوابقها إذا ما الشعراء قلّوا
يقول الشعر قائلهم رصيناً ... ويحسن حين يكثر أو يقلّ
ولولا المحسنون بكل أرضٍ ... لما ساد الشعوب ولا استقلّوا

* * * * *

عسى تأتيننا بمعلقاتٍ ... نروح على القديم بها نُدِلُّ
لعلّ مواهباً خفيت وضاعت ... تذاع على يديك وتُستَغَلُّ
صحائفك المدبجة الحواشي ... رُبَى الورد المفتَّح أو أَجَلُّ
رياحين الرياض يُمَلُّ منها ... وريحان القرائح لا يُمَلُّ
يمهّد عبقريُ الشعر فيها ... لكل ذخيرة فيها محلُّ
وليس الحق بالمنقوص فيها ... ولا الأعراض فيها تُستحلُّ
وليست بالمجال لنقد باغٍ ... وراءَ يراعه حسدٌ وغلُّ

وقد أثبتت هذه القصيدة في الجزء الرابع من "الشوقيات".

ولكن خصوم أبي شادي، وسأورد أمثلةً على خبائثهم، لم يكونوا ينفكّون عن الكيد له، سواء في عمله التوظيفي أو في نشاطه الأدبي أو حتى بعد هجرته إلى الولايات المتحدة. وإزاء هذه الشهادة العظيمة الصادرة من أمير الشعراء أحمد شوقي، زعم محمد مصطفى حمام أن شوقياً استدعاه إلى مكتبه قبيل وفاته وصارحه بأنه ندم أشدّ الندم على نظم هذه القصيدة في "قوم آذوه بألسنتهم وأقلامهم" – وهو ما لم يحدث بدليل أن مجلة أبولو

أصدرت بُعيد وفاة شوقي عدداً خاصاً عنه في ٣٠٠ صفحة في تمجيد ذكراه شارل فيه جميع أعضاء جمعية أبولو شعراً ونثراً، وكان تاريخ هذا العدد كانون الأول (ديسمبر) ١٩٣٢ أي بعد ثلاثة أشهر من وفاة شوقي. وزعم حمام أن شوقياً أملى عليه قصيدة نقض بها كل ما قاله في أبولو، وقام بنشرها في مجلة "الصباح" المصرية التي كان يصدرها مصطفى القشاشي.
ونصّ القصيدة، ومؤكد أنها قصيدة ملفقة، كالآتي:

أبولو ضلّة لك يا أبولو ... فإنك من بقايا اللؤم ظلّ
أبولو أنت للسفهاء سوق ... على جنباتها رحلوا وحلّوا
وينبوع من الإسفاق صرف ... صدى المتشاعرين به يُبَلُّ
يُميت الشعر قائلهم جنيناً ... ويقبح حين يكبر أو يقلُّ
ولولا المفسدون بكل أرضٍ ... لساد بها الشعوب أو استقلّوا
صحائفك المدبجّة القوافي ... شعارير القريض بها تحلُّ
وأدواء الجسوم لها شفاء ... وأدواء الحسائك لا تبلُّ
يمهّد مصرع للشعر فيها ... لكل نقيصةٍ فيها محلٌّ
وليس الحق بالمنصور فيها ... وأعراض النوابغ تُستحلُّ
وأوسعت المجال لنقد باغٍ ... وراء يراعه حسدٌ وغلُّ

وواضح أن حماماً عارض القصيدة الشوقية لفظاً وقافيةً ببراعةٍ يُحسد عليها، وإن تكن براعة المزيّف والمحترف.

ولم يرَ أبو شادي مندوحة من أن يبلغ النيابة العامة ضد محمد مصطفى حمام متهماً إياه بالتزوير الأدبي والقذف في حقه وحق جماعة أبولو، وعندما استدعي حمام للتحقيق معه، زعم أن القصيدة لشوقي نفسه، وأنه لم يزوّرها، وأن دوره فيها كان دور الناقل لرغبة شوقي الأخيرة قبل وفاته، وقال إنه لا يمانع في تعيين أربعة من الشعراء كخبراء لفحص هذه القصيدة، يختار حمام اثنين منهم ويختار أبو شادي اثنين. ونظراً لأن وكيل النيابة

المحقق ألفى نفسه إزاء قضية أدبية تحار فيها النصوص القانونية، فقد تخلّص من المأزق بأن قرّر حفظ البلاغ.

وقد عرفت حماماً، وهو على مواهبه الكثيرة، مهذار كبير، بارع في التقليد واختراع الروايات وتقويل الناس ما لم يقولوه. ومن غير المعقول أن يرأس شوقي اجتماع مجلس إدارة جمعية أبولو في بيته في العاشر من تشرين الأول (أكتوبر)، ثم تستولي عليه مشاعر الندم في الأيام الأربعة التي مُدَّ أجله فيها بعد ذلك الاجتماع، وعوضاً عن أن يطلب الاستعفاء من هذه الجمعية إذا كان قد ساءه أمر من أمورها، فقد لجأ إلى استدعاء حمام ليملي عليه هذا الهجو السفيه الذي ليس له مثيل في أجزاء "الشوقيات" الأربعة، حتى إذا ما أصبح شوقي موسّداً في الثرى، طلع حمام على الناس بهذه الأكذوبة أو الشوقية المزعومة، ولو كانت هذه الشوقية صريحة النسب إلى شوقي، فلِمَ لم تدرج في "الشوقيات" ولو في ذيل باعتبارها آخر ما نظمه الشاعر قبل رحيله، ولِمَ لم يدرجها الدكتور محمد صبري السوربوني (١٨٩٤ – ١٩٧٨) في كتاب "الشوقيات المجهولة" بجزئيه؟ بل لقد كان شوقي يعرف عن نفسه أنه ضعيف في الإلقاء، وكان يستعين بالدكتور سعيد عبده (١٩٠١ – ؟) وفكري أباظة (١٨٩٧ – ١٩٧٩) لإنشاد شعره، فلِمَ لم يستدع هذا أو ذاك لإملاء القصيدة عليه؟ ومعذور أبو شادي إذا ما اضطر إزاء هذه الألعبانيات المتكررة من حمام وغيره إلى تكليف محاميه محمد لطفي جمعة (١٨٨٦ – ١٩٥٣) بمقاضاتهم على ما ورد في مذكراته التي نشرها نجله المستشار رابح لطفي جمعة (١٩٠٨ – ٢٠٠٣).

ويروي لطفي جمعة أن واحداً من صغار الكتّاب في الاسكندرية اسمه البطّاح أذاع أن الدكتور أبا شادي ملحد وإباحي، ممّا جعل وزارة الصحة التي كان يعمل فيه إلى اتهامه بأنه يشتغل بالسفاسف ونهته عن التهتُّك في الشعر وفيما لا يعنيه غير وظيفته. كما كانت لأبي شادي خلافات مع كامل كيلاني (١٨٩١ – ١٩٥٩) ومنازعات وخصومات حامية، فاستعمل له

الكيلاني أشخاصاً مثل محمد مصطفى حمام فكتبوا عنه أموراً تشيب لها الأطفال في مجلات هزلية، فشكاهم أبو شادي إلى النيابة. ويرى لطفي جمعة أن الخلاف بين أبي شادي وكامل كيلاني يرجع إلى تنافسهما على رياسة "رابطة الأدب العربي".

وقد عرفت كامل كيلاني، وكان يحذّرني دائماً من أبي شادي، وهو ما كنت أتجاهله. وعندما أقمنا حفلاً لتأبين أبي شادي بعد وفاته في "دار الحكمة" – وهي مقرّ نقابة الأطباء التي كان أبو شادي عضواً فيها -- وكان ذلك في ١٦ حزيران (يونيو) ١٩٥٥، لاحظت وانا جالس على المنصة أن كامل كيلاني يحتلّ الصف الأول في القاعة بين الحاضرين. وبعد انتهاء الحفل تقدّم منّي مصافحاً ومثنياً على كلمتي! فتذكرت ما كنت أسمعه منه من تحذير من أبي شادي!

احتضنت جمعية أبولو شعراء الشباب في ذلك الحين مثل الدكتور إبراهيم ناجي وعلي محمود طه وأحمد محرم ومحمود أبي الوفا وصالح جودت وجميلة العلايلي ومختار الوكيل وحمد عبد المعطي الهمشري وعبد العزيز عتيق وحسن كامل الصيرفي ومصطفى عبد اللطيف السحرتي ومحمود حسن إسماعيل ومحمد عبد الغني حسن وإسماعيل سري الدهشان وعبد اللطيف النشار وغيرهم. كما رعت شعراء من البلدان العربية مثل أبي القاسم الشابي التونسي وإلياس أبي شبكة وحليم دموس اللبنانيين وشفيق معلوف في المهجر وغيرهم وغيرهم، فالقائمة طويلة. وواصلت مجلة أبولو الصدور بانتظام ثلاث سنين، حرصت خلالها على مستواها الأدبي الرفيع، ولكنها كانت – من الناحية الأخرى – تمثل استنزافاً مالياً وعبئاً إدارياً على صاحبها، فاضطر إلى حجبها بعد آخر عدد صدر منها في كانون الأول (ديسمبر) ١٩٣٤ قائلاً "إنه يختم به جهوده العامة إلى غير عودة" وشاكياً من "المتاعب والتضحيات الكثيرة والمعاكسات المتنوعة والإساءات الجمة التي فاقت كل حدود الاحتمال". وهكذا نعى الشاعر أبو شادي مجلّته الأثيرة

بعدما أحدثت نهضة شعرية واسعة، سواء بما نشرته من قصائد الشعراء، أو بما ترجمته من عيون الشعر الغربي، أو بما حفلت به من دراسات نقدية للشعر، أو بما أصدرته من دواوين أعضائها من الشعراء بتمويل من أبي شادي نفسه. صحيح أن مجلات خالصة للشعر وقضاياه ظهرت بعد ذلك في سورية ومصر ولبنان وتونس وفلسطين، ولكن تبقى لأبولو ريادتها الأولى التي جعلت منها مدرسةً حقيقية في تاريخ الأدب العربي المعاصر.

وقد أحصيت لأبي شادي نحو ثلاثين ديواناً نشرها بين عامي ١٩١٠ و١٩٤٩، وكان في بعض الأحيان يكتفي بطبع نسخ محدودة من دواوينه على نفقته الخاصة ويهديها إلى أصدقائه، بحيث خلت المكتبات القومية من معظمها لأن قانون إيداع الكتب في المكتبة الوطنية لم يكن قد صدر وقتها. وقد طبعت جميع هذه الدواوين في مصر باستثناء ترجمته لرباعيات عمر الخيام التي طبعت في بيروت، وديوانه "من السماء" الذي طبع في نيويورك. أما ديوانه الموسوم "ألحان الغريب" فقد فُقد ربما في أثناء شحن مكتبة أبي شادي الخاصة من مصر إلى الولايات المتحدة.

وتسجيلاً لهذه الدواوين أورد قائمة بها بحسب تواريخ صدورها، وهي: "أنداء الفجر" وقد طبع مرتين في عامي ١٩١٠ و ١٩٣٤ و "ديوان زينب" (١٩٢٤) وديوان "مصريات" (١٩٢٤) و"الشفق الباكي" (١٩٢٤) و"مفخرة رشيد" (١٩٢٥) و"أنين ورنين" (١٩٢٥) و"شعر الرجدان" (١٩٢٥) و"وطن الفراعنة" (١٩٢٦) و"المنتخب من شعر أبي شادي" (١٩٢٦) و"الآلهة" وهي أوبرا رمزية (١٩٢٧) و"إحسان" وهي أوبرا تلحينية (١٩٢٧) و"إخناتون" وهي أوبرا تاريخية (١٩٢٧) و"أردشير وحياة النفوس" (١٩٢٧ و"الزباء ملكة تدمر" وهي أوبرا تاريخية (١٩٢٧) و"مها" وحي قصة شعرية (١٩٢٧) و"عبده بك" وهي قصة اجتماعية شعرية (١٩٢٧) و"مختارات وهي العام" (١٩٢٨) و"رباعيات عمر الخيام" (١٩٣١) و"عمريات فتزجيرالد" (١٩٣١) و"أشعة وظلال" (١٩٣١) و"الشعلة" (١٩٣٣) و"أطياف الربيع" (١٩٣٣) و"أغاني أبي

شادي" (١٩٣٣) و"الينبوع" (١٩٣٤) و"الكائن الثاني" (١٩٣٥) و"فوق العباب" (١٩٣٥) و"ديوان الريف" (١٩٣٥) و"عودة الراعي" (١٩٤٢) و"من السماء" (١٩٤٩)، وله ديوانان مخطوطان باللغة الإنكليزية هما "أغاني العدم" (Songs of nothing) و "أغاني الفرح والحزن" (Songs of joy and sorrow).

وعند وفاة أبي شادي كانت هناك أربعة دواوين مخطوطة لم يمهله العمر بطباعتها، فونفت بنفسي على تحقيقها وضبطها وتفسير مناسباتها وهي "الإنسان الجديد" وقد صدر عام ١٩٨٣ و"النيروز الحرّ" وقد صدر عام ١٩٨٨ و"من أناشيد الحياة" و"إيزيس" وقد صدرا في مجلد واحد في بيروت عام ٢٠٠٠ مع ٤ تمثيليات.

أما كتبه المطبوعة في النثر فهي "من نافذة التاريخ" في جزءين و"الطبيب والمعمل" و"مملكة العذارى" و"قضايا الشعر المعاصر" و"أبو شادي في المهجر" و"لماذا أنا مسلم" و"دراسات أدبية" و"دراسات إسلامية" و"نكبة نافارين" و"إنهاض تربية النحل في مصر" و"عقيدة الألوهة" وغيرها. كما قام الأديب المصري رضوان إبراهيم (١٩١٩ – ١٩٧٥) بنشر ثلاثة كتب لأبي شادي هي "شعراء العرب المعاصرون" و"الإسلام الحي" و"عظمة الإسلام".

يضاف إلى كل هذا التراث الضخم لأبي شادي أنه أثناء وجوده في أمريكا نشر في المجلات والصحف المختلفة وأذاع من الراديو سلاسل من الأحاديث في موضوعات اختار لها عناوين مثل "وليمة منيرفا" و"هذا ما يعنينا" و"أحاديث إسلامية" و"أدباء الأقباط" و"ملامح من الإسلام" و"الإسلام في نقائه" و"كتب حيّة" وهي مقالات كان أبو شادي يعتزم إصدارها في كتاب متعدد الأجزاء عنوانه "الكشكول" ولكن القدر لم يمهله، وخسارة أن تعدو عليها عوادي الضياع.

* * * * *

في عام ١٩٤٥ كانت الحرب العالمية الثانية تؤذن بالانتهاء عندما زرت صديقي المستشرق الأمريكي الدكتور جورج رنس Dr. George Rentz

(١٩١٢ – ١٩٨٦) الذي كان يرأس وحدة الترجمة في مكتب الاستعلامات الحربي الأمريكي بالقاهرة، وهو مكتب أنشئ بسبب ظروف الحرب وصُفّي بعد توقفها، فسألني إن كنت أعرف الدكتور أحمد زكي أبو شادي، فقلت له: إنني أعرف عنه أنه أديب وشاعر كبير وله دور غير مجحود في الحياة الأدبية المصرية، ولكنني لا أعرفه شخصياً. ثم سألته عن سبب استفساره عنه فقال إنه تقدم بطلب إلى الحكومة الأمريكية للهجرة الدائمة إلى الولايات المتحدة مع أسرته المؤلفة من زوجته الإنكليزية وابنه وابنتيْه، وقد طُلب مني أن أكتب تعريفاً به. فقلت له: إنني لا أعرف ظروف تفكيره في الهجرة، ولكن المؤكّد أن هذه الشخصية الفذة ستكون مكسباً كبيراً لأمريكا.

وكان أبو شادي وقتها قد ضاق بألوان الجحود التي يلقاها من طامعين في وظائفه الحكومية ومن حاسدين قصرت وسائلهم عن مجاراته في الشهرة الواسعة التي حقّقها على حساب رأس ماله من الصحة والأعصاب والثروة، وكان أبو شادي قد صفى كل ممتلكاته الموروثة بما أنفقه من حرّ ماله على مجلاته وكتبه، بل كذلك على طبع دواوين أعضاء جماعة أبولو، ثم تباهظت مشكلاته بسبب مرض زوجته بداء عضال، فاتخذ قراره الحاسم بالهجرة إلى الولايات المتحدة على الرغم من أنه كان في سنّ متأخرة نسبياً (السادسة والأربعين) وكان مُراده في المقام الأول توفير أسباب العلاج الناجح لأم أولاده، وأيضاً الفرار من المزعجات التي صدفها في مصر والتي وصفها بقوله:

وطاردتني إلى منفاي جانيةً   وعددت صفو آثاري كآثامي

ومن جملة هذه المزعجات أن عباس محمود العقاد هاجم أبولو وراعيها قائلاً إن أبا شادي عميل للسراي (أي للملك) ولرئيس الوزراء الطاغية إسماعيل صدقي باشا، وإنه ما أصدر مجلة أبولو وروّج فيها للمذهب الرومانسي الوجداني إلاّ لكي يصرف الاهتمام عن طغيان صدقي باشا ومشكلات البلاد المستحكمة. فقد استغرقت قضايا الحبّ والهيام كل عناية

شعراء أبولو، وترك صدقي باشا يبطش بالشعب بلا رحمة. وقد ردّ عليه أبو شادي قائلاً: "لو كنّا صنائع للسراي وصدقي باشا كما تزعم، لما توقفت مجلة أبولو بعد ثلاث سنين فقط من إصدارها، ولا استمرت في الانتظام بدعم من الحكومة. أما أن شعراء أبولو أسرفوا في نظم قصائد الحب والهيام، فسببه أنهم كانوا جميعاً في سنّ الشباب، وأن الرومانسية هي بضاعة الشباب الأولى.

ومن نماذج الحملة على أبي شادي أنه عندما أصدر إسماعيل أحمد أدهم (١٩١١ -- ١٩٤٠) كتاباً كبيراً باللغة الإنكليزية عن أبي شادي عنوانه "إضاءة الدرب" Blazing the Trail زعم النقاد أن هذا الكتاب من تأليف أبي شادي نفسه، وأن دور أدهم لا يعدو أن يكون وضع اسمه على غلاف الكتاب، وفات هؤلاء النقاد المغرضين أن لاسماعيل أحمد أدهم دراسات كبيرة عن خليل مطران وجميل صدقي الزهادي (١٨٦٣ – ١٩٣٦) وتوفيق الحكيم (١٨٩٨ – ١٩٨٧)، ومن غير المعقول أن يكون دور أدهم في جميع هذه الدراسات مقتصراً على وضع اسمه على أغلفتها لكونها من تأليف مطران والزهاوي والحكيم!

وأذكر من قبيل الاستطراد أنه كانت تربطني بالشاعر خليل مطران صداقة وثيقة، وكنت أزوره في بيته على ناصية شارعي ٢٦ يوليو وعرابي بالقاهرة مرة كل يومين إلى تاريخ وفاته. وكانت دراسة إسماعيل أدهم عن مطران تنشر مُنجَّمةً في مجلة "المقتطف" تطبع بضع عشرات من ملازم هذه الدراسة على أمل أن تقوم بتجليدها وتقديمها إلى المؤلف، لأنها لم تكن تدفع مكافآت للكتّاب. وبانتحار إسماعيل أدهم في عام ١٩٤٠ بقيت هذه الملازم الإضافية مخزونة في مستودع المجلة. ولما اكتشفت أمرها، لأنني كنت وقتها أعمل في دار المقتطف والمقطم، رجوت أمين المستودع أن يجهّز منها أي عدد من النسخ الكاملة ويجلّدها. وأمكن فعلاً إنقاذ نحو عشر نسخ لأن الأعوام قد أتلفت بقية الملازم، وحملت بنفسي خمس نسخ كاملة من دراسة أدهم

الموسومة "خليل مطران الشاعر الإبداعي" وقدمتها إلى الشاعر الذي كاد يجهش بالبكاء تأثراً، وقال لي: لقد فاجأني إسماعيل أدهم بهذه الدراسة، ولم يراجعني في أثناء إعدادها، وقد حزنت عندما علمت أنه انتحر بإلقاء نفسه في البحر (وقيل إنه قتل) فرثيته بقصيدة ستطالعها في ديواني عند طبعه، وكم كنت أودّ أن أشكره لا أن أرثيه.

فالذين استكثروا على إسماعيل أدهم أن يؤلف كتاباً عن أبي شادي كانوا ظالمين لأنفسهم قبل أن يظلموا أدهم أو أبا شادي.

بل أن هناك من اتهم أبا شادي بالإلحاد والإباحية – وهي في القانون جريمة قذف – وتواتر هذا الاتهام عندما أصدر إسماعيل أدهم رسالة عنوانها "لماذا أنا ملحد" فما كان من أبي شادي إلاّ أن ردّ عليه برسالة عنوانها "لماذا أنا مسلم" ولكنهم مع ذلك استمروا يتشككون في عقيدته حتى بعد هجرته إلى أمريكا.

تلك نماذج من المضايقات المفزعة التي عانى منها أبو شادي في مصر والتي "طاردته إلى منفاه جانيةً" لأنها "عدّدت صفو آثاره كآثامه"!

لم تكد الملاحة تنتظم بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية حتى كان أبو شادي قد تهيأ مع أسرته للهجرة في عام ١٩٤٦، ولكن قضاء الله كان قد نفذ في زوجته الإنكليزية، فكتم أحزانه، وتكتّم خبر وفاتها، ووسَّدها الثرى في مقابر المسيحيين في الإسكندرية لأنها بقيت على دينها، وعجّل بالسفر قبل أن يجدّد أصدقاؤه مساعيهم لإثنائه عن الهجرة في سنّ الكهولة ولا سيما لأن أبناءه جميعاً لم يكونوا قد استكملوا تعليمهم الجامعي، ممّا يضاعف من تبعاته في بداية الهجرة عندما يشرع في إلحاقهم في الجامعات الأمريكية.

وقبل مغادرته الإسكندرية عبأ مكتبته الخاصة في صناديق وأودعها في مخازن "البونرد" في جمرك الإسكندرية على أمل أن تشحن إليه فيما بعد، كما رثى زوجته بقصيدةٍ مؤثرة مطلعها:

ماذا تفيدك لوعتي وبكائي هذا فناؤك مؤذن بفنائي

وبعث بهذه القصيدة إلى محرر "الرسالة" أحمد حسن الزيات (١٨٨٥ – ١٩٦٨) مع رسالة وداعية كتبها عشية سفره فنشرتها المجلة في عدد ٢٢ نيسان (إبريل) ١٩٤٦ بمقدمةٍ جاء فيها: "سافر إلى نيويورك يوم الأحد الماضي الدكتور أحمد زكي أبو شادي ليقيم فيها هو وأسرته وقد أرسل إلينا عشية سفره هذه القصيدة ومعها كتاب يقول فيه: "كان بودّي أن أزورك مودّعاً قبيل مبارحة وطني الذي لم تسمح لي الظروف بخدمته كما أودّ، ولكن أحوالي الخاصة لم تمكني من مغادرة الاسكندرية لهذا القصد، وسأبحر منها مع أولادي على الباخرة فلكانيا يوم الأحد ١٤ نيسان (إبريل) ١٩٤٦ وعلى فمي بيت المتنبي القائل:

إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا ألا تفارقهم، فالراحلون همو!

وكان بودّي لو حملت رسالة توديعي طاقة باسمة لا هذه المرثية الحزينة لزوجتي، ولكنها أغلى ما أملكه الآن، وقد ارتسمت فيها ذكرياتي وعواطفي وأشجاني".

وعلق الزيات على هذه الرسالة بقوله: "كتب الله للدكتور السلامة، ومَنَّ عليه في مهجره بطيب الإقامة".

وصل أبو شادي إلى نيويورك في أول أيار (مايو) ١٩٤٦، وعوضاً عن أن يمارس الطب فتعتدل أحواله المادية ويهجر الأدب الذي جلب عليه المتاعب واضطره إلى الهجرة، أخذ يتطلع إلى الانضمام إلى عصبة الشعراء العرب المهاجرين المقيمين في القارة الأمريكية، ولكنه فوجئ بمقال نشره الشاعر إيليا أبو ماضي (١٨٨٩ – ١٩٥٧) في مجلته "السمير" بعنوان "ليس منّا"! وهو يقصد طبعاً أن الدكتور أبا شادي لن يصبح أبداً من شعراء المهجر. فما كان من أبي شادي إلاّ أن نظم قصيدة عنوانها "ليس منا" قال في مطلعها:

"ليس منّا!" قال الحسود المُعَنّى "ليس منا!" أعادها "ليس منّا!"

علِمَ الله أنّني لست من يرغب في مثلكم، ولا مَنْ تدنّى

وختمها بقوله:

شاعر نافس التعالي بما يحكي ويحكي القرود معنى ومبنى!

كان الهمّ الأول والملحّ لأبي شادي هو أن يهتدي إلى عملٍ يرتزق منه، وأن يدبّر لأولاده أسباب التعليم في هذا الوطن الجديد. فكان عليه وهو صاحب التراث الضخم في الأدب في مصر أن يبدأ من نقطة الصفر، مؤملاً أن تكون شهرته الأدبية قد سبقته إلى أوساط العرب المهاجرين بحيث يوطئ له ذلك مكاناً حفيّاً بينهم، سواء في الصحف العربية التي كانت تصدر هناك مثل جريدة "الهدى" لصاحبيها نعوم مكرزل (١٨٦٤ – ١٩٣٢) وسلوم مكرزل (١٨٧٩ – ١٩٥٢) وجريدة "السائح" لصاحبها عبد المسيح حداد (١٨٩٠ – ١٩٦٣) و "نهضة العرب" لصاحبها سعيد داود فياض و"الإصلاح" لصاحبها الدكتور ألفونس جميل شوريز وسواها، أو في أقسام الدراسات العربية في الجامعات الأمريكية أو في الأمم المتحدة التي كانت حديثة العهد بالنشوء. وبفضل تمكنه من اللغة الإنكليزية استعان به الوفدان السعودي والإرتري في الأمم المتحدة ليكون مستشاراً لهما، ثم انطلق يقيم الجسور مع الهيئات الجامعية والعلمية، فاختير أستاذاً في معهد آسيا في نيويورك، وأخذ يوافي الصحف العربية في المهجر بمقالاته. وجرياً على عادته في جمع شمل الأدباء، أنشأ في نيويورك "رابطة منيرفا" وجعل على رأسها الشاعر ندرة حداد (١٨٨١ – ١٩٥٠) الذي توفي فجأة في حفلة عرس، وعندئذ اختار الشاعر نعمة الحاج (١٨٨٩ – ١٩٧٨) خلفاً له، مكتفياً بمنصب الأمين العام كدأبه دائماً.

وعندما أصدر في نيريورك ديوانه الأول والأخير الموسوم "من السماء"، انتهزت أكاديمية الشعراء الأمريكيين وجمعية الشعر الأمريكية هذه الفرصة، فتنادتا إلى إقامة حفل تكريم جامع في فندق والدورف أستوريا – وهو أكبر وأشهر فنادق نيويورك – يوم ٣٠ نيسان (إبريل) ١٩٥٠ تكريماً للشاعر أبي

شادي. وقد وصف أبو شادي هذا الحفل في رسالةٍ بعث بها إليّ تاريخها ٨ أيار (مايو) ١٩٥٠ وهي أول رسالة أتلقاها منه، قال فيها:

"في الواقع لم تشهد نيويورك من قديم حفلة أدبية في فخامتها وروعتها ومغزاها وفي شخصياتها مثل هذه الحفلة التي جمعت بين العديدين من رجال الأدب والشعر والصحافة والفكر الحر أمريكيين وعرباً، فضلاً عن أعلام من المستشرقين ومن رجال الجامعات وسيدات القلم والفن، حتى كان يصعب أن تفصّل تأليف جماعة من الحاضرين على أخرى بالنسبة للموائد المبثوثة في قاعة الزمرد الفخمة بفندق والدورف أستوريا العالمي الشهرية. وما كان يمكن مطلقاً في الوقت المحدد تناول العشرات من الرسائل والدراسات القيمة والقصائد الرائعة من العالم العربي، بل من أقطار أخرى كذلك من جنوبي أمريكا وشماليها وأوربا....إلخ. وبالرغم من كل اختصار، استغرقت الحفلة أربع ساعات وكانت مظاهرة منقطعة النظير لأدبنا العربي وللروح الإنسانية التي ألتزمها في شعري وفي كل جهودي. وكان بين الخطباء أساتذة من ثلاث جامعات، كما خطب الأديب الإنساني الشهير روجر بولدوين رئيس الجمعية الدولية لحقوق الإنسان (إحدى المنظمات الاستشارية لهيئة الأمم المتحدة)، وتلا الممثل الذائع الصيبَ ليو كارول الترجمة الإنكليزية لقصيدتي. ولم يسمح بأن يشترك في الحفلة أحد من غير المفكرين والأدباء المعروفين والشخصيات البارزة. وبلغ رعاة الحفلة من الأكابر زهاء المائة، بينهم وزير لبنان المفوض وسفير المملكة السعودية ودولة فارس الخوري بك وقنصل سوريا العام في نيويورك. وأما مصر، التي تعود إليها في النهاية كل هذه الحفاوة، فلم تمثل إطلاقاً في الحفلة!!! وقد حضر محمد أفندي لبيب أمين القنصلية المصرية بصفته الشخصية فقط، لأن عنده شيئاً من الشجاعة الأدبية وعرفان الجميل، ولأنه لم ينس بعد أنّي كنت المصري الوحيد هنا الذي دافع عن الديمقراطية المصرية وعن حق الوفد في الحكم أثناء العهد الماضي المشؤوم".

أما ديوانه "من السماء" فقد أهدى منه ألف نسخة إلى دولة أحمد حلمي باشا (١٨٨٢ – ١٩٦٣) رئيس حكومة عموم فلسطين التي كان مقرها في القاهرة لكي تباع وترصد حصيلتها لقضية فلسطين.

توهم أبو شادي أن هجرته كفيلة بدفع الأذى عنه من الذين كانوا يضيقون به في مصر. ولكن ما كان ينشره من قصائد ويكتبه من مقالات مطالباً بالإصلاحات في مصر أسيء فهمه واعتبر هجوماً منه على وطنه الأم. فقد كانت أخبار الملك فاروق المشينة تملأ الصحف الأجنبية، مما حدا بالدكتور أبي شادي الذي كان أستاذاً للملك فاروق في شبابه، إلى نظم قصائد رمزية في الحملة عليه كقصيدة "الكركدن" وقصيدة "جنون البستاني" وغيرهما. مما جاء في قصيدة "الكركدن" قوله:

من دمعة الشعب ومن كدّه ... ومن دم الأمة في نرده
مُملّكُ الحدّ على صفوها ... يا ليتها تملك من حدّه
كم يجعل الدين حبالاته ... ليخنق المصلح في مهده
يمرّغ الأمة في رجسه ... ويسرق الأمة في رفده

إلى أن قال:

حتّام يا قوم ضلالاتكم؟ ... تُمكّن الفاجر من قصده؟
كنّا نرجّيه مثال الهدى ... فأصبح الغاشم في حقده
كنّا نغنّيه أغاني العلا ... فأصبح المبدل من حمده
كنّا نغذّيه بأرواحنا ... في روحه العالي وفي زهده
ما باله أصبح فتىً ماجناً ... الشارد، الخادع في وعده
حتّام يستهزئ من مجدكم؟ ... حتّام، والخسّة من مجده؟
حتّام يسترسل في غيّه؟ ... حتّام والسوقة من جُنده؟
حتّام أعلاكم له صاغر؟ ... حتّام، بل أهون من عبده؟

أعقلكم دون دفين الثرى ... لو يعتل الميت في لحده

أما قصيدة "جنون البستاني" فقد جاء فيها قوله:

ماذا أصابك أيها البستاني ... وذويك؟ ما هذا الجموح الجاني؟
ضيّعت غرساً صوّحت أفنانه ... وشُغلت بين مهازل وغواني
الليل ينفق في القمار وفي الزنا ... رجسان مأثوران للشيطان
تتضاءل الحسنات منك وتمّحي ... في حين جسمك بعدها جسمان
ماذا دهى الأمل العريض، فطالما ... أوحى لنا، والآن لطمة عان؟
كنّا نرى الوجه الصبيح كأنّه ... رمزٌ لكل تطلّع روحاني
ماذا دهى هذي الغوالي كلها ... وشخوصها ما زلن في وجداني؟

إلى أن قال:

هيهات يُفلح فاسق مُستهتر ... أو يستقلُّ بعزّةٍ ومكان
ما زلتُ أخلصك النصيحة، فاتّعظ ... وتحاش مَنْ خرّوا إلى الأذقان
هيهات ينفعك التملّق والرُّقى ... وجميع ما يوحي جنون أناني
مهلاً ومهلاً أيها البستاني ... ارجع لغرسك أيها البستاني

هذا الشعر، الذي وصفه صاحبه بأنه شعر رمزي لأنه لم يورد فيه اسم الملك فاروق صراحة، اعتبر هجوماً على مصر من خصوم أبي شادي عوضاً عن أن يعتبر نصيحة خالصة من غيور على رمز بلاده. واتفق في ذلك الوقت أن كان الصحفي مصطفى أمين (١٩١٤ – ١٩٩٧) يزور الولايات المتحدة، فأبرق إلى جريدة "أخبار اليوم" برسالة قال فيها إن أبا شادي يهاجم مصر ويدعو إلى النظام الجمهوري لا الملكي! وتلقف عباس خضر (١٩٠٨ – ١٩٨٧) هذه البرقية، وجرياً على عادته في التحرش بكبار الأدباء هو وزميله أنور المعداوي (١٩٢٠ – ١٩٦٥) في مجلة "الرسالة" أثناء غياب صاحبها في ضيعته في مدينة المنصورة، فكتب مقالاً في عدد ٢٢ آب (أغسطس) ١٩٤٩ من

المجلة قال فيه: "إن أبا شادي مكث دهراً ينظم كلاماً فارغاً ويقذف به ديواناً وراء ديوان، وهو يحاول أن يقنع الناس بأنه شاعر فأخفق ولم يفلح إلاّ في إفساد المذهب التجريدي في الشعر العربي، حتّى لقد نفّر أبو شادي بعض المجيدين من لفظ التجديد، وأصبح مثار التندر في مجالسهم. إن مصر لا تستحق هجومه عليها إلاّ لسبب واحد هو أنه من أبنائها، وإن كانت كفّرت عن ذنبها بلفظه وقذفه إلى ما وراء البحار".

وهذا كلام لا يصدر إلاّ عن موتور، وما كان يصحّ أن يجد له موضعاً في مجلة رصينة كمجلة "الرسالة". فأبو شادي كان ينصح ويحذّر من العواقب التي جلبها طيش الملك فاروق على نفسه وعلى بلاده وكأن أبا شادي كان يرجم بالغيب ويعرف ببصيرته أن الثورة ستطيح العرش والمتربع عليه. ولعلّ الذي أغرى عباس خضر بكتابة هذا الهجاء المسفّ اعتقاده بأن أبا شادي المقيم في أمريكا لن يطلع على هذا الكلام، فيكون هو قد حسم الأمر وكسب القضية، ولا سيما لأن القراء يجهلون تفاصيلها.

ولكن أبا شادي كان يقرأ "الرسالة" حتى في مهجره. ولئن غضب على كاتب هذا الكلام المهين، فقد تجاهله تماماً في الردّ الذي بعث به إلى صاحب "الرسالة". ففي العدد الصادر في ١٢ أيلول (سبتمبر) ١٩٤٩ نشر أبو شادي مقالاً عنوانه "بين الأدب والوطنية والأخلاق" عاتب فيه صاحب "الرسالة" أحمد حسن الزيات على سماحه بترديد مطاعن جارحة في أخلاقه وفي محبّته لمسقط رأسه، واستنكر أن تقابل خدماته لوطنه الأول بالجحود قائلاً "إنه وجد في الصحف الأمريكية مجالاً لنشر آرائه بعدما حال الرقيب دون نشر آرائي الحرة في مصر، ولحمتها وسداها الدفاع عن صوالحها العليا وعن عاملها وفلاحها وعن حرياتها العامة وعن عرش مصر".

ومن مدينة دمنهور في شمال دلتا النيل جاء صوت منصف استَهْوَلَ ما كتبه عباس خضر فتصدى من تلقاء نفسه وبروحه المنصفة للدفاع عن أبي شادي، حيث نشرت "الرسالة" في نفس العدد مقالاً بتوقيع عبد الحفيظ نصّار

من دمنهور جاء فيه: "آلمني حقاً الأسلوب الذي تحدث به الكاتب الفاضل عن رجل كان له في الحياة الأدبية أثر لا ينكر. ومن المعروف أن أبا شادي بذل مجهوداً صادقاً في خدمة الأدب الحديث. وأقلّ ما يُنسب إليه من فضل أنه جـ ـع جمهور شعراء العربية وحفزهم، الشباب منهم بنوع خاص، ومن ينكر نشاط جماعة أبولو التي كان رئيسها شوقي ووكيلها أحمد محرم (١٨٧٧ – ١٩٣٢) وسكرتيرها أبو شادي؟ وأعتقد أنه قبل مجلة "أبولو" – وهي مجلة خاصة بالشعر ودراساته مما لم يسبق له نظير في عالم الصحافة العربية – كان القارئ العربي لا يعرف شيئا عن هذا العدد الكبير من شعراء الشباب بنوع خاص، نذكر في طليعتهم الشاعر أبا القاسم الشابي (١٩٠٩ – ١٩٣٤). فهل أفسد أبو شادي سليقته؟".

ولمّا فاضت الكأس بأبي شادي، أصدر بياناً شاملاً للمواطنين المصريين نشرته مجلة "الصباح" القاهرية لصاحبها مصطفى القشاشي في عددها بتاريخ ٢٥ تموز (يوليو) ١٩٥١ قال فيه: "آمنت بأن العوامل التي أرغمتني إرغاماً على الهجرة عن وطني لا تزال سائدة، بل إنها شرٌّ ممّا كانت عليه. وبناءً على ذلك فإني سأقضي في أمريكا البقية القصيرة الباقية من حياتي، وعلى الأخص بعد اشتداد المرض عليّ في أواخر نيسان (إبريل) من هذا العام، حتى أني لم أنج من الموت إلاّ بأعجوبة. والآن، بعد اضطراري إلى تنظيم استقراري في أمريكا نهائياً، لا أطلب إلاّ تركي وشأني هنا. والأَوْلَى بأولئك الأصدقاء والمريدين الذين يودّون، كرماً منهم، عودتي إلى مصر ألاّ ينسوا أن شخصي هو مبادئي وتفكيري فحسب. وسأظل إلى آخر أنفاسي على هذا العهد من الحبّ والوفاء، دون نظر إلى أي جزاء".

ولئن عَالنَ أبو شادي بالقطيعة مع مصر، وقرّر في حزم صارم ألاّ يعود إليها حتى في صندوق، فهو لم يكفّ عن الحنين إلى مصر والتغني بها في شعره. ففي قصيدة عنوانها "وطني" قال:

مَنْ مُبلغٌ وطني الحبيب تلهفي ... للقائه كتأسفي للقائه

لجّ الحـنين ومـا عرفـت بهجرتـي أن أســتخفّ بعنفــه وزكائــه
وطـني الـذي رُبِّيـتُ تحـت سمائـه ووهبتـــه فنّـــي نجـوم سمائـــه
ورضـعت مـن أزهــاره، وســكرت مــن أسمــاره، وشــربت مـن أضـوائه
مَـنْ لـيس يَعْدِلُـهُ سـوى حُبّـي لـه حُبــاً تشــرّد كــاليتيم التائـــه
مَــنْ طالمــا غنَّيــتُ في أفيائـــه بـرؤاي حـين سُـجنت في أفيائــه

وقال في قصيدة عنوانها "لا تهزوا روحي":

لا تهــزوا روحـــي لفـــرط ولوعهـــا دمعـي الـذي تَـأبَوْنَ بعض دموعها
مصــر الحبيبــة جنّــة لا أشــتهي منهـا الخيـار، فخيرهـا بجميعهـا
أهــوى لهـا الإعــزاز كيـف تمثّلـت بحياتهـــا، وتصـــوَّرت بصـــنيعها
إن كـان عـاقبني الزمـان بغـربتي فلقــد أفــاءَ علــيَّ حُلْـم بـديعها

وفي قصيدة عنوانها "الزيارة الأخيرة" قال:

وددت قبـــــل ممـــــاتي أراكِ يـــــا مصـــــر مـــــرّهْ
وإن أكـــــن في جنـــــانِ فريـــــدة الحســـــن حُـــــرّهْ
ولم أزل في جنـــــــــيني إليـــــك أكـــــرع جمـــــرهْ
يهتـــــاجني كـــــل صـــــفوٍ وقــــد أعــــاني المســــرّهْ
أهفـــــو إليـــــك وأَعْصـــــى روحـــــي وأرســـــل عـــــبرهْ
وإن عرفـــــتِ جمـــــودي فمـــــا عرفـــــتِ المـــــبرّهْ
فـــــإن تجوهلـــــتُ عمـــــداً وأصـــــبح الحـــــبّ غمـــــرهْ
وظـــــلّ مثـــــل وفـــــائي مرمـــــىً لحقـــــدٍ وغـــــيرهْ
فـــــالنَّفْيُ أجـــــدى لمثلـــــي والبعـــــدُ أســـــلم عثـــــره
حتـــــى أجـــــود بروحـــــي ولا أفـــــوز بنظـــــرهْ!

في شهر حزيران (يونيو) ١٩٤٦ افتتح الدكتور أبو شادي لنفسه مكتباً في شارع ماديسن بنيويورك أطلق عليه اسم "المكتب الأدبي المصري" في حين اتخذ لنفسه منزلاً في ضاحية جامبكا. وظلّ يزاول أعماله الأدبية ومحاضراته الجامعية من هذا المكتب إلى أن قرّر راديو صوت أمريكا الاستعانة بخدماته في الترجمة وتأليف المسرحيات وإلقاء نماذج من شعره، مع الانتقال إلى واشنطن العاصمة، فاختار لإقامته بيتاً ذا حديقة جميلة، وكان قد تزوج أمريكية من أصلٍ إيطالي وتبنى ابنها الذي رزقت به من زوج سعودي سابق وصار هذا الابن يعرف إلى هذا اليوم باسم كلايف أبي شادي.

كنت مبتوت الصلة بأبي شادي وهو في مصر، فلمّا هاجر إلى أمريكا وأقيم له مهرجان التكريم الحاشد في فندق والدروف أستوريا – وقد تقدّم الحديث عنه – أطلعني صديقي الناقد مصطفى عبد اللطيف السحرتي (١٩٠٢ – ١٩٨٣)، وهو من رواد أبولو، على تفاصيل هذا الحفل، ووافاني بالكلمات التي ألقيت فيه وكذلك بصورة بانورامية للجمهور المجتمع في قاعة الزمرد. فنشرت في "المقطم" صفحة كاملة وصفت فيها هذا المهرجان المصري في نيويورك تزيّنها الصورة الفريدة. وقام السحرتي بعد النشر بإرسال نسخة من الجريدة إلى أبي شادي الذي أهداني ديوان "من السماء". ولمّا شكرته على هديته، بدأ يراسلني بانتظام اعتباراً من ٨ أيار (مايو) ١٩٥٠ وكانت آخر رسالة تلقيتها منه مؤرخة في ٨ نيسان (إبريل) ١٩٥٥ أي قبل وفاته بأربعة أيام. كان أبو شادي يوم الوفاة جالساً في حديقة منزله بين المناحل التي يربي فيها النحل عندما صرخ قائلاً إنه فقد الرؤية تماماً، ولم يلبث أن لفظ أنفاسه متأثراً بجلطة في المخ. ومن المفارقات المغيظة أنني زرت واشنطن في شهر تموز (يوليو) من العام نفسه، أي بعد ثلاثة أشهر من وفاته، ولو تقدّم موعد زيارتي أو لو أُرخي له في العمر هذه الأشهر الثلاثة لصافحت وجهه بدلاً من الوقوف على قبره في ولاية ميريلند الذي دلّتني على موضعه ابنته الوفية صفية، فهو مدفون في قبرٍ مُسوّىً بالأرض تغطيه لوحة

من البرونز نقش عليها اسمه وتاريخا ميلاده ووفاته. أما المقبرة التي تضم رفاته، وهي بحدائقها وزهورها تكاد تكون دوحة غناء، فتعرف باسم non-sectarian cemetery وفيها يدفن أبناء الطوائف غير المسيحية، حتى الهنود. ولذلك أقيمت فيها محرقة لإحراق جثث الهنود. ولأنني عرفت من صفية أن القرنفل الأبيض كان أحبّ الزهور عند أبي شادي، فقد وضعت باقة من القرنفل في أصيص مثبت على المقبرة بعدما ملأناه بالماء.

أما مكتبة أبي شادي التي خلّفها وراءه في مستودع "بوترد" جمرك الاسكندرية معبأةً في صناديق، فقد بقيت جاثمة في مكانها نحو ست سنين، ولم تسلم من آثار الأنواء والرياح الهابّة ومن الأمطار السخينة التي تتعرض لها الاسكندرية. وكان أبو شادي قد كلّف مندوباً بأن يسعى لدى الجهات المعنية لشحن هذه الصناديق إليه، ولكن الإجراءات البيروقراطية المعقدة حالت دون ذلك، وعندما كاد أبو شادي يفقد الأمل نهائياً في الإفراج عن كتبه التي يحتاج إليها في دراساته ومحاضراته، استنجد بي ظنّاً منه أنه بوسعي تذليل العقبات الخانقة. وكان لوزارة المالية المسؤولة عن الجمارك وكيل واحد – وليس عشرات من الوكلاء كما هو الحال اليوم – وكان هذا الوكيل صديقاً لي، وكان على درجة عالية من حسن الفهم والقدرة على الحزم والتغلّب على التعقيدات الدهرية، ألا وهو الدكتور محمد توفيق يونس بك الذي صار بعد ذلك رئيساً لديوان المحاسبة. وحتّى لا أحرجه بالاتصال الشخصي، بعثت إليه برسالة على ورق عادي وبالبريد العادي. كلّفتني خمسة مليمات هي رسم البريد، ولم نكن وقتها نعرف الدمغات التي تباهظت قيمتها، ولا عرض حالاتها القبيحة! وأوضحت له في رسالتي أن أبا شادي يسخّر كل حياته في مهجره لخدمة وطنه وأمّته وثقافته العربية، وأنه في أشدّ الحاجة إلى مكتبته الخاصة التي تتعرّض في جمرك الاسكندرية لعوامل التعرية المدمرة، وأنه ليس تاجر كتب وإنما عالم كبير يقتنيّ هذه المكتبة للاستعانة بها في مآربه الأدبية والعلمية. ورجوته بأن يأمر بالإفراج عنها إنقاذاً لها من الدمار

المحتوم، وخدمةً لرسالة الثقافة والعلم التي يضطلع بها أبو شادي في أمريكا. وبمجرد وصول رسالتي إلى الدكتور يونس هاتفني قائلاً إنه أصدر أوامره المشدّدة بالإفراج فورا عن الكتب، ولكن بعد عرضها على الرقابة، لأن الرقابة ليست من سلطانه أو مسؤولياته. فكتبت إلى مندوب أبي شادي في الاسكندرية لأبلغه أن أمر الإفراج قد صدر، ولم يبق إلاّ الاتصال بالرقيب الهمام، ورجوته أن يلحّ على هذا الرقيب بأن يعجل بمهمة الإفراج، ولا بأس طبعاً من إمهاله فترة معقولة لقراءة نحو خمسة آلاف كتاب باللغتين العربية والإنكليزية! وكأي موظف حكومي لا يتعب نفسه كثيراً في أداء عمله، طلب قائمة الكتب ووقع عليها دون أن يقرأ كتاباً واحداً إبراءً لذمته! وعلى الأثر، شحنت الكتب إلى وجهتها فوصلت إلى أبي شادي في نيويورك في أواخر عام ١٩٥١ أي بعد ست سنين من هجرته وبقائها جاثمة في مستودع جمرك الإسكندرية.

وكنت أحسب أن أبا شادي سيفرح بوصول كتبه إليه، ولكنه كتب إليّ رسالة تاريخها ٩ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٥١ جاء فيها: "لم أشأ أن أبلغك من قبل عن المأساة التي أصابت صناديق كتبي حتى لا تتكدر، وحتى نصل إلى حل. فأولاً، الصناديق وصلت مكسورة الجوانب ومسروق منها مئات من الكتب حتى اضطرت مصلحة الجمارك هنا إلى سدّها بألواح من الخشب. وثانياً، ضاع صندوق كامل فلم يصل. وثالثاً، جميع المخطوطات والمستندات والرسائل الأدبية المهمة مفقودة، ولم أعثر إلا على مخطوط ديوان عبد الحكم الجرّاحي (وهو من شهداء الوطنية من طلاب جامعة فؤاد الأول في الثلاثينات من القرن الماضي) وأشياء قليلة أخرى. وأما ديوان "ترنمات الشيطان" للزهاوي فلم نهتد إليه. وما زلنا في أخذٍ وردّ مع شركة الملاحة دون جدوى إلى الآن. وأنا لا يهمني التأمين، وإنما تهمني تلك الآثار الأدبية".

ومخطوط ديوان "الترنمات" للشاعر العراقي جميل صدقي الزهاوي (١٨٦٣ – ١٩٣٦) يحتاج إلى وقفة. كان هذا الشاعر العراقي قد أودع

مخطوطة هذا الديوان لدى صديقه سلامة موسى (١٨٨٧ – ١٩٥٨) بغية نشره ذات يوم لأن في المخطوطة شطحات عُرفت عن الزهاوي وقد لا يرضى عنها الرقيب. فقام سلامة موسى بإيداعها لدى أبي شادي لأنه كان مستهدفاً من رجال الشرطة الذين كانوا يقتحمون بيته في أي وقت ويصادرون كتبه وأوراقه كلّما تكررت عملية اعتقاله، وبقي هذا المخطوط لدى أبي شادي. ولكنه بحث عنه ضمن صناديق كتبه عند وصولها إليه فلم يعثر له على أثر وأعتقد أنه كان ضمن المفقودات، وهو اعتقاد لم يفارقه إلى وفاته. واتفق أن كريمته صفية كانت تقلّب في كتبه بعد ذلك وعثرت مصادفة على المخطوطة، فقامت باستنساخها وأهدتني نسخة منها مع رجاء بعدم نشرها لأن الديوان كان عُهدةً أو أمانةً لدى أبيها ولم يكن مرخصاً له في نشره.

وفي هذه الأثناء كان الشاعر العراقي هلال ناجي، اللاجئ السياسي في القاهرة، يعدّ كتاباً عن الزهاوي، ورغب إليّ في مساعدته في الحصول من أسرة أبي شادي في أمريكا على نصّ ديوان "الترنمات". ووعدته بذلك دون أن أذكر له أن الديوان تحت يدي، ولكنني تعهدت بعدم نشره استجابةً لرجاء صفية أبي شادي. ولمّا تكررت زياراته واشتدّ إلحاحه قلت له إن صورة الديوان عندي، ولكنني وعدت بعدم نشرها، فقال إنه لا ينبغي إلاّ الاطلاع عليه للاسترشاد بالديوان في بحثه عن الزهاوي، وإنه سيعيد المخطوطة إلي دون تأخير. وتلقاء إلحاحه ووعده بعدم نشر الديوان، أعرته إياه. وفوجئت بعد ذلك بصدور كتاب "الزهاوي وديوانه المفقود" وفي متنه النّص الكامل لديوان "الترنمات" الذي زعم المؤلف بأنه بحث عنه بنفسه جاهداً حتى عثر عليه!

وكنت احتكمت إلى أستاذنا العقّاد في تحرّي مدى نسبة هذا الديوان إلى الزهاوي، فكتب مقالاً نشرته في مجلة "قافلة الزيت" السعودية التي كنت أمثلها في مصر وذلك في عدد أيار (مايو) – حزيران (يونيو) ١٩٦٣ أكد فيه

"أن كل الشواهد والقرائن مقنعة بل قاطعة في إثبات نظم الشاعر لجملة القصائد والمقطوعات التي احتواها ديوان الترنمات".

وقد يسأل القارئ عن مصير مكتبة أبي شادي الخاصة، سواء ما كان يقتنيه من كتب في مصر أو ما استجدّ من كتب اقتنتاها أو أهديت إليه في أمريكا (وكنت أوافيه بناءً على طلبه بما يزيد كيلو غرامين يومياً من الكتب الصادرة في مصر والبلاد العربية). فبعد وفاته قامت كريمته صفية بإهدائها إلى مكتبة جامعة يوطا UTAH الأمريكية عندما كان المؤرخ المصري الدكتور عزيز سوريال عطية (١٨٩٨ – ١٩٨٨) صديق أبي شادي يعمل أستاذاً للتاريخ فيها. فخصصت الجامعة لها جناحاً وعهدت في الإشراف عليه إلى أمين مكتبة من أصل عربي.

وعندما أصدر الشاعر المهجري جورج صيدح (١٨٩٣ – ١٩٧٨) موسوعته الضخمة "أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية" لم يعترف بأبي شادي شاعراً من شعراء المهجر. ولكنني راجعته في هذا الرأي، وقلت له إن أبا شادي كان حريصاً على أن يؤكد للدارسين أن المرحلة المهجرية في حياته – وإن تكن امتداداً للمرحلة السابقة عليها في الوطن – إلاّ أنها قد تميزت عنها بخصائص جديدة أكسبتها إياه حياة المهجر فتراءت في آثاره الشعرية النثرية، حيث ازدادت إنسانيته شفافيةً، وازداد أفقه رحابةً عالمية، وازداد حنينه إلى وطنه النائي وازداد تدمجاً بحكم تحلله من الوظائف والأعمال الإدارية التي كانت تبهظ كاهله، وازداد استشرافه على العالم العربي وقضاياه المصيرية والتحررية، بحيث يصحّ القول بأن شعره المهجري يختلف في نسيجه وصوره ومضمونه عن شعره السابق. وقد اقتنع صيدح بوجهة نظري، وبأحقية أبي شادي وابنته صفية صاحبة ديوان "الأغنية الخالدة" في الاندراج ضمن شعراء المهجر، وأفرد لهما حيّزاً في الطبعة الثالثة من هذه الموسوعة النفيسة اعترافاً لهما بهذه الصفة.

وطرأ لي عند كتابة هذا الحديث أن أراجع رسائل أبي شادي الكثيرة إليّ، فألفيتها طافحة بالشكوى من أشكال الجحود التي كانت تلاحقه حتى في مهجره، ممّا اضطره إلى الدفاع عن نفسه في شعره، وكأنه إزاء اتهام بالعقوق أو النكران كقوله:

سألوني لِمَ ارتحلت، كأنّي لم أجبهم بسيرتي نصف قرن
شادياً بالطليق من شعريَ الباكي أغنّي لمجدهم ما أغنّي
ما كفاهم أني ارتضيت شقائي لي جزاءً، ويهدمون وأبني
ما كفاهم هذا وهذا فنادوا بعقوقي، وما رعوا حق سنّي
وأظلّ الوفي رغم اغترابي للبلاد ما غُيِّبت قط عنّي

وعندما توفي ابن أبولو البكر الشاعر إبراهيم ناجي (١٨٩٩ - ١٩٥٣) حسيراً مقهوراً بعدما طرد من وظيفته بزعم "التطهير"، رأى أبو شادي في محنته شبيهاً بمحنة كل شاعر حرّ مثله، فرثاه بقوله:

كيف قد غاله الردى فجأةً، غادراً، وفرّ؟
أتُرى كل ذنبه أنه شاعر شعر؟
أنه نغَّم الأسى أنه طارد الضجر؟
أنه أنقذ الورى من شرور ومن شرر؟

وعندما تعرضت بدوري للبطش والاعتقال في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٥٢ غيلةً وغدراً، أهداني أبو شادي قصيدة عنوانها "الأخطبوط" قال فيها:

هيهات أرضى أن أساوم مرّة في الحق، أو أرضى به مدحورا
إن الإساءة من عتيٍّ فاجرٍ ملأ البلاد مقابحاً وشرورا
نِدّ الإساءة من زعيم صالح قتل المواهب جاهداً مغرورا
إن ترتضوا هذا فحسبي أنني أبقى بمنفاي السحيق شكورا

وعندما توفي أستاذه وصديقه الشاعر خليل مطران في عام ١٩٤٩ وكان يسميه "الشاعر السامي" رثاه بقصيدة عامرة الأبيات ختمها بقوله:

يا مصر، إن أنْسَ لا أنْسَ الهوى ثَملاً — على ضفافك في شتّى عناصره
رضعتُ فيك حناني للجمال كما — ركعتُ فيك لساميه وطاهره
لأَلبثنَّ وفيّاً لا يغيّره — عادي الخطوب، أبيّاً في ضمائره
لئن أُميتَ كفاحي في منابته — فسوف يحيا كفاحي في مهاجره

أما أسرة أبي شادي التي تعيش في أمريكا فقوامها ابنته صفية التي عملت في بادئ الأمر في جريدة "الهدى" ثم انتقلت للعمل في السفارة السعودية بواشنطن وكانت تقوم بأعمال السكرتارية للأمير فيصل بن عبد العزيز وزير الخارجية السعودي عندما كان يمثل بلاده في الأمم المتحدة، وعملت بعد ذلك في راديو صوت أمريكا مترجمة إلى أن تقاعدت. وهي التي حافظت على تراث أبيها بعد وفاته، وبفضلها أمكن نشر الدواوين الأربعة المخطوطة التي خلفها أبوها.

أما هدى أبو شادي فقد هوت التصوير الفوتوغرافي وعملت في وظائف شتّى كمصورة محترفة، ونالت جوائز متعددة على ما أقامته من معارض لصورها. وقد تزوجت الطبيب الأمريكي ميريل جارنت Dr. Merril Garnett الذي يعكف منذ أكثر من عشر سنوات على الاهتداء إلى عقار للسرطان، وقد نشر نتيجة أبحاثه في كتابه عنوانه "النبضة الأولى" First Pulse، ولو تنبهت إليه الجهة المانحة لجائزة نوبل في العلوم فلعلها كانت تمنحه جائزتها.

وأما رمزي أبو شادي فقد عمل في وظائف شتى في الأمم المتحدة، ولمّا تقاعد، ترك الإقامة في مدينة نيويورك الصاخبة، وانتقل إلى ضيعته يمارس فيها كل فنون الزراعة وتربية الماشية.

ولكل من هدى ورمزي أبناء وأحفاد يحمل الذُكور منهم اسم "أبو شادي"، أما صفية فلم تتزوج.

وديع فلسطين

أنــداء الفجــر

الديوان الأول للشاعر

إهـــداء الدّيـوان

إلى زينب

رُبْـعُ قـرنٍ مضـى وهيهات تَمْضـي   شُـعلةُ الحُـبِّ عـن وثـوبٍ ووَمْـضِ
لم أزل ذلـــك الفتـــى في جُـنـوني   وفـــؤادي بنبضـــهِ أيَّ نـــبْضِ
ذكريـاتُ الهـوى وأشـباحهُ النَّشْـــ   وى أمـامي في كل صـحوٍ وغمـضِ
أنـــا منهـــا فكيـــف أرتـــدُّ عنهـــا؟   مَرْحبـاً بالخيـال لمسـي وقَبْضـــي!
نُشِـرَتْ في السـطور بعـدَ احتجـابٍ   كنـثيرِ الحيـا علـى زَهْـرِ رَوْضِ
فـإذا بـي أعـودُ طفـلاً صـغيراً   باكيـاً لاهيـاً بأُنْسـي وركْضـــي
فـاقبَلي يـا سمـاءَ وَحيـي زُهـوراً   مِنْ حَياكِ السَّخيِّ لا جودَ أرضـي
وأَعيـدي علـى الصِّبَا في نظيمـي   نظـرةَ الحـبِّ يَنـتفَضْ مثـل نفْضـي
كـــم شـــقينا تَفَرُّقـــاً وحيـــاءً   وخَضَـعْنَا لِحكْـمِ دهـرٍ مُمِـضٍّ
ورَجَعْنَـــا ننـــوحُ نَـــوْحَ يتيميْـــ   نِ علـــى ذلـــك الصِّـــبا المـــنقضِّ
علـمَ الحـبُّ لـيس غـيركِ مجـدي   في وفـاءٍ ولـيس غـيركِ خَفْضـــي!

أحمد زكي أبو شادي

بولية سنة ١٩٢٤

أنــداء الفجــر

مِنْ دُموعِ النجومِ، مِنْ سَهرِ العا ... شقِ صِيغتْ ومِنْ رجاءِ الحياةِ
في حَنانٍ ورقّةٍ وهي لا تمـ ... ـلكُ مِنْ عمرها سوى لحظاتِ
في ثُغورِ الأزهارِ، في ألَقِ العُشـ ... ـبِ، وفوقَ الغصونِ تحيا وتَفْنَى
وهَبتْ حُسنَها الضحيةَ للشمـ ... ـسِ كأَنّ الفناءَ للشمسِ أغنَى
ويعودُ الفجرُ الوفيُّ بها بَعـ ... ـثاً، ولكنْ تعود تمضي الضّحِيهْ
هي مِلْكٌ لنا حياةً وموتاً ... وهي بالرُّوحِ صورةُ الأبديّهْ

الحب والأمل
(نظمها الشاعر وهو عليل)

وَفَى الربيعُ فحيِّ الحبَّ والأَملا ... وسائلِ الذكرَ إن كان الفؤادُ سَلاَ
واحفظ حديثَ الغواني في أزاهرِهِ ... واحرصْ على النفس أن يُدني لها الأَجَلاَ
مِنْ كل هيفاءَ إن ماست وإن نظرتْ ... لم تتركِ القلبَ إلاَّ حائراً وَجِلاَ
رنتْ إليَّ بلحظٍ ناطقٍ لَعِبٍ ... والسِّحْرُ إنْ عزَّ لا أبغي له بَدَلاَ
يا رائقَ الشِّعْرِ هل بلَّغْتَنا نبأً ... عن حال مَنْ كان لولا العهدُ مُرْتَحِلاَ[1]
يخطو إلى الموت والآلامُ تلفتُه ... إلى العهود فيُثْنَى جازعاً خَجِلاَ
ليتَ الوفيَّ الذي تُنْسَى مُروءتُهُ ... ما عاهدَ البدرَ أن يرعاه ممتثلاَ
إنْ عاش كانت على التسهيدِ نضرتُه ... أومأت أزجى المُنَى مِنْ قبره رُسُلاَ
لا يستقرُّ له رأيٌ على سبَبٍ ... ورُبَّ صوتٍ ثنَى[2] مِنْ همِّهِ وجَلاَ

---

[1] راحلا من هذا العالم. يشير إلى مرض سابق.
[2] ثنى: طوى.

سـهلٌ لديـه التأسّـي عـن مَدامعـهِ ... يـومَ اللقـاء، فأمَّـا في الـوداعِ فـلا!
رأى النعـيمَ همومـاً في صـبابتهِ ... وقـرَّبَ الحسـنُ مثـواه لـهُ فَحـلاَ
مـا أجـزعَ الصـبَّ يُبكيـه متيّمـهُ ... مِنَ الجمالِ، ومـا أهنـاه لـو وَصَـلاَ

* * * * *

ودّعـتُ هَمِّـي، وهمِّـي كلُّـهُ أمـلٌ ... يـا ربَّ لحـظٍ ولفـظٍ في الهوى قـتَلاَ
مـرَّتْ كحلـمٍ يجاريـه الـدّلالُ فـلا ... نمْـتُ عليـهِ، ولا أخفـتْ لـه مـثَلاَ
وداعبـتْني بصـوتٍ خافـتٍ وبكـتْ ... وقـرَّبتْني وقالـتْ حسْـبُنا جـدَلاَ!
الـدّهر فرَّقَنـا، والـدّهر ألَّفنَـا ... فـانسَ الذنوبَ، ولا تعتـبْ لِما فعـلاَ
الكـونُ زاهٍ قشـيب، والظـلام سـنَاً ... والنـورُ كنـزُ معـانٍ تُـبهج المُقَـلاَ
فاجلُ القريضَ وحدّث طائراً غَرِداً ... وادْعُ النّسـيمَ ولَحِّـنْ بعـده زجَـلاَ
فسرتُ في الروضِ من فرطِ الهوى ثمِلاً ... مثلـي النّسـيم بـدا مِـنْ رقّـةٍ ثمِـلاَ
والطـيرُ دانٍ فلّمـا جئتُـه خطـرتْ ... فيـه الظُّنـون فخلَّـى إلْفَـهُ وعـلاَ
واللهِ لستُ الذي يرضى السّهادَ له ... حتى يخـافَ، ولكنْ لستُ مَنْ عَذلاَ
يـا طيرُ آلمتَ نفسـي – كلّنا دنِـفٌ ... ما كنتَ باعدتَني لو كنت من عذَلا
ويـا زهـوراً كسـاها مِـنْ مدامعـه ... هـذا الغمـامُ عقـوداً نضـرةً وحُلـى
ويـا شُـعاعاً سُـحِرْنا مِـنْ تألّقـه ... يبكـي ويلعـب بسّـاماً ومقتـتلاَ
ويـا نجومـاً توافينـا ومـا برحـتْ ... تُفشي حديث الدُّجى، لا تعرِف الخجَلاَ!
ويـا أديمـاً جلسـنا في بدائعـهِ ... يـأبى علينا الهوى أن نـترك الغَزلاَ
ويـا ملاكـاً يحيّينـا ومـا فتئـتْ ... منـه اللحـاظ سـهاماً.. ليتـه غفَـلاَ
ويـا زمانـاً نعمنـا مِـنْ نضـارتِه ... والأنـسُ وقـفٌ عليـه دامَ أم أفـلاَ
ويـا ربوعـاً وقفنـا في معابـدِها ... أَسْرَى الجمال، نزفُّ الحبَّ والأملاَ
لا قلتُ معنىً يروق الشّعرَ جوهَرُهُ ... لو أنّ بعضَ نعيمي مِنْ هواكِ خـلاَ!

حيـاتــان

أمّي (الطبيعة)! في نجواكِ إسعادي ... وفي ابتعادي أعاني دهريَ العادي

وفي حمى أخوتي من كلِّ طائرةٍ ... وكلّ نبْتٍ نبيلٍ وحيُكِ الهادي

ما بالها هي صفوي وحدَها فإذا ... رجعتُ للناس لم أظفر بإسعادِ؟

كأنما الناسُ أعداءٌ: فبعْضُهمو ... حربٌ لبعضٍ وحُسّاد لحسّادِ!

حظُّ الناقمين

فؤادي برغمِ الحادثاتِ كبيرُ ... وطرفي وإنْ عزَّ العفافُ كسيرُ

تَلينُ ليَ الأيامُ في كلِّ شدةٍ ... ولو أن جُلَّ الفاتحين أسيرُ

سلختُ من الأعوام بضعاً وعشرةً ... أُقيم على دين العلى وأسيرُ

وفي النفسِ حاجاتٌ وفي القلبِ لوعةٌ ... على أنّ كلّي همةٌ ومَريرُ[1]

وما انقطعتْ أسبابُ أنسٍ ونعمةٍ ... ولكنَّ حظَّ الناقمينَ عَسيرُ!

التبرُّم

يا ربّ! كيف خلقتني متبرّماً ... بالناسِ حين وددتُ هذا الناسَ

أتراكَ أنتَ معلّمي، وكأنّما ... قد عشتَ في نَدَمٍ وعشتَ تُواسيَ؟!

---

[1] المرير: العزم.

الألوهيـــة

ملكـــتَ قلبـــاً علـــيلاً جنـــى الغـــرامُ عليـــهِ
فراقـــبِ اللهَ فـــيمنْ فـــؤادهُ في يديـــه[1]
وســـائلِ اللحـــظَ عمَّـــن يـــذوبُ شـــوقاً إليـــهِ
وســـامحِ العبـــدَ يومـــاً فأنـــتَ ربٌّ لديْـــهِ!

الشـــاعر المصـــوِّر

(أصلح الشاعر بيراعته صورة حبيبته التي لم يحسن المصوّر إخراجها)

كـذبَ الضـياءُ علـى المصـوِّرِ مـرةً، أخـفـى بهـا المشـهودَ مِـنْ آيَاتِهَـا
فوضـعتُ في كفّـي يراعـةَ عاشـقٍ كـان البيـانُ يجـول في لَفتاتِهَـا
ونقشـتُ تـأثيرَ العيـونِ لأنـني أدرَى بوقـع السّـحرِ مِـنْ نظراتِهَـا!

قـوس قُـزح

مَلْهـى السـماء يرشّـنا بنـثيره والمـاءُ ذوبُ أشـعّةٍ وأغـاني
والسُّـحْبُ تلعـبُ فيـه لعبـةَ صـاعدٍ أو هـابطٍ دَرَجـاً مِـنَ الألـوانِ!

---

[1] أي يقدمه إليك.

على صفحة الماء

يشـــقّ القـــاربُ المزهـــوُّ مثلـــي طريقـــاً في الميـــاه مـــع ابتهـــاجي
فيَنْكَسِـــرُ صـــفحةٌ للمـــاءِ راقـــتْ ونسـمعُ صوتَ تكسـيرِ الزُّجـاجِ!

إلى سجين القلم
(محمد فريد بك)

مَـنْ كـان يـدرك في الوجـودِ هواكـا أسـفاً عليـه إذا بكـى ولحاكـا
لسـتَ الـذي يجـد الحيـاةَ بغفلـةٍ ويعـاف في بـثِّ اليقينِ حراكـا
نفـسٌ لـديها المجـدُ خدمـةُ قومهـا تسـتعذب الآلامَ والإنهاكـا
تشقى وتَضْرَعُ أن تموت على هدى لا ترهـب الأغـلالَ والأشـراكا
حجبوا سناكَ عن العيونِ وما دَرَوْا أن القلـوبَ خلالهـنّ سـناكا
أكرمـتَ نفسـكَ هاديـاً ومفاديـاً شـعباً يقـيم علـى الـدوام فِـدَاكا
والحـرُّ أوْلى أن يجـود بنفسـه مـن أن يـرومَ عـن الصواب فِكاكا
سـيانِ كنـتَ بنعمـةٍ أو نقمـةٍ مـا دمـتَ تُرْضِـي بالجهادِ حِجاكا
سـيانِ كنـت مقرَّبـاً أو مبعـداً مـا دام حـربُ العـابثِين مُناكـا
وكفـاكَ فخـراً أن تناضـل دولـةً كـم أرهقـتْ مـنْ مصـلحين سِـواكا
والعمـر سـاعاتٌ يطيـب أمَرُّهـا لـو أنَّ في حسـم الضـلالِ هلاكـا

عهد الصبابة

خطَرتْ فمكّنت الهوى تمكينا ... وشدتْ فرجّعتِ القلوبُ رنينا
نزعت برقّتها الشعورَ فأشفقتْ ... وبكتْ فكان أنينها التأبينا!
تخشى الملامةَ في الغرام إذا عفتْ ... فجفتْ وكنتُ على الشقاءِ أمينا
عُوِّدْتُ مرّ العيشِ حتى لم أبت ... إلاّ بصيراً بالهموم رزينا
ما ينفعِ الصبَّ الكئيبَ من الجوى ... حتى يِحنَّ إلي البكاء حنينا؟!
أسفي على عهد الصبابة لم يكن ... إلاّ شعاعاً كاذباً مظنونا!
أسفي عليه وقد فقدتُ شبابَهُ ... ووهَبتُ فيه فؤاديَ المغبونا
وظللتُ محزوناً أكفكف أدمعي ... أمَلاً، وعشتُ متيَّماً مفتونا
متصدّعاً من لوعةٍ، متراجعاً ... من هيبةٍ، مستغفراً، مسجونا
يا حسرةَ القلبِ الضعيفِ إذا رجا ... مَنْ لا يزالُ على الوفيِّ ضنينا!

غدر الجمال

بسمتْ فما فتكتْ وما عبثتْ ... إلاّ بمهجةِ صَبِّها العاني
ورنَتْ فما أحيتْ وما قتلتْ ... إلاّ المشوقَ لطرفها الراني
اللهَ في حُسنٍ يحيّرنا ... مِنْ لحظِها المتخشّع الجاني!

بعد الفراق

ويومَ أثار البينُ كامنَ لوعتي ... وأغرقتُ في شكوى تخفّف من هَمّي[1]
نفضتُ الكَرى وارتحتُ للبثّ بعدما ... تهالكتُ ما بين الصّبابةِ والسُّقمِ
يكاد يكون الحبُّ ديناً أعزُّه ... وهذا الشّقاءُ العذبُ مِنْ مُنتهى هَمّي[2]
ولكن يهون البؤس في كل لحظةٍ ... إذا زاد حِفظُ العهد غماً على غمّي
نزحتُ عيوناً عن بلادٍ أحبها ... تساق بها الأحرارُ للخسفِ والضَّيْمِ
أقمتُ بها عمراً على الوجدِ صابراً ... وخلّفتُها بين التلفُّت والأَمِّ
ذكرتُ بها بدراً ضللنا لبعدِهِ ... فأرسلتُ توديعَ الفؤادِ على اليمِّ
سلامٌ على حسنٍ دفنَّا سهامَه ... بأضلعنا بين التكتُّم والنَّمِّ
سلامٌ وفي نفسي شجونٌ كثيرةٌ ... تفيض لدى التذكار في مدمعي الجمِّ
تحمَّلتُ قلباً دامَ رهن ودادهم ... وما زال مملوكاً على الطَّوعِ والرّغمِ!

الطب الحائر

نظر الطبيبُ إليَّ نظرةَ ناقدٍ ... أعياه مكمنُ عِلَّتي ودوائي
والطبُّ يقصرُ عن شفاءِ مُسَهَّدٍ ... أَلِفَ الأسى لتسفُّل الأهواءِ
ما كلُّ بأسٍ في الجسوم بصحّةٍ ... أو كلُّ وهنٍ للجسوم بداءِ
والعيشُ عيشُ حقائقٍ ودقائقٍ ... والموتُ موتُ سلامةِ الآراءِ
نفسي تحركها الهموم إذا بدتْ ... مكنونةً في أنفسِ الضعفاءِ

---

[1] حزني.
[2] اهتمامي.

والنـاسُ فِي هـذي الحيـاة غنـيُّهُمْ قـد يسـتطيبُ تَحـرُّقَ التُّعسـاءِ
ايـنَ العقـول وأيـن أربـاب النُّهـى؟ أيـنَ الشّـعورُ وحكمـةُ الرُّحمـاءِ؟
فِي القلـبِ هَـمٌّ لا أجـلُّ بغـيره والمـرءُ صـورةُ حِسّـهِ المترائـي

دمعـة على قبـر

(قيلت في حسناء انتحرت يأساً لفقد عزيزٍ لديها)

مودّعـةَ الأيـامِ والعمـرُ شـقوةٌ علي سلامُ الحبّ فِي القُرْبِ والهجرِ
فزعـتِ مـن الـدار الـتي طال هَمُّهـا وبِنـتِ، وهـذا الـبينُ أقـربُ للغـدرِ
نفـوسٌ علـى الوجـدِ الـذي فيكِ كلُّـه تَقلَّـبُ بـين المـوتِ واليـأسِ والصبرِ
تَلَمَّسُ فِي الأَحـزان سلوى، وهكذا يعيش شفيُّ العمرِ فِي السُّقم والمُرّ
أميطي لثامـاً أسدل المـوتُ تُشرقي حنانـاً... عساه الآن يطفئُ مِنْ جمري
حَـرامٌ علـى قلـبٍ عرفنـا كمالَـهُ يـردُّ رجـاءَ الحـيِّ للـترب والقبرِ
حرامٌ على شمسٍ أضـاءَت بطُهرهـا تغيـبُ ونحـن اليـومَ أحـوجُ للطهـرِ
حـرامٌ علـى روضٍ نمونـا بمائـهِ يجـفُّ بـلا ذنـبٍ جنينـا ولا عـذْرِ
أكـان الـرَّدى حلـواً لفقـدِ فقدْتِـه فأحببتـه حُبّـاً وإنْ كنـتِ لم تَـدْرِي
وخَلَّفْتِ آمـالاً علـى العُسْرِ لم تَحُلْ وكنتُ أظنُّ العسر يُخْلَفُ باليُسرِ؟!
فيـا دهـرُ مـا أقسـاكَ! للبـأسِ غايـةٌ وأنـتَ تخـال اللّـينَ يُعْقَـبُ بالخُسْـرِ
حنَانـاً ورفقـاً بـالأُلى غـابَ أُنْسُـهُمْ وشـتَّتَهُ فقـدُ الملاحـةِ والـبرِّ
دموعي وإن قلّتْ—وفي الدمع راحةٌ— نداءُ شجونٍ يزدحمنَ على صَدْرِي!

* * * * *

وأنـتِ أيـا سِـرّاً مِـنَ اللهِ لَـمْ نكـنْ لنـذكرهُ إلاّ علـى الطُّهْـرِ والبِشْـرِ

ذكرتُـكِ مَبْكِيـاً شـبابٌ خذلتـهِ وحسنٌ حواهُ النعشُ في غيبةِ البدرِ
بخلتِ على الوافينَ بالعيشِ والردى ولا بدَّ هـذا الجمـعُ يتبع في الإثرِ
فلا تَهزئي من عَبْرَةٍ هاجَها الأسى فما كلُّ دمعٍ سالَ عن ذِلَّةٍ يَجْري
ولا تَضحكي من دارِ جهلٍ ونقمةٍ وأوْحي إلى الأحياءِ عن مخبأ الفجرِ
فما البؤسُ كلُّ البؤسِ في الفضلِ والهدى وما الحظُّ كلُّ الحظِّ في الشَّرِّ والمكرِ
وليسَ جزاءُ الميتِ بالحيِّ يُرْتَجَى وكيف وكلُّ الناسِ في حيرةِ السَّفْرِ
فجارُكِ في الدنيا عفافٌ عبدْتِه ونُبلٌ رواهُ النبلُ في ذكركِ العَطرِ
إذا قلتُ لم أنطق عن الزّيْغِ والهوى وحسبُكِ أنّي لا أرخّص مِنْ شعري
جمالُكِ في نفسي، وذكرُكِ في فمي وشخصُكِ في عيني مقيمٌ وفي فكري

الدنيـــا

لمستُ قلبي بكفٍّ مَسَّها وجَلٌ من الخفوق فلم أعرفْ له سببَا
إنْ كان هَمّي من الدُّنيا وفتنتها عَمَّ الهوانُ فما باتَ الشَّقا عجبَا

الراحـل المقيـم

(قيلت في جنازة المرحوم محمود عبد الغفار بك
النائب الوطني الكبير والعضو بمجلس المعارف الأعلى)

مـاذا تؤمّل مِنْ رحيمٍ صامتٍ والموتُ حقٌّ والمؤمَّلُ راحلُ؟
يبكي عليه الناشئون وما بكوْا جسداً يُشَيّعهُ الجبانُ الغافلُ
والذكرُ يفقده الخؤونُ لقومهِ والحُرُّ يرفعهُ الشّعورُ الكافلُ

والعقلُ أسخفُ ما يكون مؤلّهاً ... بأساً يعزّ بهِ الذليلُ السافلُ
غُضّوا العيونَ فما الرجالُ بكثرةٍ ... وابكوا فقد ذهبَ الحكيمُ العاملُ
واصغوا إلى صوتٍ تردّدَ داوياً: ... إنّ الحياةَ مآثرٌ وجلائلُ
فالموتُ أصدقُ ناطقٍ عن عِبْرَةٍ ... والفضلُ يعرفه الأبيُّ الفاضلُ
والخُلدُ أقربُ ما يكون لو انّما ... تُعْزَى إليهِ رواتب ومنازِلُ!

شفيعي

شفيعي لدى الحسن الذي لاح سِرُّهُ ... بعيداً وما أَدريهِ في لحظةِ القُرْبِ
خيالٌ أطال الحبُّ مثواه آمناً ... بنفسي، وصفَوُ العيشِ في سكْرَةِ الحبِّ
إذا كان لا يَرْثي لضعفي وشِقوتي ... فإني برغم "العهد" أشكو إلى ربّي
أرومُ النوى - والبعدُ في نكره جوى- ... وهيهات بعد البين يُسعدني قَلْبي
ومَنْ كان لا يُحييهِ سخطٌ ولا رِضىً ... فكيف يُقضّي العيشَ في حيرةِ اللُّبِّ؟!

عيش الحر

قليلٌ على الأحزان ما انهدَّ مِنْ جسمي ... إذا كان عيشُ الحُرِّ أشبهَ بالإثْمِ
بكيتُ وما أبكي على سالفِ الهوى ... وحولي الأُلى يبكون مِنْ خَشْيَةِ الفَهْمِ!
يصيحون مِنْ خوفٍ على سرِّ عيشهم ... إذا غابَ نورُ الحسِّ بالحالكِ الجمِّ
جسومٌ على الإفساد تُفني رجاءَنا ... وتَدْفعُها الأطماعُ للخسفِ والضَّيمِ
جسومٌ برغمِ الزَّجرِ أسرى لعصبةٍ ... تحرّكها الغاياتُ في القيدِ والكمِّ

ومَـنْ كـان لا يُرضـيهِ إسعادُ قومِـهِ أحقُّ بفقدِ الذكر لا القدحِ والذَّمِ!
تريـدون إعـزازَ النفـوسِ الـتي هَـوَتْ وما يصنعُ المغلوبُ بالسيفِ والسهمِ؟
تريـدون تسـخيرَ العقـول الـتي سمتْ وتخشون من بأسِ الحقيقةِ والعلمِ
أفيقـوا فإنّـا أمـةُ الـدَّهر لم نـزلْ نهشّ على الذكرى فكونوا على وَجْمِ!
أفيقوا فلسنا اليومَ نُغضي على القَذَى ورُدُّوا الرزايا من غُرورٍ ومن وَهْمِ
فهيهـات تَسْـتَعْلي علـى الحـقِّ قـوةٌ وهيهات أن يبقى بناءٌ على ظُلْمِ
وأُقسـمُ أنّ الشّـعبَ لا بـدّ يعتلـي وكلُّ فسادٍ أو ضلالٍ إلى هَدْمِ
ولـو شـاءَ ربُّ المُلْـكِ إسـقاطَ أمـةٍ تقدّسه لارتـدَّ بالخزيِ والغُرْمِ
فيـا مَجْـدَ مَـنْ يسـعى بـنفسٍ أبيـةٍ ويا ذُلَّ مَنْ يَرْضَى عن الذُّلِّ والهمِّ!
إذا صَـحَّ أنّ الأمـسَ ولّـى بخيبـةٍ فلا بُدَّ من فوزِ المجاهدِ في اليوْمِ!

إلى الصديق الشاعر الرقيق
عبد الحليم حلمي المصري

يا ناشرَ السِّحرِ في يومٍ بكيتُ بهِ عذَّبْتَ خِلاً بحكمِ الحبِّ لم يَنَمِ
ما كان ضرَّكَ لو أمهلْتَنا زمناً فرقّةُ الشعرِ تُحيي ميتَ الألمِ؟
مِنَ البيانِ شفاءُ النَّفسِ ساليةً وما عرفتُ شفاءَ الصَّبِّ في القلمِ
يهفو الجمال لشعرٍ قلتَ أعذبَه ويبسمُ الزّهرُ في سُكْرٍ وفي حُلُمِ
وربَّ قلبٍ - لمعنىً روحُه فِتَنٌ يحيا الجمالُ بها - ناجٍ مِنَ العَدَمِ
أحنو عليه وأتلوه كأنَّ به وعدَ الحبيبِ، وأُدني لفظَه لفمي!
فما عبستُ قليلاً في بدايته إلاّ طربتُ وولّى بعدَها نَدَمي
وأقدرُ الناسِ يُبكيهمْ ويُفرحهمْ مِنْ رُوحهِ الحيِّ في شِعْرٍ وفي نَغَمِ

المعنى الأقدس

حبيـبتي! أنـتِ لـي معنـىً أبجلُـهُ		فـوقَ المعاني التي تُحكَى بتعبيري
معنـىً تَقـدَّسَ في طهـرٍ وفي ألَـقٍ		كالنورِ، لكنْ تَسامَى عن سنى النُّورِ
معنـىً أظلُّ سـنينَ العمـرِ أنشـدُه		ولستُ أعرف منه غيرَ تقصيري
وكلُّ مغـزاهُ أن ألقـاكِ في شـغَفي		كلاهمـا في مَـداه غـيرُ محصـورِ!

* * * * *

رضـيتُ هـذا الصِّبا قربـانَ آونـةٍ		يجيـب فكـرُكِ فيهـا كـلَّ تفكـيري
مـا دمـتِ نائيـةً عـني ففـي طربـي		هَـمٌّ، وفي مَرَحِـي شتَّى الأعاصيرِ!

بحـر الأمـــاني

حمـدْتُ مِـنَ الصِّبا بحـرَ الأمـاني		ففيــهِ ســفينتي وبــهِ أمــاني
ولــولاهُ ارتطمــتُ بكــلِّ صــخرٍ		فكـم في العـيشِ مِـنْ نُـوَبِ الزَّمـانِ
نشـأتُ علـى الـدموع غـذاءَ روحـي		فــدانَ إلى بواعثهـــا كيـــاني
فصـرتُ إذا ابتسـمتُ رأيـتُ دمعـي		هــو البسـماتُ في صُـوَرِ المعـاني

* * * * *

أزَيْنَــبُ! إنْ حييــتُ فمــا حيــاتي		ســواكِ، ومــا عــداها الآن فــاني
تـرى هـل بعـضُ أشـواقي يُرَجَّـى		لــديْكِ، أم الطفولــة لا تُعــاني؟!
كلانـا في الهـوى طِفْـلٌ، ولكـنْ		أنـا الطفـلُ الغـبينُ، أنـا المُعـاني
ويـا بحـرَ الأمـاني أنـتَ عـوني		ولـو غـرقَ الهـوى بـينَ الأمـاني!

فـــؤادي

تَشَـجَّعْ في المصـائب يـا فـؤادي وكـنْ بصـلابةِ الحجـرِ الكـريمِ
ألسـتَ كجـوهرٍ في طـيِّ جسـمي خـبيءٍ لا يُعـرَفُ للئـيمِ؟
إذا الأحـداثُ عَضَّتْ فيكَ فاكسرْ نُيوبـاً لـن تَنـالَ مِـنَ العظـيمِ
ولا تـكُ في الأسـى لحمـاً ورخـواً فتـدمَى بـالكلومِ وبـالكلومِ
فـؤادي مـا عـددتكَ بعضَ جسـمي فمـا أصـل القلـوبِ مِـنَ الجسـومِ
ولكـنْ نفحـةٌ طافـتْ ووافـتْ علـى خَفْـقِ الشـعاعِ مِـنَ النُّجـومِ
ففيـكَ مـن النجـوم شـواظُ نـارٍ وفيـكَ تـدفُّقُ النـورِ العمـيمِ
تلـوذُ بـك الحيـاةُ وأنـت منهـا بمنزلـةِ اليتـيمِ مـن اليتـيمِ
فصـاحبْها مصـاحبةَ المفـدَّى ولازمهـا ملازمـةَ الحكـيمِ
ولا تجـزع علـى دنيـا تُسـاوِي نفـوسَ البُهْمِ بـالحرِّ الصَّـميمِ
ففيمـا تشـتكيه نعـيمُ يـأسٍ وبعضُ اليأسِ من صُوَرِ النّعيمِ!

أول الشهـداء

لا تنـدبوا هـذا الشـهيدَ فإنـه لـتراثُ أجيـالٍ وفخـرُ قُـرونِ
ذهـب الضـحيةَ للحيـاةِ بشـعبهِ متنزهـاً عـن مُشْـبهٍ وقـرينِ!

إلى صديقي الشاعر المجيد
علي الغاياتي*

رَدَّدْتُ شِعركَ مطرَباً وعليلاً ... ولكم أُرَدِّدُ مِنَ الجمالِ قتيلاً
صَحَّ الشعورُ به فشاقَ تهافتي ... وحلا الأنينُ به فكان قليلاً
قَبَلْتُه ووعيتُه نوجدتُه ... عذباً بآمالِ الأبيِّ كفيلاً
وإذا المهيبُ ترقرقتْ آياتُه ... وجد النِّداءُ إلى القلوبِ سبيلاً
قَلَمٌ إذا أجرى الوفاءُ دموعَه ... أجرى البيانَ مهذَّباً وصقيلاً
أنا مِن معانٍ نضرةٍ متمايل ... جَذَلاً، وأعشقُ ذلك التمثيلاً
وإذا البيانُ سمتْ به حسناتُه ... طُبِعَ الجلالُ به فعاش جليلاً
فاربأْ بشعركَ أن يُذالَ، ولا تقلْ ... إلاّ لتنتظم للهدى إكليلاً
إنّ اليراعَ وإن تدفَّقَ سحرُهُ ... يبدو بأيدي العابثين ضئيلاً
فاذكر لنا قِيَمَ الرجال وقلْ لنا ... حرَّ المقالِ وأنت تُرضي (النّيلاَ)
حَسْبُ العظيمِ جلالةً وسعادةً ... أن لا يرومَ عن الصوابِ بديلاً

أوهام....

غرامُك لا عذلٌ عليه ولا رَدُّ ... فما للسَّنى حَدٌّ، وما للهوى حدُّ
بيانُك غلاَّبٌ، وعذرُكَ مُفحِمٌ ... ولحظُكَ بسّامٌ، وقلبُكَ منقدُ
يبيتُ عليلاً خافتَ النبضِ متعَباً ... يئنُّ، فلو أصغى المغرّدُ لم يَشْدُ
إلى العينِ ما يُحْيِيكَ من خطرةٍ حلتْ ... وللقلبِ داءٌ فيكَ يَسرِي ويَشْتَدُ

---

* أرسلت إليه لمناسبة ظهور ديوانه (وطنيتي)، وقد صودر فيما بعد.

ولولا اللّقا ما كنتَ جذْلانَ عابساً ... ولولا الجَفا ما كنتَ تبكي وتحتدُّ
حياتُكَ لغزٌ، والهوى كلُّهُ جوىً ... يهونُ، فلا غَمٌّ لديكَ ولا سَعْدُ
فيا لشبابٍ فيكَ لم تُبقه النَّوَى ... ويا لجلالٍ منكَ ما فاته الصَّدُّ
تركتَ لحكم الحسن نفساً عزيزةً ... وأيُّ عظيم النّفس في شرعهِ عبدُ
ومهما يكن مِن دفعِكَ السقمَ والأسى ... فأنت على الحالين تفنى وتنهدُّ
وربَّ صفاء عزَّ في مذهبي عَناً ... وربَّ شقاءٍ دام في مذهبي رغدُ
نَعيمُ الفتى فيما يرى الأنسَ حوله ... وهَمُّ الفتى فيما يُخالُ به الوَجْدُ

حول تمثال مصطفى كامل

ودّعِ القلبَ بين مُضنىً وخالِ ... وتناسَ الأسى وهمَّ الليالي
وانظر العقلَ ناطقاً مِنْ جمادٍ ... وارقبْ المجدَ صادقاً في خيالِ
نظراتٌ على الهوى باقياتٌ ... تَدَعُ الحُرَّ في إسارِ المعالي
وشبابٌ ما زال تصويرُهُ الحقُّ (م) مَنارَ الشُّعورِ والإجلالِ
وحباةٌ ما زال تذكارُهَا العَذْ ... بُ مَقَرَّ الحياةِ والآمالِ
يا أميرَ النفوس هل ينقضي العمـ ... ـرُ وركنُ الهدَى حليفُ الزوال؟!
نحن أسرى على الحياةِ وإنْ جلَّـ ... ـتْ، وأنت العظيمُ في كلِّ حالِ

* * * * *

لكَ غالٍ من الهوى غيرُ بالِ ... لوفاءٍ على المدى غيرِ بالِ
صمتُكَ اليومَ مثلُ سعيكَ بالأمـ ... ـسِ مهيبٌ لمخلَدِ الأعمالِ
ضجعةُ الموتِ رقدةُ السهدِ والوجـ ... ـدِ لقلبٍ على الردى غيرِ خالِ
دُمْ حليفَ الجلالِ في حُفْرةِ القبـ ... ـرِ كما كنتَ يا حليفَ الجلال

وادَّكِرْ مصرَ وارفع الصوتَ والذكـ ـرَ، كما شئتَ يا فقيدَ المعالي
تخطبُ الدهرَ مِنْ مَبيتِكَ في الخلـ ـقِ وتأتي بأصدق الأمثالِ
وتهزّ العقول للحزمِ والعز مِ إذا أخفقتْ فحولُ المقالِ
وقْفةُ الشعبِ عند تمثالكَ اليو مَ فخارٌ له وللتمثالِ
آهِ! كم يخطئُ المضلّلُ في الخلـ ـدِ وكم يزدرى بحسنِ الفعالِ
إنَّ مجدَ الإنسانِ في خدمةِ الإنسانِ، لا فرقَ بين دانٍ وغالي
خافِقاتٌ لكَ القلوبُ من الحبِّ (م) وإنْ لم تثبْ لبأسٍ ومال
واهباتٌ لك الحياةَ على المو تِ، وإنْ لم تكنْ قرينَ الزوالِ
يا كبيرَ اليقين في قوَّةِ الحقِّ (م) ويا بانياً قلوبَ الرجال
يا كثيرَ الإباءِ في دولة البغـ ـي، ويا ناسفاً صُروحَ الضلالِ
أمةٌ تحفلُ الزمانَ بماضيـ ـكَ وتعزو إليكَ حُسْنَ المآلِ
وتُحَيِّي خيالَكَ الليلَ والفجـ ـرَ بدمعٍ على الهوى فيك غالي

* * * * *

أيها الصّانعُ المصوِّرُ إجلالَ أمةٍ – تعبدُ الهُدَى – في جلالِ
كيف وَفَّقْتَ بين عهدٍ ومجديْـ ـنِ وما بين وصْفِ تلك الخِلالِ؟
صنعةٌ تخجلُ البيانَ مِن الحسـ ـن وتُزْهَى عن كلّ سِحْرٍ حلالِ
صورةٌ تفتن المفكّرَ مبهو تاً وعبداً لصمتِ هذا الجمالِ
ثقْ بشكر القلوبِ والفضلِ والجو دِ، وتِهْ فاخراً بذاك الكمالِ
ليس بدعاً إذا حلفتَ بما أتـ ـقنْتَ صِدقاً واختلتَ أيَّ اختيالِ
ولك اسمٌ يصونهُ أثرُ العلـ ـمِ، ورسمٌ بنضرةِ المجدِ حالي

أنفـــاس الخـــزامى

أيُّ عطـرٍ فـاق أنفـاسَ الخزامـى ... في حنـانٍ يمـلأ الـروحَ سـلا مَـا
بنــتُ مصـرٍ في حيـاءٍ زهـرةً ... وخشـوعاً وسـلاماً وابتسـامَا
لا يراهـا غـيرُ مَـنْ كانـت لـه ... روحُهـا أو مَـنْ يحاكيها غرامَـا
تجــذبُ النحــلَ إلى أكوابهـــا ... وهي سكْرى ترشفُ الشهدَ المُدَامَا
تتــوارَى عــن عيـونٍ لا تَـرَى ... دقّـةَ الحسـنِ وأخـرى تتعـامَى
أيهـا الأنفـاسُ طـيبي وانشـري ... خطـراتِ الحـبِّ حتـى يتسـامَى
كــم وقفنــا في مجـالَي نشـوةٍ ... عنـد مَـرآكِ فتونـاً واحتشـامَا
لم نُقبّـلْ غـيرَ معنـىً حـائمٍ ... حولنـا منـكِ عشـقناه دوامَـا

هجـــر الكريـــم
(إلى أستاذي خليل مطران)

سل النجمَ كم أودعته الحبَّ مِن فني ... فإنَّ له من صحةِ القولِ ما يُغني!
ورُبَّ جمادٍ صادقِ الذكر مُفصحٍ ... وأيُّ حياةٍ لا تحـومُ علـى أفْـنِ؟
أراقبــهُ في كــلِّ ليــلٍ وعنــدها ... أبثُّ له ما يشتكي السُّهدُ من جَفْني
وأســألُه تبليــغَ عــتبي لهـاجري ... لعلميَ أنَّ الحسنَ أطوعُ للحُسْنِ
وأحسبهُ أشجاكَ في وصف حالتي ... وهل كان هذا ما يخففُ من حُزني؟
أميرَ القوافي! أنتَ في اللبِّ ماثلٌ ... وليس بياني عن سناكَ بمستغنِ
توخّيتُ داراً شئتَ أن نلتقي بها ... لقاءَ الوفا بالمجدِ والخدنِ بالخِدنِ
فلمّـا رأيـتُ الوعـدَ آمـالَ حـالمٍ ... وأسلمني طولُ الترقُّبِ للوهنِ
نثـرتُ بهـا مِـنْ أدمعـي كـلَّ درةٍ ... وكلّفتُها تبليغ صدقِ الهوى عنّي!

عالمٌ وعالمٌ

أرسل الأستاذ الجليل حامل لواء النهضة الأدبية خليل مطران إلى صاحب هذا الديوان قصيدة ودية رائعة مطلعها:

يا ابنَ أخي بشّرتني مرةً — بملتقى السبتِ ولم تحضرِ
ما دمتَ في خيرٍ وفي صحةٍ — فانسَ الذي تنساه أو فاذكرِ

ومنها:

تحكي سهيلاً قطرةٌ من دمٍ — وتكفؤ الذرّةُ للمشترى
كلاهما في نوعهِ عالمٌ — أدقّه يُدهشُ كالأكبرِ!

فأرسل إليه صاحب الديوان الردّ الآتي:

يا سيدي العمّ ويا مَن له — أدينُ بالحُلْوِ وبالمُزْهِرِ
ما كنتُ إلاّ بضعةً مِن هُدًى — أهديتَهُ أنتَ إلى مَعْشَري
هيهات أن أنسى مواعيدَنا — لكن تخالَفْنا فلم نَحْضُرِ[1]!
وكيف أنساها وأنت الذي — لولاه لم أُزْهِرْ ولم أثمِرِ؟
مقالةُ الصدقِ، وحَسْبي غنًى — مقالةُ الصدقِ وحبّي السَّرِي

* * *

يا شاعرَ العصر ويا مُرْشِدي — ورافعَ الخُلْقِ ويا مُظْهِرِي
نصائحُ الودِّ التي سُطِّرَتْ — في شِعْرِكَ الحيّ جَنَى أسطري
تَفْتَرُّ بالإلهام وضّاءةً — كعهدكَ الدائمَ بالمُبْهِرِ
حبّبتَ لي الطبَّ كأني به — كَفَرْتُ بالدّنيا ولم أكْفُرِ
استصغر العالَمَ مِنْ عزّةٍ — بالعلمِ والجهلِ وبالمُنْكَرِ!
كأنما العُرْفُ وإنكارُهُ — سيان في الرُّوحِ وفي الجوْهَرِ

---

[1] يريد أخطأ كلانا في تعيين الموعد فلم نتلاق.

مـــا زلـــتُ بالبـــاب ولكـــنني ... كالهـــاربِ التائـــه في عَســْـكَرِ!
والمجْهـــر[1] الكاشـــفُ لا ينـــثني ... يشـــوقني وهمـــاً ولا يَمْتَـــري
أســـتنبطُ الأحيـــاءَ في نُـــورِهِ ... كـــأنني مُسْـــتَنْبِطٌ عُنْصـــرِي!
كـــأنني الخـــلاّقُ في دِقّـــةٍ ... والعـــالمُ الأكـــبرُ في مُجْهـــرِي[2]
كأنمـــا الإنســـان في قبضـــتي ... مســـتحدثاً حيـــاً لـــدى مَخْبَـــري[3]!
أو أنمـــا تشـــريحهُ نفحـــةٌ ... تحييـــه بـــالعلمِ وإن يُقبَـــرِ!

* * * * *

مـ ـا أعجـــبَ الطـــبَّ وإلهامَـــهُ ... للشـــاعرِ النـــاثرِ والمجْتَـــرِي
أقصـــى الخيـــالاتِ لأشـــعارِه ... لا شـــيءُ جَنْـــبَ العلـــمِ في المخْبَـــرِ!

لوعـــة الخـــريف

(١) إلى أستاذي خليل مطران

شِـــعري لـــدى العـــمّ الخليـــ ... ـلِ صـــفرِ الهـــوى في مَـــدْمَعِي
صِـــفْ لَـــوْعتي حـــينَ الخريـــ ... ـفُ يـــئنُّ في ألمٍ معـــي
حـــين الصِّـــبَا رَهْـــنُ الـــذّبو ... لِ وحـــينَ قلـــبي لا يَعـــي
متقطّعـــاً متوجِّعـــاً ... في حُلمـــه المتقطّـــعِ
حُلْـــمٌ يروّيـــهِ الصِّـــبَا ... فيجـــفُّ عنـــدَ المنْبَـــعِ
لهفـــي علـــى الحُلُـــمِ الجميـــ ... ـلِ مُضَـــيَّعاً ومُضـــيِّعي!
وعلـــى الهـــوى بـــين المُعَـــا ... نِـــدِ والمكَـــابِرِ والـــدَّعي!

---

[1] مرداف الميكروسكوب.
[2] مجهري: ميكرسكوبي.
[3] المخبر: المعمل العلمي الاختباري.

وعلى الصِّبَا يذوى عِتَابًا للغرامِ المُبْدِعِ!

* * * * *

شِعري لدى العمِّ الخليـ ... لِ عزاءُ قلبي الموجَعِ
عَبِّرْ له عن كلِّ آ ... لامي ووجدي واسْمَعِ
وعُدِ الطيوفَ مِن المحـ ... بةِ هامساً في مِسْمَعي
عُدْ بين آمالِ الربيـ ... ع مِن الحنانِ المُمْرِعِ
فهو الكفيلُ بحبِّهِ ... طباً لحرقة أضلعي
أدبي يَدينُ إليه بل قلبي وغايةُ مَطمعي
وقوامُ تفكيري الجديـ ... ـدِ ووثْبَتي وتدفُّعي
ولديهِ أغتنمُ الربيـ ... ـعَ بوحشتي وتَفجُّعي
يطوي الفصولَ بسحره ... فإذا الخريفُ مودِّعي
وإذا الربيعُ أضمُّهُ ... في نشوةِ المستمتعِ
وإذا الحبيبُ كأنه ... ما غاب أو هو مُبْدِعي
سِحْرٌ من العهدِ القديـ ... ـمِ بفنِّهِ المترفِّعِ
يُحْيِي المواتَ مِن القلو ... بِ بلذَّةِ المتبرِّعِ

* * * * *

شتَّانَ بين هوىً يجو ... دُ وبين حُبٍّ يَدَّعِي
شتَّانَ بين هوىً به ... مَجْدي وآخرُ مَصْرَعِي!

(٢) رد أستاذي مطران

أزكـــى تحيـــاتِ الفـــؤا　　دِ إلى الزكـــــــــيِّ الأروعِ
أهـــدى إلـــيَّ قصـــيدةً　　كخريـــــدةٍ لم تُفْـــرَعِ
عمـــرتْ مكـــانَ الأنـــسِ عنـــدي مِـــن فـــؤادٍ بلْقـــعِ
حســـناءُ بارعـــةُ المعـــا　　نـــي في نظـــامٍ أبـــرَعِ
تجْلَـــى فتَحْلَـــى أو تغيـــ　　بُ فحَلْيُهـــا في المســـمعِ
مَـــنْ لـــي بمنصـــرمِ الشـــبا　　بِ وفكـــريَ المتـــوزِّعِ
فأجيـــد في ردِّ الثنـــا　　ءِ علـــى الأخِ المتـــبرِّعِ
قَصَّـــرْتُ في شـــأو الـــبلا　　غـــةِ عـــن تمـــادي مَطْمَعـــي
أهـــلاً بحاملـــةِ الكتـــا　　بِ أمينـــةَ المســـتودعِ
أهـــلاً بناقلـــةِ البديـــ　　ـــعِ مـــن الطـــرازِ الأبـــدعِ
أهـــلاً بصـــادحةٍ شـــجتْ　　قلـــبي وأجـــرتْ مَـــدْمَعي
بثّـــتْ حكايـــةَ وجـــدهِ　　بأنينهـــا المتقطّـــعِ
وشـــدتْ علـــى توقيـــعِ ســـر　　بٍ مـــن حمـــامٍ سُـــجَّعِ
نغـــمُ الملائـــكِ بـــين مبـــدو　　ءٍ وبـــين مرجَّـــعِ
أحســـنتِ تأديـــةَ الـــبلا　　غِ عـــن الصـــفيِّ الألمعـــي
كوفائـــهِ لـــيكنْ وفـــا　　ءُ الخِـــدْنِ غـــيرَ مصـــنَّعِ
وكـــودِّهِ فليشـــرعِ الـــ　　ـــودَّ النقـــيَّ المَشْـــرَعِ
وكعزمـــه في المجـــد فلْـــ　　يَـــكُ عـــزمُ كـــلِّ ســـميذعِ
لا خُلْـــقَ أنـــزعُ للعلـــى　　بجمـــالِ هـــذا المنـــزعِ

المتصرِّف

(كتبت على صورة أهداها الشاعر إلى أحد أوفيائه)

القلـــبُ لا يرجـــو دُنُــوَّ مَآلِــهِ ... مــا دمــتَ أنــت مصــرِّفاً في حالِـهِ
كـنْ كيـف شـئتَ مقـدِّراً لجلالـه ... ونعــيمِ مُهجَتــهِ وحــظ "خيالــهِ"
لـو رمـتَ أسـعدتَ الأسـيرَ بأسرِهِ ... أو شــئتَ أذللــتَ العزيــزَ بآلــه

الإستشفـــاء

دع الرحيـلَ لـدارِ الحـبِّ والغيـدِ ... واصبرْ على القيظِ في قاسٍ من البيد
فمدمعُ العـينِ مـن حُسْنٍ تَقَـرُّ بـه ... ولـذةُ السَّـمْعِ في أسـرِ الأغاريـد
يحلـو الهجيرُ إذا صـحَّ الفـؤادُ بـه ... عــن النسـيمِ بتعـذيبٍ وتسـهيد

على قبر الشهيد

شــهدتُك مشــنوقاً وزرتُــكَ مقــبراً ... ولستُ على الحالين أبخسُ من قدري
وقفـتُ عليـكَ اليـومَ وقفـةَ عابـدٍ ... يحـجّ لآي الله يـا صـاحبَ القـبرِ
وطأطأتُ رأسـاً لم تشَـأْ خفضـةً لـه ... يخرّ لـدى ذكرى مماتِكَ لـو تَـدْري
إذا متُّ محروماً مَدَى النطق بالهدى ... فيا حسرةَ الفاني وآهاً على عمري
ولو مسنى من خَشيةِ الظلمِ هزّةٌ ... فـإني علـى الإحجـامِ أقـربُ للكفـرِ!

وطنـي! وطنـي!

وطـــني! وطـــني   يـــا ابـــنَ الـــزّمنِ!
أوَ لَـــمْ تَـــدْرِ   سِـــرَّ الـــدَّهْرِ؟
هيهـــات يَســـودْ   بـــاغٍ وحســـودْ
فـــيمَ الأحـــزابْ   والخلـــفُ خـــرابْ؟
حـــبٌّ ووِئـــامْ   سِـــرُّ الأيّـــامْ
فـــإذا ذهبـــا   تركـــا العطبـــا!

الطائر الجديد

(لمناسبة اجتياز بليريو خليج المانش بنجاح باهر وانتعاش حركة الطيران)

أيها الإنسانُ يا ابنَ الأرض فيما   تشتهي أن تعتلي هـذا السَّديما
لـك أن تسـموَ مـا شـئتَ ولكـنْ   أصلحِ الأرضَ تجدْ فيها المفاتنِ
قبـلَ أن تمضـيَ لهـواً وتطـيرْ   عمّـر الأرض ولا تَـنْسَ المسير
كـم خـرابٍ شـاملٍ فيهـا نَـرَاهْ   أنـت تُبقيـهِ علـى غـيرِ انتبـاه
عمِّـر الأرضَ تكـنْ فيهـا إلـهْ   إنّ هـذا وحـدَهُ مجـدٌ وجـاه
عمِّـر الأرضَ وَعِـشْ عـيشَ أخيـكْ   لـيس في الإنسـانِ عبـدٌ ومليـكْ
ثـم طِـرْ مـا شـئت ولتغـزُ الجـواءْ   لـيس للأحـلام حـدٌّ وانتهـاءْ

مسرح الليل

مسرحَ الليلِ! أيُّ مَلْهىً عجيبٍ ... أنتَ تبدو للشاعرِ الفنَّانِ؟!
كم مَراءٍ خلقتَها وهي شتَّى ... من مديرِ التناقضِ الفتّانِ
أنت مَلْقَى العُبَّادِ والطهْرِ بَيْنا ... أنتَ مَجْلَى التهتُّكِ المتَفَاني
كلُّ راءٍ يرى الذي يشتهيهِ ... ويذوقُ الذي يرى مِنْ مَعَانِي
والنجومُ التي تُطلُّ علينا ... في حَنانٍ ورعشةٍ وافتنانِ
بينَ حُبٍّ لنا كأمٍّ رَعَتْنا ... والتياعٍ كخفقِ قلبِ الجبانِ
حَبستْ دمعَها فإنْ بذلتْه ... فشآبيبُ دمعها النوراني
شهبٌ تستحيلُ مِن دمعها الصا ... في إلى حُرقةٍ إلى صوّانِ
فكأنّ الأجواءَ للأرضِ آذتـ ... ـها فحاكتْ طبيعةَ الإنسانِ!

نبع الصبابة

هذي الأناملُ مَنْ أباحَ لوقعِها ... قلبي سوى عينيكِ يا حَسْنَائي؟
لولاهما ما كنتُ أفهم وَقْعَهَا ... سِحْراً يُميتُ كما يُعيدُ رجائي
جُودِي بأنغامِ الحياةِ وجدّدي ... ما شئتِ إلهاماً على إلهامِ
لغةُ العواطفِ تُستساغُ كأنّها ... نَبْعُ الصبابةِ فاضَ بالأنغامِ
أصغيتُ كالطفلِ الرضيعِ لأُمّهِ ... ورشفتُ منكِ بمسمعيّ حياتي
ونعمتُ قُربَكِ في صلاةٍ حرّةٍ ... للفنِّ لم تُقْرَنْ بأيِّ صَلاةِ!

لِمَ يحجبونك؟

يا "زينَ" دنيايَ التي ما نالني — منها سوى قلقي على حرماني؟
لِمَ يحجبونكِ؟ هل أثمتُ بكلِّ ما — أعطيتُ حسنَكِ من جمالِ بياني
هل لي سوى دينِ الطهارة ملّةٌ — أو لي سواكِ حمايَ أو ديّاني؟
فإذا حُجِبْتِ فمن أخصُّ بمهجتي؟ — ولمن أعيشُ؟ ومَنْ له وجداني؟

عبـــادات

ما لعيني كلما ألقاكِ بالفرحةِ تَدمعْ؟
أهي لي الفرحةُ أم خشيةُ حلمٍ يتصدَّعْ؟
بي رجاءٌ ليس يحبو ورجاءٌ ليس يَلْمَعْ
وأنا كالتائهِ العاني إلى الأوهامِ أفزَعْ
هاكِ قلبي يا حياتي! نبئيهِ كيف يصنعْ!
هو في القربِ بعيدٌ عنكِ يهفو ثم يجزعْ
آهِ كم يجني حيائي! آهِ من شوقٍ مضيَّعْ!
كم تلاشتْ قُبُلاتي في غرامٍ يتورَّعْ!
قبلاتي في امتناعٍ هو بعثٌ لي ومَصْرَعْ
وحياءٌ هو تسليمي بعقلٍ ليس يَخْضَعْ
وعباداتٌ تناهتْ وأبَتْ لي كلَّ مطْمَعْ!

موسيقى الوجود
(نظمها صاحب الديوان متأثراً بقصيدة للشاعر جبرائيل سيتون)

حـدَّثوني عـن الوجـود المغنّـي: كـلُّ مـا فيـه صـادحٌ يتَغَنَّـى
مِـن جمـادٍ ومِـن نبـاتٍ وأحيـا ءِ، فلـيس الغنـاءُ مـنهن يَفْنـى
وعجيـبٌ إذا تناءيـتِ عـني لم أجِـدْ للغنـاءِ فـيهنَّ مَعْنـى
وإذا مـا ظفـرْتُ منـكِ بأنسـي صـار هـذا الوجـودُ لحنـاً وفنّـا!

بـاقة أنغـام

إذا اسـتمعتُ إليـكِ فُتنْـتُ مِـن توقيعِـكْ
كـأنَّ سمعـي لـديكِ عـيني بمجْلَـى ربيعِـكْ
أُصـْغي إلى هـذه الألحـانِ زاهيـةً كأنهـا نُخَـبُ الأزهـارِ للعَـيْنِ
فكـلُّ لحـنٍ لـه لـونٌ يُضـيءُ بـه وجمعُهـا باقـةٌ مـن زهـرِكِ الفنّـي
وكـلُّ لحـنٍ لـه عِطْـرٌ يفـوحُ بـه وإن تخيَّلـه غـيري مـن الظَّـنِّ
وأنـتِ كـوني، وكـوني في حقيقتِـه جَمُّ المعاني التي غابتْ عن الكونِ
إذا اسـتمعتُ إليـكِ فُتِنْـتُ مِـن توقيعِـكْ
كـأنَّ سمعـي لـديكِ عـيني بِمَجْلَـى ربيعِـكْ

الإكسـير

لـو سـاعةُ الـدهرُ يـأبى منحَهـا إلا بتوقيـتٍ لـه وقُيـودِ
أو عُـدتُ يـا أملـي إليـكِ فجـدّدي عُمـري بنفحـةِ روحـكِ المعبـودِ

ألقــاكِ لُقْيَــا خاشــعٍ متعبّــدٍ والقلــب يخفــقُ للعنــاقِ ســؤولاَ
فيصــدّني هــذا الخشــوعُ كـأنني أجـدُ العبـادةَ أن أعـيش خجـولاَ!
ضَـيَّعتُ أحلامــي وسـنّي هكـذا في الشــوقِ والتعـذيبِ والحرمــانِ
أنــا لا ألومـكِ يــا حيـاتي بـل أرى حظّـي كحـظِّ الحـارسِ البسـتاني
فأنــا الأمـينُ عليـكِ غـيرَ محاسَـبٍ إلا محاسَــبةَ الضــميرِ القاســي
فــإذا لحظتــكِ كالغريــبِ فإنمــا أنــا وحــديَ القربــانُ دونَ النــاسِ
هــذا هــو الأسـبوعُ مـرَّ وهــا أنــا قــد عــدتُ فرحانــاً إلى إكســيري
متنــاولاً في الــوهمِ كــأسَ رحيقــهِ مِـن صـمتِنَا المُغْـني عـن التعـبيرِ!

الخالـــق الفنـــان

تبــاركَ ربــي مبــدعاً ومصــوِّرًا لقـد خلـقَ الآيـاتِ كالسـحرِ للـورَى
يراهـا الفتـى لكنْ كـأنّ الـذي يـرى خيـالٌ وخلـفَ الكـون كـونٌ تسـتَّرَا
ومــا عظّـمَ الخــلاقَ إلاّ احتجابُــهُ فســبحانَهُ يبـدو ويَخْفَـى مكـرَّرَا
ومــا شــاقني في الكـونِ إلاّ خَفِيُّــهُ فــإن وراءَ الكــونِ عقــلاً مــدبِّرَا
يعــاف نُهــى الفنّــان إعــلانَ ذاتــه ويُعلن عنه الفنُّ أضـعافَ مـا يُـرَى
كــذلك خــلاّقُ الوجــودِ فإنـــه تحجَّبَ واستهوى به عقلَ من درَى
فهــذا هــو الفــنُّ الإلهــيُّ للــذي يرى الفنَّ والفنَّانَ في النجم والثرَى
وهـذا هـو المَجْلَـى العجيـبُ لمبصـرٍ يرى الخالقَ الفنَّانَ عيناً ومُضْمَرَا

* * * * *

وكوّنـتِ أنـتِ الحـبَّ لـي عالَمـاً كمـا تحجبتِ كالخلاَّقِ إذْ باعدَ الـورَى!

بنات الخريف

هلمّي! هلمّي! بنات الخريفْ!
وطوفي وطوفي بهذا الحفيفْ!
نراكِ بأوهامنا جائلَهْ
كباحثةٍ عن تراثٍ فقيدْ
وقد حُرِمَتْ منه في يوم عيدْ
فتمضي بلهفتها سائلَهْ!
نراكِ تطوفين وَلْهَى شريدَهْ
تهزّين حتى الغصون الوحيدَهْ
وتذرين حتى الرياح التي
تظنين فيها خفايا الجمالْ
وقد حجبتْها أيادي الليالْ
فهل تنتهين إلى غايةٍ؟

الساعة

نمنا جميعاً وأنتِ يقظانَهْ
وقد غَفِلنا ولستِ غفلانَهْ

بل كلُّنا فيه روحُ غفلتِه
كفيلسوفٍ يعاف إنسانَهْ

كم دَقّةٍ منكِ جدّ منذرةٍ
فما انتفعنا ودمتِ لهفانَهْ!

الوساوس

هل فِي الهواءِ مِن الحديث محجَّبٌ — إلاّ عن الفنانِ بين الناس؟!
ما لي أحسُّ بهاتفٍ وبهاتفٍ — وعوالمٍ شتَّى من الإحساس؟!
مُلِئَ الفضاءُ بها وكم في طيِّها — صُوَرٌ من الماضي العزيزِ الفاني
فكأنَّها كلُّ الذي ظفرَ الورى — بالخلدِ بين مَشَاعرِ الإنسان!

الطائر الرقيب

رقيبٌ ولكنْ يغنِّي لنا — ويُعطي الحديقةَ مَعنَى الغِنَى
لعلَّ الربيعَ وقد فاتنا — أهابَ به ليريهِ لنَا!
نُتابعُهُ في حُبورِ الصِّبا — ونُصغي إلى الشَّدْوِ مُسْتَعْذَبَا
فيا مرْحَباً ثم يا مَرْحَبَا — بهذا الرقيبِ وما حَبَّبَا!
ويا طائري أنتَ يا طائري — بسمتَ إلى روحيَ الشَّاعِرِ
وأصغيتَ للشاعرِ الطائرِ — فهلاَّ أصختَ إلى خاطِرِي؟
إذنْ لعرفتَ غرامي الدفينْ — وما لجَّ بي من جَوىً أو حنينْ
وحُبِّي الذي مثلَ حَيِّ الغُصونْ — تَفَرَّعَ، بل مثلَ حيِّ الفنونْ!

وحي المطر

أنا ظامئٌ والكلُّ حولي ظامئٌ — فتقطَّري يا سُحْبُ كيف حننتِ
هذي الغصونُ تناولتْ ما خصَّها — ولبثتُ في ظمئي لوحيكِ أنتِ

تتساقطُ القطراتُ مِن يد زهرةٍ ... ليدٍ، لأخرى، والجميعُ سكارَى
وأنا الوحيدُ فأين أين حبيبتي ... حتى تردَّ جوىً وتطفئَ نارًا؟
هلا بعثتِ إلى دفين شعورها ... برسالةِ الحبّ الوفيِّ الباكي
فلعلها تأتي وتنثرُ عطفها ... كالقطرِ فوق الزهرِ والأشواكِ!

القطة اليتيمة

جلستِ قربي كأنَّ قربي ... عزاءُ إحساسكِ اليتيمْ
وكم تألمتُ في جُنوّي ... عليكِ في صمتكِ الأليمْ
فقدتِ أماً وما فقدنا ... لكنَّ في عزلتي افتقادْ!
كأنني ثاكلٌ شبابي ... وسائدُ الصمت مِن حدادْ!
أحببتُ في وحدتي عزاءً ... مذ لم أنلْه من الجمَالْ
قد أسرفَ الحسنُ كبرياءً ... أو برُّه يُشبهُ المُحَالْ
فلتغنمي أنتِ من حَناني ... ما شئتِ يا طفلةَ الغرامْ
فالحبُّ جانٍ وأيُّ جانٍ ... والحبُّ كم يَتَّمَ الأنَامْ!

ديوان
مختارات وحي العام

(٣١ ديسمبر ١٩٢٨)

إهـــدَاءُ الدّيـــوَان

إلى المشاعر الحية

أودعتُ فيك عزيز وحي مشاعري ... فـدعيت ديـوان الـوفي الشـاعر
وجَمعتُ من صُورِ الحياة منوّعاً ... ومن (الطبيعة) ما استعز بخاطري
ونقلت وصفِي للأنـام وحـالهم ... وصـف الأمـين يهـزهم لمـآثر
فإذا خصصت من البيان بمدحة ... فـأحق بالمدح الشريف مشاعري
فإلى الشاعر – وهي عنوان النهى ... والروح–أهدي الشعر غير مفاخر
فـرض علـيَّ مدى الحياة لملكها ... فلملكهـا حسّـي ونـور خـواطري

النـاظم

تصديـــــــر

جمعت هذه الصحائف ما أتيح لي نظمه في موضوعات عامة متنوعة من قصائد ومقطوعات أدبية واجتماعية وإنسانية عامة في غضون هذا العام، ما عدا المراثي التلحينية لزعيم الأمة الأكبر ونحوها مما نظمته في خريف العام الفائت ورأيت من المناسب إضافته إلى قصائد هذا الديوان.

وإذا سمح الأجل وظروفي الخاصة وما يجتمع لي من نظم ففي نيتي إذاعة مثل هذا المجلد في نهاية كل سنة (اللهم إلا ما تدعو المناسبات إلى نشره مستقلا عنه)، تبادلاً للفائدة الأدبية مع إخواني الشعراء ومحبي الأدب ونقاده الأفاضل الغيورين، ونشراً لما أعزه في هذا النظيم من عواطف وعقيدة ومبادئ وآراء هي ذخيرتي وسلواني في الحياة.

وقد عوّدني الكثيرون من أفاضل الأدباء حسن الظن والتشجيع والتعاون الكريم الذي أبذل أقصى جهدي لاستحقّه، بيد أن ديني لهم يضاعف إذا هم شملوني أيضاً بنقدهم الأدبي المستقل، فانتفع وينتفع أهل الأدب من وراء هذا النقد ومناقشته، ونساعد بذلك على تحبيب النقد الأدبي وتقاليده النزيهة إلى المؤلفين عامة كما نساعد على رفع منزلته.

ورجائي أن لا تخلو هذه الصحائف – وما سأنشره نظيرها في المستقبل – من وفاء صادق لشِعر العصر، ومن حسنة موجهة إلى خير الأدب والوطن والإنسانية؟

أحمد زكي أبو شادي
٣١ ديسمبر سنة ١٩٢٨

الفــن البــاكي

مرثية تلحينية لساكن الجنان سعد باشا زغلول نظمت لتنشدها السيدة منيرة المهدية

إسمعي يا (مصرُ) من قلبي النَّحيبْ — وأنـيـنَ (العُـود) أيضـاً و (المثـاني)
كلنــا فِي الــرزء بـالنوح خطيـب — تسـتوي الأدمـع منـا والأغــاني!

* * * * *

أيّ صـوتٍ بعـد (سـعد) يسـتبيح — لـــذة إلاّ بـــذكراه العظيمـــه؟
كلنــا مـن صـدمة الخطـب جـريح — وجـراح الـنفس كـم تبقـى أليمـه!

* * * * *

إسـمعــي! هـــذا غِنـــائي كلـــه — نبـعُ وجـداني وإحساسـي اليتـيم
مـــن فـــؤادٍ ذاب حزنـــاً أصـــلُهِ — وتبقّـــى فيـــه نـــار وهشـــيم

إسمعي يا (مصر) من قلبي اسمعي!

* * * * *

لا أعـــزّي! كلنـــا ذاق المصـــاب — ورأى الـدنيا وإن جلّـت حَقـيره
مـا عـزاء الشـعب عمـن لا يُعـاب — مجـدُه إلاّ بـدنياه الكـبيره؟!

* * * * *

كـان روحَ (النيـل) يـوحي بالحيـاه — لبنيـه بـل (لشـرقٍ) بـات يبكـي
كلنـــا المفجـــوع إذ يرثـــي أبـــاه — رغـم خلـد حقّـه مـن غـير شـك!

* * * * *

غـير أنــي حينمــا أتلــو رثــائي — لسـت أنسـى فـرض حـب وجهـاد
أنــا (بــالفن) صــلاتي ودعــائي — وجهـــادي لمنـــى هـــذي الـــبلاد

فاسمعي يا (مصر) من قلبي اسمعي!

* * * * *

(سعد) أسمى من مدى جسم يموتْ — (ســـعد) ســـر لحيـــاة باقيـــه

نــورُ إلهــامٍ وإيحــاءٍ وقــوتْ   للأمــاني الخالــدات الراقيــه[1]

* * * * *

تضــحياتٌ ومســـاعٍ جمـــةٌ   كوّنــت تاجــاً لــه فــوق العصــور
كيــف تهــوى بعــد هــذا أمــة   اســتمدت منــه نــوراً بعــد نــور؟!

* * * * *

فــاعملي يــا (مصــر) مهمــا تنــدبي   بعــده إن كنــت حقــا بنــت (ســعد)
أصــغري المــوت كمــا كــان الأبــي   وارفعــي مجــدين مــن ذكــر ولحــد

إسمعي يا (مصر) من قلبي اسمعي!

الوفـــاء الحـــي

روح سعد

مرثية تلحينية نظمت لتنشدها الآنسة ملك

مجــدُ (ســعْدٍ) مـــا تناهــتْ   في ممـــنـــاتِ دولْتُـــــــهْ
عـــاش في خلـــد وعاشـــت   في وفـــــــاء أمتــــــــه

* * * * *

(ســـعد) روح ســـوف يبقـــى   في العصـــــور الأبديـــــه
ينشـــــر الحــــب ويرقــــى   بــــالنفوس البشــــريه

* * * * *

كلنـــــا نشــــدو بــــــه   كلنـــــا نبكـــــي عليـــــه
العلـــــى مــــن دأبــــــه   والنـــــدى مــــن راحتيــــه

* * * * *

---

[1] الراقية: السامية.

كلنـــا تكـــوين (ســـعد) ... في ثبـــات وأمـــل
أي مجـــد غـــير مجـــد ... يلـــهم النـــاس العمـــل؟

* * * * *

عـــاش نبراســـاً عظيمـــاً ... ومثـــالاً للأبـــوَّه
كـــان بـــالروح كريمـــاً ... كـــان في خلـــق النبـــوَّه

* * * * *

في ســـبيل (النيـــل) ضـــحّى ... في ســـبيل الحـــق عـــانى
واهبـــاً (للنيـــل) سمحـــاً ... عمـــره المحســـود شـــانا

* * * * *

أندبيـــه يـــا معـــالي ... قدّســـيه يـــا (فنـــون)
كـــل محمـــود وغـــالٍ ... حـــين ينســـاه يهـــون

وهو حي لي يُنسى!

إلى أم المصريين

نظمت ليصدَّر بها نشيد (النادي الفني) في تأبين الزعيم الأكبر

إلى التي مِنْ معالي وحْيها قبستْ ... رُوحٌ (لسعْدٍ) فغذَّتْنا بآمالِ
إن كان (سعد) مضى فالروح باقيةٌ ... وأنت ما زلت معنى وحيها العالي
يا أم شعب يتيم لا يطيب له ... شيء سوى الدمع في تذكاره الغالي
رآك صورة (سعد) في جلالتها ... فزاد قَدرُك إجلالا لإجلال
قومي إلى العلَم المفجوع رافعة ... شِعاره اليوم نبراساً لأجيال
ثم انشري صوتَ أهل (الفن) فهو لهم ... صوت الجلالة يتلو سرها التالي
يحدي نشيد العلى في وجده سِيَر، ... للتابعين، ويرويها كأمثال

عهد سعد

(ألقي هذا النشيد في حفلة التأبين الكبرى التي أقامتها نقابة موظفي الحكومة بمسرح محمد علي بمدينة الاسكندرية يوم ٥ أكتوبر سنة ١٩٢٧م)

لَبَّيْــتُ دعــوةَ وجــداني ... في أحزانــــــــــــي
وجئــتُ أنشــر إيمــاني ... بـــــاكي الأشـــعارْ!
رثيـت (سـعداً) مـن قلـبي ... يـــــوم الخطـــــــب
وزاد تــــأبيني خطـــبي ... بـــــأبي الأحـــــرار!
مهمـا رثيـت فلـن يـوفّى ... قلـــــبي المـــــوفى
وبـــث دمـــع ملـــهوف ... عتـــــب الأقـــــدار!
أبكـي ومـا أرضـي دمعـي! ... أيـــــن المنعـــــى
مـن دام شـغلاً للسـمع ... مـــــلء الأفكـــــار؟!
نبكـــي لأنـــا لا نـــدري ... ســــراً يجــــري
في الكـون مـن بـدء الـدهر ... طـــول الأعصـــار!
نبكـي لأنـا كـم نخشـى ... ســــراً يغشــــى
للمـوت، كـم نلقـى النعشـا ... مثـــــل الجبـــــار!
ولـــو عقلنـــا مـــا كنـــا ... نـــــذوي حزنـــــا
المـوت في العليـا معنـى ... لبلـــــوغ فخـــــار!
مـا جئـت أرثـي بـل أحكـي ... دون الشـــــــــك
عهـداً (لسـعد) كالفلـك ... نـــــوراً ســـيّار!
منـــه اتخـــذت لأنفاســـي ... وحـــي الآســـي

ومنــــه عــزة إحساســـي   وأجـــــل شـــــعار!
ومنـــــه عـــاد لواديـنــــا   عــــــن ماضــــــينا
تقديس (مصـر) لنـا دينا   عـــــالي الأســــرار!
قــال: "انتهيـت" فناجانـا   في ذكرانـــــــــــــــا
عهــداً بحـــرر أوطانـــا   مـــن حكـــم العـــار!
قـد كـون الشـعب الباقي   دون شـــــــــــقاقِ
يسـعى إلى الملـك الراقـي   رغـــم الأخطـــــار!
كـــان المعلّــم والبـــاني   دون تــــــــــــوانِ
أحـــلام شــعب مــزدانِ   بحلـــــى الآثـــــار!
وقـــد أتم علـــى وعـــد   عهــــــد المجـــــد
ونحـــن أهـــل للجهـــد   في غـــير عثـــار!
(سـعد) حيـاة في الجسـم   بـــــل في الإســــم
فكيـف بـالروح المسـمي[1]   نبـــل الأوطـــار؟!
وهــو الغـني عـن الشـكر   بـــــل والـــــذكر
كـم عـد ميـزان القـدر   ورضـــى المقـــدار!
وكـــل وصـــف يرويــه   مــــن يبكيـــــه
تـــالله دون معاليــــه   رغــــم الإكبـــار!
ســاوى البليـغ بإعجـاز   دون مجـــــــــاز
مـن لم يخـصّ بممتـاز   مــن شــعر ثــار!
كـــل ينقـــب مــذهولا   أو متبـــــــــولا[2]

---

[1] المسمى: الرافع.
[2] متبولا: سقيما.

فــلا يبلــغ مــأمولا ويـنـــوح مـــرار!

ما (سعد) شخصاً أو فردا بـــل مـــن عُـــدّا

في ذمـة الــدنيا حــدّا لحجـــىً قهـــار!

ســرٌّ مـن الخلـد العـالي للأجيـــــال

وســفر مجـد للتــالي وضـــياء نهـــار!

فمجِّـدوه بــلا وصــف وبـــلا ضـــعف

فــبرُّكُمُ حقــاً يكفــي هـــذا التيـــار!

إن (البطولــة) تســتغني عمـــن يـــبني

بــالنظم آنــاً والفــن وأســـى الأوتـــار!

لكنهــا تــوحي فينــا مـــا يحيينـــا

ومــا يســوق أمانينــا لجنـــى الأثمـــار!

يا (سعد) عهدك لن ينسى فالبـــث شمســـا

تهــز روحــاً أو رمســا[1] حتـــى الأحجـــار!

سعد الخالد

نشيد شعبي

يــا أبــا الشــعب المُرجَــىً في حيــــاةٍ وممـــــاتْ

مــا يــزال الشــعب يشــجى بالعظــــات الخالـــدات

مـــن حياتـــك ومماتــــــك

[1] أي سواء روحا أو رمسا.

يا عظيم!

* * * * *

هـــــذه الـــــذكرى فـــدعنا ‏ ‏ ‏ ‏ نمـــــلأ الـــــدنيا رثـــــاء
لا بألفـــــاظ ومعنـــــى ‏ ‏ ‏ ‏ بـــــل بآيـــــات الفـــــداء

في جهادٍ للخلود

كخلودك!

* * * * *

أنـــــت روح ســـــرّ مديه ‏ ‏ ‏ ‏ مثّلـــــت (مصـــــر) وحلّـــــت
في النفـــــوس العبقريـــــه ‏ ‏ ‏ ‏ فانتشـــــت منهـــــا وجلّـــــت

من حياتك ومماتك

يا عظيم!

* * * * *

إنمـــــا الحـــــج لقـــــبرك ‏ ‏ ‏ ‏ أي فـــــرض وصـــــلاه
يشـــــعر الـــــوافي لقـــــدرك ‏ ‏ ‏ ‏ كـــــل أســـــرار الحيـــــاه

في جهاد للخلود

كخلودك!

* * * * *

(ســـعد) يـــا قائـــد (مصـــر) ‏ ‏ ‏ ‏ في علـــــو وشمـــــمْ
أنـــت قبـــل (النيـــل) أحـــرى ‏ ‏ ‏ ‏ بجـــــلال في الأمـــــم

من حياتك ومماتك

يا عظيم!

* * * * *

عهـــــدك المرعـــــيّ حـــــيّ ‏ ‏ ‏ ‏ ليـنـــــاجي كـــــل جيـــــل
أنـــــت والله نـــــبي ‏ ‏ ‏ ‏ كـــــوّن الشـــــعب النبيـــــل

في جهادٍ للخلود

كخلودك

يا عظيم!

* * * * *

نمْ قريـــراً بعــــد عمــــرٍ ... في عـــــذاب التضـــــحيات

عشـــن ذكـــراً بعـــد ذكـــرٍ ... كـــنَّ للشـــعب الهبـــات

من حياتك ومماتك

يا عظيم!

* * * * *

إنَّ شـــعباً أنـــت فيـــه ... دائـــمَ الإيحـــاء يبقـــى

دأبـــه مـــا تبتغيـــه ... لـــن يســـام الـــدهر رِقـــا

في جهاد للخلود

كخلودك!

شبل إسماعيل

إلى جلالة الملك فؤاد الأول

فقـدتْ رُبُـوعُ (النيـل) أحـزمَ قائـدٍ ... عرفتْـهُ حـين بقيـتَ أنـت أباهـا

فـإذا اصـطفت خلفـاً لـه مـا فاتهـا ... أن تحتمـي بحمـاكَ في بلواهـا

جـدّدتَ عهـدَ أبيـك في اسـتعلائه ... بـالعلم والإصـلاح يـوم بناهـا

وأراك أكـبر مـن يصـون تراثـه ... شـرَفاً، واقـدر مـن يُعـز حِماهـا

وإذا تعاونـت الـرؤوس فلـن تـرى ... في أمـــة رؤســـاءَها أدناهـا

عشْ ما بدا لك من محبة أمة ... عدَّتك تاج رجائها وعُلاها
وكن المليك كما نراك مضحياً ... ومزكّياً ومبلغاً لغناها
تحيا كفرد في الرعية حينما ... حُب الرعية في عُلاك تناهى
ومن التكبر والتغطرس ذلة ... ومن التواضع ما يزين إلهاً!

هدى

رزق صاحب الديوان في الثاني من أكتوبر سنة ١٩٢٧م برمل الإسكندرية طفلة أسماها (هدى) فبعث إليها الشاعر العصري المعروف الأستاذ عبد الله بكري صاحب "مقامات أبي الشمقمق" الأبيات التالية، يتبعها شكر الشاعر ورده عليه.

(١) تهنئة الصديق

رُزِقتَ (أبا شادي) فتاةً دعوتها ... (هُدىً) تبتغي للخاطبين هُداها!
لقد وضعت في (الرمل) فهي نقية ... تسر بحسن أمها وأباها!
ألا ليتَ شعري هل سبيل لقبلة ... فأنشق منها زهرة بنداها؟!
تمتع بها يا شاعراً بين صحبه ... بها أو (أمين) أو (صفية) باهى!

بكري

(٢) شكر الشاعر

كفاها من الشعر الذي قد وهبته غنىً، وكفاني أن أكون أباها!
وما ولدتْ بنتُ الأديبِ فقيرة وهذي هدايا الشاعرين حلاها!
تهانيك زانتها، فعش للغد الذي به أنت مرجواً تزين فتاها!
ونورتها[1] بالشعر حتى بدت (هدى) فأنت ضمين ما حييت هداها!

أبو شادي

هيكل الشهيد

في بُقعةٍ من بلاد الهند قد رفعوا للذّكر مدفنَ كلبٍ بين تكريمِ
وصوروا هيكلاً منه يقدسه من لم ير الكلب عنواناً لتعظيمِ

* * * * *

قال الرواة: بعهدٍ سالفٍ عرفوا مرابياً في جوار القبر مسكَنُه
وكان يشتد بل يطغى معاملة من لم يمت منه كان الهم مدفنه!
ومرة كان جوال بسلعتا في شدة الضيق حين الدين يرهقه
وما المرابي بمن يدري القلوب ولا من حل غلاً لمديون يضيقه!
فجاءه التاجر المهموم سائله أن يقبل الكلب رهناً منه أياما
وكان كلباً ثميناً لا نظير له فبعد لأي أجاز الرهن شتّاما!
وراح صاحبه للبيت يبحث عن شيء يُباع لكي يستخلص الكلبا
وعندها يشتري أيضاً كرامته وعمره بعد ما قد أصبحا نهبا!

* * * * *

[1] يقال: نور المصباح أي أزهر.

مضى المدين، وشاء العدل أن نقبت عصابة من لصوص بيت دائنه
فنبه الكلب إعواء ذويه فما نال اللصوص سوى أغلال ساجنه!
وهكذا أنقذ الكلب الذي رهنت حياته ثروة للدائن القاسي
فسره ذاك منه راضياً قنعاً من بعد ما كان أطغى الناس في الناس
وقال: لا بد من إطلاقه، وأتى برقعة ضمنت ما كان من بره
وقد تخلى بها عن دين صاحبه وعلق الشكر وضاء على صدره!
فأسرع الكلب جذلاناً لصاحبه فاغتاظ منه وألقى نحوه حجرا
وقال: يا أيها الملعون إمش فما أردت عودك إلا بعد مقتدرا!
فمات من وقعه، حتى إذ قرئت تلك الرسالة أشجته فأبكته
قضى بطيش وجهل منه حين رمى على حميم، فبئست تلك رميته!!

* * * * *

والآن بالقرب من (ريبور) هيكله ممثِّلٌ صدقَ وجدانٍ لصاحبه
لم يفده المال من أسر فقدسه بعد الممات فداء عن مناقبه!

ولّى سعد

مصطفى النحاس باشا

(نظمت في ذكرى الأربعين لوفاة الزعيم الأكبر)

إصعدْ مكانكَ بين شعْبٍ وافرٍ واعتزَّ بين تَشبُّث الأُلاَّفِ!
واجلس بكرسيّ الرئاسة رافعاً تاج الجهاد وراية الأشراف
إرث الجلالة للعظيم بطبعه ولمن يجل مفاخر الأسلاف
وأرى (أبا بكر) بذاتك ماثلاً بعد (النبي) على أبرّ طواف

حجـاً إلى القـبر الشـريف مؤبّنـاً ... ومعاهـداً عهـد الإبـاء الـوافي

وإذا النزاهـة والوفـاء تلاقيـا ... في الـنفس فالجهـد المسـدد كـافِ

حـزت الـذكاء بجانـب النبـل الـذي ... مـا كـان فيـك لمبحـث وخـلاف

ووهبـت روحـك (للـزعيم) وبعـده ... عـادت بـنفحٍ للجـوارحِ شـاف

عَلَـمُ النزاهـة أنـت جنـب مـروءة ... وشـهامة وتفـاؤل وعفـاف

خـل الـذين يصـغّرونك جهـدهم ... لنقـائص مـا كـن في الأحـلاف

مـاذا يضـير المهتـدين بشـيعة ... جـازوا سبيل الرشد والإنصاف؟!

هـاك الملايـين الـذين تكـاتفوا ... ودّوك محمـولاً علـى الأكتـاف!

وقد اصطفوك كما اصطفوا سعداً لهم ... رمـز الحيـاة نَمـتْ بكـل شـغاف

مـا كنـت بـالمجهول فضـلاً أو عـلاً ... إلاّ مواهـب صُـنَّ في الأصـداف!

واليـوم آن لنـا شـروق كمالهـا ... في دهمـة[1] الليـل البهيـم الضـافي

عمـراً بـذلت كمـا بـذلت مـآثراً ... كـن السـلاف لألسـن الوصـاف

أنـت المخضـرم بـين عهـد فتـوة ... لسـميّك البطـل العظـيم النـافي[2]

وزمـان تكـوينٍ وعهـد مثبـت ... لكيـان (مصـر) (بسـعدها) الوقـاف

فحييـت في عمـل وفي شـرف ومـا ... ألفيـت في طـرف[3] الخطـوب بغـاف

بـل كنـت مـن يمهـي الجهـاد بعزمـه ... ويحـارب التضـليل في إرجـاف[4]

تغنيـه همتـه وقـوة روحـه ... عـن جحفـلٍ لجـبٍ مـنَ الأسـياف

جـيش بـه اعتـز (الـزعيم) وكنْتَـه ... لمـا تطـاير كـل غـرٍ هـاف![5]

* * * * *

---

[1] دهمة: ظلمة.

[2] المغفور له مصطفى كامل باشا؛ وكان روح سياسته المصرية سلبياً غالباً.

[3] طرف (بكسر فسكون): حديث.

[4] يمهى الجهاد يشحذه. والإرجاف: الزلزلة.

[5] تطاير: تفرق. وهاف: ذليل. إشارة إلى حوادث التبرؤ من الوفد في عهد الاتحاديين.

يا ابن (المحاماة) الذي بلغ المدى ... بسموهِ عن وهدة الإسفاف
وأبا (القضاء) وكم له من موقف ... للحق معصومٍ من استئناف!
وفتى الهدى والتضحيات بلا ربى ... وأخا الكرامة واليقين الصافي
قد بايعتك نفوسنا وقلوبنا ... لجواهر في الخلق غير زياف
ومبادئ في الحق ما خجلت وقد ... بزغت وراء ستارها الشفاف
ونضارة الوجدان رغم عواصف ... أودت بآلاف موت جفاف
رب الوديعة أنت بعد معيدها ... جلَّت لديك اليوم عن إتلاف
وقيت لديك من العثار وبلغت ... أمل الخلود ببرك الوكاف
والدهر يقصر عن فلاحٍ مزعزعٍ ... ثقة خصصت بها كحلو نطاف[1]
هي كل ما تصبو إليه نهاية ... من عالمِ الدنيا بلا إلحاف
وكأنما النغب العذاب متاعب ... في ذمة الوطن الحفي العافي[2]
عرفت سجاياك الضمائر فانتشت ... بعوارف الآثار والأوصاف
وعرفتها عرفان ذاكر حبها ... بالطبع قبل حنانه الكشاف
شخصت إليك اليوم دون تردد ... وبدت تناجي الفضل دون سجاف
وثقت بذمتك النقية مثلما ... وثقت بروضة خلقك المئناف
ولو إنما اللسنُ اللهاذمُ[3] سلطت ... ما نلن من حب وصدق هتاف!

* * * * *

وطني وإخواني وأهل عقيدتي ... ما العيش بين رضى وحظ كفاف
إن الحياة شهية وعظيمة ... في حالي الحرمان والألطاف[4]!

---

[1] جمع نطفة وهي الماء الصافي.
[2] النغب: الجرع. والحفي: العارف الشيء حق معرفته. والعافي: الطالب الفضل.
[3] اللهاذم: الحدود القاطعة للسيوف.
[4] مفردها اللطف: أي التوفيق والعصمة.

ما الذل ذل للجسوم، وإنما ... ذل النفوس هو الشقاء الطافي[1]

فتعاضدوا وتدرعوا بثباتكم ... وإخائكم، إن الإخاء يعافي!

لكم الحياة مع التألق كلما ... كنتم رجال توحّد وتلاف

لا تستخفوا بالهنات فربما ... فقد القدير السبق باستخفاف

أو تيأسوا عند المصاعب بينما ... قامت مفام المرشد العراف

أو تخدعوا بالنصر فهو كخمرة ... ساوى الصريع بها صريعَ سُلاف!

صنتم بوحدتكم تراث زعيمكم ... لا تفقدوه اليوم بالسفساف[2]

إن الرئاسة همة جذابة ... لا صيحة أو صدحة العزاف!

واليوم قائدكم صنيعة رشدكم ... وفؤاد (مصر) النابض الرفراف!

إن تخذلوه فقد خذلتم حقكم ... ومن الحماقة نزوة المتلاف

أو تحسبوه أبا العجائب ضلة ... لم تقطفوا منه أبر قطاف[3]

فلتنصفوه وأخلصوه وفاءكم ... يحمل من الأعباء غير خفاف

ودعوا خرافات الخصوم ولغوهم ... فكثيرها يحكي ثغاء خِراف!

خلّوا الأمانة ديدناً لتعاون ... تجدوا التعاون أصدق الإسعاف

وتأملوا الضوء العزيز بوحدة ... فإذا تفرق ضاع في الأطياف[4]!

روح الزعيم تجاهكم فتخيروا ... نهج البطولة للغد الصدّاف[5]

تلقاكم زمر المخاطر فادأبوا ... ما كان حظ الفوز للمخلاف[6]

بل واستعدوا للهموم جديدة ... قبل النعيم وبهجة الإتحاف!

---

[1] الطافي: الشامل المنتشر.

[2] السفساف: الأمر الحقير.

[3] القطاف: جمع القطف (بكسر القاف) بمعنى الثمار المقطوعة.

[4] الأطياف: جمع الطيف (spectrum) أي رسم انحلال النور.

[5] الصداف: المقاطع المنصرف.

[6] المخلاف: الكثير الخلف في وعوده.

وأنا الضمين لكم جلال سيادة … وحياة ملكٍ ثابت الأكناف[1]

بنيت قواعده على دستوره … فنمته أضعافاً على أضعاف

وحبته للدنيا منار حضارة … (للشرق) ثم ذخيرة الأخلاف[2]

فارفع زعيم الشعب صوتك هادياً … يغنيه عن خطب وسحر قواف!

التقصير

(من صورة الحياة)

قالت: أتعلم أي ذكرى لم تزلْ … تترَدَّدُ في خاطري المحزون؟

فأجبت: هل هي فرصة تضييعها … قد كان في عقباه شبه جنون؟

أم ذاك ذنب ما عملت لمحوه … وغنمت منه نهاية المغبون؟

قالتْ: إليكَ روايتي، وكأنما … قاربت في التقدير والتخمين

من عهد أعوامٍ طوالٍ كنت في … متنزهٍ في نشوةٍ وسكون

أستنشق العطر الذي حملته لي … بيض البراعم فوق تاج غصون

فإذا بشيخ عاجز في البعد قد … سقطت عصاه وزل دون معين

وجلست أرقبه بغير تحرك … وهو الضرير فلاح جد حزين

حتى أتى عرَضاً فتى وأغاثه … ومضى ولم يعبأ بكل فتوني

والآن أسمع كل مدحٍ شائق … عن بهجتي ورشاقتي وعيوني

وأظل يؤلمني امتعاضٌ لاذعٌ … من ذكر ذاك الأمس بين شجوني!

---

[1] ثابت الأكناف: راسخ الجوانب.

[2] النبت الناشئ: أي رجال الغد.

يا حامل الأرض بل والكون في يده   وواصفاً كنهه في شبه تحديد[1]
قد جزت حد خيال الوهم في ثقةٍ   بما حسبت بتقريب وتبعيد
إن الأساطير ما فاتتك في عجب   بما روته، وما اعتزت بتأييد!

* * * * *

وما (جلليو)[2] و(كوبرنيك)[3] قد وهبا   ولا (نيوتن)[4] ما حققت للناس
صار الزمان قريناً للفضاء كما   صار الزمان يوافينا بمقياس
حين الفضاء تراءى حاكياً كرة   من بعد ما كان لا يعنو لإحساس

* * * * *

وأصبحت نسب الأشياء أجمعها   من التقلب ما يوحيه موضعها
فما الحساب نبي صادق أبداً   لولا ارتباط بأسباب يشايعها
وما الوجود وجود يستعز بنا   لولا اكتشاف معان كدت تبدعها

* * * * *

يا ليت شعري –وأقوى الناس أعرفهم   بسرهم وبأحوال لدنياهم –
من ذا يفوقك تمكيناً بصولته   في العقل حين أمير الناس أحجاهم
لقد فتحت لهم دنيا تحددها   فهل فتحت لهم من بعد أُخراهم؟!

---

[1] الكون متناه حسب نظرية اينشتين الذي يعتبر أن الفضاء (space) والوقت اصطلاحان مترادفان تقريباً، وهو يعتبر الوقت (الزمان) بعداً أو مقياساً رابعاً – fourth dimension –، ويرى أن الفضاء كروي، وكان هذا لا يكيف بشكل من قبل، وقد برهن بناء على نظرية النسبية أن الضوء يسير في خطوط منحنية (لا مستقيمة كما كان يظن سابقاً)، وعارض نظرية الجاذبية حسب العرف القديم. وقد أصبح الحساب الرياضي علماً نسبياً لا علماً مضبوطاً (exact) على قواعد يوكلد (Euclid). فتأثير اينشتين على التفكير العلمي بل على التفكير الإنساني عامة في جميع نواحيه بعيد المدى. وهو بلا جدال أعظم شخصية علمية في هذا العصر.

[2] Galileo: هو الفلكي الإيطالي العظيم، ولد في مدينة بيزا سنة ١٥٦٤م، وتوفي سنة ١٦٤٢م، واكتشف وهو حدث قانون اهتزاز الرقاص، وهو مخترع أول تلسكوب، وبه استطاع أن يقوم بدراسات فلكية عديدة.

[3] Nicolas Copernicus (١٤٧٣م – ١٥٤٣م) هو الطبيب البولاندي والفلكي المشهور واضع النظام الفلكي المعروف باسمه، وعليه قامت أبحاث كبلر وجليليو ونيوتن.

[4] Sir Isaac Newton الفيلسوف الرياضي الإنجليزي العظيم (١٦٤٢م – ١٧٢٧م) مكتشف أو واضع قانون الجاذبية.

حسنـاء وعبـدها

(وصف مرتجل لآنسة جميلة يحرسها عبد زنجي)

لم ألق في كلّ ما لاقيتُ من عَجبِ كعابـد ظِلَّـهُ حِـرزٌ لمعبـودِ
ماذا على الشَّمسِ لو أحبت لنا أملاً؟ وما على الأرض لو قالت لها جُودي؟!

عواطفـي

مُلِّكْـتِ أحلامـي ونُـورَ دُمُـوعي وقَهْـرتِ نفْـسَ إمـاميَ المتبـوع[1]
ما العقل حين تسيطرين؟ وما الحجى إن لحـت أنـت لشـاعر مطبـوع؟!
قالوا: "تغالي في العواطف" حينما هـذي العواطـف مهجـتي ونزوعـي
لـولاكِ مـا كـان البيـان أشـعة كـلاً، ولا كـان النظـيم دمـوعي
لولاكِ لم أدر (الجمال) ولا (الهوى) أبـداً، ولا قـدر (الحيـاة) ولـوعي
لـولاكِ لم أسـغ (الطبيعـة) بينمـا أنـت (الطبيعـة) لـي وأنـت ركوعي
غُـذّيت منـك فـلا عـدمتُك مـرةً ظمئـي نـواك إذا سـقمت وجـوعي
وأرى (الألوهـة) مـن جداك مثولها فـإذا احتجبت مضت لغير رجوع
فلئن حرصتُ عليك كان تحرّقـي غُنْمـاً، وكـان تحجُّـبي كطلـوعي
وحييت بعد منيتي بك في النهـى شـعراً وألحانـاً ووقـد شمـوع
وغـدا خشـوع القـارئين تحـيتي لك عين تقديسـي وعـين خشـوعي!

---

[1] يريد العقل.

عبد المجيد

مرثية تلحينية في تأبين منشئ (المسرح)
نظمت لمناسبة ذكرى الأربعين

بــــذلتَ والله عمـــرَكْ   بـــذلَ الكمـــيِّ الأمـــينْ
إن يجهـل النـاس قـبرك   فلســـت أنـــت الغـــبينْ!

* * * * *

كنــت الجـريء الشــجاع   في الحـب مثـل الخصـومهْ
كنــت السـري الشــعاع   يعـــزو وينفـــي همومـــهْ!

* * * * *

مضــيت (عبـد المجيـد)   لكـــن لغـــير انتهـــاء
مـــن قـــال إن الفقيـــد   في الكـون سـر الـذكاء؟!

* * * * *

إن يشــمت الحاســدون   فأنـــت لاه ضـــحوك
لعلــــهم في جنـــون   أهـــل لـــه شـــانئوك!

* * * * *

يــا رمـز ذاكـي الشـباب   ويـــا شـــهيد الجهـــاد
مـــا المجـد إلا العـذاب   لمبـــدأ واجتهـــاد!

* * * * *

وضـعت في (مصـر) فنـا   (للنقـد) حتـى اسـتطال
فصـــار مبنـــى ومعنـــى   وكـــان شـــبه المحـــال!

* * * * *

مـن بـات يحصـي عيوبك   فنـــاكر للجميـــل
يكفيـــك أن لا يشـــوبك   مـــوت الجمـود الثقيـل!

* * * * *

قــد كنــت نــوراً ونــاراً　　مــن انــدفاع الشــباب
وكنـــت قبســـاً معـــاراً　　فغـــاب مثـــل الشـــهاب!

* * * * *

مضــيت لكــن كريمـــاً　　بوحيـــك المســـتطاب
أنظـــر تجـــده مقيمـــاً　　علـــى عهـــود الصـــحاب!

* * * * *

في زمـــة الفـــن تمضـــي　　حيـــاً لـــذكر البقـــاء
و (المســرح) الحــر يبكــي　　عليــك أشــجى البكــاء

* * * * *

مـــا نـــاح إلا حنينـــاً　　إلى البنـــان القـــدير
فـــاغفر وفـــاءً حزينـــاً　　مـــا دمـــت أنـــت القريـــر

الطبيعــة

زُرْتُهـــا أشـــكو إليهـــا لـــوْعتي　　مِـــنْ جُحـــود نـــالني في زمـــني
فـــاكفهرت في اكتئـــاب سُـــحْبُها　　ثـــم صـــاحت صـــيحة المـــتهن[1]!
وتجلـــت[2] بعـــدها في بســـمةٍ　　تبعـــث الســـحر للـــب الفَطِـــن!
هـــزأت بالجهـــل حتـــى أخجلـــت　　نظرتـــي للعـــالم المـــتحن!
وكـــأني مـــذنب في عرفهـــا　　فهـــي أمـــي، وهـــي مـــن تلـــهمني!
مـــوئلي في ظلـــها أو نورهـــا　　وهـــي مـــن في عطفهـــا تنعشـــني
كيـــف أشـــجى وهـــي حـــولي دائمـــاً　　ملجئـــي بـــل معبـــدي بـــل وطـــني

---

[1] إشارة إلى صوت الرعد.
[2] أي الطبيعة. إشارة إلى انقشاع الغيوم.

ثم لم تلبث على سخط فقد … صفحت عن زلتي وحَزَني
حين غنت بعصافير لها … لعب الأطفال قبل الوسن!
بين وثب واختباء في على … حيرتني بل غدت تقهرني!
وفرادى النحل جاءت تحتسي … خمرة الزهر بغير زمن
أنشدت حولي أناشيد الهوى … وأغاني رفقة[1] تعرفني!
والنسيم الحر يحكي ما رأى … من غرامٍ ومعاني الفتن
والفراش اللاعب اللاهي يلي[2] … تحت أصباغ الغرور الحسن!
والأصيلُ السمح يروي شعره … ملء ألوانٍ لوَحْي الفَطِن
ورآني ناهلاً من نوره … فحباني كل ما يسكرني
وإذا الجدول يروي حقله … مثلما يطفي بأنس شجني
وعذارى الريف في لهو الصبا … واهبات مستطاب المنن
لسن يعرفن هموماً غير ما … تعرف الورقاء فوق الفنن!
أخجلتني[3] هكذا من حسرتي … بينما في الكون ما يسعدني
وأرتني حينما أفهمها … أنني أنعم إذ تفهمني
فاغتدى طبعي حنيني دائماً … لمجاليها التي تفرحني
فأناجيها بحب معلن … وتناجيني ببرٍ معلن
منشداً شعري، وحسبي سمعها … فهو منها ولديها يغتني
جلسَتْ في عرشها مصغية … لوفاء الشاعر المفتتن
وكأني وارثٌ ملكاً لها … وكأني حاكم في زمني!

---

[1] رفقة: صحاب.

[2] دلي: يدنو.

[3] أي الطبيعة.

الإلقاء والتمثيل

نظمت في استقبال العام الثاني للكونسيرفاتوار المصري (معهد الإلقاء والتمثيل) بالقاهرة في الخامس عشر من نوفمبر سنة ١٩٢٧م.

عشْ للغد الزاهي أعز مثيل ... يا (معهد الإلقاء والتمثيلِ)
أهلاً بعيدك بعد عام طفولة ... قد بلغتك مكانة التبجيلِ
(الفن) بارك عمرك الحالي فما ... أُحوجت بعد دليله لدليل
لم تدر من سنن التطور حاكماً ... فطفرت منفرداً بوادي النيل
أصبحت مدرسة (البيان) موفقاً ... في شبه إعجاز لهذا الجيل
أكرم بمن غذّوك من إخلاصهم ... وبمن حبوك رجاء كل نبيل
وبمن رأوكَ ملاذ حسٍ أو حجىً ... يحتاج للتعبير والتدليل
كافأتَهم بالبر فوق صنيعهم ... وغدوتَ ملجأهم من التضليل
في موطن ضاع (النبوغ) سدى كما ... أضحى الجميل يعدّ غير جميل
دنيا خرافاتٍ وجهلٍ شائعٍ ... وفنونِ إفسادٍ بكل سبيل
(الفن) كاد يموت منها حسْرة ... ما بين قال في الضلال وقيل
لم يبق للأحرار غير مباءَةٍ ... بحماك من عبث ومن تدجيل[1]
إبعث ضياءك للشباب مرحباً ... وإلى الشيوخ مطمئناً كوكيل
وانهض برغبة (مصر) في استعلائها ... بثقافة تزري بكل دخيل
مصرية النفحات، ليس يشوبها ... فقر ولا عجز وحس ذليل
وليعل صوت الرشد فيك مؤذناً ... حيناً، وآناً آية التنزيل

---

[1] التدجيل لغة بمعنى التغطية، ومجازا بمعنى المخادعة.

قصص الحياة تعاد فيك قوية عبراً، فما تحتاج للتأويل
ومواقف الخطباء فيك عظيمة تستأهل التقدير بالتكليل
دم في زكاتك هذه تعطى لنا روحاً وريحاناً وطب عليل
حتى نعالج (مصر) من أدوائها في المسرح العاني عناء كليل
حتى يرن صدى الخطابة بالهدى في كل عاصمة وكل قبيل
حتى يعود إلى الفصاحة مجدها في بهجة غنيت عن التهليل
حتى ترى مصر الجديدة قسطها من قوة التبيان غير ضئيل
حتى يصير (الفكر) ديناً سيداً وله الصلاة وأروع الترتيل
وأنا الكفيل بأننا في برنا لن نكتفي بالشكر والتقبيل!

التعالي

رجاؤكَ أن تُصيبَ وفاءَ قومْ بررْتَ بهم رجاءٌ للمحالِ!
فإن كنت المصيب له فهذا مثالٌ بذّ مألوف المثال
ومن شاء السيادة في شموخٍ فما يعليه نبل من فعال
ولكن السيادة – وهي عندي تعالي النفس لا بطش التغالي –
تنال بكل تضحية وطعن وإيذاء كأنك لا تبالي!
فتغنم غاية التسفيه ممن بذلت له الرشاد وكل غال
ويغدو كل حسن فيك قبحاً وكل كرامة شبه الضلال
وتلقى الاتهام يساق سوقاً إليك، وحين لم يخطر ببال!
فما تدري أصار الفضل عيّاً وبات النقص نوعاً من كمال؟!
أم الدنيا تعيش على خيالٍ ولن تشفى الدهور من الخبال؟!

أم الأحـــداث فيهـــا لم تزدهـــا شـــعوراً بالحقيقـــة والجـــلال؟!
وســـاوى الألمعـــيّ بهـــا جهـــولاً وأصـــبحت المســـاوئ كالمعـــالي؟!
وهـــل هـــذي الجبـــال لهـــا رؤوس عليهـــا، أم تقـــوم بـــلا جبـــال؟!
قيـــاس النـــاس أوهـــام تناهـــت ومـــنطقهم خيـــالٌ في خيـــال
وتوشـــك أن تغـــص بكـــل وجـــد وتســـرف في التشـــاؤم غـــير ســـال
ولكـــن عنـــدها ترنـــو بعيـــداً بإيمـــان العظـــيم إلى الجمـــال
فتقبـــل كـــل تضـــحية وتنســـى حياتـــك في جمـــال بعـــد تـــال
وتجعـــل نفســـك المثـــل المرجّـــى تعاليـــه لتكـــوين الرجـــال
فلـــن ترقـــى الحيـــاة بـــلا كفـــاح نبيـــلٍ بـــين عـــزم واحتمـــال

الفلاّحـــة

ســـيري خـــلال القطـــن بـــين تبسّـــمٍ مـــا القطـــن إلاّ مـــن تبسُّـــمِ فيـــك
ودعـــي الـــذي يـــدعوك ربـــة مصـــره يجـــني ابتســـام الحـــب دون شـــريك
إنـــي أبـــايع بالســـيادة مـــن لهـــا في مجـــد (وادي النيـــل) مجـــدُ مليـــك!
ربـــت لـــه همـــم الرجـــال وأطلعـــت أمـــلا كوعـــدٍ للصـــباح وشـــيك
وأعـــز ثروتـــه ســـخاء بنانهـــا وحبورهـــا جـــدوى لكـــل ضـــريك
وكـــأن رفـــق الشـــمس لفظـــة ثغرهـــا فيحـــول في طَمْـــيٍ يعـــز ســـبيك!

* * * * *

يـــا وَحـــى (بنتـــاؤور) لم نـــزل العلـــى كـــالفن في أيـــام (منـــف) تليـــك!
مـــا زلـــتِ لابســـة الحـــداد كَســـيفةٍ فلتنزعيـــه، فـــنحن نســـتوحيك!
أنـــت المؤلّهـــة العزيـــزة بيننـــا وإن احتملـــت متاعبـــاً لـــذويك

سـيري متوّجـةً بتـاجٍ محبـة   للنفـع والإصـلاح جنـب أخيـك
وإذا تناسـاك الـذين تخـاذلوا   جاهـدتِ إشـفاقاً علـى ناسـيك
وعملـت زارعـةً وحاصـدةً لهـم   وغـذوتِ أفئـدةً بـروحٍ فيـك
حتـى إذا انقشـع الغـرور تنبهـوا   فـإذا العـتي الـنفس يسترضـيك
ويعـاف إلا أن تكـوني حـرة   في عيشـة تهنيـه إذ تهنيـك
قسـماً بقـدرك لـو نصـفت لأدركـت   (مصـر) العزيـزة كل مـا يرضـيك!

لغـة العـرب

تحية مجلة (لغة العرب) وصاحبها العلامة الأب أنستاس ماري الكرملي في يوبيله الخمسيني

في عيـد مجـدكِ يهتـزّ الألبَّـاءُ   وتحمـل البِشْـرَ للأبنـاء أنبـاءُ
طلعـت عنـوان فضـل لا يحـد لـه   نبلٌ لمـن أمتعـوا بـراً كمـا شـاؤوا
وكنـت شـارة خِـلٍّ كلـه شمـم   حيّـا جلالـة ماضـيه الأجـلاء
في نصـف قـرن بنـى علمـاً وتجربـة   وحكمـة فـوق مـا يرجـوه بنّـاء
ولا يـزال عظـيم الجهـد مبتـدعاً   لـه أيـادٍ علـى الإصـلاح غـرّاء
إن كنت إبنـة ست في السـنين فكـم   في دفتيـك مـن الأعـوام أحيـاء
وذمـة مثـل حـد السـيف قاطعـة   وبسـمة للـذكاء الجـم حسـناء
مـا بين بـأسٍ عظيـمِ البطش في ثقـة   بـالحق إن عصـفت بـالحق أهـواء
وبـين مرحمـة بـالفكر بالغـة   وبـالتراث المعلّـى فهـي أنـداء
وبـين نـارٍ تلظّـى، مـن تأجُّجهـا   هـذي العقـول وإشـعاع وعليـاء
وبـين سـعي لـدفعِ بـ ل مقاتلـة   للجهـل، والجهـل أدواء وأرزاء

جمعت شتى من الدنيا وما وهبت ‏ لرشدنا همة شماء قعساء

* * * * *

أهلاً بيوم (أنستاس) تُكرمه ‏ مآثرٌ هي للتاريخ صهباء

كم تضحيات أضاءت حولنا قبساً ‏ والتضحيات حرارات وأضواء

حياته سيرة للنفع دائمة ‏ (موسوعة)، ولها الأعوام أجزاء

أعاد مجداً من الأسلاف مندثراً ‏ إلى (لسان) له الآباء[1] أباء

الرافعون مناراً من سماحتهم ‏ والعالمون الأجلاء الأعزاء

كأن بغداد قد عادت لعزتها ‏ و (للخليل) بها وحيٌ وإيماء

ولم يفت (سيبويه) في تقمُّصه ‏ وجدانك الحي إرشاد وإفتاء

قضى عليه (الكسائي) في مناهضة ‏ زوراً، وطعنتك الغراء نجلاء

ثأرت للعلم، فليخسأ محاربه ‏ فما لنا بعد للحساد إصغاء

هذي صحائفك البيضاء ساطعة ‏ وحسبنا صفحة في الحق بيضاء

أغنتك في موقفٍ عزَّ النصيرُ ففي ‏ مبادئ الحر تعزيزٌ وتأساء

إن شاء أن يتعامى عن مفاخرها ‏ غر فللوهم إضحاك وإبكاء

أو شئت أنت احتجاباً عن علانية ‏ فللمآثر مثل العطر إفشاء

أو ناظرتك عقول جَدُّ مجدبة ‏ فما تحس بجدب الترب فيحاء

أو صورتك بأغراضٍ مزعزعة ‏ فإنما مقلة الإغراض عمياء

أو عاب حكمك من يهوى مجاملة ‏ فليس في العدل إيثار وإقصاء

إن العظيم عظيم النفس عن شرف ‏ يعنو لهيبته رعد وأنواء

وليس من شادَ فوق المال هيبته ‏ وهماً، وهيبته جوفاء خرساء

بل من تعيد في تعييده أمم ‏ طوعاً، ويتبع نجواه الألباء

---

[1] اشارة إلى الآباء الكرمليين الذين يؤازرون في إصدار (لغة العرب).

بيت النور

ترحيب (بنادي جمعية الشبان المسلمين) بالقاهرة

روضوا النفوسَ فمن أهوائها الداء ... ورُبَّ داء توالت منه أدواءُ
روضوا شباباً على لهو وفي كسل ... يقسو عليه الهوى والجهل والداء
ونوّروا من هُدى(النادي)مشاعرهم ... فخلف أضوائه للنشء أضواء
بيتٌ يُلاذ به علماً، وترضية ... للصفو، وهو بصافي الحب وضّاء
حيث الإخاء عزيزٌ في جوانبه ... حي، وحيث حباة النبل غراء
يبثُّ فيه من الآداب أرفعَها ... ومن معارف هذا العصر أصداء
فما يفوت الصدى نفساً بلا هبة ... ويزدهي بعلى الآداب أبناء
وتمحى فيه أحقاد ويخلفها ... بر وصدق وإخلاص وإغضاء
ويبتني من حضارات منوعة ... ذخر البنين وذخر الدين آباء

* * * * *

قد طال عهد التراخي، يا له زمناً ... ضاعت به همم شتى وآراء
حيث التفرقِ أنواع مجددة ... وللظهور حزازات وإغراء
والمسلمون حيارى في وساوسهم ... وكل يوم ضلالات وشحناء
والقائد الفذ مغمورٌ، وغايته ... من جهده السمح حرمان وإشقاء
وليس للدين معنى غير سفسطةٍ ... كأنما الدين إضحاك وإبكاء
عادوا به الفنَ والعرفان في زمنٍ ... الفن كالدين في الإصلاح بنّاء
وصوَّروه بما يأبى تصوره ... عقل، وما عاف نجواه الألباء
فهان دينٌ وعِلمٌ بيننا، ومضت ... بالدين والعلم غايات وأهواء
وكاد يقضي على أخلاقنا، وغدا ... للعابثين مجال الهدم ما شاؤوا
فحيَّرتنا مقاييس لحكمتهم ... وجهلهم كلها نكراء خرقاء

وكـاد يُيئسـنا مـن حالنـا عجـبٌ لا يســـتتب، وزلـــزال وأنـــواء
حتى تجلى شعاع الصبح مؤتلِقاً وســـار يتبـــع داعيـــه الأجـــلاء

* * * * *

إذا شكرتُ فشكري سابقٌ لفتى المدحُ فيـه – وإن حققت – إيـذاء
أبـى ظهـوراً وخلّـى جهـده علمـاً فلـيس ترضـيه ألقـاب وأسمـاء
ولـو تـدبّر لم يحجـب محامـده فإنهـــا هبـــة للخلـــق زهـــراء
من قاد لم يغن عن صيت يخص به فالصيت للجهد إسعاف وإحيـاء
شتان بـين الـذي يحيا لشـهرته وحظـه العمـر تغريـر وإغـواء
وبـين تاخـذها جسـراً لغايتـه في النفع للناس حيث الذكر مشاء
كرمت فينا "محب الدين"[1] بل كرمت مـن أجـل جهـدك آمـال وعليـاء
أعلنـت دينـك إصـلاحاً ومَحْمَـدةً فكـان مـن حقـه طـوع وإصـغاء
وكـان بـرءاً جمـيلا مـن تسـامحه ومـا كإيحائـه للشـعب إيحـاء
وصنت أخلاق شبان نصون لهم حبـاً، فهـم لرجـاء المجـد أكفـاء
لم ينكروا فضل ماضيهم ولا جحدوا تراثـــه، فهـــو للتـــاريخ أنبـــاء
ولا اكتفوا بالسنا الماضي ولا قبعوا فكلـــهم همـــة للفـــتح شمـــاء
مـن نـام مـاتَ، ومـن أيامـه عمـلٌ حي، وهل يستوي موتى وأحياء؟!

---

[1] هو الأديب الشهير الأستاذ محب الدين الخطيب مستسر (جمعية الشبان المسلمين) ومؤسسها الأول وصاحب مجلتي (الزهراء) و (الفتح).

أميـــن

رثاء فقيد الصحافة والوطنية المغفور له أمين بك الرافعي صاحب (الأخبار)

رُويـدَك أيُّهـا النَّـاعي (أمينَـا)! نَعَيْـتَ بـه خِـلاَلاً مـا نُعِينَـا!
نَعيـت لنـا مطهـرة السـجايا وركنـاً قـد حـوى (الأخـلاق) دينـا
بحسـب جلالهـا أنَّـا عرفنـا معالمهـا صـفات الخالـدينا
رويـدك! لـن نـرى للمـوت حكمـاً علـى علـم الهـداة الجارئينـا
فتـىً وهـب الحيـاة وغـاب لمـا تغلغـل في نفـوس الجاهـدينا
وكـم مـن نـاهضٍ تلقـاه يسـعى وتلمـح حـين تلقـاه (أمينـا)
شـباب روحهـم منـه، وفـرض علـيهم أن يكونـوا الناهضـينا
ومـا مـات الـذي يحيـا ذووه حيـاة الأوفيـاء الـذاكرينا
إذا مضـت الأشـعة في غيـاب فقـد تركـت لنـا صـوراً بنينـا
مـآثر لـن تمـوت ولـيس يفنـى لهـا وحـيٌ، ولـن يلفـي مهينـا
إذا انتسـبت (فللإخـلاص) حتـى غدا (الإخلاص) حارسـها الأمينا
مضـى الرجـل الـذي مـا خـط إلاّ دفاعـاً يـ.ـعف الـوطن الغبينـا
لـه وهـب الجهـود بـلا انقطـاع وخلَّفهـا حـديث المعجبينـا
فكـان لنفسـه في زهـد راعٍ وكـان لقومـه في الطامحينـا
فمـا عـرف الهـوادة في حقـوق (لمصـر) وظـل يحرسـها ضـنينا
وإن عـرف القناعـة في حيـاة فعـز ولم يعـش يومـاً ظنينـا
فتـىً فيـه (الرجولـة) قـد تمـادت فعـاش لأجلـها في المرهقينـا
ودام غـذاؤه (الإيمـان) حتـى قضـى ولـه ابتسـام المؤمنينـا
وراح بثـروة التقـدير لمـا أبـاح لقومـه العمـر الثمينـا
فعـاش بمثـل صـومعة مكبـاً علـى التحـبير يزجـي اليائسـينا

يحارب باليراعة في اطراد … جيوشاً أو خصوماً غالبينا

به ازدهت (الصحافة) واشرأبت … وكان مهذباً لمهذبينا

وما وجد الثبات له وفياً … تحمَّل مثله في الكاتبينا

فما بالى عداء الناس لما … رأى وجدانه الوافي قرينا

ولم يرهب بوحدته عدواً … كقرم[1] يسكن الحصن الحصينا

وهل عرف الهزيمة من تسامى … ومن دام (اليقين)[2] له يقينا[3]

* * * * *

أخي في الحب للوطن المفدى … وفي الأدب الذي أضحى حزينا

فديت الموطن الغالي، فطوبى … لمثلك في عداد المفتدينا

وعشت القدوة المثلى شريفاً … وكنت لنا مثال الصابرينا

مثال أخرس السفهاء لما … تغالوا في اتهام النابهينا

حفظت جميل ودك في سنين … فلم يذبل على رغم السنينا

ومن ينسَ الوداعة في حياء … ولطف يأسرِ المتحاملينا؟!

ومن ينسَ نفائس ألمعيٍّ … حوت نخب الفضائل أجمعينا؟

فإن الصدق حَليته، وأجمِلْ … به من شارةٍ للنابغينا

وإن النبل شيمته، وأعظم … به من عزة لمتوجينا

وإن النصر غايته، وأكرم … بحزم يملأ الدنيا رنينا

وإن الصبر خِلّته، وأنعم … به من مسعف للعاملينا

مواهب في الحياة ملكن حباً … وبعد نواك مُلّكن الحنينا

* * * * *

---

[1] القرم (بفتح فسكون): السيد العظيم.

[2] التحقيق.

[3] عقيدة.

رثـــاك النـــائحون وقـــال قـــوم شـــبابك هكـــذا ظلمـــاً أهينـــا
وأنـــك مـــا غنمـــت ســـوى عنـــاء لشـــعب ﻧ ات نصـــحك ســـتهينا
ومـــا عرفـــوا قلـــوب النـــاس، كـــلا ولا عرفـــوا ســـكون الثائرينـــا
ولا فهمـــوا اعتـــزازك حـــين تلفـــى وأنـــت الشـــهم بـــين الوادعينـــا
ولا هـــم قـــدروا أن المعـــالي بـــرغم البـــؤس رهـــن المخلصـــينا
ولـــو خيِّـــرتُ في مـــوتي فـــإني أعـــد مماتـــك الفخـــر الرزينـــا
لقـــد ضـــحيت كالشـــهداء حتـــى لروحـــك كلنـــا أضـــحى مـــدينا
صـــحائف تنقـــل (الأخبـــار) عنهـــا علـــى مـــر الزمـــان لمهتـــدينا

موت الجبـــن

لا تخـــش مـــن نُـــوَبِ الزمـــان فإنهـــا موصـــولة أبـــداً بســـر نعيمـــه
تهـــب العظـــات لمـــن يشـــاء عظاتهـــا وتفكـــه مـــن بؤســـه وهمومـــه
وتـــثير همتـــه فيرفـــع نفســـه عـــن مستوى الفـــاني ونـــار جحيمـــه
فيســـود أحـــداث النوائـــب مثلمـــا يغـــزو بإيمـــان دهـــاء غريمـــه
الجـــبن والإقـــدام في حكـــم الحجـــى الفـــرق بـــين ســـفيهه وحكيمـــه!

أنـــا وغيـــري

(مثال من الشعر المرسل)

إنْ نفســـيَ نفســـي، ولكـــنَّ نفســـي هـــي غـــيري لمـــا تشـــاء الحيـــاة
لســـت إلا كنقطـــة البحـــر تجـــري في حمـــى المـــوج لا تطيـــق انفكاكـــا

فأنـا بعضـه وإن كنـت أدري		أنـني غـيره كفـرد سَـوي
وأنـا رهنـه: فـإني إليـه		أتنـاهى وإنـني فيـه أجـري
فشـعاري تعـاونٌ وتـآخٍ		شـأن حُـرٍ حنَـا علـى ود حـرٍ
إنمـا المـرء غـيره في سمـو		وحيـاة الإنسـان ملـك أخيـه
والـذي يـرفض التعـاون يحيـا		كغريـب وتائـه وسـفيه
أو كغـر مضـى بقـارب خُـوصٍ		في ميـاهٍ حيالهـا! ظلمـات
حسـب الفتح في الجهـاد وحيـداً		وجهـاد الغـبي فيـه الممـات!

تغلغل في الحياة

تغلغـل في الحيـاة ولا تجانـب		مسـاوئها فقـد تحـوي جمـيلا
وفـرض أن تكـون بهـا عليمـاً		إذا مـا شـئت أن تحيـا جلـيلا
ومـن خـاض الرذيلـة في دروسٍ		تنـزه عـن عواقِبِهـا علـيلا
ولكـن المُجانِـب خـوف ضـعفٍ		يـزلُّ ويغتـدي بعـد الـذليلا
فخَـلٌ مصـاحب التسـبيح يلـهو		بـأوراد يرددهـا ثقـيلا
يعممـه النفـاق علـى فسـادٍ		وقـد تَخِـذَ الهـوى سـراً زمـيلا
وكـنْ رجـل التسـامح والتسـامي		وكـنْ أيضـاً لتجربـة خلـيلا
فمـن رام الطهـارة في وجـودٍ		بـلا رجـسٍ يـروم المسـتحيلا
ومـن شـاء الصـلاح عليـه حتمـاً		ليـنجح أن ينقـب مسـتطيلا
ومـا أصـل النبالـة في اعتكـافٍ		ولا أن نصـغر الحـظ الضـئيلا
ولكـن في انـدماج الـنفس صـدقاً		بـدنياها لتسـديها جمـيلا[1]

---

[1] يقال ألحم ما أسديت: أي تمم ما ابتدأته من الإحسان.

وما كان الترفع في ثراء
ولكن الترفع أن نقيلا[1]

تغلغل في الحياة إذن وأدرك
بأنك ما بها، وانظر طويلا

وحاسب عقلك الواني إذا ما
تخلّى عن فرائضه بخيلا

فإن العقل معتزلاً شبيه
بنجم قد هوى فغدا محيلا

وما هذا الوجود سوى شعاعٍ
يحجُّب خلفه ظِلاً ظليلا

نقائض في اجتذابٍ واتصالٍ
وتأبى أن نفرقها قليلا!

قاطع طريق

(أو ضحية الكوكايين)

تخذ السبيل إلى الشكاة سبيلا!
أرأيت من قطع الطريق ذليلا؟!

كانت شجاعته التَّسولَ هكذا!
بئْسَتْ شجاعةُ من يطوف سؤولا!

صاحٍ وما هو رهن صحْوٍ، إنما
أمسى النؤومَ الواقفَ المشغولا!

وكأنه كالديدبان تهزه
خمرٌ، وما ذاق الشقي شمولا

يشكو إلى الغادى الحياة وبؤسها
شكوى تخال معيدها مقتولا!

وبصوته خطر الملحِّ مهدداً
بينا تراه المستكين طويلا

ويكاد يسقط من عياء تارة
ويكاد يحسب – إن أراد – مهولا!

والبرد يقصره فيرقص ضاحكاً
لكنه ضحك يُخال عويلا!

والريح تصفر حوله وكأنه
في ملعب قد شوّه التمثيلا!

لم يبق من ثوبٍ يقيه وصانه
إلا كساء لا يصون نحيلا

[1] أن نسعف.

قـد لفَّـه لفّـاً فبـان كأنـه ... في الكرنفـال، محـوّلاً تحـويلا!

وكأنـه كفـنٌ أطـلّ برأسـه ... شـبح كعفريـتٍ يظـل قتـيلا!

أو أنـه (إبلـيس) جـاء محجَّبـاً ... ومروعـا مـن شـامه مـذهولا!

فـإذا مضـى المغبون بعـد لقائـه ... جزعـاً كمـن لاقـى الـبلاء وبـيلا

ومـن افتـدى بالمـال بحـد لقائـه ... أو شـق في خـط الممـات سـبيلا

أوفـى علـى الشـبح العليل فتـىً لـه ... كـالهر خفتُّـه، وسـاء خلـيلا

وبمثـل لمـح الـبرق أسـعف شمـه ... ببطاقـةٍ وتناوبـا المنـديلا!

وتقاسـما المـال الـذي اقتنصـا لكـي ... يتقاسـما السـمَّ المميـتُ الجـيلا

جـرم تجسـّم في الظـلام مكـررا ... مـذ كـان بـالموت الكفيـل[1] كفـيلا[2]

* * * * *

أكـذا الحضـارة والمواهـب تغتـدي ... عبئـاً علـى هـذا الزمـان ثقـيلا؟!

صلاة العشاء

لفردي، الموسيقار الإيطالي الشهير

ردّدي ردّدي جميـل اللوديـا[3] ... يـا نعـيم الأسمـاع والأرواحِ

ردّدي للـذين يصـغون للسحـ ... ـر وكـل كحـالمٍ وهـو صـاح

ردّدي للصـلاة مـن متـع الألـ ... ـحان مـا سـال مثـل معسـولِ راح

بـين سـامي الصـعود في نغمـاتٍ ... ترفـع الحـس فـوق حـظ متـاح

---

[1] المثيل.

[2] ضامنا.

[3] Melody: أي اللحن العذب.

وقــرار علــى ســلامٍ مــن الــرا   حــة للــنفس في لذيــذ ارتيــاح
نتخلـى بهـا عـن البـؤس في الدنــ   ــيا وعــن نقمــة وعــن أتــراح
ونحـاكي الأنغـام في اللطف إسـرا   ء إلى غــير عــالم الأشــباح
يـا صـلاة الإسـعاد طـولي وأحـ   ـــيينا العِشـــاء للأصــباح!

وليمتـي

لبيت داعي الهوى من حسنه الزاهي   ورحـت أشْـوق مشـتاق إلى (الله)
مـدت موائــده حــولي وطلعتــه   ترنـوا إلـيّ، وإن غابت عن اللاهـي
والناس قد فرحوا بالخمر تسكرهم   وبالمــدائح، ملقـــاة بــأفواه[1]
بينـا (الطبيعـة) ترعـاني وتسـعدني   ببرهــا المتســامي دون أشــباه[2]
لم تتل مدحاً على سخر وفي عبث   ولم أكــن كفتــى بــالوهم تيــاه
لكنهـا عطفـت عطفـاً علـى أدبـي   وعــانقتني كــدرٍّ بــين أمــواه
فيهـا اندمجت ولم أجحد رعايتها   علـى المدى، فإليها منتهى الجـاه
وقد سـها عن غنائي من بدائعها   موتى الحياة وقلبي ليس بالسـاهي
في كـل أحلامهـا حلـم يشـوقني   جــم الجلالــة لا فــانٍ ولا واه
ومتعــة مــن معــانٍ لا يســاورها   داعي التشاؤم من غافي الورى الناهي
المشـتكي وهـو في يسـر وفي مـرح   وحظــه العمــر بــين البـث والآه
والحاسـب السـقم أو همـاً يلـم بـه   نوعاً من الرزء أو شبه الردى الداهي
لا أزدري العـيش والأتـراح حيـث أرى   من (الطبيعة) سلوى حسنها الباهي
ولـيمتي هــذه الــدنيا بأجمعهــا   فكلــها صــور مــن صــورة (الله)!

---

[1] شبّه الشاعر المدائح المغررة الكاذبة بالخمر المسكرة التي تلقى في أفواه سامعيها في ولائم الظهـور الفارغة. وقد صاغ تعبيره هذا صياغة تحقير.
[2] أي ببرها المتعالي عن الأمثلة.

هنا وهناك

قصيدة ترحيب بأستاذ الأدب والطب الدكتور عبد الرحمن بك عمر – مدير مستشفى الحكومة ورئيس (الجمعية الطبية) بالإسكندرية – في المادبة التكريمية التي أقيمت له مساء ١٩ فبراير سنة ١٩٢٨ في فندق "سمر بلاس" إثر عودته من رحلة علمية في انجلترا.

رَجَعْتَ لِتُسْعدَ (الثغْرَ) الأمينَا … فأهلاً يا إمامَ الطبِّ فينا

رجعت وقد مرضت غداة عود … فلما أن شفيت به[1] شفينا

كذاك الوصلُ في سقم غرامٍ … دفينٍ هيّج الألم الدفينا

قد ازدوجتْ تهانينا وأوحتْ … مهنئة العلى لمهنئينا

لقاؤك كان عيداً ثم أضحى … شفاؤك نعمة لمعيِّدينا

وعدت كعود (آمون) المرجّى … (لطيبة) بعد أن حرمت (أمونا)

وكالأسد الذي خلّى شُبولا … موفقة فما كفت العرينا

له شخصية العظماء بينا … له نفسية المتواضعينا

كشمسٍ تسعد الدنيا وتعلو … ولا تستصغر الملأ المدينا

حرمنا في الغياب جنى حديثٍ … شهيٍّ ينشر الأدب الثمينا

وعلمٍ مستعزٍّ كم كفانا … ولو أنا اشتياقاً ما كفينا

وخلقٍّ مستطاب إن تجلى … رأيناه نعيم المخلصينا

يلين بشاشةً ويصد حزماً … فيعشق هكذا صداً ولينا

عظيم النبل: لم يقتل جريحاً … بمعركة، ولم ينبذ طعينا

فيرضاه الخصوم رضى صحاب … إذا احتكموا ويملؤهم يقينا

---

[1] أي العود.

وما مثلي الذي يخشى اتهاماً فيوجز في صفاتك مستهينا
ولكن قد كفى وصفي تجلّى نُهى (الفاروق) عندك و(ابن سينا)
وما كان احتفاء الناس إلا وفاء، لا غلوَّ المحتقينا
ومن كانت مواهبه كباراً فما يغنى بمدح المادحينا

* * * * *

ألا حدِّث – وأمتعنا – حديثاً كعهدك راوياً[1] سمحاً معينا
ولا توجز فقد غيبت عنا وطال حنيننا فاجز الحنينا
أسابيع الفراق على وداد تمر[2] كأنما مرت[3] سنينا
بحقك في صراحة مستقلٍ ومعتقدٌ بصحب مؤمنينا
أجبنا: هل بلاد (التمز) تحكي بلاد (النيل) أخلاقاً ودينا؟
وما سر المناعة في رباها قروناً لم تزل تتلو قرونا؟
وكيف تعيش أجيالاً مناراً يشع بلا ونى للتابعينا؟
وكيف تدوم في خصب سخيٍّ بأذهان وتأوي الخالدينا؟
وهل مجهودها (للفرد) أم هل غدت خيراتها للحاكمينا؟
وهل فخر العظام لها بصيت ومال، أم فخار المصلحينا؟
وهل (للنابغين) بها حياة تذال كحالنا والنابغينا؟
وهل (للجهل) سطوة مستعز على (عقل) يدين له مهينا؟!
وهل للعلم شعوذةٌ تناهتْ فكان جهالة للعالمينا؟!
وهل (للفن) سخرية ولهوٌ وأضحى (الفكر) فيها مستكينا؟!
وهل (للشعر) ألقاب وزهوٌ ودولات تظِملُ الفاسقينا؟!

---

[1] راوياً: من روى القوم بمعنى استقى لهم.
[2] من المرارة.
[3] تولت.

وهـل (للطـب) مـا نلقـى: دعـاوى ... تعيـد لنـا زمـان السـاحرينا؟!
وهـل (للمـرأة) القسـطُ المعلّـى ... مـن التقـديس بـين العابـدينا؟!
فعـزت.. أم غـدت لهـواً ووهـماً ... ومظهـر متعـة للمالكينـا؟!
وهـل كانـت (صـحائفهم) خليطـاً ... مـن الأدران تـؤذي الناشـئينا؟!
وهـل عـادت (كنائسـهم) نهوضـاً ... فكفّـرت الهـداة الفاتحينـا؟!
وحاربـت (الـذكاء) وإن تغـالى ... وهـدّمت البنـاة المحسـنينا؟!
وكـم مـن (مالـك) أضـحى عتـواً ... يـدوس الفـالحين الزارِعينـا؟!
وكـم مـن (خـادم) لم يعـط حقـاً ... مـن الـدنيا فمـات بهـا غبينـا؟!
وهـل (حريـة الوجـدان) صـدق ... بهـا، أم أنـه صـدقاً أهينـا؟!
وهـل (للبـاحثين) بهـا مجـال ... أم ابتـدعت عـداء الباحثينـا؟!
وهـل (للجامعـات) بهـا جـلال ... وملـك لا يهـاب الثائرينـا؟
تسـود بهـا (الحقيقـة) في شمـوخٍ ... وقد عدَّت لها الحصن الحصينا؟
فتطبـع في النفـوس صـفات نبـل ... وتكسـبها الفضـائل أجمعينـا
وتمـنح (للحضـارة) فضـول نـورٍ ... يـدوم هدايـة المتمـدينينا
وكيـف غـدت (مزارعهـا) جنانـاً ... ونـور الشـمس يلحظهـا ضـنينا؟!
وأصـبحت (الحيـاة) بهـا نعيمـاً ... مقيمـاً، و(الجمـال) لهـا قرينـا؟!
وصـار (العامـل) المسـكين قـبلاً ... معـافى لا يخـاف الآجرينـا؟
قريـراً بـين مصـنعه وبيـتٍ ... فـلا يلقـى شـقاء المرهقينـا؟
إذا مـا خانـه حـظٌ فعـانى ... تلقّـى المرشـدين المسـعفينا
فهـل كـانوا بوحـدتهم بنـاء ... يـؤازر بعضـه بعضـاً أمينـا؟
وهـل أضـحى جميـع النـاس فيهـا ... علـى سـررِ الهـدى متقابلينـا؟
لهـم فخـرُ (الأمانـة) قبـل فخـرِ ... ببـأسٍ أو بمجـد الغابرينـا

وكلٌّ حقه حيٌّ، وكل ... له فيها حياة الآمنينا
كأن (انجلترا) في كل فرد ... وقد ملك البوارج والسفينا!
لنهضته الجهود بكل قطرٍ ... حوى إخوانه المستبسلينا
ترى الإيثار مبدأه، ولكن ... برغم مداه لا تلقى غبينا
فيكرم بعضه بعضاً ببر ... ويحيون التساوي فاخرينا
ويحترمون (حكم الشعب) حتى ... غدوا علماً له في العالمينا
فما عرفوا التحكّم من فريق ... يسود ولا نهى المستوزرينا
وفيهم من أصالتهم دليلٌ ... إلى حسن التوسّط ظافرينا
إذا سألوا: فكم يسدون نفعاً ... إلى الوطن المفدّى والبنينا
وليس سؤال من عاثوا فساداً ... لينتفعوا، وكانوا هادمينا!
أجبنا! ثم حدِّثنا بوعظٍ ... فأشهى الوعظِ وعظُ السائحينا
رحلت بروح تلميذ وديع ... وأنت معلم لمعلمينا
وعُدْتَ لتخدم الوطن المربّي ... مواهب قد برَهْن المعجبينا
ونحن الكاسبون بأي حالٍ ... زكاةً لا ترد السائلينا
فإن تغنم فغنمك في شعورٍ ... بأنك تسعد الوطن الحزينا
وقد حرنا بأسباب نراها ... لعثرتنا، فناج الحائرينا
بمثلك يقتدى في درس داء ... ويوصف طبه لليائسينا
فأهلاً بابتسامك! ثم أهلاً ... بعودٍ ينشر الإصلاح فينا!

الينبـــوع

La Source

(من تصوير إنجرز J. A. D. – ١٧٨٠م، ١٨٦٧م)

بَلَــغَ التَّخَيُّــلُ منــكِ غايــةَ سُــؤْلِهِ ... وكـذا الحقيقـةُ في الخَيـالِ تَضُـوعُ
هـل كـان للـدنيا سـواك رجاؤهـا ... أو كـان غـير جمالـك الينبـوع؟!
بنـت (الطبيعـة) أنـت، آيـة فنهـا ... فعلــى روائــك فنهــا المطبــوع
تعبـت ملايـين القـرون فأبـدعت ... ووفــت: فكــان ســناؤك المتبــوع
قسـماً بـه لـولاك مـا حفـز النهـى ... داعٍ، ولا صـحب النبـوغَ سـطوع
لـولاك أعلنـت العواطـف يتمهـا ... وقضـى علـى لـب الحيـاة الجـوع
منـك اسـتمد الملـهمون وأثمـروا ... فالأصـل أنـت ومـا عـداه فـروع
فـإذا اعتـززت فـإن عصـرك سـيدٌ ... وإذا أهنــت فعــزه ممنــوع!
ووقفــتِ عاريــةً فكنــتِ أمينــةً ... للحســنِ حــين عــدوُه المصــنوع
في حافــة النبــع المرحــب مثلمــا ... بالبــدر رحَّــب مــاؤه المســموع
وعرضت في فتن انثنائك ما اشتهت ... عـين، ومـا سـفكت لديـه دمـوع
وقلبـتِ جرّتـك العزيـزة فـارتوى ... مـن مائهـا الينبـوعُ فهـو زروع
أودعتِــه غرســاً لظلــك مثلمــا ... أودعتــه ألقــاً يظــل يــروع
والنـرجس النـامي بقربـك مفعـمُ ... عبقــاً، كــذلك لحظــه مرفــوع
وأرى الجـدار قـد اسـتحال مباءة ... للـوحي، واسـتولى عليـه خشـوع
والناميـات حيالَــه مــن خضــرة ... هــي للمحبــة نضــرة وذيــوع
والمـاء – وهـو يسـيل بـين أناملٍ ... لـك – كـالحظوظ يفوتهـا المفجـوع
وأرى يمينـك فـوق رأسـك وحـدها ... كالتــاجِ زيّنــه ســنىً وولــوع
وعرفـتُ أنـكِ أنـت نـورٌ أو شـذى ... متجسِّــمٌ، مستأسِــرٌ، مجمــوع
هـذا هـو الينبـوع، لا النبـع الـذي ... أســديته روحــاً لــديك يضــوع!

(مداعبة من الشاعر إلى صديقه الأستاذ علي أدهم)

أديبَ الناقدين لخير جيلٍ ... يرى بعُلاكَ إعزازَ الكتابَهْ
تهجَّلنا[1] فباركنا فإنا ... نرى في الفكر نوعاً من قَرابه
وأنت خليفةٌ في أرض (منفٍ) ... لمن (للكون) قد عرف انتسابه
ومن جعل "التناقض" في "اتصال" ... فوحّد ما رأى وأبى اقتضابه[2]
ومن نسب "التنوع" في صفات ... "لوحدة" عالمٍ جم المهابه
وما زالت "رسالته" حديثاً ... يعيش، ولم يزل يوحي خطابه
ويتلى في المكاتب من ذويه ... بعزة مسلمٍ يتلو (كتابه)
فباركنا إذن واعطف علينا ... لعلك ناشر بر الصحابه!
لعلك تثبت الإيمان فينا ... فعندك يذكر الإيمان بابه
نئنُّ بفقرنا... هل كان وهماً ... وعندك يرتجي العاني صوابه؟
فإن كان "التناقض" محض وهم ... فبلغنا الغنى وابعث حسابه!
وخذ منا إلى (هجل) خضوعاً ... إلى الأبد القصيِّ ونل ثوابه!
ولا تطمع بإيمانٍ إذا ما ... عددت رجاءنا هذا دعابه!
إذا عدم الفقير الحظ عمراً ... فما نسي النعيم ولا سرابه!

---

[1] أي تمذهبنا بمذهب (هجل) وهو الفيلسوف الألماني الشهير (١٧٧٩م – ١٨٣١م) صاحب المذهب القائل بأن كل ما هو معقول حقيقي، وكل ما هو حقيقي معقول. وكان يعتقد بوجود وحدة مطلقة تتألف حقيقتها من التمثل المتنوع في الأفراد. وبعبارة أخرى كان يعتقد أن الوحدة والتنويع كلاهما لازمٌ للاخر. وقاعدته الثلاثية الفلسفية هي: التأكيد، فالتناقض، فالتأليف. ونظريته من أوفق النظريات للتقريب بين المتناقضات الظاهرة في الحياة. وهذه نقطة الدعابة بين الناظم وبين صديقه الأستاذ علي أدهم أشد المنتصرين (لهجل) في مصر.

[2] أي وأبى قطع الاتصال.

منـاظرة وحنــان

(نموذج من الشعر المرسل المتنوع الوزن – أي الشعر الحر، free verse – في وصف حسان أوروبيات ازدنّ بالأزهار وجلسن يتأملن في المرايا تجاه بعضهن في مجتمع عام.)

..... وجلسن بين تناظرٍ متأملاتٍ في المرائي
فلم التناظر؟
الحسن وحدته تجلٍ وإن تنوّع أو تباين
فله الجلاله!
وللمحبين أشواق وتقديس
هيهات يحصرها داع إلى حصر!
فالحسن سلطان، والجوهر الأسنى
لا قسمة المظهر،
مهما ازدهى وغلا!
وكأنما الأزهار أيضاً قد حنن إلى التناظر!
ما كن حليتهن، لكن كن رسل العاشقين
وكأن كلا تشتهي أبهى التفوق في الملاحة
وكذا الحسن ليس يتبع آخر،
بينا الأسارى التابعون على افتتان رهن رحمه!
أنظر إلى الأزهار!
أنظر جميل التثنّي!
وضعن في الأكمام

وكن بين اهتزاز ونشوة من غرام!
والزهر كالناس يهفو إلى الثغور الجميله!
فيا بنات الرشاقه!
إرحمن أزهار حب حياتها للجمال!
وقد كفاكنّ أنا ضحية الحرمان
فرحمة بالأزاهر!
فإنها ترجمان وإننا القارئون
وإننا العابدون!
عطفاً عليها لتحيا!
عطفاً عليها بقبله!
كأن هذا نعيم لنا وإن غاب عنا!
محبة الحسن لا تقضى بإيثار
ومن أحب (الطبيعه)
رأى نعيم سواه كمتعة قد أتته!
دعن المرائي إذن وانظرن في الأزهار
تنظرن أرواح ناس قلوبهم كالأزاهر!

محرر الفلاح

(أحمد لطفي السيد بك)

عَلَّمْتَـــهُ بـــالأمْسِ أنَّ بِـــلاَدَهُ ... لــن تَسْـتَعِزَّ إذا استمر التَّابعــا
فغـدوت أنـتَ لـه المـدين بمأمـل ... حتـى يصـير بـك الأعـز الـدافعا

ومـن العجائـب في الحيـاة لفـاتحٍ أن لا يـرى في الفـتح حظـاً ذائعـا
كونـــت للفـــلاح نبـــل ضـــميره فيمـا د.بـوت، ولا يـزال الطامعـا
فـإذا رجعـتَ عـن الجهـاد تركتَـه في غصـة يلقـى المصـائب جائعـا
وإذا وقفتَ – ولا وقوف لنهضـةٍ – آلمــتَ أبصــاراً لنــا ومســامعا
وإذن فمـــا أولاك أنـــت بعزمـــة فيمـــا بـــدأت محـــرِّراً ومقارِعـــا
حتـى يصـير أبـو الحيـاة بقطرنـا حيــاً، وروحــاً للمــآثر شــائعا
والشـعب إن يغفـل حقـوقَ صـغيره أضـحى الكبير بـه الصـغير الضـائعا!

خلود الوفاء

إذا مـــا ذكـــرتُ خُلُـــودَ الوفـــاءْ ذكـرتُ اتّصــالَ النفـوسِ الوفيَّــهْ
لهـا وحـدةٌ مـن نهـىً أو إخـاء تعــيش بعيشــتها في البرِيَّــه

* * * * *

فلــيس الوفـــاء إذنْ كالجميـــل ومــا هــو إحســان حــرٍّ لعبــدِ
ولكنـــه طبـــع روحٍ أصـــيلٍ تـــوزع، لكـــن لـــردٍّ وردٍّ

* * * * *

فــلا تــرجُ يومــاً وفــاءً صــحيحاً يــدوم ســوى مــن فــؤاد شــقيق
ولا تُجْـــزِهِ عنـــد بـــر مـــديحاً فتمــدحَ نفســك مــدحَ الرقيــق

* * * * *

ولكـــن عليـــك صـــلاحُ الأنـــام فينمـــو الإخـــاء وينمـــو الوفـــاء
فـــإن ســـلِما عـــزَّ ملـــك الســـلام وصـــار خلـــود الوفـــاء الرجـــاء

تشــــاؤمي

تشَاءَمْتُ حتّى قد وجدتُ تشاؤُمي
تفاؤلَ مَنْ ينأى عن العَرَض الفاني

وكم من همومٍ مُرةٍ قد شربتها
لنفسي وغيري في الحياة كإنسان

وما غاب عني ما بها من مسائىء
ومجمع آلام ومعرض أحزان

ولم أنسَ يوماً ما حيالي من الأذى
إذا نسي الثاوي بجيرة بركان[1]

ولكنني وجهت بحثي وخاطري
إلى خلف ما تبدي الحياة لوسنان

إلى ذلك الصفو اللباب من الحجى
إلى الأمل الحي المهيب بوجداني

إلى ما وعت دنيايَ من روحٍ خيرها
وعاملِها !الساعي ومُصلِحها الباني

إلى قوة غلّابةٍ ليس ينتهي
لها عمل الإنشاء والهدم في آن

فأبصرتُ روحاً للجمال مجدّدةً
وأدركتُ أنا للجمال كقربان

فعزى فؤادي أن أكون ضحية
وأن يهب التجميل للكون حرماني

وإني إذا ما متُّ خلّفتُ حبرةً
لدنيايَ تستهدي بها بعد فقداني

فيكسب نوعي[2] بعد خسري، وربحه
أجلُّ، كأن الخُسر ليس بُخسران!

فأصبحْت حرّ النفسِ أستمرئ الأسى
ووجدي، كأن الهم غاية سلواني!

وأيقنت أني صنو دنيايَ، فالذي
ترجّى رجائي، وهي رشدي وحسباني

وما خفت موتي كالغريب الذي قضى
وحيداً، فعمري والمنيَّةُ سيان

حياة على الآباد تبقى بنوعها
وما عدمت للخلد أسطع برهان

فلما اطمأن الفكر ضحّت عواطفي
بأنسي ولذّاتي وأجمل ريحاني

وأمتعت روحي بالنعيم الذي أبى
سخاء بوحي للعتيّ[3] وللجاني

---

[1] أي بأماكن مجاورة لبركان.
[2] أي النوع الإنساني.
[3] الظالم الغاشم.

ومـا لاح إلا لامـرئ عـافَ إثـرة فعُدَّ شقيَّ الحظ وهو هو الهاني

فيا بـؤسَ زُرْ والهمّ قلبي وعذِّبا فلن تهدما يوماً معاقل إيماني

تـذوقت مـر العيش حتى جعلته دوائي إذا ما الخطب أقبل يغشاني

ووزعت روحي في الوجود بأسره فبات جحيم العيش أنضر بستان!

وطـن الضبـاب

(إنجلترا)

عَـدُوكِ دارَ الضَّـبابِ ولـذَّتي في ضَـبابكْ

قـد كـان شبه سياج إلا لـدى أصحابك

مـا ضـاق صدريَ منه بل ضاق بعد احتجاجك

وكنـت في الأسـر حـراً والآن رهـن ببابـك

مـن عـاب لم يدر معنى عـلاك أو آدابـك

الحسـن فيـك عزيـزٌ متـوّجٌ بهضابك

والمجـد فيـك أصـيل في النـاس مثـل ترابـك

بنـاك خلـق أبـيّ يصون سحر شبابك

فكـان عيشـي صـلاة لـديك في محرابك

و(التمـز) ديـوان شعرٍ مخضّـبٌ بخضابك

والريـف مـرآة طُهـرٍ ممثـل في كعابـك

يـروي النفـوس حبـوراً كريّـهِ مـن سحابك

والغـرس فيـك شموخٌ ألـيس مـن أحبابك؟

وكـل مـا فيـك حـي، لأنـه مـن كتابـك

* * * * *

من مبدلي شمسَ (مصرٍ) بنفحـة مـن ضـبابك؟!

الممـــات

عرفـتُ (الممـاتَ) صـديقَ العليـلْ وإنْ كـان يُجْحَـدُ هـذا الجميـلْ
كـريمٌ ولكنـه كالبخيـل إذا مـا تباطـأ عند الجـواب!

* * * * *

يـداوي وإن كـان منـه الجـروح فـروحٌ تُسـرُّ وأهـل تنـوح
فيـا آسـياً بـرؤه كـالقروح شـكرتك شـكر الثـرى للربـاب

* * * * *

شـكرتك إن كنـت تعنـى بسـؤلي وقـدرتني مثـل خِـلٍّ لخـلٍّ
فمـا سُـمْتَني حـال حـزن وذل ولكـن حميـت فـؤادي العـذاب

* * * * *

تمـر السـنين بوعـد اللقـاء ولا شـك أنـك رب الوفـاء
فهـل لـك – يـوم تلـبي الرجـاء فتـأتي – التـودد مثـل الصـحاب؟

* * * * *

فتنبئنـا مؤذنـاً بـالوفود لكـي نتنكّـب عمـا يعـود
لوعـدٍ، فتنصـف هـذا الوجـود وننصـف أنفسـنا في الـتراب؟

* * * * *

تقابـل لا بانتضـاء السـيوف ولا بالأغـاني ونقـر الـدفوف
كمـا في الدُّجُنَّـة وحـشٌ يطـوف –ولا كـالوحوش–ويفشـي الخـراب!

* * * * *

كـأن الـورى عنـد فـوت الأجـل أمامـك في الـروع صـرعى الشـلل
نسـوا مـا الـدفاع وسـر الحيـل نسـوا مـا عـداك ووقـع المصـاب!

* * * * *

ولكنني من عجمت الحياة   ورضت الحظوظ وذقت الممات
ومن نغم البؤس شعراً، فبات   غذائي، أنغم هذا الشراب!

* * * * *

ولن تتقصّف مني الضلوع   بحسرة عانٍ وقلب مروع
ولكن ألاقيك بين الدموع   كأني ألاقي أحب الكعاب

* * * * *

وأنهل من قينةٍ في تحية   شهيّ العزاء لنفس شقيه
وأصدع عن نفسيَ المستحيّه   قسية[1] أغلالها كالشهاب

* * * * *

وما كل سؤلي سوى أن أُوفي   ديوني لجنسي وأهلي ونفسي
فما كان عيش الغطاريف[2] يكفي   أبياً يرى اللهو عيش الذباب!

* * * * *

فدعني إذن كي أوفي ديوني   فأسلم من لؤم ناس وهون
وإن عد سؤلي شبيه الجنون   بفوضى الحياة التي لا تعاب!

* * * * *

حياة تمر وقد لا تعود   بصورتها في مجالي الوجود
فلست أودِّعها في جحود   ولست أودِّعها في ارتياب

* * * * *

ولكن أودِّعها في يقينٍ   بأني خليٌّ ولست المدين
بروحٍ طليق ولب رصينٍ   يشق السبيل له في الضباب!

* * * * *

---

[1] قسية: زائفة.
[2] بمعنى الغطارفة: مفرد الغطريف وهو السيد وأيضاً بمعنى الذباب. والمناسبة واضحة في الشطر الثاني للبيت.

وحينئـــذ لا أهـــاب انتقـــالي   ولا أتجـــانف[1] يـــوم ارتحـــالي

عن النفـي دهـري وعن فقـد مـالي   مـن الحـظ أو مـن بقايـا الشـباب!

* * * * *

فـــأترك خلفـــي مـــآثر عمـــري   شـذا الزهـر بعـد انـدثار الزهـر

يبـــث لشـــم، وحـــب، وفكـــر   وتُتلـــى طرائفـــه في كتـــاب!

بلاسكو إيبانز

(١٨٦٧م – ١٩٢٨م)

(بلاسكو)! تَمُوتُ اليومَ في النَّفْي بينما   تعيشُ بـدُنْيَا قـد ملكتَ وأوطـانِ

وترثيـكَ آلافُ العقـول الـتي نمـت   بنـورك في ليـل مـن الخـوف لهفـان

ويسكنُ هـذا الصـدر بعـد اعتيـاده   طليقَ الهواء الصفوِ في قرب غدران[2]

عنـتْ رئتـاكَ اليومَ للموت بعـد مـا   تعودتـــا حريـــةً دون إيـــذان

فيـا أسـفي للحـر يمضـي كعبـده   ويـا ألم العقبـان في مـوت غربـان

وإن كـان في مـوت العظـيم مهابـة   يحس بهـا النـائي ويلمحهـا الرانـي

ويـذهل في تكييفهـا كـل باحـث   ذَهـولِ جبـان عنـد وثبـة طعَّـان

تمـوت ممـات الخلـد وهـو خرافـة   وحـق، كـأن الخلـد والمـوت سـيان

تهـز نفـوس العَابـدين جلالـة   لحكمتـك الكـبرى بحـيرة إيمـان

كـأن لم تكـن بـالأمس أنـت عزاءهـم   ومبعـث هـم للتجـدد في آن

---

[1] ولا أتمايل.

[2] مات بلاسكو ليباتز الأديب العالمي الجمهوري بالتهاب رئوي مفاجأة في كرمته بمنتون (بـالريفيير ا بفـرنسا) يوم ٢٨ يناير سنة ١٩٢٨م على أثر مرضه الذي لم يمهله سوى أيام ثلاثة، وكان منفيا مـن وطنه أسبانيا أو هارباً من الاضطهاد لدعايته الجمهورية.

وواصِفَ دنياهم بخبرة سائح ... وواصف أُخراهم بدقة فنان

و (بالمثل الأعلى) فتنت، وزدتهم ... من الفن فتاناً يضيء لفتَّان

فلاع بدع إن رِيْعَتْ قلوب ذكية ... ولا عجب في لوعة جنب نكران

مماتك إصغارُ الهوانِ لعالمٍ ... من الفكر قد لاقى الوجود بعصيان

فمثلك ترثيه البرية، إذ ترى ... منيتَهُ للعالمين كعنوان

وترثي به آلامها ورجاءها ... وأجرأ إنسانٍ، وأرحم إنسان

وما مدمعي هذا سوى قطرة جرت ... إلى سيل إشفاقٍ، إلى بحر أشجان

وأنت لهذا الكون تُعزى، فواجبي ... وفاء لمن بالفكر يرفع من شأني

بكل ربوع الفكر قامت مناحة ... وإن حجبت، فاقبل لواعج عرفاني

* * * * *

كبير العلى! ما قيمة العمر والعلى ... سوى في وفاء الكون من مصلحٍ بان

وأنت منحت الكون أضعاف مَنحِه ... جَنانك، حتى كنت أكبر جنَّان[1]

وبرهنتَ برهانَ النبوغ موفقاً ... بأنك من يأبى الحياة كإحسان!

فوفيت ديناً ثم زدت، فهل لنا ... بأن نسأل الدنيا الوفاء بحسبان؟

أم النبل أن نرقى برتبة نوعنا ... ونتبع هذا الرشد منك كفُرقان؟

شخوص بلا حصرٍ وصفت محللاً ... كأنك رسامٌ لمقبل أزمان

لتنتفع الأقدار من وصفك الذي ... به الدرس والتبيان معجز إتقان

وتقتبس الأجيال من علمك الذي ... تنوع تطبيقاً لرفعة وجدان

ولو كنتَ خلّاقاً بدنيا جديدة ... لكنتَ بهذا العلم خالقَها الثاني!

* * * * *

نشأت بحكم العسف حراً شعاره ... إخاءٌ وتحريرٌ لفكرٍ وعبدان

---

[1] الجنان: البستاني.

فأصليتَ من خاصمتَه النار ثائراً   بمنطقك المتبوع من حب شبان
وكنتم شفاءً للجروح، وكنتمو   على الظلم مدحوراً قذائف بركان
ولكن رماد النار ينسى، وهكذا   نسيتم، فأصليتم مجدد نيران
وذقتم من السجن الوبيل مصائباً   وأسراً وتحقيراً، كزمرة جرذان[1]
عناء به أثبتَّ حقك في العلى   فما دانت العلياء يوماً لغفلان
وصرت وصحبٍ ناصروك أعزة   لشعبٍ رأى التكريم أجدر بالعاني
تجشمت أهوالاً، فما دنت مرة   لظلم، ولا كنت المذبذب والواني
نشأت العصي الذمر[2] منذ حداثةٍ   ترى العارَ عيشَ الجبنِ في ظل طغيان
ترى الطوعَ للإصلاح والعلم عندما   يصون أماني الناس من خبث شيطان
قضَيت الشباب الصفو ظمآن ثائراً   ومُتَّ ولم تهدأ بحرقة ظمآن
ومَان اليراع الحر نَهْذَمَ فاتحٍ   وصمصامة الساعي إلى الخطر القاني
جريحٍ، ولكن صبره جُنة[3] له   تدرَّعه، والجرح شارة فرسان
وما رتَلُ الأزهار[4] أشهى لفاتح   وأغلى من الآلام في رفع بنيان
كفتك غنىً في النفس أو عزة لها   فإن الغنى أن لا تحن لغنيان
وقد كنت تاجاً للقناعة في الغنى   وأحسب هذا التاج زينة تيجان
وكنت أميراً في الصحافة فاغتدتْ   بسلطتها تعلو على كل سلطان
تهز العتيَّ الظلم وهو مدرع   وتهدي إلى الألباب طاقة بستاني

---

[1] إشارة إلى ما ابتلى به وأصحابه من تعذيب وسجن في صباه إذ كان متحمساً بشدة يدعو إلى الحكم الجمهوري ويحلم بإنشاء نظام كنظام الولايات المتحدة في بلاده، فما كادت تهبط حرارة الحركة الجمهورية حتى أذيق ويلات الانتقام، ولكن عقيدته لم تتزعزع برغم ما عاناه من شدائد.

[2] الذمر (بكسر فسكون): الشجاع.

[3] جنة (بضم الجيم): ترس.

[4] المتناسق: المنتظم حسناً منها.

وكنت المعين الغمر تسقي ظوامئاً إلى الحق حيث الحق سلعة دهقان[1]
وكنت الذي خلى النيابة رتبة تجل، ومنه الوحي شع لأقران
مراراً تجلى في النيابة بينما (بلنسية) الحسناء تزهى بتبيان
إلى أن تنادى النابهون وقدروا جلالك في حب بذلت وعدوان
فسرت إلى (الدنيا الجديدة) حاملاً لواء النبوغ الفذ في عزم يقظان
تلبي نداءً من قلوب كبيرة تجلت ألوفاً في حفاوة لقيان[2]
فلقنتها ما شئت من أدب العلى شهوراً بتطواف وكنت بها الهاني
وكانت بك الأخرى على نعمة الهوى فطبت وطابت في وفاء وتحنان
وساقتك شوقاً للفلاحة نزعة إلى الفن قبل المال أو يسر خلصان[3]
فكم حن للأرض الذي عز فنه حنينَ الذي يعنو إلى وجه ديان!
وعاد إلى حب (الطبيعة) خاشعاً فتاها الذي ناجته من بين خلان
فمن ذا الذي ينهاك عنها بنقده إذا كان في حس ولذة ضحيان[4]؟!
مساع له فخر الجهاد، وهكذا حياتك أمثال تزف لشجعان
منحت(بتاجونيا) فتوحاً جليلة من الخصب معواناً لنصرة معوان[5]
وعدت إلى نهر الحياة موزعاً نضوجك في علم ودربة إمكان
فما أبت للتحريض ناراً، وإنما مزجت لهيب السخط بالأدب الحاني
قصصت حياة قد بلوت ضروبها: فمن طوع أوهام إلى رفع أوثان

---

[1] الدهقان: التاجر.
[2] لقيان: استقبال. إشارة إلى الحفاوة الحارة التي وجدها في (بيونس آيرس) حيث استقبله ثمانون ألفاً من مريديه.
[3] الخلصان: الأخوان الأوفياء. ويستوي في هذا اللفظ المفرد والجمع.
[4] ضحيان: مستمتع بالنور.
[5] أي الشعب الأرجنتيني الذي أحبه، وبتاجونيا من مقاطعات الأرجنتين حيث أنشأ بلاسكو إيبانز مستعمراته الزراعية.

وكيفَ بها الإنسان رغم حظوظه يسوق إلى أنثاه أجمل قربان
وكيف رجال الدين يبنون دورهم على نقض ما للعلم من شمٍّ أركان
وكيف جنت هذي السياسة دائماً على الناس حزناً لا يقاس بأحزان
ولما دعا داعي الحضارة للوغى[1] بذلت ولم تعبأ بصفقة خسران
وضحيت ما ضحيت من جهدك الذي كفى سُرر الآداب من رفعة الشان
وكانت به أولى، ولكن بذلته لظنك أن السيف ليس بخوَّان
فكنت تراعى كاللغيف[2] وقد مضى لصوص الوغى بالنصر في فرط كفران
وألفت سفراً ينصر الحق نشره فذاع كإنجيلٍ، وضاع بنسيان
وما زالت الدنيا بشرٍّ، وما انقضت عروش، وإن ثُلَّث عروش لبلدان
وما برح (الغرب) الشقيّ مرقصاً على الجمر محجوباً[3] بحجاب بهتان
وما فتئ المنهوب يرضى بحظه من النهب باسم الملك أو باسم صلبان
وما كان كل العدل في صف جيرة ولا كان كل الجرم في صف (جرمان)
ولا كل أذّان بدعوى حضارة أصاب كما تحيا الصلاة بأذّان[4]
ولو كان (دنتي) في الحياة لصاغها مهازله الأخرى بأروع ديوان!
فاشجاك ما أشجى قلوباً كبيرة وآثرت عيش النفي بل عيش إمعان
ولم ترضَ يوماً أن تكون مطيةً لشهوة حكّامٍ، فكنت كميزان
وكنتَ مليكاً دون تاجٍ يهابه أولو البغي: من عاشوا بلذة إثخان[5]

---

[1] إشارة إلى الحرب العالمية وانتصاره للحلفاء.

[2] اللغيف: من يحرس متاع اللصوص ولا يسرق معهم، وكتاب الحرب المشار إليه هو المسمى (الفرسان الأربعة) وقدراج رواجها نادراً، ودر خيراً كثيراً على ناشره الذي كان اشترى حق الطبع من المؤلف بمبلغ تافه.

[3] أي الجمر.

[4] الأذان: الأنين، والصيغة وضعية للمبالغة كعليم وعلام.

[5] الإثخان: المبالغة في القتل.

شـريدٌ، عزيـزٌ، مسـتقلٌ، شـعوبه ... أعـم مـن الحصـر المخـص بابـدان
وميراثـه للنـاس مـيراث ماجـد ... أبى خسرهم، وهو المصاب بحرمان
قضـى حـرداً[1] فيِ معزلٍ عن ربوعـه ... وإن عاش في كون من الفكر روحاني
يفكـر في تـأليف دنيـا فتيـة ... كتابـاً، ويحكـي مـن مـداه لفتيـان[2]
فعاجلـه المـوت الـذي غـال قبلـه ... كنـوزاً أو آيـات أو نفـس أذهـان
وخلفنـا فيِ حـيرة الشـك والأسـى ... من الأمل الباقي إلى العرض الفاني

* * * * *

فيـا راحـلاً، والعـالم الحـرُّ نـادبٌ: ... صديقك والخصـم المعاند صنوان
فإنــك فنــان وللفــن حرمــة ... وإن أخطأ التقدير في حال إدجان[4]
ولا بـد مـن تـاج بكـى لـك خلسـة[3] ... كمـا نحـن أسـوانٌ يبـث لأسـوان
ومـا كـان فينـا كـاره التـاج إنمـا، ... جزعنـا لأن يطـوى النبـوغ بأكفـان
وإنـي كفـرد أشـتهي مـن يـذمني ... إذا كـان مفتنّـاً بأسـلوبه الشـاني!
فكيـف بذي بـأسٍ عـلا عـن شماتـة ... وإن كان مضطراً إلى خطة الجاني؟
ولـو كنـتُ في قـدرٍ كقـدرك لم يكـن ... رثـائيَ إلاّ قصـةً ذات ألـوان
أضـمّنها إقـدامك العمـر، مثلمـا ... أضمنها ما لاح من مجدك الثاني
وأروي حنينـاً مـن تـراب بمـوطن ... بعيـد، ومـن شمـس لديـه وريحـان
وأحكي فخاراً في ثرى مدفنِ العلى ... (بمنتون) إذ ضم (الحياة) بجثمان
علـى لا المـات اليـوم رغـم شـكوكنا ... يجـازف مزهـواً بأسـوإ إعـلان

---

[1] حردا بكسر الراء: منفردا.
[2] هو كتابه الأخير المسمى (شباب العالم) وكان مشتغلا فيه قبيل مرضه وكان يتحدث عنه حتى دقائق قبل وفاته.
[3] إشارة إلى تقدير الملك ألفونسو له برغم عداء بلاسكو ليبانز للملكية، وبرغم تأليفه كتابا ضد مليكه بالذات إذ وصفه بالألعبان!
[4] الإدجان: حالة إلباس الغيم الأرض وإمطارَ السماء والمطر الكثير (القاموس المحيط) والمعنى المقصود: حالة الظلام والاضطراب.

ولا الفيلسوف النافذ الرأي يدعي يقيناً بعقباها، ولا شرط إيقان
ولا الملك – الرافيك رغم قطيعة – ليجحدها، أو يزدري بأسها الداني
فحسبي إذن شعر العواطف والأسى فإني إذا حاولت وصفك أعياني
وما الشعر إلاّ للجمالِ مآله وسيرتك العلياء زينة أوزاني
وما الشعر إلاّ الحس بعد حدوده وقد كاد حسّي في وفاتك ينعاني
وحسبك موتاً لفظة الروح هادئاً على صدر من راعتك من غير نشدان[1]
بذلت لها حب الحياة بأسرها فجازتك براً لا يقاس بأثمان
وحببت الموت الأليم لكاره وأعطتك صفو الموت من حب أوطان

جوابي

عَدَدْتُمْ ثباتي في يقينيَ ضلَّةً أصَبْتُمْ! فخلُّوني إذنْ ثابتاً وحْدي
لعمريَ ما باليتُ يوماً بجمعِكم خصيماً، كأني شامخاً لست بالفرد!
ولكنما باليتُ عمري بمبدئي ففي مبدئي عرض وأكرم ما عندي
وأوذيتِ حتى قد تمتعت بالأذى وبالحسد المشقي، وبالألم المردي!
ولم أكترث بالغامطينَ وحربهم وإن أنا أدبت المنافق عن عمد
سبيلي قويمٌ لا ضَلال بنهجِه وما كان رجمي ما يثبط من قصدي
فإن كان لي في جرأتي وصراحتي وفي تضحياتي ما حملتم من النقد
وإن كان حبي للحقيقة سنة وما حبها إلا التعالي بلا حد
وإن كان سبقي وابتكاريَ ذلة ولم أر كالتجديد أقرب للجد

---

[1] إشارة إلى زوجته، فإنه مات واضعا رأسه على كتفها، وكان يحادثها ويحادث ولديه قبل وفاته المباغتة.

فلا خير لي في مدحِكم بسلاسلٍ فإنَّ مديحَ العبدِ أصلحُ للعبد!
وأهلاً بطعني حين أمضي مسدداً خطاي، وأقضي بعد سد على سد!
وما خدم الأحرار مثل خصومهم ولا خدم الإبداع مثل ذوي الحقد!
وحسبيَ أني منتج من حشاشتي مآثرَ نفسي للمآثرِ من بعدي
ولستُ أحاكي من شكوا في قبورهم ولا أنا مثل القرد يفتن بالقرد!
أسير مسير النجم والرجم حوله وهيهات ينبو عن مدار وعن وعد!
وما فقده إلا اندماجاً بصنوه وهل كان فقد النجم نوعاً من النقد؟
ولي مذهبي، لا أستطيع خيانةً له، أو عزوفاً عن رجائيَ أو ودي
وما ضرني أن تجهلوا ما أردته وأن تنكروا أو تبخسوا ما به مجدي!
فحسبيَ أني طابعٌ نهضةً بدتْ بطابَعي الفنان في المثل والضد
يسير بها شعري الطليقُ محرراً وإن كان بعض الناس ينعم بالقيد!
وأبى مصف الناس في غير نشوة من الزهو، لكن في نُبُوٍّ عن الغمد!
فإما أشق الكون طوعاً لمهجتي وإما أشق اللحد في موت معتد!

آمـــال

(تهنئة من الشاعر إلى صديقه الإستاذ علي أدهم بعزيزته (آمال) في الذكرى الأولى لميلادها – ١١ فبراير سنة ١٩٢٨)

أخي! طربتُ لعيدٍ أنتَ خالِقُهُ فاقبلْ تحيةَ آمالي {لآمالِ}
عيد تهشُّ له عيد نكرمه وقدره فوق قدر الجاه والمال
يكفيه زيناً صفاتٌ منكَ زاهيةٌ تشع في جيلنا الراجيك للتالي

يكفيه حب أبٍ وافرٍ لفلسفةٍ كأنها بنته الأخرى لإقبال
وحبه أدب التاريخ يرفعه كأنه إبن له في بره الغالي
عام مضى وله الأعوام تالية أجزاء ديوان شعر باسم حال
حتى تزف بيوم العرس نرقبه إلى محب العلى من حبك العالي
وما جعلت نظيمي طوع تهنئة لكن جعلت نظيمي طوع إجلال
وأنني والد أحنو على ولدي وأنت في الأدب المحبوب من آلي

على باب المستشفى

(في يوم الزيارة للسيدات)

أُعيذكَ من وقفةٍ أشبهتْ بروعتها يومَ حشرِ الأنامْ
وقد شمل الحشد شرّ السواد ملاءاتَ نسوتنا في ازدحام
وقد أوصد الباب حتى يحين قدوم الطبيب، فزاد الزحام
ولم تمنح الشمس من نورها جمالاً ونوراً لهذا الظلام
فأنّى التفتَ وجدتَ السواد وأنّى نظرتَ رأيتَ الخِصام
مئاتٍ تكفنَّ في لبسهنَّ وفي جهلهنَّ بموتٍ زؤام
تفوح الروائح من نتنهنَّ "مفتقة" من خبيث الطعام!
وأطفالهنَّ بشبه اختناقٍ وأنا فهنَّ بشبه اصطدام
وحام الذباب عليهنَّ لما تصبَّبن من عرق في انتقام!
كما حام بعض الرجال الألى يحبُّون في العيش رزق اللئام
ومن ذلِ من باعةٍ روَّجوا صنوفَ الغذاء الشبيبة السمام
فلما أردت المضيَّ لبيتي وروعت من خوف هذا الصدام

دفعت صديقي الذي زارني أمامي وقلت: "عليك السلام!"
فقال: "تفضل!" فقلت: "عفاء علـيَّ إذا كنت غر الأنام
فإنك أولى بفضلٍ فدعني بسيري تباعك يا ابن الكرام!"
فسار وسرت فلما خرجنا من الحشر كنا فقدنا الكلام!

النبوغ السجين

(إلى الصديق الشاعر العبقري الأستاذ عبد الرحمن شكري)

إذا جحدَ الفذَّ النُّبوغَ مُعاندٌ ففي الكونِ مِنْ برِّ النُّبوغِ حسيبُ[1]
وأنتَ برغم الصمتِ أفصحُ شاعرٍ يئنُّ فتبكي للأنين قلوب
وينتقص الحسّاد آيات خلده فيزدادُ مجداً في الخلود يطيب
تبسّم ولا تحزن بدنيا عبوسة فإنك قبلي للنفوس طبيب!
ولا تشكُ من لؤم الأنام فإنما شهادة نبلٍ أن يذم أريب
تقبل إذن مني تهانئ مخلص على القدحِ، فهو المدح، وهو عجيب!
مضت زمر الأعوام والدهر عاصف وقلبي على مر الزمان حبيب
وما خذل الألباب مثل تحاسدٍ فذلك داء للنبوغِ مُذيب
لقد حفر الشاني بذمِّك قبرَه ويفعل غر ما يعاف لبيب!
وعيِّر حيناً بالشذوذ وما دري بأنك في أقصى الشذوذ أديب
فعد يا نبيَّ الشعرِ للشعرِ هادياً أتسكت والشعرُ الكريمُ غريب؟
سجنتَ نبوغاً عاش طلقاً بطبعه فكل محبٍ يرتجيك كئيب

---

[1] حسيب: محاسب.

وقـد راح عهـدٌ كـان للـوهمِ بأسـه ... ونحــنُ بعهــدٍ لا يســود مريــب
إذا أنـت خاصـمت الوجـودَ جميعَـه ... فلــي بوفــائي مــن هــواكَ نصــيب!
وإنـي الـذي يبكـي علـى جـرحٍ غيره ... وما لـي علـى جرحـي الدفين نحيب!
وأحمــد غــيري إن أجــاد وبـذّني ... فــإني لتقــديس الجمــال طليــب[1]
وكــل فتــوحٍ للجمــال أعــده ... فتوحي، وخصمي إن أجاد نسيب!
فكيـف بمـن أخلصـته الـودَّ غائبـاً ... وهيهــات عــن لــبي نــداه يغيــب؟
تحييـك رغـم السـخط كـل سـنية ... من الكون، والكون الشكور رقيب
فحظك مستور، وفي اسمك رمزه ... وكـم لـك مـن شـكرٍ ولـيس خطيـب!
فـدعني إذن أهـدي الثنـاء معـبراً ... عن الفن، فهو الكون وهو خصيب[2]
ودعـني أرجّـي مـن ودادك عـودة ... إلى الفــن، فــالفن العزيــز ســليب
وأنـت سمـاويّ الشـعورِ، ومـن لـه ... شــعورك للحــب الصــميم يجيــب

فــانسي – *Vannessi*

(الراقصة الفاتنة الشهيرة)

وقفَـــــةٌ لِلحُسْــــنِ عاريـــــةٌ ... وافتتـــانُ الحُسْـــن فتَّـــانُ
صـــوروها منـــك في عجـــب ... مـــن ضـــياء، وهـــو ألـــوان
كنـــت (حـــواء) مجـــددة ... وجنـــان الخلـــد إيقـــان
لونهـــا[3] الفلّـــي مازَجَـــه ... مـــن رحيـــقِ الحـــب فنـــان

---

[1] الطليب: الطلوب: أي الكثير الطلب.
[2] رحب الجناب كثير الخير.
[3] أي لون حواءَ المجددة.

عصبت رأساً معززة … كلها ورد وريحان

ثم مدّتْ ساعِدَيْ أملِ … وهي نشوى وهو نشوان

نثرت بالراحتين لنا … زهرات فهي ندمان

وثنت ساقاً رشاقتها … فوق ساق، فهي تزدان

سترتْ بالخز أوسَطَها … فإذا بالخز ريان

وعليه من محاسنها … جدة تزهي وريعان

كلنا منه يغار كما … أنه في الوصل غيران

وهو يحكي روضة أنِفاً … ولها الأحلام سكان

أكذاك الرسم يفتننا … فإذا بالقلب صديان

وكأن الرسم يعذرنا … وكأن الرسم حنان

نتملى فنه أبداً … وهو بالإحسان ضحيان

نثرت في خلفه زهراً … أنجم للحسنِ أخدان

في سماء أنتِ بهجتها … ورواء منك حليان

إن يكن هذا تعبُّدنا … لخيالٍ وهو وهنان

لبِيٍّ الطبعِ[1] مؤتلقاً … ولحبر منه تحنان

فلعشق الفن ربتُه … فوق ما يرجوه ديان

وسجود الناس في شغفٍ … عند قربٍ منكِ إيمان

عندما تغدين راقصة … والوجود الطلق سكران

تنعم الدنيا وزينتها … وتعمَّ الكون ألحان

يا قواماً حسنه عجب … كله سحر وإتقان

وجمالاً لا يعيِّره … أنّه كالكون عريان

---

[1] Printing – أي طبع صورتها الفنية المرسومة.

لــــيس منـــا نظـــرة أثمـــت		كـــل مـــا نهديـــه قربـــان
ذاك إعجـــــازٌ يخبِّرنـــــا		أن تـــاج الحســـن إنســـان
والجمـــال الفـــذ دولتـــه		مـــا لهـــا حـــد وأوطـــان

نور الجحيم

(سونيتة غنائية)

إذَا كنْتُ أبكي لعسْفِ الحياهْ
فهيهات أبكي لقلبي الحزين!
لكنني أشجي لمن قد شجاه
من عيشه طول العذاب الدفين
لقد ذقت صرفاً ضروب الألم
فصارت لنفسي كبعض النعيم!
فإن كان بثي حليف النغم
فيا ربما النور بعض الجحيم!
على أنني زاهدٌ في سروري
فقد خلق القلب معنى السرور
وحوَّل من صبره في شعوري
تعاسةَ نفسي وفيَّ الحبور!
فرجَّعتها في بكائي غناء
يعزي الورى وحجبت الشقاء!

الصـــدى

(سونيتة غنائية)

يا حياةَ الحُبِّ كيفَ الحَيَاهْ
بعد ما ضاعت عهود الحبيبْ؟
ما جمال الصوت يحكي صداهْ
لا، ولا الطب ظنون الطبيبْ!
إنما الذكرى لمثلي عذابْ
تشبه النوح بليل بهيمْ
مثلما حن لماضي الشبابْ
دائم الوجد مسنٌّ سقيمْ
هكذا الطائر لما بكَى
ما فاته حس بآتي الربيع!
لكنما قلبي إذا ما اشتكَى
يشكو كمسجونٍ بحضن منيع!
ما خيال الحب وهو البعيد
إلا تباريح الفؤاد العميد!

شوبنهاور والحياة

خطبة شعرية ألقاها الناظم في نادي موظفي الإسكندرية يوم ١٠ مارس سنة ١٩٢٨

(مهداة إلى الأستاذ الدكتور طه حسين)

(١) – الفلسفة والشعر

تخيَّرتُ (شُوبنْهاوِرَ) اليومَ مَبْحَثاً ... وما كان بَحثي غير مُتْعَةِ إلْهَامِ
وسيرتُه العظمى حياة شهيّة ... إلى (الفن) حتى في مواقف آلام
فإن مجال الفن في كل مَبحث ... إذا شاء، والفن المنغم أنغامي
وملحمة (العقل) الجليل حَريَّة ... بملحمةِ (الشعرِ) الحريّ بإعظام
فصفحاً إذا قصَّرت رغم تطلعي ... وحسي شفيعٌ من شعوري وإقدامي
لأنشر في آدابنا بعض روعة ... من (الغرب) في روحٍ تجلت وأفهام
وأُتحف شعر العصر مما أعده ... غذاء ينميه من الأدب النامي
إذا الشعر لم يَهضم من(العلم) قوة ... ومن فلسفاتِ العيشِ ذابَ كأحلام
له نظرة الفنان للعلم والحِجى ... فيرسمها بالوهم حرباً لأوهام
ويهدي إلى الناس العزاء وصورة ... من الكون قد زينت بصبغة إحكام
ولا كان للشعرِ الخلودَ إذا كبا ... صعوداً بألباب إلى (المثل السامي)!

(٢) – فلسفة الرضى وخصيمها

فررت إلى حضن (الطبيعة) ناجياً ... بروحي إلى مرأىً كروحيَ بسَّامِ
كأني وقد غيبت عنها رأيتني ... يتيماً، ضريراً، تائهاً بين أيتام
فررت إلى حيثُ (الطبيعة) سمحة ... ومن حقها خفض المشاعر والهام
إلى حيث ناغتْ في وفاءٍ مُحبها ... بأجمل شعر جل عن أيّ إعجام
ودانت لها أقسى العواطف عبدة ... فما لمحتْ منها مظاهرَ إحجام
إلى حيث آيات (الجمال) عزيزة ... وأحكامه ليست لنقضٍ وإبرام
إلى حيث أزهار (الطبيعة) في ندىً ... من الطهرِ، قد ماست بحلية أكمام

لهـا دولـة، والنـاسُ عنـد مثولهـا   سـواء لتقديسٍ، وليسـوا كأخصـام
فـلا شِـيعٌ فـيهم أمـام جلالهـا   وإن بعـدوا كـانوا طوائـف أحـزام
فـررت إليهـا أشـتري خيـر نعمتي   بروحي، وروح الصب أكرم مستام
إلى حيـث رق (البحـر) عنـد هـديره   وكفن ثوب (الشمس) خافيَ إظلامي
إلى حيث استوحي (الوجود) بأسره   فيوحي بحب زاد حظي وأعوامي
وأنشـقُ مـن صـافيِ الهواء كـأنني   بـدنيا تخلـت عـن همـومٍ وأوغـام[1]
وقد طاب لـي بُعدي وراحة عزلتي   هنالـك عـن خلـق وشـاهق آطـام[2]
كمـا طاب لـي قـرب لأخرى رضـية   فأنشـد كالصـوفيِّ راحـة إجمـامي[3]
تأملـتُ حتـى كـان طـولُ تـأملي   دلـيلاً وإعلانـاً لرشـدي وإسـلامي
وكـان لقلبي مـا اجتلـى مـن عبادة   كمـا لقـي المحـروم غايـة إنعـام
فلما انتحت شطر الغروب وودعت   وقد تركت ذكراي فيِ الشفق الدامي
تتبعـت سـير الأرض حـول جلالهـا   قرونـاً كـأن الشـمس سـدة همـام[4]
وأرسلت نفسـي فيِ ذهولي إلى مدى   قصـيٍّ إلى خلـف الزمـان وقـدّامي
فـأدركـتُ أنـي بعضـه، بـل أجلّـه   يهـش لـيَ الآتـي الحفـي بـإكرامي
سـألقاه فيِ آتـي قـرونٍ بعيـدة   عزيزاً عظيم الفتح، من غير صمصام[5]
سـألقاه فيِ نـوعي بـرغم تبـاين   وللنـوع قبـل الفـرد غايـة أرحـام
وقـد كنـت فيِ نـوعي بمـاض مغيَّـب   شـريداً بآجـام، طريـداً لأيـامي
فصـيَّرني دهـري عزيـزاً مـبجّلاً   وأصبَح دهري من سوائم أنعامي

---

[1] الأوغام: جمع الوغم وهو الحقد، والمستام: المغالي في الثمن.
[2] الآطام: القصور والبيوت العالية، ولحدها: الأطم.
[3] إجمامي: حضوري الروحي.
[4] الهمام: الملك العظيم الهمة.
[5] الصمصام: السيف لا ينثنى.

وأصبحتُ أيضاً راسفاً في قيوده ... كلانا كضرغامٍ أسيرٍ لضرغام
وما المرءُ إلاّ (الكونَ) والكون نفسه ... فأعظِمْ بمقدام قرين لمقدام
تسيِّر هذا الكونَ روحٌ جميلةٌ ... تجمله دوماً بنزعة رسام
ونحن ضحاياها، ونحن رجاؤها ... إلى غاية (الفن) المنزَّه عن ذام
وما ذلك الفن السماوي غير ما ... يؤدي إلى نعمى الوجود بأقسام
وهيهات أن تنهدَّ يوماً جهوده ... ولكنها ما بين نقص وإتمام
أبى طفرة، لكنه غير عاجز ... ويأبى ارتكاساً[1] في نزوع وأحكام
وأكبر ظني أنه دائم، له ... مساعٍ، فلن يدري مساعيه إلمامي
إذن فحياتي طوعه، وحياته ... لأجلي بنوعي في التعاقب كالجام
يذوِّقنا منه سلافاً شهية ... ويتركنا في الخصب من بره الهامي
وننكر هذا الجود منه تجاهلاً ... لأعظم توكافٍ وأروع إرزام[2]
نقيس بفرد، والسخاء معمم، ... وتوزيعه من سر أحكم علاّم
فنخطئ في التقدير بين تشاؤم ... وتعيا عقولٌ بين بحث وتحوام[3]
ومنذ رأت نفسي (الوجود) قرينها ... سواء بأرضٍ أو شموسٍ وأجرام
وحن إلى هذا السكون ا: دماجها ... بعالمها، و (الروح) فيه كعوام
عرفت استيائي من وجودي مماثلاً ... لسخْطي على نفسي، وشبهاً لإجرام!
وأيقنت أني إن شكرت فإنما ... بررت بنفسي دون شك وإبهام
عزائي إذن أنَّا وسيلة غاية ... إلى (المثل الأعلى) ولسنا كأغنام
ومن كان منا مطمئناً لكونه ... رأى في الحياة الصفو لا الأسف الظامي

---

[1] ارتكاسا: ارتدادا وانتكاسا.
[2] التوكاف: القطر المستمر، والإرزام اشتداد صوت الرعد الممطر.
[3] تحوام: تجوال.

ولم يشكُ من ضر بسخط وغضبة ... فما كانت الدنيا لتصغي للوام
وليست لفرد واحد لجمعنا ... ونحن جميعاً مثل فرد بإرغام
نلاقي بها فقراً، وفي فقرها غنى ... لنا كلنا، واليسر فيها كإعدام
وما نارها إلا ضياءٌ لجنةٍ ... ويتلو السلام السمح روعة إضرام
بحسّيَ هذا – وهو أس عقيدتي – ... فحصت الذي عد الوجود كآثام
وجئت أقصّ الآن فلسفة له ... وما كان داعي الخلف يدعو لإلجامي
وهيهات أن أنسى جلالةَ بحثه ... فمثلي يرى ظلاّمه عين ظلامي!
وإنيَ إنسان، وذلك صاحبي ... وآلامه تدعو كذاك لإيلامي
وما طلبي إلا (الجمال) وفنه ... فذاك دوائي في الحياة لأسقامي
وشعريَ للإنسان قبل متاعه ... وللنفس قبل النظم في سُقم أجسام
وقد كان رعداً للتشاؤم قاصفاً ... وما خدع الدنيا ببشرٍ له وإيهام
رمى بذكاءٍ نادرٍ من تعاسةٍ ... (حياة)حبته الخلد في ذكره الحامي[1]
حمته صنوفاً من ظهور وعندها ... جزته بصيت لم يخص بأقوام
فحق له تقدير كل مفكّرٍ ... فليس شذوذ الفكر زلاّت أقدام
كأني محامٍ (للحياة) موفق[2] ... يرد برفق ما رماها به الرامي
وقد ندبتني بعد خلوة صحبة ... رأيت بها أعلامها نفس أعلامي
وإن ندبت قبلي عقولاً عتية ... وليس مُضيري أن تقدم أعلامي[3]
وما عابني أني الصغير وإنما ... يعيب فؤادي أن أُضيِّع أقسامي
وقد شمت (نرفانا الحياة) تغلغلي ... بها: حيث أغدو ذاتها بين إحرام!

---

[1] الحارس.
[2] أي موفق بينها وبين شوبنهاور.
[3] أساتذتي.

فأستوعب(الحسن)الذي هو روحها وأفنى به، حتى ولو بين أصنام
فإن جئت أطريها فلست بخادم لأوهامها، والمرء خادم خدام
ولكنني أطري شعاعاً لمحته يضيء عزيزَ النهجِ(للمثل السامي)

(٣) – إبداع شوبنهاور وطبيعته

نظرتُ فلم أكذِبْ وفيَّ تأملي! وما ساقني بحثي إلى حكم بهتانِ
فقلت جريئاً (للحياة): تأملي! جنيت، فمن قال الغبين هو الجاني؟!
فتىً شب محروماً شقياً موزعاً وأرهفته خلقاً فشذ ببنيان
له عذره بين الشذوذ وسقمه ودائم أتراحٍ أبحت وأشجان[1]
ولكنه قد جاد رغم شذوذه بنورٍ، وكان النور إشعاع نيران
فتىً طالما زكى بخير ذكائه وإن عاش محروماً ومات بحرمان
كلوءاً[2] إلى أن مات موتَ كهولةٍ بجسمٍ، ولكن فيه عزمة فتيان
وكان عنيد الطبعِ في فرطِ حدة ولكنه الحاني بأسلس تبيان
له لغة معسولة في سياقها لها أدب (الخيَّام) في ظل بستان[3]
ترقُّ جمالاً كيفما كان بحثه فلا بدعِ إن عدُّوه إنجيلَ فنان
وإني بحكم (الفن) في عد جيشه فقد عده للكون أعظم سلوان[4]
بحسبي إذن هذا لأرفع ذكره وأدفع عن آدابه محض عدوان
وما نظرات (الفكر) مهما تباينت سوى صورٍ شتى لذاتٍ بألوان

---

[1] إشارة إلى عصبية مزاجه السوداوي وإلى ما عاناه من متاعب في أسرته وفي حياته.

[2] كلوءاً: لا يغلبه النوم.

[3] إشارة إلى أسلوبه السلس البديع الذي امتاز به عن جميع الفلاسفة، وإلى صوفية فلسفته في غايتها.

[4] يرى شوبنهاور أن (للفن) قوة تخلصنا من استعباد (الإرادة)، وذلك بتأملنا في (الجمال) الذي يوحيه الفن، وبذلك تتمحي فينا شهوة النشدان وما يتبعها من تعاسة وشقاء.

فليس رضائي غير بعض تشاؤمٍ ... وما سخطه إلاّ عزاء لأسوان!
كلانا قريب من أخيه بحسه ... وقد يشبه العاني المنعَّم والهاني
عليَّ وفاءٍ كيفما كان موقفي ... فمَن مثله أحيا الفنون فأحياني؟[1]
كفته عُلى في الذكر آثار (فجنرٍ) ... فقد كان يزجيه إلى كل إتقان
وقد رفع (الشعر) الكريم إلى مدىً ... من الخلد والسلوان للعالم الفاني
وقد وجد (الفن) العزاء لعالمٍ ... بخيلٍ مسيء لا يبضّ بإحسان
وإن وجد استسلام من عاش خالياً ... عديم مبالاة نهاية إيمان
رآها سلاماً أو عزاءً مقدساً ... فكان (كبوذا)[2] في رجاحة عرفان
وكان له مثل الرسول مبشراً ... بدينٍ رأى فيه توحُّد أديان
وما همه شيء من (المادة) التي ... لها جيله قد زف أعظم قربان
ولكنه ألفى الجلال تصوفاً ... يوحد هذا الكون في عقله الراني
وقدر أن (الكون) محض (إرادة) ... تسيِّره من غير قصد وحسبان
وليس بدنيانا سوى ما نظنه ... حقيقته ليست سوى وهم أذهان
فعزز إيماناً (لكَنتٍ)[3] وصاغه ... بوحدة تعبير عجيب وبرهان
وقال هي الدنيا (الإرادة) وحدَها ... وليس عداها غير أحلام وجدان
وليس ذكاء الناس أو سر روحهم ... سواها، وما شيء سواها بروحاني

[1] لا يعرف من فيلسوف آخر ما كان لمثل شوبنهاور بآرائه الفلسفية عن (الفنون) من التأثير العظيم في نهضتها الحديثة ولاسيما في نهضة الموسيقى، وقد استوحى (فجنر) نظريات شوبنهاور. أما الشعر فلم يفرد شوبنهاور بين الفلاسفة بالإيحاء إليه، وقد ذكرتنا الأديبة (مرجريتا بير) بأن الشعر دائماً كان يستوحي الفلسفة وضربت الأمثلة على ذلك بـ (سبنسر) و (شلي) اللذين تأثرا بفلسفة (أفلاطون)، و(بجوتة) الذي تأثر بفلسفة (سبينوزا) و (وردزورث) الذي تأثر بفلسفة (كانت). ولدينا نحن في العربية أبو العتاهية وأبو العلاء وأبو نواس والمتنبي وغيرهم الذين تأثروا بألوان من الفلسفات القديمة والتصوف.

[2] إشارة إلى اقتباس شوبنهاور من فلسفة (بوذا) للتجرّدية، وإليه يرجع الفضل الأكبر في إشهارها بأوروبا.

[3] إشارة إلى اعتبار (كنت) أن العالم مظهر وفكرة في أذهاننا فقط.

وليستْ جسومُ الناسِ إلاّ رسائلاً	لحسٍّ بدنيانا، فما العيش جثماني
ولكنه هـذي (الإرادة) دائماً	فتلك هي اللغز العظيم لإنسان
تحركه من حيث يدري ولا يعي	وأجزاء جسم المرء زمرة أعوان
إذن كل ما في الكون محض(إرادة)	وإن تختلف شكلاً فليس لها ثان
وليست سوى معنى(الألوهةِ)، فالذي	تشاء هو الحيّ المهدم والمباني
وليست إرادات الأنام قوامها	ولكنها تملى على كل ذي شان
وليس لها نورٌ، وليس لها حجىً	وإن حكمت فينا، وسادت بأكوان
ومن عجبٍ هذا الوجود جميعه	يسيِّره في عرفه دفْعُ عميان
فلا بدعَ إن أشجاه بين تشاؤمٍ	يظل بسمع الدهر يدوي لأزمان!
ولا غرو إن عد (الحياة) مناحة	تقوم بحاجات وتنهى بأحزان
تسيرها هذي (الإرادة) للأذى	فتلك إله في غواية شيطان
فلا سبب فيها، ولا لنتيجةٍ	تقود، ولا قاست هواها بميزان
جهادٌ سقيمٌ دائمٌ من (غريزةٍ)	تمغطسنا جذباً ومن غير إمعان
هي (القَدَرُ) العاتي، فكيف يعدها	(إلهاً) وليست في ذكاء وإيقان؟!
فمن حقه كفرٌ بها ونتاجها[1]	وإن فات للجراح أرواح أبدان[2]
ومن عد أسباب الشقاء جميعها	(إرادة) دنيانا بعيشة لهفان
– كفاحٌ، وعسفٌ، واقتتالٌ، ونزعةٌ	نهايتها محضُ السكونِ بأكفان –
فلا عجبٌ إن عد خير سرورها	خداعاً، ولاقاها بأسوأ لقيان
ولا بدع أن يَسْخَرْ بحب حياتنا	على الرغم من شرِ حوَته وإدجان[3]

[1] وبما تلده، أي وبآثارها.

[2] كان شوبنهاور يرى أن مبضع الجراح هو الكفيل بأخبارنا عن ماهية الروح، وأما العقل فليس إلا إحدى وظائف المخ فليس هو الروح.

[3] إدجان: حلوكة.

فكانت له الدنيا كلا شيءَ، والحجى ... كلا شيء،والأشخاص أصناف عبدان
وأذعــن للكفــران حتــى كأنمــا ... رأى الحكمة الكبرى العزاء بكفران!

(٤) – حياة شوبنهاور وبيئته

سمعتُ ضجيجاً (للحياة) كغضبةٍ ... إزاء دفاعي عن مغاضب أفكاري
وقد حسبتْ أني غدوت خصيمَها ... وأني لـه المزجي كرائم أشعاري
فقلت لها: "صفحاً، فأنت غنية ... غنى عن دفاع في الوجود وأنصار
وفيك انتسابٌ (للألوهةِ) فاشملي ... بعطف جميع الخلق في حلم جبار
وخلّي دفاعي عن خصيمك حجة ... على أنك الكبرى وأهلٌ لإكبار!
ألستِ التي صاغت دقائق نفسه ... فناحت بآراء، وذابت بأسطار؟
وقد ورث الضعف الذي نال أهله ... كما ترث الأغصان ضعفاً بأشجار
وأسوأ ضعفٍ ضَعفُ أعصابِ فاكرٍ ... فذاك على التكرار ينمو بتكرار
ولولا أب قد شذ حظ نبوغه ... لمات كمن عُدوا جنوناً كأصفار
كذلك لولا أمه في صفاتها ... لما كان جباراً يعب كزخّار[1]
ولولا اختلاف الوالدين ومره ... لما صار ذاك الطفل شيخاً بإمرار
ولولا سخافات تسمى ديانةً ... ببيئته طفلاً لما أصبح الزاري

[1] كان والد شوبنهاور معروفا بذكائه الجم وقوة نفسه، وكان تاجراً ناجحا وأديبا قديراً متشيعا لفلتير، وقد اطلع كثيراً على الأدبين الفرنسي والإنجليزي، وكان معجبا بالحياة الإنجليزية وبالثقافة الإنجليزية، وأما والدة شوبنهاور فكانت من أسرة راقية في دانزج، وتربت تربية حرة بالنسبة لبنات جيلها، وكان لها شغف بالآداب والفنون، وقد اشتغلت بذلك فيما بعد عندما ترملت، وأقامت في فيمار حيث كان بيتها منتدى لمشاهير أدبائها وفنانيها في ذلك العهد وبينهم أمثال جوتة وشلجل وفيلاند وجريم وفرنو. ومما هو جدير بالذكر أن أسرة شوبنهاور ترجع إلى أصل هولاندي من ناحية الجد وأن والد شوبنهاور هو الوحيد الذي كان معافى في أسرة تفشى فيها الشذوذ والجنون، ويظهر أن نصيبا من هذا الشذوذ شبه الجنوني أصاب فيلسوفنا.

فلما تغذى بالمعارف حُرةً وبالفنِ في (فيمار) هش (لفيمار)[1]
إلى أن قضى طبعُ الخلاف بوحشةٍ مشت بينه والأم والصحب كالنار[2]
فعاش بعيداً يُنكر المرأة التي رآها؛ وينأى عن مجالس سمّار
ولما اغتدى رب الرجولة وارثاً رأيناه في شكر الوفيِّ بتذكار[3]
فأهدى إلى ذكرى أبيه كتابه وقدره تقدير صدق وإقرار
وكان بدرس الفلسفات يشوقه شذوذ له للطعن في خير آثار[4]
مصرٌّ على استقلاله في تأملٍ وإن عد تلميذاً فريداً بإصرار
وكان – و (بونابرت) يرهق قومه – جزوعاً يهاب الموت والأخذ بالثار
ويهرب في حب الحياة وينتحي إلى أمه، لكن يعود بإعصار[5]
ويتركها تركاً إلى غير عودة كأن حياة الأهل عيشة إخطار!
ولولا حماها ما رأى مثل (جوتة) ولا(ماير)المفشي لـ(بوذا) بأسراره[6]
ولا كان مفتنّاً ببحث، مؤلفاً عن النور والأصباغ في عرف إبصار[7]

---

[1] إشارة إلى زمن إقامته بها للدراسة تبعا لاقتراح والدته. وكان يستمتع بتلك البيئة الفنية الأدبية العالية منمياً معلوماته الأدبية والموسيقية مما كان له أثر قيم فيما بعد في تكوين فلسفته.

[2] لم يكن من طبع شوبنهاور القدرة على حبس عواطفه، وكان كثير الشكوى والاستياء والتذمر من إسراف والدته ومن مجال سمرها فلم تستطع احتماله طويلا، لاسيما وقد كان كل منهما مولعاً بإظهار نفسه، فتعارضت الرغبتان ودب الخلاف بينه وبين أمه، وما استطاعا التفاهم فافترقا.

[3] إشارة إلى إهدائه كتابه الجليل (الدنيا كفكرة إرادة – The World As Will Idea) إلى ذكرى والده الذي خصّه في وصيته بنحو مائة وخمسين جنيهاً إيراداً سنوياً، وقد صاغ الإهداء في عبارات وفية مؤثرة، وهذا دليل من أدلة كثيرة على أنّ تبرم شوبنهاور بالحياة لم يكن ناشئاً عن شذوذه العصبي فقط، وإنما لما كان عاناه أيضاً بحيث إنه ما لقي سروراً منها إلا بادر إلى تقديره وتسجيله شاكراً.

[4] إشارة إلى طعنه في آثار فخت وشليرماكر وغيرهما. بينما كان يدرس في جامعة برلين في سنة ١٨١١م.

[5] إشارة إلى هربه من برلين بعد سقوطها في أيدي الفرنسيين قاصداً درسدن ثم رودشتاد، وأخيراً قصد أمه في فيمار ولكن ليعود إلى الاختلاف معها ومفارقتها إلى غير رجوع عائداً إلى دردسن حيث أقام بضع سنوات.

[6] هو المستشرق ف. ماير الذي اقتبس منه شوبنهاور الكثير من العلم عن الفلسفة البوذية.

[7] إشارة إلى بحثه العلمي في هذا الموضوع.

وكوّنَ وهو الشاب[1] فلسفة له ... أذابت حجاه في ترسّله الناري
رأى أمه عنوان إثرة شهوةٍ ... فما ساقه هذا إلى طبع إيثار
أقام زماناً في (درسدن) عاشقاً ... جمالاً لنهر (الألب) في شعره الجاري
وفيها من التصوير كل كريمة ... ومن متع الألحان أكرم مختار
فعاش يناجي الكون والفن باحثاً ... يفتش عن معنى الوجود بأستار
وفي نفسه أنّ الوجود تكالبٌ ... وجملة أوزارٍ تضافُ لأوزار
تناحرت (الأنواع) حتى تناثرت ... حقائق دنيانا ببؤسٍ وإضرار
فكلٌّ طعام بينما هو آكل! ... وكم هدّ قهار ضحية قهار!
وليس سوى حب الحياة (إرادة) ... تسود، وأما (العقل) فهو كمنشار
تسخّره في قطع أوصال غيره ... وتزري به، وهو الجهول بها الزاري!
وأما (الزكاء) الحق فهو تجرد ... لكي يدرك الإنسان ما أعجز (الباري)[2]!
لكي يعرف الصفو (الجمال) وفنه ... ويلمح في دنيا الخيال السني الساري
لكي يبصر (الحسن) الذي قد ترومه ... طبيعة دنيانا فتعيا بتيار
ويلقى جمال (الفن) أنساً معزياً ... وفي عيش قديس تجرد أنوار
نعيم فريد (بالتصوف) مطلق ... تنزه عن نعمى الحياة وأوطار
فتى كان بين الحسن والقبح متلفاً ... فكان كبنيانٍ؛ وكان كمنهار!
ترقرق كالغدران عند رضائه ... وثار كبركان لدى السخط فوّار!
لئن غفر الشيطان ذنباً لخصمه ... فليس فتانا للخصيم بغفّار!

---

[1] إشارة إلى فلسفة التعاطف التي دعا إليها وإن ناقضها هو عملياً، اللهم إلا مع الحيوان الأعجم. ولا شك في أن هذا التناقض يرجع بعضه إلى تهيج أعصابه وشذوذه الخلقي.
[2] الباري: الخالق.

وقد خلق الأخصام خلقاً، بمثله ... إذا شاء صار الخصم صاحبه الباري[1]
ولكن كذا كانت جبلّةُ نفسه ... فقسمت التصريف منه بمقدار
فكيف إذن – كيف (الحياة) تلومه ... إذا نحن لناه على قبح مضمار؟!
ضحيتها مذ كان خصماً لحكمها ... ولم يلق إقبالاً لديها كإدبار
تحمّل –وهو الطفل– جمع شدائدٍ ... وليس مشيل النحس من هائمٍ هاري
فلاقى جموداً من ثقافة جيله ... وكان كمثل السيل فاض لأحجار!
فظن بهم مسخ الطبائع، واقتضى ... شموخ له طول الزئير كأنذار
وما فاته حرصٌ على كل حقه ... بمالٍ، فحامى دونه غير خوار[2]
ولا فاته سعي لكرسي حكمة ... فسار إلى (برلين) في شبه أمار
فلما قضى طبع النزاع بخيبة ... وضاعت مساعيه أساء إلى الجار[3]
وراح يكيل الطعن كيلاً بلا ونى ... إلى (هجل)[4] والتابعيهِ كأنصار
خشونة طبع في خشونة شهوة ... وقد خص منها (المرأة) الحكم بالعار
وقد فات ذكراها بشهوة ذكره ... صحائف أرداها المريدون في النار[5]
ومن عجب كان المحب لكلبه ... وكانت له أيضا صداقة مزمار[6]

---

[1] الباري: الشافي، وقد صدر كتاب شوبنهاور (الدنيا كفكرة إرادة) وهو في العقد الثالث من عمره، وقد قوبل صدوره ببرود متناه من مفكري عصره و أدبائه!

[2] هذا مثل آخر لكفاحه ونزاعه منشؤه سوء ظنه بالناس. والناظم يشير إلى نزاعه مع متجر دانزج الذي كان له ولبقية الأسرة صوالح فيه. وقد استمر هذا النزاع سنتين، واستطاع في النهاية أن يحصل على جميع حقه، بينما غيره من أصحاب الحقوق (وبينهم أمه ولأخته) لم يغنموا غير ثلث استحقاقهم بل أقل، فمثل هذه الحادثة التجريبية كانت ذات تأثير غير قليل في تكوين آرائه في (الحياة).

[3] إشارة إلى حادثة تعديه المشهورة على امرأة زائرة لجارته مما أدى إلى عاهة مستديمة لها، فأرغمه القضاء على دفع غرامة دائمة لها طول حياتها.

[4] كان كلما فشل أو لاقى إعراضا عنه يتهم الفيلسوف العظيم (هجل) وأنصاره بالكيد له، وكانت علاقاته بجميع زملائه الأساتذة في جامعة برلين على أسوأ ما يمكن أن تكون.

[5] إشارة إلى إحراق مريديه لما كتبه بحرية عن المرأة والحب والزواج.

[6] وكان شغفا بكلبه الذي كان الناس يدعونه "شوبنهاور الصغير" وكان له ولع بمزماره للتسلية في أوقات فراغه.

رأى الكلب كالإنسان حقاً وحرمة   فأسبل إشفاقاً على حظه العاري
وكان رحيماً بالسوائم لا يرى   من العدل أن تشقى بجهد وإقتار
كما كان عباد (الفنون) جميعها   ومزماره ما كان إلا كتذكار
وكان كثير الإطلاع موفقاً   فيظفر بالأزهار من كل معطار
له ذوق فنان، فأجمل درسه   إذا بثه في الطرس معرض أزهار
فتى جمع الجنات والنار هكذا   وعاند دنياه كما كافأ القاري!
ومن عجب يخشى اللصوص وذهنه   هو الكنز لا ماصان في حيلة[1] الفار!
وكان حريصاً في صيانة جسمه   على عمره بالرغم من مبدأ زاري
فبيناه يدعو للتجرد ناسكاً   إذا هو في التطبيق هان بإقصار
ولكنه في دعوة "العطف" مخلص   إلى الحيوان الأعجم الألف والضاري
كأن جرد الإنسانَ من حق عطفه   وإن كان لم يحرمه "عطفاً" بأسفار!
ولما مضى عهد "التفاؤل" واغتدت   تحن إلى ما خط ثورة أفكار
تبسّم من بعد، العبوسة ظافراً   بفرحته، في بهجة دون أطرار[2]
ولكنه قد عاد ينكر غيره   بغضبةٍ مغترٍ، وثورة هدار[3]
وما كان هذا غير ضعف منوع   وسقمٍ أصيل فيه كان لإظهار
وكان يعاف النقد حتى كأنما   هو الواحد المعصوم عن أي إذكار!

---

[1] إشارة إلى تفننه الغريب في تخبئة نقوده بمنزله بحكم خوفه الدائم من اللصوص، وكان لا ينام إلا وبجانبه المسدس.

[2] أطرار: حدود. يشير الشاعر إلى انقلاب الآراء في جرمانيا بعد حبوط الحركة الديمقراطية سنة ١٨٤٨م، إذ حدث رد فعل ضد فلسفة هجل وانقلبت روح التفاؤل إلى تشاؤم ويأس، وكان شوبنهاور ضد الديمقراطيين ونصير الملكية بعكس والده الذي كان جمهوريا صميما، ومن أجل ذلك هجر دانزج (المدينة الحرة) إلى هامبورج في سنة ١٧٩٣ لما استولى عليها البروسيون، وكان فيلسوفنا شوبنهاور وقت ذلك طفلا.

[3] إشارة إلى رسائله إلى فراونستاد ولندنر وأشر، وكلها ناطقة بغروره النهم دائماً إلى التسبيح بحمده، مع اعتقاد ما يشبه العصمة في نفسه، رافضاً أي نقد أو تذكير! وحتى لما قدرته الجامعات سخط سخطاً عظيماً حينما منحت جائزة إلى طالب عده أديباً أكثر منه فيلسوفاً!

وكان أنانياً عظيماً مشوّهاً ... نداء الدمقراطية السمح للدار
ومن بيته كان الجنود رصاصهم ... يصب على أهل الفداء وثوار[1]
على من تنادوا "بالمساواة" واحتفوا ... بها، فإذا هم في الضحايا كأشرار
وما فاته عند الوصية أنه ... حبا المال جرحى الجند براً كأصهار[2]
ولما أصابته الكهولة بالأذى ... وقد أطفأت نوراً بلحظ له واري
أساءت إلى (ملك الجمال) إساءة ... تظل على الأدهار لوعة أدهار
ويا حزننا إذ نذكر اليوم حزنه ... إذا هو ناجى ما يشيم لإخبار[3]
فتحجبه عنه غشاوة ناظر ... ووقر بسمعٍ كان أشوق مشتار
تنحى عن الحسن الذي طالما اشتهى ... ومات ممات الحزن في غير إشعار
وكان حرياً أن يكفن جسمه ... على عزف أنغام بنورٍ ونوار
وأن تسمع الدنيا مناحة موته ... من (الفن) في الأشعار حسرى كأوتار
فلا تذكريه يا (حياة) بزلة ... إليك تناهت، واذكريه كتذكاري
كفاه على رغم الشذوذ بطبعه ... جلالة فنان عظيم لأعصار
ومن كان مثلي طوع فلسفة (الرضى) ... فما نم (فناً) شاق في سخطه الثاري
ولكنني أكبرت أي نبوغه ... وإن كان أسقاماً، ودمت بإكباري

---

[1] إشارة إلى الجنود النمسويين الذين كانوا يصوبون رصاصهم من نوافذ غرفة شوبنهاور على أنصار الديمقراطية سنة ١٨٤٨، وكانت تلك الحركة أجمل ما في ذلك الوقت من نهضة سياسية، ولكن شوبنهاور بقي في شذوذه خصماً لها: ينادي بأنه لا مهمة للدولة سوى المحافظة على الأرواح والأموال.

[2] لما كتب شوبنهاور وصيته في سنة ١٨٥٢م. أوصى بمعظم ماله للجنود الذين جرحوا في برلين في ثورة سنة ١٨٤٨م. السالفة الذكر أثناء دفاعها عن الملكية إذ كان باقياً على عقيدته بأنه من الخطأ تصور أية وظيفة أدبية للدولة والحكومة بل كل مزيتها صيانة الأمن! ولا عجب بعد ذلك إذا لجأ الناس إلى فلسفته بعد سقوط البرلمان الجرماني الذي عاش زمناً قصيراً في فرانكفورت وبعد هزيمة الديمقراطية في ذلك العهد.

[3] كان شوبنهاور يقول في أواخر أيامه أنه ما كان نظره يقع على شيء في زمن شبابه ونشاطه الروحي إلا وكان يستوحي من ذلك الشيء. ولكنه في شيخوخته صار إذا تأمل حتى في صورة المادونا (العذراء) لرفائيل لم تنطق له بأي وحي.

لـئن فاتـه خـير (الحقيقـة) فالـذي ... رآه هـو الحـق الجـريح بأوعـار
ومـن لم يُصِـغْ إلا لنغمـة ألفـة ... فقـد فاتـه مـن عيشـه كـل سيار
وسـوف لـه تصـغي البريـة دائمـاً ... علـى رغـم خُلـف في شـعور وأقـدار
مباحثـه للعقـل كنـز منسـق ... وذكـراه قـد زينـت بإكليلـه الغـاري"

(٥) – فلسفة السخط والشقاء

أصاخت إلى عُتْبي(الحياة)ورحَّبت ... بِعُتْبى بصمت كان رمزاً لترحاب
فقلـت لهـا: يكفيـك أنـك عنـده ... قرنـت مناحـات الوجـود بـإطراب
وذلـك فـن في تنـاهي فنونـه ... يـراه بسـخطٍ إذ يـراه بإعجـاب
يعلمنـا أن لـيس (للفـن) ضـابطٌ ... ولكنـه طبـع بحرّيـة الآبـي
ومـا كـان لـلآداب أسـر قواعـد ... وأنـت مثـال في تحـرر إنجـاب
فـأطلق أقلامـاً مـن الأسـر واغتـدت ... تفـيض بأوصـاف لـديك وأسـباب!
وقلت لهـا: صـفحاً إذا كنت مكثراً ... فـذاك جـلال فـاق قـدرة حسـاب
نريـني قلـيلاً شـارحاً لـب رأيـه ... (بيئس)، وقد يرضيك في الشرح إسهابي
نريني أصف ما قيمة (الفن) عنده ... ومـا (ربـه) الأعلـى المهيب بأربـاب
وحينئـذ تـدرين قـدر وفائـه ... لمـا نـال مـن لـب ذكـي وأعصـاب
فقـد بـر حقـاً بالـذي قـد وهبتـه ... وقـد كـان فنانـاً بـرأي وآراب
وكم من فتـى قـد نـال منك كنوزه ... ولكنـه قـد عـاش جاحـدك الكـابي
وعالمنـا عـاش الغـبين ومـا ... لا ... جهـاداً، ولا شـرحاً لفـن وآداب
وكـان مريضـاً بينمـا كـان فنـه ... معـافى، فأضحـى فنـه ذخـر ألبـاب

رأى أن عقل المرء قالب ما رأى ... كما قال (كنت)[1] في هداية مرتاب
رأى أن ما يزجي الأنام (إرادة) ... تؤثر حتى في الصخور وفي الغاب
تؤثر في النبت الطرير وبذره ... وفي الملح مثل الماء بالدفع والداب
سواء بإنسان، وترب، وجوّهِ ... سواء بأكوان تدور، وأعشاب
فلا فارق إلا التدرج وحده ... وإلا فلا فرق، ولا خلف أنساب
جميعاً ضحايا قوة مستكنة ... تسيّر كالأعمى الوجودَ بأحقاب
ونحسب أن الأصل فينا، ولو درى ... جمادٌ لحاكانا بقول وإغراب[2]
فما الصخر نلقيه سوى نفس ذاتنا ... رمتها مرام (للإرادة) كذاب
فنحسب أنا السائرون برغبة ... وما نحن إلاّ كالصخور وأنصاب
تسيّرنا عمداً مسير تطاحن ... ويلقي علينا الغيم أسود جلباب
وما النور إلا الأمس وهو مضيع ... وفي الأمل الغادي القصيّ عن الباب
ولكن إذا وافى رأيناه ضلة ... ووهماً، فأمّلنا بمقبلنا النابي
وإن صدّنا عن ذلك الجهد عارضٌ ... حسبناه في الأعداء لا بين أصحاب
وإما بلغنا للكفاح نهاية ... وإن أصبحت وهماً، جنحنا لإطناب
ولكننا كالنبت هيهات تنتهي ... له دورة ما دام يغري بإخصاب
ومن عجب أن الجهاد إذا انتهى ... شرعنا بضيق، واضطربنا كهياب

---

[1] كان (كنت) – الفيلسوف المتشكك – يرى أن الأشياء كما تعرفها تجاربنا مكونة من قوالب ومظاهر بعضها أصيلٌ في الذهن وبعضها خارج الذهن، وأن ما نعرفه هو مزيج من كليهما، وأن ما هو خارج الذهن بتاتاً أو ما يسمى "بالنومينون" تستحيل معرفته مستقلاً، بل لا بد لكي ندركه من أن ينطبع بقوالب الذهن الأصيلة، وهو بهذا الانطباع يتغير عن أصله الأول، فليست لنا إذن معرفة إيجابية، وما نحسبه كذلك وهم وخداع في عرف (كنت). أما شوبنهاور فيوافق على آرائه، ولكنه يخالفه في استحالة معرفة النومينون، إذ يراه في (الإدارة) الكونية المتمثلة فينا وفي كل شيء.

[2] هذا ظل لتعبير (اسبينوزا) الذي كان يقول إنه لو كان للحجر الذي نلقيه في الهواء شعور لاعتقد أنه يتحرك من تلقاء نفسه، وذلك لجهله (بالإرادة) الكبرى التي تسيّره كما نجهلها نحن في اعتقادنا أننا مخبرون لا مسيرون!

ونحسب أن السأم من حظ (جنة) ... وأن الشقاء الصِّرْفَ خُصَّ (بألهاب)
ولكن أذكى الناس أكثرهم أسى ... وأبلغهم حساً بوجدٍ وأوصاب
يرون (الفناء) الحتم غاية عمرنا ... برغمِ حذار من شقاء وأعطاب[1]
سواء بماض في عصورٍ توحش ... وفي حاضرٍ زاهٍ بأعلم أنجاب
وما (الصفو) إلاّ خدعة الحس لحظة ... ونسقط من عليائه مثل أسلاب
وما (الكون) إلاّ عالم "الصدفة" التي ... تبادلها "الأخطاء" عوناً كأحباب
أولئك[2] قوم بالذكاء تعذبوا ... بعزلتهم ما بين هم ومغتاب
يرون الحياة الموت في كل لحظة ... وأن رضانا شبه سخر بأتراب
جهنم في الدنيا! فاعجب بجهلنا ... وما حجبت عنا لظاها بحجاب
فكيف إذن نرضى (التفاؤل) ديننا ... ونبسم للآلام تغزو كحراب؟![3]
وكيف نعد (النار) معهد حظنا ... ونعتبر الأقدار فيها كمحراب؟!
فقد جاوزت تقدير (دنتي) لما لها ... من الظلم والإجحاف كالمارد الجابي!
رآها (ليوباردي)[4] كذاك، وهكذا ... حكى عن أذاها ساخراً سخره الرابي
بشعرٍ يذيب الصخر من لذع ناره ... ويشغل فكراً في التغافل كالخابي
فأجدر بنا أن لا نخادع حِسَّنا ... فلا خير في بِشْرٍ بموقف إغضاب
وأجدرْ بنا أن لا نطاوع حيلةً ... توجهنا للنسل والبؤس والصاب
فإن صفاء العيش إفناء بأسها ... فنحيا ولسنا في الحياة كأغراب
ونسلم من ذل التطاحن والأذى ... ونكسب أرواحاً لنا نور أرباب!

---

[1] الأعطاب: جمع العطب أي الهلاك.
[2] أي (أذكى الناس) السابقي الذكر.
[3] جمع حارب بمعنى سالب.
[4] هو شاعر السخط على تعاسة الحياة وكان يعجب به شوبنهاور إعجاباً عظيماً.

(٦) – الحقيقة والخيال

شقاء (لشوبنهاور) العيش هكذا وليس كما أحسست جنة مصطاف

ولكنه يأبى انتحاراً، وعده رضوخاً إلى حكم (الإرادة) لا الشافي[1]

وما النفع في إفناء فرد، فإنه يكون خنوعاً في نهاية إسفاف

ولكنه في أن نصير جميعنا سواء بكره للرضوخ وإتلاف

وأوحى (لهرتيمان) نار غلوه فنادى كما نادى بفلسفة النافي[2]

دعا لفناء النوع لا الفرد وحده فأهوِلْ به من ثائر جد متلاف

ولكن هذا لا يعد جريمة فقد كان كالحلم الغريب لأطياف

وما تركت آثاره من سحابة تنوب بحر الشمس أو نورها الضافي

ولو كان جرماً لاغتفرناه عندما نرى مثل (نتشي) شاكراً فضله الكافي[3]

فمنه تغذى في الشباب، وكم له أياد عليه فوق أيد لأسلاف

وقام يواسي الناس من بعد يأسهم فكفر عن يأس لأستاذه الجافي

وأعلن أن الخلد طوع بنانه بما صانه (للفن) من سحر أفواف

فآراؤه في (الفن) قد كونت علىً جديداً، وساقتنا إلى خلد ألطاف

بحيث أرانا أن (للفن) غاية هي (الخلد)، لا ما شامه الجاهل الغافي

---

1 لم يعتبر شوبنهاور الانتحار جريمة كما يعتبرها المجتمع ولكنه عدها على أي حال خطأ أدبياً، إذ أن الانتحار يستبدل التحرر الحقيقي من شقاء الدنيا بتحرر ظاهري فقط، وبدل أن يكون تغلباً على (الإرادة) يصير في الواقع تعزيزاً لها لأن المنتحر لا يتلف سوى مظاهر الحياة الفردية. والمنتحر يتخلى عن الحياة لأنه عاجز عن التخلي عن تأثير (الإرادة).

2 هو المفكر المتفلسف (إدوارد فون هارتمان) خليفة شوبنهاور في مناحي تفكيره، وإن لم يوافقه على اعتباره جميع اللذات مجرد تخفيف من الآلام. وكان يرى أن الرضى دائماً قصير بينما السخط دائم بدوام الحياة. وأن الألم في العالم يطغى طغياناً على اللذة حتى لدى المعدودين في زمرة السعداء في نظر الدنيا، وأن الراجح أن المستقبل سيزيدنا تعاسة على تعاسة. ولذلك كانت خلاصة حكمه أن نقضي على إرادة الحياة لا بصورة فردية بل بصورة عامة عاملين على إتلاف الوجود.

3 اعترف (نتشى) بأن نظراته إلى الحياة تطورت تحت تأثير فلسفة شوبنهاور التي اهتز لها قلبه، وقد عده المثل الأعلى للفيلسوف لأنه لم يقتصر على التفكير بل كان رجل عمل أيضاً، وقد اتجه (نتشى) أخيراً إلى احترام الحياة وتعزيزها ولكن ظل متأثراً بآراء شوبنهاور في الفنون.

يعبِّر عن(فكر)الوجود – الذي كبا ... بتعبيره عنه – بقوة كشاف[1]
وما همه التفصيل قدر اهتمامه ... بروح لما يلقى، وبالجوهر الخافي
كمن ينبذ الأصداف رغم ظهورها ... ويعنى برسم الدر في طي أصداف
وما (الفن) إلا الجسر ما بين عالم ... من الحق في بر وآخَرَ مخلاف
وما بين دنيا للمظاهر وحدها ... وأخرى تسامت عن ظهور وتعطاف
سوى "للحجى الفنان" حيث ذكاؤه ... يفيض فيمضي في الوجود بتطواف
يفيض فلا يعطي (الإرادة) طوعه ... ويغدو كمرآة لعالمه الوافي
سوى للحجى الفنان حيث يقوده ... تخيّله السامي إلى خير إشراف
فيرسم ما لم يحسن الكون رسمه ... ويبصر ما قد جل عن كل سفساف
تحرر من بطش (الإرادة) هكذا ... فصار جديراً بالهدى دون آلاف!
وفي نظر (الفنان) لا الوقت والورى ... ولا نسب الدنيا حدود لأوصاف
فهذي جميعاً تمحي في اعتباره ... ويبقى حلال(الفكر)في ملكة الطافي[2]
على (الفن) فرض: أن يكرر مبدعاً ... خلوداً من (الأفكار) في حسن إسراف
سواء بنقش، أو بنظم وتحفة ... من الشعر، أو نحْتٍ، وآية عزاف
فهذي مجالي العرض، و(الفكرة) التي ... يعبر عنها فوق نقض وإجحاف
هي (الخلد)، و(الفنان) ذاك أليفه ... ولكنه الوافي له بين آلاف
إذن فتملّي الفن ينقلنا هدى ... من الأسر في يأس لرحمة إنصاف
فيشملنا حظ (السلام)، وإنه ... لحظ بعيد عن مخاوف إرجاف

---

[1] كان شوبنهاور يعتبر (الفنان) هو القادر المعبر عما عجزت الطبيعة عن التعبير الوافي عنه وعما لم تستطع إتقان تكوينه. وكان يعتبر الموسيقى هي صورة النفس (الإرادة) أو (الطبيعة) وليست مجرد صورة لأفكار، وعلى ذلك فقوتها أعظم من جميع الفنون الأخرى. وكان يجاري أرسطو في تقديم الشعر على التاريخ.

[2] الطافي: العالي.

هو النعمة الكبرى التي قد يعدها ... (أبيقور) للإنسان غاية أهداف
وحسبك فعل (العزف) في القلب خافقاً ... إذا كان عزف (الفن) في سحر توكاف
ترف لموسيقى الوجود نفوسنا ... كما رف طي الجسم أشوق رفاف
تغذى بطهر، وهي في قوة لها ... (إرادة) دنيانا بملك وأكناف
سواها من الفن الجميل خواطر ... ولكنها تسمو عليه بأضعاف
ولو لم تكن دنيا لكانت بذاتها ... أجلَّ من الدنيا، وقبلة أحلاف
تعبر عن أسمى الخلود، وخُلْدُها ... لنا القبس الزاهي وأجمل إتحاف
إذا قلت: ما هذي (الطبيعة)؟ جاوبت ... نداءك (موسيقى) الخلود بتطواف
شقيقتها أو أنها ذاتها التي ... تخلت عن الأجسام في كونها الصافي
ومنها تعلمنا (الفضيلة) هكذا ... بحرية من أسر عالمنا الجافي

(٧) – العزاء وتوحد الأضداد

أهبتُ بعدلِ (للحياة) بحكمها ... وكم حكمت قبلاً بغاية أباد
أهبتُ بها وهي الغنية دائماً ... عن النكر، أو عن مثل نصحي وإرشادي
فكنت كطفلٍ لاعبٍ شاقَ أمه ... فأصغت إلى تحنانه العاتب الشادي
يدافع عن ذكرى أخ في غيابه ... وإن لم يغب عنها بحب وترداد
وما جهلت شيئاً، ولكن تظاهرت ... بجهل لتزجيني إلى خير إنشادي
لتعرف أيضاً كيف أدت جهودها ... إلى رفع أذهانٍ وتطهير أجساد
وكيف وفاء الجيل للنابه الذي ... برغم شذوذٍ كان قائد قُواد
وقد كان فيه السقم بعض نبوغه ... كما كان فيه البؤس رائد إسعاد
عظيم بنى (للفن) أسّ دعامة ... وألف دستوراً هو الفاتح الهادي

تغلغل في معنى (الحياة)، فإن يكن ... رماها بعسف أو رآها بإلحاد
فقد قدر اللب (الجمال) كذاتها ... بفن، وقد أذكى هوانا كعباد
فحنت إلى شرحي(الحياة)وشجعت ... ببسمتها، والبِشْرُ منها كإمداد
كأن لم تكن قد أغضبتها زراية ... بها من فتاها، أو مخافة إفساد
وقد رفعته في الخلود وسامحت ... عقوقاً، وأغنته عن الصيت والزاد
وأصبح جزءاً من سناها موزّعاً ... نراه طليقاً من عذاب وأصفاد
نراه بإبداع (الفنون) جميعها ... وفي الألق الماضي، وفي الأمل الغادي
شذوذ تمنته (الحياة) لغابة ... من الحسن والإبداع للزمن الصادي
فإن بسمت كان ابتسام دراية ... وما كتمت عنا سوى علمها البادي
فقلت لها: تكفي شهادة (فجنر) ... شفاعةَ أجدادٍ تُزفُّ لأحفاد
وحسبك أيضاً أن رسمك عنده ... مقيم (بموسيقى الخلود) لإخلاد
وأن يدعو (الشعر) العزيز ليحتفي ... (بفكرتك) الحسناء في حسن أفراد
ويخلق أشخاص المآسي معبراً ... عن (الفن) فيما قد خلقت بتعداد
كذلك صار (الفن) ديناً مقدساً ... يقدس لب الروح عن نقد نقاد
ولا عجب (فالدين) و (الفن) طالما ... على الدهر كانا توأمين بميلاد
وكم كمّل (المثال) ما قد نسيته ... عياء، وكان المشق إبداعه البادي[1]
وقلت لها: هذي (الفضيلة) عنده ... تآخٍ، فتسليمٌ لنفس وأولاد
تآخٍ سداه العطف، لا قصد مطلب ... إلى حيوان هان كالمخلّص الفادي
وللناس جمعاً في مراغةِ ذلهم ... وفي سحق آمالٍ لديهم وأكباد
وفي نزْعِنا كالطمر[2] رغبة عيشنا ... مهلهلة (المايا)[3]، وفي عيش زهاد

---

[1] أي البادئ كأنما (الحياة) نقلت عنه!
[2] الطمر: الكساء البالي.
[3] المايا: هو التعبير البوذي عن غشاء الغرور أو نقاب الوهم المسدول أمام عيوننا.

بحيث نرانا في اشتغال كما نرى … لنا شغفاً بالزهد في عيشنا العادي
وما صور (الإلهام) إلاّ (غريزة) … تسيرنا مثل (الإرادة) كالحادي
وحتى (الغرام) البحت بعض خِداعها … وما خص كل النوع ظنٌ لآحاد
فأجمل دنيانا تملي جمالها … وأجمل أخرانا حياة بلا عاد[1]
إلى أن يحين(الموت)في طهر نسكنا … فنلقاه في شكرٍ كمنقذنا الجادي[2]
فتصبح دنيانا كأخرى: كلاهما … بوحدة سلمٍ دامَ للحب منقاد
لذلك كان الناسك الزاهد الدنا … أجلّ وأسمى من عظيم بأجناد
وما كان أرقى من تصوُّف ثائرٍ … على حيل طوع (الحياة) وأسداد!
وقلت لها: خلّي قشور بيانه … ولا تحرمينا ما يغذي لآماد
نراه سنىً للروحِ خلف غمامه … ونهضمه في مثل سمعٍ لأعواد
ونرصي عظاماً في ثراه، وأعظماً … تهش له أيضاً، وكانت لحساد!
توحدت الأموات في وحشة البلى … ونحن كصياد يكيد لصياد!
فلا تنهريني إن جعلت عبادتي … توحُّد إحساسي بإحساس أضدادي!
ولا تصغريني إن جعلت مناحة … لنوعيَ في الذكرى فخاراً كأعياد!
فجازت وفائي في سكون تبسماً … شهيّاً كتأمين، فجئت لإنشادي!
فهل سخّرتنا (للإرادة) هكذا … فكنت وكنتم هكذا رهن ميعاد!؟
ونحن – وإن كنا عبيد (إرادة) – … ملوكٌ، فنوحي في شواسع أبعاد
ويوحى لنا، (فالنفس) خلد مردد … بخيرٍ وشر، في فناء وإيجاد
يردد ما بين الكواكب نورها … قبولاً وعكساً، في اطّراد بآباد
فنحن إذن وحي (الألوهية) دائماً … نشع بمعنى (للألوهة) وقاد

---

[1] أي حياة سلام بلا عدو مهاجم، بينما الضد هو شأن الحياة الحاضرة حيث الخصام والتناحر ودائماً مطاوعة لإيحاء (الإرادة).

[2] الكريم.

وأي إلـه للشقاء مآلـه؟!   وأي إله للفناء هو الحادي؟!

ويا علماً (للعبقرية) شاهداً   تبسم! فنحن اليوم أخلص أشهاد

وقفنا على غبن (الحياة) عتابنا   وزدناك من حب كقدرك مزداد

ولاءان

إن كان للوطن العزيز رعايتي   فلدولة الإنسان عهدُ ولائي

لا كان إيماني بمصر إذا نفى   حبي لها يبري بدين إخائي

وطني كنفسي، فالغلو يحبه   - إن طاش - مثل الأثرة العمياء

والموطن الأسمى بدنيا ملؤها   عطفٌ، وإخلاصٌ، وكرهُ عداء

لن يبلغ الإنسان أكرم مجده   حتى يعيش لنده كفداء

المصرية

أنت التي هي مأملي في أمتي   فإذا انتصفت فكل صعب هيِّنُ

لو كان لي حق التصرف لم أدع   متسلِّطا بعلاك لا يتديَّنُ

يبني البناة وقد نسوك وما دروا   فكأنهم بعد البناية ما بنوا

صوت الحرية

إلى صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا
لمناسبة بيانه الوزاري في مجلس النواب

خَطَبْتَ فكان الصَّوْتُ منْ رُوحِ (نِشْئَةٍ) ... يُحـذِّرنا مِـنْ أنْ نكُـونَ عبيـدا
خطبت فألهبت القلوبَ التي وعت ... خطابـك إيمانـاً يعـيش جديـدا
كأنـك ناجيت الزمـان الـذي يلـي ... وقدمتـه ديـن السـمو سـديدا
لمحـت أمـاني الغيـب ثـم نشـرتها ... قضـاءً علـى الظلـم الغبي شـديدا
فهشَّت لك الأحـلام حيث جمعتها ... حيالـك ذخـراً كـالحلي نضـيدا
ومن حفَّه التقديسُ من كل جانب ... فـأعظم بـه في الحادثـات جليـدا
وقـال فقيـه القـوم: "طـاش خيالـه ... وسـاء عميـداً للحجـى و(عميـدا)
بهـارج ألفـاظ إلى غـير غايـة ... سـوى فقْـدِنا عهـداً يلـوح مفيـدا
وهيهـات أن يرقـى إلى مطلـب بـدا ... قريبـاً، ويغـدو كالسـراب عنيـدا
يقربـه وهـم الخيـال، وإنـه ... ليلفـى بحسـن النـابهين بعيـدا
يضيِّع حـظ الشـعب خلـف عنـاده ... ويتركـه يـوم الشـقاء وحيـدا!"
فقلـت لـه: "يـا جاحـداً فضـل قائـدٍ! ... تمهَّـل! ولا تسـرف كـذاك جحـودا
إذا صاح فينا (مصطفى) كان صوته ... نـداءً لأحقـاب تعـاف جمـودا
يعـبر عـن حـس الضـمائر بيننـا ... وينصـف جنـدياً قضـى وشـهيدا
ويعلـن عـن مجـدٍ (لمصـر) مخلّـدٍ ... وإن حسـبوه في الرغـام فقيـدا
كعهـد سمـى قبلـه[1] رن صـوته ... بعـزة مجـد لـن يفـوت خلـودا
وفيـه تجلـى روح (سـعدٍ) بوثبـةٍ ... وجـدَّد فينـا (مصـطفى) و (فريـدا)
وأعظـم مـا فيـه نبـوةُ فِكـره ... فكـان بمـا تملـي عليـه سـعيدا

---

[1] المغفور له مصطفى كامل باشا.

إذا الشعب لم يفقد رجاء بحقه وكد فلن يخشى أذى ووعيدا
ومن عاش في الأغلال طوعاً لضعفه وظن بها خيراً يموت قعودا
ولسنا ضحايا للعناد، وإنما أبينا إباءً سيداً ومسودا
فمن شاء أن يلقى مع الذل عيده فذاك، ولسنا من نسام عبيدا!"

رُباعيَّات الخَـيَّـام

عـن

عُمَريَّات فِيتزجرَالدْ

(١٩٢١)

نَقلها شِعراً عَنِ الإنكليزيَّة

الدكتور أحمد زكي أبو شادي

عمريّـات فتزجرالد

للأديب الإنجليزي إدوارد فتزجرالد فضل على الأدب العالمي بإخراجه سنة تسع وخمسين وثمانمائة بعد الألف للميلاد الترجمة الأنجليزية الأولى لرباعيات الشاعر الفارسي الفيلسوف، والمتصوِّف الأبيقوري عمر الخيام، والتي نقلها إلى العربية نقلاً بديعاً – ربما جمَّل به الأصل ذاته – الأديب العربي القدير وديع البستاني في سباعياته التي أخرجها منذ أربعين عاماً، فنبه بنشرها أبناء الضاد إلى دراسة الأدب وتعريبات أخرى. ومن بين هذه الترجمات ما أخرجناه منذ عشرين عاماً معتمدين على ترجمة الزهاوي النثرية عن الفارسية، ثم عنَّ لنا أن ننقل عمريات فتزجرالد عن الإنجليزية، وأسميناها هكذا نظراً لما فيها من تصرف، ونشرنا بالفعل نماذج من هذه الترجمة في المجلد الأولى من مجلة (أبولُّو) الشعرية. لكن توالي الأحداث التي أضاعت ذلك الأثر مع غيره من آثار أدبية وعلمية دعتنا من جديد إلى إعادة ترجمته التي سنذيعها على دفعات، معتمدين أساسياً على الطبعة الثانية المنقحة التي أصدرها فتزجرالد بعد الطبعة الأولى لرباعياته بتسع سنوات ولو أنه بدّل واختصر فيما بعدها، ومذهبنا في الترجمة رعاية حرمة الأصل، ولو جاء أُسلوب الترجمة مركزاً، وهو ما لا يرتضيه من يميلون بطبعهم إلى الأسلوب الفضفاض المهلهل، أو إلى حُرية التصرف، بحيث يخرجون على أسلوب المؤلف تعبيراً وخيالاً وفكراً، مكتفين بما يسمُّونه "روح" الموضوع، وهذا في نظرنا ليس من الأمانة الأدبية في شيء، إلا إذا اقترن بالتنبيه الوافي إلى وجود الخلاف بين الأصل والترجمة. وعدم الإكتراث لهذه الأمانة قد شجع بالفعل انتحال نُخَبٍ من الآداب الأوروبية والأمريكية، والأمثلة المؤسفة لذلك أشهر من أن تعرف وليست مما يشرّف أدبنا المعاصر.

لقد ظهرت ترجمة فتزجرالد لرباعيات الخيام – أو على الأصح شرحه لها – في أوج العصر الفكتوري، فجمعت ما بين التصوف الشرقي وتفاعيل

الروح الدينية التي كانت مسيطرة في ذلك العصر، وفيها ما فيها من حيرة وشكوك. ولم يظهر من أثر أدبي يقارن بها في ذلك العصر منتظماً رثاء البشرية والتفجع لمصيرها (وإن غلب فيه التأميل الشك) سوى ملحمة الشاعر تنيسون المسماة (الذكرى) وقد نقلها إلى العربية الأستاذ أنيس المقدسي.

ومهما يكن من شيء فهذه الرباعيات مبعث تأمل وعزاء، على الرغم مما تتضمنه من حيرة وشك وواقعية. وهي أبعد ما تكون عن العبث الرخيص والإباحية، وإن توهم فيها ذلك النقاد السطحيون كما توهموا في شعر ابن الفارض، ولا يطعن في قيمتها الأدبية كثرة الدخيل بينها وهو الذي دبجته أقلام أخرى ونسب إلى الخيام لدواع شتى.

نيويورك في السابع والعشرين من نوفمبر سنة ١٩٥١

أحمد زكي أبو شادي

تَيقَّظْ! فهذي الشمسُ منْ خلْفِ ربْوَةٍ   إلى الشرَّقِ ساقَتْ أنجماً تَصحَبُ اللَّيْلا
رَمَتْها بَعِيداً عَنْه، ثمَّ إلى السَّما   رَمَتْ قلعةَ السُّلطَانِ بالنُّورِ فاستَعْلَى!

تَخيَّلْتُ سَمْعي مَنْ يُنَادي بحانَةٍ   قُبَيْلَ مَماتِ الطَّيْفِ مِنْ فَجْرِنا الكاذب:
"إذَا ما أُعِدَّ الهيْكَلُ الآنَ كَامِلاً   فكيْفَ تَوانَى دُونَه العابدُ الطَّالِبْ؟"

وعندَ صِيَاحِ الدِّيكِ صَاحَ الأُلَى أتَوْا   وُقُوفاً أمَامَ الحَانِ: "افْتَحْ لنَا! أَسْرِعْ!
فإنكَ تَدْرِي كيفَ أَنَّ بَقاءَنا   قليلٌ، وإذْ نَمْضي فَهَيْهاتَ أنْ نَرْجِعْ!"

لقد بَدَّدَ النّيروزُ شَوْقاً لِما مَضَى وَودَّ اعتِزالاً فيه رُوحٌ مُفَكِّرُ
وراحَةُ "موسَى" في بَيَاضٍ تَرقْرَقتْ على الغُصْنِ، إذْ أنفَاسُ "عيسى" تُعَطِّرُ!

مَضَتْ، آرمٌ، حقاً بكلّ وُرُودِهَا وجَمشيدُ، لم يُعثَرْ على كُوبِهِ المُغْرِي
ولكنَّما اليَاقوتُ ما زالَ دَافِقاً مِنَ الرَّاحِ، وَالجنَّاتُ في مَائِها تَجْرِي!

وَأطْبَقَ "داوودُ" الشِّفَاهَ، وَإنَّما تَغَنَّى غِنَاءً فَهلَويّاً لنَا البُلْبُلْ:
"هَلُمّي! هلُمّي بِالسُّلاَفِ!" فَبُدِّلَتْ بِحُمْرتِهَا مِنْ صُغْرَةٍ وَرْدَةٌ تَخْجَلْ!

هَلُمَّ إلى الكَأْسِ الرَّوِيَّةِ، مُحْرِقاً   مَتَابَ شِتَاءٍ فِي لَهِيبِ رَبِيعِ
فَذلكَ طَيْرُ الوَقْتِ لَمْ يَبْقَ عِنْدَهُ   سِوَى لَحْظَةٍ إذْ طَارَ جِدَّ سَرِيعِ!

سَوَاءٌ بَدَا فِي "نَيْسَبُورَ" و "بَابِلٍ"   وسِيَّانِ مَرَّ الكُوبُ أو كانَ حَالِيَا
فَإِنَّ نَبِيذَ العُمْرِ يَقْطُرُ دَائِماً   وتَسْقُطُ أوْرَاقُ الحيَاةِ تَوالِيَا!

ذكَرْتَ مَعَ الإصْبَاحِ تَأتِي وُرُودُهُ   صَدَقْتَ، ولكِنْ أينَ وردٌ لأَمْسِنَا؟
ففِي مَطْلَعِ الصَّيْفِ المُحمَّلِ وَرْدَةً   سَيَمْضِي "كَيُقْبَادٌ" و "جَمْشِيدُ" مِنْ هُنَا!

إلى حَيثُ سَارَا دَعْهُمَا! ليسَ شَأْنَنا ... "كَيُقْبَادُ" أَوْ "خُسْرُو"، وإنْ عَظُمَا شَـأنا

وَدَعْ صَيْحَةً لِلْحَرْبِ "رُسْتُمُ" صَاحَهَا ... و "حَاتِمُ" إذْ يَدْعُو إلى المَطْعَمِ الأَهْنَا

تَعَالَي مَعي في شُقَّةِ العُشْبِ هَذِهِ ... وقد فَصَلَتْ قَفْراً عن الزَّرْعِ والعَرْشِ

وحيثُ تُنْوسِي كُلُّ عَبْدٍ وسَيِّدٍ ... وقُولي سَلاَماً لِلمَلِيكِ عَلَى العَرْشِ!

ويُمْسِي غِنىً خُبْزٌ قليلٌ وَدَوْحَةٌ ... تُظِلُّ، وَدِيوانٌ، وأنتِ، مَعَ الرَّاحِ

تُغَنِّينَ قُرْبي وَسْطَ قَفْرٍ لِنَشْوَتي ... وأَوِ لِقَفْرٍ صَارَ جَنَّةَ أَفْراحِي!

تَلَهَّفَ قومٌ أعْرَضَتْ عَنْهُمُو الدُّنَى　　كَمَا حَنَّ قَومٌ في فُتُونٍ إلَى الأُخْرَى
ألاَ فَلْتَدَعْ وَجْداً بِآتٍ وخُذْ غِنىً　　تَراهُ، ودَعْ طَبْلاً بَعيداً ومَا غَنَّى!

أليسَ جُنوناً أنْ تحوكَ حَيَاتَنَا　　كما حَاكَ هَذا العَنكبُوتُ سَرِيرَهُ
عَلاَمَ؟ فمَنْ يَدْري الشَّهيقَ الذي لَنَا　　بلَحْظَتِنا قَد لا نُعِيدُ زَفِيرَهُ!

تَأَمَّلْ نَضيرَ الوَرْدِ حَوْلَكَ واسْتَمِعْ　　إلى وَرْدَةٍ في ضِحكِهَا تُعْلِنُ السِّرَّا
إذَا مَا فَضَضْتَ الكَنْزَ فَاضَ عَبيرُهُ　　ثَراءً على البُسْتانِ يُتْبِعُه عِطْرَا

تَسَاوى الأُلى صَافوا الغِلالَ نُضَارًا ... ومَـــنْ أمطَروهَـــا فِي الرِّيَـــاحِ نِشَـــارًا
فما عَادَ قَوْمٌ بَعدَ أنْ أودعُوا الثَّرَى ... ولاَ كَـــانَ بَعْـــثٌ لِلَّـــذي يَتَـــوارَى!

يَحولُ رَمَاداً مَأمَلُ النَّاسِ في الدُّنَى ... وَإلاَّ فَمِـنْ بَعْـدِ التَّرعْـرُعِ لِلْغَـضِّ
كَثَلْجٍ علَى وَجْهِ الصَّحَارَى مُشَعْشَعٍ ... تـألَّقَ حِينـاً ثُـمَّ في لَحْظَـةٍ يَمْضِـي!

تَأَمَّـلْ بِهـذَا الخَـانِ وَهْـوَ مُهَـدَّمٌ ... وبَابـاهُ صِـيغَا مِـنْ نَهـارٍ وَمِـنْ لَيْـلِ
وكيـفَ تَعلَّـى حَـاكِمٌ بَعْـدَ حَـاكِمٍ ... وَوَلَّـوْا جميعـاً بَعْـدَ أُبَّهَـةِ الحَـوْلِ

على قَصْرِ "جَمْشِيدَ" المَلِيكِ وقَصْفِهِ   تَـرَى السَّـبْعَ والحِرْبَـاءَ مـا لَهُمَـا قَيْـدُ
ويَجْرِي حِمَارُ الوَحْشِ غيرَ مُحَاذِرٍ   علـى رأْسِ "بَهْـرَامٍ" ولم يَسْـتَفِقْ بَعْـدُ!

رَأَيْـتُ بِقَصْـرٍ تَرْفَـعُ الأُفْـقَ عُمْـدُهُ   وَحَيْـثُ مُلُـوكٌ خاشِـعِينَ تَبَوَّكُـوا
مُطَوَّقَـةً ناحتْ وَصَاحَتْ بِشَـجْوِهَا   كُوكُكُّـو كُوكُكُّـو، كُوكُكُّـو كُوكُكُّـو!

هَلُـمَّ بِكـأْسٍ يَـا حَبِـيبِي رَوِيَّـةٍ   لأَنْسَـى أَسَـى الماضي ومُقْبِلَ أَيَّامي
تَقُـولُ "غـداً"، فِي حِـينِ أَنِّـي رُبَّمَـا   أُلاقـي بِـهِ الماضـي بـآلافِ أعـوامِ!

شَـرِبْنَا علَـى ذِكْـرِ الأَحبَّـاءِ خَمْـرَةً ... تَـولَّى الزَّمَـانُ عَصْـرَهَا وهـو دائِـرُ
شَـرِبْنَا لِمَامـاً نَخْـبَهُمْ، فَتَسَـلَّلُوا ... لِـراحَتِهم فَـرْداً فَفَـرْداً وهَـاجَرُوا

ونَحْـنُ الأُلَـى نَلْهُـو بقاعـةِ أُنْسِـهِمْ ... وَقَـد رَحلُـوا والصَّـيْفُ في ثَوْبِـهِ الزَّاهـي
إلَـى مَضْـجَعِ الأَرْضِ العَميقِ مَآلُنَا ... لِنَبْسُـطَ مَثْـوَى آخَـرِينَ وأَشْـبَاهِ!

يُخَيَّـلُ لـي في حُمْـرَةِ الـوَرْدِ قانِيـاً ... دِمـاءٌ "لِكِسْـرَى" حَيْـثُ كـانَ دَفِينَـا
وفي السُّنْبُلِ البَرِّيِّ في كُلِّ رَوْضَـةٍ ... حُلَـى رَأسِ حَسْـناءٍ نُثِـرْنَ فُنُونَـا!

وهَـذا البَهِـيجُ العُشْـبُ حَـفَّ بلُطْفِـهِ شِـفَاهاً لِنَهْـرٍ فَوْقَهَـا تَتَّكـي حُبّـا
تَرَفَّـقْ حَبِـيبي! رُبَّمـا كـانَ نَبْعُـهُ شِفَاهاً حِساناً نِمْنَ بالأَمْسِ والعُشْبا

تَمتَّـعْ بمـا أَحْـرَزْتَ قبـلَ زوالِـهِ تُرابـاً تُرابـاً في صَـميمِ تُـرابِ
ومِـنْ قَبْلِ أنْ نَثْـوي تُراباً ومَـا لَنَـا غِنـاءٌ ولا شَـادٍ ودُونَ شَـرَابِ

سَـوَاءٌ لِمَـن كـانوا يُعِـدُّونَ زادهُـمْ لِيَوْمِهِمُـو أوْ مَـنْ يُعِـدُّونَ لِلْغَـدِ
أهـابَ منَـادٍ في الظَّـلامِ "جمـيعُكم مجـانِينُ! لـن تَلْقَـوْا جـزاءً لِمُهْتَـدي"

وَفي رَقْدَتي أُسْمِعْتُ صَوْتاً منادياً   "مَعَ الصُّبْحِ فَلْتَبْسِمْ لنا الحُلْوَةُ الوَزْنَهْ"

وَأُسْمِعْتُ هَمْساً مِنْ سِوَاهُ بيَقْظَتي   "سَتَمْضي كما جَاءَتْ وتَفْنى بلاَ عَوْنَهْ"

لقَد سَخِرَتْ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَقَادَةٍ   نُبوءاتُهم عَنْ عَالَمِ النَّاسِ وَالأُخْرَى

تَرَدَّوْا وَقَد سَدَّ التُّرابُ حُلوقَهُمْ   وَأَلفاظُهُمْ ضَاعَتْ وَقد نُثِرَتْ نَثْرا

أَضَعْتُ شَبابي في التَّرَدُّدِ باحِثاً   بِبَيْتِ وليٍّ أو بِبَيْتِ حكيمِ

وَلكنَّني مِنْ ذلكَ البابِ نَفْسِهِ   خَرَجْتُ كما أُدْخِلْتُ غيرَ عليمِ

غَرَسنَا جميعاً بذْرَةَ الحِكْمَةِ التي
جَهَدْتُ لأرعاهَا بمَا مَلكَتْ يَدي

وكلُّ حَصَادي قَوْلُها -جِئتُ نَحْوَكُمْ
كماءٍ ومثلَ الرِّيحِ أمْضي وأَغْتَدي

إلَى هَذه الدُّنيَا أَتَيْتُ وما أدْرِي
لِمَاذا؟ وَمِنْ أيْنَ؟ بطوعيَ أَو رُغْمي

كماءٍ، ومثلَ الرِّيحِ فِي القَفْرِ هَبُّها
إلَى أينَ؟ لاَ أدري علَى الطَّوْعِ والرَّغْمِ!

لِمَاذَا بلاَ سُؤلٍ جُلِبْتُ إلى هُنَا
سَرِيعاً؟ ومِنْ أيْنَ لأَذْهَبَ عاجِلاَ؟

إلى أيْنَ؟ جادَتْنَا السَّمَاءُ نَدَامَةً
مِنَ الرَّاحِ كيْ نَنْسَى سَقَاهَةَ ما خَلاَ!

صَعِدْتُ مِنَ الأرْضِ العَميقَةِ سَارِياً ... إلَى "زُحَلٍ" أرْقى علَى عَرشِهِ السَّاني
وَفي رِحْلَتي كم عُقْدَةٍ نِلْتُ حلَّها ... وأُعْجِزْتُ عن حَلٍّ لِعُقْدَةِ إنْسَانِ

هُناكَ وَجَدْتُ البابَ مِنْ غَيْرِ مِفْتَاحِ ... هُناكَ وَجَدْتُ السِّتْرَ يَحْجُبُ نَظْرَاتِي
ودَارَ حَدِيثٌ تافِهٌ حَوْلَنَا مَعاً ... وَغَابَ فلَمْ تُسْتَبْقَ ذاتُكَ أوْ ذَاتي

وَمَا اسْطَاعتْ الأرْضُ الجَوابَ ولاَ رَوَتْ ... بِحَارٌ أَسَتْ مِنْ وَحْشَةٍ لِمُؤْتَمَرِ
ولا أَضْحَتْ تِلْكَ السَّمَاءُ فقد غَدَتْ ... عَلامَاتُهَا طَيَّ الجَدِيدَيْنِ تَسْتَوِي!

تَسَاءَلْتُ: "مَا هَذا الذي منْكَ في نَفْسِي
تَحَجَّبَ مِنْ خلْفِ الوُجُودِ بِما هَمَّا؟

وصِحْتُ لعَلّي وَاجِدٌ لِهِدَايَتي
ضِياءً فقَال الهاتِفُ: "المُبْصِرُ الأَعْمَى"!

حَنَوْتُ علَى ثغْرِ لِقَارُورَةٍ عَسَى
تُحَدِّثُني عَنْ سِرِّ نَبْعِ حَيَاتي

فقالَتْ "تَمَتَّعْ في حَياتِكَ شَارِباً
فَهيْهَاتَ تَلْقَى البَعْثَ بَعْدَ مَمَاتِ!"

يُخَيَّلُ لي هَذا الإنَاءُ بقَوْلِهِ
شَرِيدٌ، وقَبْلاً كانَ يَحْيَا وَيَشْرَبُ

ومِرْشَفُهُ المَيْتُ الذي قَدْ لَثَمْتُهُ
مِئاتٍ مِنَ القُبْلاتِ قد كَانَ يَصْحَبُ!

وأَذكر أنّي كنتُ أبْصَرْتُ صَانِعاً ... تَنَاوَلَ طِيناً جابلاً لإنائِهِ
فقالَ لهُ: رِفْقاً أُخَيَّ وَرَحْمَةً ... وتَمْتَمَ في لَفْظٍ بِغَيْرِ أَدائِهِ!

أَمَا دَرَجَتْ مِنْ سَالفِ الدَّهْرِ قِصَّةٌ ... كَهَذي كما قد مُثِّلَتْ طُولَ أزْمَانِ
فَمِنْ مَدَرٍ أوْ لازِبٍ كانَ دَائِماً ... يَصُبُّ نُهَى الخَلاَّقِ تكْوِينَ إنْسَانِ

ولَمْ نُلْقِ مِنْ أكوابِنَا أيَّ قَطْرَةٍ ... عَلَى العُشْبِ مَلْفُوحاً بِغَيْرِ تَسَرُّبِ
لِتُطْفِي ظَمَاءً تَجْتَنَنَا عِنْدَ نَاظِرٍ ... بَعيدٍ بَعيدٍ طَيَّ أجْيال تَخْتَبِي!

وحينئــذٍ تَهْفُــو بِرَشــفَةِ خَمْــرَةٍ سَــمَاوِيَّةٍ تُولِيبَـــةٌ تَرْفَــعُ الرَّأسَــا
فكُنْ مِثْلَهَا يا ابْنَ الثَّرَى قَبْلَ أنْ تُرَى عَلَـى الأرْضِ مَقْلُوبـاً كما تَقْلِبُ الكَأْسـا

هَلُـمَّ إلَـى سَـرْوٍ تَمـوَّجَ حَاضِـناً عَلَـى مُهْلَـةٍ مَحْـدُودَةٍ قَبْـلَ أنْ تَمْضـي
فَعَمَّـا قَريـبٍ سـوفَ تُحْضَـنُ ذَائِبـاً بهَا، وستَمْضـي في هَوَى أُمِّنَا "الأَرْضِ"

وإمَّا انْتَهَتْ كَأسٌ شَرِبْتَ ومِرْشَفٌ ضَــغَطْتَ بمــا لاَ بُـدَّ مِنْــهُ قَبُــولا
تخَيَّلْ إذَنْ مَاضِيكَ حَاضِرَكَ الذي تَــرَاهُ، وآتيــكَ البَعيــدَ مَثِــيلاَ

وحِـينَ أخِـيراً عِنْـدَ شـاطئ جَـدْوَلٍ يَـراكَ مَـلاكُ اللَّيْـلِ وَالـرَّاحِ حَاضِـرا
ويَعْـرِضُ كأسـاً فَلْتُبَـادِرْ لِشُـرْ بِهَا بِرُوحِـكَ، واحـذَرْ أن تكُـونَ مُحَـاذِرا!

ولا تَخْـشَ مِـنْ هـذا "الوُجـودِ" جَهَالَـةً لِنَوْعِـكَ أو تَضْـيِيعَهُ حِينَمَـا انْتَنَـى
فَكَـمْ هَمَـرَ السَّـاقي المُخَلَّـدُ دائِبـاً مَلايِـينَ مِـنْ تلـكَ الفَقَـاقيعِ مِثْلَنَـا!

مَتَـى مَا رَحلْنَا واغتَدَى السِّتْرُ حَاجِباً كِلَيْنَـا، ومـا دَامَ الوُجُـودُ رَهِينَـا
فمَـنْ ذَا يُبَـالي مَـنْ تَـوَلَّى وَمَـنْ أَتـى وَلَـوْ كحصـىً طَـيَّ المُحِـيطِ رُمِينَـا؟

أَلا لَحْظَـةٌ عِنْـدَ الفَنَـاءِ وَقَفْـرِهِ
لقد أَوْشَكَتْ تَمْضِي النُّجُومُ وأَوْشَكَتْ

أَلا لَحْظَـةٌ حيـثُ المَعِيشَـةُ تَتْبَـعُ
إِلَى عَدَمٍ تَمْضِي القَوَافِلُ، فأسْرِعُوا!

أَتَرْضَى بِبَرْقِ العُمْرِ يَذْهَبُ خُلَّباً
وتَفْصِلُ بينَ الحَقِّ والزُّورِ شَعْرَةٌ

بِبَحْثِكَ لُغْزَ الكَوْنِ؟ أَسْرِعْ إِذَنْ وَجِدْ
فَقُلْ لي علامَ العَيْشُ يَبْقَى وَيَعْتَمِدْ؟

يقُولُونَ بَيْنَ الزُّورِ وَالحَقِّ شَعرةٌ
لَعَلَّكَ تَلْقَاهُ فَتَغْنَمَ فَاتِحاً

أَجَلْ، وكذا المِفْتَاحُ يُحْصَرُ في "الأَلِفْ"
بِهِ الكَنْزَ، إِذْ تَلْقَى "المُسْوَدَّ" بالصَّدَفْ!

تَـدَفَّقَ مثـلَ الزِّئبـقِ الحُـرِّ مُفْلِتـاً ... وإنْ كـانَ مَخْبُـوءَ الوُجُـودِ ومَـا تَـدْرِي

تَشَـكَّلَ أسمـاءً وزالـتْ جَميعُهـا ... ولكنَّـه مَـا زَالَ في مَجْـدِهِ الحُـرِّ

تُقَـدِّرُهُ في لَحْظَـةٍ ثُـمَّ بَعْـدَهَا ... يَغيـبُ وَرَاءَ السِّـتْرِ بـينَ نُجَـاهُ

ودَبَّــرَهُ مِــنْ نَفْسِــهِ بِرِوَايَــةٍ ... كَمـا اشْـتَرَعَ المَجْـرَى لهـا فَيَـرَاهُ

ولكنْ إذَا أَصْبَحْتَ في اليَوْمِ نَاظِراً ... بيأسِكَ نَحْوَ الأَرْضِ إِذْ تُغْلَقُ السَّمَا

وأنْتَ الذِي مَا أَنْتَ، كيفَ إذَنْ غَداً ... مَتَى صِرْتَ "لاَ شَيئاً" وأَصْبَحْتَ مُبْهَمَا؟

مَتَى كُنْتَ حُرّاً مِنْ أذَى النَّاسِ وَالسَّمَا ... فَخَلِّ الغَدَ المَعْقُودَ فِي حَلِّ نَفْسِهِ
وأطْلِقْ يَداً فِي السَّرْدِ بَينَ ضَفَائرٍ ... تَجلَّتْ علَى السَّاقي الرَّشِيقِ بِأُنْسِهِ

تَجَنَّبْ ضَيَاعَ الوَقْتِ فِي السَّعْيِ باطِلاً ... وخَلِّ نِزاعاً لَيْسَ يُثْمِرُ لو تَدْرِي
وأوْلَى بِكَ العُنْقُودُ يُثْمِرُ نَشْوَةً ... مِنَ الثَّمَرِ المفقودِ والثَّمَرِ المُرِّ

ألاَ فَاعْلَمُوا يا أصدقَائي بأنَّني ... أَقَمْتُ بِبَيْتي مَقْصَفاً لِزَوَاجِي
فإِثْرَ طلاَقي العقلَ مِنْ بَعْدِ عُقْمِهِ ... تَزَوَّجْتُ بنتَ الكَرْمِ غيرَ مُدَاجِ

وما "نَعَمٌ" أو "لاَ" وإنْ كُنْتُ قَادِراً ... بِحِذْقي علَى التَّكييفِ إنْ غَمَضَ الأَمْرُ
لِتَجْعَلَني المِنْطِيقَ مِثْلَ بَرَاعَتِي ... بإدراكِ شيءٍ واحدٍ وهو الخَمْرُ!

يَقُولُ أُنَاسٌ عن حِسابيَ أنَّني ... خَلَقْتُ مِنَ العَامِ المُلائِمَ والكَافي
فإنْ كَانَ هَذَا فامْحُ مَيِّتَ أَمْسِنَا ... سَرِيعاً مِنَ التَّقويمِ وامْحُ الغَدَ الخَافِي!

وفي وِقْفَتي في مَدْخَلِ الجَانِ فَاغِراً ... فَمي لاَحَ في ليلِي مَلاكٌ وأَشْبَاحُ
وقَالَ – تَذَوَّقْ مِنْ وِعَاءٍ رأَيْتَهُ ... على مَنْكِبٍ زاوٍ فكانَ هو الرَّاحُ!

هو الرَّاحُ، مَنْ قد خَطَّأَ الجَمْعَ حَاشِداً
بِمَنْطِقِهِ يَأْبَى نِزَاعَ الطَّوائِفِ

هو الكيميائيُّ الوحيدُ، بِلَمْحَةٍ
يُحيلُ رَصاصَ العَيْشِ تِبْراً لِخائِفِ!

هو النَّاشِقُ الجَبَّارُ رُوحَ أُلُوهَةٍ
هو السَّيِّدُ المَحْمُودُ بالسَّيْفِ يَضْرِبُ

يُبَدِّدُ كالإِعْصَارِ أَحْزَانَ مُهْجَةٍ
وأَوْهَامَهَا الظَّلْمَاءَ أَيَّانَ يُشْرَبُ

إذا كانَ هَذَا مِنْ عَصِيرِ أُلُوهَةٍ
فَمَنْذَا الذي يَبْغَاهُ لَوْناً من الشَّرَكْ؟

إذا كانَ نُعْمَى فَلْنُبَادِرْ لِرَشْفِهِ
وإِنْ كَانَ شَرّاً كيفَ قَدْ جَاءَ لي وَلَكْ؟

علـيَّ جُحُودِي بَلْسَمَ العَيْشِ، إنَّني   لأَخْشَى حِسَاباً بَعْدَ حِينِ صَوَابِ
وأَشْرَبُ فِي وَهْمٍ شَرَاباً مُقَدَّساً   لَدُنْ صَارَ كُوبِي الهَشُّ بَعْضَ تُرابِ!

ولو أنَّ سَالي الكَرْمِ والعُصْبَةَ الأُلَى   سَلُوا الحُبَّ كانوا في الجِنانِ بِمَشْهَدِ
شَكَلْتُ إِذَنْ أنْ قد يَرَوْا ثَمَّ خالياً   مكاناً لَهُمْ حَتَى ولاَ بَاطِنَ اليَدِ!

وآهٍ لِتَذْكِيرٍ بِنَارٍ وَجَنَّةٍ   إذا كانَ هَذَا العَيْشُ سوفَ يَطيرُ
فهذَا وهَذَا الحَقُّ، لاَ حَقَّ غَيْرَهُ   فمَا عَادَ مِنْ بَعْدِ المَمَاتِ زُهورُ

أَليسَ عَجيباً أنَّ بينَ الأُلَى مَضَوْا   أُلوفاً إلى الظُّلُمَاتِ راحُوا وما عادُوا
فصارَ علَيْنَا كَيْ تُحقِّقَ ما جرَى   لَهُمْ سَيْرُنَا أو بَيْدُنَا مِثْلَمَا بادُوا؟

ولَيْسَتْ رُؤًى لِلأتقِيَاءِ وَغَيرهِمْ   أُولي العِلْمِ قبْلاً والنُّبُوَّةِ أُحْرِقُوا
سِوَى قِصَصٍ لَمَّا أفاقوا رَوَوْا لَهَا   فلمَّا انْتَهَوْا عادُوا وفي نَوْمِهِمْ بَقُوا

إذَا اسْطاعَ هَذَا الرُّوحُ يَطْرَحُ جانِباً   نِفَايَةَ هَذا التُّرْبِ حينَ أُطِيرَا
أَلَيسَ حَرَاماً أو مَعِيباً بَقاؤهُ   طَويلاً سَجيناً في التُّرابِ أَسِيرَا؟

ولكـنَّ هَـذي لم تَكُـنْ غـيرَ خَيْمَـةٍ	يُقِـيمُ بهـا السُّـلْطَانُ مثـلَ غَرِيـبِ
وغايتُـه لِلْمـوتِ، حَتـى إذَا مَضَـى	أُعِـدَّتْ لِضَـيْفٍ آخَـرٍ وَقَرِيـبِ

بَعَثْـتُ برُوحِـي خَلْـفَ دُنيَـا خَفِيَّـةٍ	لِيَلْفِظَ حَرْفـاً غـابَ عَنِّـيَ في السَّمَا
فلمَّـا أَتَـانِي قَـالَ – "نَفْسِـيَ وَحْـدَهَا	رَأَيْتُ السَّمَا فيهَا وَشِمْتُ جَهَنَّمَـا!"

إذا رَغْبَـةٌ نِيلَـتْ فَتِلْـكَ سَـمَاءُ	وإنْ مُهْجَـةٌ ذَابَـتْ فَتِلْـكَ جَحِـيمُ
فَعُـدْ لِظَـلامٍ قـد نَفَضْـنَاهُ سَـابِقاً	فَعَمَّـا قَلِيـلٍ عِنْـدَه سَـنُقِيمُ!

ولَسْنَا سِوَى رَكْبٍ يَسِيرُ وكُلُّنَا	خَيَالاَتُ تَمْضِي تَارَةً ثم تَغْتَدِي
وقَدْ حَمَلَ المِشْكَاةَ والشَّمْسُ طيَّها	بِمَلْعَبِهِ اللَّيْلُ المُدِيرُ لِنَهْتَدِي!

علَى لَوْحَةِ الجُوكانِ يَلْعَبُ بالدُّمَى	تَسِيرُ علَى لَيْلٍ بَدَا وَنَهَارِ
يُحَرِّكُهَا حِيناً هُنَاكَ وهَا هُنَا	ويُلْقِي بهَا مَوْتَى بِغَيْرِ سِتَارِ!

وَيَا الأُكَرِ الحَيْرَى تَفَنَّنَ ضَارِباً	فَلاَ نَعَمٌ تَدْرِي، وَلاَ لاَ بِهَا تَدْرِي
وشَرْقاً وغَرْباً مَا دَرَى غَيرُ لاَعِبٍ	بِمِضْرَبِهِ أَيَّانَ تَجْرِي لِمَا تَجْرِي؟!

يَدُ القَدَرِ الجَارِي لَقَد سَطَّرَتْ لنا وَمَرَّتْ، ولَنْ تُثْنَى بِتَقْوَاكَ أو وَعْظِكْ
وَهَيْهَاتَ يَكْفِي كلُّ دمْعٍ بَذَلْتَهُ لِيَمْحُوَ لَفْظاً كانَ سُطِّرَ عَنْ حَظِّكْ

أَلاَ فَلْتَدَعْ لِلْفَيْلَسُوفِ حَدِيثَهُ ودَعْ لِطَبِيبٍ مَا يَقُولُ كَذَاكَا
فَلَيْسَا عَلَى الحَالَيْنِ إلاَّ كَحَلْقَةٍ بِسِلْسِلَةٍ لاَ تَسْتَحِيلُ فِكاكَا!

ومَا هَذِهِ الطَّاسُ المُسَمَّاةُ بِالسَّمَا لِنَحْيَا وَنَفْنَى، لاَ تُطَالِبْ بِعَوْنِهَا
وقد قُلِبَتْ، إذْ تَحْتَها سَامَنَا القَدَرْ فَقَدْ صَوَّلَتْ شَأْناً كَشَأْنِكَ في القَدَرْ

بـــأوّلِ طِـــينٍ كَوَّنـــوا آخِـــرَ الـــوَرَى ... ومِنْ آخِـرِ المَحْصـولِ قَدْ نَثَـرُوا البَـذْرا

وأوّلُ صُـــــبْحٍ لِلْوُجُـــودِ بِرَقْمِـــــهِ ... رَوَى عَنْ أخِيرِ الفَجْـرِ في عَالَمِ الأُخْرَى!

أَعَـدَّ لنَــا أَمْــسُ الجُنــونَ بيَوْمِنَــا ... وصَمْتَ غَدٍ والنَّصْـرَ أو يَـأْسَ مُنْفَضٍّ

فَلِلــرَّاحِ هَيَّــا! لَسْــتَ تَعْـرِفُ مَبْـدَأً ... ولاَ سَـبَباً أو غَايـةً نَحْوَهَـا تَمْضِـي!

ألاَ خُـذْ مَقَــالي – حــين مَبْـدَأُ كَوْنِنَـا ... رَمَوْا فوقَ كِتْفِ الشَّمسِ في اللَّهَبِ المُوحي

وفـوقَ "الثُّرَيَّـا" الفَخْـمِ و "المُشْـتَرِي" رَمَـوْا ... مُقَـدَّرَ حَظِّـي مِـنْ تُـرَابٍ ومِـنْ رُوحِ!

إِذَا مَـا أصَـابَ الكَـرْمُ عِرْقـاً حِيَالَـهُ تَعَلَّقَ جِسْمِي فَلْيَكُ العَابِدُ السَّاخِرْ
ومِـنْ مَعْدِنِي الـدَّانِي لِيُشْـغَلَ بَـارِدٌ لِمِفْتَـاحِ بـابٍ دُونَـه صَـارِخٌ ثَـائِرْ!

وهَـذَا الـذِي أدْرِيـهِ – سِيَّانِ وَمْضَـةٌ مِنَ النُّـورِ حُبّـاً أو مِنَ الشُّـعْلَةِ الحَمْـرَا
لَخَيْرٌ لنَـا فِي الحَـانِ نَخْطَفُ وَمْضَـةً مِـنَ الأَلَـقِ المَفْقُـودِ فِي مَعْبَـدٍ فَـوْرا

أمِـنْ عـادِمٍ لِلْحِـسِّ لا شَـيْءَ يَغْتَـدِي كِيَانٌ مُحِسٌّ ثَـائِرٌ يَـرْفُضُ العَسْفَا؟!
يُعَـذَّبُ لِلصَّـفْوِ المحَـرَّمِ مِثْلَمَـا يُعَاقَبُ دَوْماً إنْ أَبَى ذلكَ الخَسْفَا!

أعَنْ خلْقِهِ المَرْصُوصِ تُرجِي له التِّبْرَا ... وعَـنْ رَغْـوَةٍ هانَـتْ نَـرُدُّ لـه دَيْنَـا
يُحَاكِمُنَـــا ظُلمـــاً لِعَقْـــدٍ مُلَفَّـــقٍ ... فَلَمْ نَشْتَرِكْ فيهِ، ألاَ بِئْسَ مَا يُجْنَـى!

وَلَـوْلاَ شُـعُورُ الرُّعْـبِ مِنْـهُ لِوَجْهِـهِ ... لَمَـا قُلْـتُ إِنَّ الظُّلْـمَ كـانَ سَـمَاحَا
وأُقْسِـمُكم مِـنْ صَـالِحٍ زارَ حانَـةً ... لَيُشْـبِعُهُ رَفْسـاً، ولـيسَ جُنَاحَـا!

أيَـا مَـنْ طَرِيقـي فِي شُـرُودِي مَلأْتَـهُ ... وِجَـاراً، ومَـنْ فِيـهِ نَصَـبْتَ شِـرَاكَا
أَتَمْلَـــؤُه بالشَّـــرِّ مِنْـــكَ مُقَـــدَّراً ... وتَنْسِـبُ لـي بَعْـدُ السُّـقُوطَ لِـذَاكَا؟

أَيَا مَنْ بَرَى الإِنْسَانَ مِنْ طِينَةٍ دَنَتْ ولم يَحْرِمِ الفِرْدَوْسَ مِنْ صُحْبَةِ الحَيَّة
ألاَ فَامْنَحْ الإِنْسَانَ عَفْوَكَ إِنْ يَكُنْ مُسِيئاً وَلَوْ لَمْ تُبْقِ عَفْوَكَ أَوْ غَيَّة!

كما قَد تَوَارَى تَحْتَ سِتْرٍ لِغَابِرٍ لَدَى "رَمَضَانَ" الجَائِعُ الخَائِفُ الظِّلّ
ذَهَبْتُ إِلَى الخَزَّافِ وَحْدِي وعِنْدَهُ مِنَ الطِّينِ أشكالٌ تَجَمَّعْنَ مِنْ حَوْلِي

وقَالَ سِوَاءُ – مَا تَجَرَّأَ مَرَّةً صَبِيٌّ خَبِيثٌ كَاسِراً كُوبَ أُنْسِهِ
فكيْفَ لِمَحْضِ السُّخْطِ يُتْلِفُ صَانِعٌ تَفَنَّنَ مُخْتَاراً – وِعَاءً لِنَفْسِهِ؟!

فَمَـا نَطَقُـوا، لكنَّمـا بَعـد صَـمْتِهِمْ تَلَفَّــظَ مــنْهُم وَاحِــدٌ ذاقَ ذُلَّــهُ

"لقَد سَخِرُوا مِنّي لِقُبْحي فَهَلْ نُرَى أُميلَتْ يَدُ الخَـزَّافِ في رَعْشَـةٍ لَـهُ؟!"

يَفـيضُ سـؤالاً مَيِّـتٌ مثـلَ عـائِشٍ لِمَـاذَا؟ ومَـاذَا؟ في شُـكوكِ سُـؤَالِ

وفي مـرةٍ أُسْـمِعْتُ صَـوتَ تَـذَمُّرٍ: تُرَى مَنْ هو الخَزَّافُ والخَزَفُ البَالي؟!

فَقَــالَ مجيــبٌ – "إنَّ قومــاً لِسـيِّد غليظٍ بِدُخَّانِ الجَحيمِ لَثُوا وَجْهَـهْ

وقــالُوا لنَــا عَــن شِـدَّةٍ لِحِسَــابِهِ فـأُفٍّ لَهُـمْ! هَيْهَاتَ يَظْلِمُ أو يَسْفَهْ؟"

وقال سِوَاهُ – إنّ تكُنْ طينَتي جَفَّتْ لإغفالِهـــا وَقْتــاً مَديـداً بــلا ذِكْــرِ
فهيَّــا تَقَــدَّمْ مِــنْ شَــرَابٍ مُحَبَّــبٍ لِمَلْئِي لَعَلّي بَعْدُ يَرْجِعُ لـي بِشْرِي!

وإذْ حَـدَّثَتْ هـذي الأَوانـي حَـدِيثَها تِبَاعــاً رأَتْ طِفْــلاً هِــلاَلاً نَشَــدْنَهُ
وفي فَرْحَــةٍ طابَــتْ تَغَــامَزَ جَمْعُهــا وقَـالـتْ – "غَدَا الخَزَّافَ يَهْتِكُ فَنَّـهُ"

أَلاَ فَلْتُـــزَوِّدْ بالسُّــــلاَفِ بقيَّـــةً لِعُمْـرِي وغَسِّـلْ بالسُّـلافِ رُفَـاتي
وأَلْـقِ بِجِسْـمِيَ طَـيَّ نَبْـتٍ مُنَضَّـرٍ بِمَهْجُــورِ بُسْــتَانٍ تَــرُدَّ حَيَــاتي!

إذا مَـا أتَـى هـذا الربيـعُ بدِفْئِـهِ   تَلاَقَـى حَبيـبٌ مِـنْ قَـديمٍ بِحُبِّـهِ
بِظِـلٍّ لِغُصْـنٍ مَائِـلٍ فـوقَ حَـائِطٍ   وقَـدْ نَثَـرَ النُّـوَّارَ فـوقَ مُحِبِّـهِ

وحينَئِـذٍ حَتَّـى رِمَـادِي فِي الثَّـرَى   يكـونُ كَفَـخٍّ في الهَـوَاءِ أُشِيـرَا
بحيْـثُ إذَا مَـرَّ مَـنْ كَـانَ كَـافِراً   بِعَقْرَبَـةٍ مِنْـهُ يَصِيـرُ أسِـيرًا!

لَقَدْ أغْرَقَتْ مَجْدِي بِكأسٍ صَغيرةٍ   محـبَّتي الأَوْثـانَ طُـولَ بَقَـائِي
وكانتْ لِفَضْلي النَّقْصَ في أعْيُنِ الوَرَى   فَضَـيَّعْتُ صِيتِي بائِعاً بِغِنَاءِ

أكِيداً أكِيداً كنتُ أعْلَنْتُ تَوبَتِي … وأقْسَمْتُ، لكنْ هَل تُرَى كنتُ وَاعِيا؟
ومِنْ بَعْدُ قَدْ وَافَى الرَّبِيعُ وَوَرْدَةٌ … براحَتِهِ فانْسَلَّ تَوْبِي مُجَافِيا!

ومِنْ حَيْثُ أنَّ الرَّاحَ كانَتْ أثِيمَةً … وقَدْ سَرَقَتْ مِنِّي رِداءَ وَقَارِي
فَوا عَجَبِي مِنْ مُبْدِلِيهَا بِمَا أرَى … أقَلَّ غِنىً مِنْهَا لبَائِعِهَا الشَّارِي!

ولكنَّ آهاً لِلرَّبِيعِ الذِي مَضَى … مَعَ الوَرْدِ، إذْ سِفْرُ الشَّبابِ تَوَارَى
كما لم يَعُدْ لِلْعَنْدَلِيبِ صُدَاحُهُ … ولم نَدْرِ أنَّى جاءَ قَبْلُ وسَارَا

أَلاَ لَيْـتَ صَـحْراءً لِعَـيْنِ حَبيبَـةٍ ... تجُودُ علَى السَّارِي العَليلِ بِلَمْحَةِ
فَيَقْفِـزَ مِـنْ بَعْـدِ الهُمُـودِ كَأَنَّـهُ ... مَـديسٌ مِـنَ الأَعشَـابِ عَـادَ لِوَثْبَـةِ!

وآهٍ لـو الـدُّنيا أُعِيـدَتْ لِخَلْقِهـا ... وقَبْـلَ كتـابِ الحَـظِّ يُخْـتَم دُونَنَـا
لِنَجْعَلَ مـنْ خَـطِّ الحُظُوظَ مُسَـجِّلاً ... بخـيرِ أسَـامِينَا، وإنْ يـأْبَ فَاتَنَـا!

لأَجْـدَى إذَا الـدُّنْيَا تَخَلَّـى سِـجِلُّهَا ... عَنِ اسْمٍ لِرُوحٍ مُتْعَبٍ سَيِّئِ العُمْرِ
وَمِـنْ ذَلِـكَ الفَـيْضِ المتَـابعِ قَطْـرَةً ... علَى قَطْرَةٍ فِي الكَرْبِ مِنْ أعْصُرٍ تَجْرِي!

وآهِ حَبِيبي لَيْتَمَا نَتَآمَرُ
مَعَ الحَظِّ كَيْ هَذَا الوُجُودَ نُدَمِّرُ

ونَخْلُقُه خَلْقاً جَدِيداً مُهَذَّباً
وأَدْنَى لِمَا تَهْوَى القُلُوبُ فَيَعْمُرُ!

ولكنْ تَعَالَ انْظُرْ حبيبي! فَهَا بَدَا
على الأُفْقِ هَذا البَدْرُ يَنْظُرُ نَحْوَنَا

بِرَعْشَةٍ يَرْنُو، فَكَمْ بَعْدُ يا تُرَى
سَيَرْنُو ولا يَلْقَى على العُشْبِ أَيَّنَا؟

أطيـاف الربيـع

(سبتمبر ١٩٢٢)

إهــــداءُ الدّيــوَان

إلى الــرُّوحِ الجميــلِ وكــم إليــهِ ... أبــثُّ مــن التلــهُّفِ رُوحَ ظــامِي
فــلا يُصْـغِي لآلامــي ويَنْسَــى ... فــؤاداً حَسْـبُهُ بَعْـضُ ابتســامِ
أعــيشُ ببســمةٍ وأعــدّ زادي ... أشــعّتَهَا وأشــربُها مُــدامِي
حُرِمْــتُ جمالَــكِ المعبــودَ حتــى ... غــدا قلــي حطامــاً في حطــامِ
كــأنّ الــذكرياتِ بــه بقايــا ... مــن الأشــلاء أشــتاتٌ دوامِــي
وصــارتْ مُهجـتي الثّكْلَـى بحُبّـي ... كعاصــفةٍ تَرَامَــتْ في الرَّغــامِ
وعَيشــي خُدعــةٌ لليــلِ تَتْـرَى ... وهــذا الشــعرُ أطيــافَ الظــلامِ

*****

وحــين تَـنفَّسَ الإصبــاحُ شــعراً ... وتــاه الحُسْــنُ بــاللحنِ البــديع
وردّدتِ الصــباحةُ أُغنيــاتٍ ... تمــوجُ بنشــوة الــرُّوحِ الوديــعِ
وطــوَّقني النســيمُ بكــلّ عطــفٍ ... وَجَفّــفَ مــا ترَقــرقَ مِــنْ دُمــوعي
وَحيَّــتْني الأزاهــرُ وهــي سَــكْرَى ... بخمــرِ الحُــبِّ في أدبٍ رفيــعِ
وداعبــتِ العصــافيرُ اللّــواتي ... مــرحنَ تــأمّلاتي بــل خُشــوعي
عرفــتُ يــدَ الألوهــةِ منــكِ تُنْضِـي ... ظــلامَ فــؤاديَ القلــقِ الصّــريعِ
فحــال دُجَــايَ أضــواءً بشــعري ... وصــار الشــعرُ أطيــافَ الربيــعِ

أبو شادي

شعـــر الدّيـوَان

تحت الوسادة

خَبَـأتْ أغــاني الحــبِّ تحــت وســادةٍ بســريرها
فكأنمــا خبــأتْ بهــا روحــاً تحــنّ لنورهــا
واستنشــقتْ منهــا العــبيرَ وقبّلــتْ مَعناهَــا
فــرأتْ بهــا نــورَ الحيــاة وحظّهــا وغِناهَــا
ومضــت تُــداعبُ روحَ هــذا الشــعرِ في تحنانــهِ
وكأنمــا هــو مُلْهَــمٌ منهــا بســحر بيانــهِ
وأطالــتِ الإحســانَ والإلهــامَ مــن شــفتيْها
وكأنمــا قلــبي الــذي حملتْــه بــين يــديْها
وأحسّــتِ اللّهَــبَ الحنــونَ يفــيض بــين ســطورهِ
فــإذا لهيــبُ شــعورِها يَلْقَــى لهيــبَ شــعورهِ
تتعــارف الأرواحُ وهــي علــى نــوىً بجســومِها
وتــذوقُ مــلءَ الشــعر طعــمَ غَرامِهــا وهُمومِهــا
تلــك الســطورُ عــواطفي وَمشــاعري وجَنــاني
فترفّقــي بعزيــزِ مــا تحويــهِ مــن خفقــانِ

شاطئ الأحلام

(خليج استانلي – رمل الاسكندرية)

رُدّوا شعاعَ الشمسِ حيث تُطِلُّ ... ودعوا الحسان مكانَها تحتلُّ
الخالعات من الثياب أجلّها ... واللابساتِ الحُسْنَ وهو أجلُّ
من كلِّ لونٍ للأزاهرِ صبغةٌ ... فيهِ وإنْ ملكَ البيانَ الفُلُّ
في مَسْرَحِ البحرُ وثّابٌ به ... مثلَ العوادلف يَعتلي ويَزلُّ
والموج يعبثُ بالصخور كأنها ... مُهَجٌ يحاربها الهوى فتَذلُّ
(فينوسُ)[1] تمرح فيه بين مَفَاتِنِ ... ويَلي (كيوبيدَ)[2] العزيز (أبولّو)[3]
وَطَنُ الألوهةِ في الحياة بما وعَتْ ... فلكلٍّ رمزٍ للنعيمِ مَحَلٌّ
لا تَسْقِني الخمرَ المعتَّقةَ المُنَى ... حين العيونُ تشوقنا وتَدِلُّ
حين السواعدُ في الشّهيِّ لِسُمْرَةٍ ... أشهى الكؤوسِ نذوقها ونَعِلُّ
الحُسْنُ لم يُعْبَدْ طَهوراً عارياً ... بأحبَّ مِنْ هذا الذي يَبتلُّ
واللهوُ لم يُغْنَمْ بريئاً حالياً ... بأرقَّ مِنْ صَفْوٍ عليه نُطِلُّ
فرحتْ به الأمُّ الطبيعةُ مثلما ... لاَقى الوصالَ العاشقُ المعتلُّ
مَرْأىً حياةُ الشعرِ مِنْ أوزانهِ ... ويعود للإكثارِ فيه مُقِلُّ
ومُنىً مِن الأحلامِ ترقصُ حولنا ... ومن الحقيقةِ ما حكاه الظِلُّ
كرُمَتْ، فكلٌّ ناهلٌ مِنْ طيبِها ... وقَسَتْ فأيُّ صَدىً هُناكَ يُبَلُّ؟!

---

[1] إلهة الجمال.
[2] إلهة الحب.
[3] إلهة الشعر.

في المعبد

وقفتْ تُناجي (الشمس) حين تجاهلتْ ... أنّ الشموسَ بحبِّها تتلالا

نطقتْ بروح الشمس واستوحتْ بها ... معنىً يبوحُ به الإلهُ تعالى

ومِن الرموزِ حقائقٌ ودقائقٌ ... حتى نكاد نرى الأصيلَ مثالاَ

وقفتْ تحنّ لها الضّحايا مثلما ... حنَّ البَخُورُ تجاهَها إقبالاَ!

في الهيكلِ المُصْغي إليها رهبةً ... حتى الظِلالُ به وَقفْنَ ظِلالاَ!

وترى النّقوشَ تقمَّصتْ أشكالَها ... أممٌ تُطِلُّ ولا تُريدُ زوالاَ!

وكأنما العمُدُ التي رَفَعتْ مَدَى ... هذي الفنونِ بزهوِها تتعالى!

وإذْ القُدُورُ تَضمَّختْ أنفاسُها ... بالحبِّ مِن أنفاسِها[1] يَتوالى

والشّمسُ تبسمُ روعةً وتألّهاً ... لِمَ لا وقد عشقَ الجمالُ جمالا!

*****

هذي حياةُ النيلِ ربَّةُ عرشهِ ... ومُنَى (أتون) رشاقةً وجَلالاَ

وقفتْ تُصلّي والصّفوفُ وراءَها ... كالدهر يجمع نحوَها الآمالاَ

رفعتْ يداً بالزَّهْرِ وهو شفيعُها ... وتمدّ أخرى في ابتهالٍ طالا

والحُورُ والولدانُ من أتباعها ... حتى الخيال لهنّ ليس خيالاَ

وإذا بأخناتون يُنصت غارقاً ... في الحُلْمِ يرقب حوله الأجيالاَ

وهبَ السلامَ إلى القلوبِ مؤاسياً ... ورأى الحروبَ سفاهةً وضلالاَ

وتحالفا[2] والشمسَ فيما أشرقتْ ... بهما ضياءً خالداً وكمالاَ

وكأنما هذي الأشعةُ لم تَزَلْ ... مِنْ ذلك الأمسِ العظيمِ مقالاَ

نطقتْ بها الذّرّاتُ لو يُصْغَى إلى ... ما حُمِّلَتْهُ تفاؤلاً وسؤالاَ

والفنُّ ينتظم القرونَ فإنه ... روحُ الزمانِ فما يَهابُ مُحَالاَ!

---

[1] يشير إلى نفرتيتي زوجة عاهل مصر أخناتون، وهي المرئية في موقف الصلاة والابتهال.
[2] أخناتون ونفرتيتي.

زيـــوس ويــوروبا

(كبيرة الآلهة ونموذج الجمال)

شـاقَه الحُسْنُ وكم شـاقَ الجمـالْ — كلَّ ما في الكونِ بل ما في الخيالْ
لـــيس بـدعاً مِـنْ إلــهٍ قــادرٍ — أن ينـال الحُسْـنُ منـه الإبتهـالْ
أو مُحَــالاً مِــنْ جَمــالٍ مُعْجِــزٍ — أن تـرى المـألوفَ منـه كالمُحـالْ

*****

خطــرتْ بنــتُ المليــكِ الســافِرَهْ — في رُبَــى الشَّــاطئِ تلــهو سَـاحِرهْ
والمُــروجُ الخُضْــرُ تَزْهــو حَوْلَهَــا — بــين نُــورٍ ومعَــانٍ ناضِــرَهْ
وبــدا الشَّــاطئُ في رُوحِ الصِّــبَى — وأمــاني الحــبِّ فيــهِ طــائِرَهْ

*****

ورآهـــا دُميـــةَ الفـــنِّ (زيـــوسْ) — وغِنــى الــدنيا وأحــلامَ الكـؤوسْ
فاشـتهاها وهــو أسمــى منـزلاً — وهي أسمى منه في حُسْنٍ يسوسْ
وأبـــى اســـتهواءَهَا إلا عَلـــى — صـورةٍ للفـنِّ تسـتهوي النفـوسْ

*****

فـــتراءَى في خيـــالِ الحيـــوانْ — الأليــفِ الطَّبــعِ والجــمِّ الحَنــانْ
صـــورةَ الثَّـــورِ البهـــيِّ المنظـــر — الخفيــفِ الظِّــلِّ ترضــاه الحســانْ
واكتسَـى مِـنْ لونـهِ الصَّـافي حُلـىً — فـــإذا المَـــرْجُ بمــــرآهُ يُـــزَانْ!

*****

ودنـــا مِـــن ربَّـــةِ الحســـنِ الـــتي — قـــد تَجلَّــتْ في مَصَــفٍّ الآلهــة
في دُعابـــاتٍ يُحيّيهـــا بهـــا — كتحيَّـــاتِ القلـــوبِ الوالهـــهْ
ألْقَـــتِ الخـــوفَ وناجتْـــهُ كمـــا — داعــبَ الطفــلُ الــدُّمَى المســتألهة

*****

وأتَـــتْ بـــالزَّهر إكلـــيلاً لـــه — ثـــم عقْـــداً شـــاقَها في جيـــدهِ

فـــازدهَى في نشــوةِ الحُــبِّ كمــا يزدَهـــي المعتــزُّ مـــن تأييـــدهِ
وانثنَـــــتْ تركبـــهُ في خِفَّـــةٍ فأتَمَّـــتْ حَظَّـــهُ في عِيـــدهِ!

*****

ومضــى في الـيمِّ يجـري ســابحاً غانمـــاً مُلكـــاً فريـــداً راجحَـــا
وجمـــالاً عبقريّـــاً بينمـــا كـانَ هـذا الكـونُ يرنـو صـادحَا
وتـــولّى يحمـــل الحســـنَ إلى حيث يلقى الحُسْنُ عرشاً صالحَا

*****

وتَجلَّـــى بَعْـــدَ ذا في صُـــورتِهْ حـــين (يوروبـــا) بـــدتْ في رُتبتِـــهْ
وارتضـــتْه بعـــدَ لأيٍ زوجَهـــا حـــين عَـــدَّ الكـــونَ مَـــرْأَى زوجتِـــهْ
كـــم كـــبيرٍ بصـــغيرٍ يَغْتَلِـــي وصـــغيرٍ بكـــبيرٍ لم يَتِـــهْ!

إيلـيا وصموئيــل

نظــرَ الشــيخُ نظــرةً مــن حنــانٍ للفتــى الســاحرِ النُّهَــى اللــوذعيِّ
نظـــرةً أُشْـــبِعَتْ بإلهـــامِ روحٍ كإلـــهٍ بوحيـــهِ الأزلـــيّ
ربَـــتَ الســـاعدَ القريـــرَ قريـــراً فسـرى النُّبْـلُ في الشـعورِ الفـتيّ
وتـــرى زُرقـــةَ الســـماءِ تـــراءَتْ في رضـــاءٍ مـــن الإلـــه العلـــيّ
نفــذتْ مــن غضــونِ نافــذةِ البيـــ ـتِ كطيـــفٍ مـــن السَّـــما قُدســـيّ
وتجلّـــى المصبـــاحُ بـــالنور أمـــوا جـــاً كمـــوجِ الحيـــاة في كـــل شـــيّ
وَبـــدا في ســـكونه الآســـرِ الليــ ـــلُ كمعنـــىً بمهجـــةِ الألمعـــيّ
وتخـــال الأَصـــباغَ في مَلبسِ الشيـــ ـــخ بيانـــاً مـــن الشـــعاع الســـنيّ
لكـــأنَّ الزمـــان وهـــو مُســـنٌّ مُشـــرِقٌ لابنـــهِ المليـــح الصـــبيِّ

وكـــأنّ الكتـــابَ في يـــده النشــْـ ـــرُ لســرٌ الوجــود مــن بعــد طــيّ
تَلمــحُ الحكمــةَ العميقــةَ والفكــ ـــرَ بوجـــهٍ مُنــوَّرِ الــنفسِ حـــيّ
وتـــرى شَــعْرَه المهيــبَ نُصــوعاً كجـــلالِ الحقيقـــةِ الأبـــديّ
مَشـــهدٌ صـــاغهُ الزّمـــانُ ليحيـــا في عصـــورٍ بشـــاعرٍ ونجـــيّ
كـان لونـاً مـن نقشِ أحداثـهِ الكُبـ ـــرَى ومعنـــىً مــن فنّــهِ العبقــريّ

*****

هتفَ الوحيُ في نُهَى الطفل إذْ قا مَ ليُصْـــغِي إلى الـــوليّ الـــوفيّ
فتغـــذَّى مـــن رُوحـــه بجمـــالٍ وتَحلّـــى منـــه بـــأبهى الحُلـــيّ
ومضَـى في الزمـان يغـزو جريئـاً بانيـــاً معقـــلَ الشـــعورِ الأبـــيّ
أمـــمٌ أُسْــعِدَتْ بـــه في حيـــاةٍ ومَمـــاتٍ بروحِـــه العلـــويّ
مثلمـــا أســعِدَ البيـــانُ بمـــرأى دائـــمِ الـــنفحِ بالجمـــالِ الســريّ

*****

رُبَّ طفـــلٍ رَعتْـــه أمٌّ حَنـــونٌ وأبٌ في كفـــاحِ عـــيشٍ شـــقيّ
وتَـــولاّه هاديـــاً مَـــنْ تَـــوَلّى وحبـــاه بعطفـــه الأبـــويّ
وأثـــاروا فيـــه الرُّجولـــةَ والنّبْــ ـــلَ وصـــدقَ التجمّـــل الروحـــيّ
صـــيَّرَتْه الأقـــدارُ مِـــنْ قـــادَةِ الفكْــ ـــرِ نبيـــاً أو في مقـــامِ الـــنبيّ

أفرديت وأدونيس

هَلُمِّي دُمُوعَ الجمالْ هَلُمِّي ولا تَكْتَفي
ويا جَذوةً في اشتعالْ أطيلي ولا تَنطفي
لهيباً بقلبي الوَفي!

*****

جَثَتْ قُرْبَهُ (أفرُديتْ) تنوحُ نواحَ المرُوعْ
بقلبٍ كسيرٍ شتيتْ يَسيلُ مَسيلَ الدّموعْ
ويُفشِي الأسَى في الزُّروعْ

عَلَتْ صرخةٌ داويه فهزتْ عَتِيَّ الصخورْ
كأنَّ المُنى الفانيه تطوف بأهلِ القُبورْ
وتُحيي الشَّجى والثُّبورْ

أحبَّتْهُ دونَ الورَى وما الحبُّ إلا الخلودْ
ولكنَّه ما ارتضَى حياةَ الغرامِ السعيدْ
شَغوفاً بوحشٍ يصيدْ

فجُنَّتْ جنونَ الغرامْ إذا القدَرُ استنزفَهْ
ولم يَبقَ إلاّ ضرامْ تخادعُه مُتْلِفَهْ
وتمنحه مُخْلِفَهْ

جثتْ قُربَهُ عاريَهْ وقد غرقتْ طيَّ يأسِ
سوى فضْلةٍ باليهْ من اليأسِ، فاليأسُ يُمسي
فناءً لجسمٍ ونفسِ

وأسندتِ الرأسَ ولَهى وصاحتْ بسخطِ الغرامْ

فأصـــــغى (أبولـــو) إليهـــا وأقســـــمَ أن لا يُضـــامْ

إلـهٌ يسوسُ الأنـامْ

وبينـــا (أدونـــيسَ) تـــدعو وقـــد أطبقـــتْ ناظريْهـــا

بصـــوتٍ مـــن الـــرُّوح يحـــدو ويـــدعو البرايـــا لـــديْها

ويُزجِي الضحايا إليها

إذا الكـــونُ ســـاجٍ ســـقيمْ فنـــالَ (الألمـــبَ) الصَّـــمَمْ

ســـوى مـــن (أبولـــو) الـــرحيمْ وقـــد نـــال منـــه الألمْ

فكم خصَّها بالنغمْ

فأنبتَـــــهُ زهـــــرةً هـــــي الأنِمـــونُ الجميـــلْ

نشـــاهدها حســـرةً علـــى ألمٍ يســـتحيلْ

به الحبُّ موتَ العليلْ

ففارقَهـــا في المســـاءْ مُصبِـــراً علـــى صبـــره

ومـــا هـــابَ مـــوتَ الضـــياءْ وكـــم مـــات في مَجْـــده

ولا خـاف من لَحده

وغادرَهَـــا وهـــي في تَلَهُّفِهـــا ظامئـــهْ

وفيهـــا شـــعورٌ خَفِـــي بنشـــوتِها الخاطئـــهْ

وحسـرتها الناشئهْ

ومـــا كـــادَ أن يتـــوارَى وإنْ يَتحـــدَّى الظـــلامْ

كمـــن وَدَّ يَغْـــزو النهـــارا – وإن فاتـــه – في اقتحـــام

ولو غاب بين الغمامْ

إذا بـــالجوار العزيـــزْ مـــن الجهـــد يَلقَـــى العثـــارْ

وبـــالموتِ طَفْـــراً يُجيـــزْ - لـــرَتٌ بـــدَا[1] - أخـــذَ ثـــارْ

من الفارسِ المستثارْ

فلاقـــى (أدونـــيسُ) حَتْفَـــهْ علـــى الأرضِ بـــين الـــدماءْ

ولم يَعـــرفِ المـــوتُ رأفَـــهْ لحســـنِ ربيـــبِ الســـماءْ

له في الألمِ الرجاءْ

ورنّـــتْ لـــه صـــيحةٌ فنـــاح الفضـــاءُ الرحيـــبْ

وثـــارتْ لـــه ثـــورةٌ وأنَّ الوجـــودُ الســـليبْ

وقد شامَ فقدَ الحبيبْ

وطـــارتْ لـــه (أفرديـــتْ) بلوعتهـــا والهـــوى

فألفتْـــهُ ميتـــاً يبيـــتْ مَبيـــتَ المُنَـــى في الثـــرى

وقد كان زينَ الورى

ولكنهـــا في ذُهُـــولْ عَـــدَاها الـــدَّمُ المزْهِـــرُ

عـــذابٌ ويـــأسٌ يَطـــولْ ومَـــوْتٌ لـــه آخـــرُ

كذاك الهوى المقفِرُ

فيـــا لوعَـــةً للطبيعَـــهْ بغُصـــنٍ ومـــاءٍ وصـــخرِ

تـــراءَت معـــاني الفجيعَـــهْ بهـــا في ســـكونٍ وذُعْـــرِ

وناحتْ بشعرٍ وشعرِ

هَلُمّـــي دمـــوعَ الجمـــالْ هَلُمّـــي ولا تكتفـــي

ويـــا جـــذوةً في اشـــتعالْ أطِيلـــي ولا تَنطفـــي

لهيباً بقلبي الوفـي!

---

[1] الرت هو الخنزير البري أو الحلوف (sus scrofa).

ميلاد الربيع

(أبيات مرتجلة في مناسبة)

أَمِنَ العواصفِ والدموعْ   هذي الملاحةُ للربيعْ؟
بدتِ الأشعةُ في الظلا   لِ كما تألقت الدموعْ
ولدتْه أيامُ التقشُّف والتبتُّلِ والخشوعْ
وأتتْ به الأيامُ كالأطياف من حصنٍ منيعْ
فإذا الصباحُ بآيةٍ   سحريَّةٍ عنه يضوعْ
هذي الأشعَّةُ جُسِّدَتْ   في كل حسنٍ تستطيعْ
ما بين زَهْرٍ خاشعٍ   وسواه معتكفٍ وديعْ
هذا بحالٍ للصلا   ةِ وذاك ملتفتٌ سميعْ
يا عينُ ما النَّبْعُ الذي   غمرَ الجمالُ به الربيعْ!
جاءتْ به حُورُ الجنانِ   وحاذرتْ أن لا يضيعْ
وضعتْه في الروضِ الوضيع فَشُرِّفَ الروضُ الوضيعْ
فإذا به الكونُ الرفيعُ   لصاحبِ اللبِّ الرفيعْ
وتلوح من خلفِ الأزاهرِ والمدامعِ للجميعْ
روحُ المحبةِ والدعابةِ والتجاوُبِ والشفيعْ
هي لمحةٌ خُطِفَتْ من الخلدِ العصِيِّ أو المُطِيعْ
وَنرى الإلهَ حيالنا   في كلِّ إعجازٍ بديعْ

*****

أحلى التحايا للربيعِ   حياةُ ما يُوحِي الربيعْ

رسـالة الربيـع

بسـم الربيـعُ بزنبـقٍ وبـوردةٍ ... وأطـلَّ يهتـف مـن ثغـور الليـكِ[1]
فأجبتُـه بتحيـةٍ علويّـةٍ ... وعشـقتُ فيـه النّـورَ مـن خـديكِ
ولمحتُـه مـتهللاً متوثبـاً ... فرأيتـه عـرفَ الجمـالَ لـديكِ
هتـفَ الربيـعُ فمَـنْ لمهجـةِ شـاعرٍ ... بمُنـى الربيـع تُصـاغ مـن شـفتيكِ
وحُلـىً مـن النُّـوارِ ألثمهـا كمـا ... لـثمَ الصبـاحُ النـورَ مـن عينيـكِ
الشـاعرُ الفنّـانُ ترقـب روحُـه ... نَجـواكِ شـعراً يسـتحيل إليـكِ
فـإذا نفحـتِ فكـلُّ ألـوانِ الصّبى ... والحـبُّ راقصـةٌ تطـلّ عليـكِ
وتصـون حُسْنَكِ للفنـون متوَّجـاً ... بحُلـىً تفـوق جُلـىً علـى نهـديكِ
وإذا بَخلـتِ فيـا أسَـى حرمانـه ... بـل يـا أسـىً للفـنِّ بـين يـديكِ

عند الجبل الراصد

سـاءَلتِ عـن ألمـي وعـن آهـاتي ... أوَ مَـا لَحَظْـتِ بهـا رثـاءَ حيـاتي؟
ونَظـرتِ مـن عـينيَّ وحـيَ عـواطفي ... في عـالمِ الأحـلامِ لا الغايـاتِ
حـين السـكوتُ يُظلّنـا بجمالـه ... ومـن السـكوتِ سـواحرُ الكلمـاتِ
حيـثُ التقينـا دونَ وعـدٍ سـابقٍ ... في جـيرةِ الجبـلِ الرفيـقِ العـاتي
فـوق انبسـاط العُشْـبِ وهـو كجنـةٍ ... صِـيغتْ مـن الأشـواقِ والأنّـاتِ
فـرأيتني أغضـي وأنـبس بـالهوى ... والحـزنِ في لغـةٍ بغـير أداةِ

---

[1] الليلك: زهر اللعلع.

فوعيتِ منها ما وعيتِ، وإنما غابت مَعَانيها غيابَ رُوَاتي

ماذا على الظمآنِ إنْ هو لم يَبِنْ حتى ببعضِ إشارةٍ وسِمَاتِ؟!

إنْ شئتِ أدركتِ الظماءَ بروحهِ فأغثتهِ كالطّلّ للزهراتِ

أو شئتِ ساءَلتِ المعذَّبَ هكذا في روحِ فلسفةٍ كروح أذاةِ!

*****

أخفقتُ في حبّي لأنّيَ حالمٌ أتملّكُ الأكوانَ في كلماتي

تجري العوالمُ في مجالِ عواطفي جَريَ الحياةِ بمُفْعَمٍ بحياةِ

فوهبتُ حُبِّي للجمالِ جميعهِ ووهبتُ مَنْ تَهبُ الجمالَ صلاتي

وجعلتُ شِعري نفحةً عُلويةً لإلهةٍ ترعاه بالنفحاتِ

فإذا الوجودُ بأسرهِ في مَأتمٍ خالٍ من الأربابِ والربّاتِ

حتى سمعتُكِ فاتهمتُ عقيدتي وحلمتِ بَعْدُ فرُدِّدَتْ نغماتي

فسألتُ قلبي عنكِ وهو بفرحةٍ ما بين أحزانٍ وبين شكاةِ

فأذاه مضطربٌ بلوعةِ حائرٍ فصببتُ حَبرتهُ على خفقاتي!

*****

وأخذتُ صورتكِ العزيزةَ مثلما أخذ النبيُّ هدَاهُ مِنْ عرفاتِ

تثبُ العواطفُ من جمالِ خطوطها وثبَ العطورِ من ازدهارِ نباتِ

فلثمتُ ألوانَ العزاءِ بوحيها لثمَ الضريرِ الطيفَ في الظُّلماتِ

وبكيتُ لكنْ بالأسى في نَشْوَةٍ فتلاقتْ البسماتُ بالعبراتِ!

*****

لا تسأليني عن سلامٍ يُرْتَجَى أو عن نعيمٍ تشتهين لِذاتي

طُوِي الكتابُ سوى البقية من هَوىً كبقيةِ الأسحارِ في الفلواتِ

للحسنِ منها ما يشاء فإنما للحسن ما استبقيتُ من صفحاتي

فإذا عُنيتِ بها خلقتِ بليلها قبَساً فصار النورُ من آياتي!

عــذارى الخيــال

أَمْتِعي الشعرَ يا عذارَى الخيالِ ... يُنجِبِ الشعرُ كلَّ غالٍ وحالِ
أيُّ دُنيا هذي التي تَتعالَى ... فوق فنِّ الصدَّاح والمثَّالِ؟
أيُّ دنيا هذي، وأهون دُنيا ... صاغها الشعرُ روعةٌ للمحالِ
كيف يحيا على ظماءٍ وَيفْنَى ... أهلُه حولَ مَنبع للجمالِ؟
يا عذارَى الخيال أنتنَّ أربابٌ ... وليس الأربابُ أهلَ الدلالِ
ليس يهوى الغرورَ إلاّ صغيرٌ ... يَتعالى في غير مَعْنَى التعالي
كنَّ أنتنَّ للفنون عزاءً ... في وجودٍ يسير سيرَ الخبَالِ
خُلِقَ الحُسْنُ للفنونِ قَرابـ ... ـينَ ولكنها لغير الزّوالِ
كلما زَوَّدتْ أولي الفن منها ... بجلالٍ جادوا لها بجلالِ
حينما الحسنُ لا يزالُ أسيراً ... حينما الوهمُ سيِّدٌ لا يُبالي
فإذا الحسنُ ضائعٌ لم يُبَلِّغْ ... غايةَ الحسنِ والفنونِ العوالي

*****

يا عذارَى الخيال أمْتِعْنَ وِجدا ... ني، فلم يبق غيرُ هذا الخيالِ!

زهـر الليمـون

خَلقتْهُ أنفاسُ الطبيعةِ نفحةً ... للحبِّ واستوحتْ به رُوحَيْنَا
وكأنّه لم يَزدهرْ ببياضهِ ... إلاّ ليُومئَ بالصفاءِ إلينَا
والعطرُ يَعبقُ منه مثلَ عواطفي ... هيهات تعرف في التخيُّل مَيْنَا
يا للشَّذى القدسي منه، وهل شَذىً ... إلاّ الذي أعطاه عَطْفُكِ دَيْنَا؟

أبدعتِ بالوصفِ الجميلِ لزَهْرِهِ   فإذا سُطورُكِ كالبراعمِ زَيْنَا
أشْبَعْتُ رُوحي من شميم عبيرها   وسليتُ أسطرَها الذي استوحين
حُمِّلْنَ أشباهَ الغصونِ قصائداً   للزهرِ فابتسمَ الذي حُمِّلْنَ
فإذا فؤادي في ربيعٍ ناضرٍ   مِنها ومنكِ، وقد بكى وتَغَنَّى
كم مِنْ صغيرٍ للجمالِ رآه مَنْ   فَهِمَ الجمالَ مَدىً له فتَمَنَّى!

قلب الشاعر

ساءَلتِ عن حِسِّي أمامَ الشمس في   إشراقِهَا المتدلِّلِ المتهادي
وعن الذي حَجبتْه عن دُنيا الورَى   مِنْ عالَمِ الأرواحِ والآبادِ
وذكرتِ حُبَّكِ للهلالِ لأنه   رَمْزُ الطهارةِ والجمالِ الهادي
تتأمّلين سَناهُ مثل إلهةٍ   تتأمّل المحظوظَ في العُبّادِ
تتأمّلين وتسألين، فهل درتْ   ذكراك أنّ الكون مِلْءُ فؤادي؟!
ما الشمسُ ما القمرُ المطلُّ وما الورى   والخلقُ جنبَ تَحرُّقي ووِدادي؟!
خَلِّي النسيمَ وزهرَه وطيورَه   وهواجسَ الأسحارِ والآرادِ
وتَلفَّتي لفؤاديَ المغمورِ في   سِحْرٍ يهيمُ به الزمانُ الحادي
تُصغي إلى همساتِه وحَنينهِ   حِقَبٌ تعود من القديم العادي
وخواطرُ الآتي البعيدِ تراجعتْ   لتنالَ أغلى الوَحي من إنشادي
إن العباقرةَ الذين استأثروا   بالخُلدِ وُحيُ الشاعر الوقّادِ!

*****

ولقد أطيرُ مع الخيال فلا أرَى   غيرَ الجمالِ هو الخَيالُ البادي

تتصادمُ الأحداثُ والأرواحُ والآما ... لُ كالأطفالِ بين تَنادِ
هذي تَصيحُ وهذه تجري على ... لهوٍ بَوادِيَ ثم غيرَ بوادِ
صُوَرٌ بلا عَدّ تموجُ عواطفٌ ... منها وتُغْرِقُ حسرتي وحِدادي
فأرى الملاحةَ وَحْدَها بسّامةً ... فوق العُبَابِ على ظلالِ الوادي
وأطلُّ في قلبي فأبصرها كما ... لبّيتِ أنتِ البدرَ وهو ينادي!

الأحلام

أسْكَرْتِ بالأحلامِ هَوَاهْ ... والحُلْمُ يُسْكِرُ من رُوحِكْ
فإنْ يُغَنِّ الشِّعْرُ مُنَاهْ ... فمِنْ جُروحٍ كجروحِكْ
شِعْرُ الحنينِ لمن يَهْوَاهْ؟
في نشوةِ البدرِ الزَّاهي ... والبدرُ يَسْكُبُ أضواءَهْ
رأيتِهِ مِثْلَ إلهِ ... يبثّ في الحسنِ رجاءَهْ
والحُسْنُ ساهٍ أو لاهِ
والطيرُ في صَمْتٍ كعليلْ ... والدَّوحُ في لهفٍ مكبوتْ
والبَحْرُ – مَرْأى كُلِّ جميلْ – ... أمسى كتيهٍ فيه يموتْ
هذا الضياءُ لفقدِ خليلْ
وكان يعزف ألحانَهْ ... ودَمْعُهُ يُفْشِي نجْوَاهْ
والحزنُ يَقطع أوزانَهْ ... وكم يعدّ الحُزْنُ غِنَاهْ
قلباً تشرَّبَ ألوانَهْ

فَلُحْتِ أنتِ بإشفاقِ فكاد يُسقِطُ قيثارَهْ
وقلتِ: دَعْ حُبِّي الباقي يُزيل دمعَكَ أو نارَهْ
وإن يكنْ للخلاّقِ

فجاء يبسمُ في عطفِ وقال: أنتِ تواسينَ؟!
أنتِ الصغيرةُ؟ هل يكفي عطفٌ لديكِ فتحيينَ
مَنْ بالتعذُّب يَستشفي؟!

فقلتِ حين مددْتِ يدَا تُجفِّف الدَّمعَ الحيَّا:
يدي الصغيرةُ لي أجْدَى بعطفها ممن يحيا
جُحودُها بأساً ومَدَى

وجئْتِ بالزَّهْرِ الحالي لرأسهِ والغصنُ يُطِلّ
قَطَفْتِهِ كالآمالِ تُظلُّه أو لسْنَ تُظِلّ
إلاّ خيالاً لخيالِ

وقلتِ: هذا من نَفْحِكْ هذا العبيرُ شَذَى لُبِّكْ
إن كان جُرحي من جُرحِكْ فما عرفتَ أسى قلبِكْ
وقد عرفتُ مَدَى نوحِكْ

وَهَمْتَ أنتَ بعرفاني وما وهمتُ بعرفانِكْ
لئنْ غُرِرْتَ بميزاني فما غُرِرْتُ بميزانِكْ
وقد فطنتُ لأحزانِكْ

هذا الفضاءُ بدا مُلْكَكْ هذي الطبيعةُ مِنْ جُندِكْ
فاطرحْ همومَكَ أو شكّكْ فالكونُ يُفْتَنُ من شَدْوِكَ
وكم يئن لدي أنِّكْ

إنـــي أعـــيشُ بهـــذا الكـــونْ لكـــــنْ بـــأحلامِ الشـــعرِ
لا عيشـــــةً لأســـــىً ولمـــينْ فِي النـــاسِ فِي وِزْرِ يُـــزْرِي
بكلِّ إجـلالٍ للحُسْـنْ

فلتَطَّـــــرِحْ دُنيـــا النَّـــاسِ ولتَحْـــيَ مثلـــي فِي الأحـــلامْ
مـــا أجمـــلَ الحُلْـــمَ الآســـي مُقَدَّســـــاً فـــــوق الآلامْ
وثـورةِ الدَّهْـرِ القاسي

لـــو كنـــتَ تعلـــم مـــا حُبِّـــي وقـــد تجـــرَّد مـــن جسمـــي
لَطِـــرتَ مُصـــطحباً قلـــبي فِي عـــالمِ الصَّـــفْو المُسْـــمِي
إلـى روائـعَ للحُـبِّ

لســـتُ الـــذي يَرْضَـــى الأسْـرَا وفِي فضـــاء الفـــنِّ أطـــيرْ
مَـــنْ لم يَعِـــشْ رُوحـــاً حـــرّا وإنْ تحـــرَّرَ فهـــو أســـيرْ
مـا الحُبُّ حُبٌّ للأسرى!

□*****

أســـكرتِ بـــالأحلامِ هَـــوَاهْ والحُلْـــمُ يُسْـــكِرُ مِـــنْ رُوحِـــكْ
فـــانْ يُغْـــنِّ الشِّـــعرُ مُنَـــاهْ فمـــن جُـــروحٍ كجروحِـــكْ
شِعـرُ الحنينِ لمن يهواه!

عبـــادة

إنـــي لأُخلـــصُ للحيـــاةِ عبـــادتي وأرى العبـادة نَشـوتي وسـعادتي
هـلْ غـيرُ محـراب الجمـالِ أخصّـه بـدمي وأنشـق مِنْ شَـذاه هـدايتي؟
فـاح البخـورُ فلُحْـتِ أنـتِ زكيـةً بالحسـنِ حتـى خلـتُ أنـك غـايتي

لِمَ لا إخـالُ وفي الأنوثـةِ بهجـتي وهي الحياةُ، وفي الحياةِ صبابتي؟

قد طرتِ في دنيا الحياةِ وما أرى هذا الخيالَ سِوَى مَسالكِ مُهجتي

وسَخَرْتِ من دُنيا الحياة ولا أرى دنيـا الحيـاة سـوى بيـان محـبتي

لا تسـتقرُّ بغيرهـا نفـسٌ وإن علقـتْ بأقـدس عـالمٍ أو ربَّـة

لا تـدَّعي أنـي الـذي لفـؤاده شـغفٌ بغـير المسـتعِزِّ لغـادتي

لـولا شـعوري بالجمـالِ منزّهـاً مـا صُـغتُ مـن غزلـي المنزَّهِ آيـتي

وأرى التنـزُّهَ للجمـالِ ولاءَه للفـنِّ حتـى يُعْرَفـا بجلالـة

وأراكِ فاتنـةَ المشـاعرِ في حُلـىً مـن عبقـريّ حنانـكِ المتهافـتِ!

فلمـنْ تكـون عبـادتي إنْ لم تَكُـنْ لسـناءِ (أفروديـت) آيُ عباتـدي

بـالروحِ والجسـمِ الطهـورِ وكلُّ مـا أعِنْـي جعلـتُ عبـادتي وسـعادتي

زهـرة الحـب

(تناول الشاعر بطاقة معايدة مزهرة من آنسة أديبة فبعث إليها بهذه الأبيات)

سـلاماً زهـرةَ الحـبِّ سـلاماً نضـرةَ الـوادي

نشـرتِ هـوايَ في عيـدِ وفي نجـواكِ أعيـادي

وفُحْـتِ شَـذىً فـألهمني حـنينَ البلبـلِ الشّـادي

شَـذىً وصَـدىً لفاتنـة تُـرَوِّي الشـاعرَ الصّـادي

بعثـتُ لهـا تحيّـاتي فـؤادي بـين إنشـادي

تَخفَّـى في بُيـوتِ الشِّعْـرِ وهـو المُخْتَفِـي البـادي

فلمـا جـاءَ جَنَّتَهـا تَجلَّـى العابـدَ الفـادي

فألقاها مُقَدَّسَةً بأطيافٍ وعُبَّارِ
ولكنْ بجلَّتْ منه أغاني الساحر الحادي
فَخَصَّتْهُ بمهجتها وطوَّقَ سِحْرُهُ الوادي

عودة الطائر[1]

(نظمت في حفلة عرس راقصة)

أُرقصْ وعَرْبِدْ يا فؤادي حتى ولو أفْنَيْتَني
السّجنُ لا يرضاه شادي غنَّى كما غَنَّيْتَني
أُرقصْ فهذي ليلةٌ لم تحلم الدنيا بها
الحُبُّ فيها دولةٌ والخُلْدُ مِنْ أربابها
مَنْ علَّمَ الطيرَ الرُّجوعْ إلاّ حنينٌ أسكركْ؟
مَنْ بَلَّغ الطيرَ الدموعْ؟ هل كان مِنْ دَمْعي الشَّركْ؟!
النّورُ مسكوبٌ رشيقْ كالصفو في دُنيا الهُمومْ
خَمرٌ من الظَّرفِ الرقيقْ قد هُيِّئَتْ خلفَ الغيومْ
مَنْ صاغها أو صبَّها إلاّ إلهُ العاشقينْ؟
الجوُّ مسحورٌ بها والناسُ شِبهُ الحالمينْ
واللحنُ... يا لَلّحنِ في هذا النسيمِ المضطربْ
كرسالةِ القلبِ الوفي فيها التألمُ والطربْ
قد مازجتْ ضوءَ القمرْ فالضوءُ واللحنُ سواءْ
فإذا المحبةُ والسَّمرْ في كل أنفاسِ الهواءْ

---

[1] انظر قصيدة "الطائر التائه".

والرقصُ لم أشعر به ... إلاّ معانيَ للحياهْ
والحسنُ في تحبيبه ... للرقص علَّمَهُ لُغاهْ
في أيِّ دنيا تنتهي ... هذي الأغاني السابحاتْ؟
طُرَفٌ من الفنِّ الشهي ... هيهات يدركها المماتْ
تتلقَّفُ الأجرامُ منـ ... ـها كلَّ مَعْنىً طائرِ
في كلِّ نجمٍ يَفتتِنْ ... قلبٌ كقلبِ الشاعرِ
أرسلتُ روحي حرةً ... بين الأغاني والضياءْ
حتى أراها مرةً ... تحيا حياةَ الأنبياءْ
فتعبَّدَتْ هذا الجمالْ ... شوقاً إلى معبودِهَا
حتى إذا تمَّ المحالْ ... وهبتْه كلَّ وُجودِهَا
أهلاً وأهلاً يا حبيبي ... هذا فؤادي ينتظرْ
أسِرَ العتابُ مع الرقيبِ ... وهزمتُ حُرَّاسَ القدَرْ
خُذْ قُبلتي أخذَ المُنى ... مِنْ كلّ أطيافِ الربيعْ
فيها الحرارةُ والسَّنَا ... فيها البشَاشةُ والدُّموعْ
جمعتْ صَلاتي وابتهالي ... وصَفَتْ بتعبيرِ الفؤادْ
وتَضمّ ألوانَ الخيالِ ... وتجاوُبَ الشوقِ المُعَادْ
والآنَ أنتَ الآسري ... صِرتَ الأسيرَ لشاعرِ
يَلقاكَ لقْيَا الساحرِ ... هيهات تخدع ناظري!
يا لَيلتي طُردَ السَّحَرْ ... وسَبَتْكِ أحلامي وحُبِّي
فَخُطِفْتِ مِنْ أيْدي القَدَرْ ... فإذا جَمالُكِ رهنُ قلبي
طُولي إلى الأبدِ القصيّ ... في روعةٍ لا تنتهي
قد أسلسَ الحُسْنُ العصيّ ... فأخذتُ منه تألُّهي!

الأغاني الصامتة

يـا مَــنْ تُسـائل عــن شِـعري والشـعرُ فيِ صَــمْتي نـاطقْ
الشَّـمْسُ مِــنْ قبـلِ الفَجْـرِ تُــوحِي بنُــورٍ للعاشــقْ
والنورُ يُلمَحُ في السرّ
كــم في الأثــيرِ تحيّــاتٌ تشــدُو بأنغــامِ الحُــبِّ
كــم في الهــواءِ صَـباباتٌ بــين القلــوب، ومِــنْ قلــبي
ملءَ الوجـودِ عبـاداتٌ
لا تسـاأليني عــن حُبِّــي بــل سـائلي القلــبَ الخـافقْ
قلــبٌ كَقلبــكِ لا يُــنبي إلاّ بإحساســـي الـــدافقْ
مِنَ المشـاعرِ واللُّـب
لا تحـــرميني أيَّ مُنـــىً قــد تشــتهيها لــي رُوحــي
لــبس الــودادُ يُعَــدُّ غِنــىً أمــامَ حُــبٍّ مكبــوحِ
ونحـو جُـرحٍ كجـروحي
بــلْ سَــامحي قلــبي الظــامي إن بــات يرشــفُ مــن قلبــكْ
وإن أتيـــتُ بـــآلامي إلى التَّعِلَّـــةِ مـــن حُبِّـــكْ
فصُـنْتِ لـي روحـي الدامي
مَــنْ ذا يَــرُدُّ هَــوَايَ الحُــرّ متـــى رآكِ وناجـــاكِ!
ومَــنْ يَصــدُّ عبــابَ البحــرْ عنــد العنــاقِ بلقيــاكِ
والشـطُّ جَـذلان يَفــترّ

ليلة في المعبد

عرفناهـــا علــى خَطَــرِ وهــل حُــبٌّ بــلا خَطَــرِ؟
كـــانَّ غرامَنــا فيهـــا هَـــوَى رُوحــينِ في شَــرَرِ
أبَيْنَـــا كـــلَّ وَهَّـــابِ وجئنـــا نحــنُ بـــالأنسِ
خلقنـــــاه بأنفســـــنا وجُزْنـــا ظُلمـــةَ اليـــأسِ
طَعَنَّـــا الـــدَّهرَ، والـــدهرُ مـــن اســـتهزائنا حـــائرْ
ألــيسَ الحُــبُّ مهمـــا لا نَ يَبقـــى الجـــامحَ الثـــائرْ؟
تلاقينـــــا بمعبـــــدنا ولم نَحْـــذَرْ مِـــنَ القَـــدَرِ
كأنّـــا قـــد ضَـــمِنَّا الصَّفْـــ وَطـــوعَ جمالهـــا السِّـــحري
فلمّـــا ضَـــمَّنَا الحُـــبُّ وكـــم للحُـــبِّ إعجـــازُ
طَرَحْنَـــا العقـــلَ حـــينَ القَلْـــ ـــبُ وثَّـــابٌ ونَهَّـــازُ
ففـــاض الشِّـــعْرُ مِـــنْ لحْظـــي ومِـــنْ قلـــبي وأنفاســـي
وكِـــدْتُ أذوبُ في قُـــبُلا تِ أشـــواقي وإيناســـي
أبَيْنَـــا النُّـــورَ: فـــالقُبُلا تُ شُـــعْلَةُ مُهجـــتي الحَـــرَّى
ولم أحفـــلْ بصـــوتِ الوَقْـــ تِ أو بهواجســـي الحَيْـــرَى
فمـــن ثَغْـــرٍ إلى نَهْـــدٍ ومِـــنْ نَهْـــدٍ إلى ثَغْـــرِ
مَناهـــلُ للحيـــاةِ وَعَـــتْ أحـــبَّ مَناهِـــلِ الشِّـــعرِ
نَعِمنـــا باحتضـــانِ الحُـــ بِّ نعمـــةَ مَـــنْ تَبنَّـــاهُ
فـــلا هُـــوَ مُفلِـــتٌ مِنَّـــا ولا نحـــنُ زَجَرْنـــاهُ
ويَعْبَـــثُ ضـــاحكاً أبـــداً كمـــا شـــاءَتْ أمانيـــهِ
فضَـــجعتُنَا مَبانيـــهِ ووَثْبَتُنَـــا معانيـــهِ

يُنـــــاولني تَفَنُّنَهَـــــا وَطَعْـمَ الشَّـوقِ مِـنْ فَمِهـا
فأسْـــحَرُ مِــنْ تحايُلِهَـــا وأسْـــكَرُ مِـــنْ تألُمِهَـــا
وأعشـــقُ كـلَّ مـــا يبـدو عليهـــا مِـــنْ مَعَانيهـــا
مَعَـــانٍ كلُّهـــا فِـــتَنٌ ولكـــنْ لســـتُ أدريهـــا!
فأنشَـــقُها وألثمُهَـــا وأرشُـــفُها وأطويهـــا
وألبَـــثُ حـــائراً أبـــداً علـــى شَـــغَفٍ أناجيهـــا
فمـــرَّت لـــيلتي صُـــوَراً مِـــنَ الإعجـــازِ لا تُنْسَـــى
فَجَـــدَّدَ سِـــحْرُها نَفسِـــي وكنـــتُ الفاقِـــدَ النَّفْسَـــا!

الطائر الحائر

تصدير كتاب قصصي للآنسة جميلة محمد العلايلي

أهـــلاً (جميلـــةُ) بالحيـــاةِ كمـــا رأتْ عَينـــاكِ
فيهـــا مَعَـــانٍ تُســـتطابُ فأيُّهـــا مَعْنَـــاكِ؟
حَلَّلْـــتِ ألـــوانَ المحبـــةِ والجمـــالِ الآســـرِ
وشَـــرَحْتِ قِصَّـــةَ طـــائرٍ بـــين المَفَـــاتِنِ حـــائرِ
ووَصَـــفْتِ أطيـــافَ التنـــاجي والعـــذابِ القاســـي
ومَظَـــاهرَ الحرمـــانِ والآلامِ بـــينَ النّـــاسِ
هـــذي هـــي الـــدنيا كمـــا صَـــوَّرْتِها للغافِـــلِ
لَهَفِـــي علـــى الزهـــرِ الجميـــلِ مـــن الهجـــيرِ القاتـــلِ!
لا يُسْـــأَلُ الفنَّـــانُ عـــن آرائـــهِ ورجائـــهِ

بل يُسْألُ الفنَّانُ عن إعجازه بأدائِهِ
وأراكِ فاتنةَ العواطفِ بالخيالِ السَّاحرِ
أنفاسُ شاعرةٍ لها أنفاسُ وَحْيِ الشاعرِ

الزهر الناعس

يا زَهْرُ ما لكَ لا تُجيبْ ... بالعطرِ رُوحا ما ابتَعَدْ؟
قد نمتَ عن رُوحي الحبيبْ ... ما النَّومُ عُن حُبِّي رَشَدْ
يا زَهْرُ هلْ يُغني الخيالْ ... عن نفحِ عطرٍ ساحرِ؟
يا زَهْرُ هل يَدْري الجمالْ ... إلاّ فؤادُ الشاعرِ؟
فيمَ النُّعاسُ أيا حبيبي ... والقلبُ يرقبُ يَقْظَتَكْ؟
هل صرتُ عندكَ كالغريبِ ... أم شاقَ غيري مُهْجَتَكْ؟
غيري يَشُمُّكَ ثم يُلقي ... بكَ ناسياً حتى الجميلْ
أمَّا أنا فيصون شوقي ... لكَ كلَّ معناكَ الجميلْ
ما لي ظمئتُ وقد سُقيتْ؟ ... ما لي اكتأبتُ بنشوتي؟
ما لي فنيتُ وقد حَييتْ؟ ... ما لي أخاصمُ نِعمتي؟
أوَ كلُّ هذا مِنْ سُلُوِّكْ ... يا نائماً عنّي هنيَّا؟
عِطرٌ ولونٌ مِنْ حُنُوِّكْ ... لولاهما ما كنتُ شيَّا!

الجمال العربيد

الآنَ يـــا قَلْـــبَ الخَلِـــيُّ   الآنَ تَلْقَـــى المُعْجِـــزَهْ
الحَـــبُّ يَقْـــتحم الحصـــو   نَ بروحــــهِ المتحفِّـــزَهْ
حـــاكى الخَلِـــيُّ بهـــا الشـــجيَّ   كلاهمـــا مستســـلمُ
فِي مَعْبَـــرِ الحَـــربُ فِي   أجوائــــهِ لا تَـــرْحَمُ
حَـــرْبُ الغـــرام وفِي الهـــوا   ءِ عواصـــفٌ كترقُّـــبي
ثـــارتْ وقـــد أخفـــى السكو   نُ هُبوبَهـــا وتَهَـــيُّبِي
لم أدرِ كيـــف دخلـــتُ هـــذا الــ   معبـــدَ الحُـــرَّ الكـــريمْ
فكـــأنني طفـــلٌ شريـــ   دٌ أرشـــدتْهُ يَـــدُ النَّعـــيمْ
حتـــى إذا عاينتُـــه   كنـــتُ الشـــهيدَ بســـاحهِ
يَلْقَـــى السَّـــلامَ مـــع القتـــا   لِ ويَشـــتفي بجراحـــهِ!

*****

قالـــت: حبـــيبي مَرحبـــاً!   أهـــلاً وأهـــلاً يـــا حبـــيبي!
مـــا لِـــي ســـوى هـــذه التحيَّـــ   ـــةِ مِـــنْ حبيـــبٍ للحبيـــبِ
فلثمتُهـــا ولثمتُهـــا   وضَـــمَمْتُهَا ضَـــمَّ المَـــرُوعْ
وجَعَلْـــتُ للقُـــبُلاَتِ أصْـــ   ـــداءَ التحيـــةِ والوُلـــوعْ
وكـــذلك الأرواحُ كالـــ   أجســـامِ تظمـــأ أو تجـــوعْ
وكـــذلك الأنفـــاسُ كالـــ   ألحـــاظ تنطـــقُ بالـــدموعْ
قبَّلْتُهـــا مِـــنْ كـــلِّ قلْـــ   ـــبي في إبتســـامِ المضـــطربْ
فـــإذا التلـــهُّفُ في السكيـــ   ـــنةِ والتَّحَسُّـــرُ في الطَّـــرَبْ
هـــذا النَّعـــيمُ أراهُ رأ   يَ العـــين لكنِّـــي أخـــافْ
فـــيم التخـــوُّف والحيـــا   ةُ جميعهـــا رَوْعٌ أطـــافْ؟

خُـذْ يـا فـؤادي - لا تَخَـفْ - مــا شـئتَ مــن هــذي الحيــاه
عمــــرٌ جديــــدٌ يــــا فــؤا دي مـــا تجـودُ بــه الشّــفاهْ!
قَبَّلْتُهَـــــا فلثمـــــتُ أحْـــــ ـــــلامِي وأطيـــافَ الربيـــعْ
وضـــــممتُها فضـــــممتُ أغْــــ ـــــلى النـــورِ مـــن ربٍ وديـــعْ
لا الــــرُّوحُ تَشــــبعُ، لا، ولا قلـــبي بخفـــقٍ يَتّئـــدْ
نَهَـــمٌ علـــى نَهـــمٍ وجُـــو دٌ لا يُمَـــــلُّ ولا يُحَـــــدّ
حتـــى إذا ســـقطَ الـــرِّدا ءُ وقـــد يُـــرادُ ســـقوطُهُ
هَـــرَعَ الهـــوى للحســـنِ يَحْـــ ـــمِي مُلْكـــه ويَحوطُـــه!

*****

مـــا هـــذه الأضـــواءُ والـــ ألـــوانُ مـــن ربّـــي الكـــريمْ؟
أكـــذا المصـــوِّرُ مِـــنْ سمـــا ءِ الفَـــنِّ يبتـــدعُ النّعـــيمْ؟
مـــا للتهيُّـــبِ مالئـــاً لُـــبي وقلـــبي لا يَهـــابْ؟
شـــأنُ المعابـــدِ تَجمـــعُ الـــ شـــيخَ الـــرزينَ إلى الشَّـــبَابْ
فتبسَّـــــمتْ وتَنهَّـــــدتْ بـــالنورِ والنـــارِ معَـــا
واستســـلمتْ وتمنَّعـــتْ حتـــى دنــا مـــا امتنعَـــا
فركعـــتُ عـــن بُعـــدٍ أحيِّـــي (أفرديـــتَ) السَّـــاحرَهْ
مـــن كـــلِّ إحســـاسٍ تفـــ ـــيضُ بـــه عيـــوني الشـــاعِرَهْ
ونظـــرتُ ثـــم نظـــرتُ للـــ ـــجسمِ البـــديع المســـتحيْ
فرأيـــتُ مـــا معنـــى الحيـــاة فمـــا الحيـــاةُ بكـــلِّ حـــيْ
وركعـــتُ عـــن قُـــربٍ لأنـــ ـــتوحي العيـــونَ الناعســـاتْ
فرأيتهـــا مُلِئَـــتْ بأحـــ ـــلامِ الغـــرامِ التائهـــاتْ
أرنـــو إليهـــا ثـــم أر نـــو خاطفـــاً أســـرارَها

وتَنالُ جسمي رعشةٌ ... وكأنّ جسمي اشتارَها
رُوحانِ قد خُلِقَا كما ... خُلِقَ الضياءُ معِ الحرارَهْ
يتمازجان تهافُتاً ... وكلاهما قد نالَ ثارَهْ
في كلِّ حالٍ كيفما اعـ ... تَنَقَا ينالان الخُلودْ
فإذا هما افترقا فما ... هذا الوجودُ من الوجودْ!

*****

خُذْ يا فؤادي ما اشتهيـ ... تَ من الجمالِ الشاردِ
الآنَ في قفصِ الغرا ... مِ بدا خيالُ الصائدِ
هو مَعْبَدٌ لم يَدْرِه ... إلاّ الهُواةُ المُلْهَمُونْ
فيهِ الفتونُ مع الفنـ ... ونِ، وحبّذا هذي الفُنونْ
دُنيا من الشَّغَف الطليـ ... قِ ومنِ جُنونِ العابدينْ
قد باتَ يحرسُها الزَّما ... نُ وقد وَفى للعاشقينْ
لم أرْضَ مَرْحَمةً لها ... أبداً ففي العُنفِ الحَنَانْ
وعصارةُ الروحِ الحَبيـ ... بِ يجلّها هذا الهَوَانْ
أنهكتُها إنهاكَ صُو ... فيٍّ تبتَّلَ في الصَّلاهْ
هذي مناجاةُ الجسو ... مِ حكَتْ مناجاةَ الإلهْ
فإذا الجمالُ مُعَرْبِدٌ ... وأنا المحبُّ الجاني
وإذاهُ مبتسمٌ لما ... لاقاهُ من إيماني
والنورُ تضطرب الظلا ... لُ به اضطرابَ العاشقِ
كقوامها الساجي على ... هذا الفراش الخافقِ
فسألتُها الغفرانَ والـ ... أضواءُ تضحك من سؤالي
لكنها كانت بدنـ ... ـيا للوصالِ وللخيالِ

فتنهَّـــدَتْ والليـــلُ يَـــدْ … نـــو كالغريـــبِ الزائـــرِ
ولحاظهـــا كـــالنجم تنـــ … ـــظر في شـــعورِ الحـــائرِ
فـــإذا الغريـــبُ[1] يَنـــالُ مَلْـــ … ـــعَبَنَا ومَعْبَـــدَنا مَعـــا
وإذا القريـــبُ[2] غـــدا الغـــ … ـــريبَ ومـــا وَعَـــى مـــا قـــد وَعَـــى
وإذا الملاحـــــةُ والغــــرا … مُ خيـــالُ قلـــبي الشـــاعرِ
وإذا الوجـــودُ بأســـره … عَبَـــثُ الإلـــهِ الســـاحرِ!

خلف الطبيعة

يـا مَـنْ تُفـتش عـن جمـالِ وُجودِهَـا … خلفَ الغروبِ وفي الجديدِ المُشْرق
في وحــي عينيـكِ الجمـالُ لشـاعرٍ … قَلِـــقٍ وفي تفكـــيركِ المتـــألّقِ
حَـدَّثْتِ عـن قلـبي حـديثَ غَرامـهِ … في شِـبْهِ أحـلامٍ وشِـبْهِ أمـانِ
مَـنْ ذا أبـاحَ لـكِ الوصـولَ لِسـرّه … فعلمـت مـا يحويـه مِـنْ خَفَقَـانِ؟
النشـوةُ الكـبرى عرفـتِ نعيمَهـا … في كـلِّ مدسـوسٍ وكـلِّ خيـالي
فدَعي التأمُّلَ في هـوايَ وحسـرتي … فمـــداهما أنـــأى مـــن الأجيـــالِ
لكـأنَّني اسـتُودِعْتُ حَسْـرَةَ خـالقي … وهَـوَاهُ حـين بَنَـى الوجـودَ فقصَّرَا
فلـواعجُ القلـقِ الـدفينِ تحفـني … فـأرى الحيـاةَ تسـامياً وتَعثُّـرَا!
وأطـارحِ الخـلاَّقَ شَـعرَ عـواطفي … فيبـــثني أشـــعارَه وخيالَـــهُ
صُوَرَ الوجود الباسماتِ قصائداً … والباكيـــاتِ مآلَنـــا ومآلَـــه

---

[1] الليل.
[2] الشـاعر.

فَرِحــتْ[1] كفرحـةِ طفلـتي بـأُبوَّتي ... وبَكـتْ كمـا بكـتْ الطفولـةُ للـهَوَى
مَنْ ذا الذي يدري: فلو فقدَ الورى ... هذا الوجودَ فقد هوى رَبُّ الوَرَى!
مـا ذلـك القلـقُ المسـاورُ مهجـني ... أتــراه إلاّ لوعـــةً للخـــالقِ؟
هـو فيِ صـميم مَشـاعري منغلغـلٌ ... وبروحـــه أحيـا بقلــبي الخــافقِ
إنْ تبحثـي خلـفَ الغُـروب فخلفـه ... مـا خَلْفَ نفسـي مِنْ جَوىً وحنـانِ
دُنْيـا احتوتْهـا مهجـتي، ولربَّمـا ... نَمَّــتْ عــن الأربــابِ والأكــوانِ
دنيـا تَملَّكَهـا الجمـالُ بكـلِّ مـا ... يَعْـني الجمـالُ وأنـتِ مـنْ مَعْنـاهُ
فيها العواصفُ، والعواصفُ ما لها ... أمْــنٌ وقــد يُبكيــه مــا أرضــاهُ

حارسة الفن

(مهداة إلى السيدة المهذبة زينات إمام فهمي زوجة الصديق العزيز حسن الجداوي)

مَنــابعَ الفــنِّ كـم ناجـاكِ فنَّــانُ ... وكـم بَخَلْـتِ وكـم أفنـاهُ حرمـان
وُزِّعـتِ، لم يَحْـظَ مفتـونٌ ولـو أمـلاً ... فيِ الحُلـمِ منـكِ بحـظٍّ فيـه غُنيـانُ
حتـى امتثلـتِ لمـن راعتْـكِ حارسـةً ... للفــنِّ فابتعـثَ الفنَّــان إحســانُ
جُمِعْـتِ في ظلـها الممـدودِ حاليـةً ... وقلَّمــا جَمعَــتْ نجـواكِ أزمــانُ
قـد كِـدتُ أفقـدُ إيمـاني فـأرجَعني ... منهـا إلى الرّشـدِ إحسـانٌ وإيمـانُ

*****

أهـلاً بجنـةِ دنيـا أنـتِ (زينتُهـا) ... وصــاحبٍ هــو فيهـا الآنَ جَنَّــانُ
مَحَضْتُهُ الـودَّ عمراً وهـو يُكسبني ... بــودِّهِ مــا اشــتهى فــنٌّ وفنَّــان

---

[1] صور الوجود.

أرخصتُ كلَّ عزيزٍ في محبتهِ فمثلُه بعزيزِ النفس يزدانُ
ما خِفْتُ يوماً على نَجواهُ مِنْ زمني فأنتِ دُنيا له بل أنتِ أكوانُ

*****

لمّا رأيتُكِ في الآمالِ حاكمةً وحولَكِ الحُبُّ ألحانٌ وألوانُ
وأنتِ في حسنكِ العلويِّ ظافرةٌ بكلِّ ما يشتهي في الخلدِ إنسانُ
زوجٌ وفيٌّ ومُلكٌ من محبّتهِ ومَرْبأٌ بجمالِ الصفوِ فتّانُ
وطفلةٌ كربيعِ الحبِّ في مَرَحٍ ووجهُها بمعاني النُّورِ ضحيانُ
عرَفتُ كيف تصونُ الفَنَّ حارسةٌ وأينَ يَرْوي حنينَ الروحِ ظمآنُ

معابد الحب

معابدَ الحبِّ إني الهائمُ الصَّادي أهيمُ ما بين آبارٍ وآبادِ
لم تَلقَ روحي صفيّاً تستضيءُ بهِ إلاَّ صفيةَ أحلامي وإنشادي
لقيتُها وكأني ما لَقيتُ سوى حُلمٍ من الوهمِ لا خافٍ ولا بادِ
جعلتُ كلَّ صلاتي في عبادتها وإن تَنَهّتْ صلاتي بين عُبَّادِ

*****

معابدَ الحبِّ روحي لا حدودَ لها في كلِّ ركنٍ عزيزٍ منكِ إيماني
وحَّدتُ كلَّ مناجاتي وإن نُشِرَتْ على الجمالِ بأزمانٍ وأزمانِ
فسامحيني على دِينٍ أهيمُ بهِ وهيِّئي لي رجاءً عند ديَّاني
وما ضحيةُ روحي عند ساحتهِ إلاّ تباريحُ وجداني وألحاني!

*****

مَعابدَ الحبِّ ما للحبِّ مضطهداً وما لأربابه ليسوا بأربابِ؟!

تَحجَّبوا وهمُ الدنيا بأجمعها … وحاذَروا من زمانٍ جِدِّ هيّابِ

عُلويةً أنتِ كالجنّات قد خُبِئَتْ … لكنّها بين نيران وإرهابِ

نمشي إليها على الأسيافِ قاطعةً … ونَشتفي بمزيجِ الشّهدِ والصابِ!

*****

معابدَ الحُبِّ ما لي كلّما ظفرتْ … روحي بحظٍّ أرى صُبحي من الظُّلمِ؟

ما لي أرى الحُلْمَ يُوحي يقظتي فإذا … بيقظتي من معاني اليأسِ في الحُلُمِ؟

ما لي أبشِّر بالحبّ الذي خُلِقَتْ … له الحياةُ فلا أجني سوى ألمي؟

ما للمعابد تأباني فهل حُسِبَتْ … روحي لديكِ كمنبوذٍ ومتّهمِ؟!

الفنان

أماناً أيها الحُبُّ … سلاماً أيها الآسي!

أتيتُ إليكَ مشتفياً … فِراراً من أذى الناسِ

أتيتُ وحوليَ الدنيا … تَصيح بلفظها النّاري

بيومٍ كلُّه لَهَبٌ … كأني مطمحُ النارِ

حنانكَ أيّها الداعي … فأنتَ مليكُ أنفاسي

فررتُ وحوليَ الدنيا … تحاربُ كلَّ إحساسي

فررتُ إليكَ من سِجْني … فِرارَ المذنبِ الثائرْ

وهذا الدهرُ يتبعني … بجيشٍ حانقٍ زاخرْ

أذنْبي أنني تَبَعٌ … وأنت السيدُ الناهي

وأنّ الخلق مُذْ جَحدو … كَ فاتوا رحمةَ اللهِ؟!

أمانـــــاً أيّهـــــا الثـــــاوي بهيكلـــــــك المنــــــاديني
فمــــا للنــــاسِ مـــــن ديـــنٍ وإن عـــــادوْكَ للــــــدّينِ
خَلَــــتْ ونــــأتْ عـــن الرقبــاءِ بــل عـــن روحِهَـــا الطُّـــرُقُ
ولكـــــنْ مِلْؤُهَـــــا قَلَـــــقٌ وروحـــــي مِلؤُهـــــا القَلَـــــقُ!
فمــــا لخــــواطري الحَيْــــرَى تــــروم اليـــومَ تُغْـــري بـــي؟
ومـــا لـــي أشـــهد الأحـــلا مَ كالأيـــامِ تُغْـــري بـــي؟
أمانــــــاً هــــــذه روحــــــي وجســـمي طـــوعُ مـــا تَرْضـــى
خلَقْــــنتَ مُنَــــى سمــــاواتٍ فجُـــزْتُ بمهجـــتي الأرضَـــا!

*****

دلفْــــتُ إلى سمــــاءِ الحُــــبِّ فهـــي بمعبـــدي الضَّـــاحي
وقـــد صـــار الهجـــيرُ بـــه نســـيمَ الــرُّوح والـــراحِ
دَلْفْــــــتُ إلى مَفاتِنهَــــــا وكــــم عُــــدَّتْ مُحرَّمَـــــةً
وهــل يَعْصِــي أســيرُ الفَــنِّ لحظــــاً بــــاحَ أو شَـــفةً
ومـــا كـــادتَ مُنـــايَ تَـــرَى رِحَــابَ الحُسْــنِ تـــرمقني
إذا بمُنــــــىً وأيِّ مُنــــــىً تــــواتيني وتعشـــــقني
يمـــوج الجـــوُّ بالألحـــان وهـــو الصـــامتُ النــاطقْ
ويَعبـــق مـــن شـــذَى (نيســـان) مثـــل الطـــائش العاشـــقْ
فمـــا للجـــوِّ مثـــل النفـــس إيمـــانٌ وأحـــلامُ؟
ومـــا للحـــبِّ ذابـــت فيـــه آلامٌ وآلامُ؟
ومـــا لـــي قـــد طرَحْـــتُ الهـــمَّ والهــمُّ يُنــــاديني؟
تُـــذيبُ حـــرارةُ الحـــبِّ تُلـــوجَ الهـــمِّ في لـــينِ!

*****

تأمَّـــلْ أيهـــا القلـــبُ تأمَّـــلْ! هـــذه الـــدنيا!

مفاتِنُهـــا قـــد اجتمعـــتْ وكـــادتْ تخــدع الأخـــرى!
صـــلاتكَ مـــا لهـــا حَـدٌّ فصـــلٌ ونـــاجِ مَـــنْ تهـــوى
تَسَـــاوَى الحـــرُّ والعبـــدُ إذا عبـــدا الهَـــوى مَعْنَـــى!
تأمَّـــلْ أيهـــا الطـــائشْ! تأمَّـــلْ! لا تَخـــفْ غَبْنَـــا
لمـــاذا أنـــت تضـــربني وقـــد أعطيتُـــكَ الـــدُّنْيا؟

*****

ولَمّـــا أقْبَلَـــتْ وثَبَـــتْ معـــاني الحـــبِّ مِـــنْ نفســـي
بـــأيِّ لُغـــىً أحيِّيهـــا مـــن الاحـــلامِ والحـــسِّ؟
تَصـــادمَتِ العواطـــفُ والـــ معـــاني مِـــنْ مَشـــاعرِها
فطـــوّقَ حُســـنُها الغـــالي عزيـــزاً شـــوقَ شـــاعرِها
أهـــذا الحســـنُ فِي كَنَفـــي وكلّـــي عبـــدُه الطـــائعْ؟
مُنِحْـــتَ الآنَ يـــا شـــغفي فُتـــونَ الخـــالقِ الرائـــعْ!
كـــأنّي حينمـــا عانقـــ تهـــا بغرامـــيَ الـــدافقْ
تركـــتُ معـــالم الـــدنيا ونـــالَ مَشـــاعري الخـــالقْ
وقـــد أدْري ولا أدري ســـناها فِي ذراعـــيَّ
سَـــناها نعمـــةُ الـــدنيا هواهـــا يُبـــدع الحَيَّـــا
أحقّـــاً نِلْـــتُ مـــا في الخُلـــ ـــدِ مِـــنْ معنـــىً وإحســـاسِ
فيـــا لَنعيمـــيَ الـــوافي وإنْ شُـــرِّدْتُ في النـــاسِ!
يـــديَّ! يـــديَّ! لا تَـــدعَا خلـــودَ ســـعادتي يَمْضـــي
سمـــاءُ الحـــبّ صـــافيةٌ ونائيـــةٌ عـــن الأرضِ
ومَـــنْ عـــرفَ (الألمـــبَ) كمـــا عرفـــتُ وذاق نُعْمَـــاهُ
أبَـــى كـــلَّ الإبـــاءِ فـــرا قَ رَبٍّ قـــد تَـــوَلاَّهُ!

*****

تَرفَّقْ أيها الطَّائعْ! ... لقد أخْضَعْتَني عَطْفا!
نأيتَ فلم أكن أُشْفى ... وعُدْتَ فلم أعُدْ أُشْفى!
أهذي غايةُ الحبّ ... ففي الحرمانِ تعذيبُ
وفي الإحسان تطبيبٌ ... فتعذيبٌ فتطبيبُ!
نعيمي كلّه حَرَقٌ ... وناري كلها نُعْمَى
فسلمي يُضمر الحَرْبا ... وحربي تضمر السلْمَا
فما لي لم أعشْ غِرّاً ... غبيّاً أقتل الفكرَا
فألقى الحُبّ مبتسماً ... وأدفن مهجتي الحيرى!

*****

رأتْ حُزْني وأحلامي ... وهذا الصفوُ يشملني
فردَّتْ كلَّ آلامي ... ببسمةِ رُوحِها الفنّي
وكنّا قد هزمنا الحَرْ ... رَ والحَرُّ يُعادينا
فلم نلبس سوى الأشوا ... قِ فالأشواق تُغنينا!
ونمنا نومةَ الحبّ ... وعطرُ الحُبّ فيّاحُ
بجسمٍ كلّه عَبَقٌ ... ورُوحٍ دُونَها الراحُ
أشمُّ عبيرَها الفنّا ... نَ في سُكرٍ يحيّرني
وأشربُ هذه الألوا ... نَ من نُورٍ يُداعبني
وأصفح عن أسى الماضي ... وإنْ ضحَّى مَسرّاتي
فهذي نعمة الماضي ... أتتْ في نعمةِ الآتي
أطلّي يا حياة الرو ... حِ في عينيَّ تحييني
شرابي منك أضواءٌ ... وقُوتي أن تناجيني
أطلّي وانظري شَغَفي ... تَرَيْ مَعنى عباداتي

عبـــاداتٌ خُصِصْـــتُ بهـــا	وفي عـــــينيَّ مِرآتـــــي
ولكـــنْ أيـــن نَظْرَتُهـــا	وقـــد هامـــتْ بـــأحلامِ؟
يُظَلِّلُهـــا حنـــانُ الحـــبِّ	مـــن ملكوتـــهِ السَّـــامي
وغابـــتْ هـــذه النَّظـــرا	تُ خلـــفَ الغيـــبِ في الـــربِّ
وأســـتوحي مَعانيهـــا	كـــأني نـــاظرٌ ربّـــي!
وأسمـــعُ دَقَّـــةَ القلـــبِ	لأعـــرفَ سِـــرَّه بـــدمي
فيـــدرك نَهْـــدُها طربـــي	ويخفـــق ســـاكراً بفمـــي
فلمّـــا نلـــتُ معناهـــا	ونالـــتْ كـــلَّ مـــا أعْـــني
جعلـــتُ الشـــعرَ مَبناهـــا	وعـــانقَ فنَّهـــا فنِّـــي!

السكـوت

مـــا للســـكوت يطيـــب عِنـــدَكِ؟ هـل سـكوتُكِ مـن صَـلاتِكْ؟
كـــالفجرِ للنهـــرِ الجميـــلِ إذا تَبسَّـمَ عـن صـفاتِكْ
مـــا بـــالُ ثـــورة نفســـك الظـــمأى بصـــمتك لم تُواتِـــكْ
أتعبـــتُ راحتَـــكِ العزيـــزةَ بالتحـــدُّثِ عـــن حياتِـــكْ
وأظـــلُّ أعشـــقُ شـــعرَكِ الـــغرّيدَ عِشْـــقي لُطْـــفَ ذاتِـــكْ
وبَنَـــاتُ وحيـــك لـــن أمـــلَّ حـــديثهنَّ بمعجزاتِـــكْ
شِـــعْرٌ تُغنّيـــهِ الحـــروفُ فكـــنَّ بـــين مُغنِّياتِـــكْ
وتُـــردِّدُ المُهَـــجُ الرقيـــقةُ لحـــنهنَّ بمســـكراتكْ

فعـــلامَ حرمـــاني وفي الــــ ــــحرمانِ قسـوةُ كـلِّ فاتِــكْ
رُوحٌ كروحــــك لـــن تجــفَّ لهـــا منَاهـــلُ أغنياتِـــكْ
والفــــنُّ خصـــمٌ للقنـــا عـــةِ والسـماحةُ مـــن لِــداتِكْ
إرْحَـــلْ ودَعْنَـــا يـــا سـكو تُ فلــيس فنّــي مــن هُواتِــكْ!

الأحـــدب

(مشهد من الأسطورة المكسيكية "الحنطة الثائرة")

في قــديمِ الآبــادِ غــرّدَتِ الأرضُ بلحــنِ المحبَّــةِ القدســيِّ
لم يكـن أهلُهــا سوى كـلِّ محبـوبٍ سـعيدٍ وكـلِّ قلـبٍ وفيِّ
فاستَوى الأحدبُ الخبيثُ على العرشِ كئيباً بملِكهِ السفليِّ
حـائراً لا يَرى سبيلاً إلى الثـأرِ مـن النـاسِ والوجـودِ الهنيِّ

*****

اســتوى الأحــدبُ المـروِّعُ كـالقردِ وأوْفَـى بروحــهِ إبلـيسُ
فـوقَ صـخرٍ كقلبـهِ، اخضـرَّ كالمـاءِ إذا نالـه النبـاتُ الحبيسُ
مَشْهَدٌ للتناقضِ الجمِّ مِنْ فنٍّ عجيبٍ فيه النفيسُ الخسيسُ
وتَـراءَى الأصباغُ في جوِّه القاسي كمـا يُجتلَى النحـاسُ الرسيسُ[1]

*****

أي دنيا هذي من الصّخْرِ والمعدن والطحلب الذي ساءَ لونَا؟!
أيُّ مرأىً هذا الذي يجعل الفنّانَ يهوى ويكره الفنَّ عَيْنَا؟!
أيُّ سـوءٍ يُطِـلّ مـن هـذه اللوحـةِ للفـنِّ إنْ تمثَّـل مَعْنَـى؟!

---

[1] الرسيس: الأثري الصدئ.

أيُّ رَمزٍ وأيُّ نُطقٍ وإفصاحٍ وهَولٍ ووحشةٍ تَتَجنَّى؟!

*****

جلسَ الأحدبُ المروَّعُ حيرانَ ومِنْ حَوْلِهِ الطُّيورُ الكواسرْ
في نظامِ الحُرّاسِ حولَ زعيمٍ وجههُ صورةُ الرَّدَى والمخاطِرْ
وَتَراءَى الطُّيرُ أنفسها نوناً من الشَّرِّ ساكناً وهو طائرْ
في سوادِ الجلبَابِ والمعطفِ الأبيضِ كالليلِ مُقْحِماً نُورَ ثائرْ

*****

مَشْهَدٌ داعبَتْهُ رُوحٌ من السِّحرِ فأوْحَى بروحهِ الأثريِّ
وتَجَلَّى البَخورُ فيه ضحايا في دخانٍ يُصاغُ مِن كلِّ حيٍّ
وعجيبُ النقوشِ والنحتِ في الصّخرِ تهاويلُ للزمانِ العتيِّ
هو مرأىً أحارُ من نظرتي فيه.. أفيهِ غباوةُ العبقريِّ؟!

*****

صاحَ: "يا عَبْدُ! خُذْ إلى ظاهر الأرض حريصاً رُسْلا لنا أوفياءَ
خُذْ لها نلكَ (التحاسُد) و (الأثرةَ) و (المكر) و (الدَّنا) و (الرياءَ)!"
قال هذا له وقد ركع العبدُ ولاءً والطيرُ أصغى ولاءَ
وهو في فرحةٍ بما بَثَّ في الأرضِ من الرُّسْلِ كي تُعاني الشقاءَ!

بين المروج

(عبادة الحزن)

جلسَتْ تفكّر في خيالِ غَرامي	وتُطِلُّ في غيبي وفي أحلامي
وتَعُبُّ من شعري ووحي صبابتي	خمراً من الأنغامِ والآلامِ

فتهزُّهــا مثلــي وتُســكرها كمــا ... بــالفنِّ تســكر ريشــةُ الرسّــامِ
تاهــتْ بــدنيا الحــبِّ، فهــي غنيــةٌ ... بالحــبِّ، حــين سـقامُها كسـقامي
وتخيَّلــتْني عاطفــاً ومواســياً ... أحنــو بكــأسِ هَــوىً وكــأسِ مُــدَامِ
حتــى إذا مــا قــد ذكــرتُ شــقاوتي ... ومناحــةَ المفقــودِ مــن أيــامي
وغرامــيَ الماضــي الــذي كفّنْتُــهُ ... بــدمي وأُودِعَ في فــؤادي الــدامي
غَلَبَتْ علــيَّ من الشــجونِ عواصفٌ ... فســقطتُ في كنَـفِ المُـرُوجِ أمـامي
والتعــتُ حتـــى لم أردَّ تحيــةً ... منهــا وكــان ســلامُها لســلامي
فتوهمَّــتْ أنــي نســيتُ ودادَهــا ... أو أنَّ شــعريَ غــيرُ روح هيــامي
والحــبُّ يَعلــم أنــني في غمــرةٍ ... وعواصــفٍ مــن قســوةِ الأيــامِ
أحْيَــا بأشــجانٍ تُميــدُ رواســياً ... وتُميــتُ كــلَّ رجــائيَ البَسَّــامِ
فــإذا فــررتُ إلى الضــياءِ هنيهــةً ... أجفلـتُ ثـم قصـدتُ كهـفَ ظلامـي
وعَرفْتُ عن طيب المرُوجِ وإن تكنْ ... فَنَّــاً مــن الإبــداعِ والإلهــامِ
وســكنتُ للــنفسِ الحزينــةِ جاثيــاً ... قلقــاً أُفــتِّش عــالمي المترامــي
فأَشْربُ كأسَ الحزنِ وحدي صامتاً ... والصــمتُ بعـضُ عبادة المتسـامي
وأصـونُ عنهـا الحـزنَ، إنّ شُـبوبَه ... حَرَقــي، وإنّ رُكــودَ لحُطَــامِي!

مدام بترفلاي

(نظمها الشاعر ارتجالاً على إثر إحدى مشاهداته لهذه الأوبرا المشجية)

دَمْعــي (مَــدَامُ بَتْــرفِلاَيْ) دَمِــي (مَــدَامُ بَتَــرْفِلاَيْ)
خُلِقَــا لمثــلِ عــذابكِ القاسِــي ومــا لهُمــا سِــوَايْ!

أبصرتُ مَصْرَعَكِ المكرَّرَ كالمآسي في نُهايْ
حيناً تُصَوَّرُ في الحُبورِ، وكلُّ ما فيهِ أسَايْ
وتُشَامُ في السّقمِ المبرِّحِ مستسِرّاً في حَشايْ
يا حُلوةَ الرُّوحِ الحبيبِ شَجِيٌّ ذِكراكِ غِنايْ
ما لي، أرومُكِ في المَشاهدِ والعواطفُ مُقلتايْ
وتَعُبُّ روحي مِنْ عذابكِ ما ينوءُ به حِجايْ
أكذا الغِنَى للنفس آلامي؟! أهذا مُبتَغايْ؟!
أعذابُ روحي طُهرُها المبقي عليها أم فَنَايْ؟!
أفديكِ للذكرى فهذا شعرُ تقطيعي فِدايْ!
يا للسّذاجةِ والحنانِ تَبدَّدَا كشذَى هوايْ
يا للضحيةِ للحياةِ نداؤها أبداً نِدَايْ
خدَعَتْكِ أطيافُ الربيعِ وكم حسبتُ بها نَدَايْ
والحُبُّ يَلعبُ مارحاً مَرَحَ الصبابةِ في بُكَايْ
والطيرُ يَبني عُشَّه كبناءِ وَهْمي في صِبايْ
والغيبُ يُخفِي سِرَّهُ كالبِشرِ إنْ أخْفَى عِدايْ
خَدعتْكِ في شتَّى مَرَائيها وكم خَدَعتْ رَجَايْ
ففقدْتِ كلَّ مؤمَّلٍ ولَفَظتِ رُوحَكِ في مُنَايْ
فإذا الضحيةُ مُنتهاكِ وللضحيةِ مُنتهايْ!

البأس الساحر

أنـا لا أُخـادع أمّـتي بنصـيحتي ... مـا كنـتُ مـأجوراً ولسـتُ بـآجرِ
مـنْ ذا يُسـخِّر مهجـتي وعـواطفي ... لِهَـوَاهُ أو يلـهو بـروحِ الشـاعرِ؟
وطـني العزيـزَ بكيـتُ حظَّكَ حينمـا ... خَـذلَ البنـون مُنَـاكَ خـذلَ الفـاجرِ
تخـذوا التنابـذَ ديـدناً وتفرّقـوا ... جَرْحَى التخاذلِ تحت جيشٍ ظافرِ
وتقـاذفوا تُهَـمَ الهـوانِ كأنَّمـا ... غنموا إذا اقتسموا هوانَ الخاسرِ
مـنْ مُبْلِـغٌ أحـداثهُمْ وشـيوخَهمْ ... أنَّ التنـاحرَ مَـأرَبٌ للنـاحرِ؟!
تمضـون أنـتم كالضـحايا بينمـا ... هـو ساخرٌ منكم وأعجبُ ساخرِ!
لـ ولا تنابـذُكم لأذعـن بأسُـه ... لكمـو، فـإنَّ الحـزمَ أبلـغُ ساحرِ
والآن يـا وطـني الـذليلَ ألاَ فتـىً ... جـمّ البطولـة مسـتقلّ الخـاطرِ
يَقْضِـي علـى هـذا التنابـذ ضـارباً ... بعوامـلِ التفريـقِ ضَـرْبَةَ قـادرِ
فيعيد مجدَكَ وهـو مَجدُهُمو، فما ... غـيرُ القـويِّ يُعيـد حـظَّ العـاثرِ
إنَّـا بعصـرٍ للتعـاونِ وحـده ... حـين التعـاونُ قـاهرٌ للقـاهرِ

سماسرة الهوان

مـالـي وأطيـافُ الربيـع تشـوقني ... أُشْجَى كما يُشْجَى الغمامُ بموطني
فيجـيء حتـى في الربيـعِ كأنّـه ... صُـوَرُ الجـدادِ لمحـزنٍ ولمحـزنِ؟!
وطـني! نُكِبْـتَ بكُـلّ غـرّ نـافخٍ ... في شُـعلةِ الحقـدِ المـدمّر لا يَـني
يتظـاهرون وأنـتَ وحـدكَ غـارمٌ ... وهُـمُ الجُنَـاةُ وإن عُـددْتَ المجـتني

كُــلٌّ يحقّــر نِــدّهَ وكأنمــا المجـدُ أن يـؤذي أخــاه بمطعــن

فــإذا التعــاونُ سُــبّةٌ وجريــرةٌ وإذا التنابــذُ مثــلُ داءٍ مُــزمنِ

لــولا سماســرةُ الهـوانِ لمـا غـدا هـذا الهـوانُ ينـال عـزَّةَ مـوطني

هـدأة الصيف

مـا بـالُ هـذا الصـيفِ يهـدأ عنـده قلـقُ العواطـفِ بـل تنـام هنيئـا

وأنــا الــذي إحساسُــه متوثّــبٌ فــإذا تَبَاطَــأ لا تــراه بطيئــا؟!

أيــن الهـدوءُ لشــاعرٍ أحلامُــهُ قـد طوَّقَـتْ هـذا الوجـودَ مِـرَارَا

فيتــابع الأجــرامَ في حركاتهــا ويصــاحب الأنــداءَ والأزهــارَا؟!

عرفَ الجليلَ مـع الحقيرِ فلم يَزلْ يسـتوعب الـدنيا المنوَّعَـةَ الصُّـوَرْ

فـتراه يَلْقَـى الصـيفَ مثـلَ ربيعـهِ ففـؤاده لحـظَ الجمـالَ وإن سُـتِرْ؟

يـا نبـعَ وحْـيٍ كلُّـهُ طُـرَفُ الهَـوَى هـل جَـفَّ هـذا النَّبْـعُ إثرَ الصـيفِ؟

حاشــاه! هــذا النبــعُ إيمــانٌ بــلا حَـدٍّ، وصـمتُكِ فيـهِ معنـى العطـفِ!

الدنيــا المريضــة

يـا ليـتَ طـوعَ يـدي الشـفاءَ فإنمـا أوْلَــى بإســعادِ الجمــالِ الطــبُّ

ألَمِــي لهــمٌّ في فــؤادِكِ ثــائرٍ ألمُ الضـعيف سـلا دُعَـاهُ الـرَّبُّ

أتنـاول الحسـراتِ كـأسَ مُـدامتي والحَـظُّ يخطـو عـاثراً ويَـدِبُّ

وأودّ لـو أنـي أصـونُكِ عـن أسـى دنيـايَ، فهـي دُنـىً أباهـا الحُـبُّ

لـو أنهـا قـدرَتْ شـعورَكِ هَيَّـأتْ لـكِ في السـعادة مـا تخَيَّـلَ صَـبُّ

رُوحٌ كروحـكِ كلـهُ لُطْـفُ النُّهَـى أوْلَـى بـه مـا يَشـتهيهِ مُحِـبُّ

لا أن يُعَـذَّبَ في عواطفـهِ بمـا يَلقـاه مـن دُنيـا جفاهـا الطِّـبُّ!

النـــاسي

نَسِيتَ وَجْدِي وكم أنْسِيتَ يا قاسِي أنـا العليـلُ ولكـنْ قلبُـكَ النّاسِـي

يـا راحـلاً عائـداً مَرْضـاهُ كالآسـي وكلُّـهُ رحمـةٌ يُشْـفَى العليـلُ بهـا

مـا بـالُ قلبي هـو المَنْسيُّ في النـاسِ؟

زعمتَ أنّي الذي يسلوكَ في بُعْدِكْ فهل جهلتَ فؤاداً عاش مِنْ وِدِّكْ؟

كيف السُّلُوُّ ورُوحي مِنْ جَنَى شَهْدِكْ وعَهْدُها للـهَوَى أنـتَ العلـيمُ بـهِ

فقد شرحتَ مَعاني الحُبِّ في عَهْدِكْ؟

يَنْسَاكَ مَنْ كان ينْسَى حُسْنَك الآسِرْ يا مَنْ غدا حُسْنُهُ للشعرِ والشـاعِرْ

حُسْنٌ من النورِ يَغزو فَنُّهُ الزاخِرْ أهـلَ الحيـاةِ فيُحيـيهم لأجيـالِ

فإنّ رُوحَـك كالإلهـامِ للسـاحِرْ!

الإعصار العاتية

(بعث الشاعر اللبناني المجدد إلياس قنصل بمخطوط شعره إلى صاحب هذا الديوان لكتابة مقدمة له فارسل إليه التحية الآتية بعد اطلاعه على ذلك الشعر)

أللخلد يـا ابـنَ عزيـزِ الخيـالِ ... تطـوف علـى القِمَـمِ العاليَـهْ؟
جَـديرٌ بشـعرِكَ وَحْـيُ الجمـالِ ... بأوصـافِكَ الحُـرَّةِ الآبيـهْ
ومـا فيـهِ مـن ثـورةٍ للمُحَـالِ ... ومِـنْ وَثْـبِ إعصـارِكَ العاتيَـهْ
لـئنْ جمَحـتْ فجمـوحُ المَعَـالِي ... وإنْ هَـدأتْ فـالمُنَى الراضِـيَهْ
غنـاءٌ يفـيضُ بسِـحْرِ الليـالي ... وفلسـفةِ الأنجـمِ الرّانيَـهْ
فمـن كـان يُنشـده لا يُبـالي ... بـدنيا الـورى والمُنَـى الفانيـهْ
ومـا الشـعرُ إلاّ عزيـزَ ابتهـالِ ... ورُوحـاً مـن الشُّـعلةِ الباقيـهْ

المعبد المعتزل

(جلسة مسائية في متحف فني للتصوير وقد اجتمعت فيه أضواء فنية ساحرة)

ومَعْبَدٍ مِنْ مغاني الخُلدِ معتزل ... قد أطلعَ الفنُّ فيه كلَّ إعجازِ
الضـوءُ فيـه أمـانيٌّ منوَّعَـةٌ ... من كلِّ لونٍ خفّي الروح نَهَّازِ
جلستُ فيه وحولي من نماذجه ... روحُ الطبيعةِ في تعبيرها الغَالي
تمثّلَتْ صُوَراً هيهات يجحَدها ... حتى الخليّ فما في الفنّ من خالي
سِحْرٌ من القبَسِ العالي تطوف به ... مِن مُهجة الخالقِ الوهَّابِ أشعارُ
كأنّه جالسٌ يُصغي ويرسم ما ... فيه الحياةُ وفيه الموتُ والثارُ
هل هذه صِبغةُ الرحمن خالقنا ... جادتْ لنا بجمالِ الكونِ شفَّافا؟

هــذي الطبيعــةُ جاءَتنــا مجمَّعــةً وجاذبتنـــا تهـــاويلاً وأطيافَـــا
وحينمــا قدَّســتْ أرواحُنــا مُـثُلاً منهـا عبدنا الـذي نـاجَى أمانينـا
وقـد لثمنـا يـدَ الـرحمنِ ناقشـةً هـذي الحيـاةَ خُلـوداً شـاق أو دينـا

قصيدتي الكبرى

أن لا ألـــوم الغـــافلين إذا أبَـــوْا شـعري، وعـابُوا رَوْعَتي ورُواتـي
هــل يُـدركون قصــيدةً لعــواطفي وهـم الـذينَ أبَـوْا قصـيدَ حيـاتي؟
أحْيَـا لغـيري والـدقائقُ مِلْؤُهَــا نَغمــي ومِـلءُ دموعهــا أبيــاتي
فقصـيدتي الكـبرى حيـاتي كلـها وأقلّهــا شــعري ووهــمُ عُــداتي
ســتيعش روحــي في جديـدٍ دائـمٍ للشـعرِ ثـم تعـيش بعـدَ ممـاتي
ومَـنِ اسـتطابَ لـه الوجـودُ بقـاءَه صُـوَراً مـن الشـعرِ الأبـيِّ العـاتي
هيهــات يأبــه للصــغير إذا أبَـى جَـدواه في الماضـي ووحـي الآتـي
إنْ يــأنَفِ العُبَّــادُ حَــنَّ لمهجـتي - لخلوصِها - المعبودُ في صلواتي
أوْ لم يُصِبْ نَغَمَ الصُّخورِ فحسبُهُ سَــمْعٌ مــن الأربــابِ والربَّــاتِ!

أمنــا الأرض

أمَّــاه! إنَّ لــديكِ صــفوَ حنــيني وإليـك مَرجِــعُ فـرحتي وأنـيني
ألقــاكِ في كنَـفِ السُّـكُونِ عبـادةً وأقبِّــل التُّــربَ الــذي يُحيــيني
وأروح أعشــق كــلَّ مــا أنجبتــه فجميعــهُ شــعرٌ إزاءَ حنــيني

ما النحلُ، ما هذي الدواجنُ كلها   والغرسُ إلاّ الشعر ملءَ رنيني
شِعرٌ تُجاوبه عواطفُ مهجتي   وأنا المدينُ له بأجمل دينِ
وأرى الألوهةَ فيه بين توثّبٍ   وتطايرٍ ووداعةٍ وسكونِ
والناسُ تعجب من توزُّعِ خاطري   وهو الموحَّدُ فيك غيرُ غبينِ
أماه! مَوْئِلُ كُلِّ لُبِّ شاعرٍ   نجواكِ، فهي مفاتني وفنوني

اليد البخيلة

لمستُ كأسَ الهوى، لكن وقد لمستْ   يدي الهوى، غابَ عن نجوايَ مذعورا
يا حُبُّ أيُّ نشيدٍ أنت تطلبهُ   وأنت تبخل بالإيحاءِ مسرورا؟
هاتِ الرحيقَ وخُذْ مني مرنّحةً   من الخُلُودِ تَبُثُّ اللحنَ والنّورَا
لا أكذب الله؟ إني لن أعيشَ سُدىً   حتى أرى في الجِنانِ الخمرَ والحُورَا
بل أوثر العيشَ في دنياي محتملاً   أذى لها إنْ غنمتُ الحبَّ موفورَا
أين الملاحةُ تُرضيني مَناهلُها   فتغنم الفنَّ إلهاماً وتصويرَا؟
أين الجمالُ بلا صدٍّ ولا كَلَفٍ   يبادل الفنَّ تحريراً وتقديرَا؟
هيهات! هيهات! ما للفنّ منتصفٌ   وكم يعيش جليلُ الفنِّ مَقْبورَا

الدموع

ما للدّموع ترفّ من عينيكِ   وتُثير قلباً كم يحنّ إليكِ؟
فيم البكاءُ؟ وفي الحياةِ جميعها   تجري الدموعُ ندىً بدمع ربيعها؟

أحَنَنْتِ للدمع الذي هو ساجٍ ... في الكون، في الأجواء والأمواج؟
أم قد عطفتِ على فؤادي الثائرِ ... - وهو الوديعُ - على الوجود الجائر؟
قَلْبٌ يَلُوح كأنَّه في أنسِهِ ... وهو المحجِّبُ مأتماً في عُرسهِ
ويَرَى الجمال مرتّلاً ومُغرّداً ... متعبداً ومناه أن يَتعبَّدا
وهو الذي حرموه حظَّ عبادةِ ... وتوهّموه بنعمةٍ وسعادةِ
فإذا نأيتِ فإنّ روح وداعي ... خافٍ عن الأبصارِ والأسماعِ
ويرفّ حولكِ من فؤادي الباكي ... كالعطرِ بعد الزهرِ والأشواكِ

الطبيب

ودَّعْتِ عاصمةَ المعِزِّ، فهل تُرى ... ودَّعتِ غيرَ تلهفي ووجيبي؟!
وحَسبتِ أنَّ ليَ العزاءَ بما أرى ... حولي من التشويق والتحبيبِ
وكأنّ بدرَ التمّ آمنَ وَحْدَهُ ... بأسايَ أو بهوايَ أو بنحيبي
فرأيتُهُ في حالِ ممتقعٍ له ... من صُفرةِ الإشفاقِ والتعذيبِ
لوني، وقد شاهدتُ مصرعَ نعمتي ... عُمراً من التشريدِ والتغريبِ
والجوُّ في قيظٍ تأجّج مثلما ... تتأجَّجُ الآلامُ ملءَ غريبِ
وتكاد أنفاسي تُرَدُّ وإن يكن ... جسمي بنبضِ للحياةِ عجيبِ
وأرى الطبيعة كلها في حسرةٍ ... وكأنما ريْعَتْ لنأيِ حبيبي
أوّاه من ظمأٍ على ظمأٍ، وكم ... يلقى قريبَ الريِّ غيرَ قريبِ
أشْبعْتُ سخريةَ الحياة وكيدها ... وجَزيتها بنشيد كلِّ أديبِ
فغدوتُ شاعرَها الطبيب وإن أكن ... بأسايَ محروماً عزاءَ طبيبِ!

الغروب الثائر

مــا للغُــروبِ يثُــور بــالأنواءِ مِــنْ قلــبي الحــزينْ؟!
مــا للــدماءِ تَكاثفــتْ كــالموجِ والغيــبُ الســفينْ؟!
أيــنَ الضحـايا قــد تَـراءَى الأفــقُ يعكـسُ رُوحَهـا؟!
هيهــات! غــد ذَهَبــتْ وإنْ أبقــى الزمــانُ جُروحَهــا
يــا ثــورةً عنــد الغــروبِ لمحــتُ فيــكِ فــؤادي
هــذي دمــائي اســتُنْزِفَتْ وعلــى السّــماءِ حــدادي
كم في السّماءِ شعورُ هذي الأرضِ في ماضي القُرونْ
كــم تعكسُ الأقــدارُ في صــفحاتها صُــوَرَ الجنــونْ:
صُــوَرَ العواطــفِ وهــي قَتْلَــى مــن جُنــونِ الحادثــاتْ
ويكــاد هــذا الأفــقُ يَصــرخُ مــن تصــاريفِ الممــاتْ
هــذي رُؤَى الأصباغِ كالصَّــيحاتِ للقتلــى تَــرُوعْ
مــا الحشــرُ يــومَ الحَشْــرِ أروعَ مِــنْ شَــجَاهَا للمَــرُوعْ
صُــوَرٌ تُعــذّبُ خــاطري والأمــسَ كانــت نعمتَــهْ
ألآنَّ بُعــدَكِ قَهْــرُ نفســي صــار صــفوي ثورَتَــهْ؟
يــا خــاطري ثُــرْ دائمــاً أو لا تَثُــرْ فالحــبُّ فــاتْ
بعــدَ الــوداع لأيِّ حُلْــمٍ أنــتَ تُنشــدُ للحيــاةْ
ليســتْ ثُمالــةُ كأســيَ الحَسْــرَى كخمــرِ العاشــقينْ
جمعــتْ مَــراراتِ مــن الــذكرى ومِــنْ نَبــعِ الأنــينْ
مَــنْ ظــنَّ أنــي مُسْــعَدٌ في نشــوتي فهــو الضــريرْ
ضَــحكي كقهقهــةِ القنــاني وهــي تُــذبَحُ للخمــورْ!

وأغـــالِط الأيـــامَ في وهمـــي بـــأني مُـــنْعَمُ
فـــإذا مَناهـــلُ خـــاطري يـــا خـــاطري تَتضـــرَّمُ
والآنَ فاشـــربْ مـــن رُؤَى هـــذا الغـــروبِ الثـــائرِ
اشـــربْ دمـــاءَكَ في الســـماءِ بنظـــرةٍ للشـــاعرِ
إشْـــرَبْ دمـــاءَكَ أو رثـــاءَكَ في ممـــاتٍ لـــن يَهـــونْ
مـــوتُ التـــوزّعِ والتـــألُّمِ في العواصـــفِ والجُنُـــونْ!

ساعة التوديع

وأتـى الـوداعُ فمـا بَخلْـتُ بمـدمعي — لكـنْ بَخلْـتُ بـأن يُـراقَ شُـعوري
فحبسـتُ كـلَّ عـواطفي إلاّ الـتي — هربـتْ هُـروبَ العاشـقِ المقهـورِ
وأخـذت أنظـر ثـم أنظـر واعيـاً — مـا افـترَّ عنـكِ مـن المُنـى والنـورِ
رُوحٌ كروحِـكِ أُشْـبعتْ رُوحَ العلـى — والبعـــث للمحـــروم والمقبـــورِ
أتأمَّـــلُ اللحظـــات في أســـرارها — وكـــأنني أرنـــو بلمـــح دهـــورِ
كـم فيـكِ مِـن سِـرٍّ عَصِـيٍّ ثـائرٍ — يَخفَـى ويبـدو مِـنْ خـلالِ سـطورِ
ألقـاه بالإمعـان وهـو يجـود لـي — بـالفنِّ ثـم يجـود في تعـبيري
ألقـــاه لُقيـــا طالـــبٍ إحســـانَه — فأنـــا إلى الإحســـانِ جـــدُّ فقـــيرِ
وأُطِـلُّ مِـنْ عَينيـكِ في حِقَـبٍ بـلا — عَـدٍّ وقـد فلَتَـتْ مِـن التَّصـويرِ
مـا هـذه الأحـلامُ؟ مـا هـذي المنـى؟ — مـــا ذلـــك الإلهـــامُ للمســـحورِ؟
هـذا جَمـالُ النَّفْسِ في اسـتعلائها — متملّكـــاً لُبِّـــي ووحـــيَ ضـــميري
فـأظـلّ أرنـــو ثـــم أرنـــو حـــائراً — مـــا بـــين آلامٍ وبـــين ســـرورِ

وكأنَّني ألْقَى الألوهةَ سمحةً   فتُنيرُ نهجاً كان غيرَ مُنيرِ
وكأنَّني وأنا أطيلُ تأمُّلي   أتناول الإبداعَ من تفكيري
وأصون كنزاً من حنانكِ نادراً   ليردَّ ففرَ البائسِ المهجورِ
وكأن مُدَّخَرَ العواطفِ ثروتي   للشعر لا لِنُهايَ بل لِعُصورِ
وكأنما القمرُ المُطِلُّ مُسَجِّلٌ   غُنْمي وخُسري في رضىً وفُتورِ
فالتاعَ مِنْ قَلَقي الدَّفين وحسرتي   وافترَّ عن نورٍ لبعض حُبوري
فبدا مزيجاً من ضياءٍ مُحْزِنٍ   كفؤاديَ المتوثِّبِ المغمورِ

*****

ما ساعةُ التوديعِ إلاَّ ساعةٌ   للموتِ مهما أُعْقِبَتْ بنُشورِ

نور ولهب

يا مَعبداً للحبِّ لا ألقاكَا   إلاّ كما يَلقى الشعاعُ حِماكَا
إنَّا كلانا للفناءِ وما لنا   مَثْوىً نَغيبُ بظلِّه إلاّكَا
هذا فناءُ الخُلدِ إلاّ أنه   قد يُستطابُ تَحَرُّراً وشِراكَا
فإذا مَنحتَ فأنتَ خَلاَّقُ الهوى   وإذا حَرَمتَ فما قتلتَ هواكَا

*****

يَمَّمْتُ رُكنكَ في تلهفِ بائسٍ   قَلِقٍ وما أَوْلاَهُ بالإسعادِ
خُلِقَتْ لِمَرْآكَ الشَّهيِّ حياته   فإذا به المحرومُ كلَّ ودادِ
إنْ كان يطمع فيكَ فهو كخُلسةٍ   للحظِّ بين مصائبٍ وحِدادِ
ليست نعيماً رغمَ كلِّ تَنَعُّمٍ   فيها، وليست غيرَ طعنِ فؤادي

*****

إني خُلِقْتُ لكي أعيشَ كخالقي   للفنِّ في عيشٍ حليفِ نَقاءِ

عـيشٌ أوحّـد فيـه كـلَّ صـبابتي وعبـادتي وتَعَشّـقي ورجـائي
ففقـدتُ مَـنْ أهـوى وإن أدركتُهـا ولـربَّ وصـلٍ فيـه روحُ جفـاءِ
وحييـتُ ألـتمس النعـيمَ حيالَهـا فـأرى النعـيمَ مصـوّراً لشـقائي

*****

وَلَّـى زمانُـكَ يـا فـؤادُ فـلا تُطِـلْ هـذا الحـنينَ إلى خَيـال شـبابي
تَرْنُـو إلى صُـوَرِ الجمـالِ لَعلَّهـا تشـفيكَ مِنْ حَـرَقٍ ومِنْ أوصـابِ
وتُحيـل كـلَّ تـنَعُّمٍ تَحظَـى بـه صُـوَراً مـن الفَـنِّ العزيـزِ الآبـي
وتظـلّ أنـتَ بحسـرةٍ لا تنتهـي ظمـأً علـى ظمـأٍ وطـولُ عَـذابِ

*****

ولَّـى زمانُـكَ يـا فـؤادُ ومـا أرى في هــذه الـدنيا عـزاءً يُشْـتَرى
مهمـا مرحـتَ فمـا كُفِيـتَ سـعادةً وهـواك يسـمو فـوقَ أحـلام الـورى
أيـن الـتي هـي غُينـةٌ لمحـبتي رُوحـاً وجسـماً في السماء وفي الثرى؟
هيهـات! حُبّـي لا يُحَـدُّ ومـا أرى كفـؤاً لـه مهمـا سـعيتُ لأن أرَى

*****

تشكو عتـابي؟ كيفَ تشكو حينمـا الأرضُ ضاقتْ عن هَواكَ بل السما؟
أيـن الأليـفُ ونفسُـه لـكَ شُـعلةٌ وكيانُـه لـك جنّـة تـروي الظمـا؟
أيـن الـتي تلقـاكَ لُقيـا سـاحرٍ مسـتوعبٍ لهـواكَ كيـف تجَسَّـمَا؟
أين التجاوبُ في الحياة؟ فما أرى إلاّ الغـرامَ مُفَرّجـاً ومَضَـرَّما!

إمــرأة الأبــد

وامـرأة الحيـاة

هيهـات أن أنسَـى الحيـاةَ وسِرَّها		وأنـا أسـيحُ بعــالَم الوجـدان
إنـي انـدمجتُ بكلِّ مـا تُـوحِي بـهِ		ومَزَجْـتُ مِـنْ ألوانهـا ألـواني
وجعلـتُ شـعري مَسـبحاً لخيالهـا		وتَخـذتُها ألقـاً وكنـز مَعـاني
فرسمتُهَـا صُـوَراً تكـاد بروحهـا		تحيـا، وأعطيـتُ الـذي أعطـاني
مُتبــادلَيْنِ مَباهِجــاً ونَفَائِســاً		والفــنُّ مِـلءُ تَبـادُلِ الفنَّــانِ

*****

أعزيــزةَ الأحـلامِ لا تَتَخيَّلــي		للمــرأةِ الضـدّينِ في الإحســانِ
المــرأةُ الــدنيا بحــالٍ واحــدٍ		في صـورةِ الإحسـانِ والحرمـانِ
أخـذتْ عـن الأبَـدِ القصـيِّ ألوهـةً		وتَعـيشُ مُفصـحةً عـن الـدَّيَّانِ
بنــتُ الحيــاة وأمُّهــا، فكيانُهــا		وشُـعُورُهَا قَـبَسٌ مـنَ الـرَّحْمَنِ
هيهــات تَحْيــا للتبتُّــل حينمــا		دنيــا التجـاوب عِـزَّةُ الإنسـانِ
إلا التَّبَتُّـــلَ للفنـــونِ وأهلِهــا		حـين الفنـونُ تخصُّـها بحنـانِ

*****

لا تحســبيني في التَّعَبُّـدِ مُسْـرِفاً		بمعابـدِ الحُـبِّ الـذي واسـاني
أو أنَّ في هــذي العبــادة ضَـلَّةً		وأنـا أعُـبُّ بصـفوها أحزانــي
إنــي أعــذِّب مهجــتي بنعيمهــا		وأصــوغ مــن آلامهــا ألحــاني
وأرى الحياةَ بها كما ألقى الرَّدى		ونقــائضَ الإيمــانِ والكفــرانِ
وإذا بهــا طُهْــرُ الحيــاة وإثْمُهَــا		وجَنَـى الخلـودِ وعثـرةُ الفقـدانِ

*****

يــا مَــنْهلاً للــروح لا تَتَطلَّعــي		للخلـدِ مُصـغِرَةً هَـوَى الأبـدانِ
هيهـاتَ تحيـا الـروحُ دونَ كيانهـا		أو يسـتقلُّ النـورُ دون كيــانِ

هــذا الوجــودُ بأســره متجــاوبٌ كتمــازج المحســوسِ بالرُّوحــاني
مــا كــان لامــرأة الخلــودِ خلودُهــا إلاّ كمــا عــرفَ الخلــودَ الفــاني
أو كــان لامــرأةِ الحيــاة فناؤُهــا مـــا دامَ في الإنســانِ روحٌ بـــانِ
مَــنْ فاتَهــا هيهــات يخلــد دونهــا إنَّ الحيــاةَ وضــدَّها ســيّانِ

كــأس الشــاعر

مــا هــذه الكــأسُ وفيهــا الخيَــالْ يَطْفُو علـى الكونِ بوحي الجمَالْ
قــد صــار لــي الكــونُ بمــا يَزدهــي كأسي، وفي كأسي وخمري المُحَالْ
لا تَســقني الخمــرَ ودَعــني لمــا في الكونِ من روعةِ هـذا الخَيالْ
مــا أعــذبَ النــورَ شــرابَ الهُــدَى وأروعَ الليلَ شـرابَ الضَّلالْ
كلاهمــا حُسْــنٌ لنفســي الــتي لا تَحصرُ الحُسْنَ بمعنى الكمالْ
دَعْــني إلى حُلمــي، فمــا غَــيرُهُ يَشْـفي فـؤادي مـن هُموم الليالْ
يَســتوعب العــالَمَ في نظرتــي ونظرتـي فيهـا أحَـبُّ ابتهالْ

طائر الطبيعة

(رآه الشاعر في صورة حسناء ذات جناحين محلقةً في السماء على ثغرها بسمةٌ هادئةٌ وفي عينيها فكرٌ عميقٌ والطيورُ حولها تائهةٌ)

إلى أيِّ مَبْــداً وأيِّ انتهــاءْ تطيريــنَ فاتحــةً قــاهِرَهْ
تحــومين فــوق بُــروجِ الســماءْ وتَطــوين أنجمَهــا الســاحرَهْ؟!

تَطيريـــن في بَسْـــمَةٍ فاتنـــهْ ... لـــديكِ وفي بســـمةٍ للوجـــودْ

كأنـــكِ ربَّتُــــهُ الآمنَـــهْ ... تطـوف وتُحْيـي فقيـدَ الوعُـودْ

ويبـدو بعينيـكِ ســرُّ الألوهَـهْ ... فيجتــذبُ الطـيرَ شَـتَّى إليـهِ

فمعنـاكِ أسمـى المعـاني النزيهَـهْ ... ومَـــراكِ أحلـى المَرائـي لدَيْـهِ

تطيريـــن والطــيرُ عـــانٍ يَتيـهُ ... حواليـكِ، وهـــو شَـــرُودٌ قريـرْ

يَتيـهُ، وكـم في الطيـور النَّبيـهْ ... يَتيـهُ بنـورِ كتيـهِ الضــريرْ

فمــن أنــتِ يــا طـائراً للطبيعَـهْ ... يحلّـق فـوق النُّهـى والجمـادْ

فيســبح فــوقَ الطبـاقِ المنيعَـهْ ... مـن الكـونِ ثـم يَسـوسُ العبـادْ؟!

الشروق الهادئ

أشْـرَقَ الصُّـبْحُ في هـدوءٍ عميـقِ ... كهـدوءِ الحبيـبِ بعـد الوصَـالِ

أيُّ جَمْـعٍ مـن الأسـاطيرِ والسِّحْـ ... ـرِ يَـزفُّ الخيـالَ تلـوَ الخيـالِ؟!

صُـوَرٌ تَمَّحـي وأخـرى تَـراءَى ... في انبثـاقِ الضـياءِ بـين الظـلالِ

والعصـافيرُ هاتفـاتٌ بألحـا ... ـني هتـافَ الخشـوعِ نحـو الجمـالِ

في نشـيدٍ مـن الخفـوتِ حبيـبٍ ... كحـنينِ الوليـدِ أو كالـدلالِ

أمَـمٌ أرسـلتْ دُعـاءً مُجَابـاً ... ولكـلٍّ لُغـىً وروحُ ابتهـالِ

مُثِّلـتْ في الطيـورِ والزَّهْـرِ والنَّبـ ... ـتِ وفي المـاء والحَصَـى والرمـالِ

وجميـعِ الـذي تـراه ومـا قـد ... حَجَّبَتْـهُ سـتائرُ الأجيـالِ

أمَـمٌ كلـها، ومنهـا خَفِـيٌّ ... في انطـلاقِ بجـوِّه المتعـالي

أنْشَـدَتْ كلُّهـا بصـمتٍ رهيـبٍ ... أو بنُطْـقٍ كالصَّـمْتِ حـيِّ الجـلالِ

أنْشَـدَتْ دعـوةَ الصبـاح فلبـى ... ذلـك الصُّـبْحُ مـن إسـارِ اللَّيـالي

وأتـــى هائبــاً تَوسَّـــل بالشمـــ ـــس حِمَـاه فأشـرقتْ في اختيـالِ
وخشـــعنا جَميعُنـــا في نُهَانَـــا كخشـــوعِ الفنَّـــانِ نحـــو "المثـــالِ"

*****

كـمْ هُـدوءٍ تَمـوجُ فيـه وتَطْغَـى ثَـــورةٌ للـــيقين أو للضـــلالِ!

وعي الرسام

أبَـ ـدَوْتِ لـــي أمْ لُحْـــتِ للرَّسَّـــامِ حُورِيَّـــةَ الأوهـــامِ والأحـــلامِ؟
البـــدرُ أرســـلَ للتحيـــةِ نُـــورَهُ والنـــورُ منـــه عواطـــفٌ كهيـــامي
فـــدَعِي لشـــعري أن ينالـــكِ مـــرّةً بالوصـــفِ في ملكوتـــكِ المُتسَـــامِي
لغـــةُ الفنـــون تَوَحَّـــدَتْ أنَّـــى بـــدتْ بتنـــوُّعِ الألـــوانِ والأنغـــامِ
لغـــةُ الألوهـــةِ أفصـــحتْ وتناوبـــتْ لُـــبَّ الحيـــاةِ بنفحـــةِ الإلهـــامِ

*****

ألقـــاكِ خلـــفَ البَـــدْرِ شـــبهَ مُطِلَّـــةٍ وأراكِ بـــينَ تهافُـــتٍ وتَسَـــامِي
فـــإذا تعبـــتِ بَعثْـــتِ أطيـــافَ الهـــوى يرقصـــن في هـــذا الضـــياءِ أمـــامي
رُسُـــلُ الجمـــالِ، وكـــلُّ فاتنـــةٍ لهـــا نَغـــمٌ وإيمـــاءٌ وعَـــذْبُ كـــلامِ
يُسْـــرِينَ بـــي نحـــوَ الخلـــودِ، ومـــا أرى للخلـــدِ مِـــنْ نهْـــجٍ ســـوى أحلامـــي

*****

أنفقـــتُ عُمـــري أرقـــبُ القمـــرَ الـــذي يفـــترُّ عـــن إحســـانه البسَّـــامِ
وأراه موفـــورَ الحـــنين كأنـــه أهلـــي وأصـــرتي ونَبْـــعُ غرامـــي
وكـــأن أمّـــي الأرضَ أبقتـــه الهُـــدَى لأخٍ ضـــريرٍ أو أخٍ متعـــامي
فـــإذا الضـــياءُ ورمـــزُه ورواؤه بنـــتُ الطبيعـــةِ في الخيـــال الســـامي
ســـكنتْ بـــأمواجِ الضـــياءِ وداعبـــتْ في الليـــلِ وحـــيَ الشـــاعرِ الرسَّـــامِ

الزهرتان

في بيئةِ الحُسْنِ وَجوٌ الغرَامْ ... نشأتِ يا زهرةَ حُبّي القديمْ[1]
مَنْ ذا الذي يَرْضَى لقلبي المَلامْ ... إنْ رامَ قلبي من جَناكِ النَّعيمْ؟
الزَّهرةُ الكُبْرَى لها ما لها ... مِنْ قلبيَ الحيِّ بنبضِ الشباب
والزهرةُ الصُّغْرَى لها مِثْلَها ... ما حُمِّلَ القلبُ لها من عَذابْ
يا تَوْأَمَي حُسنٍ أنا عَبْدُهُ ... هل أنتما إلاَّ مَدَى سِحْرِه
قَلْبٌ كقلبي قد طغى وَجْدُهُ ... هيهات أن يعقلَ مِنْ زجره
ما أجملَ الحُبَّ بعيشِ الجُنُونْ ... وأعجبَ الحبَّ بأمسي ويَوْمِي
يا مَطْلَعَ الوحيِ ومَجلَى الفنونْ ... يا حُسْنُ، لا تُسْرِفْ بسحري ولوْمِي

إلى أفروديت

لَبَّيْكِ قد يُخلدُ المعبودَ فنَّانُ ... كلاهما خالقٌ للخلدِ ديّانُ
ولو عددنا حياةَ الحسنِ زائلةً ... فليسَ يَرضى فناءَ الحسنِ فنّانُ
دُنيا كأخرى استطابت أن تخادعَنا ... كما يخادعنا كفرٌ وإيمانُ
إلاَّ جلالةَ إيمانٍ أقدِّمُها ... في مذبحٍ بضحايا الحبِّ يزدانُ
هذا جمالُكِ يبدو كالربيع حُلىً ... بالسحرِ والنورِ أخَّاذٌ وجذلانُ
مجدَّدٌ دائماً في كلِّ فاتنةٍ ... وكم يُجدِّدُ بالإلهامِ فتّانُ
روحُ الألوهةِ إلاَّ أن مُبدعَها ... هذا الغرامُ الذي يُخفيه إنسانُ

---

[1] يناجي الزهرة الصغرى ربيبة الزهرة الكبرى.

لـــولا حـــنينٌ لأرواحٍ مُعَذَّبـــةٍ ما كـان في ملكوتِ الحـبِّ أكـوانُ

*****

يــا ربــةَ الحــبِّ مشـبوباً لعارفــهِ ومَشْــربَ الصــفوإنّ الفـن ظمــآنُ

عيشـي لـه مَنبعاً مـا عـاش يقصدُه فــتملأ الــدهرَ مــن ريّــاكِ ألحــانُ

فـيمَ التمنُّـعُ والـدنيا علـى سـفرٍ؟ ومــا التحجُّــبُ حــين الفـنُّ لهفـانُ؟

ألقـــي الشُّــفوفَ وحيِّيــهِ معانقــةً فتصــبغ الكــونَ بالإلهـامِ ألــوانُ

مـا أصـغرَ الحسـنَ مأسـوراً ومحتجباً وأعظم الحسنَ حـين الحسنُ إحسـانُ

إن الجمـال بــلا عطـفٍ يجـود بــه كمهمَــلِ الــــنظمِ إيقـــاعٌ وأوزانُ

كــلُّ الحــرامِ حــلالٌ للفنــون، فمــا غير الفنـون لهـا في الـدهرِ سـلطانُ

فـــإنْ أصــيبَتْ بحرمـــانٍ يعــذّبها نــال الجمـالَ مـن الحرمـانِ حرمـانُ

نسيم الصباح

أيـرفّ عنـدَكِ مِـنْ نسـيمِ صـباحي إلاّ عـــبيرُ صـــبابتي ومِراحـــي؟

فـــإذا تعثــــرَ أو لمحْـــتِ غيابَـــه فلأنّـــه العـــاني لفــرطِ نُــواحِي

لمَ لا أنـــوح وإنْ يكـــن في عُـــزلتي صَـمْتاً يجـلّ مَـداهُ عـن أفصـاحي؟

إنـي الفتـى البـاكي الطَّرُوبُ ومـا ترى قلـــبٌ مجـــالَ تَـــألُّمي وجراحـــي

ولو استطعتُ حجبتُ عن ربّي الذي عانيـــتُ في الأحـــزانِ والأفـــراحِ

عانيتُ في عُمري الشَّجَا أضعافَ مـا غنيـــتُ في غزلـــي ومـــلءَ مِراحِـــي

ورَســـمْتُهُ صُـــورَ التفـــاؤُلِ مُشــبهاً رســمي اللــهيبَ بنــورِهِ الوضّـــاحِ

ألِـيَ العتــاب؟ إذنْ فمــنْ أولَــى بمــا أُهديـــهِ مِـــنْ رُوحـــي إلى الأرواحِ؟

ألـيَ العتـابُ ولم أعـشْ إلاّ كَمـا ... عـاشَ الشُّـعَاعُ لزهـرةٍ ونُفـاحِ؟

إنـي الأسـيرُ وإن عُـدتُ مُحَـرَّراً ... في عـالمٍ حالفـتُ دونَ فَـلاحِ

أعطيتُـهُ مـا قـد أخـذتُ وزِدْتُـهُ ... مـا شـاءَ مـن إبـداعيَ المنَّـاحِ

فعرفتُـه رمـزَ العُقُـوقِ، ولم أجِـدْ ... صـفواً يُتـاحُ وكـانَ غـيرَ مُتـاحِ

وحَييـتُ في زَهْـوِ الضـحيةِ قُـدِّمَتْ ... للـرَّبِّ عنـدَ تَـبلُّجِ الإصـباحِ!

*****

هـذي حيـاتي كلُّهـا تَعَـبٌ علـى ... تَعَـبٍ، وأتـراحٌ علـى أتـراحِ

أبكـي وأضـحك غـير أنـي لا أرَى ... إلاَّ الضـحوكَ بنشـوة المـلاَّحِ

وكـأنني جـاوزتُ خُلجـانَ الـرَّدى ... بسـفينتي فنعمـتُ بالأقـداحِ

والـدهرُ يعلـم أنـني في نشـوتي ... في قبضـةِ الجَـرَّاحِ والسَّـفَّاحِ

لم ادرِ إن كـان الشـفاءُ أو الـردى ... بيديْـهِ أو أنّ المنيـةَ راحـي!

ألهـو وأدأبُ مازحـاً ومجاهـداً ... في ثـورةِ السـبّاقِ والسَّـبَّاحِ

والـيمُّ يُطبـق شـاطئيه علـيَّ في ... مَرَحِـي، وتلـك نهايـةُ المـراحِ

السجين

سـألتُكِ صَفْحاً عن هُمومي فـإنني ... أعـيشُ بسـجنٍ لا نوافـذَ فيـهِ

لـئن مَرِحَـتْ نفسـي قليلاً فإنهـا ... تحـسُّ بليـلٍ للمِـراحِ كريـهِ

ومـا الليـلُ إلاّ مَحبسـي، وتَطلُّعي ... إلى عـالمٍ نـائي الحـدودِ نزيـهِ

إلى عـالمٍ لا تَشـعر الـروحُ عنـده ... بحـربِ خصـيمٍ أو بجـرمِ سـفيهِ

وما أفسحَ الدُّنيا لمن لم يَضِقْ بها ... سُـلوكاً ومـن يَلْقَـى الرجـاءَ كتيـهِ

ولكـــنني فِي عـــالَمي كمقَيَّـــدٍ وإنْ جُلْـتُ فيــه مُطلقَــاً كبنيــهِ
ومــا خُلِقَــتْ رُوحــي لــدنيا كهـذه وإن عــابَ هـذا الكـونَ لـؤمُ ذويـهِ
ولو أُطْلِقَتْ منها لما شارفتْ سوى فنــاءٍ، فهــل كـان الرجــاءُ يَليــهِ؟!

نشيد الألم

دَعِــيني أُغنّــي نشــيدَ الألمْ فكــم مِـلْءَ آلامِنَــا مِــنْ نَغَــمْ
رأيــتُ آلتفــاؤلَ نَبْــتَ التَّشَــا ــؤمِ حــينَ الوجــودُ وليــدُ العَــدَمْ
دعــيني أبثُّــكِ راحَ الحيــاةِ وهــل راحُهــا غــيرُ راحِ الألمْ؟
فــلا تَعــزفي عــن شــرابي المريــرِ فحســبي التعــالي بــه والشَّــمَمْ
عُصــارةُ رُوحــي أغــاني العــذابِ بشــعري، وكـم فِي البكـاءِ ابتسَـمْ
أغــانٍ حَلَــتْ بمعــاني الشــبابِ ومَضَّــتْ بكــلِّ معــاني الهَــرَمْ
وإنْ مَرِحَــتْ مــرةً لم تكــن مِـراحَ الهـوى بـل مِـراحَ السَّـقَمْ
أعــيشُ بــدنيا الخيــالِ الفســيحِ كــأنّي الــذي بالخيــالِ اعتصَــمْ
وأعشــقُ أسمــى مَعَــاني السُّــمُوِّ فمهمــا سمــوتُ سَــباني الحُلُــمْ
فألبَــثُ فِي عــالَمي طــائراً حليــفَ الرجــاءِ حليــفَ النَّــدَمْ
حيــاةُ التنــاقُضِ فِي الجــوِّ حــولي فأجعلــها وَحْــدَةً تُغْتَــنَمْ
وأرسمُهــا صُــورةً للجمــالِ وكـم فِي الجمـالِ النَّـدَى والضَّـرَمْ!

راهب الدير

(تطلع الشاعر إلى السماء من شرفة منزله فلمح راهباً تجاهه في مثل وقفته)

لمحتُـه رانيـاً شـطرَ السـماء كمـا لمحتُـهُ بشـعورِ اليـأس يَـرمقني
لمحتُـه وأنـا في الأسـرِ أغبطُـه فهل تُرَى هو بين الأسرِ يغبطني؟
نُعْمَى التَّجَرُّدِ مَنْ لي أن ألوذَ بها فكم بها مِنْ أمانٍ لامرئٍ فطِنِ؟
سئمتُ كلَّ غـرورٍ أسـتعزُّ بـه واشتقتُ ما يَشتهي الصوفيُّ مِنْ زَمني

*****

يا راهبَ الديرِ! هذي وقفتي حَزَناً أرنـو إلى ملكـوتِ الله حيرانَـا
وأنـتَ ترقـب مثلـي عالَمـاً عجَبـاً شـتَّان بين مدَى اللحظين شـتَّانَا
إنـي لأحمـلُ أعبـاءً مُنوَّعـةً وأحمـلُ الهـمَّ كفرانـاً وإيمانَـا
فهـل تحمَّلـتَ مثلـي للشَّـجا ألمـاً وهـل تَعَـذَّبْتَ مِـنْ أتـراحِ دُنيانَـا؟

*****

يا راهبَ الديرِ! حولي للحياة مُنىً وكـم حيـالي مـن اللـذاتِ ألـوانُ
زَهدتُها وأنـا القَاسِـي علـى أمَلـي وكـم يُميت ويُحيي الحظُّ فنَّـانُ
وصـار كلُّ رجائي في الحياةِ غنىً عن الحياةِ ومَنْ عَزُّوا ومَنْ هانوا
فلا أعيشُ سوى مَعْنىً يُحَبُّ كما يَعيشُ في حُلُمِ الجنَّاتِ (رضوانُ)

*****

يـا راهـبَ الـدَّيرِ ! نبئني: ألاَ خَبَـرٌ عن الحياةِ تَراهُ العينُ في الأُفُقِ؟
ألاَ سـبيلٌ إلى زُهـدٍ تُصـاحبهُ؟ ألاَ سبيلٌ إلى التحريرِ مِنْ قلَقِي؟
مـا لـي أراك قريـراً كلُّـه وَهَـجٌ أنـاً، وأنـاً مَرُوعـاً بـالغَ الحَـرَقِ؟
فهل كلانا – وهذي الشمسُ غاربةٌ مِن المعاني التي تُشْجِي مِن الشَّفَقِ؟

حزن الفجر

يا فَجرُ تَنبسُ فيكَ أنفاسٌ تُنمّيها الحياةْ
ما بالها هَمَدتْ هُمودَ الطفلِ في أسرِ الجُنَاهْ؟!
أنتَ الجنينُ وما وُلِدْتَ وإنْ لمحناكَ الوليدْ
كم مَأمَلٍ فيكَ القريبُ وكُلُّهُ أمَلٌ بَعيدْ
أنتَ الجديدُ وأنتَ كشّافُ السعادةِ للسعيدْ
حين الشقيُّ يراكَ مَهْزِلَةً من القَدَرِ العَنِيدْ
يا فَجْرُ ما هذي التهاليلُ المنوَّعةُ الحِسَانْ؟
أتراكَ مَنْ خَطفَ الحياةَ لنا على رغمِ الزَّمَانْ؟!
يا ربما أنتَ الكريمُ بها لقلبٍ يرتجيكْ
قلبٍ يداعبُه الأليفُ كما يؤانسُه الشريكْ
فتَلَقَّ من هذي العصافيرِ المغرِّدةِ الصلاَهْ
فلعلّها أدرَى بمعنىً فيكَ أهدتْه الحياهْ
وتَلقَّ من تلكَ المظاهرِ للوجودِ تحيّةً
ما دُمتَ تُكسبها التَّجدُّدَ نفحةً علويةً
أمّا فؤادي فهو في حُزْنٍ وتبريحٍ دفينْ
فيرىَ بُزوغَكَ كالأسى في النارِ والشَّدْوَ الأنينْ!

الذكريات

أنساكِ والماضي البعِيدُ أمامِي ... جَيْشٌ من الأحداثِ والأحلامِ؟
مَرَّتْ كتائبُهُ أمام نواظري ... مِنْ كلِّ مُكتئبٍ ومِنْ بَسَّامِ
صُوَرُ الطُّفولةِ والشَّبابِ كأنَّها ... صُوَرُ الخيَالةِ[1] مِن خلالِ ظلامِ
صُوَرٌ بألوانِ الحنينِ تجَسَّدَتْ ... وَخَلَتْ من الإغرابِ والإبهامِ
فعرفتُها بالَّلونِ حيناً، والشَّذَى ... حيناً، وبين تَسَمُّعٍ وكلامِ
وحييتُ بين جُموعِها متنظَّراً ... شتَّى العهودِ وأعجبَ الأيامِ
هيهات أُنكرها وقلبي بينها ... في بيئةٍ مِن نَشوةٍ وغرامِ
فإذا احتجبتِ فأنتِ مِلْءُ عوالمي ... وإذا نأيتِ فأنتِ أنتِ أمامي
وإذا لقيتُكِ كنتِ أنتِ لمهجتي ... فوقَ الوجودِ بروحكِ المتسامي
والناسُ تعجب مِنْ تألُّق ناظري ... وسَناك مَبْعَثُ نُورِهِ البسَّامِ
وكأنني ألقَى الإلَهَ فأغتدي ... رُوحاً سما فوقَ الخيالِ السَّامي!

بلوتو وبرسفون

(في هذه القطعة مثال معتدل من النظم الحر الجامع بين الشعر القصصي وشعر التصوير)

كم عذَّبَتْ (بلوتو)[2] حياةُ الشُّرُودْ ... عن عَالَمِ الحيِّ وحُسْنِ الوجود
قد خصَّهُ الموتُ، وفي مُلكهِ ... قد عاشَ في اليأسِ الإلهَ الوحيدْ
لم تَرْضَهُ زوجاً ولا آمَنَتْ ... بمُلْكهِ الضافي بناتُ الألوهَهْ

---

[1] Cinema Pictures – مشاهد السينما.

[2] إله عالم الموت.

عـيشٌ كمـوتٍ كلُّـه مُظلِـمٌ ... وحسـرةٌ مـلءُ الحيـاةِ الكريهَـهْ
كمـا سـاءلَ الأربـابَ إنصـافهُ ... وسـاءلَ الربّـاتِ إسـعادَهُ
فلـم يَنَـلْ غـيرَ عُـزوفِ المُنَـى ... عنـه، كـأنّ الـرَّدى صـادَهُ
وهكـذا قَضَّـى حيـاةَ الأبَـدْ ... في عُزْلـةٍ بـل ظُلمـةٍ للعَـدَمْ
لا يَعـرفُ العطـفَ عليـه أحَـدْ ... إلاّ صَـدَى المـوتِ ونَـوْحُ الألَـمْ
حتـى إذا اليـأسُ تمَـادَى بـهِ ... وأظلـم الكـونُ جميعـاً لـهُ
أراد أن يغـزوَ ربّاتـهِ ... ويخطـف الحـظَّ كمَـنْ نالَـهُ!

*****

هـذى (دمِتْـرا)[1] أنْبَتَـتْ زَهْرَهـا ... في المرْجِ مُذْ هامَت بهِ (برسفونْ)
وأنْضَـجَتْ مـا شـاقَها نُـورُهُ ... مـن مُثْمِـرٍ يَبسِـمُ للنـاظرينْ
فراحـت الإبنـةُ في فَرْحَـةٍ ... تقطـف مـن زهـرٍ ومِـنْ فكاهـهْ
الفَرْحـةُ تُسْـمِي نفـوس الـوَرَى ... فكيـف إنْ طـارتْ بـه الآلهـهْ؟!
وشـامَها (بلوتـو) فشـامَ المُنَـى ... في أخـذِها أخـذَ القـويِّ العزيـزْ
قـد يُسـرفُ الحِرْمـانُ، لكنّـه ... إذْ يُسـرفُ في مَنْعِـهِ قـد يجيـزْ
وبينمـا الزَّهـرُ لـدى (برسـفون) ... يُحيّـي سَـنَاهَا ويَحْيَـا لهَـا
ويَـنعم مـن لَمْسِـها مِثْلَمَـا ... تُنـاجي الجـداولُ إقبالَهـا
وتَهـوَى الحشـائشُ مَشْـياً عليهـا ... فمـا كـان ذلـك إذلالَهـا
ويَحتضـنُ المـاءُ أطيافَهـا ... برفـقٍ إذا الحَـرُّ قـد نالَهـا
وتُلْقِـي عليهـا الغُصـونُ الظـلالَ ... حـوانيَ بالحـبِّ في نومِهـا
وبينـا تُغنّـي أغـاني الجمـالِ ... ميـاهُ الجـداول مـلءَ الطـرَبْ
وكلُّ الوجودِ قريرٌ بهـا كما نعمتْ بجمالِ الوجودْ

---

[1] دمترا: إلهة الأرض، وبرسفون: ابنة دمترا الجميلة.

رآها (بلوتو) فتاق إلى اغتنام التي يشتهيها شريكهْ

فلـيس لِلْمُلـكِ جمَـالٌ يُحَـبُّ إذا حُـرِمَ المُلْـكُ عطـفَ المليكـهْ

*****

أهـابَ (بلوتـو) بـذاك الثَّـرَى فشُـقَّ، وأقبـلَ في مَرْكَبَـهْ

فأفزعهـا أنْ بَـدَا عنـدَها وأنَّ الإسـارَ غـدا حَظَّهـا

وهبهـات يُجـدي صِيـاحٌ لهـا ففـي لمحـةٍ مُسْـرِعاً نالَهـا

وفي الأرضِ غـار بهـا وانتهـى إلى مُلكـه فازدهـتْ كوكبَـهْ!

وكـان الربيـعُ حليـفَ الـدوامِ علـى الأرضِ لا ينتهـي نَضْـرةً

فلمـا مضـتْ ونـأتْ (برسـفونُ) تَجلَّـى الشـتاءُ وراحَ الربيـعْ

فناحت (دمترا) التي استصرختْ لإنصـافِها كـلَّ ربٍّ سميـعْ

ولكـنْ (بلوتـو) أخـيراً وَفَـى إلى أمِّهـا فـترةً كـلَّ عـامْ

تـزورُ بهـا الأرضَ في نَشْـوَةٍ فتلقـى (دمـترا) وتَلْقَـى الزهـورْ

فتبـتهج الأرضُ مـن زورةٍ لهـا وتُغَنِّـي نشـيدَ السـلامْ

وتُكسبها مِـنْ حيـاةِ الربيـعِ رواءً يغيـب ببـاقي الشـهورْ

ففـي الأرضِ غيبتُهـا غيبـةٌ لأنـسِ الربيـع الصبيِّ الجمـالْ

فَيَطْغَـى الشـتاءُ ويحيـا الـورى بـذكرى الربيـعِ الحبيـبِ الخيـالْ

إلى أن يحـينَ الظهـورُ الجديـدْ فيـأتي الربيـعُ ويَمْضِـي الجليـدْ!

*****

الأرضُ تفـترُّ لهـا خُضـرةً بـالزّهرِ في مَـوْجٍ جميـلٍ نضـيرْ

كأنَّـه نَثْـرُ أغـاني المُنَـى مـن بَعْـدِ تجـوالٍ لهـا بـالأثيرْ

وإذْ تَعتلـي (برسـونُ) الرُّبَـى لتجمـعَ الزَّهـرَ لإكليلِهَـا

يَروعُهـا (بلوتـو) بوثـبٍ لـه مِـنْ بـاطنِ الأرضِ لتـذليلِهَا

كصُـفرةِ الحُلـةِ تَلْقَـى لهـا مِـنْ صُـفْرَةِ الخـوفِ ولـونِ الألمْ

مَرُوعَــــةً تَعجَـــزُ عَـــن وقفَــةٍ		كمـا فاتهـا جَمْـعُ رشـيقِ الزَّهَـرْ
فكانَـــت بلفتتهـــا حَـــيرةً		تَحـدَّتْ وخافـتْ وُتُـوبَ القَـدَرْ
ومَـــا رحِـــمَ القَـــدَرُ المســـتعزُّ		ولا هــابَ أمــراً إذا مــا اقــتحمْ
وثـــارَ الجـــوادان – مِـــنْ ثـــورةٍ		لهـذا الضـيـاءِ – ببحـرِ الضـيـاءْ
فقـــد ألفـــا ظُلمـــةَ المـــاتِ		وليـلُ للممـاتِ بُحـورُ الفنـاءْ
ولكـــنْ (بلوتـــو) ببـــأسٍ لـــه		يصـدّ بقبضـته الثـائرِيْنْ
ويرنـــو إليهـــا بســـحر العـــتيِّ		ويخطفهـا بيـدٍ مـن حديـدْ
ومـــا لمحَـــةُ الفـــنِّ في صُـــورةٍ		تَثـورُ علـى دهشـةِ النـاظرِيْنْ
بـــأهونَ مـــن دهشـــة للـــتي		أدالـتْ نظـامَ الربيـعِ الفريـدْ

وصـارت عـزاءَ المماتِ الوحيـدْ!

الشعرة البيضاء

مـا هـذه الشـعرةُ البيضـاءُ مُشـرقةً		مِنْ شَعْرِكَ الفاحمِ المُخْفي لأشـواقي!
لعلَّهـا مِـنْ غرامـي أُشْـعِلَتْ حَرَقـاً		ثم استحالَتْ ضياءً بعد إحراقـي!
كم يَحجبُ الشَّعرُ ما وزَّعتُ من قُبَلٍ		عليـهِ كالماسِ طـيَّ المنجمِ الغـالي
هـذي الحلوكـةُ تُخفـي طيَّهـا فِتَنـاً		من الجمَـالِ وتَحْـوِي شِعرَ آمـالي
لا تَنهـريني! فـإنّي حـين أنظرهـا		أراقـبُ الحـبَّ ألوانـاً بمَعْنَاهَـا
كـم مِـنْ تَحـرُّقِ قلـبي في تَألُّقِهَـا		ومـنْ تَلَهُّـف رُوحـي في ثَنَايَاهَـا!

أركتوروس

(استغلّ علماء مرصد هرفارد شعاع النجم أركتوروس – السماك الرامح – في توليد تيار كهربائي أداروا به زراً خاصاً متصلاً بأسلاك الإضاءة في معرض شيكاغو الكبير سنة ١٩٣٢ فضاءت مصابيحُه وانطلقت صفارتُه وكان ذلك بمثابة إعلان لافتتاح ذلك المعرض العالمي)

(أركتــوروسُ) قــد جعلــوا شــعاعَكَ شــبهَ مفتــاحِ
فــأعلنَ فــتحَ مَعرضِــهم وأشــعل كــلَّ مصــباحِ
ودوَّى الجــوُّ بالتَّصــفيرِ إيــذاناً بمعجــزةِ
وكــم مــن مُعجــزٍ أضــحى كمــألوفٍ بــلا ثِقــةِ
فقــدْنَا مُعجــزَ الأبعــادِ والأزمــانِ في الــدنيا
وأوشــكنا نَــرى الإقــدام والتجــوالَ في الأخــرى
عــلامَ نحــنُ للــدنيا ونُبــدع في مَناحيهــا
إذا كــان المــآلُ لنــا مَــآلَ المــوتِ يطويهــا؟
سَــتَفْنَى الشَّــمسُ والأرضُ ومــا احتويــا ومــا وهبــا
فمــا مَعْنَــى تعشُّــقنَا خَرابــاً بــات مقتربــا؟
(أركتــوروسُ) هــذا ضــوءُكَ الهــادي ينــاديني
فمــا دارُ الــوَرَى سكني ولا ديــنُ الــوَرى ديــني
عــلام أصــوغ أشــعاري بألفــاظٍ وأنغــامِ
إذا كانــت ســتهوِي في فنــاءٍ مثــلَ أيــامي؟
فــدعني مُرْسِــلاً شِــعري إليــكَ بنظرتــي الحَسْــرَى
لعلــك في طويــلِ الــدهرِ تنقــذ مهجــتي الحيــرَى
فتحيــا فيــك أضــواءً وأحلامــاً وأشــعارًا
إذا كــان الخلــودُ النــارَ فلأعبــدْ بــك النَّــارَا!

الفراش الهائم

أحســـنتِ في الإبــداعِ والتصـ ويرِ فأنـا الفـراشُ أهـيمُ حـولُ زُهـورِ
خُلِقَـتْ بمثـلِ عـواطفي فحياتُهـا قَلَـقٌ وحرمـانٌ وحُلـمُ ضـريرِ
أحنـو عليهـا طـائراً في نورهـا والنـورُ كنـزُ عـواطفي وشـعوري
فيهـا مـن الأوضـاعِ كـلُّ محبَّبٍ وبهـا مـن الألـوانِ كـلُّ نضـيرِ
جُمِعَتْ بريشتك التي خَضَعَتْ لها أصـباغُ هـذا العـالَمِ المسـحورِ
أهـلاً بهـا وبرمزِهـا وبكـلِّ مـا حملتْـه مـن وَحْـيٍ ومـن تَصـويرِ

*****

وشكوتِ من صمتي كأنَّ الصمتَ لي صمتٌ، وهل صمتي سوى تعبيري؟
رُحمـاكِ! إنـي في العـذابِ مخلَّـدٌ فدعي العتابَ فما عرفتِ ضميري
قلـبٌ كقلـبي لا يَضـيقُ بعـالَمٍ رحبٍ، أيصغر من هموم صغيرِ؟
إيـاكِ أن تتصـوَّريه سـوى المُدَى مِـنْ رحمـةٍ وهَـوىً أجـلَّ طَهُـورِ
همّـي كبحـرٍ للفنـاءِ، فغـارقٌ فيـه جميـعُ تَهـافُتي وحبُـوري!

عقابـــك

أيُّ لـونٍ مـن العقـابِ عقـابٌ يَـتراءَى علـى جَهامـةِ سُـخْطِكْ
لهـفَ نَفسِـي تعـافُ خَطَّـكِ! إنّـي مِـنْ وفـائي آبَـى الجُحُـودَ بخطِّـكْ
آه! لـو تُـدركين مَعْنـى وَلائـي في زمـانٍ وَلاؤه كــالعُقُوقِ
آه! لـو تَعـرفين مَغْـزَى سـكوتي وفُـؤادي يـئنّ كالمصـعوقِ
لحَظَـاتُ الوجـودِ يَحملـن منّـي أيَّ سُـخْطٍ علـى الوجـودِ الأثـيمِ

ثـائراتٌ بحـرقتي، وهـي بعـضٌ ... مِـنْ مآسـي فـؤاديَ المكلـومِ
قبلَ خَلْقِ الحياةِ كانت حياتي ... شُعلةَ الهمِّ فانتهتْ للحياةِ
أَبَديٌّ همّي، وهل كان همّي ... غيرَ هَمِّ العظائمِ الباقياتِ!
أنا أحيا ما بين أَلفِ حسودٍ ... هُمْ كأَهلي لو يُدركون ونفسي
حسَدُوني لحبّهم، وأنا الحا ... ني عليهم والمستهينُ بأُنسي!
ليتني قد حَبيتُ كالراهبِ النا ... ئي عن الخَلْق في كُهوفِ الجبالِ
ليتني ما وُجِدتُ حتى خَيالاً ... في وُجودٍ وُجُودُه كالخيالِ
كم أُعاني وكم أُسامحُ عمري ... وابتسامي على بكائي شهيدُ
قد عرفتُ الإحسانَ أجملَ أحلا ... مِي، ولكنني بصفحي شهيدُ

الحياة الكونية

أَرثي بني الإنسان حين رثاؤُهم ... وَهْمٌ، وحين مَدَامعي بسماتُ
هذي الحياةُ هي البقاءُ، وغيرُهَا ... عَرَضٌ، وهل عَرَضُ الحياةِ حياةُ؟
الأرضُ إنْ ضاقت بها أو لم تَدُمْ ... خُطِفَتْ إلى الأجرامِ دونَ تواني
ليست حياةُ الناس إلا مَظْهَرا ... والروحُ فوق مَظاهرِ الإنسانِ
إنَّ المحيط أبٌ لنا، ومَدَاهُ في ... هذا الوجودِ، وليس في دُنيا الورى
نَمْضي إلى حضنِ المحيطِ إذا غدا ... عَيْشُ الثرى بَدَداً أو اندثرَ الثرى

ألحان الخلود

هل هذه الألحانُ تَنقل مُهجتي فوقَ الأثيرِ إلى عُلى الأرواحِ؟
ما لي نسيتُ جميعَ ما هو ماثلٌ حولي، وحتى حسرتي وجراحي؟
لغةُ الحياةِ تجرَّدتْ وتنزَّهتْ عن مسمعِ الأهواءِ والأبدانِ
مِنْ أيِّ نَبْعٍ تَستقي أمواجَها؟ ولأيِّ سَمْعٍ تنتهي كأغاني؟
كم مِنْ غناءٍ ما لَهُ نَبْضٌ، وكمْ لَحْنٍ تَجرَّدَ عن وُجودٍ باقِ
لا تعجبنَّ لِلَهْفتي، فعواطفي حَيٌّ الغناءِ بقلبيَ الخفّاقِ
هذي مَعاني الخُلدِ وزَّعها الهَوَى للخالدينَ بعالَمِ الإحسانِ
هيهاتَ تفنى أو ينالُ خُلودَها فانٍ، وإن أبقتْ حياةَ الفاني
هيهات يدركها سوى الأرباب مِنْ أهلِ الفُنونِ المعجزين فنونا
العائشينَ مَعانياً لا تنتهي الفائضين رجاحةً وجُنونا!

روحي

بعثتُ اللحنَ في شعري لنفسي وخِلْتُ به العزاءَ من الحياةِ
فما للكونِ مستمعاً لشَدْوِي وما لنجومهِ متلفّتاتٍ؟!
أهذا وهمُ مجنونٍ بريءٍ أم الكونُ استقلَّ به فؤادي؟
وهل في كلِّ جارحةٍ بنفسي صَدَاه؟ وهل كذاكَ هواه صادي؟
أرى رُوحي تعافُ حدُودَ جسمي وتأبى فُسحةَ الدنيا حُدودا
تغلغلَ نورُها في الكونِ طُرّاً ونال صَفاؤُها هذا الوُجودا

قسوة الحب

أقسو عليكِ؟ نَعَمْ هواي القاسي ... في هذه النَّظراتِ والأنفاسِ
مُسْتَوْعِباً ذُخْرَ الحياة، فإنّما ... أشْرَقتِ أنتِ بمتعةِ الإحساسِ
في كُل ما خَطفتْه عَيْني أو فَمي ... كنزٌ من التعبيرِ والإيناسِ
وَمفَاتنٌ شَتَّى أعيشُ لأجلها ... وبها انتقمتُ من الوجودِ القاسي
فَتَسَامَحِي في نظرتي وتهافتي ... وقَساوتي، فالصَّبُّ غيرُ النَّاسِ
وَدَعِي احتضاني للألوهة مِثلما ... يهفو على نَهديْكَ زهرُ الآسِ
لَمْ تَسْأمِي منه وكم في لَثْمِهِ ... أو رشفهِ الأضواءَ رشفَ الكاسِ!
فعلامَ أُشْكَى مِنْ تَهَافُتِ مُهجتي ... وإذا قَسَوْتُ فهل سواكِ الآسي
مَن ذا يَرَاكِ ولا يودّ لروحهِ ... هذا الفناءَ بروحِكِ الحسَّاسِ؟

الأحياء

غرانيقُ لم تَنطقْ ولا هي أومأتْ ... ولكنْ أطلَّ الفَنُّ منها لِمَنْ سَمَا
فناجيتُها حتى كأني أرى بها ... ذويها ومَنْ قد صاغَها أو تَوَهَّما
فليس بِنَحْتٍ مُشْرِقٍ ما شَهدتُه ... وقد شِمْتُ فيها الرُّوحَ واللحمَ والدَّمَا
ولكنّها الأحياءُ بالفنّ حينما ... إليها انتمَى الفانون والخالدُ انتمَى

الجـاذبيــة

تمضــى نمــاذجُ كُـلِّ حُسْـنٍ رائـعٍ والنّـــاسُ بـــين تَلَفُّـــتٍ وحُبُـــورِ
وأنا الذي وحدي أرى الحرمانَ لي مــا دام غــيرُكِ مُســتَمَدَّ النُّــورِ
مُثُلٌ مـن الأصـنامِ تَمضـي، كلُّهـا حُسْـــنٌ، ولكــنْ لا تنــال فــؤادي
ولــئن فُتِنْــتُ بهــا ففتنــةُ عــازفٍ متصـــوّفٍ، متنـــوّعِ الإنشـــادِ
هــذي المعــاني للحســانِ حبيبــةٌ لكنهــا ليســت معــانيَ رُوحــي
لم ألــقَ غــيرَكِ عارفــاً أســرارَهَا ومُواســياً ومُــدَاوياً لجرُوحــي
عَينــاكِ أشــعلتا الغــرامَ وفيهمــا نبــعُ الحنــوِّ مُلطفــاً أشــجاني
وعلــى محيــاكِ الحبيــبِ سماحــةٌ ومَفـــاتنُ الإحســـانِ للـــديّانِ
الجاذبيــةُ منــكِ أشْــهَى نِعْمــةٌ في ثغــرِكِ الوضّــاءِ بالبســماتِ
مِــنْ كــلِّ لــونٍ للجمــالِ كأنــه خَــرِبٌ، فمــا يَعْـدو جمــالَ مَمَــاتِ

ثــورة ببغــاء

البيئـة الطـائشـة

البَّبغــاءُ تثــور ضــدّي؟ يــا لَهــا مِــنْ غِــرَّةٍ فأنــا الــذي أخشــاهَا
باعــدتُهَا جُهــديَ، فــإنّ مقالهــا كمقالـــةٍ للســـوءِ لا أرضـــاهَا
يــا بَبَّغــاءُ ترفَّقــي! لا تُســرفي! هــل تســمعين وتفقهــين مَقــالي؟
ســيانِ مَــدْحُكِ أو قِــلاكِ فجــنِّبي صــوتاً كصــوتكِ أن ينــالَ خيــالي
مــا كــان رأيُــكِ بالــذي أعْنَــى بــه لســتُ الــذي يهفــو إلى الأبــواقِ
لكــنّ صــوتَك في كآبــةٍ وقعــهِ قَلَــقٌ، فمــا حظــي مــن الإقــلاقِ؟!

أُكَرُ الضيــاء

يــا للوليــدِ الصُّــبْحِ تُطفــأُ حولَــه
هــذي المصــابيحُ الــتي تــتلالا

مــا بالهــا اختُطِفَــتْ أو انطفــأتْ كمــا
خُبئــتْ عيــونُ الســاحراتِ مُحَــالا؟!

هــل كــان أوْلَــى منــه بــالأنسِ الــذي
مَنحَتْــه فِي كهــفِ الإلــه تعــالى؟

أُكــرُ الضــياءِ أحَــبُّ للطفــلِ الــذي
يَلقَــى الغــذاءَ أشــعةً وخَيــالا

قــد غــاب هــذا الليلُ حــين تدحرجتْ
وهــوتْ بمــوجٍ للضــياءِ تَــوَالى

يــا للصــباح مــن الأمومــةِ! إنهــا
ربَّتــه فِي حضــنِ الفنــاءِ فــزالا

ونَّــى ســريعاً فِي كهولــةِ حــالمٍ
وهــو الوليــدُ ومــا عَــدَا الأطفــالا[1]

فيغيــب فِي أُكَــرِ الضــياءِ كأنــه
طيــفٌ ألمَّ بنــا وردَّ سُــؤالا!

الحــراس

(رأى الشاعر أشجاراً حائطة روضاً لحمايته حينما هي عرضة للتلف من عصف الرياح)

مــا لــي أراكِ وَقفْــتِ فِي صَــمتٍ علــى مــرِّ الســنينْ؟
هــل أنــتِ حارســةٌ علــى هــذا الجمــالِ مِــنَ الزمــانْ؟
تَمضــي الســنينُ وأنــتِ فِي هــذا التَّفَــرُّسِ، لا يَلــينْ
لا تعــرفينَ النــومَ، لا، بــل لا سَــلامَ ولا أَمــانْ!

*****

غَرَسُــوكِ حــائطَ رَوْضِــهمْ، فــالروضُ ملتفــتٌ إليــكِ
ناجــاكِ مِــلءَ النُّــورِ ثــم دعــاكِ فــي جُــنحِ الظــلامْ

[1] ولم يتجاوز سن الطفولة.

فـــإذاكِ موئـــلُ هـــذه الأرواحِ جاثمـــةً لـــديْكِ
مِـــنْ كُـــلِّ زَهْـــرٍ حَظُّـــه مَـــرآكِ حتـــى لا يُضَـــامْ!

*****

وبَقيـــتِ أنـــتِ أسـيرةً لـــلأرضِ تحمـــينَ النَّبـــاتْ
مِـــنْ كـــلِّ عَصْـــفٍ للريـــاحِ وكـــلِّ سَـــهْمٍ للضـــياءْ
وتُعرِّضـــينَ جمالَـــكِ المـــأمولَ في وجـــهِ المـــاتْ
يـــا لَلضـــحيةِ! هكـــذا الـــدُّنيا تهاويـــلُ الفَنَـــاءْ!

المنصورة

(زار الشاعر مدينة المنصورة بعد غيبة أعوام طويلة فألهمته هذه الخواطر)

مدينـــةَ الحُـــبِّ والجمـــالِ — أراكِ كـــالحُلْمِ في الخيـــالِ
عشـــرون عامـــاً كانـــت حجابـــاً — كـــأنني ســـاكنُ الجبـــالِ
فـــلا زمـــانٌ ولا رَجـــاءٌ — ســـوى رجـــاءٍ مـــن المُحـــالِ
والآنَ ألقـــاكِ بعـــد نَفْـــيٍ — في عـــالم اليـــأسِ والخَبـــالِ
ألقـــاكِ بَسَّـــامةً كـــأنّي — أتيـــتُ في موعـــدِ الوصـــالِ!

*****

يـــا دُميـــةَ النيـــلِ! فيـــك سِـــحرٌ — للعصـــرِ والأَعْصُـــرِ الخـــوالي
لم تَســـأَمي نظـــرةً إليـــهِ — كأنهـــا نظـــرةُ ابتهـــالِ
مَـــرَّتْ عصـــورٌ وأنـــت سَـــكْرَى — بمائـــهِ المُسْـــكِرِ الـــزّلالِ
وموجُـــهُ ماثـــلٌ لـــديكِ — علـــى اصـــطدامٍ وفي اقتتـــالِ
وأنـــتِ منصـــورةٌ تســـامتْ — بالحـــبِّ فيهـــا وبالجمـــالِ
فالنيـــلُ عبـــدٌ لهـــا حبيـــبٌ — وحســـنُها عَبـــدُه المُـــوالي!

*****

مدينةَ الفنِّ! خبريني   كم شاعرٍ فيكِ لم يُغالِ؟

مدينةَ النُّورِ! أيُّ نُورٍ   بلا انتهاءٍ ولا انتقالِ؟

كم مُتحفٍ فيكِ من عُيونٍ   ومِنْ خُدودٍ ومن جَلالِ

والشمسُ عند الأصيل حَيْرَى   على ـنينٍ وفي اشتعالِ

وتَلثم الماءَ في لهيبٍ   كأنه حسرةُ الزوالِ

وتخضِبُ الأفقَ بالأماني   قتيلةَ الحربِ لليالي

فتُطلعين الحبورَ صرفاً   شموسَ حُسنٍ بلا مثالِ

مِنْ كلِّ ظمآنةٍ لديها   مَناهلُ الفنِّ والكمالِ

مجدِّداتٍ لنا الأماني   بلا خُضوعٍ ولا تعَالي

فكم خطابٍ بلا حديثٍ   وكم عَطاءٍ بلا سؤالِ

وكم حُروبٍ بلا قتالٍ   وكم سَلامٍ بلا امتثالِ

جزائرُ النيلِ[1] شاهداتٌ   وكم تُبالي ولا تُبالي

والشاطئُ المستعِزُّ زهواً   بكلِّ نبتٍ عليه غالي

وكلُّ نُورٍ في الماء يجري   وإنْ حسبناه في الظِّلالِ

عواطفٌ هُنَّ شاخصاتٌ   ممثَّلاتٌ بكلِّ حالي

النبتُ والناسُ والمغاني[2]   وموجُ ماءٍ على دلالِ

ومُستطابُ النسيم يَسري   كنشوةِ الحبِّ في خيالي

عواطفٌ هنَّ فاتناتٌ   بلا حُدودٍ ولا مجَالِ

فكلُّ شيءٍ أراه حيٌّ   وإنْ تَولَّى فللتَّوالي

والجوُّ فيه مِنَ المعاني   ما يغمرُ الرُّوحَ بالنَّوالِ!

---

[1] إشارة إلى الجزر التي تظهر في النيل أمام المنصورة عند انخفاض مستوى النهر.

[2] المنازل.

*****

يـا دُميـةَ النيـل! مَـنْ مُعيـدي   لسـاعةٍ فيـكِ وابتهـالي؟

كـم مـن "مِثـالٍ"[1] لـديك يـوحِي   للشـاعرِ النـادرِ المثـال!

العنـاق

لم أنسَ رعشـتَكِ الـتي لم تَكتمـلْ   مـلءَ العنـاقِ وفي انبثـاقِ النُّـورِ

قـد كنـتِ كـالطيرِ الحبيسِ مُـبَلَّلاً   بنـدىً علـى فجـرٍ مـن البَلّـورِ

تتنفَّسـين بلهفـةٍ، وكـأنّ مـا   تتنفَّسـين عـواطفي وشُـعوري

يـا لَلأنوثـةِ في انطـلاقِ جمالهـا   رُوحـاً أضِـنُّ بهـا علـى التعـبيرِ

أفْلَـتِّ خادعـةً، ومـا أفلـتِّ مِـنْ   شـغفي، وقـد أفلـتِّ كالعصـفورِ

والطيرُ تَعجبُ من خداعِكِ حينما   الحُـبُّ بَعْـثُ العـالَمِ المقبـورِ

النـاسُ تهـربُ مِـنْ نوازعـهِ كمـا   يتهـاربون مـن الجَنَـى المسحُورِ

ولـو انَّهـم عرفـوا الحيـاةَ وسِـرَّها   عَبُّـوا، فمـا في الحُـبِّ غيـرُ طَهُـورِ

والـدهرُ يَضـحك مـن غباوتهم وقـد   ظنّـوا نعـيمَ الحـبّ للـتعميرِ

هيهـاتَ! مهزلـةُ الحيـاةِ ضـنينةٌ   إلاَّ بكـلِّ خديعـةٍ وغُـرورِ

مَـنْ لم يـذقْ مِـنْ زادِهـا ورحيقِهـا   سيموت في الحرمـانِ موتَ ضـريرِ

---

[1] يعنى نموذجا فنيا للجمال.

الفاكهة المحرّمة

أيُّها الطّفلُ! يا فؤادي! تمهَّلْ! قد تماديتَ في الذي قد هويتا
تعشقُ الحُسْنَ حينما الحسنُ ألوا نٌ، فيا مُسرفاً بما قد عشقتا!
ألنٌ لونٍ من الجمالِ تراءتْ كيف تهوى جميعَ ما قد رأيتا؟
كيف لم تَدْرِ أنّ هذا حَرَامٌ وسواءٌ رضيتَهُ أم أبيتا؟
هكذا الحسنُ مثلُ فاكهةِ الجنّـ ـةِ يغوِي، وخاسرٌ إنْ غويْتا!
هكذا الحسنُ أيها الطفلُ مسجو نٌ، وفي سجنه يحاكي الميتا!
هكذا شَرْعَةُ الأنامِ، وكلٌّ خادعٌ نفسَه حياةً ومَوْتا!

صلاة الصباح

غرّدي يا طيورُ، إنَّ صلاتي لإِلَهي مِنْ نفسٍ ينبوع لحنِكْ!
أستبينُ الألحانَ كالجدولِ الجاري، فهل كان في صلاةٍ بفنِّك؟!
ما أحبَّ الجمالَ فِي وقفتي هذي أمامَ الأغصان والفجرُ راني
كلُّ شيء عليه من مَسحةِ الخالقِ حُسنٌ مُنوَّعُ الإحسانِ
ما أَحَبَّ الشُّرُوق والشمسُ ما زالتْ كنعسانةٍ تعافُ الصَّباحْ
ثم ترمي نقابَها في شُعاعٍ وتستطيبُ المِراحْ
فإذا بالوجودِ يرنو إليها في اغتباطٍ كما رَنَتْ للوجود
وإذا بالنفوسِ تخشعُ للخالقِ من وحيِ نورِهِ الممدودْ

البيـــت

(على لسان تلميذ)

بَـيْتي، وهـل بَـيتي سـوى جَـنَّتي؟ فكـــلُّ مـــا فيـــه عزيـــزٌ حبيـــبْ
يَحْنُـو، وكـم يَحْنُـو علـى مُهْجَـتي وكـــلُّ مـــا فيـــه عَطــوفٌ رَقيـــبْ
مِـن زَهْـرِهِ الباسـمِ، مِـنْ عُشْـبِهِ مِـنْ مائـهِ العـاثرِ فـوق الحَصَـى
مِـــنْ طَـيرهِ العابــثِ في وَثْبِــهِ مِـنْ كلبـهِ اللاعـبِ مثـلَ القَطَـا
مِـــنْ كُـلِّ نُـــورٍ أو ظِـــلالٍ بــهِ وكـلِّ صَـوْتٍ أوْ سـكوتٍ عميـقْ
أســتقبلُ الترحيــبَ مِــنْ حُبِّــهِ وألمـحُ الحُـبَّ يَشُـقُّ الطَّريـقْ
وأسمــعُ أقــدامي لهــا كالصَّــدَى مِـنْ سـقفهِ أو مـن جـدارٍ تحايـا
فكـــلُّ مـــا حَـوْلي صـــديقٌ إذا عبسـتُ لم يَعْبِسْ ونـاجَى رِضـايا!

الصديقـــان

(على لسان تلميذ)

أوّلُ الأصـدقاءِ في هـذه الأرضِ وأبقـاهمُو بخـيري وسُـقمي
والــدٌ منجِـبٌ وأمٌّ إليهـا وإليـه مـلاذُ رُوحـي وجسـمي
كيـف أنسـاهما وكيـف تراني مُنكـراً للـولاءِ أو للجميـلِ؟
أنـا قلباهمـا، وهـذي حيـاتي لهمـا، وهـي للرجـاءِ النبيـلِ
جاحـدُ الوالـديْنِ مـا كـان إلاّ جاحـداً ربَّـه وجاحـدَ نَفْسِـهْ
طَـائعُ الوالـديْنِ مـا كـان إلاَّ عارفـاً نفسَـه ومَنْبَـعَ أنْسِـهْ

ذكرى حافظ إبراهيم

(لمناسبة مرور عام على وفاته)

الـذكرُ ذكـرُكَ يـا أديـبَ النيـلِ ... يـا شـاعراً غَـرِداً بكـلِّ نبيـلِ
يـا مُخْلِـداً للضـادِ في أشـعارهِ ... مَجْـداً مـن الإحسـانِ والتجميـلِ
فتَّشْـتُ عـن قـبرٍ حننـتَ لِرُكنـهِ ... حتـى أُبجِّـلَ فيـهِ شـعرَ الجيـلِ
وأقبّلَ الحَجرَ الـذي حرسَ العُلى ... مـا كـان أجـدرَ منـه بالتقبيـلِ
وأجـدِّدَ العَهـدَ الـذي أزكيتَـه ... بـدمي لحرمـةِ مـوطني المغلـولِ
فعَييـتُ حـينَ المـوتُ ينظـر حـائراً ... منّـي، ومِـنْ أَلَمـي، ومِـنْ تـأميلي
ورجعـتُ والحـزنُ الدفينُ يمضّـني ... وينـال مـن جَلـدي ومـن تَعليلـي
وأكـاد أفقـدُ كـلَّ إيمـاني بمـا ... في النـاسِ من خيرٍ عرفتُ جزيـلِ
قـد عشـتَ محبوبـاً ومجهـولاً كمـا ... قـد مُـتَّ مثـلَ الفـاتح المجهـولِ
في بيئـةٍ أمسَـى الـدخيلُ أصيلَها ... وغـدا الأصـيلُ بهـا أذلَّ دخيـلِ

*****

يـا أوحـدَ الفصـحاءِ في تبيانـهِ ... خُـذْ مـن رثـاءِ الحـبِّ كـلَّ جليـلِ
قـد كنـتَ تُفْـتَنُ بالجمـالِ وهـا أنـا ... أرثيـكَ في بلـدٍ عَشِـقتَ جميـلِ[1]
وَطـنُ العبـاقرةِ الـذين تفنَّنـوا ... فتـألَّهوا بالسـحرِ والتنزيـلِ
لم يَجحدوكَ، وليس يجحد(حافظاً) ... مَـنْ عَـبَّ يومـاً مـن رحيقِ (النيـلِ)
أبنـاؤهم مـلءُ الزمـان تَوثُّبـاً ... والفـردُ منهم في مقـامِ قبيـلِ
ذكـروكَ ذكـرَ الأنبيـاءِ، فإنمـا ... ينسـاكَ أهـلُ البغـي والتضـليلِ
وَدُوكَ حِليـةَ ثغـرهِم، فلطالمـا ... حَفَلـوا بشـعرِكَ قبـلَ كـلِّ نزيـلِ

*****

---

[1] مدينة الاسكندرية.

نَمْ يا أخا البؤساءِ نومةَ هانئٍ ... فالظلُّ بين النَّاسِ غيرُ ظليلِ
نفسٌ كنفسِكَ لن ترى النُّعْمَى لها ... في بيئةِ التهريجِ والتدجيلِ
زُمَرٌ بأذهانِ القطا وشُخوصُهم ... من كل ضخمٍ في تخطرِ فيلِ
لفظوا حقوقَ النابغين وإن بكوْا ... يومَ الرحيل، وكم بكوْا لرحيلِ
يبكون مِنْ فرطِ الذهولِ وليتهم ... لبثوا على نَدَمٍ وفرطِ ذهولِ
فكأنَّهم لا يعرفون وفاءَهم ... بعقولهم، لو أنهم لعقولِ
حتى إذا ثابوا إلى أحلامهم ... تركوا النبوغَ يموت موتَ ذليلِ

*****

لله أعوامٌ مَضَتْ لم أنسَها ... يوماً، فأنسُكَ راحُ كلِّ خليلِ
ومواقفٌ لك علَّمتْنا أن نرى ... معنى الحياةِ فكنتَ خيرَ رسولِ
يا ليتَ درسَكَ لم يَغِبْ في أمةٍ ... ظمأى إلى التكرارِ والتفصيلِ
تَنْسَى عظاتِ الدهر وهي شواخصٌ ... وتَحِنُّ للأوهامِ والتخييلِ
والدهرُ خيرُ مؤدِّبٍ، فإذا شكا ... منّا فسخطُ الدهرِ غيرُ ضئيلِ
مَنْ لم يؤدِّبْه الزّمانُ فإنه ... وهو السليمُ يعيشُ عيشَ عليلِ

*****

أبناءُ مصر: بناؤُها ورجاؤُها ... وضياؤُها في فجرِها المأمولِ
هرعوا لذكرِكَ، فلتطبْ بوفائهمْ ... روحاً، وغِبْ ككنوزِ وادي النيلِ!

الشمس الغريقة

أرى الشمسَ قد سقطتْ في العُبَابِ ... فما بالُها الآن لا تَنْطَفِي؟
وما ذلك اللَّهَبُ المستثارُ ... على الماءِ من وَقْدِ رُوحٍ خفِي؟

أفي المـاءِ نَجْـوَى فـؤادي الحـزينِ يُنـاجي الشـفاءَ فمـا يشـتفي؟
وأيُّ لَظـــىً في صَـمـيمِ الميــاهِ سـوى الحـبِّ يغـزو ولا يكتفـي؟!

*****

وقفنـا علـى الـيَمِّ عنـدَ الغُـروبِ وكـم في الغُـروبِ أسـىً للقُلـوبِ
فأسمعَنَـا المـاءُ صـوتَ الشَّـجِيِّ ورَفَّ علـى النُّـورِ روحُ الكئيـبِ
وقـد عَثَـرَتْ في خيـوطِ الضـياءِ فتـاة السـماءِ بمـوجٍ عجيـبِ
فأشـعَلَتِ البحـرَ مِـنْ سـحرِهـا ومـا سـحرُها غـيرَ رُوحِ الأديـبِ!

*****

وفي لحظـةٍ غـاب ذاكَ اللَّهَـبْ وقـد كنـتُ أحسـبُه لا يَغيـبْ
فيـا عَجَبـاً لصـروفِ القَـدَرْ وإنْ لم يكـنْ منـه شـيءٌ عَجيـبْ
فمـا هـو فـانٍ نـراه خَلَـدْ ومـا هـو بـاقٍ بسـحرٍ يَـذوبْ
وقـد جَنحـتْ مُهجـتي للطَّـرَبْ كـأنَّ السُّـرورَ وليـدُ الكئيـبْ!

*****

وحـان الـوداعُ وكـم في الـوداعْ دِمـاءٌ تُـراقُ وعُمْـرٌ يُضَـاعْ
فلاحـتْ لفـاتنتي عَـبرةٌ علـى خـدِّها كَلَظـىً في شُـعَاعْ
وقـد رأتِ الشـمسَ مَـرْأى الفنـاءِ وقـد غربـتْ وهـي ربٌّ يُطَـاعْ
فَريعَـتْ لمصـرعِنا الآدمـيِّ وهـذي الألوهـةُ تَلْقَـى الصِّرَاعْ!

جسر الأحلام

عَبَـرْتُ عليـكَ يـا جِسْـرَ الأَمـاني ويـا جِسْـرَ التَّخيُّـلِ في غَرَامـي
فجـزتُ إلى مَـدَى حُلـمٍ عَميـقٍ ومـا حُلمـي كـأحلامِ الأنـامِ
ولكـنْ مِـنْ صـميمي مُسْـتَمَدٌّ ومِـنْ خَلْـفِ المَرَائـي والمرامـي

ومَـنْ يظفـرْ بهـذا الحُلـمِ أَوْلَـى		بـه مَـرَحُ التفـاؤلِ والتسـامي

*****

وألَّفَنَـا التجـاوبُ فِي الأَمـاني		وجمَّعَنَـا التبسُّـمُ للسـقامِ
كلانـا نفسُـهُ الحَيْـرَى بحـربٍ		وبعضُ الحـربِ مـن رُوحِ السـلامِ
تَسَـاقَيْنَا الهـوى صِـرفاً وكانـت		تهـابُ الكـأسَ مِـنْ هـذي المـدامِ
ومَـنْ لا بُـدَّ يرتشـف المنايـا		أيخشـى الكـأسَ مِـنْ راحِ الغـرامِ؟
فلمـا أدركـتْ حُلْمـي ورُوحـي		وأنَّ الحـظَّ نَهْـبٌ لاقتسـامِ
أبـتْ أن نغتـدي فِي الـدهر وهمـاً		مـن الأوهـامِ أو بعـضَ الحطـامِ

المومياء

أسـيرُ وكم أرَى في النـاس حـولي		أسـيراً حالـهُ كالموميـاءِ!
كـأن السـحرَ جَـدَّدَهُ ولكـنْ		يَلـوحُ بـه التعمُّـقُ في الفنـاءِ
فأُبصـر فيـه صُـورةَ آدمـيٍّ		ومـا ألقَـى بـه معنـى الرجـاءِ
فهل رحلَ الورى من مصر حتى		رأينـا الميـتَ يرجـعُ للوفـاءِ؟!
ولكـنّ الفنـاءَ يُطِـلُّ مـنهم		وأهـلُ الأمـسِ مِـنْ أهـلِ البقـاءِ!

صـورة

أمِـنْ صـميمِ الهَـوَى أم رُوحِ دَيَّـانِ		هـذا الخيـالُ الـذي وافـى وحيَّـاني؟
يـا صـورةً مِـنْ مَعَـانٍ كلُّهـا طُـرَفٌ		أهـلاً بعَطْـف حبيـبٍ منـكِ واسـاني
إنـي فقـيرٌ إلى الآمـالِ أرشـفُهَا		مِنْ صمتِكِ العذبِ أو من ظلكِ الحاني

إنْ لم يكـــنْ لأغاريـــدِ أرتّلـــها هذا الجمالُ فقد ضَيَّعتُ ألحاني!

*****

بعثتِ رسمَكِ في وشي الصِّبَا نَضِراً وللصِّـبَا في المعـاني جَـمٌّ ألـوانِ
مـا كـان ضَـرَّكِ لـو أشْبَعْتِني قُـبَلاً فإنهـا صُـوَرٌ مـن رُوحِـكِ الهـاني؟
أو كـان ضَـرَّكِ لـو بـادلتِني صُـوَراً مـن الحـنين فخمرُ الحـبِّ إيمـاني؟
كانـت أحبَّ إلى نفسـي وإن ظمئـتْ مـن الخيـالِ وإن ناجـاه وجـداني
وَاهـاً علينـا وراحُ الحـبِّ دانيـةٌ فنكتفـي بشـذىً للحـبّ روحـاني
لا بنضـر الحـبُّ إلاّ مِـنْ مبادلـةٍ فالحـبُّ نشـوةُ أرواحٍ وأبـدانِ

تنـاحر الأضداد

كـم أمـلأ الـدنيا ثنـاءً أو رضـىً عـن لحظـةٍ للأُنـسِ والإسـعادِ
وأنـا الـذي أحيـا الزمـانَ شَـقاوةً فـأعودُ أغفـرُ شـقوتي وجِـدَادي
أحيـا بكـلِّ دقيقـةٍ تمضـي كمـا أهـبُ الحيـاة رجاءَهـا بفـؤادي
غنَّيـتُ أضـعافَ الـذي أُعْطِيتُـه حتـى حُسِـبْتُ المُسْـعَدَ المتهـادي
كم من هُمومٍ قد طرحتُ تَوجُّعي منهـا وطـولَ تَحرُّقـي وسُـهادي
وخجلـتُ مـن بَثّـي القليـلِ كأنمـا عَصْـفُ الريـاحِ يطيـب للأطـوادِ
أنَّ الحيـــاةَ جميلـــةٌ لكنمـــا قتـلَ الجمـالَ تَنـاحرُ الأضـدادِ

في المنفـى

نَعَـــمْ منفـــايَ أشـــعاري ومَلْقَـــى النُّـــورِ والنـــارِ
أعـــيشُ بهـــا علـــى حِـدَةٍ ونَفيِـــي عـــيشُ أحـــرارِ

حيـــاةٌ مـــا لهـــا أمَــدٌ   علـــى ســفرٍ وأخطــارِ
أســجّلِ كــلَّ مــا حــولي   وأخلـــق حُلْـــمَ أقـــدارِ
حزينـــاً، ســـاخطاً، مَرِحـــاً   عتيّـــاً، غـــيرَ جبَّـــارِ
أعـــيش بكـــلِّ مَعْنَـــى العَيْـــ   شِ حـــين أنـــا بـــهِ الـــزَّاري
كـــأنّي مُـــذْ وُلِـــدْتُ حييـــ   ـــتُ في يقظـــاتٍ قهّـــارِ
أبـــادلُ مـــا حَـــواه الكـــو   نُ إيحـــائي وأنظـــاري
فـــلا هـــو دائـــني أبـــداً   ولا أنـــا عبـــدُه الجـــاري
وإن عبـــدَ الجمـــالَ بـــه   فـــؤادي شِـــبْهَ مختـــارِ
وَمَـــنْ يحيـــا بهـــذا النَّفْـــ   يِ لم يَحْفِـــلْ بأوطـــارِ
ولم يَعبـــأْ بتمجيـــدٍ   وإنْ يعبـــأ بإيثـــارِ
يَعـــيشُ لغـــيره أبـــداً   وإنْ لم يَحْـــظَ بالغـــارِ
فهـــذي نفســـيَ الكـــبرى   إذا أرضـــاكَ إصـــغاري
تنـــاءَتْ في مَجَاهلـــها   ومنفاهـــا بأشـــعاري
ولم تَسْـــفِرْ لقارئهـــا   إذا لم يُقبـــلِ القـــاري
ومَـــنْ يحيـــا حيـــاةَ العُشْـــ   ـــبِ لم يظفـــرْ بـــأغواري!

جوّ اللقاء

أودّ ألقاكِ لكنْ ملءَ عاطفةٍ   بلا حُدودٍ وفي مَاضٍ من الحِقَبِ
أيامَ كان الهوى ديناً يُدانُ به   في الجِدِّ والدَّأبِ أو في اللّهوِ واللعبِ
لا تَسْأَلِي شاعراً إلاّ عواطفَه   فإنّها هي ذُخري وهي مُنْتَهَبِي

أودُّ ألقاكِ، لكنْ حين أنظرُ لا ... ألْقَى بعينيكِ إلاّ الحُبَّ يَنعمُ بي
دعي جَنانَكِ للأيام تعْبُدُهُ ... وناوليني فؤاداً عاشقاً أدبي
أودّ ألقاكِ في سُكرٍ وفي لَهفٍ ... وفي تَطَلُّعِ طفلٍ أو مِراح صَبي
فنشتفي بالهوى مما يُعذّبنا ... من الحياة، وكم في البُرءِ من لَهَبِ
أودُّ ألقاكِ والأقدارُ غافلةٌ ... وأنتِ وثّابةٌ كالخمرِ والحبَبِ
فلا أراكِ على خَوْفٍ ولا حَذَرٍ ... ولا أراكِ على يأسٍ ولا غَضَبِ
بل كلُّ ما فيكِ أشواقٌ مؤجَّجَةٌ ... وكلُّ ما فيكِ أَلوانٌ من الطَّرَبِ

الوداع الدائم

للعقلِ أن يُعنى بروعةِ ذهنكِ ... والفنِّ أن يَغنى بقوَّةِ فنِّكِ
أمَّا أنا فأراكِ سرّاً غامضاً ... أهواه مصبوبَ المُنَى من دَنِّكِ
لا تحسَبيني سوف أسأمُ بعدما ... أستافُ روحَكِ في وصالٍ طالاَ
ما كان مثلي مَنْ يحقق رِيَّهُ ... وصلٌ، ولو جعلَ الحياةَ وصالاَ
سأعيش أرتشفُ الجمالَ مُنوَّعاً ... - إن شئتِ - منكِ حقيقةً وخيالاَ
فأظلّ حين تَذوُّقي جدواكِ لي ... ألقاكِ حُلماً واقعاً ومُحالاَ
لَهَفي على الأيامِ تَمْضِي بينما ... نَنسى المخبَّأَ من رَدى الأيامِ
لو أننا نَدري جعلنا عُمرَنا ... عُمْرَ الوداع فكان عُمرَ غرامِ

ساعة الأحياء

الآنَ أرفعُ للجمال صلاتي | وأذوقُ أحلَى الحُلْمِ ملءَ حياتي
وأُقبّلُ النورَ الذي في لثمه | هذا الجمالَ يُطيل مِنْ قُبلاتي
مُرّي! تَعَالَي يا نَماذجَ وَحْيِهِ | في لونكِ الخمريِّ بالنفحاتِ!
سِيري على شطِّ الخليجِ[1] فعنده | حَجُّ الجمالِ ينوبُ عن عرفاتِ
سِيري موزِّعةً على أنفاسِنا | ما شِئتِ من رُوحٍ ومن آياتِ
مِنْ جسمِكِ المتموِّج الخفّاقِ من | حُسْنٍ، ومن حُبٍّ، ومن لَذّاتِ
أرنو فيُسكرني تَمَوُّجُ ضوئهِ | وتَموُّجُ التعبيرِ في الخطراتِ
وتَرَتُّبُ الروحِ الجميلِ كأنما | ألقاه ألواناً تُنير صلاتي
وأودّ أرسمُه فيُعجِزُ لونُه | لوني، ويُفحم صمتُه كلماتي
تَتجرَّدين وما التجرُّدُ ضِلَّةً | فكفاكِ أن تُحيي الجمالَ بذاتي
مَنْ ذا الذي يُرضِيه لَمْسُكِ عن هَوىً | إلا هوَى الفنِّ الجميلِ العاتي
أوَلَسْتِ آلهةَ الفنونِ جميعها | حين القلوبُ لديكِ كالمرآةِ
والبحرُ حِضنٌ للطبيعةِ عندما | ضَمَّتْكِ في شَغَفٍ وفي بسماتِ
سِيري بناتِ البحرِ! أنتِ فنونُهُ | وورثتِ منه لنا أحبَّ صفاتِ
وتَخطَّري وتمهَّلي في ساعةٍ | هي نعمةُ الأحياءِ في الساعاتِ

[1] خليج استانلي بالإسكندرية.

المغيـــب

الشمسُ يَخطفها المغيبُ وقُرْصُها   في روعــةٍ والنــورُ فيــه يــرفُّ
فكأنــه قلــبُ المحــبِّ إذا ذوَى   عنـد الفـراقِ فـرفَّ وهـو يجـفُّ
خطـفَ المغيـبُ حياتَهـا بحياتـهِ   فغـدا المسـاءُ محمَّـلاً أسـرارًا
إنّ الأنوثـةَ حـين تمـنح رُوحَهـا   للخـاطفين تُضـاعفُ الأعمـارَا
هـاتي وقـد حـان الـوداعُ ذخيرتـي   مِـنْ رُوحِـكِ الـدَّفّاقِ بالإحسـانِ
فـإذا لثَمْتُـكِ كـان غُنمـي كـلَّ مـا   أودعْـتِ مـن حُسـنٍ ومـن ألحـانِ!

حـــدائق بــابل

حـدائقُ بابـلٍ قـد عُـدتِ فينـا   كما عـاد الهـوى آلافَ ضِـعْفِ
نُسِخْتِ فصرتِ أكشـاكَ الغـواني   علـى بحـرٍ وجُـزْتِ أحـبَّ قصـفِ
يَطـوفُ بـكِ الجمـالُ علـى فنـونٍ   مـن الأوصـافِ تُعجـز كـلَّ وصـفِ
غـوانٍ للفتــون مجــرَّداتٌ   تصـونُ الفـنَّ في رَشْـفٍ وقَطـفِ
أبـينَ السـترَ إلاّ حيـث أمسـي   مـن الإغـواءِ يُبـدي حـين يُخفـي
ومِـنْ عَجَـبٍ يُـنلن علـى امتثـالٍ   مُنـى النظـراتِ في مَـنْحٍ وخطـفِ
فـنجني كـلَّ معنـىً بـابليٍّ   بلطـفٍ حـين يغمرنـا بعنـفِ!

الأمــواج

(عند خليج استانلي)

دُنيـا الغَـرَامِ ومَسْـرَحَ الأحْـلامِ مُـرِّي بأطيـافِ الجمـالِ أمـامي!
العـامُ مَـرَّ وهـا أنـا في عـودتي مـا زلـتُ في شَـغفي وفي أحلامـي
خُبِّـرْتِ فـاخترتِ الميـاهَ مَثابـةً للحُسْنِ واخترتِ الشبابَ الظامي
وجعلتِ مـوجَ البحر مَركبكِ الـذي يرقـى ويهـبط في حبـور غرامـي
المـاءُ أوْلى بالجمـالِ فَطُهْـرُهُ يفـترّ بالإشـعاعِ والإلهـامِ
ألقيـتُ عنـدَ هـديرهِ ونـثيرهِ سَـقَمي فبـدَّد لـوعتي وسـقامي
وجلستُ عند الشطِّ أجمع غانماً حَظـاً تَنـزَّهَ عـن أذىً ومَـلامِ
مِنْ كلِّ جسمٍ فيه ما يَهبُ الصِّبا للكـونِ مِـنْ ملكوتـهِ البسَّـامِ
في ضَـجعةٍ قُدسـيةٍ، وصـبابةٍ علويـةٍ، وتَعثُّـرٍ وتَسَـامي
صُوَرُ التهافُتِ والتباعُدِ والرِّضَى والهجـرِ في حـربٍ وفي استسـلامِ
الشمسُ تنهب مِن بديعِ روائها كـالبحرِ في منثـوره المترامـي
والعـينُ تنبـه مـن بـديعِ روائهـا مـا لا يمـرّ بخـاطر الرسَّـامِ
أهلاً عذارى البحر! هل غيري الذي يَـدريكِ في صُـوَرٍ وفي أنغـامِ؟!
خلّـي فـؤادي المُسْتَطِبَّ وخـاطري يتناوبـان بلهفـةٍ وأوامِ
يَسـتوحيان مـنَ الظـلال مَناعمـاً ومـن اضـطجاعكِ جنـةَ النُّـوَّامِ
أبـديتِ مـا أخفيتـهِ، وكـأنّ مـا أبـديتِ كـالأحلامِ والأوهـامِ
فـالآنَ يَسـجدُ للجمـالِ حَفِيُّـه ويَعـودُ يُفْـتَنُ ذلـك المتعَـامي
وأُطيـل مِـنْ نظـري إليـكِ كـأنني أخشى الظلامَ متى لقيتُ ظلامـي
والحسـنُ إنْ رُزِقَ الحنـانَ فإنّـه يَرْعَـى القلـوبَ رعايـةَ الأيتـامِ!

وداع البحـر

(قالها الشاعر قبيل الشروق من مرتفع فندق وندسور وهو يغادر الإسكندرية)

وداعــاً أيهــا البحــرُ الجميــلُ ... فــإن المُكــثَ لــيس لــه ســبيلُ
ســبقتُ الشــمسَ في مَــرأكَ حتــى ... يفــوتَ الشــمسَ مــا بــثَّ العليــلُ
أودّعُ هـــذه الأمـــواجَ تحـــوي ... ســـطوراً كلُّهـــا شـــعرٌ جميـــلُ
وهـــذا الجـــوَّ مربـــدًا ولكـــنْ ... يُطـــلّ وراءَه الخلُـــقُ النبيـــلُ
وهـذا القـوسَ مـن صـخرٍ وسـدٍّ[1] ... كحضـــنِ للمدينـــةِ يســـتطيلُ
ومـا تحكـي القـواربُ وهـي حيرى ... لمـــا تـــروي النجـــومُ ومـــا تقـــولُ
فكـم في الليـل يُشـغلها التنـاجي ... متـى سَـفرتْ ويُرقصـها الهـديلُ
وأســـرابَ المفـــاتنِ للغـــواني ... وكـــلٌّ عنـــدها مُلـــكٌ جليـــلُ
نحيِّيهـــا وكـــم فيهـــا نحيّـــي ... معـــانيَ لا تُنَـــالُ ولا تُنيـــلُ
نظـلّ نحـوم حـول السـحرِ فيهـا ... وبعـضُ السـحرِ لـيس لـه مثيـلُ
ونُقْهَـــرُ بالخيـــالِ وبالأمـــاني ... علــى ظمــإٍ كمــا يظمــا القتيــلُ
وداعـــاً أيهـــا البحـــر المـــوالي ... إذا هجــر المحــبَّ لــكَ الخليــلُ!
وداعـاً! هـذه اللحظـاتُ تمضـي ... ســـراعاً والغنـــاءُ بهـــا عويـــلُ
وهـل يقـف الزمـانُ لأجـل حُـبٍّ ... وإنْ صـحبَ الغـرامَ المسـتحيلُ؟
وداعـــاً! إنـــني أمضـــي لـــذُلّي ... مطيعـــاً، والـــذليلُ هـــو الـــذليلُ
ومـــا ذُلّـــي لنفســـي، إنّ ذلّـــي ... لقـــومي، فالمحـــبّ لهـــم دخيـــلُ
جفــتني الأربعــون[2] وقــد رأتــني ... أجـــود لينعمَ الـــوطنُ البخيـــلُ
أجـود، وكـم أجـودُ بكـلِّ نفسـي ... فتُجحَـدُ لـي الضـحيةُ والجميـلُ

---

[1] شارع الكرنيش.
[2] ما مر من عمر الشاعر.

ويمـــرحُ فِي الـــذي أُســـديه غـــرٌّ ... ويطعـــنني المغـــرّرُ والثقيـــلُ
بـــلادٌ حُبُّهـــا بـــدمي أصـــيلٌ ... وإن يُخْـــذَلْ بهـــا الحـــرُّ الأصـــيلُ
ولـــيس بحُجـــةٍ إنصـــافُ فـــردٍ ... وفـــردٍ حـــين يُضْـــطَهَدُ القبيـــلُ
أفـــرُّ مـــن الجمـــالِ ومنـــه رُوحـــي ... إلى حيـــث الكفـــاحُ هـــو الزميـــلُ
إلى حيـــثُ العـــذابُ يحـــزّ قلـــبي ... فأحتمـــل العـــذابَ ولا أَميـــلُ
وداعـــاً أيهـــا البحـــر المـــوافي! ... ووالهفـــي وقـــد حـــان الرحيـــلُ!

على الشاطئين

(شاطئ الجمال وشاطئ الخيال)

أزِفَ الـــبينُ يـــا نجيَّـــةَ رُوحـــي ... و "مِثـــالِي" ويـــا جَنَـــى الجنَّتَـــيْنِ
جَنَّـــةُ الحُسْـــنِ تلـــكَ عزَّزَهَـــا اللهُ ... تَعَالـــتْ عـــن كـــلِّ عَيْـــبٍ وشَـــيْنِ
وســـواها مـــن رَوْعَـــةِ الفـــنّ صـــارتْ ... في غِنـــىً عـــن مـــديح ربٍّ وزَيْـــنِ!
جَنَّتَـــا السّـــحرِ أنـــتِ يـــا مَـــنْ إليهـــا ... يتنـــاهى فنّـــي وُيحمَـــدُ دَيْـــني
خشـــعَ البحـــرُ والعواطـــفُ للخلـــ ... ـــقِ، وكـــلٌّ يـــراكِ في نشـــوتينِ
وأنـــا المُلْهَـــمُ الـــذي ضَـــمَّكِ الآ ... نَ ليَبْقَـــى لـــديكِ مِـــنْ بَعْـــدِ بَـــيْنِ!
كـــلُّ جُـــزءٍ منّـــي حيـــاةٌ تســـامتْ ... وتناهـــتْ إليـــك في السَّـــاعدَيْنِ
لم أُقبّلـــهما بغـــيرِ حنـــانٍ ... دافـــقٍ مِـــنْ صـــميمِ قلـــبي وعَـــيْني
ألـــفُ قلـــبٍ وألـــفُ عـــينٍ لمثلـــي ... في وداعٍ يَنـــالُ مِـــنْ نعمتـــيْنِ!

*****

وتَيقَّظـــتُ مـــن جُنـــوني وأحـــلا ... مي، فكـــان الجنـــونُ في الشـــاطئيْنِ!
ولقيـــتُ الـــوداعَ في حســـرةِ الهجـــ ... ـــرِ ونـــاري في لُجَّـــةٍ مـــن لُجَـــيْنِ!

تبـــاريح

بحسبي أن أرى الماضي خصيمي ... وإنْ يَكُ قد تَصرَّمَ مِنْ وُجودي
وكيـف يُعَـدَّ مَيْتَـاً وهـو حَـيٌّ ... أُحِسُّ بـه كطيـفٍ في الوجـودِ؟
هـواجسُ نفسـيَ الحَسرَى أمامي ... وإنْ أكُ عـاجزاً عن صِدْقِ وَصْفِ
صَدَى الأمسِ البعيدِ فأيُّ صوتٍ ... لـذاك الأمـسِ كـان؟ وأيُّ قصْفِ؟
حنـيني للـذي ولّـى وأمسَـى ... حبـيبي وهـو جـزءٌ مِـنْ كيـاني
حبـيبي وهـو في آنٍ خصـيمي ... فكـم مِـنْ لوعـةٍ فيـه أعـاني
فكيـف تلـومني والأمـسُ ذاتـي ... فـإن أحببتُهـا أحببـتُ أمْسِـي
وإنْ صُـغْتُ الرثـاءَ لـه فـإنّي ... لأرثـي بعضَ نفسـي عند نفسِـي؟
ولـيس المـرءُ إلاّ مـن زمـانٍ ... وأحـداثُ الزمـانِ إلى الفنـاءِ
فنفنـى بالتـدرُّج بـين صدقٍ ... ووَهْـمٍ في الحـنينِ وفي الرجـاءِ
وكـم مِـنْ هـاتفٍ حـولي لمـاضٍ ... بأسـرارِ العواطـفِ والخيـالِ
دَعَوْهُ "الشعرَ" وهـو صميمُ نفسـي ... تنـاجيني بمقـبرةِ الليـالي!
فكم مِنْ ميِّتٍ مِنْ صفوِ عُمْري ... يُطِـلُّ علـيَّ بـالأحلامِ دَوْمَـا
أُسـائله فيهـرب مِـنْ سـؤالي ... وإنْ أكُ مثلـه أظْمَـا ويَظْمَـا
غريبـان اسـتطابا للتَّنَـاجي ... ظـلامَ الليـل والأشـخاصُ تَخْفَـى
وقـد كانـا شـقيقين، ولكـنْ ... هـو الـزمنُ الـذي لم يُبْقِ إِلْفَـا
لقد أصبحتُ لا شيءَ سوى ما ... يُمثِّلـه حـنينٌ أو رجـاءُ
وبـين الأمـسِ والغـدِ كـلُّ حـيٍّ ... سـيفنى حـين يبتسـمُ الفنـاءُ!

بكـائي الصـامت

أثـرُ الفجيعـةِ في حَشَـايَ وحُـرقتي ... دمـعٌ يجـفُّ فقـد أَبَتْـهُ النَّـارُ
وأشـدُّ مـا لاقـى التَّفجُّـعَ مُفْعَـمٌ ... بـالحزنِ لـيس لعينـه اسـتعبارُ
يـا ليتني كنـتُ الـذي بـذلَ الأسـى ... مـنْ دَمْعـهِ مـا صـاغتِ الأشـعارُ
فـأقول قولـةَ هـانئٍ، مهمـا يكـنْ ... متفجّعـاً فلـدى الـدموعِ الثـارُ[1]:
نـزفَ البكاءُ دمـوعَ عَينكَ فاستعرْ ... عينـاً لغـيركَ دمعُهـا مِـدرارُ
مَـنْ ذا يُغـيرك عينَـه تبكـي بهـا؟! ... أرأيـتَ عينـاً للبكـاءِ تعَـارُ؟!

بـلادي

بـلادي! بـلادي! أنـتِ في كلِّ حالـةٍ ... بـلادي، وإن لم تَعبئـي برغـائبي
حَرامٌ رجاءُ المنطقِ الصدقِ صـادقاً ... لـديكِ، حـرامٌ يـا بـلادَ العجائـبِ!
يُحـارَبُ فيكِ الفضـلُ والنُّبلُ بينمـا ... يُمجَّدُ فيكِ النقصُ مِنْ كلِّ جانـبِ
طُبِعْتُ علَـى الحُـبِّ الـذي قد بذلتُـه ... لمجدِكِ حـين الحـبُّ غايـةُ خائـبِ
فجوزيـتُ بـالإيلامِ مـن كـلِّ عـاثرٍ ... أغَثْتُ، وبالحرمانِ مِنْ كلِّ صـاحبِ
كأنّ الجميعَ استوثَقوا مِنْ محبتي ... وغـالوا ببأسـي مُذْ تغالـتْ مَطـالبي
ومـا أنـا في نفسـي لأطمـحَ مَـرَّةً ... لأكثـرَ مِـنْ عيشـي بعزلـةِ راهـبِ
ولكـنْ طُمـوحي للـديارِ الـتي لهـا ... حنـيني، وإنْ باتـتْ ديـارَ المصـائبِ
ولا بـأسَ لـي إلاّ ضـميري ومَبْدَئي ... ولا مجدَ لـي إلاّ خلـوص مَـواهبي
وأكـبرُ ذنـبي هِمـةٌ مـا تراجعـتْ ... فلن يُرهبَ الإيمانُ أقسى العواقبِ!

---

[1] البيتان التاليان للعباس بن طلحة.

النفوس المريضة

(من رسالة)

ونَفْسِـي الـتي تَهْـوَى حيـاةً بعيـدةً   عـن الحقـدِ والآلامِ والكيـدِ والعِدَى
يَعـزُّ عليهـا أن تَـرَى الشَّـهْمَ في الـورى   طعيناً لِمنْ أَعْطَى الحياةَ لهم فِدَى
شُـغِلْنَا بـأمراضِ الجسـومِ وعندنا   نفـوسٌ بـأمراضٍ تجـاوزتِ المَـدَى
لقد قـال فيهـا شـاعرُ الدهرِ حُكمَـهُ   فـردَّدَهُ الـدهرُ الحكـيمُ وأيَّـدَا[1]:
إذا أنـت أكرمـتَ الكـريمَ ملكتَـهُ   وإنْ أنـتَ أكرمـتَ اللئـيمَ تَمـرَّدَا
ووَضْعُ النَّدى في موضـعِ السيفِ بالعُلى   مُضِرٌّ كوضـعِ السيفِ في موضـعِ النَّدى

يـــوم الوداع

يـومَ الـوداعِ أراكَ يـومَ وَداعِـي   للحُـبِّ والأحـلامِ والأَطمـاعِ
جَلسَـا ومائـدةَ الغـرامِ تقدَّسَـتْ   بـالزَّهرِ والأثمـارِ والإشـعاعِ
وهَـوَى علـى تلـكَ الأناملِ مثلمـا   يَهْوِي اليتيمُ على الحَنانِ الدَّاعي
ضـمَّ اليـدَ المعبـودةَ الضَّـمَّ الـذي   فيـهِ الفجيعـةُ أو شُـعورُ النَّـاعي
إنْ كـان أخفَـى في الخُشـوعِ جبينَـهُ   والحـزنُ يقتلُـه بقسـوةٍ واعـي
فالـدَّهرُ رَوَّعَـهُ المُصـابُ وإنْ يكـنْ   المُـذْنبَ البـاغي الخـؤونَ السَّـاعي
وأشـاحتِ الوجـهَ الحـزينَ كأنمـا   رغـمَ السـكونِ تَثُـورُ للإزمـاعِ
قـد دُقَّ نـاقوسُ الـوداعِ فودَّعـتْ   بالصَّمتِ يَخجـلُ منـهُ يـومُ وَداعِ
قَـدَرٌ يَسُـودُ، وكـم يُـرَى لغبائـهِ   يـأبَى الجنُـوحَ برحمـةِ المُلتـاعِ

[1] البيتان التاليان للمتنبي.

والفَنُّ خَلَّدَ حُكْمَهُ في صمتهِ كالموتِ يُرْسِلُهُ وراءَ قلاعِ
مأساةُ هذا الكونِ أَوْلَى أن تُرَى في الفنِّ بينَ الخُلْدِ والإبداعِ
حتى ينالَ الثأرَ من دُنيا الأسى دُنيا الجنونِ ومَسرحِ الأوجاعِ
حتى يعيشَ أولو الضحيةِ عنده شُهَدَاءَ في الأبصارِ والأسماعِ

مصر الحية

عيناكِ ما اكتَحلا وما عرفا السَّوادَا الساحرَا
إلاّ وفي مَرآهما خِصْبٌ يُغذي الشاعرَا
يا بنتَ مصر أنا المدينُ إليكِ بالحبِّ المقيمْ
وعشقتُ سُمرتَكِ التي تُشْتَقُّ مِنْ وطني الوسيمْ
أنا عالَميٌّ في شُعوري، في جَناني، في الغَرَامْ
لكنني ألقاكِ أسمَى ما يُحَبُّ وما يُرَامْ
قد ساءَ حولي كلُّ ما ألقاه مِنْ مَوْتي الحياهْ
جُثَثٌ وأشباحٌ وأطيافُ العُتاةِ من الجُنَاهْ
ومَهازلٌ للصاغرينَ، الطاعنينَ المنقذينْ
العابثينَ الآثمينَ إلى الأبوّةِ والبنينْ
يا بنتَ موطنيَ الحبيبِ ورَمْزَهُ للأوفياءْ
لم يَبْقَ غيرُكِ للمحبةِ والطهارةِ والرجاءْ

العيـون الحزينـة

شُـغِلَ الصّحابُ بهـا: فمِنْ مُتَهَلِّلٍ فَـرِحٍ، ومِـنْ دَنِـفٍ يَـذِلُّ لـديْها
أمَّـا أنـا فَجَعَلْـتُ أرقـبُ لحظَهـا والحـزنُ يَمْسَـحُ هادئـاً جفنيْهـا
أرنُـو بـرُوحٍ لـيس يُشـبعها غِنـىً مِـنْ نضْـرَةٍ عُـبِدَتْ علـى حاليْهـا
نَهَـمُ الملاحـةِ في تَعمُّـقِ رَمْزِهَـا نَهَـمٌ خُصِصْـتُ بـه فقـادَ إليْهـا
هـذا مجـالي فِي الحيـاةِ فخلِّـني أرنـو إلى سِـحْرٍ يُطِـلُّ عليْهـا
عَلِّـي أراهـا في جلالـةِ حُزنِهـا ألقـاً تبسَّـمَ عـن جَنَـى شـفتيْها!

*****

ورأتْ فتـاتي نظرتـي طالـتْ كمـا طـال التَّلَهُّـبُ في لظَـى خـدَّيْها
فتبسَّـمتْ وتعجَّبـتْ وتأمَّلـتْ عَـيْني كـأنّي سـاحرٌ عينيْهـا
ورأتْ دفـينَ الحـزنِ يَمـلأُ مُهجـتي فاسـتوعبتْ لحظـيَّ في لحْظيْهـا!

الغـــد

قالـتْ: سـيجمعنا ويُسـعِدُنا غَـدٌ أتشـكُّ فيمـا قـد يُعِـدُّ لنـا الغـدُ؟
فأجبتُهـا: أنـا لا أشـكُّ وإنّمـا أنـأى الفُـروضِ مُجانِـبٌ يتـودّدُ
مـا كنتُ مَنْ يخشى الغريبَ، وذا غدٌ هـذا الغريـبُ، وقـد يَسُـرُّ فيُحْمَـدُ
لكنمـا طَبْـعُ الغريـبِ تَـرَدُّدٌ فمـن الرجاحـةِ أنـني أتـردَّدُ
هـاتي أقلَّ الجـودِ في يـومي أعِشْ غرِداً، وخَلّـي مـا يجـودُ بـه الغَـدُ!

التحيــة

تُهْـدِي الأَزَاهـرُ في المُـروج تحيّـةً ... لتحيــةٍ عنــد انبثــاقِ حَياتِهَــا
والطفـلُ تُفْرِحُـهُ المثيلـةُ مثلمـا ... تَتَبَسَّـمُ الأزهـارُ عـن أخواتِهَــا
وَقَفَـا بـرُوحٍ للتـآلُفِ حُـرَّةٍ ... يتبـــادلان تَعَجُّبـــاً ووِدَادَا
لا يُدركان سوى التعاطفِ جامعاً ... لهمـــا، ولا يَتخـــيَّلان مُـــرادَا
فـإذا الحيـاءُ ينـال منهـا، وهـو لا ... يفـــترّ يرفــعُ زهــرةً لرضــاهَا
عَجـبٌ نـواميسُ الحيـاةِ، فإنهـا ... حتــى الطفولــة لقَّنَــتْ مَعْنَاهــا!

جنــون

خاصـــمتَ رُوحـــاً حَبيبــاً ... يَسُـــحُّ بالشــعرِ سَــحًّا
ومـــا رعيـــتَ جمـــالاً ... مِـــنَ الجمـــالِ اسْـــتَوْحَى
هـلْ كـان شـعري سـوى مـا ... وَعَيْتُـــهُ عـــن وُجـــودِي
فـــألَّفَ الفَـــنُّ مِنْـــهُ ... روائعـــاً للنشـــيدِ!
هـــل الجـــداولُ أشـــهَى ... مِـــنْ البُحـــورِ وأنْقَـــى
حتـــى تعـــافَ خِضَـــمّاً ... يَعَـــافُ حَصْـــراً ورِقّـــاً؟
هـــل نَغْمَـــةُ العُـــودِ أحلـــى ... مِـــنْ مَوْكـــبِ السِّـــمْفونِ
حتـــى تـــرى مـــلءَ شِـــعْري ... مَظـــاهراً للجُنُـــونِ؟

*****

لكـــنْ حَـــرامٌ سُـــؤالي ... مَـــنْ لا يُطيـــقُ سُـــؤالي
ومَـــنْ يَعـــدُّ حيـــاتي ... شـــبيهةً بالممـــاتِ!

محاكمة إله

حفُّوا به مِنْ شِعَابِ الكونِ واقتسموا … حِسَابَه عن مَدَى المشهودِ من خَبَلِ!
جَميعُهُمْ قد رأوْه سادَ عالَمَهمْ … بلا رجاءٍ وأحيَا الكونَ في عَجَلِ!
حَلَّ التناقُضُ ما فيه وإنْ ظَهرتْ … قُوَى التناقُضِ في شيءٍ من النُّظُمِ
قُوىً تَضيعُ بلا معنىً ولا سَبَبٍ … وكم يُقالُ لمعنىً جَلَّ في العِظَمِ!
جاءوا إليه برَحْبٍ لا وجودَ به … كأنه عائلٌ قد خانَ أولادَهْ
وساءلوه لماذا لا يموت فكم … يسوءهم جُلُّ ما قد شاء إيجادَهْ؟!
وكم يَطيبُ لهم تدبيرُ عالَمِهمْ … مِنْ دونهِ بَعْدَ أن شاختْ مراميهِ
غيم التحكُّمُ فيهم بعد أن بلغوا … سِنَّ الرشادِ، وماذا بات يُخفيهِ؟
فهل له أن يولّي في الفضاءِ كما … ولّتْ لهم في طويل الدهرِ أحلامُ؟!
يمضي بلا رجعةٍ ميتاً بلا أثرٍ … وعندها لا يُرَى ظُلْمٌ وظُلاّمُ!
وعِندَها تنتهي الأوهامُ قاطبةً … ويَنتهي كلُّ ما في الكونِ من زُورِ!
وما يُخافُ ظَلامٌ مِنْ تَبَدُّدِه … فالكونُ يشكو عُبابَ النارِ والنورِ!
فقال خالقُهم: قد لُحْتُ في طربٍ … وما أبيتُ لكم إسراءَكمْ حولي
لكي أرى ثورةَ الأقزامِ في زَمَنٍ … يضيع فيه عظيمُ الحَوْلِ والطَوْلِ!
أنا الحياةُ فهل ترجونَ مَيتتَها … وتحسبون جمالَ الكونِ في العَدَمِ؟
وتعشقون فناءً للنظامِ وما … تخشون من عجزكم في الروحِ والهِمَمِ؟
لولا عنايتُكم بالهدمِ ما وُجِدَتْ … هذي الرزايا التي تشكون شِدَّتَهَا
لولا الأنانيةُ العظمى لما عرفتْ … هذي الخليقةُ للآلامِ حِدَّتَها
فيا ضِعافُ أفيقوا! لم يَزَلْ بِكُمُ … من الغرورِ مَثارُ اليأسِ في الكون
أنتم بَنوهُ فإنْ سُؤتُم يَسُؤْ أبداً … فالكونُ مِرآتُكم في خَلْقِهِ الفَنّي

لـو أنكـم قـد بلغـتم مـا تخيلـتمُ		مـن الرشـاد لأحْبَبْـتُمْ عُلَـى نفسـي
وكنتمـــو شـــبهَ أربـــابٍ فقـــرَّبَكُمْ		إليَّ ما قد ملكتُمْ من غِنَى الشمسِ!

*****

وحينمـــا أيقظـــتْني طفلـــتي وأبـــتْ		إلاّ التفـاتي لمـا أحيـتْ مـن اللُّعَـبِ
رأيتُهـــا أبـــدعتْ في خلْـــقِ عالَمِهَـــا		وعقلُهـا فـاقَ عقلـي واعتَلَـى أدبـي!

سبـاق الأموات

لم يَبْـــقَ إلاّ أن يُكَفِّـــنَ بَعْضُـــنَا		بَعْضــاً وأن تتســابقَ الأمــواتُ
مـاذا يُرَجَّـى بعـد أن طعـنَ الهـوَى		رُوحَ الإخـاءِ وسـادتِ الشَّـهَوَاتُ!
تَتَحـدَّثون عـن العظـائمِ والعُلَـى		أيـن العظـائمُ والعُلَـى بِصَـغَارِ؟
رِمَـمٌ تُتَـوَّجُ بالبُطولـةِ حينمـا		هـي صُـورَةٌ للمـوتِ أو للعـارِ!
أسَـفِي ويـا أسَـفِي علـى تُهَـمٍ لهـمْ!		لَهفـي ويـا لَهفـي علـى أحلامِهِـمْ!
الـدهرُ يَمْضِـي فاتحـاً وجميعُهـمْ		بجمـودهم وعِنَـادِهمْ ومَلامِهِـمْ!
هـل للزعامـةِ غـيرُ قـوّةِ حيلـةٍ		لخـلاصِ شـعبٍ فرَّقَتْـهُ عـوادي؟
كيـف الزعامـةُ تسـتحيل مَظَـاهراً		لتنابـزِ الأفـرادِ والقُـوّادِ؟
الكـلُّ في فَـرَحٍ بنكبـةِ جـارِه		والكـلُّ في شـغفٍ بخَلْـقِ أذاةِ
تمضي السنونُ كأنها هي لم تَكنْ		مـن عُمْرِنَـا، ونعـيش عيـشَ ممـاتِ
وطـني الحبيبَ ألا مُهيـبٌ ناصـحٌ		يُحْيِـي أُخُوَّتَنَـا غـداةَ يُنـادي؟
إنّ النـداءَ يهـزّ صَـخْراً جامـداً		مـا بالُنـا في الـرُّوح دونَ جمـادِ؟
ضـاعتْ مَرافقُنـا وكـلُّ مُؤَمَّـلٍ		لمكانِنـا المعـدودِ تحـتَ الشـمسِ
نَحْيَـا أسـارَى للخيـالِ كأنمـا		شَـطَطُ الخيـالِ جلالـةٌ للـنَّفْسِ!

*****

والآنَ يـا أبنـاءَ هـذا الـوادي — الآسـرينَ عـواطفي وفـؤادي
الحـاملينَ أمانـةَ الأجـداد — هـل تَقْـدِرُونَ نصـيحتي ووِدادي
وتُبـدِّدون تَنـافُسَ الأحقـادِ؟ — إنّ الزمـانَ لكـم لبالمرصـادِ!

النـاقمون

النـاقمونَ؟ نَعَـمْ! لكـم أن تَنْقِمُـوا — كـمْ يَفْقِـدُ المـتعلمين مُعَلِّـمُ!
ذنـبي وجـودي في مَجَاهـلِ بيئـةٍ — صـحراءَ جاحـدةٍ تُضِـلُّ وتُسْـقِمُ
مَهَّـدْتُ مِـنْ هـذي المجاهـلِ مثلما — علَّمـتُكم بـالأمسِ مـا لم تَعلمـوا
فَرُجِمْـتُ بالحَسـدِ العنيـفِ كـأنَّني — فيمـا أجـودُ بـه أنـالُ وأغـنَمُ!
أسفاً على وقتٍ أضعتُ ولا أسـىً! — مهمـا شـكوتُ فلسـتُ مَـنْ يَتنـدَّمُ
مَـنْ ذاقَ مهزلـةَ الحيـاةِ فإنّـه — يُعْطى وَيسخر مِنْ تَجَاهل مَن عَمُوا
يُعطى ويَـأبى أن يُـدَانَ وإنْ يكـنْ — يُنْسى لـه الفضلُ الرجيحُ ويُرْجَمُ
وبكـلِّ آنٍ صـدمةٌ لشـعورِه — وبكـلِّ يـومٍ للعواطـفِ مَـأتَمُ!

الاندمـاج

خَمْـرٌ مـن الأَضْـوَاءِ تُسْكَبُ حُـرَّةً — والخمـرُ أطهرُهـا بنـورِ الشـمسِ
غَسَـلَتْ بهـا أعضـاءَهـا فاستمتعتْ — بسـلافِها للجسـمِ بـل والـنفس
وتَشَـبَّعَتْ منهـا بـأروع سُـمرةٍ — وكأنَّهـا شمسـانِ تحـت الشـمسِ!

النظـرات

أهي الغِنَى لكِ؟ ما لجسمِكِ يَنْتَشِي	بتتـابُعِ النَّظَـرَاتِ واللَّهَفـاتِ
ولمَ استبحْتِ رقادَكِ الحُرَّ الذي	لا يُستباحُ بأعجبِ الحَانَاتِ؟!
البحرُ لم يَترُكْ مَصُوناً غالياً	كـلاَّ، ولم يَحقِرْ تَجَرُّدَ حالِ
سادَ الجمالُ، فبات كُلُّ مُجَرَّدٍ	للحبِّ تمثالَ الجمالِ الغالي
يا للطبيعةِ لا يُرَدُّ حَنانُهَا	فوقَ الرمالِ وقد أُتِيحَ مَجَالُهُ
قَضَتِ الحضارةُ بالتهيُّبِ بينما	أبتِ الطبيعةُ أن يسودَ خيالُهُ
والآنَ تمتزجُ العواطفُ حُرَّةً	وأسيرةً والفقرُ والأحسانُ
وتُبَادَلُ النظراتُ وهي نفوسُنَا	ويُبادَلُ الإيمانُ والكُفرانُ!

الكنـز المعروض

مَنْ ذا تُسَوِّلُ نَفْسُه في نَشْوَةٍ	لفؤادِهِ أن يَستطِيبَكِ مُتْعَةً؟
مَنْ يستطيع وإنْ تَجَرَّأَ أن يُرَى	لكِ لاثماً مهما تَخَيَّلَ لثمةً؟
حَرسَتْكِ أمواجُ المياهِ بوثبِها	وزئيرِها وحَماكِ روعُ الناسِ
فأسرْتِهِمْ وجذبتِهِمْ وتركتهِمْ	في حيرةٍ لمواقعِ الحُرَّاسِ!

اليُتـم

ألقاكِ في صَمتي الحَزينِ وإنّما	قلبي هو البَكَّاءُ والبَسَّامُ
أَلقاكِ في بشْرِ الحَنَانِ بمُهجةٍ	تَهْتَاجُها الأتراحُ والآلامُ

العيدُ كـلُّ دقيقـةٍ وثـابـةٍ بسناكِ يُشْغِلُهَا رضىً وغرامُ
واليُتْمُ كـلُّ دقيقـةٍ قـد فاتهـا عُمري إذا شُغِلَتْ بـكِ الأيامُ
شَغَلَتْكِ عن قلبي الذي لم يُنْسهِ شُغْلٌ بغيركِ، لا ولا استسلامُ
طلبَ الجمالَ لرُوحهِ ولِفنِّهِ فـإذا جمالُكِ مُلْهِمٌ رسَّامُ
فكأنما هـذي الحياةُ بأسرِها لكِ كالظلالِ يحوطها الإلهامُ
وكأنما شعري – الذي أشدو به لكِ – أنتِ أنتِ، وليست الأنغامُ[1]

*****

الشَّيْبُ أشعلَ عارضيَّ ولم أزَلْ ذاكَ الصَّبيَّ شرابُهُ الأحلامُ
كنّا نخافُ مِن الرقيبِ فعلَّمتْ دُنيا الهمومِ الحبَّ كيف يُضامُ
وحييتُ مثلَكِ كاليتيمِ، وإنما أنا وَحْديَ البكّاءُ والبَسَّامُ!

حمّام الشمس

وَقَفَتْ أمامَ الشَّمْسِ لكنْ لم تَدَعْ للشمسِ إلاّ لمحةَ المحرومِ
سَقَطَتْ أشعّتُها عليها مثلما سقطتْ خواطرُ عاشقٍ محمومِ
نَفَذَتْ إليها مِنْ تَسامُحِ كُوَّةٍ في الغرفةِ الظلماءِ كالأحزانِ
النورُ يَنهلُه السوادُ بلهفةٍ كالماءِ ينهلُه فمُ الظمآنِ
وَقفتْ تُناوبُ حُسْنَها ما أحسنتْ هذي الأشعةُ وهي تَرْشُف حُسْنَهَا
فينالُ نورُ الشمسِ روعةَ فنِّهِ وينالُ هذا الجسمُ ثمةَ فَنَّهَا
مَنْ ذا الذي يَدْرِي، فكم مِنْ ذرةٍ فيها تَدينُ بِرُوحِهَا للشمسِ
والشمسُ كم فيها عواطفُ أنفسٍ إنَّ العواطفَ مِنْ شُعاعِ النفسِ!

---

[1] أي أن هذا الشعر صورتها هي وليست الأنغام صورة شعره.

الظمــأ

في كــلِّ روضٍ للجمــالِ مُؤَمَّــلِ رُوحــي تُرفــرفُ للمُحِـبِّ وللخلــي
تَستنشــقُ الحُلْــوَ العــبيرَ كأنهــا تستنشــقُ العُمْـرَ الجديـدَ لمجتَلـي
فتعـود أَظمـأ مـا تكـونُ وإنْ جَنَـتْ نِعَمـاً مـن الإحسـانِ والتجديـد لـي
فكأنَّهـا – أنَّـى اسـتطاب حنينُهـا صُـوَرَ العَـزَاءِ – تَشِـيمُ أولَ منـزلِ
فتســيرُ في هَـدْيٍ ودونَ هدايــةٍ تشدو بشعر (حبيبَ) شدوَ تَجمُّلٍ[1]:
نَقِّل فـؤادَك حيث شِئتَ من الهوى مــا الحُــبُّ إلاّ للحبيــبِ الأوَّلِ!

الطـائر الميـت

يـا لوعـةَ الوجـهِ الصَّبيحِ الوسـيمْ للطــائرِ المُلْقَــى علــى ظهــرِهِ
جاءَتْــه كــالأمِّ الحنــونِ الــرؤومْ لكنهــا جــاءتْ إلى قــبرِهِ!
في لهْفَـةٍ يــا طفلــتي عاتيَــهْ وقفــتِ أم في حــيرةٍ أم ذُهُــولْ
لمسـتهِ خائفــةً عانيَــهْ راجيــةً لكــنْ مِــنَ المســتحيلْ
أيـنَ الحبيـبُ الشَّـدْوُ مِـنْ رُوحِـهِ وصَــدحةٌ منــه تنــاجي الحيـاهْ؟
فيــذهب الحــزنُ لــدى وَقْعِــهِ كأنمــا الطــيرُ رســولُ الإلــهْ!
إنْ تَحزنـي يـا طفلـتي فالأسَـى لا شـيءَ في جنـبِ الخَسَـارِ الألـيمْ
لم يُفْقَـدِ الطـيرُ ولكـنْ مَضَـى في فَقْــدِهِ روحٌ لفــنٍّ عظــيمْ
لا تحْزَنـي أو فـاحزَني بعـدما قـد خانـكِ الـدهرُ بمـوتِ الصـديقْ
فـالموتُ كـالعيشِ إذا مـا انتمـى للفــنِّ، فــالفنُّ عزيــزٌ طليــقْ!

---

[1] البيت التالي لأبي تمام، واسمُه حبيب بنُ أوس الطائي.

لو كنت لي

لـو كنـتِ لـي لرفعـتُ كـلَّ نظيمـي — لـكِ، واتخـذتُكِ نشْـوَتي ونـديمي
وجعلـتُ مجلسَـكِ الشـهيَّ عبـادةً — تُخْـتَصُّ بالقربـانِ والتكـريمِ
أمَّـا وحظـي منـكِ خطـفُ أشـعةٍ — أمَّـا وقُربـي منـكِ قـربُ غـريمِ
فـدعي فـؤادي يَسـتطِبُّ بوهمـهِ — بـين المنـوَّعِ مِـنْ خيـالِ نعـيمِ
فيزيـد إيمانـاً بنعمتِـكِ الـتي — ولَّـتْ وأعقبَهـا شبُوبُ جحيمـي!

*****

لـو تُـدركين تَلَهُّفـي كتفجُّعـي — أُخفيـهِ في صـمتٍ عرفـتِ ألـيمِ
لرثيـتِ لـي ورأيـتِ حـالَ مـودِّعٍ — خـدعوه قبـلَ المـوتِ بـالتنعيمِ!

في الحمَّام

سـارتْ تجـاهَ المـاءِ وهـو كأنّـه — دُنيـا تحـنّ إلى الضـياءِ حَنينَـا
غلبتْـه ظلمـةُ حظّـهِ حتـى تُـرَى — فيـهِ فيغْمَـر بالضـياءِ فُنُونَـا!
سـارتْ علـى مَهـلٍ وملءَ رشـاقة — ولكـل جـزءٍ لهجـةٌ وشُـعورُ
سـارتْ وكـلُّ تَخطـرٍ منهـا حَـوَى — شِـعْراً يعبّـر عنـه هـذا النّـورُ
لمَ لا تُحَجَّـبُ وهـي سِـحْرُ أُلُوهـةٍ؟ — لِـمَ لا تـبينُ وكُلُّهـا إلهـامُ؟
مَـرأى عليـه مِـنَ الطهـارةِ هالـةٌ — ومُنـىً تُـراقُ حيالهـا الأحـلامُ
سـبحانَ ربّـي شـاعراً ومُصَـوِّراً — مـا حـازَ ريشـتَه البديعـةَ حـاكي
قـد صـوَّرَ الإنسـانَ مـن نفحاتـهِ — صُـوَراً مـن الأربـابِ والأمـلاكِ
مَنْ كان يَشـهدُ ذلك الحسنَ الذي — يَختـالُ في ملكوتـهِ الفنَّـانِ
في غـيرِ روعـةِ مَـنْ يَـدينُ لحسـنهِ — بـالروحِ منـه فلـيس بالإنسـانِ!

الأصفار

نَأبى من الحَيَوانِ رَمْزَ هرانهِ ونُطيقُ رمزَ الذلِّ في الإنسان!
ما هذه الأَصفارُ أو ما شأنها؟ ما ذلك الإصغارُ للأديانِ؟
أنَّى اتَّجَهْنَا لا نرى إلاّ أذىً بتبذُّلِ الأرْوَاحِ والأَبْدَانِ
صُوَرُ الشُرُورِ تَحَجَّبَتْ بتَسَوُّلٍ وتناسُلُ الإجرامِ شَرُّ هَوَانِ
لِمَ لا يُحَرَّمُ؟ بل لماذا لا نَرَى للعبقريَّةِ صولةَ الدَّيانِ؟
لمَ لا يُخَصُّ العجزُ بالحرمانِ ويُبَاحُ للموهوبِ والفنانِ
حتى نَرى الإنسانَ في عَلْيَائهِ رَبّاً من الأربابِ ليس بفانِ؟
عجباً! أننسى جنسَنا وحُقوقَه ونَسوقُ فضلَ العلمِ للحيوانِ[1]؟
الأرضُ قد مُلِئتْ أحبُّ شبابها بمساوئِ الحشراتِ والديدانِ
حتى أكاد أُحِسّ أن فجَاجِها فَقَدتْ بشاشةَ حُسْنِها الفتانِ
وغدَتْ حَراماً للنبوغِ، ومَرتعاً للعاجزين، ووصمةَ الإنسانِ!

سبحة الفقيه

ومُسَبِّحٌ للهِ يَأبَى رَبُّهُ هذا التَّقَرُّبَ منه في تسبيحهِ
في كلِّ لفظٍ يُستعادُ شواهدٌ عن إثمه والصوتُ صوتُ جريحهِ
كم مِنْ فقيهٍ في ثيابِ مُنَزَّهٍ ويُطلُّ من عَيْنَيْهِ روحٌ أثيمِ
تجري أناملُه على خرزاتهِ جرىَ اللئامِ على حسابِ كريمِ

[1] يدين الشاعر باليوجينية أي إصلاح النسل الإنساني بتعقيم المعتوهين والمجرمين وأشباههم وتنمية العبقرية الوراثية ومنح العباقرة من الجنسين حقوقاً تناسلية خاصة.

وتَلــوحُ سُـبحتُه كثعبـانٍ بــلا	روحٍ سـوى روحِ الفقيـهِ العـاتي
مَـنْ ذا رأى الثعبـانَ سُـبحة عابدٍ	ورأى الصلاة مصـابَ كلّ صـلاةِ؟

الحيــــاة

هــذي الحيـاةُ علـى الحيـاةِ تُطِـلُّ	وتُشَــاقُ مِــنْ أضــوائِهَا فتَعِــلُّ
ترنـــو إلى إيحائِهـــا بِتَبَسُّـــمٍ	ومِــنَ التَّبَسُّــمِ نُورُهــا والظِّــلُّ
عَرَضَــتْ محاسِنَها علـى ألحانهـا	فَتَصــُــدُّ مــا تُــوحِي بــه وتَــزِلُّ
وأبــى وفــاءُ الفــنِّ إلا قَبْسَــةً	منهــا فيُعْــرَفُ فَنُّهَــا ويُجَــلُّ
ألَــقٌ مــن الأســحارِ عُــدَّ مُجَسَّداً	في كــلِّ جــزءٍ مــا حكَــاهُ الكُــلُّ
تَجــدُ الحيــاةَ تَحِــنُّ مــن أثنائـهِ	شَــطْرَ الحيــاةِ، ومــا تقــولُ أجَــلُّ
جُبِلَــتْ براحــةِ عبقــريٍّ مُفْــرَدٍ	وكأنمـــا هـــو مُكْثِــرٌ ومُقِــلُّ
وكأنمـــا هـــي فِتنـــةٌ لا تنتهـــي	حــين المَفَـــاتِنُ تنتهــي وتُمَــلُّ
هــذي الحيــاةُ لمــن يــرومُ بيانَهــا	فــإذا عبثــتَ بــه فســوف تَضِــلُّ
وإذا عرفــتَ غِنَـاهُ كـان لـكَ الغِنَـى	أو لا فَفَقْــرُكَ أنــتَ حــينَ تَــذِلُّ

صَوم غاندي

تَصُــومُ مكفِّـراً عــن إثــمِ دُنيــا	يَسـيرُ بهـا القويُّ على الضـعيفِ
أبَــتْ إلاّ الجنــونَ بكــلِّ عصــرٍ	فمـا أدنـى السخيفَ إلى الحصيفِ
تَسـيرُ علــى هُــدىً وبغـير هَــدْيٍ	كمـا سَرتِ العواصفُ في الخريفِ

ومـــا برحـــتْ تقسّـــم ســاكنيها صـــفوفاً للخصـــيمِ وللأليـــفِ
لَـدُنْ عـاشَ الجميـعُ ضُـيوفَ مـوتٍ وبـئسَ الجـودُ مِـنْ هـذا المُضِـيفِ!

* * * * *

أراكَ أُلوهـــةَ الإنســـان لاحـــتْ وقـد سـحقَ الغـرورُ هُـدى الألـوفِ
وقفـــتَ مجـــرَّداً عـــن كـــلِّ مَجْـــدٍ ســوى مجــدِ الإبــاءِ علــى الحتــوفِ
وكـــان النـــاس عُبـــداناً لحـــربٍ فحَقَّـــرْتَ العـــتيَّ مـــن الســـيوفِ
وعَلّمـــتَ الأنـــامَ وأنـــت تَشْـــقَى معـــاني الحـــبِّ واليـــأسِ الشـــريفِ
وأحييـــتَ الضـــمائرَ وهـــي قَتْلَـــى فأُسْـــعِدَ كـــلُّ منبـــوذٍ أســـيفِ

* * * * *

مَسـيحَ العصـرِ رُوحُـكَ روحُ ربٍّ كـــريمٍ أو أبٍ حـــانٍ عفيـــفِ
تـــذوق المـــوتَ ألوانـــاً وتَحْيَـــا ليرضَـــى النـــاسُ بـــالألمِ المُخيـــفِ
ولـــو عقلـــوا لعاشـــوا في إخـــاءٍ وهـــاموا بالتســـامي لا الوقـــوفِ
إذنْ لَغَـــدَتْ فتوحُهمُـــو لنُبْـــلٍ وعاشـــوا في جَنَـــى الخُلْـــدِ الوريـــفِ

* * * * *

أتيـتَ إلى الـورى مِـن قَبـلِ يـومٍ يُقـــدِّسُ كـــلَّ مـــا تَعنـــى ويُـــوفي
وذنـــبُ المصـــلحين إذا عـــددنا لهـــم ذنبـــاً مناصـــرةُ الضـــعيفِ

النظر الجريء

لا تَـــرهبي نظـــري الجـــريءْ هـــو لـــن يُســـيءَ ولـــو أُســـيءْ
هـــو نشـــوةُ الحـــبِّ الطَّهـــو رِ ووَثْبَـــةُ الـــرُّوحِ المضـــيءْ
رُوحـــي تُطِـــلُّ عليـــكِ مِنْـــ ـــهُ وتَجتلـــي القُـــدُسَ الوضـــيءْ
وتَعُـــبُّ مِـــنْ هـــذا الحَنـــانِ شـــرابَ كوثرِهـــا الهـــنيءْ

هــو خُلْسَــةٌ مِــن نعمــةٍ عُلويــةٍ ليســتْ تفــيءْ
خُطِفَــتْ مِــنَ القَــدَرِ العــتيِّ لَــدَى ظِــلالِ مِــنْ هُــدوءْ
فعــلامَ نخشــاها ومــا فيهــا ســوى السُّــكْرِ الــبريءْ؟

النــاس

أسـيرُ فـلا أرَى فِي النـاسِ ناسـاً ولكنّــي أرى صُــوَراً أمــامي
إذا كثــر الزّحــامُ وخفــتَ منهــا فأقواهــا ضــعيفٌ فِي الزّحــامِ
شُـخوصٌ لا يُصـانعها سـوى مَـنْ يَـذلُّ عـن الشّـخوصِ مـن الأنـامِ
ومــا يُجـدِي لهــا أبــداً مَــلامٌ فمــا هــي فِي الــيقينِ ولا المَــلامِ
لقـد ســاد الطَّغــامُ الــدهرَ حتــى حَسـبنا المجـدَ مِـن فضـلِ الطّغـامِ
فــدعْني لا أُحــاذرُ أو أُبــالي بأوشــابِ المناكيــدِ اللئــامِ
لقـد قتلـوا كـرامَ النـاس قـتلاً فحسـبي إنْ أمُـتْ مـوتُ الكـرامِ
ودَعْــني فِي إبــائي فهــو عنــدي أجَــلُّ مِــنَ انتقامِــكَ وانتقــامي

التحــرر

حيــاتي لم تكــنْ يَوْمــاً بعُمــري ولكــنْ بالتَّصَــوُّفِ والمعــاني
أنـا ابنُ هـوايَ ثـم أنـا ابنُ فكري ولســتُ أعــيش فِي هــذا الزمــانِ
أعــيشُ بكــلِّ عَصْــرِ عبقــريٍّ تــألَّقَ في الشــعورِ وفي البيــانِ
وفِي نفســي حُــروبٌ لــيس تفنــى حــروبٌ للســموِّ وللــهوانِ

كـأنّي لسـتُ فـرداً في صِـفَاتي ولكـــنـي جُمــوعٌ في كِيَـــاني
لـئِنْ حُـرِّرتُ مـن إرهـاقِ نفـ ـسي لنفســي هــانَ عنـدي مـا أُعـاني

الرمــوز

دَعَوْهـــا الغانيـــاتِ ذواتِ دلٍّ كمـــا نُعِتَــتْ بآيــاتِ الحســانِ
وقلـــبي لا يَـــرَى إلاّ رُمـــوزاً حَجَــبْنَ فنـونَ ألـوانِ المعـــاني
فلسـتُ بمـن يَـرَى جسـماً ونفسـاً ولكـــني أرى صُــوَرَ البيـــان
فأجْهِـــدُ خـــاطري فيمـــا أراه ولكــن كيـف تُسْـعِف مقلتـانِ؟
ولــو أنّــي وُهِبْـتُ عيـونَ دُنيــا وجُـزْتُ مَـدَى التوثُّـبِ والحَنَـانِ
لمـــا بُلِّغْـــتُ مَعْنَـــى كــلِّ حــيٍّ ولم يَعْـدُ الرمـوزَ بهـا افتتـاني!

البسمة الحزينة

لَمّـــا رأيتُـــكِ والمآسِـــي ظَلَّلَـــتْ عَيْنَيْـكِ والوجـدُ العميـقُ يبـوحُ
أرسـلتُ روحـي في قـرارِكِ نـاظراً لحظيْـكِ فاعتُقِلَـتْ لـديكِ الـرُّوحُ
حتى ابتسمتِ فمَا عجبتُ لبسمةٍ تَسْـبي كمـا قـد حـرَّرَتْ وجـداني
إلاّ لبســمتكِ الحزينـــةِ، إنهـــا خُلِقَــتْ مـن الأفـراحِ والأحـزانِ
مِثْـلُ الأشـعَّةِ أُرْسِـلَتْ أمواجُهـا بـين الغُيُـومِ فكـنَّ رُسْـلَ رَجـاءِ
هل عند بسمتكِ الحزينةِ مِنْ مُنىً إلاّ مُنَـــى الإصـبـاحِ والإنـداءِ؟
لَهَفِــي عليهــا لا تَعـيشُ، فإنمـا للصُّـبْحِ عمـرٌ مِـنْ خَيـالِ الفَجْـرِ

يَمْضِي إلى البحرِ الخضمِّ فلا يُرَى		منه سوى دَمْعٍ بعينِ الزَّهْرِ
أإذا سألتُكِ تَبْسِمينَ هنيهةً		أُخْرَى، فأستجلي بها مَعْنَاكِ؟
مَعْناكِ مِنْ لُبِّ الحياةِ، وإنما		مَعْناكِ أبعدُ مِنْ مَدَى إدراكي
لا تَضحكي ضحكَ المدامةِ إنْ رأتْ		لَهَفَ الذينَ يحطمونَ إسارَها
بل فابسِمي بهواكِ أنتِ حزينةً		لنرى ضياءَ النفسِ يَصحبُ نارَها!
هذي نماذجُ كلُّ حُسْنٍ ساحرٍ		يخطرن بين روائعِ الألوانِ
مِنْ كلِّ قاهرةِ الجمالِ كأنَّها		أبداً تَحَدَّتْ قدرةَ الفنَّانِ
يَخْطُرْنَ والشَّمْسُ المُطِلَّةُ تَنْتَشِي		بمواكبِ الأشواقِ والإغراءِ
ولكلِّ فاتنةٍ شواهدُ فتنةٍ		جَلَّتْ عن التكرارِ عند الرائي
أرنو إليها بين لُبٍّ حائرٍ		نَهِمٍ وبين تعطُّشٍ لفؤادي
وأراكِ أنتِ ببسمةِ الحزنِ التي		تُشْجِي فأوثِرُ أن أفيكِ ودادي

منازل النيل

مَنازلَ النيلِ! مَنْ أَعْطَى الغريبَ مَدَى		هذي العُهُودِ فأحياه وأفناني؟
أنا ابنُ مصر، أنا الباكي للوعتها		أنا المخلِّدُ نجواها بألحاني
أنا الذي أتناسَى ما أنوءُ به		لكي أعبِّرَ عنها مِلْءَ أحزاني
فإنّ أفراحَها ليست سوى فرحي		وإنّ أشجانَها همّي وأشجاني

*****

مَنَازلَ النيلِ! هذا حالُنا عَجبٌ		فكلُّنا قائدٌ في قيدِهِ عانِ
كأنما عظةُ التاريخ ما عُرِفَتْ		أو أن أحداثَهُ أحداثُ بهتانِ
فيمَ الجنودُ وفيمَ القائدون لهمْ		وهم بلا خطةٍ تُرْجَى وميدانِ؟

نستعرض الجيشَ والنيرانُ صارخةٌ ونحن نُشْعِلُ نيراناً بنيرانِ!

*****

مَنازلَ النيلِ! ما لي حائراً وجِلاً أنا الشجاعُ، وما لي طيَّ أكفانِ؟
هذا الشروقُ يحيّيني فأهجرُهُ وذا الغُروبُ غريبٌ حين ناداني
وهذه نُخَبُ الأزهارِ باسمةٌ كما عَهدتُ ولكنْ دونَ إيمانِ
والنيلُ... والنيلُ يجري كلُهُ ترحٌ كأنّ أتراحَه مِنْ نبعِ وجداني

*****

مَنازلَ النيلِ! هذي جَنَّة أُنُفٌ فكيف تُتْرَكُ خِلْواً دونَ جَنَّانِ؟
كيف العبيدُ لسُكنَاهَا وما خُلِقَتْ يوماً لمسكنِ أنجاسٍ وعُبدانِ؟
أينَ البطولةُ غنَّينا بها زمناً ولا نزال نغنِّي ملءَ أزمانِ
حتى تعيدَ جلالاً بات منصرماً فلن يقومَ جلالٌ بَعْدَهُ ثانِ؟

*****

مَنازلَ النيلِ! كم أنسٍ وكم غَزل نظمتُ فيكِ وكم راحٍ ورَيْحانِ
ما بالُها اليومَ والأحداثُ صاخبةٌ أعافُها وأعافُ الآنَ ديواني؟!
أكاد أحرقُ يأساً كلَّ ما جمعتْ صحائفُ الشعرِ مِنْ شَدْوي وأوزاني
كأنّ صحراءَ عيشي أَشعلتْ أَسَفي فصرتُ أبغضُ أطياري وبُستاني!

*****

منازلَ النيلِ! ما غَنَّيْتُ في طَرَبي إلاّ وحُسْنُكِ صَدَّاحٌ لآذاني
كلّي عيونٌ وآذانٌ وعيتُ بها جمالَكِ الصفوَ في عَزْفٍ وألوان
وما رسمتُ جمالاً كنتِ صادفةً عنه، ولا خُنتُ يوماً عهدَ أوطاني
فما لأروعِ شعري بات يُؤلمني كأنما هو من إيحاءِ شيطانِ؟!

*****

مَنازلَ النيلِ! كم في الناسِ ذي ظَمَأٍ يَكفيه رِيٌّ فيُمْسي غيرَ ظمآنِ
وكم شكاةٍ على طرسٍ وفي صُحُفٍ تُتْلَى وتُنْسَى كما يُنْسى الجديدانِ

وكم حَوادثَ يمضي الخائضون بها كأنها لم تَقُمْ يوماً بأذهانِ
أمّا أنا فحياتي كلها ظمأٌ وإنْ نُسِيتُ فما أحيا لنسيانِ

*****

مَنازلَ النيلِ! يَجْرِي النيلُ متّجهاً إلى الخِضَمِّ ويجري العالَمُ الفاني
إلاّ هوايَ لأَرضٍ روحُها بدمي وَجوُّها بمعاني الحبِّ أحياني
رثيتُها وكأني قد رثيتُ بها نفسي وأهلي وأحبابي وخلاني
لو أننا أمةُ الأحرارِ ما خُذِلَتْ رُوحٌ تثور على ظُلمٍ وأوثانِ

ذكرى شوقي

عادَ الخريفُ فَلُحْ وأنت بَعيدُ في الذكرِ، فالذكرُ المؤثَّلُ عيدُ
ليس الربيعُ وإن نأى بمُغَيَّبٍ إنّ الخريفَ يُبيدُه ويُعيدُ
أمُعَلِّمَ الأطيارِ من إنشادِهِ للطيرِ باسمكَ في الحياةِ نشيدُ
ومجدِّدَ الأعمارِ في ألحانِهِ فنٌّ كفنكَ طبعهُ التخليدُ
إنْ كان غيَّبَهُ المحيطُ فماؤهُ هذا الغمامُ يزيدهُ التجديدُ

*****

يا شاعرَ التصويرِ، يا لحنَ الأسى والحظِّ، عمرُكَ نشوةٌ وقصيدُ
أبكيتَ في الإسكندريةِ راثياً مَنْ ذا الذي يرثيكَ حين يُجيدُ؟
إن كان يُعجزني الرثاءُ فها أنا بهوى النبوَّة لا أزال أجيدُ
بالأمسِ شِعرُكَ رنَّ يرثي حافِظاً والدهرُ مُستَمِعٌ إليكَ شهيدُ
فإذا بحفلِ الأمسِ[1] يرجع باكياً وإذا بكاءُ اليومِ فيكَ فريدُ

*****

[1] إشارة إلى حفلة التأبين التي أقامتها له (جماعة الأدب المصري) في الإسكندرية.

شوقي! سألتُ الدهرَ عنكَ فلم يُجب ... ما كان مثلك لو يَغيبُ يَبيدُ
أتراكَ ملءَ عوالمٍ مجوبةٍ ... عنه وعنا، أم عُلاكَ وحيدُ؟
هيهاتَ يدري للخلودِ حقيقةً ... فانٍ، وما يدري السموَّ عَبيدُ
شابهتَ صاحبَكَ الزمانَ تَعمُّقاً ... ومَدَىً، فوحيُكَ رائعٌ ومديدُ

*****

غِرّيدَ هذا العصرِ! كم بوجودهِ ... مُصغٍ، فأين البلبلُ الغرِّيدُ؟
هذي الممالكُ في الترابِ سميعةٌ ... والنيلُ سيرُ الوحي فيهِ وئيدُ
ورُؤَى الطبيعةِ لا تهشُّ لحالمٍ ... أو لا تَبينُ، وفاتَها التمجيدُ
وتلالُ (طيبةَ) في الرَّدَى مشبوبةٌ ... فكأنَّ فنَّكَ فاقدٌ وفقيدُ
مَنْ ذا الذي عند ادّكارِكَ لا يُرَى ... وَجِلاً، وهذا الخطبُ فيكَ شديدُ؟
لم يَذهبِ العامُ الحزينُ ببعضهِ ... لو كان في الذكرِ الحزينِ سعيدُ
ما كلَّ يومٍ شاعرُ الدنيا التي ... تفديه لو يَرْضَى الفداءَ وجودُ
إنْ ماتَ ماتَ بكلِ لبٍّ شاعرٍ ... أملٌ أحقُّ بمثلهِ الترديدُ
وإذا سلاكَ الناسُ لم تَسْلُ العُلى ... مَنْ كان يُنْشِدُ باسمِها ويَشيدُ

*****

دُنيا الحقيقةِ قد بكتْ دُنيا الهوى ... والحُسْنِ وانصرَمتْ مُنىً وعهودُ
كلتاهما في الرزءِ بَعْدَكَ شاعراً ... بهما يُفيءُ عليهما ويجودُ
وأجَلُّ رُزءٍ للجمالِ، فَروحُه ... بجمالِ شعرِكَ خافقٌ مَشهودُ
الحبُّ فيه موائدٌ لا تنتهي ... والحسنُ فيه مؤَلَّهٌ مَعْبُودُ
وكأنَّ مُوسِيقَى الحياةِ جميعها ... ما يبدعُ التصويرُ والتوليدُ
لفظٌ يسيلُ وفي جَناهُ حلاوةٌ ... حيناً، وحيناً ثورةٌ ووعيدُ
كالجدولِ الجاري أو البحرِ الذي ... يَدوي، وآناً شُعلةٌ ورعودُ
وجميعُه صُوَرُ الجمالِ، فليس في ... صُوَرِ الجمالِ مقيَّدٌ محدودُ

*****

في ذمـةِ التـاريخِ رقـدتُك الـتي　　　هـي يقظـةٌ حـين الأنـامُ رُقـودُ
مـا مـاتَ مَـنْ وَهـبَ الجمـالَ حَياتَـه　　　إنَّ الجمـالَ ألوهـةٌ وخُلـودُ

التنـابذ

أبنـاءَ مـوطنيَ الـذليلِ بخُلفِكـمْ　　　إنّ التنابـذَ خلفَـه استسـلامُ
فكَّـرْتُ في أقوالنـا وجهادِنـا　　　فـإذا جُهـودُ القـائلينَ كـلامُ
وَلَّـى الشبابُ وكم طفرتُ بروحـهِ　　　وأتـى المَشِـيبُ وكلُّـه آلامُ
اللهُ يصفحُ عـن حماسـةِ مهجتي　　　إنَّ الحماسـةَ كلـها أوهـامُ
إنّ الشـجاعةَ للحقيقـةِ وحـدها　　　غـيرُ الحماسـةِ خلفهـا الأَحـلامُ
ذهـبَ التحـزُّبُ بـالبلادِ وأهلـها　　　إنّ التحـزّبَ غالبـاً هـدَّامُ
وبـدا التضـامنُ باسـطاً يَـدَهُ لنـا　　　والرُّشـدُ يَصحبهُ، فكيـف نُضـامُ؟

الغبـن

وطني! أهـونُ عليكَ حـين دقـائقي　　　وَقْـفٌ عليـكَ؟ أللوفـاءِ أهـونُ؟
جـاوزتُ هـذي الأربعـينَ كـأنني　　　منـذ انتبهـتُ مُسَـخَّرٌ مغبـونُ!
خاصمتُ نومي، واستبحتُ مواهبي　　　لعـلاكَ في زمـنٍ يسـودُ الـدُّونُ
وطني! أمثلـي لـيس يُنْصَـفُ مـرةً　　　أمْ أنَّ إنصـافَ الأبـيِّ جُنُـونُ؟!
أَأَظـلُّ أشـقَى هكـذا في مِحْنَتِـي　　　حـين الجحُـودُ بشـقوتي مَفتُـونُ؟!
مَـنْ يُبلـغُ الأحـرارَ أنّـي عبـدُهُمْ　　　لكـنَّ قلـبي طيّـعٌ ومَصُـونُ
هيهـات لـي مجـدٌ سـوى مجـدٍ لهـم　　　فـإذا حجـايَ محـارَبٌ مـدفونُ!

الجمال الإنساني

يَنبضُ الكونُ بالجمالِ ولكنْ ... كم جمالٍ حيالَنا لا نَراهُ
في جمالِ الإنسانِ للشَّاعر الـ ... فنَّانِ مَعْنىً يُطِلُّ منه الإلهُ
كيف أُغْضِي عن وصفِه وهو كُلٌّ ... حينما الجزءُ كلُّ حُسنٍ سِوَاهُ؟!

لعبة ابنتي

(أبيات ارتجالية)

أنتِ يا لُعْبَةَ ابنتي ... ذاتُ رُوحٍ وخفَّةِ
أنتِ عندي عزيزةٌ ... وهي عندي عزيزتي
أنتِ مَثَّلْتِ طبعَها ... في صفاءِ المحبَّةِ
هِرَّةٌ أنتِ، إنما ... أنتِ لي غيرُ هِرَّةِ
إنّ عينيكِ فيهما ... سِرُّ لُبٍّ وفطنةِ
أترى حُزْتِ سِحْرَهَا ... كم لدى الحُبِّ آيةِ
كم تَوَسَّدْتِ جَنْبَهَا ... في فراشٍ بنعمةِ
كم تَمَلَّيْتِ رُوحَها ... في حَنَانٍ ورحمةِ
كم تشَاكيتُمَا على ... نَظْرَةٍ بعد نَظْرَةِ
كم تصاحَبتُمَا على ... كُلِّ يُسْرٍ وشِدَّةِ
فإذا أنتِ رَمْزُهَا ... رُبَّ رمزٍ بدُمَيةِ!

سكن الهواء

أنأبى الأرضَ وهي أبٌ وأمٌّ ... فنغبطَ كلَّ سكانِ الهواءِ
ونعشق أن نطيرَ بها كأنّا ... دَنَوْنَا مِنْ عُلى ربِّ السماءِ؟
تنفّسنا الهواءَ بها شهيّاً ... نَقِيّاً لم يُلَوَّثْ بالرياءِ
ونكتسحُ الفضاءَ بلا سُدودٍ ... وكم في الأرضِ سَدٌّ للغباءِ
ونعرضُ تحتنا الدنيا كأنّا ... خلقناها لسجنِ الأدنياءِ
مَشاهدُ كلُّها لُعَبٌ تراءتْ ... تَطيرُ، وكُلُّها وَهْمٌ لرائي
وبعضُ الوهمِ إنقاذٌ لروحٍ ... تفرّ من الشقاءِ إلى الشقاءِ

البقية

أرعَى بقيةَ أعوامي كأنَّ بها ... بقيةً من جريحِ الحربِ تُحييهِ
قد شوَّهتْني صروفُ الدهرِ جانيةً ... فما بقاياي إلاّ مِنْ عواديهِ
ومزَّقتني المآسي في مَعاركها ... فما رثيتُ لعمري حين أبكيهِ
لكنْ بكيتُ على قومٍ وفيتُ لهم ... فكافأوني بتعذيبٍ وتسفيهِ
ما أصغرَ الشعبَ إنْ هانَ الصديقُ به ... وسادَ فيه لئيمٌ مِنْ أعاديهِ
وأحقرَ الناسَ في خِزيٍ وما شعروا ... كأنّما الخزيُ من أوهامِ معتوهِ!

السفهاء

ولو حَرَصَ السُّوَّاسُ للناسِ دائماً ... على نسلهم واستبعدوا كلَّ جارمِ
لما نَدِمَتْ هذي البسيطةُ مرةً ... على كرَمٍ بل أشرقتْ بالمكارمِ

وكنّا نرى الإنسانَ أشرفَ عَاملٍ
وأصلحَ مخلوقٍ وأنبلَ راحِمِ

تألّقَ مِنْ عينيهِ وحيُ ألوهةٍ
وما وحيُها إلاّ ردى كلِّ ظالمِ

وما قال يوماً مُحْسِنٌ عُدَّ مجرماً
على فضلهِ بينَ الأذى والمغارمِ:[1]

ومَنْ عرفَ الأيامَ معرفتي بها
وبالناسِ رَوَّى رُمْحَهُ غيرَ نادمِ!

حنين الشجرة

تَهتزُّ أفرُعُهَا ويُنْثَرُ زَهْرُهَا
وكأنَّما حملَ النَّسيمُ حبيبَا

فيُرَى التهافُتُ ثمَّ في أوراقِها
وغُصونها متتابعاً وعجيبَا

والزَّهْرُ تَنثُرهُ تحيةَ قلبها
فالزهرُ أصدقُ مَنْ يَسوسُ قلوبَا!

وكذاكَ حالي في إسارٍ دائمٍ
فأزفُ شعري زهرةً ونسيبَا

وتَعيشُ في خِصْبٍ، ولكنِّي أنا
في الجَدْبِ ألقَى الأَسْرَ والتعذيبَا!

المطية

يريدون منّا أن نكون مطيةً
تُسَاقُ وإلاَّ أن نُسَاوَمَ في الحَقِّ

فيا هولَ يومٍ يَغتدي فيه مُذعِناً
إلى الرّقِّ مَنْ قد ثار قبلاً على الرقِّ

على أيِّ وهمٍ ذلك الخُلْفُ دائماً
وهل يعرفُ الخصمُ الحقوقَ لمنشقِّ؟

سبيلكمُو تدويخُهمْ بصَلاَبةٍ
بناها التآخي لا العنادُ مع الحُمقِ

سبيلكمُو أن يَيأسُوا مِنْ خصومةٍ
وأن تهزموهم بالمتانةِ في الخُلْقِ

---

[1] البيت التالي للمتنبي.

دعونا من النُّصحِ السخيفِ لخصمِكمْ
فكم هو أدرى بالقساوةِ والرفقِ

لقد حكمَ الدنيا العريضة حِذقُهُ
فهل مثله يحتاج منكم إلى الحذقِ؟

وهلْ مِنْ سلاحٍ في صرامةِ قطعهِ
أحدّ من الإيمان بالحقّ والصدقِ؟

إذا جهلوا رُوحَ التآخي مُنَزَّهاً
عن اليأسِ كان الرقُّ أجدى من العتْقِ!

الفدائية

لمن الفداءُ؟ لمصرَ؟ وهي هي التي
لَطَمَتْ وساءتْ همّتي وكفاحي؟

لأعزُّ أهلي؟ حين طاب لجمعِهمْ
لَوْمي، كأني مِنْ ضحايا الراحِ؟

لأحبُّ صحبي؟ حين أكثرُهم أبى
إلاّ التفلسفَ في أذىً ومزاحِ!

ضَيَّعْتُ عُمري فادياً أو رائداً
فرجعتُ فوقَ محطَّمِ الألواحِ

ومِنَ العجائبِ لا أزال أحنُّ في
غَرَقي حنينَ الرائدِ الملاَّحِ!

*****

دُنيا الإساءة، ليس تعرفُ مرةً
أن تستغلَّ مواهبَ النَّاحِ

تُشقيهِ، وهو كأنه عبدٌ لها
وتردُّه بسلاسلِ الأتراحِ

فيظلّ في أبديّةٍ من سجنهِ
رغمَ الفِداءِ لمجرمٍ ووَقاحِ!

*****

لا تُضْحِكُوني بالمديحِ فإنَّني
متعثِّرٌ خَجَلاً على أمداحِي

بل فانْعتُوني بالجُنونِ لأنني
آمنتُ بالأخلاقِ والأرواحِ

ونسيتُ أني سابقٌ زمني، وما
زمني بدنيا اللؤمِ والأشباحِ!

لاعبات التنس

يـــا جاريـــاتٍ في الهـــواءِ وطـــائراتٍ في الهـــواءْ
والضَّـــارباتِ اللاَّعبـــاتِ لنـــا علـــى أُكَـــرِ الضـيـاءْ
وَكأَنَّهـــا بعـــضُ النجـــومِ الواثبـــاتِ مـــن الســـماءْ
أنـــتنَّ مـــا تَهَـــبُ الرشـــاقةُ والملاحـــةُ والرجـــاءْ
لأُولـــي الرجـــاءِ مِـــنَ المعـــاني المانحـــاتِ لنـــا البقـــاءْ
فـــالفنُّ ينـــبض بـــالعواطفِ والتَّحَـــرُّرِ في العطـــاءْ
نحيـــا بـــألوانٍ نُناجيهـــا لديـــهِ بـــلا انتهـــاءْ
بـــين التوثُّـــبِ والـــتحفّظِ والشـــجاعةِ والوفـــاءْ
أنـــتنَّ ثـــورةُ حســـنكنّ علـــى تقاليـــدِ الريـــاءْ
فـــيكنَّ مِـــنْ رُوحِ (الأَلمـــب) حـــرارةٌ للأوفيـــاءْ
تُـــوحي لنـــا معنـــى النضـــارةِ والتحـــرُّرِ والإبـــاءْ

*****

فتيـاتِ مِصْـرَ لِـمَ الخمـولُ مـن الصبـاحِ إلى المسَـاءْ
مثـلَ الروابـي النائمـاتِ علـى الحُقُـولِ بـلا ارتـواءْ؟!
لا خـيرَ في مـوتِ الحيـاةِ يُصـاغُ في رَسْـمِ الحيـاءْ!

قِطّي مشمش

رأيتُــه يَبكــي وكــم مــن أنــينْ   لــه، ثــم كــم مِــنْ مُــواءِ حــزينْ
فقلــتُ يــا (مشــمشُ) فــيمَ البكــاءُ   وقــد كنــتَ بــالأمسِ ذاك اللعــينْ؟!

فأذهلَــهُ مِثْـلُ هـذا السـؤالِ لـدُنْ ثُكـلَ القطـةَ الغاليـهْ
أليسـتْ "مِثـالاً" لـه في الجمـالِ وزوجتَــه الحلــوةَ الغانيَــهْ؟
ولكنَّــهُ قــد أبــى أن يُجيـبَ سُـؤالي بغـير سـكوتِ الأسَـى
وأيُّ أســىً بعــد روعِ الأسـى إذا قيَّــدَ اللُّسْـنَ والأنفسَــا؟
فأُشـعِرْتُ منــه بــأنَّ الجمــالَ لنــا ربمـا لم يكـن عِنْـدَهُ
ومــا هــانَ في قَـدْرِهِ عنــدنا تَمَثُّلــه في المُنــى حَـدَّهُ
يكــاد يعـيش الـورَى للخيــالِ إذا عـاش غـيرُ الـورى للحقيقَـهْ
ومـا نِسَـبُ النـاسِ غـيرَ الضـلالِ ولكــنَّهمْ قــد أحبُّــوا بريقَــهْ!

مأتــم الدنيــا

عَييــتُ بمــأتمِ الـدُّنيا فــإنّي لقيـتُ بهـا المـاتَ علـى التَّـوالي
أتيناهــا ضُـيوفاً ثــم جـادتْ لنــا بــالموتِ مــن دُونِ السـؤالِ
فــإنّ المــوتَ غايتُهــا وعُقْبـى هـــداياها إلى ضــيفٍ وآلِ
فَــدَعْني مُنْصِـفاً دَعْـني أُنــاجي مَفَاتِنَهــا إذَنْ قبــلَ ارتحــالي
لأَقْطـفَ مِـنْ أزاهرِهَـا شميمـي فتلـك أحَـبُّ مِـنْ زهـرِ الخَيـالِ
أأشــهدُ هــذه الجنَّـاتِ حــولي وأحلــمُ بالخيــالِ وبالمُحَــالِ؟
وأخـترعُ الجمــالَ نعـيمَ نفسـي غـداً، وأنــا المـوطّنُ في الجمـالِ؟
لِمَـنْ هَـذي "النمـاذجُ" في سُـفورٍ بقُربـي، والجَنـى الغـالي حِيـالي؟
أليســت للفنــونِ خُلِقْــنَ حتـى تُخَلَّـدَ في الضّـياءِ وفي الظـلالِ؟
فكيــف أفُوتُهَــا تَفْنَــى فَنــائِي وأحرمُهــا دُعــائي وابتهــالي؟

وكيـف أعـيش مرتقبـاً ممَـاتي		كـأنَّ الحـبَّ لم يخطـر ببـالي؟
إذا نـال الجمـالَ الصـفوَ قلـبي		فحتـى المـوتُ يَرضـاه احتمـالي؟

في بور سعيد

أهـلاً عـروسَ البحـر، لم يَظْفَـرْ بهـا		بَحْـرٌ، ولا أرضٌ، ولا أجـواءُ
تَتَلَفَّـتُ الـدنيا إليـك بموضـعٍ		فـذٌ كمـا تَتَلَفَّـتُ الجـوزاءُ
إنـي رسـولُ الشّـعرِ جئـتُ ممثِّلاً		لبنيـه، مُـذْ غنَّـى بـكِ الشـعراءُ
تَحـيينَ أنـتِ نقيَّـةً وعزيـزةً		والسُّفْنُ شَـتَّى في حمـاكِ إمـاءُ
في البحرِ أم في البرِّ أم في الجوِّ قد		راعتـكِ أحـلامٌ لهـا ورجـاءُ

*****

الصَّيفُ جـاءَ فكنـتُ مِـنْ أطيـارهِ		وأتيـتُ يُـزجيني إليـكِ حـنينُ
هـذي الشِّـراكُ لمهجـتي منصـوبةٌ		وأنـا قريـرٌ عنـدها وغـبينُ
أهـلاً شِـراكَ الحُـبِّ! كـلُّ مليحـةٍ		أهفـو إلى نظراتِهَـا وأَديـنُ
مَـثَّلْنَ فتنـةَ (أفرديـتَ)، وهكـذا		يُهْـدي الجمـالَ عـن الجمـالِ أمـينُ
مَـنْ نَـالَ هـذا الأَسْـرَ مِـنْ شُـهَدَائِهِ		فلـهُ الحيـاةُ، ومَـنْ عَـدَاهُ دفـينُ!

*****

يـا سـاعةً عنـد الغُـرُوبِ كأنهـا		خُطِفَـتْ مِـنَ الأحـلامِ والأجيـالِ
ما بالُ هذي الشمسِ تُرسل وجدَها		فـوقَ اللـهيبِ علـى الميـاهِ حيـالي؟!
مـا بـالُ هـذا المـوجِ يخفـق هكـذا		خَفْـقَ الحيـاةِ تَوثُّبَـتْ لـزوالِ؟!
مـا بـالُ هـذا الحسـنِ يَبعـثُ شـوقَه		فـوق الرمـالِ إلى نُهـىً ورمـالِ؟!
مـا بـالُ هـذا الجـوِّ أُشْـبِع روحُـه		بـالخوف والآلامِ والآمـالِ؟!

*****

السُّفْنُ تَبدو مِنْ قَنَاتِكِ مثلمَا ... تبدو الرجاءُ لتائهِ الصحراءِ
حُمِّلْنَ بالأرزاقِ مثلَ مَدائنٍ ... وبَسمْنَ بالأحلامِ والأضواءِ
وكأنها لُعَبُ الزَّمانِ يَسُوقُها ... ويُشَاقُ من جَوْلاتها بالماءِ!
شاب الزَّمانُ ولم يَزلْ بطفولةٍ ... ويَظلُّ طفلَ الوهمِ والأهواءِ
والناسُ إنْ خُدِعُوا به فلأنه ... قد يَمْزُجُ السَّرَّاءَ بالضَّرَّاءِ

*****

هذا المساءُ يُظِلُّنَا بولائِه ... والجَوُّ فيهِ من الولاءِ صَلاَةُ
للفيلسوفِ به مَجَالُ روائعٍ ... فلكلِّ شيءٍ حكمةٌ وحياةُ
والناحتُ الرسَّامُ يَقْبِسُ فنَّهُ ... ما تُضْمِرُ الخَطَرَاتُ والنظراتُ
والشاعرُ الموهوبُ يسألُ غامضاً ... فتجيبُه الأسرارُ والآياتُ
والناقشُ الواعي بروحِ مُلَحِّنٍ ... يَرْنُو فيوحِي النُّورُ والأصواتُ!

*****

هذا كِتَابٌ للطَّبيعةِ ما لَهُ ... عُمْرٌ سوى ما شاءهُ الفنّانُ
كلُّ امرئٍ يَلْقَى به إلهامه ... ولكم تَنَوَّعَ عِنْدَهُ الإيمانُ
شَتَّى العَوَاطِفِ والشُّعُورِ حياله ... وكذلك الأثوابُ والألوانُ
إن شئتَ كنتَ أمامَه في غفلةٍ ... لا أنتَ موهوبٌ ولا إنسانُ
أو شئتَ صافحتَ الإلهَ محدِّثاً ... وقرأتَ ما أوحَى به الديَّانُ!

هدأة الثائر

ما بالُ سُخطي يَستحيلُ مَحبَّةً ... كالنارِ ساعةَ تستحيلُ ضياءَ؟
ما بالُ أطيافِ الربيعِ تحوَّلَتْ ... شجناً وعادتْ نشوةً وصفاءَ؟

مـا بـالُ عُمـري لوعـةً لا تنتهـي	فأجامـــلُ الأيـــامَ والأرزاءَ
وأعـيشُ في دنيـا التفـاؤُلِ ناسـياً	دُنيـا تفـيض قسـاوةً وعـداءَ؟
أكـذا يعـيش الملـهَمونَ، وهكـذا	يُحْيـي الزمـانُ المجـدَ والشـهداءَ!

عيد الوطن الاقتصادي

ضُمُّوا الصُّفُوفَ مواكباً وَنشيدَا	ودَعُوا الشبابَ يـزينُ هـذا العيدَا
النابضـــينَ بحـبِّهم لـــبلادهمْ	والـــرافعينَ لواءَهـــا المعقـــودَا
والثـــائرين علـــى مَهانـــةِ قـــومِهمْ	الـــوارثين عـــن الجـدودِ خُلُـــودَا
نَفضوا السُّباتَ وأشعلوا إقدامَهم	وأتـوْا كمـا يـأتي الصباحُ جديـدَا
يتـــدفّقون حماســـةً عُلويّـــةً	ومـن الحماسـةِ مـا يكـون سـديدَا
مصـرُ القديمـةُ باركـتْ أحلامَهُـمْ	واســتعذبتْهُمْ نشـوةً وقصـيدَا
يمشـون في مثـلِ الأشـعّةِ حلبـةً	ونفاســـةً وصـــراحةً ووجـــودَا
يمشـون مَـنْ جـوفِ الظلامِ هدايـةً	ويهيئـون لنـــا الغـدَ المنشـــودَا
ويجـدّدون لنـا مواثيـقَ العُلـى	مِنْ بَعْد أنْ صـارتْ هـوىً مفقـودَا
عرفـوا جلالـةَ عصـرهم فَتَشَـبَّثُوا	بأُصـــولها، وتسـابقوا تشـييدَا
عرفـوا الصـناعةَ للسـيادةِ منعـةً	فـأبَوْا لمصـر الـذُّلَّ والتقييـدَا
فرعـونُ في هـذي المواكـبِ ماثـلٌ	فَـرِحٌ، ولكـن لا يسـوق عبيـدَا
جَذَبَتْـهُ أطيـافُ البطولـةِ حينمـا	أقصَـاهُ جُـبْنُ السـابقين مَديـدَا
إنّ البطولـةَ في شـجاعةِ مُصْـلحٍ	فـذٌ، وليسـتْ غضـبةً ووعيـدَا
هـذا جـلالُ المهرجـان بنايـةٌ	جمعـتْ طريفـاً للعُلـى وتليـدَا

يحيا الزمانُ على تراثِ بُناتِهِ ... فإذا مضى البانون عاش فقيدَا
ما قامت الدُّولاتُ باسمِ مفاخرٍ ... دَرَستْ إذا لم تصحبْ التجديدَا
ما أكثرَ الهُدَّامَ مِلءَ ربوعِنا ... وأقلَّ فينا النفعَ والتأييدَا
ما أعظمَ العبءَ الذي في حَملِهِ ... يَعْيَا البنون الحاملون قيودَا
فتقدَّموا زينَ الشبابِ! تَقدَّموا! ... لكم الزعامةُ في الصلاحِ رشيدَا
وزِنُوا الكرامةَ بالوفاءِ لأهْلنا ... الصانعين الباذلين جُهُودَا
ليس ابنُ مصر وليس رافعُ مجدِها ... إلاَّ المجِّدَ إرثَها المعبودَا

النسيم المأسور

أغضبتَ يا هذا النسيمُ؟ أصِحْتَ مِنْ ... أَلَمٍ، وقد حُوصِرْتَ في الأشجارِ؟!
أترى جُرِحْتَ مِنْ الكفاحِ خلالها ... أنتَ الطليقُ – أصرتَ رهنَ إسارِ؟!
لهفي عليك تَئِنُّ أنَّةَ موجَعٍ ... يا مؤنسَ العُشَّاقِ والسُّمَّارِ!
إنَّ الجميلَ عليه غُرْمُ جَمالِهِ ... حتى الغرامُ ينالُهُ بالثَّارِ!

كلبي الرقيب

(بِنْجُو)! أطلتَ تأمُّلاتِكَ راصداً ... مِنْ شُرْفَةٍ حركاتِ هذي النّاسِ
أتراكَ كالفلكيِّ يرصُدُ عَالَماً ... أم أنتَ بين مخاوفٍ لليأسِ؟!
ذهبَ الوفاءُ، فكلُّ ما تُعْنَى به ... عَبَثٌ وإحساسٌ بلا إحساسِ
لم يَبقَ مِنْ قِيَمِ الحياةِ وأهلِها ... شيءٌ لذهنِ الكاشفِ الحسَّاسِ

لا ترصـدنَّ كبيرَهـا وصـغيرَها فالكـلُّ أوهـامٌ بغـيرِ أسـاسِ
قـد لوَّثـوا دُنيـا الجمـالِ وأفسـدتْ أنفاسُـهُمْ مـا شـاقَ مـن أنفـاسِ

زهـر الشتـاء

(الود المكذوب)

ليسـت تحياتُـكَ الحسـناءُ منبئـةً عمَّـا تكـنُّ لنفسـي مِـنْ تحيـاتِ
كالزهرِ فـوقَ أديم الأرضِ منبسطاً لكنـه في ثلـوجٍ لا حـراراتِ

وحي البحر

عـن أيِّ مَعْنـىً مِـنْ مَبَـاهِجِ نفسـهِ رمـزَ الإلـهُ لنـا بهـذا البحـرِ؟
ترنـو إليـه بلهفـةٍ وبنشـوةٍ ظَمْـأى، كنـورِ النجمِ قُـربَ الفجـرِ
أتـرى نحـنّ إلى أوائـلِ عيشِـنَا بـالبحرِ في أقصـى عُصورِ الدهرِ؟
أم أنّـه سِـفْرُ الحيـاةِ وَمَوْجُـهُ إيحاؤُهـا بـالنظمِ أو بـالنثرِ؟
كتـبَ الإلـهُ عليـهِ مِـنْ آياتـهِ سُـوراً، ونحـن بجِلِّهـا لا نـدري!

الخليـج

عَبثـاً تحـاول للتفـاهُمِ مَسْـلَكاً هـذا الخليجُ مُباعِـدٌ مـا بيننـا
سـنعيش أبعـدَ مـا نكـونُ لأننـا في الرُّوحِ أبعدُ مـا نكون وفي المُنى

مـا دمـتَ لا تجـد المشـاعرَ تَلتقـي فمـن التـوهُّمِ أن يَـرَى الفقـرُ الغِنـى
أَسَـفِي علـى هـذا الفقـيرِ بروحـهِ يـأبى الغِنـى ويـذمّ روحَ مَـنْ اغتنَـى
أتخـالُ أنّـي بعـد هـذا أرتجـي حُـبَّ الـذي يَجِـدُ التَّسَـامِي مَطْعَنَـا
شِعْرِي لنفسـي، ثُـمَّ بَعْـدُ لمن لـه نَفْسِـي، ولـيس بمـا يُبـا عُ ويُقْتَنَـى

الأصداء

أرى كـلَّ شـيءٍ حيـالي مِثـالاً فـأين الأصـيلُ لهـذا المِثـالْ؟
وهـل هـذه غـيرُ أصـداءِ كـونٍ خَفِـيٍّ أراهُ بعـينِ الخيـالْ؟
وقـد يتجسَّـم هـذا الصَّـدَى كمـا يتلاشـى ببحـرِ المُحَـالْ
وكـم في الأثـيرِ حـديثِ الزمـانِ وأصـدائِه في مديـدِ انتقـالْ
نُدَاذرُهـا عنـد صـيدِ الغنـاءِ[1] ونحسـبُها دونَـه في الجمـالْ
ويـا ربمـا مِلْؤُهـا في اصـطدامٍ جـلالُ الخلـودِ ووَهْـنُ الـزوالْ
نِـداءُ الألوهـةِ والمرسـلين تمـوجُ بهـا، ونـداءُ الضـلالْ
وأنظـرُ حَـوْلي وُجُـوداً عجيبـاً ولكنـه الـوهمُ في كـلِّ حـالْ
فمـا لـي أحمِّـلُ نفسـي الأسَـى وأعبـاءَ جيـلٍ يعـاف الجـلالْ
إذا لم أكـنْ غـيرَ صـوتِ الخيـالِ ورجـعِ الصَّـدَى من قـديمِ الليـالْ؟
وفـيمَ البكـاءُ علـى عـالَمي إذا لم يكـن غـيرَ بعـضِ الظِّـلالْ؟

---

[1] إشارة إلى الطفيليات الجوية التي تسمعها بالراديو.

طلاقة الفن

إنْ شئتَ خُذْ ما أباح الفَنُّ من صُوَرِي　　أوْ لا فدعْها فإني الناقشُ الدارِي
هيهاتَ لي أن أصوغَ الفنَّ زخرفةً　　فإنّ هذا غرورُ الواهمِ الزارِي
هيهاتُ أترك وَقْعَ الفنِّ في خَلَدِي　　وأستعيضُ بأنغامٍ وأَزهارِ
إني أصبُّ شعوري كيف أعرفهُ　　مثلي الأَتِيِّ ومثلَ الجدولِ الجارِي
ما كان لي نقضُ شيءٍ مِنْ طبيعتهِ　　ما في الطبيعةِ لو أنصفتَ مِنْ عارِ
شعري أغاريدُ نفسي كيف أعرفُها　　أو لا فليستْ أغاريدي وأشعاري!

الإله المتنكر

هذي الألوهةُ أشرقتْ وتنكّرتْ　　فبدتْ لنا في صُورةِ (الحسناءِ)
فإذا عبدناها فلم نعبدْ سوى　　ربِّ الحياةِ برمزِهِ المترائي
ما لي وأوهامِ الشُّروحِ وعندها　　قلبي يحسُّ بجاذبيةِ ربِّهِ
والمرءُ يَعرفُ عيشَه مِنْ لُبِّهِ　　في حين يعرف أصلَهُ مِنْ قلبهِ
حتى الآلهُ يرى التنكُّرَ واجباً　　في هذه الدنيا أمامَ الناسِ!
عافوا الصراحةَ واستباحوا قدرَها　　فكأنما عاشوا بلا إحساسِ!

العطر المستتر

لم يَكْفِني نظري إليكِ ولا مَدَى　　لمسي جمالكِ في فتونِ غرامي
بل طابَ لي أنّي أشمُّكِ مثلما　　يَقْضِي تَلَهُّفُ نشوتي وهيامي

تَتعجّــبينَ وتضــحكين، وإنمـــا ... قلــبي العلــيمُ بعطــرِكِ النّمــامِ
أهواهُ مِنْ إشراقِ جسمكِ ساحراً ... لُبّــي وسُــلطاناً علــى أحلامــي
جسمٌ كأنَّ عليه من لُطف النَّدى ... ألَقــاً، ومِـنْ نـبضِ الصِّبا إلهامي
وَيبــثُّ مِــنْ أثنائـهِ عبَـقَ الهـوى ... للملـــهَمينَ بِنُــورهِ البسَّـــام
قـالوا: جُنونُ الحبِّ أتلـفَ لُبَّـه! ... إنَّ الجنــونَ تغافــلُ المتعــامي
ذَمُّوا عبـاداتِ الجسوم ومـا درَوْا ... أنّ الجســومَ مَنَــازلُ الإلهــامِ
دُنيـا تُنـادِي أهلَهـا أن ينعمـوا ... فيقــول غـافلُهم: نعـيمُ حـرامِ!
ويؤمّلــون مِــن الجِنَــانِ نعـيمَهم ... فـإذا الجِنَـانُ مَسَـارِحُ الأوهـامِ!

الشعاع الخافي

آمنــتِ أم لم تُــؤمِني بوفــائي ... لـي مِنْ حنانـكِ أنـتِ نُورُ رجـائي
أهـواكِ قُربـي في الظـلامِ، أنيسـةً ... كـالفجرِ بـينَ الصبحِ والظلمـاءِ
لم يَـذْرِهِ أهــلُ الظـلامِ وإنْ يكـنْ ... متألّقـــاً للشـــعرِ والشـــعراءِ
خـافي شُـعاعِكِ لـيس يخفَـى وحيُـه ... عَـنْ نظرتــي وتَلَهُّفــي ودُعــائي
جعلوا الأشـعةَ في الظهورِ مَراتِباً ... إلاّ لــديكِ فكلُّهـــا مُتَرَائِـــي
إنْ كـانَ منهـا ظـاهرٌ ومحجَّـبٌ ... للنـاسِ فهـي علـى السـواءِ إزائـي
إنّـي رسـولُ العاشـقين، فكيـف لا ... أخـــتصُّ بـــالتمييزِ والإيحـــاءِ
وأنـا الـذي عـرفَ الجمالَ حـلاوةً ... ورُؤىً وألوانـــاً مـــن الأضـــواءِ؟
فـدَعي تهافـتَ نـاظريَّ بنشـوةٍ ... مِــنْ حُســنِكِ المتســتِّرِ الوضّــاءِ
علّــي أنـالُ ذخـيرةً أحبـا بِهـا ... مِــنْ هــذه النفحـاتِ للأحيـاءِ!

أغـانـي أبــي شــادي

مختــارة مــن دواويــن
الشاعر ومؤلفاته

الجزء الأول – ١٩٣٣

اللهيب المقدس

قد رشَفنا مُنَى الحياة بثغرٍ وارتوينا مِنَ اللّهيبِ المقدَّسْ
تتلاقَى الشّفاهُ وهي ظِماءٌ ثم تَظْمَا على ارتواءٍ وتَنْعَسْ
وتُطيلُ اللّقاءَ وهي سَواءٌ عن حياةٍ بوجدِها تَتَنفّسْ
مَنْ يلومُ الأسيرَ إذْ يغنمُ اللّحظةَ للعيشِ حينما العيشُ أسلَسْ
لحظةٌ كلُّها جُنونٌ، ولكنْ كم جنونٍ من الرجاجةِ أنفَسْ!

*****

قُبُلاتٌ نظمتُها للأغاني رُبَّ سِحْرٍ لسحرِها يتلمَّسْ
لم أجِدْ مِسْمَعاً بها اليومَ أوْلَى غيرَ سمع التي لها القلبُ يَنْبِسْ
مِنْ جَنَى ثَغرِهَا قبَسْتُ نظيمي ومِنَ النُّورِ مُبدعُ اللحنِ يَقبِسْ
ربَّ شَدْوٍ بها أطالَ حياتي فحياتي مِنَ اللهيبِ المقدَّسْ

فجر العاشق

أيُّهذا الفجرُ كنْ رمزَ الوفاءْ لفؤادِ العاشقِ الباكي الحزينْ
طال ليلي، وكذا طال الشَّقَاءْ فابتسمْ يا فَجْرُ بالنُّورِ الأمينْ
إنني أمشي على خَيطِ الأمَلْ في اضطرابْ
قَطْعُهُ يُنْهِي الأماني والأَجَلْ وشبابي
وبَقَائي هكذا رغمَ الحِيَلْ في عَذابْ

حالـةٌ أقْسَـى مِـراراً مـن قَضَـاء		يهـدم الأحـلامَ هَـدْماً للفنـاءْ
فابتسـمْ يـا فجـرُ بـرّاً بالرّجـاءْ		طالمـا ناجـاكَ عشـقُ الأتقيـاءْ
إبتسـمْ بـرّاً بِطُهْـري وشبـابـي!

الوحـي

مـا كنـتُ مَـنْ عَـرفَ الهـوى لـولاكِ		أو عشـتُ إلاّ مِـن نعـيـمِ هَـوَاكِ
مـا دِنْـتُ إلاّ للجمـالِ، ولم أجـدْ		حُسْـناً إليـهِ عبـادتي إلاّكِ
لا تحـذري منّـي السُّلُوَّ فـإنني		أسـلو الحيـاةَ إذا سـلوتُ نَـداكِ
وأذوق كـأسَ المـوتِ دونَ غضاضـةٍ		طَوْعـاً، وأخشـى أن أُجَنَّـبَ فـاكِ
لا تَجزعـي خـوفَ الفِراقِ فمهجتي		في راحتيْـكِ، ورجمـتي عَينَـاكِ!

الطيب والزهر

كتابُكِ العذبُ يا رُوحي وريْحَاني		وفَـى فحبَّـا غرامـي حـين حيَّـاني
وناشدَ الشعرَ مِن قلبي فهاكِ هوىً		يا قِبْلَةَ الشعر يا شمسي وديواني
رحلتُ عنكِ رحيلَ الطيب عن زَهرَ		يُـودي بـه البُعْـدُ لـولا حُبُّكِ الـداني
فكنتِ كالزَّهرِ برّاً والنسيمِ رضىً		وكنتِ كالشمسِ في حُسْنٍ وإحسانِ
أهـلاً بمكتوبـك البسَّـامِ يُنْعِشُـني		وفـيضِ نـورِكِ إسـعاداً لإنسـاني
في كلِّ لفظٍ معاني الأنسِ ضاحكةٌ		وكـلِّ مَعْنـىً دليـلُ الصَّـبْرِ للعـاني

يـا قلـــب

ثِـقْ بالحيـاةِ ولا تَخفُـقْ علـى عَجَـلِ
يا كارِهَ العيش من حُـبٍّ ومن وَجَلِ

أنفقـتُ فيـكَ دموعـاً كـم بـررتَ بهـا
هل بَعْدَ عهدِ النَّوى تُدني لـه أجلـي؟

ثِقْ يا حليفَ الهوى بالحبِّ أين مَضَى
وعِشْ لـه في خُفـوقِ الرفـقِ والغـزل

ثِـقْ يـا وفيّـاً تَغنَّـى شِـعْرُهُ طربـاً
بـذكرِها، فغـدا يبكـي ولم يَـزَلِ

في كـلّ دقَّـةِ لحـنِ منـكَ عاصـفةٌ
وكـلّ خفـقِ لـك القتّـالُ مـن زجَـل

تـرفّ كـالطير مـذبوحاً وفي قفصِ
أو كالرضيعِ هَفـا شَـوْقاً إلى قُبَـلِ

خمـرة الحـب

هـاتي الكـؤوسَ الحاليـاتِ بمـا ادّخَـرْنَ مـن الحبَـابْ
يَـروينَ عـن إبـريقهنَّ روايـةَ الصـفو المُجـابْ
ويَفُحْـنَ بـالعَبَقِ الشـهيِّ مـن النعـيمِ بـلا حسـابْ
فتنـال مـنهنَّ النفـوسُ عزاءَهـا السَّـمْحَ الـوَدُودْ
مـن عـالمٍ كـم يَسـتهينْ
بالحُـبِّ والوجـدِ الـدَّفينْ!

هـاتي وهـاتي رقصـةَ الحُـبِّ الـذي نَحْيَـا بـهِ
فينـال كـلُّ مشـوَّقٍ منّـا سُـلافةَ قلبـهِ
ويُثـابَ في صـلواتهِ حمـداً إلى أربابـهِ
فالحـبُّ لـولا روحُـه مـا شـاقنا أبـداً وُجـودْ

خـــيرٌ لنـــا طــولُ الأنــينْ
مِـــن فقـــدهِ للعـــالمينْ
عُـــدْ أيهـــا الســـاقي بإكســـيرِ الحيـــاةِ إلى النفـــوسْ
تَسْـــقي الســـعادة والغـــرامَ ببشـــر هاتيـــك الكـــؤوسْ
فتـــنير ألبابـــاً بمـــا ورَّعـــتَ مـــن نـــور الشـــمُّوسْ
هيهـــاتَ تُـــوفى حَـــقَّ مـــا تُســـديه مـــن أُنـــسٍ يَجُـــودْ
بلــــذاذةٍ للعاشـــــقينْ
الشـــاربينَ الخاشـــعينْ

ابتهـــال

تعـــالَي يـــا حيـــاة الـــرُّو ... حِ غـــــذّيني بألحانِــــــكْ
فقُرْبـــي منـــكِ بَعْـــثٌ لـــي ... ونـــوري نُـــورُ بُســـتانِكْ
تَعـــالي قبْلـــي ثَغْـــري ... وحيّـــيني بأجفانِـــــكْ
فمـــا أغْنَـــى بغـــير هـــوا ... كِ بـــل عُمْـــري بتحنانِـــكْ
تَعـــالي يـــا حيـــاةَ الـــرُّوحْ
تعـــاليَ قبلّـــي ثَغْـــري!

الحلم الصادق

هـــاتي لـــي العـــودَ وغـــني　　　واسمعـــي شـــجوي وأنـــي
تطرحـــي الأحـــزانَ عنّـــي　　　فـــأؤدّي صـــلواتي

*****

قالـــت الحســـناءُ: سمعَـــا　　　يـــا حيـــاتي هـــاكَ طوعَـــا
مـــن ســـلاف الحـــب نوعَـــا　　　يـــا حيـــاتي! يـــا حيـــاتي!

*****

ثـــم غنَّـــتني اعتـــذارًا　　　رنَّحـــتْ منـــه الهـــزارًا
وأحبَّـــتني جَهـــارًا　　　يـــا لـــه مـــن حُـــبٍّ عـــاتِ!

*****

ترســـل الصـــوتَ شـــجيًا　　　يمـــلأ القلـــب دويًّـــا
ليتـــه عـــاش خليًّـــا　　　ليتـــه البـــاقي لآتِ

*****

ثـــم كفَّـــتْ عـــن عـــذابي　　　بأغاريـــدِ الشـــبابِ
وتمـــادت فِي دُعـــابِ　　　باللحـــاظِ الفاتنـــاتِ

*****

وبحُلـــوِ الشِـــعر عطفـــاً　　　وجمـــالِ الشـــهدِ قطفـــاً
لســـتُ إن حاولـــتُ وصـــفاً　　　بالغـــاً أحلـــى الصـــفاتِ

*****

إيـــهِ يـــا يـــومٌ تَقضَّـــى　　　في نعـــيمٍ كيـــف ترضـــى
لفـــؤادي العَـــودَ أرْضَـــا　　　كيـــف ترضـــى لـــي ممـــاتي؟!

كأس شمبان

حياتيَ هاتي الراحَ من ثغرِكِ الضاحي
وخُصِّي بها الأزهارَ أجملَ أقداحِ

ولا تكتفي باللثم يا نفحَ زهرةٍ
لقلبي فما تُغني السلافُ عن الصَّاحِ

ولا تَستعيضي عن سناكِ بخمرةٍ
فما يُسكر الأرواحَ مُسْكِرُ أشباحِ

سوى خمرةٍ وضَّاءةٍ إن نفحتِها
بسحركِ شاقتْ قبل عاشقها اللاّحي

أشيري إلى (الشمبان) ترقصْ صبابةً
وتنثرْ سَنِيَّ الدرِّ هزَّةَ مِسماح

غيورٌ، نفورٌ، صاعدٌ، هابطٌ معاً
على وَهَجِ الإصباحِ أكرمَ سَبَّاحِ

مِنَ اللّهب البسَّام يَرْوي مُذابُه
غرامي ويُطْفي من شجوني وأتراحي

يكرِّمها التفّاحُ تكريمَ عاشقٍ
فتُهدي إلى الأرواحِ قُبلةَ تُفَّاحِ

ولو كانت الأرواحُ سَكْرَى بغيرها
لأنعشَها شَوقٌ إلى هذهِ الرَّاحِ!

الكروان الرسول

بـالله يـا كـروانْ
تكفيكَ أشجاني!

بلِّغ حبيبي الآنْ
أنّي لـه الفاني

لم يَبْقَ غيرُ الرُّوحْ
في قَلْبيَ المجروحْ

مَنْ لي سِواه أبوحْ
مهما تناساني؟

*****

بـاللهِ يـا كـروانْ
تكفيكَ أشجاني!

*****

يـا صاحبي الفنَّانْ
لا زال لي فَنُّكْ

نجـــوى هـــوىً وحنـــانْ　　مـــا شـــابَه مَنٌّ ـــكْ
تســـــتقبلُ الإلهـــامْ　　مِـــنْ وَجْهـــهِ البَسَّـــامْ
والشِـــعرَ والأنغـــامْ　　مِـــنْ فَـــيْض وجـــداني

*****

بـــاللهِ يـــا كَـــروانْ　　تكفيـــكَ أشـــجاني!

*****

قـــدْ مَـــرَّتِ الأعـــوامْ　　سَـــكْرَى بـــآلامي
والقلـــبُ فيـــه ضِـــرامْ　　تُـــذكى بـــأحْلامي
ولـــوعتي بالبعـــادْ　　تُـــذيبُ حتـــى الجمـــادْ
فكـــلُّ عيشـــي نفـــادْ　　لـــولا الهَـــوى البـــاني

*****

بـــاللهِ يـــا كـــروانْ　　تكفيـــك أشـــجاني!

إحسان تحتضر

يـــا حَيـــاتي أيُّ قَلْـــبٍ لـــي هَلَـــكْ　　مـــات مـــوتيْن بنـــارٍ وحَلَـــكْ
يـــا غرامـــي عـــن غـــرامٍ ضـــائعٍ　　فـــاتني الحظّـــان مُلْـــكٌ ومَلَـــكْ
ليـتني مـــا جئـــتُ في الـــدُّنيا، ويـــا　　ليتهـــا ردَّتْ تصـــاريفَ الفَلَـــكْ
قتلـــتْني نكبـــةٌ قـــد أســـلفتْ　　قســـوةً أوْحَـــتْ إلى مَـــنْ قتلَـــكْ!

يا آلهـــي

يـــا حيـــاةَ الـــروح يـــا روحَ الحيـــاهْ – يـــا إلهـــي
كـــم يُعـــاني الصَّـــبُّ في ذكـــرى مُنـــاهْ – غـــيرَ لاهِ
غارقـــاً في نـــار وَجْـــدٍ لـــن تـــزولْ
وهمـــومٍ وشـــجونٍ لـــن تحـــولْ
قبـــل صـــوب الغيـــثِ مِـــنْ فتـــانِ بـــرِّكْ!
يســـألُ الأزهـــارَ في سُـــكرِ الصَّـــباحْ – عـــن ســـلامِكْ
حاســـباً فيهـــا بطاقـــاتٍ وراحْ – مـــن غرامِـــكْ
حَمَلَتْهـــا عـــن نســـيمٍ لـــي عليـــلْ
وضـــياءٍ مـــن محيَّـــاكِ الجميـــلْ
لَم يُوَفَّـــقْ ســـعيُهُ مـــن فـــرطِ ســـحركْ
فتجيـــبُ بحنـــانٍ وخفـــوقْ – مِـــنْ نُزُوعِـــكْ،
مثـــلَ وَحْـــيِ الشـــمسِ في وقـــت الشـــروقْ – أو طُلوعِـــكْ:
"لســـتُ مَـــنْ يُعطيـــكَ مِـــنْ مُلكـــي الجزيـــلْ
في حيـــاتي، فهـــي معبـــودي البخيـــلْ!"
فـــارحمي، حتـــى الضـــحايا بـــين زهـــرِكْ!
إصْـــفَحِي يـــا مهجـــتي، يـــا نـــارَ خُلْـــدِي – يـــا جِنـــاني!
واســـمحـــي بـــالبرِّ يـــا أُنســـي ووَجْـــدي – يـــا بيـــاني!
كـــلُّ لفـــظٍ منـــكِ للنُّعْمَـــى دليـــلْ!
كـــلُّ سَـــطْرٍ مِلْـــؤُهُ الشِّـــعْرُ الجليـــلْ!
ومعـــانٍ للـــهوَى مِـــنْ حُلْـــوِ ثَغْـــرِكْ!

من مغاني الهوى

مِنْ مغاني الهوى ومِنْ مَهْدَ أنسي ... جَدِّدا لي الصِّبا فيما البُعْدُ يُنْسِي
وانْهَرا جانياً تصدَّى لِجُرْحي ... وادَّعى أنه الوفيُّ المؤسِّي
واسمحا لي بقبلةٍ مِنْ ثراها ... فثراها مَلاذُ رُوحي وحسِّي
واذكراني بمرغصٍ من نظيم ... حسبتْه الأطيارُ أنغامَ (قيسِ)
وابعثا والنسيمَ لي بَسَماتٍ ... عشقتْها الأزهارُ منْ وجهِ شمسي
كم نهلتُ الحياةَ منها ولكنْ ... طرحتْني النَّوى فلم تُبْقِ كأسي!

المهجة الحزينة

خلوتُ إلى مهجتي في الظلامْ ... أخفف من حظّها العابسِ
فقالتْ: حرامٌ، حرامٌ، حرامْ! ... فما الأُنسُ في البين عن مؤنِسي
وهل طابَ للعاشقين المُدامْ ... إذا احتجبتْ زينةُ المجلسِ؟

فبالله دعْني لدمعي الحزينْ
فقد شاء ربي لمثلي الأنينْ
وكنْ راحماً، إنّ لومي عذابْ

وحاولتُ جُهْدي بغير انتفاعْ ... أعلّمها حكمةَ الصابرِ
فقالتْ – وما قولها ما يُذاعْ ... من العذرِ ما لم يَزَلْ آسري
كأنَّ الوفاءَ لها الامتناعْ ... عن الصَّفوِ في الأمسِ والحاضرِ

إلى أن يحينَ اللّقاءُ الضَّنينْ

إلى أن يعـــودَ الغـــرامُ الـــدَّفينْ
إلى البعـــثِ مـــن برِّهـــا المستطابْ!

القيثـــارة المتعبة

يـــا لَلمحـــبِّ هـــواه دينُـــهْ   يَستصـــرخُ الـــدّنيا أنينُـــهْ
ويـــذوق أنـــواعَ العـــذابِ   كـــأنّ أعـــذبَها جنونُـــهْ
لا يســـتقرّ لـــه الفـــؤادُ   وكـــم يـــدقّ بـــه حَنينُـــهْ
دوْمـــاً علـــى نَغَـــم البكـــاءِ   وقلّمـــا يبـــدو رنينُـــهْ
قيثـــارةُ الحســـنِ الضـــنين   فليـــتَ يســـمعها ضـــنينُهْ
لا تســـتريحُ مَـــدَى السنين   وكـــم تؤرّقهـــا ســـنينُه

اللهيب المقدس

إسمعي ثم اسمعي يا كلَّ دولاتِ الجمَالْ
ما عزَّ من شِعْرٍ ومِن سِحْرٍ هو السحرُ الحلالْ
هَا صدحةُ البلبلِ تمضي خجلاً من فنّها
هَا روعةُ الألحان والأنغامِ أسرى حُسنِها
استُؤسِرَتْ ثم استعادتْ بُرهة وثبتَها
لكنْ تعود للتي دامتْ لها ربَّتَها
اللهَ في هذا البيانِ الفاتنِ المردَّدِ

اللهَ في (هاروتَ) يَغْنو للجمالِ السيِّد
اللابسِ التيجانَ من أشْهى حُلِيٍّ العالَمِ
المانحِ الأكوانَ مِنْ ثَغرِ له حيّاً فمي
لم أدرِ في صفوٍ وشجوٍ وابتسامٍ وبُكاءْ
ما مرَّ من ليلةٍ عُمْرِ هي والعمرُ سَواءْ
بل كيف لم أترك حياتي في شذا أتباعها؟!
بل كيف أغرتني على قتلى لدى توديعها؟!

لـو ذاق....

لـــو ذاق ثغــــركِ ثغـــري	لصُــــغْتُ وَصْـــــفَكِ آيـــــهْ
أو ضَـــمَّ صـــدركِ صـــدري	لـــزِدتِ عِشـــقي الهدايـــهْ
يـــا قُـــرَّةَ العـــينِ مَهْـــلاً	لا تُسْـــــرفي في الغوايَـــــهْ
إنْ تُشْـــعِلي فَـــرْطَ وَجْـــدي	فاســـتعجلي الوصـــلَ غايَـــهْ
يـــا مَـــنْ رَمَيْـــتِ فـــؤادي	أتقنـــتِ فـــنَّ الرّمايَـــهْ
لا تتركـــــيني جريحـــــاً	لا تُرْهِقـــــي للنهايَـــــهْ
بعـــضُ العنـــاقِ حَـــلالٌ	بَعْـــضُ الـــدلالِ جنايَـــهْ

الوصل الدائم

أيحســبون فراقــي عنـكِ محـتملاً	وفي الأَثـير حـنينٌ مـن مُحَيَّـاكِ؟!
وفي الهـواءِ نـثيرُ الطيـبِ مـن نفسٍ	فمـــا تنفســـتُ إلاّ لاثمـــاً فـــاكِ!

فأينما كنتِ يا روحي ويا أملي فليس لي طلبٌ إلاّك! إلاّك!
ولو غدوتُ تراباً ما فنيتُ فما تَفنى الحياةُ بتربٍ فيه ذكراكِ!

نفسٌ تذوب

نفسٌ تذوبُ إذا لم تَجتذبْ صدَّكْ فإنّ أطيَبها مستجمَعٌ عندَكْ
أسرتَ صفْوَ حنيني وامتلكتَ دمي وفُتَّ طيفاً يعاني وَحْدَه بُعْدَكْ
يا مُتْلِفاً بالجفا قلباً يسيلُ وفاً أنت الكريمُ فسامح في الهوى عَبدَكْ
كلّي فِداءُ جمالٍ زِنْتَهُ فغَلا وإنَّ روحي بروحي تشتري ودَّكْ
إن شئتَ ألبستني أُنساً وعافيةً أو شئتَ ضيَّعتَ صبّاً يرتجي ردَّكْ

سكرة الوصل

روحي! حياتي! ألا يومٌ يعود لنا بعدَ الفراق ببرٍّ منكِ أغنمُهُ
فيمسح الدمعَ من خدّي سناكِ كما تنشّف الشمسُ زهراً دمعُه دمُهُ
فأقْتَلُ الحُبِّ أهْناهُ لطالبِهِ وأشْفَقُ الحبّ بالهجران أظلمُهُ
يومٌ! نعمْ! كلّ ما يرجو ومُسكِرَةٌ مِنْ فيكِ، لو أنّ يومَ الوصلِ مأتمهُ

لحظة أنسٍ

خطبتُ لحظةَ أُنسٍ مِنْ مُحَيَّاكِ فما وَفيْتِ وناب الدمعُ للباكي
كم أسعفَ العينَ في أعوام محنتها واليومَ أوْلى به حظّي... فرحماكِ!

حُجِبْتِ كالشمس لم يَرضَ الغمامُ لها — بِرّاً، فأمطرَ دمعَ الصاغرِ الشاكي
وأشعلَ النارَ في قلبي، فأينَ — متى — يا (زين) تُطفئ هذي النارَ يُمناكِ؟
مشيتُ كالتائهِ المسحور ملتمساً — منكِ الشفاءَ فأدناني لمغناكِ!
فطُفتُ في روعةٍ آناً وفي شغف — حَجّاً، وإن لم أذقْ في نعمةٍ فاكِ!
فأكملي حجّيَ المبرورَ سامحةً — بالوصلِ في محفلٍ للحبِّ ضحّاكِ
وأسمعي قلبيَ الغرّيدَ مِنْ قُبَلٍ — تُهدي الحياةَ فيبقى الشاعرَ الحاكي

أمس واليوم

إيهِ يا رحمةَ نَفسٍ لم تكنْ — في هناءٍ لم يكنْ مِنْ ناظرَيْكِ
تسألينَ اليومَ عن حالِ الهوَى — إنَّ ما أهواه منكِ وإليكِ
سائلي قبلي حناناً طالما — خبَّرَتْني عنه حلْوَى شَفَتَيْكِ
سائلي القلبَ الذي أتعبتَهِ — في خُفُوقٍ مثلَ قلبي في يديْكِ
سائلي الحسنَ الذي أنهكتُه — بين تقبيلٍ وهَصْري جانبيْكِ
فجوابٌ منكِ أوْلَى بِرُّهُ — بِمُعنّىً لم يَزَلْ يحنُو عليكِ!

رفيقة صباي

أنتِ كالزهرةِ الزكيةِ عندي — طالما خفّفَتْ أنيني ووجْدي
أشتهي لثمَها وأخشى عليها — مِنْ زفيري فحيلتي البُعْدُ جُهدي
يا نديمي إذا تَنحَّى نديمي — ونعيمي ويا حليفةَ سُهدي

كلُّ أُنسٍ أسديتهِ لفؤادي ... سوف يَبْقَى وليس ما كنتُ أُسدي
حكم الدَّهرُ بالفراقِ علينا ... وَقضَى الحُبُّ أن أُجَنَّ ببُعْدي
كيف يرجو السُّلوَّ قلبٌ وفيٌّ ... أنت لقنتهِ الغرامَ بوعدِ؟
كان وعدَ اللحاظِ والثَّغْرِ والأنـ ... ـسِ وَجذْبٍ أضاعَ لبِّي ورشدي
كان صمتاً وكان نُطقاً شَهيّاً ... ببيانٍ يُجَلُّ عن أيِّ نَقدِ
لا تقولي ما كان ذلك عهداً ... ففؤادي الخفوقُ يَرْضَى التَّحدِّي!

الذكر والنسيان

يا مَنْ بخلتِ بلفظٍ منكِ يُسعدُني ... أتحسبين طويلَ الصمتِ يُنْسيني؟
لا والذي خلقَ الدنيا وأبدعها ... وملَّكَ الحُسْنَ قبل العقلِ والدينِ!
إن تَحْسبي خَطراتِ الذكرِ تؤلمني ... فأيُّ وهمٍ من النسيانِ يَهنيني
وربَّ آلامِ نفسٍ كلُّها جَذَلٌ ... وربَّ وجْدٍ إذا أشجَى يواسيني
وذكرياتٍ حسانٍ لا زوالَ لها ... كأنها مِنْ صميمِ الرُّوحِ تُحييني
دَعِي أناملكِ الحسناءَ تُنصفني ... ولا تضَنِّي فهذا البخلُ يُضنيني
وإنْ أردتِ بياناً يستعينُ به ... هذا الجمالُ على قلبي فناجيني!

أنت....

أنفقتُ فيكِ عبادتي وسعادتي ... إنفاقَ إيمانٍ بجودِ إلهي
وعرفتُ فيكِ لذاذتي وتأوُّهي ... سيانِ حظُّ فؤاديَ الأوَّاهِ

وعشـقتُكِ العشـقَ الـذي لا ينتهـي ... دينٌ فُتنتُ بـه ولسـتُ أُبـاهي
فلـيَ (الطبيعـةُ) قـدوةٌ بسـجودِها ... لسَـنـاكِ قبـلَ خـواطرٍ وجبـاهِ
وأنـا ابنُهـا الـوافي يُجلّـكِ مثلـها ... ويَـراكِ رَمْـزَ جمالهـا المتنـاهي
هـل أنت إلا الحسـنُ قـامَ مُجَسَّماً ... ليسـودَ بـين عواطـفٍ وشـفاهِ
ويقـودَ أحـلامَ الأنـامِ قريـرةً ... لأعـزِّ مـا يُسـديهِ صُـنعُ اللهِ؟!

يا خفة الروح

يـا خفـةَ الـرُّوحِ الـتي عـذَّبَتْ ... في وثبـةٍ منهـا خفـوقَ الفـؤادْ
لا تُشـفقي أو فاشـفقي! إنـني ... أسـتأهلُ الرحمـةَ قبـلَ الجمـادْ
كـم يـرحمُ قلـبي النسـيمُ الـذي ... يعبـثُ في ثوبـكِ عبـثَ الـودادْ
وأنـتِ في ضـنٍّ وفي خشـيةٍ ... كالحـارسِ الكنـزَ الكثيرِ السـهادْ!
إن تحفظـي ثوبَـكِ مِـنْ لهـوِهِ ... هـلْ صُـنْتِ لـي قلبـاً لهـدٍّ يُقـادْ؟!

أمتـع الأنـس

تُسـائلُني عـن أمتـع الأُنـسِ لـذةً ... وما الأنسُ حقاً غير إيناسِ غانيَهْ!
تنازلـتُ طوعـاً عـن وُعـودٍ بجنّـةٍ ... لسـاعةِ صفوٍ منكِ بالحبّ غاليـهْ!
جَمـالٌ وَتحنـانٌ وتيـهٌ ورقـةٌ ... وعطـفٌ وإحيـاءٌ لأحلـى أمانيـهْ
تَفَنَّنْـتِ فيهـا عـن غـرامٍ وسـكرةٍ ... وأنعشتِ رُوحي من قطوفِكِ دانيهْ
وما الحورُ والولدانُ في معرض الهوى ... وأنـتِ مَنـالُ اللـذةِ المتناهيـهْ؟!

ففي كلّ جزءٍ منكِ حُسْنٌ يشوقُني   وفي كلِّ مرْأىً فاتناتٌ مُواليهْ
وفي كلِ لفظٍ خفّةٌ أو رشاقةٌ   تجدّدُ من أحلاميَ المتفانيهْ
وفي غُنجكِ الوثّابِ أحكامُ ثورةٍ   تهزُّ شجيَّ القلبِ من كلّ ناحيهْ
وحقكِ كم جدَّدْتِ بالوصل مهجتي   نعيماً، وكم أضحتْ بِبُعْدكِ فانيهْ!

ليلة صيف

وليلةٍ من ليالي الصَّيفِ باسمةٍ   بأنجمٍ سطعتْ في الأُفقِ ترعانا
وقد خلوْنا إلى الأحلامِ تجمعُنا   وللغرامِ ينادينا ويرضانا
ولا عَذولٌ غيورٌ لا يسامحنا   ولا رقيبٌ يؤاذينا وينهانا
إلاّ الجمالُ الذي فاتتْه فاتنتي   فنلْتُ منهُ وقد فاتته سلطانا!
غنّتْ على وَقْعِ قلبي أيَّ أغنيةٍ   أهدتْ إلى الأملِ البسّام رَيْحانا!
وقد تثنَّتْ دلالاً في تَرنُّمِها   فكان تمثيلُها الفتَّانُ فنَّانا!
في كلِّ نظرةِ رِفْقٍ خمرةٌ كَرُمَتْ   وكلُّ لفظٍ يُحيِّي الرُّوحَ إحسانا!
فقلتُ: "رُحماك لا تخشي مُغازلة   فقد قتلتِ بماضي الخوفِ إنسانا!
غنِّي على العود يا شمسي ويا قمريَ   فأنتِ طبٌّ له إنْ ماتَ سَكرانا!
تُسابقُ الصَّوْتَ أوتارٌ مُرنَّحةٌ   والقلبُ غيرانُ يخشى منه غيرانا!
كلاهُما طوْعُ إلهامٍ بررْتِ به   لولا أناملُكِ الحسناءُ ما كانا!
أَصغِي إليه قليلاً ربما نطقتْ   شِغافُهُ بالهوى العاصيكِ كِتمانا
وكلُّ خفقٍ نشيدٌ للغرام قضى   فيكِ الشهيدَ وما أطفأتِ نيرانا!"
فقبّلتْ مَوْضِعاً رفَّ الفؤادُ به   وبللتْ بدموعٍ منه أشجانا!
كأنّما رُوِّعتْ مِنْ نارهِ فبكتْ   والظلمُ يُؤلمُ مُشْقى الناس أحيانا!

فلـم أَفُـقْ فيِ احْتراقـي مـن معانقـةٍ		إلا أسيرَ الهوى المحسودَ عِصيانا!
وللحريـرِ علـى صـدري مداعبـةٌ		والثَّغرُ يلثمُ عاري الحسنِ حيرانا!

اذكريني

أذكـريني يـا حيـاتي كُلمـا		شِمْتِ في الإصباحِ مَرآكِ الوسيمْ
واذكـريني يـا مَـدى سُـؤْلي بمـا		يَتْبـعُ الإصـباحَ مِـنْ بِـرٍّ النسـيمْ
واذكـريني يـا غرامـي عنـد مـا		يشـكرُ النـاسُ نَـدَى الـربِّ الكـريمْ
واذكـريني كيفمـا شـئتِ فمـا		غـيرُ ذكـراك غـذاءٌ لـي يُـديم

أذكريني يا مُنى قلبي، اذكريني!

*****

أذكـريني فيِ أغاريـد الطيـورْ		كـم تغنّـتْ مـن حنـيني وبشـعري
واذكـريني فيِ تحيّـات الزهـورْ		فهـي معنـى مـن بيـاني قبلَ زهـرِ
واذكـريني فيِ سُـوَيْعاتِ الحبـورْ		فهـي قسـطان، ولـي بالـذكر أجـري
واذكـريني فيِ ظـلامٍ قبـلَ نـورْ		كـم سـهرتُ الليـلَ مَفـدِيًا لفجـرِ!

أذكريني يا مُنى قلبي، اذكريني!

*****

أُذكـريني أينمـا لاحَ الجمـالْ		مُشـرئبّاً لسـموٍّ مِـنْ جمالـكْ
واذكـريني كلمـا رام الوصـالْ		كلُّ حُسنٍ يَشتهي نجوى سؤالكْ
واذكـريني كلمـا يقضـي الجـلالْ		بضـحايا قـد تفانـتْ في جلالـكْ
واذكـريني كلّمـا شـاء المحـالْ		موكـبُ العشّـاقِ مـن عـانٍ وهالـكْ

أذكريني يا مُنَى قلبي، اذكريني!

*****

أذكريني عند ما تُزْهَى السماءْ ... بنجوم أو ببدرٍ قد تَحلّى
واذكريني حينما يَفنى الرجاءْ ... في رجوع الأنسِ من ماضٍ تولّى
واذكريني كلما نال الشفاءْ ... منكِ عانٍ في شقاءٍ قد تَولّى
واذكريني كلما صحَّ الوفاءْ ... في زمانٍ لم يجدْ للصدقِ أهلاً

أذكريني يا مُنى قلبي، اذكريني!

*****

أذكريني كلما راعَ الغروبْ ... بجبالٍ بين نيرانٍ سحيقهْ
واذكريني كلما أذْكى القلوبْ ... لَفْحُها والأعينَ الحسرى الغريقهْ
واذكريني عندما تبدو الغيوبْ ... في ظلام الليل حَيْرَى كالحقيقهْ
فإذا الباكي بهِ مثلَ الطروبْ ... خشيةَ الأْيَ يا نفسي الرَّشيقهْ

طالما لم أنسَ برّاً... فاذكريني!

غروب وذكرى

قالت: "حبيبي كم ودِدتُك جالساً ... قربي ومَرْأى الشَّمس عندَ مَغيبِ
في البحرِ تسبحُ بُرْهَةً وتغيبُ في ... شَفَقٍ كحالِ الشَّوقِ عند غريبِ"
فأجبتُ: "يا سُؤلي وهل يشجي الهوى ... هذا الوداعُ وأنتِ سُؤلُ حبيبِ؟!
شمسانِ: شمسٌ قد تغيبُ وأختُها ... تبقى لرحمةِ عاشقٍ وأديبِ
مَنْ كان قربَكِ ليس يشغلهُ سوى ... هذا الجمالِ يرقّ في تعذيبي!
فتبسَّمي وتعطّفي وتكرّمي ... ما شئتِ يا حظي وكلَّ نصيبي
ودعي ابتسامَك من حنانك غُنْيَةً ... للقلب عن نورٍ وطبٍّ طبيبِ!"
فتبسَّمتْ سُكْرَيْنِ لي وتأوّهتْ ... فأجاب مِنْ قلبي وفيَّ نحيبي

قالت: "نسيتَ الوعد هل يبكي السنى   إنْ صحَّ وَصْفُكَ في مجالِ نسيبِ
أيسوغُ دَمْعُكَ في ضياءِ محبَّتي   أم كان حظُّ الحبِّ حظّ كئيبِ؟!
قُلتُ: "اعذريني يا حياتي ربَّما   أبكتْ تحيةُ مُسْعِدٍ ومجيبِ
فلكم بكى بالطَّلِّ زَهْرٌ صاحكٌ   للشمس، يا شمسي وسرَّ وجيبي!
ولربَّ دَمْع مِنْ شعوري لم يكن   إلاَّ كرمزِ البحر وهو مُذيبي!
فلقد ذكرتُ غروبَ أمسِي عندما   ودَّعتُ أحلامي وداعَ جَنيبِ
فذكرتُ حالَ البحر حيث وصفتِهِ   والشّمسُ تغربُ فيه بين لهيبِ!"

النعمتان

نظرة وابتسامة
(أنشودة إلى حسناء أديبة)

نبِّئيني نبِّئيني   قصةَ (الدنيا) العجيبهْ
إنمّا تُغنِي حنيني   نظرةُ الرُّوح الأديبهْ

*****

لا تبوحي بكلامِ   إنَّ في عينيك شعْرا
ومَلاماً لَملامِ   مِنْ مُحبٍّ ردَّ عُذْرَا

*****

أنظُري يا نورَ عَيني   أُنظُري يا نورَ نفسي!
كم مَعانٍ غِبْنَ عنّي   قبل أن أسديتِ أُنسي!

*****

وابْسمي (كالشمس) لما   كوَّنتْ هذي الحياهْ!
فانتَشى قلبٌ وهَمَّا   وتلقَّتْهَا الشّفاهْ!

*****

أنـــتِ (دنيـــا) في شُـــعاعٍ أنـــتِ (أُخـــرى) في ابتســـامْ!
كيـــف أبقـــى في التيـــاعٍ ومحيَّـــاكِ الســـلامْ؟!

*****

فابسِـــمي واحكـــي نشـــيداً مـــن أغاريـــدِ الوجـــودْ!
وامنحـــي عيـــداً ســـعيداً مـــن محيَّـــاك الـــوَدُودْ!

*****

لقِّنـــيني يـــا نَعيمـــي نِعْمـــةَ (الـــدنيا) بنظـــرَهْ
وانشـــري لطـــفَ الـــرحيمِ تُعطـــني (الأخـــرى) كزهـــرهْ!

صور وأنغام

أمْتَعْتُ من فجْر (الرَّبيع) الهَامي قلـبي المَشُـوقَ لِفتْنَـةِ الإلهـامِ
ورنَـوْتُ لـلأمِّ (الطبيعـةِ) باسمـاً فـإذا الحُنُـوُّ بثغرِهَـا البسَّـامِ
رفعـتْ نقـابَ الليـلِ عنهـا وازدهـتْ ببـدائعِ النّقَّـاشِ والرسَّـامِ
وبـدتْ تُغـرِّدُ للخـواطرِ والنُّهَـى بمُنَـوَّعِ الفتّـانِ مـن أنغـامِ!
الطّـيرُ كـان مؤذِّنـاً بصـلاتها ثـم استزاد هُـدىً فكـان إمـامي!
فتلـوتُ مِنْ قلـبي القريـر عبـادتي وشَـرِبْتُ بـاللحظ الأسـير مُـدَامي!
وختمـتُ مقبـولَ الصَّـلاة بنظـرةٍ تُهـدي إلى طـرَفِ المـروجِ سـلامي!

الشفاء

(وصف أغنية الحبيبة في عيادة عاشقها المريض)

ردّدي أحلى الأماني ردّدي ... وانْهَري يا نورَ عيني كَمَدي!
أنتِ راحُ النفس في أحلامِها ... فلتكوني رحمةً للجسدِ
طال سُهْدي بينَ حُلْمٍ زائلٍ ... يبعثُ السَّلْوَى ونارِ الجَلَدِ
حُسنُكِ الإعجازُ، فلينْفِ الأذى ... عن وفيٍّ باتَ كالمُفْتَقَدِ
أرجعيني لوجودي... لا أرى ... غيرَ هذا السِّحرِ فيكِ مُوجِدي؟
نظرةُ البرّ لروحي وَقْعُها ... وَقْعُ أنداءٍ على زهرٍ صَدي!
ردِّدي أبهى المنى في نَغْمةٍ ... يشتهيها (صادحُ) الغصن النديِ
يشتهيها (العُودُ) أيضاً مثلما ... يشتهي سُقمي وسمعي عُوَّدي!
زُرتني يا مهجتي عائدةً ... وفؤادي المُرْتجى لم يَعُدِ!
غفرَ اللهُ له إعراضَه ... وله العُذْرُ ولَوْمُ الحَسَدِ!
ولهذا السُّقْمِ شُكري، إنه ... لَخَليلٌ حارسٌ مُعْتَقَدي
ووفيٌّ ردّ لي رُوحَ الهوى ... شائعاً في النَّفَسِ المردَّدِ!
فابسمي يا نعمتي آسيةً ... وامنحي طبَّ (الهزارِ) الغَرِدِ
ليستْ الألحانُ من حَنْجَرَةٍ ... بل حياةٌ عُمْرُها كالأبدِ
تُنصِتُ الدُّنيا لها كاسبةً ... مثلَ كَسْبي مِنْ معاني الرَّغدِ
وتَفيني مِنْ شفاءٍ قبل ما ... أشتفي مِنْ فَضْلِ طبٍّ في يدي!

رحماك

رُحماكِ! كلُّ ضَراعتي: رُحماكِ! ... ذابَ الفؤادُ أسىً بنارِ هواكِ
ويظلُّ يَطْمعُ في حنانِكِ مرَّةً ... قبلَ الفناءِ بلحْظِكِ الفتَّاكِ
إنْ كان إثمُ الحُبِّ فرْطَ وَفائهِ ... أيْنَ السؤالُ على يَدِ السَّفَّاكِ
المجرمُ المحرومُ يُسألُ عَنْ مُنىً ... قبلَ الممَات، فهلْ يُردُّ فتاكِ؟!
ناديه يا أمَلي يُجِبْكِ بلفْظةٍ ... هي لفظةُ الرُّوح الشجيِّ الشاكي
لا تَحْسبي رَمَقاً به يقوى عليه ... غَيْرَ الوداع ولوْ دَعتْ شَفتاكِ!
مَحْضُ السؤال إذا أَجَبْتِ عزاؤُهُ ... فيكون خاتمةَ اللهيب الذَّاكي
رفقاً بحُسنكِ لو أطاقَ مودِّعاً ... يأبى إباءً أن يُقبِّلَ فاكِ!
فلظاهُ يُحرقُ كلَّ غَضٍّ يانعٍ ... وسناكِ يأمُرُ أن يموتَ فِداكِ

توبة الحب

يُجَدِّدُ العُمْرُ ذِكْرَى لَوْعَتي فيكِ ... وإنْ نَسِيتُ فما أنْسَى تَنَاسيكِ
وَدَّعتُ حُبِّي وأحْلامي فَعاوَدَني ... حُلمُ الوَدَاعِ وأبكاني تجافيكِ
وزُلْزِلَ القَلْبُ مِنْ ذِكْرَى مؤرِّقَةٍ ... فَخفقُهُ نَوَرانٌ كمْ يُناجيكِ!
رفْقاً بعانٍ قَضى الأعْوامَ في جَزَعٍ ... يُخْفيهِ إلاّ على نعْمَى تُراعيكِ!
لعلَّ نُوراً كأنسٍ طابَ مَوْرِدُهُ ... لَدَيْكِ يَدفعُ عني مِنْ تجنِّيكِ!
وفي تَجنّيكِ يا صَفْوي ويَا شجَني ... حقي المضاعُ، فهل يَرْتَدُّ راجيكِ؟
أهْواكِ حتى وإنْ أقْسَمْتُ في ألمي ... بأنّني لستُ مَنْ يَهْوى لَمَى فيكِ!
أعَيِّدُ اليَوْمَ في حُزْني بلا أَمَلٍ ... حتى العزاءُ تخلَّى مِنْ تخلّيكِ

وَأيُّ ذِكْـرَى لِمـيلادي تُحَبِّـبُني | في العيْش، والعَيشُ مأساةُ الهوى فيكِ؟!
إلاّ شُـعوري بـأني حـينَ أبْـذُلُها | أغْدو الضَّحِيَّةَ والتَّعذيبُ يُرْضيكِ
كم تُبْتُ مِنْ شَجَني القاضي على نِعَمي | أغْدُو الضَّحِيَّةَ والتَّعذيبُ يُرْضيكِ
فصِـرْتُ مـا بـيْنَ آلامٍ مكتَّمَـةٍ | تحِـزُّ قلبي، وهـذا القَلْبُ يَفديكِ
وَبـيْنَ آلامِ شـوقٍ مـا أبَحْـتُ بهـا | إلاّ ائتِناسـاً بشَـوْقٍ كـم يُؤاتيـكِ
وتوْبَـةُ الحـبِّ إعـلانٌ لِثَوْرَتِـهِ | إنَّ الفـؤادَ إذا أخفـاهُ يُنْبيـكِ!

غنـاء الحياة

غَنَّيْـتِ أحلامـي علـى مِسـمعي | فأصـبحَ الحُلْـمُ عِيانـاً معـي!
مـا أعذبَ الصوْتَ وأحلى الهوى | ينصـبُّ في الـرُّوحِ وفي مِسْـمَعي!
ويَخْفُـقُ القَلْـبُ علـى نشْـوةٍ | كأنمـا في العُمْـر لم يَجْـزَعِ
وَتسـكُبُ العـيْنُ نَـدَى دَمْعَـةٍ | علـى الخـدِّ مِـنْ جامِهـا المُتْـرَعِ
أُصـغِي وأُصـغِي في افتتـانٍ بـلا | حَـدٍّ ولا أرْضـى مَـدى مَطمَعـي!
وأنـتِ في بِـرٍّ بـلا مُنْتَهـى | وقلْـبيَ الـرَّاقصُ لم يَقْنَـعِ!
كفَّرْتِ عن ماضـي شُجُوني، فيـا | أشجانيَ الحَيرَى كفِّي واخْضَعي!
غنّـي وَغنّـي يـا حَيـاتي فمـا | يُغْني سـوى مِن سحرِكِ المودَعِ
وَأسْـرفِي أنْـتِ بتَجْريـدِهِ | فإنّـه في الصَّـفوِ كـالموجَعِ!
مـا صَـدْمةُ الهَجْرِ وإنْ عُولجـتْ | تُشْـفَى علـى العُمْـرِ وإنْ تُبْـدِعي
لا بـدَّ مِـنْ جُـرْحٍ دَفـينٍ، وكـم | يَهْتـاجني الجُـرْحُ فـلا أدّعـي
أخْفيـهِ عَـنْ نَفسـي وعَـنْ عـالَمٍ | وأُغْـرِقُ الحَسْـرَةَ في مَـدْمَعي!
وأودِعُ الشِّـعْرَ قليـلَ الأسـى | والجانِـبُ الأكبَـرُ في أضـلعي!

جنتــي

الشَّــاعِرُ السَّــاحِرُ مَــنْ أسْــكَرَهْ؟! مَــنْ علَّــمَ الشَّــاعِرَ هــذا الشَّــرَهْ؟!
عَيْنــاكِ يــا رُوحــي ويــا نِعْمَــتي عَينــاكِ إلهــامُ الــذي صَــوَّرَهْ
في طَلْعــةٍ أحْيَــتْ نُهَــى المُجْتَلِــي كالجَنَّـــةِ المُزْهِـــرَةِ المُقْمِـــرَهْ
في ظِلِّهـــا كانـــتْ عباداتُـــهُ في نورِهـــا أفشَـــى الــذي أضْـمَرَهْ
مِرْآتُـــهُ أنْـــتِ ووجْدانُـــهُ وخَمْــرَةُ الحُــبِّ الــذي أسْــكَرَهْ
بُــوحي لــهُ! بُــوحي! ولا تُنكــري أسْــرارَ مــا حــاوَلَ أنْ يســتُرَهْ
قُــولي لــهُ: شَــوقُكَ في كَتْمِــهِ لــنْ يَخْــدَعَ الحُــبَّ ولا مَصْــدَرَهْ!

* * * * *

مــا سَــكْرَةُ الشَّــاعِرِ غــيرَ الهــوَى الخـــالِقُ الحـــيُّ الــذي نــوَّرَهْ
مَثَّلْتِـــهِ أنـــتِ فأغنيْتِـــهِ عَــنْ أجْمَــلِ الكــوْنِ الــذي قَــدَّرَهْ!
يَلقـــاكِ أنغامـــاً ونـــوراً كمـــا يلقـــاكِ آيـــاتِ هُــدىً سَــطَّرَهْ
الــــرَّوْضُ والطَّيْـــرُ بأفْنانِـــهِ والجَــدْوَلُ المُفْشِــي لنــا مِزْهَــرَهْ
والبَحــــرُ إذْ يَهْــدِرُ في رِقَّـــةٍ والــــدُّرُّ في مَـــوْجٍ لـــهُ طَهَّـــرَهْ
والشَّـــهْدُ إذْ يُقْطَـــفُ في رَحْمَـــةٍ مِــنْ طِيبــةِ النَّحْــلِ الــذي عطَّــرَهْ
والقَطْـــرُ إذْ يَسْـــقُطُ في خِفَّـــةٍ قــد تُــنْعِشُ النَّبْــتَ ومــا زَهَّــرَهْ
والحَــظُّ مِــنْ بَعْــدِ غِيــابٍ لــهُ والخِصْــبُ في أرْضٍ بَــدَتْ مُقْفِــرَهْ
والشَّــمْسُ في لُطْـفِ الرَّبيـعِ الـذي قــدْ كــرَّمَ الشَّــمْسَ بمــا استَحْضَــرَهْ
والنَّـــاسُ والـــدُّنيا بمـــا أبــدعوا مِــنْ بَهْجَــةِ الخُلْــدِ لِمَــنْ لم يَــرَهْ
والعــــالَمُ التَّــــالي بإنْعامِـــهِ مِــنْ بَعْــدِ حرمــانِ المُنى المُــدْبِرَهْ
مـــا جَمْعُهـــا ســـاوى سِــوَى ذَرَّةٍ مِـــنْ حُسْــنِكِ المُفــرَدِ كــالجوْهَرَهْ

* * * * *

يـــا جنَّـــةَ الحُـــبِّ ويـــا خُلْــدَهُ لا تَحرِمــي العاشِــقَ مِــنْ مَغْفِــرَهْ!

حسدتني في عذابي

حَسَدْتَني في عَذابي وخِلْتَ فيهِ نَعيمي
فهلْ رَحِمْتَ شبابي مِنَ العذابِ الأَليمِ؟!

*****

أيُّ الحياةِ الهنيَّهْ إذا خلتْ منْ حبيبي؟
فكلُّ أُنسِ البريَّهْ يَقْضي عليْهِ لهيبي!

*****

ما الحظُّ إلاّ تَناجٍ ما بيْنَ قلبينِ حبَّا
فالكَوْنُ لهفانُ داجٍ إذا بكى القلبُ قَلْبا!

*****

رُوحي تُعاني وتَشْقى وأنْتَ تَلْهو بظَنٍّ!
أموتُ وَجْداً وحَرْقا فهل تَسَمَّعْتَ أنّي؟!

*****

إرْحَمْ وأَشْفِقْ عليَّ أعْذُرْ وسامِحْ شَبابي!
فكلُّ جاهٍ لَدَيَّ لم يُنْجِني مِنْ عذابي!

لو كان

لَوْ كانَ قلبي اشتفى كانَ الغبينْ
لكنّه ما اكتفى رغْمَ الأنينْ!

*****

ناجاكِ في بُعْدِهِ رَهْنَ العَذابْ
نَجْواكِ في سُهْدِهِ أحلى الثوابْ!

*****

تِيهــــي وصُــــدِّي كه ـــا يَهــــــوَى الجمـــــالْ
رُوحــــي إليــكِ انتمَــــى حتــــــى الخيـــــالْ!

*****

دَوْمـــاً بِفكـــري وذِكـــري والحـــــب دِيـــــنْ
نَبْضـــي وأنفـــاسُ شِـعْري لـــــو تعلمـــــينْ

*****

أشـــكو وقلـــبي الشَّـــكورْ فـــــي أسْـــــرِهِ
أبكـــي ومنـــكِ الشُّـــعورْ فـــــي شـــــعرِهِ

*****

تِيهــــي إذَنْ في البعـــادْ أوْ فـــــــارْحمي
عَيْشـــي حليـــفُ الجِهـــادْ كالمُغْـــــــدَمِ

*****

وأنـــتِ لـــي نِعْمَـــةٌ مهمـــا شَـــقِيتْ
وتَرْكُهـــا نِقمـــةٌ مهْمـــا غَنِيـــتْ

*****

لـــوْ كـــانَ قلـــبي اشـــتفى كـــــانَ الغـــــبينْ
لكنَّـــهُ مـــا اكتفـــى رغـــــمِ الأنـــــينْ!

الطائر التائه

أيهـا الطـائرُ عـن وَكْـرِي الحبيـبِ أيهـا التائـهُ في ليـلِ الغريـبِ
أنـا في بُعـدِكَ في سُـكرٍ وتيـهِ شَدَّ ما ألقـاه من قلـبي السَّفيهِ!
تُظلـم الـدّنيا لعيني حين عيني تخطف الأضـواءَ مـن لـونٍ ولـونِ
وتَـرى في بُعـدِكَ اللَّـذّاتِ وَهْمـا بعدما كانـت تـرى الأوهـامَ نُعْمَـى

أيُّ سِحْرٍ يا حبيبي حالَ حِسِّي فنسيتُ الكونَ بل قلبي ونفسي؟!
أسأل الغفرانَ! ما نفسي إذا ما أصبحَ الكونُ شتاءً وظَلامَا؟!
أيها الطائرُ مَنْ لي بدليلٍ يَنقل الرُّوحَ إلى الرُّوحِ الجميلِ؟
أنا لن أنساكَ مهما غِبتَ عني توأمي بل مُلْتَقَى ديني وفنّي
طُفتُ بالرُّوحِ بدنيايَ جميعَا فإذا بي عُدْتُ مكلوماً صريعا
أيُّ داجٍ غِبتَ فيه يا حبيبي غاب عن ألفِ رقيبٍ ورقيبٍ
حينما لم تَغْلَقْ الدنيا لعشقي حينما لم تُحْجَبْ الأخرى لشوقي؟!
كيف حُجِّبْتَ لحسِّي وخيالي وأنا الطائرُ في دنيا المحالِ؟
أترى أبدعتَ دُنيا من خيالِكْ ساكناً فيها ضنيناً بجمالِكْ؟!
هكذا الأربابُ عُشَّاقُ الخفاءْ والبرايا في دُعاءٍ وشَقاءْ
ـأجزْ لي لحظةً أحيا بها كلُّ نفسٍ بِضعةٌ مِنْ ربِّها!
أو فراقبْ مهجتي بين اشتعالٍ وهي تَفنى في تضاعيفِ الليالي!

عطر الحب

ملأ النسيمُ الجوَّ غيرَ محاسِبِ بنوافحِ النارَنْجِ وهو طبيبي
فاستنشقتْه حبيبتي وتنفسَّتْ بالحبِّ في لطفٍ يضَوْعٍ وطِيبِ
ورنتْ إليَّ بسكرةٍ من عرفهِ فسكرتُ مِنْ عَرفَين سُكرَ حبيبِ
جاد (الربيعُ) فكان مِنْ معناه أن أحيتْ عوارُفها ربيعَ أديبِ
واستنشقتْ أرجَ النسيم بلذةٍ فاستمتعت بشذاً لها كنسيبي
فلثمتُها شُكراً على إسدائها رُوحاً ونُوَّاراً وبُرءَ كئيبِ
فإذا (الطبيعةُ) تَزدهي بغرامنا وتُريق عِطرَ الحبِّ دُون حسيبِ

لقـــاء

(الشاعر والحب)

أعدتِ خُفوقَ القلب مِنْ بَعدِ حرمانِ ... فبدَّدتِ أشجاني، وجدَّدتِ أشجاني
وكنتُ هجرت الحبَّ من بعد غُصَّةٍ ... توالــتْ، فلمــا فُتُّــه عــاد يلقــاني
تَجنّبتُــهُ في كــل حســناء راودتْ ... فــؤادي، فلمــا لُحــتِ أنــتِ تلقّــاني
تَلقَّــى نُزوعــي مثــلَ نــاءٍ بعــودةٍ ... إلى الـوطنِ الغـالي وللأمـلِ الحـاني
وقد شِبتُ من حُزْني وفي الحبِّ يومُه ... كعـامٍ، وحسـبي في التفـرُّقِ عامـانِ
فلمــا التقينــا في لقائــكِ لم أُطــق ... سُلوّاً، وهـل كـان السـلوُّ بإمكـاني؟
لمــن غــيرَه عُمــري وكــلُّ ذخــائري ... وهـل كـان غيرُ الحـبِّ رحمـةَ فنَّان؟
علــى هــذه الــدنيا الوفــاءُ بحســنها ... إذا شــاءت الـدنيا روائـعَ إحسـاني
لتبــذلْ أناشــيدَ الجمــالِ وبَعــدَها ... لتنشـدْ كمـا تهـوى بـدائعَ إتقـاني
عـلى قـدرِ مـنح الحـبِّ أُبـدع فنَّـه ... وهل كان غيرُ الحبِّ مُلهمَ وجداني؟
قـدِمتِ قـدومَ الحـظِّ بعـدَ زوالـهِ ... وكالجنــةِ الفيحــاءِ أثنــاءَ نيرانــي
فيـا جنـةَ المحـروم رُحمـاكِ بعـد مـا ... تعذبتُ في الآلام أضعـافَ حرمـاني
ذريـني أمتِّــعْ في وصــالك مهجــتي ... فينصَـفَ مـني القلـبُ والفـنُّ في آنِ
أخلّــد في فــني جمالَــكِ مثلمــا ... أبدُّ جمالَ الفنِّ في وصفِك السـاني

المســـاء

عُــودي إلى ظِـلِّ المســاءِ فنلتقــي ... رُوحــيْن للــدنيا بغــيرِ رقيــبِ
إلا الهــلالَ وأنجمــاً حنّــتْ لــه ... فتُخَــالُ بــين حبيبــةٍ وحبيــبِ

نمشي على أرضٍ من الأحلام لم تُبْسَطْ لغير الحسْن والتشبيبِ
وتخصّنا الأطيارُ والأشجارُ والـ أزهارُ بالتغريدِ والتطييبِ
فأبثُّكِ النّجْوَى مِن القلبِ الذي كالطفلِ لا يسلو مع التأنيبِ
وأسير لا ندري إلامَ مَسيرُنا ونلوح بين غريبةٍ وغريبِ
في حين نمتلك الوجودَ بأسرِهِ ونسود دونَ مُسَائلٍ وحسيبِ!

باقة السلام

جاءَتْ وفي يدِها العزيزة باقةٌ بَسَمَتْ فكانت للسَّلامِ شِعارَا
فأجبتُ دونَ سؤالها: أيْ مهجتي! حُسْنٌ كحسْنِكِ يأمُرُ الأزْهارَا
لا أنْ تكونَ لهُ الشَّفيعةَ عِند مَنْ يَهْواكِ حتى إنْ قَسَوْتِ جِهارَا
تَكْفيكِ عطفةُ نظرَةٍ يَدْري بها كُنْهَ النَّعيم فيجتليهِ مِرارَا
أقبلتِ مُذنِبَةً وأنتِ مليكةٌ فازْدَدْتِ بالثَّوْبِ الجميلِ فَخَارَا!
هاتي شفاعتَكِ السّنيةَ باقةً مِنْ وجنتَيْكِ وفيكِ تُطفئ نارَا
خَطَّافَةَ الأَبصارِ في استعلائها وببرِّها لي تُذهل الأبصارَا
فأمتِّعُ الوجدانَ مُتْعَةَ عابدٍ وأشُمُّ حينَ أَشِيمُها أسْرارَا
يا باقَةَ الحُسْنِ النضيرِ بعَطْفِهَا مَنْ شَمَّ زَهْرَكِ أنْشدَ الأشْعارَا!

عشق النظرة الأولى

كالنُّورِ في فَجْرِ العليلِ اليائسِ مَرْآكِ بيْن تهافُتي ووساوسي
يا نَظْرة ما كنتُ أحْلُمُ قَبْلَها أنَّ الغرامَ يردُّ بؤسَ البائِسِ

غلبتْ جَميعَ مَشاعري وعواطفي ... وتملكتْ لُبِّي بصولةِ سائِسِ
فتخلَّفَ الضِّدَّانِ: نشْوةُ ظافرٍ ... فَرِحٍ وأُخْرى في لذاذةِ يائسِ
فكأنما قلبي الذي راعَيْتُهُ ... خطفتْه فاتِنَتي بِغَفْلةِ حارسِ!
لكنْ أَبَتْهُ فعادَ يَرْقُبُ عَوْدَها ... مثْلَ الجريح صَبا لِعَطفِ الفارسِ!

الجريح المنسي

جَرَحْتِ بلَحْظِكِ الفتَّانْ ... فؤادَ العاشِقِ الفاني
وكيفَ لمثلهِ السُّلوانْ ... وعندكِ عُمْرُهُ الثاني؟!
يُنادي: آهِ يا قلْبي ... ويأبَى غَيرَكِ الآسي
كذلِكَ شيمَةُ الحُبِّ ... عبادَةُ حُسْنِكِ النَّاسِي!
قَضَيْتُ بِحُرْقتي عُمري ... على الآلامِ في ذِكْرِكْ
وغايةُ مُشْتَهى أجري ... لِقاءُ الطيفِ في فكرِكْ!
فَشِبْتُ بنارِ أحزاني ... ولم تَرْحَمْ مُنَى سِنِّي
ونُحْتُ لطولِ نسياني ... بِجُرْحٍ نائلٍ منِّي
فيا معبودَ أحلامي ... وليتَ الحُلْمَ مِنْ حُلْمِكْ
أطيلي كلَّ آلامي ... إذا ما كُنَّ في عِلمِكْ!

الشك

أكاد متى ألقاكِ والصفوُ غالبي ... أشكُّ بصفوي رغم حُبِّكِ بل أبكي
وما كان وجدي غيرَ فرط سعادتي ... ويا ربما كان اليقينُ من الشكّ

تعوَّدتُ صابَ العيش حتى وجدْتُه حياتي وإنْ آنستُ حُلوَ المنى منكِ
فأصبحتُ في صفوي أنوح بمهجتي وإنْ لم أنحْ ناح السرورُ فأستبكي!

دنيــاي

يا وجهَها إنّ فيك الحسنَ مشتعلاً واللطفَ ممتثلاً والحبَّ مجتمعَا
يا ثغْرَها إنّ فيك النورَ مؤتلقاً والعشقَ محترقاً والسحرَ مطّلعَا
يا شَعرَها إنّ فيكَ الموجَ مضطرباً والليلَ محتجباً والصبحَ ممتنعا
يا صدرَها إنّ فيك الوعْدَ منتهياً والعطفَ مزدهياً والبرَّ متسعا
يا صوتَها إنّ فيك الوحيَ منبثقاً والشعرَ مندفقاً والفنَّ مبتدعا
روائعٌ هي لي الدنيا بأكملها ولن أقيس بها خُلداً وما جَمعا!

قبلة البرتقال

عشقتْ عصيرَ البرتقال فذهَّبت بعصيرِه الناريَّ مِن شفتيها
ومصصتُ أخرى بعد أن جادت بها فاستفتُ حُلوَ غرامها بيديها
حتى إذا لم تبقَ منها نفحةٌ وظللتُ كالظمآنِ عاد إليها
جادتْ عليَّ بقبلةٍ معسولةٍ جمعتْ شهيَّ الخمرِ من حلويْها
فغنمتُ خمرَ البرتقالِ بثغرها وغنمتُ خمرَ الحُبِّ من شفتيها!

أنساك؟!

مــا زلــتِ لــي أحلــى المنــى بــل أنــتِ لــي فــوق المنــى!
يـــا مُهجـــتي لا تجزعـــي يـــا مهجـــتي انـــتِ أنـــا!
أنســـاكِ؟ هـــل يَنســـاكِ مَـــنْ لـــولاكِ لم يـــدرِ الســـنا؟
مـــا كـــان حُبِّـــي هيِّنـــاً إنْ كـــان صـــبري بيِّنـــا
هـــل نعمـــة الـــدنيا ســـوى ذكـــراكِ ذكـــراً يُجتَنَـــى؟
إنْ يغـــنمِ العـــذّالُ تشـــ ـــريدي وراحـــوا بيننـــا
فالقلـــب يـــأبى حُكمهـــم والحـــبُّ ســـلطانٌ لنـــا
دُنيـــاهمو دنيـــا الهـــوا نِ ونحـــنُ أســـيادُ الـــدُّنا!

غناء العاشق

هـل في الحيـاةِ سوى رِضـاكِ حياتي؟ أو في الممـاتِ إذا أردتِ ممـاتي؟
أملي ويأسي! حسرتي وسعادتي! لـو تـأذنين نعمـتُ في حسـراتي
حسبي استماعُكِ لي وحسبي لذةً قُربـي إليـكِ ولـو علـى أنّـاتي
هــذا الغِنــاءُ ومــا بــه مــن لوعــةٍ روحـي مقسَّـمةً علـى نغمـاتي
فــإذا اســتمعتِ إليــهِ صُنتُ لمهجتي عُمْـراً بمـا تُسـدين مِـنْ إنصـات
وإذا أبيتِ سوى العُزوفِ أضعتِها بطريـدةِ الأنغـامِ والآهـاتِ
والنـاسُ تحلـمُ بالجنـان ووعـدِها وأنـا حليـفُ النـار في جنّـاتي
وأحـبُّ هـذي النـارَ لـو لـكِ لـذةٌ فيهـا، وأحسـبُ حُـرقتي كحيـاتي!

بعد الصيف

إضحكي يا رمالْ   مِنْ هديرِ المياهْ
غاب مَلْكُ الخيالْ   وتجلّى سواهْ

*****

ذاك بَحرُ الدموعْ   مِنْ بكاءِ الزمانْ
فهو دوماً مَرُوعْ   مِنْ مَآلِ الهوانْ

*****

كلُّ حسنٍ بَناهْ   بيديْهِ يزولْ
ومِراراً رَثاهْ   وأطالَ العويلْ

*****

إضحكي يا رِمالْ   مِنْ فُتوني العظيمْ
أنا عبدُ الجمالْ   الضريرُ الحكيمْ

*****

جِئتُ أرجو لديكِ   فتنةَ اللاعباتْ
فحنوّي إليكِ   هو للغانياتْ

*****

أينَ أعشاشُهنَّ   الغوالي الحسانْ؟
أين لهوٌ لهنّ   قد حوى الافتتانْ؟

*****

سامحيني إذا ما   عُدتُ عودَ اليتيمْ
أتنزّى سُقامًا   بعد موتِ النسيمْ

*****

سامحي طولَ مُكثي   والتفاتي إليكِ
تلكَ رُوحي ببحثٍ   عن نعيمٍ لديكِ

*****

حيثمـــا قـــد مـــرحْنَ ونقشْـــــنَ الثـــــرى

ثـــم غِـــبنَ ورُحْـــنَ بَعـــدَ أســـرِ الـــورى

*****

ويعـــود الأســـــارَى يســــألون الرمّـــــالْ

في وُلـــوعِ الحيــــارَى عـــن خطـــوط الجمـــالْ

*****

مِثلَهـــا لـــنْ يَضـــيعْ رغـــمَ غـــدرِ السَّـــحابْ

ذاك شِـــعرٌ بـــديعْ خالـــدٌ في كتـــابْ

*****

يقـــرأ الملـــهمونْ في شـــعوري بيانـــهْ

عـــلَّ شِـــعرَ الجُنـــونْ فـــاقَ شِـــعرَ الرزانـــهْ!

وردتـــي

وتمايلـتْ نحـوي فكـدتُ أبوسُـهَا شَـغَفاً وأنشـقُ وردةً في خـدِّهَا

فأبـتْ بخفـةِ طـائرِ متـدلِّلِ ورمـتْ إلـيَّ يتيمـةً مـن وردِهـا

فأبيـتُ تحفتَهـا وإنْ أعززتُهـا وسـألتها مَنحِـي رضـىً من ودِّهـا

فتجاهلـتْ وتسـاءلتْ وتمايلـتْ فغنمـتُ غُـنمَ وصـالِها مـن صدِّها

حتـى اصطلحنا واتّفقنا راضيـاً عـن قُبلـةٍ مـن وردِهـا في بُعـدِها

فلمسـتُ وجنتَهـا بزهرتهـا، ومـا أحلـى الجنـى من خدِّهَا في رَدِّهـا!

فتفتحـتْ وشممتُهـا ولثمتُهـا أوَ لم تـكُ الخُمـران نفحـةَ خـدِّها؟

العذاب المنشود

وقـالوا: تَعـذَّبْ في هواهـا! فإنَّمـا … تُجيـدُ بِشـعرٍ إن بَـرَاكَ هواهـا!
فقلـتُ: حـرامٌ أيُّهـا النـاسُ! إنَّـني … أرى الشِّـعْرَ يَدْعو الشِعْرَ حـين أراهـا!
ومَن لـي سـواها يَجْعَلُ الكَوْن بهجـةً؟ … ومَـنْ مُلْهِمـي الآيـاتِ فيـهِ سـواها
إذا هي لاحتْ صارتْ الأرضُ جنة … وإن هـي غابـتْ لا أطيـقُ لَظاهـا
كـأنَّ جمالَ الكـوْنِ طـوعٌ لحُسـنِها … وفي حُسْـنِها كـلُّ الجمـالِ تنـاهى
فإن هي بانتْ أَوْحَشَ الكونُ بَعْدها … كأَنَّـا عـدمنا في الوجـود إلهـا!
وإنْ هيَ عادتْ أفْعَمَ الكونُ خاطري … نظيمـاً، وأسـقاني الحيـاةَ سـناهَا!
ولاحَ لِلُبِّـي كـلُّ شـيءٍ قصـائداً … منَ الشِّعر حَيَّتْ حُسنها ومُناهـا!

سامحي نظرتي

سـامحي نظرتـي إلى سـاعديْكِ … فافتتـانُ العيـون عَـذْبٌ لـديْكِ
كـلُّ نـورٍ للشَّـمسِ قـد ضـاعَ إلاّ … كَنـزَ نـور صـانته في سـاعديك
خُضِّـبا بـالبَهيِّ مِـنْ شَـفَقِ الشَّمـ … ـسِ ومِـنْ سُـمْرَةٍ حكَـتْ ناظريـكِ
فتأسَّـتْ عمَّـا تبـدَّدَ منهـا … بجمـالٍ يفـيضُ سِـحْراً عليـكِ
ويُمَـلُّ الضِّـياءُ مِـنْ وهَـجِ الشَّمْـ … ـس ومـا خـفَّ شـوقُ رانٍ إليـك!

الزهر القتيل

(وصف الزهر الذابل طي كتاب الحبيبة)

أجريْتِ للزَّهْرِ القتيلِ دُموعي وأثَرْتِ مِنْ قلبي وَفيَّ وُلوعِي
قبَّلْتُهُ وشممْتُهُ وضَمَمْتُهُ وحَنينُهُ مثلي حنينُ رُجوعِ
أرسلتِه طيَّ الكتاب فمات في كنفِ الجمالِ الحاكم المتبوعِ
أودى الفراقُ به، وقد كفَّنتهِ برسالة الحبِّ المثير نزوعي
فوددتُ لو أني القتيلُ مكانَه بيديك... لا أرضى رجاءَ شفيعِ
لم يبقَ منه سوى تحيتك التي فاحتْ كما فاحتْ جنانُ ربيعِ
وكأنما هيَ فيه روحٌ دائمٌ رغمِ الذبول، فمات غيرَ جَزوعِ!
واعتزَّ في الظرف العزيز كأنهُ مَلِكٌ بتابوت السَّنا المطبوعِ!
وكأنما الأحلامُ قدْ زفتّه لي من سالفِ الأجيالِ لا الاسبوعِ!

*****

شُكْراً مُعَذِّبتي وألفَ ضراعةٍ لجمالِكِ الجاني الضمينِ خُضوعي!
مِنْ صَفْوِ وجداني ونَبْع عواطفي مِنْ كلِّ إحساسي ومِنْ مجموعي
أنْسيتِني بالأنْسِ حَولكِ وافراً مِنْ منظَرٍ صاحٍ ومِنْ مسموعِ
وأنا أَئِنُّ بغُرْبتي في حَسْرةٍ وتعاسةِ المحرُومِ والمفجوعِ
حتى ذَكرتِ شقاوَتي فبعثْتِ لي هذا! العزاءَ لقلبيَ المصدُوعِ
مَنْ ذا الذي جعلَ الضحيّةَ سُلْوَةً إلاّكِ، والإرْضاءَ نثْرَ دُموعي؟!

شم النسيم

(إلى الحبيب الهاجر)

أهلاً (بشَمِّ النَّسيمِ) يَطيبُ في ذِكْراكْ
كأنما هو رُوحٌ نشَرْتَها مِنْ هواكْ!
ففاحَ منها (الرَّبيعُ) وجُدِّدَ الكَوْنُ طُرًّا
ورَفَّ قلبي سُروراً كأنما حال زَهْرَا
أوْ إنما بَعَثْتَهُ ذِكْرى صُعودِ (المسيحْ)
وجُدْتَ أنْتَ بِعَطْفٍ أحيي الشهيدَ الجريحْ!
وأوقدُوا النَّارَ فيهِ و (الفجرُ يرْنو لناري)
حتى الإلهُ (بتاحٌ) رأى بها أشعاري!
يومٌ بهِ تَتَباهى مواكِبُ الشُّبّانِ
تستقْبلُ الصَّفْوَ حُبّاً في النهْرِ والبستانِ
وما تباشيرُ عيدي وغَرْسُ هذا (الرَّبيعْ)
إلا حنانُ فؤادي إلى سَناكَ البديعْ!
عيدٌ لأبناءِ (مِصرَ) مُؤَصَّلٌ في قرونْ
وعيدُ قلبي المرَجِّي مَنْ خَصَّني بالفتونْ!
فكلُّ (شمٍّ نسيمٍ) وأنتَ تقطفُ السنا
لم أَسْلُ أنْسَك فيهِ هيهاتَ أُنْسُكَ يُنْسَى

خمر الطبيعة

أنْصَفْتِ.. ما خمرُ (الطبيعَةِ) إن جَدَتْ | إلاَّكِ حينَ الماءُ بَينَ يَديْكِ!
هاتيهِ يَرْوي غُلّةَ الصَّبِّ الذي | يُحْييهِ لَثْمُ الحبِّ في كفَّيْكِ
وأنا الجريحُ، وللجريحِ إذا هَوَى | حَقٌّ منَ الإشْفاقِ ريمَ لديْكِ
ضَمَئِي إلى هذا النَّميرِ وقدْ جَرَى | لَحْنُ الغديرِ بما يَطيبُ إليكِ
ظَمأ الصَّريع، وقدْ تمثَّلَ حُبَّهُ | في الماءِ، فاسْتَجْلى بهِ شفتيْكِ!

*****

فَتَبَسَّمَتْ وأبَتْ!... ولكنْ قبَّلَتْ | ثغْري كشَهْدٍ بثَّ عِطْرَ لِلَيْلَكِ[1]
فافَقْتُ مِنْ حُلْمي الشَّهيِّ مقبِّلاً | خدَّيْكِ، ثمَّ مُداعِباً عينيْكِ!
لم أدْرِ أيُّهُما الأَحَبُّ: أيقظةٌ | أمْ ذلكَ الحُلْمُ المُطِلُّ عليْكِ؟!
فكلاهُما حُلْمُ الجِنانِ، فحَقّقي | وَعْدَ الجِنانِ، فمهجتي بيدَيْكِ!

قيثاري

قد حطَّمَ الدَّهرُ قيثاري فما تركتْ | أَحداثُه غيرَ فردٍ بين أوتاري
فيا فؤادي تشجَّعْ ولتذبْ نَغَماً | فيهِ الوداعُ لدنيا الحربِ والثارِ
عِشْتَ المُرَجَّى لِفنٍّ فَلْتَمتْ مثلاً | للفنِّ ما دمتَ في الحالين قيثاري
وربما آهةٌ أرسلتَها وَلَهاً | تفرَّدتْ بحياةٍ بين أشعاري
يا خافقاً بمعانٍ كلُّها شجَنٌ | هوِّنْ عليكَ وبُحْ حُرّاً بأسراري
فيم التكتمُ والأيامُ قد نفدتْ | وما بقاياكَ إلاَّ بعضُ آثارِ؟

---

[1] الليلك: Lilac: هو الزهر المعروف بين العامة بالعلى.

كأنّ صدري غدا لحْداً أضمّنه ذكرى السنين وأَحلامي وأوطاري!

يناشد الفنُّ ما أحسستَ من تلفٍ فالفنّ غيرُ رحيم، غيرُ صبَّارِ

فنُحْ إذنْ غيرَ هيَّابٍ ولا وجِلِ لكنْ نواحَ جريحٍ خَلْفَ أسوارِ

مهما تألم والآلامُ تُنطقه تلقاه يُزري بأصفارٍ وأحجارِ

الصدى

يا مَنْ إليها حَنيني ومَنْ لديها حياتي

ومَنْ نَأتْ وهي تدْري ولستُ أدرِي شَكاتي!

أصبحتُ مثل طريدٍ مشرَّدٍ في الفَلاةِ

أو كالصَّدَى من غناءٍ حياتُه كالمماتِ

أو كالحباب لخمرٍ يَضيع بين السُّقاة

أو كالشّذى في نسيمٍ والزَّهرُ غيرُ مؤاتي

كم نِلْتُ عَطفاً وحُبّاً من الهُواةِ الرُّواةِ

ولم أذقْ غيرَ وجدي وغيرَ حرمان ذاتي

ما للصدى من وُجودٍ إلاّ كإشفاقِ عاتِ

إذا نأيتِ فذاتي وهمٌ ووهمٌ حياتي

متعة العذاب

بَدَّدْتُ آهاتي ونثرَ دُموعي ورضيتُ نارَ فؤاديَ المفجوعِ

وصدفتُ عن قلقِ النَّسيم للوعتي وعن الرياضِ تشبّثتْ برجوعي

وعـن المبـاهِجِ في الطبيعـة كلـها … حـين الطبيعـةُ روعـتي وخشـوعي
واشـتقتُ تعـذيبي كـأنّ تَبتُّلـي … هـذا العـذابُ وللشـقاء نُزوعـي
خلّـي صـدودَكِ يسـتطيل فإنمـا … أحيـا حيـاةَ مكفّـرٍ مفـزوعِ
قـد مضَّـه الحرمـانُ إلاّ شـعلةً … تُـذكي لهيـبَ الشـاعرِ المطبـوعِ
فيـذوب في الشعرِ الحـزينِ فـؤادُه … ويضـوعُ بـين تَحَـرُّقٍ وولـوعِ
فيعـيش بالوجـد الألـيم كأنمـا … هـذا العنـاءُ لـه دواء الجـوعِ
الحسـنُ إنْ فـات الحيـاةَ فـإثْرُهُ … ظُلَـمٌ، ومـا المطبـوعُ كالمصـنوعِ
ما قيمةُ الذكرى؟ وهل يُغني المُنَى … عن شمسـها نـورٌ كنـوعِ شُـموعِ؟!
أصبحتُ أسترضي العذابَ كأنني … أخشى وصالَكِ بعد طول هجوعي
أفنَى يسـامرني الشـقاءُ ولم أجد … غـيرَ الشـقاءِ مجففـاً لـدموعي!

العائــدة

يـا صـورةً عـادت فـؤادي العليـلْ … هـل يخدع الطبُّ ويـأبى الجميلْ؟
مَـنْ مُبلـغُ الحسـنَ – وفي بُعـده … نـاري – حـلالٌ لـه أن ينيـلْ؟
يـا هـاجراً- يحسـب في هجـره … طبِّي ونفعي – قـد عـداك الدليلْ
هـذا دوائـي مِـن جَنـاكَ الـذي … حرَّمْتـه حتـى غـدا المسـتحيلْ
مـا لـي سـواه، فـالهوى نفحـةٌ … للـروح، لا صـورةُ وجـه جميـلْ
هـل يجمـع الفـنُّ بإعجـازه … مـا أنـت مِـنْ فـن عزيـزٍ نبيـلْ
أرسـلتَ لـي الظـلَّ فمن لـي غـداً … بالخلـد مِنْ عَطْفِـكَ، فهـو الظّليلْ؟
لا حُرقـةُ النـارِ بهجـري، وكـم … تَستصـغر النـارَ بقلـبي العليـلْ!

تتساءلين؟

تتساءلين متى يكون وداعُنا؟ ... أترحِّبين إذن بيوم وداعي؟!
لا تُظهري ألمَ الحزينةِ للنوى ... ودَعي الشجون لقلبيَ الملتاعِ
ماذا أبحتِ؟ وما الذي ظفرتْ به ... روحي بقربك غير خطف شعاعِ؟
فضلٌ عليَّ، ولم أصنه فإنه ... قد سار في شعري ونفح يراعي
غَنِمَ الّذينَ ترنَّموا بتأوُّهي ... وبَقيتُ في شجني وفي أوجاعي!

*****

تتساءلينَ؟.. أما اكتفيت بأنني ... أبكي وأضحك في خيال الناعي؟!
أبكي جُنوحَ الحظ عني دائماً ... والحظُ يبسم لي بغير قناعِ
علَّمتهِ هذا التقلبَ جانباً ... والسخرَ من حرَقي ومن أطماعي
وكأنما الحرمانُ خصب عواطفي ... وكأنما الآلام من إبداعي!

*****

تتساءلين؟.. فأيُّ أنسٍ فاتنٍ ... أسدَيتِ مُشفقةً على إشعاعي؟
أغويتِ أحلامي وغِبت قريرةً ... ورجعتِ أبيةً وراء قلاعِ!
وغنمتِ تسليمي بلا شرط ولا ... قيدٍ وما قدَّرتِ نُبلَ دفاعي!
ومدحتني مدْحاً رضيتُ نقيضَه ... لو صان لي قلباً رهينَ ضياعِ!
وتركتِني المهزومَ والمحرومَ والـ ... ـمكلومَ في أرَقٍ وفي استسماعِ
وبخلتِ حتى بالعناق لعلني ... أمضي الضحيةَ في سرور الواعي
وزعمتِ أنكِ لي! فما أقساه لي ... عطفاً وما أحلاه في الأسماعِ!
وقضى دلالُك أن أغَصَّ بقبلة ... وأنا الشجاعُ فكنتُ غير شجاعِ!

*****

تتساءلين متى يكون وداعنا؟ ... أترحِّبين إذنْ بيوم وداعي؟!

عاصفة الربيع

ضَنَّتِ الشمسُ بألوانِ الربيعِ أم كبا النُورُ كحظّي بدموعي؟
عصفَ الجَوُّ بلفحٍ من ضِرامِ وعجاجٍ كشقائي في غرامِي
أتراهُ مِنْ زفيرٍ وأنينْ سوف يمضي كعذابِ العاشقينْ
ويَعودُ الجوُّ أصْفَى ما يكونْ كصفاءِ الحبِّ مِنْ بعد الجنونْ؟!
ضَنَّتِ الشمسُ وكم ضنَّتْ وضَنَّتْ حينما أنفاسِيَ الحيْرَى تمنَّتْ
ضَنَّتِ الشمسُ وكم للشمس بُخلُ بينما يستبعد الحِرْمانَ عَقلُ
وكذاك الحُسْنُ في البُخْل عجيبْ حينما الحُسْنُ غِذاءٌ للقلوبْ
مَنْ تُرَى يَرْعى هواها ومُناهَا وهي تَفْنى في تناسِي مَنْ بَراها؟!
أكذا في النُّور يَغشانا الظلامْ ونُعاني في حِمى الطبِّ السَّقامْ
أيُّ معنىً لربيعٍ فيه نَشْقَى ونذوق الحبَّ إرهاقاً ورِقًّا؟
يا حياتي كيف ترضين البعادْ في أوانِ الحبِّ حتى للجمادْ؟!
أعرفتِ الهجرَ مِنْ هذي (الطبيعهْ) أم تلقّتْ عنك ما أضحت مُذيعَهْ؟!
ابْسِمي يا ربَّتي يَبْسِمْ وُجودْ كلُّ ما فيه جُحودٌ في جُحودْ
ما زفيرُ النارِ في هذي الجِنَانْ وبها الإحسانُ مِنْ طبْع الحِسانْ؟!
إنها سُخْرٌ من الدنيا بِقلبي بعدَ ما عذَّبْتِه من أجلِ حُبِّي
أقبلي فالطيرُ نادَى إلفَهُ ثمَّ ألقى كلُّ عانٍ خوفَهُ
وتَخلَّى عن مآسِيهِ اليتيمْ وتَبنَّاه ضِياءٌ ونَسيمْ
واستعدَّ الكونُ للعُرْسِ الجديدْ فإذا بالعُرْسِ مأساةُ الوحيدْ
آهِ مما يَصْدَعُ المهجورَ آهِ بينما الدَّهْرُ بسُخْرٍ مُتَنَاهِ
نُلاقِي الصَّيْفَ إبَّانَ الرَّبيعْ ويُعادَى حينما عزَّ الشَّفيعْ
وإذا الإعْصَارُ أدْنَى ما يُلاقي وإذا الإظلامُ عنوانُ الفِراقِ!

دُميتـــي

دُميــةَ الطفــلِ ومعبــودَ الكـبيرْ ومَــلاذي كلّمــا خــانَ الزَّمــانْ
كيـف بَدّدتِ مُنَـى القلْـبِ الكسـيرْ بعــدما أسْــقَيْتِهِ حُلــوَ الأمــانْ؟

* * * * *

آهِ مـن دُنيـا مَشَـى فيهـا العُقُـوقْ وتجَنَّــى فيِ تصــاريفِ الجمــالْ
أصبح الخصـمُ بهـا مثـلَ الشـقيقْ وغـدا المحسـوسُ فيهـا كالخيـالْ!

* * * * *

كنـتِ لـي الـدُّنيا وأُخـرايَ معـاً لم تَعُـدْ دنيـا ولا أخـرى لـدَيَّ
كلمــا الــذكرى أهاجـتْ مَـدْمَعاً أحــرقَ الــدَّمعُ ونــاري شـفَتَيَّ!

* * * * *

آهِ مــن ظُلْــمِ الهَـوَى للتَّابعيــهْ عُوقِبــوا منــه ومــن أعدائــهِ
شُـرِّدوا فيِ الـدَّهرِ تشـريدَ السَّفيهْ وتَسَــلَّى الحــبُّ في غُلْوائــهِ!

* * * * *

قِــبلتي فيِ القُــرْبِ والبُعــدِ وفيِ أيِّ مَثْــوىً وزمــانٍ لصــلاتي!
ضَـلَّ مَـنْ يحسـب إيمـاني الخفِـي هــو مــا أُبديــهِ مــن سَلْوى حَيـاتي

* * * * *

لم يَعُـدْ لَحْظـي يُـوافيِ مِسْـمَعِي لا ولا قلــبي يــوافيِ خــاطري
نَضَــبَ النَّبــعُ فأقصــى مَطمعــي رَحمــةُ المــوتِ وقــبرُ الشــاعرِ!

المثـــال

أتَــتْ في وفـــاء الجمـــالِ النبيـــلْ
تُحيِّـــــي العليـــــلْ
بلحـــــظٍ كحيـــــلْ
وثغـــــرٍ جميـــــلْ
وعطـــفِ الخليلـــةِ نحـــو الخليـــلْ
بـــــرغمِ الزمـــــانِ
ولكنهـــا أقســـمتْ أن تـــدومْ
كزهـــــرٍ كتـــــومْ
لعطـــــرٍ نـــــؤومْ
فطـــــال الوُجـــــومْ
وعـــادت تبـــدِّد هـــذي الغيـــومْ
بنـــــورِ الأمـــــاني
دعـــتني لأعلـــنَ عـــن ســـرِّ فنِّـــي
بشِـــــعرِ التغنِّـــــي
وحُلـــ ـوِ التمنِّـــــي
ومـــــا نمَّ عنِّـــــي
مـــن الحـــبِّ في كـــلِّ نظـــمٍ أغـــنِّ
كشـــعرِ (ابـــن هـــاني)
وشـــجَّعَها مـــن هـــوايَ ابتســـامي

ونجـــوى غرامـــي

فـــزادت هيـــامي

بعـــذبِ الكـــلام

وجـــادت بـــرأيٍ كـــنفح المـــدام

لصـــبٍّ يعـــاني

دعـــتني لأرسمَهـــا في نظيمـــي

بـــروحٍ وســـيمٍ

ولفـــظٍ ســـليمٍ

ووصـــفٍ كـــريمٍ

وقالـــت: "ســـأجعل هـــذا نـــديمي

وأيَ افتتـــــاني!"

فهـــزَّتْ فـــؤادي بلحـــنٍ جديـــدْ

ومعنـــىً فريـــدْ

لقلـــبي العميـــدْ

فكـــان الســـعيدْ

وقلـــتُ لهـــا: "يـــا إلهـــي الوحيـــدْ

وأشـــهى جِنـــاني!

"أينصـــفُ حســـنَك وحـــيُ الخيـــالْ

وأنـــتِ (المثـــالْ)

وأنـــتِ الجـــلالْ

وأنـــتِ الجمـــالْ

ألا فـــانزعي الثـــوبَ قبـــلَ الـــدلالْ

فيحيـــا افتنـــاني!"

فأزعَجَهَـــا مـــن غَرامـــي ســـؤالي

كـــأنّي المغـــالي

برســـم الجمـــالِ

العزيـــزِ المنـــالِ

ألـــيس المصـــوِّر في مثـــلِ حـــالي

بصـــيرِ المعـــاني؟!

وعـــادتْ إلى البشـــرِ بشـــرِ الحبيـــبْ

بجســـمٍ رطيـــبْ

فـــلاح الأديـــبْ

وراح الأريـــبْ

فقبَّلـــتُ (فينـــوسَ) شِـــعراً يطيـــبْ

كوقـــع المثـــاني!

الحنين

هـــدأةَ الليـــل جَرَحْـــتِ لـــي فـــؤاداً كلّمـــا التـــامَ تَصَـــبَّاهُ الخيـــالْ

كـــان لا يعـــرف في الـــدنيا حِـــداداً لا، ولا يعـــرف معنـــىً للمُحَـــالْ

*****

كـــانَ يَســـتوحيك ألـــوانَ التَّنـــاجي كيـــف أصـــبحتِ لـــه ضوضـــاءَ هَـــمٍّ؟

يلمـــح النـــارَ بـــأفقٍ فيــكِ داجٍ		وضـحايا الحُـبِّ مِن صدقٍ ووهـمِ!

*****

أيـن شِـعْرٌ كـان مِنْ قلـبي يُغَنِّـي		ويُغنِّيــــه علـــى قلـــبي النسـيمْ

مـات كالضـوء فـلا مَبْنـى ومعنَـى		لفـــؤادٍ يُحْــرَمُ الحسـنَ الــرَّحيمْ

*****

يخطف الذكرى خيالي مِنْ سماءٍ		حلَّقــتْ فيهـا وجـافتني وعـادتْ

فــيرى الـذكرى فــؤاداً في دمــاءٍ		ليتها في هجريَ القاسـي تمادتْ!

أتمرضيــــن

أتمرضـين؟ فهل لا يخجل المرضُ		أتُحجـبين؟ فمـن للحُسـنِ يُعلنُـهُ

ومَن يداوي همـوم النـاس في نظرٍ		وينشــر (الحــبَّ) جـذاباً تفنُّنـه

حُجبتِ يا مهجتي عمَّنْ وفَى فأبتْ		عينـايَ صـفواً سـوى عينيكِ يفتنـه

ورحتُ أشْوَقَ مُشتاقٍ فما سَمحتْ		دنيـــاه إلاّ بحرمـــانٍ يجننــــه

أطوف حَولك في بيتٍ سُجنتِ بـه		كمـا يطوفُ حيال السكر مدمنـه!

فــلا أفـوز بكـأسٍ مــن مرنَّحـةٍ		ويُحـــرَم القلـــبُ إلاّ مـــا يؤبِّنـــه!

واهـاً على زمنٍ في البعد ضاعَ سدىً		وزاد سُـقم فـؤادي حـين يحزنـه

من يستطيع افتقاد الشمس غائبة؟		وأيُّ نبــتٍ زكـا والليــل يدفنـــه؟

ولـو بروحـي وهبتُ الروحَ مغتبطاً		فصــحَّةُ العاشـق الولهـان تغبنـه

عـودي! تعـافي وحيّيني أعُدْ مثلاً		للبعـث في الحـب: إعجازاً يكوِّنـه!

أنـا العليلُ شـبيه الميتِ من جزعي		والـدهر يحسـده جهـلاً ويطعنـه!

ولـيس غيركِ يدري بي فيرحمني		ويـدرك الشـوقَ في نفسـي فيعلنـه

يا سلوة الروح

يا سلوةَ الرّوح هل للروحِ مِنْ أملٍ إنْ غبتِ عنها بأخراها ودنياها!
لم تحمد العيش إلاّ حينما عرفتْ فيك الألوهةَ فاستافتْ حُميَّاها!
فانْ نأيتِ فما هذا الخلودُ لها شيءٌ، وإن عُدْتِ عاد الخلدُ يرعاها
ولن تموتَ إذا آثرتِ جيرَتها فإن رحلتِ فخلّي الكونَ ينعاها!
عُودي تَعُدْ رحمةٌ لله سابغة ونضرةٌ نعَّمتْ بالحبّ أسراها
عُودي فما حَرقَةُ الذكرى بآسيةٍ وأيُّ سلوى لروحٍ أنتِ ذكراها!

التقديس

أنّى رأيتُكِ رفَّ القَلبُ مِنْ شغَف وحاصرَ الحسنَ في تقديسكِ الأمَلُ
جِسمٌ من النُّور تنبثّ الحياةُ به ومنه للناسِ ألواناً وتشتعلُ
لو كانَ لي حَظُّ تقبيلٍ لما قنعتْ رُوحي بما ألِفَ العُبَّادُ أو أمَلُوا
وكنتُ أغزوهُ تقبيلاً وأُنْهِكُهُ رَشْفاً كما يتمادى الطائِشُ الثَّمِلُ
حتى أراه طعيناً كلُّه وبهِ مِن الغرامِ جِراحٌ كلُّها قُبَلُ
هذا هو الحبُّ تقديساً لعارفهِ هذا هو الفنُّ يُستَهْوَى ويُحْتَمَلُ!

أغاني الصيف

عُودي أغاني الصيف واستبقي الهوى في بثّ آمالٍ وبعثِ أديبِ
مضتِ الشهورُ عليه يرقب عودةً لحنانِ (أفروديت) بعد مَغيبِ

غسلتْ بباسمةِ الأشعةِ جسمَها وتعطرتْ بتغزلي ونسيبي
وتخطرتْ بين الأزاهر شُعلةً للحسن وهي تلجُّ في تعذيبي
فالجوُّ فاض حرارةً وتأَنُّفاً والزهرُ في ظمأ كقلبِ حبيبِ
وإذا النسيم سُكونُه من رهبةٍ وإذا مَجالُ الحبِّ جِدُّ رهيبِ
أنّى مشيتُ - وفي الرياضِ عبيرُها ومحبتي ودلالُها ووجيبي -
رقصتْ أمامي في الظلال ونورُها أطيافُها بمشوّقٍ وعجيبِ
والناسُ تشكو الصيفَ وهو لمهجتي عيدٌ من الأعياد غيرُ مريبِ
فإذا الطبيعة فيه بين سذاجةٍ معسولةٍ وسعادةٍ لكئيبِ
لبست أفانينَ النثّارِ وإنما شفّتْ ولم تبخل مع التحجيبِ
بسطتْ بساط الحبِّ بين رعايةٍ وأبتْ قيودَ الأسر رغم رقيبِ
فوهبتها قلبي الذي ما عابها يوماً ودان لها بأكرم طيبِ
واستمرأ الدنيا لأجل نَوالِها في حاليْ الهجران والتقريبِ
عودي أغاني الصيف واستبقي الهوى في بثّ آمالٍ وبعثِ أديبِ

عيد الربيع

الآن يهتفُ بالنشيدِ غرامي ويرفّ في حُلَلٍ من الأنغامِ
ويُقبّل الأرضَ التي جادتْ له بالحسن فتّاناً وبالإلهامِ
نجَمتْ حشائشُها بوشي ربيعها وزهت براعمُها بنورِ سلامِ
مِن كلّ ما تهبُ الحياةُ لسائلٍ عطفَ الجمالِ وكلِّ لبٍّ ظامي
فاح الأريجُ فأيُّ قلبٍ لم يثبْ؟ وبدا الشعاعُ فمن ترى المتعامي؟

(فينوسُ) مرَّتْ كالبشير فأنجبتْ
هذا الربيعَ ومُلْكَه المتسامي

هذى مَفَاتنُها بكلِّ صباحةٍ
طُبعتْ على الأرواحِ والأفهامِ

مرتْ بموكبها فلم تترك سوى
حُلْمِ الخلودِ سما عن الأحلامِ

دَعْني أثبْ وثبَ الصغير مناجياً
ما حفَّني، وأجِزْ صلاة غرامي

عِيدٌ له الأرواحُ تسكب حُبَّها
ويفيض بالإحسان كلُّ مقامِ

هفوة

ولمَّا تلاقينا وصارحتُهَا المنى
وجادت على حُبِّي بوعدٍ مؤكَّدِ

مضيتُ كأني أملك الكونَ مُفرداً
وإنْ صفرتْ كَفِّي وإنْ عطُلتْ يدي

وأن أوانُ الوعدِ فاحتلتُ ضاحياً
سعيداً وقلبي في رجاءٍ مردَّدِ

فأعلنتِ الأقدارُ أني غباوةً
ضللتُ مكان الوعد بل وقتَ موعدي

فوالهفي للحظِّ تُفنيه هفوةٌ
وواحَرقي للنار في موعدٍ ندي!

جرى الدمعُ من عينيَّ قبل تلهفي
سروراً فحال الدمعُ حسرةَ موجَدِ

ولم أرض عذر الدهر حتى عرفتها
كأني ضمنت السعدَ في اليوم والغدِ

فلما بلغتُ الحظَّ من محضِ وعدها
وأمَّلتُ منِ دهري الذي لم أعوَّدِ

تبدَّدَ حُلمي بينِ هَفوةِ خاطري
وهفوة دهري مثل روحي المبدَّدِ!

الرســـول

بشـراكَ يـا قلـبُ! هـذا خطُّهـا فـأعِدْ
نشـيدَ خفقِـكَ في حـبٍّ وفي طـربِ

لا تشكُ من هجرها من بعد ما عطفت
مَنْ يغنم الخمر لم يسألْ عن الحَببِ

وذاك إنشـاؤها يـا عـينُ فـابتهجي
بكـل حسـنٍ طريـفٍ نـافحٍ أدبـي

لا تـذكري الـدمعَ في شـكواك باكيـةً
مـن ظُلمـةٍ بعـدَ نـورٍ غـيرِ مغـتربِ

وتلـك ألفاظُهـا الفيحـاء عابقـة
للشـمِّ واللـثم في تشـويقها العجـبِ!

فاستدتعي يا حواسَ النفس راضية
بمـا تمنيـتِ بعـد الوجـدِ والوصَـبِ

وا فَرْحَتي بعـد يـأسٍ بـالغٍ وأسـىً
شـعرتُ أنـي بـه أصْلَـى علـى لهـبِ

فعـدتُ للجنـةِ الغنـاء في أملـي
فكيف بي حين ألقى الحسنَ في طربي؟!

غـزلي

يـا بهجـةً لفـؤادي مـلءَ حسـرتهِ
مَنْ لـي سـواكِ علـى نُعمـاه يؤتَمَنُ؟

تعـوَّدَ الحـزنَ حتـى صـار يُطربُـه
مـا دام منـك لـه في حزنـه الشـجنُ

مرت سنونٌ وقد مرتْ، وما برِحَتْ
رُوحـي سـناك، فقلـبي فيـك مـرتَهنُ

مـا أعـذبَ الألمَ المحيـي ليالينـا
بالـذكر، لا البعـد يمحوهـا ولا الـزمنُ!

فمـا اشـتهيتُ جمـالاً لا أراكِ بـه
فكـلُّ حسـنٍ بـه إبـداعُكِ الحسـنُ

نيفٌ وعشرون عاماً منذ أن عرفتْ
رُوحـي بانـك لـي ديـنٌ ولـي وطـنُ

ولا يـزال نشـيدي فيـكِ يـا أملـي
فالصبُّ رغـم هـوانِ الحـبِّ لا يهـنُ

يتلـو غرامـي بشِعري عاشـقٌ غـزلٌ
يظـن أن نعـيمَ الحـبِّ لـي ثمـنُ

وآخـرٌ لـيسَ تكْفيـه حرارتـه
كأنمـا لم تثـر في طيّـه الإِحَـنُ

وشاعرٌ مشفقٌ يدري – كما عرفت عواطفي – شعرَ من عانوا ومن غُبِنُوا!
وكلهم ليس يدري – رغمَ فطنته – ما يضمر اللفظ بل ما يفضح العلَنُ!
فلا (كُثَيرُ) ولا نجوى (جميلٍ) ولا شِعرُ المحبة طرّاً فيه ما أزنُ!
عبادتي أنتِ أنواعٌ مَظاهرها وكم معانٍ لها قد فاتها الفَطِنُ!
وسوف أمضي لقبري لا أبوح بها إلاّ لخلّين: هذا الطيرُ والفنَنُ!
ويعرف الحبُّ في قبري رفات هوىً حين الرفاتُ نظيمٌ صانه الكفنُ!

القيثارة في المساء

"أعدْ ذلك اللحنَ الذي قد بعثتَهُ كسهمٍ إلى قلب يخاف عليهِ
أعِدْ! إن تكرار العذابِ لذاذة كتوديعِ مَنْ أهوى على شفتيهِ
أعِدْ وتفنن جارحاً ثم آسياً لك النغمُ المحيي القتيل لديهِ
حنانٌ يردّ الرُّوحَ واللبُّ حالمٌ بل الروحُ هذا اللحن رقَّ إليهِ
أعِدْ يا نديمي مرجِعاً سالف الهوى ليرقص هذا القلب بين يديهِ!"

*****

فرجَّع ألحانَ الشباب وأنسه بعزفٍ به عزَّ الغرام وتاها
ومال على أوتاره ميلَ قلبه فذابَ على أوتاره وتناهى
إلى أن غدا في العازف (الحبُّ) ماثلاً إلى أن سما حُسناً فكان إلها
فكانت كصوفيٍّ تناهى عبادةً إليه، وناجته فقبَّل فاها!

هبيني قبلة

هبـــيني قُبلـــةً أحَيـــا زمانـــا   بنفحتهـا... ألـيس العمـرُ منـكِ؟
إذا التقـتْ الشـفاهُ بهـا تلاقـت   بأســرار الألوهـــة مـــن لـــدنكِ
وندَّتْ لــي رجـاءَ الحـبِّ حتـى   رشـفتُ بهـا رجـاء الخلـد عنـكِ
وأقـبس نارَهـا نـوراً لقلـبي   وأنهـل لطفَهـا ديـني وشـكي
نأيـتِ فمـا عرفـتُ الأنـسَ أنسـاً   وكـان الزهـرُ لمَّـا بنـتِ شـوكي
وأنظـــر للملاحـــةِ في دمـــوعٍ   بوجـدانِ اليتـيم بكـى فيُبكـي
عشـقتُكِ في الوِصَـالِ وفي التجافي   فطـاب لـيَ التـنعُّمُ والتشـكّي
فمـن لـي أن أراكِ، ولـو بعمـري   أراكِ، لبرهـــةٍ تحيـــي لـــديك
فـأغنم منـك عيشـي مـن جديـد   بثغـري الباسـم الحـاني عليـك
وحـين أعـود للـدنيا سـعيداً   أودِّعهـــا قريـــراً في يـــديك
على نغـمٍ مـن القـبلات أحلـى   مـن النسـمات في لـثم اللَّيْـكِ[1]
فمـا قتـل الغـرام سـوى عـزاء   ومـا سـفك الهوى روحـي بسـفك!

---

[1] الليلك: هو الليلع أو الليلق أو الليلج بالفارسية.

فوق العباب

الطبعة الأولى

(يناير ١٩٣٥)

أحمد زكي أبو شادي

إهــــداءُ الدّيــوَان

إلى الغائـبِ المحجـوبِ من عـالَمِ الثَّرَى إلى مَنشـأ الـدُّنيا إلى مُنتهـى الـورَى
إلى ذلـك الطَّلْـقِ الفضــاء الـذي بـه تَبَعْثَـرَ مِـنْ حُلْـمِ العُلَـى مـا تَبعثـرَا
إلى هــذه الأجـرامِ تمضــي سـريعةً وفي إثرِهــا الفكــرُ الجـريءُ تَعَثَّــرَا
إلى هــذه الأنــوارِ جــازتْ سَـفينُها ملايـينَ مِنْ بَحْرِ السنينِ الذي جرى[1]
إلى كـلِّ مــا صــانَ الوجـودَ وهَـدَّهُ وجَدَّدَهُ أضـعافَ أضـعافِ ما نَـرى
إلى الحـبِّ رُوحِ الكونِ أهـدي عبادتي وأنشرُها شِعراً صـريحاً ومُضْمَرَا
بَعثْــتُ بــهِ فــوقَ العُبــابِ عواطفــاً تَثُــورُ فثــارَ المــوجُ حتــى تَنَثَّــرَا!

أبو شادي

---

[1] إشارة إلى ظاهرة امتداد الكون بسرعة عظيمة.

العام الجديد

(عام الأزمات)

فَتــى الــدَّهر في أيِّ وَهْــمٍ وُلِــدْتَ   وقــد مــاتَ أهلــوكَ لَمَّــا وُلِــدْتَ؟
ومــا لــي أراكَ لقيطــاً علــيلاً   فــلا الأهــلُ تَلقــى ولم تَلْــقَ بَيْتَــا
شــريداً علــى مَــتْنِ هــذا العُبــابِ   وكَــم فوقَــه يَلفــظُ الــدهرُ مَــوْتَى!
يضــجّ لطلعتــهِ العــالمونَ   كــأنّ بهــا مــن أذى الــدهر مَوْتَــا
أتُنسَــبُ أنــت لهــذا الزمــانِ   وقــد شمــل البــؤسُ حيَّــاً وميتَــا؟
فــلا مَرْحباً بــكَ يــا ابــنَ الضــلالِ!   لقــد جئتنَــا اليــومَ مِــن غيــرِ مَــأتى
كــأنّ الإلــهَ الحكــيمَ القــديرَ   أبــى أن تُعَــدَّ حيــاة فمُــتَّ
فــنحن نعــيش بغــير الزمــانِ   لــذلك لا يُسْــمِعُ الحــقُّ صَــوْتَا
وأعجَــبُ مِــنْ كــلِّ فَوْضَــى الحيــاة   نفــوسٌ تــرى العــيشَ وَهمــاً وثَبْتَــا!

فوق العباب

غَنِّــي الصــبابةَ والألمْ   فهمــا النهايــةُ للــنَّغَمْ
مــا زلــتُ عُمــري كلــه   حــيرانَ أُصــغي في الظُّلَــمْ
وأنــا القصــيُّ مــن النشيــ   ــيدِ، علــى هــوىً، وعلــى نهَــمْ
نَغَــمُ الخلــودِ مــن الألُــو   هــةِ فــوق ثغــركِ يَبتســمْ
تتبسّــمين بــه ولا   نلقــاه إلا كــالحُلُمْ
لا يســتحيل إلى غنــا   ءٍ بــل يعــفّ عــن الكَلِــمْ
هــو صــوتُ خــلاّقِ الحيــا   ةِ كنــوره فــوق السُّــدُمْ

بـــااللمحِ أسمعُـــــه وألـــــــ ـــــحظُه جمـــالاً يـــزدحمْ
وكـــأنني الأعشـــى الأصــمُّ فـــلا ضـــياءَ ولا نغـــمْ
إلا خـــــــواطرهنَّ أبْـــــــــ ـــــهى مِـــنْ جمـــالٍ يســـتتمّْ
صـــوتٌ يطـــوفُ علـــى العُبـــا بِ فـــلا يقـــرُّ ولا يُلـــمّْ
إلا كإينـــــاسِ الحيــــــا لِ لمـــن تـــداوى بـــالألمْ
يـــا طالمـــا أنـــا بالخيـــا لِ مغـــامرٌ أو معتصِـــمْ
وأخـــوضُ أمـــواجَ العُبـــا بِ وهـــنَّ دنيـــا تلـــتطمْ
وأرى الرمـــوزَ عليـــه أســـ ــــفارَ الوجـــودِ المســـتجمّْ
فأحـــلّ مِـــن ألغازِهـــا عِبَـــرَ الحـــوادثِ والأُمَـــمْ
فـــإذا الســـلامُ بهـــا الـــوغى وبهـــا الحـــوادثُ تَـــرتطمْ

بنـــات البحـــر

(من خواطر يوم مطير)

الجـــوُّ تملـــؤه الغيـــومُ، وإنمـــا للصـــيفِ جنـــدٌ فرّقـــوا ذرّاتِهـــا
حتـــى تعـــودَ لهـــا الـــبرودةُ مِنعـــةً جمعَتْ سبايا الصيف من أشتاتِهَا
فتفـــيءَ للبحـــرِ المشـــوقِ أُبُـــوَّة لرجوعهـــا، فغيابُهـــا كمماتِهَـــا
فعـلامَ تشـكون الشـتاءَ ومـا جَنـى؟ أيـــلامُ حـــين حياتُـــه بحياتِهَـــا؟

* * * * *

عُـودي بنـات البحـر في أمواجـه! كم نـال ظلمُ الصَّـيْفِ من لـذَّاتِهَا!
عُـودي! فقـد أحيـا الشـتاءُ وُعُـودَهُ فعُداتـهُ في الصـيفِ عـينُ عُـدَاتِهَا
عُـودي وسـيري في العُبـابِ جديـدةً ثـم ارجعـي للسُّـحْبِ بـين بُناتِهَـا

وتــدفَّقي مَطَـراً طغـى وجـداولاً تجري رواني السُّحْبِ في مِرآتِهَا
وتمتَّعـــي بجديــدِ عُمـــرٍ ثـــائرٍ لـــن تُغـنمَ اللـــذاتُ بعـد فوَاتِهَـا
وارْضَـــي بـــدنيا لا تـــدومُ بحالـــةٍ فـالعيشُ في التنويـعِ مِـنْ حالاتِهَـا

إلى صدقي باشا

أمـودِّعَ الحُكـمِ العـريضِ ولم يجـدْ بـــين الأنـــامِ مودِّعـــاً وحميمـــا
خـــدعوكَ رغـــمَ سياســـةٍ غلاّبـــةٍ والعقـــلُ زَلتُـــه تُضـــيعُ زعيمـــا
قُبِـــرَتْ مواهبُـــكَ العظيمـــةُ مثلمـــا أنسـيتَ مَـنْ جعلـوا العظيـمَ عظيمـا
والحُكـــمُ مـــا لم يســـتمدّ جَلالَـــهُ مِـنْ رُوحِ هـذا الشـعبِ راح ذميمـا
لهفـي علـى وطـني تضـيع قـواه في هـــذا التنـــاحرِ جانيـــاً وأليمـــا
حتـــى كأنّـــا للشـــقاوة دائمـــاً هَـدَفٌ، فمـا نَلْقَـى النعـيمَ نعيمـا!

غب يا ربيع

غِـبْ يـا ربيـعُ فلسـتُ مَـنْ يهْوَاكـا! طُـوِيَ الغـرَامُ كمـا طوَيْـتُ هواكـا
لِمَـنِ العُطـورُ وكـلُّ عطـرٍ سـابغٍ ألقـــاه آلامـــاً كمـــا ألقاكـــا؟
عُـــدْ للـــذين تعشَّـــقوك وخلّـــني في عُـــزلتي أتأمّـــل الأشـــواكا
أو صِـرْ إزاءَ الهجـر جَـذْباً شـاملاً إنـــي أحـسّ الجَـدْبَ حـين أراكـا
الشـــاعرُ المكلـــومُ تَصـــدفُ عينُـــهُ عـن كـلِّ مـا تُهـدي ولا ترضـاكا
لمـن العـبيرُ وكـلُّ أنغـام الهـوى؟ لمـــن الـــدلالُ تحـــايلاً وشِـــراكا؟

هــذي الشــباكُ الفاتنــاتُ مخايـلٌ		للـوهمِ مُـذ نـاجَى الحبيـبُ سـواكا
أعددتَ مجلـى نعمـتي، ونـأى كمـن		جـافى، فجُـنَّ الحـبُّ حـين رآكـا!

*****

غِـبْ يـا ربيـعُ! كفـى بمهزلـةِ الهوَى		أجـدُ النعـيمَ مناحــةً وهلاكــا
أبكيتَ في هذا الندَى؟ أبكيتَ في الـ		ـقَطر المُضـاعِ؟ لأنـت مـن يتبـاكى!
أنا وحديَ الباكي الشجيُّ بعزلتي		ولــو أنَّ حــولي عالَمــاً وشــباكا
ضــاعَ التجــاوبُ بيننــا، وكأننــا		خَصْـمانِ، أو أنــي جمعـتُ عِـداكا
يــا خالقــاً أُمَـمَ الجمـالِ وجـاهلاً		مَـنْ يسـتقلُّ بهـا ولـيس يُحَـاكي
فرَّقــتَ بــيني والــتي بفتونهــا		أدركـتُ في ماضـي المُنـى مَعناكـا
مضتِ المنى، ومضتْ معاني طيبها		ومضيتَ أنتَ، وقد سمعتُ خطاكا!

هتــاف الربيــع

(أملاها صاحب الديوان على صديقه الفنان شعبان زكي)

هتـفَ الربيـعُ فمـا يكـون نشـيدُهُ		والظلــمُ يَعبـث حولـه ويُبيـدُهُ؟
أتــراه ســخريةً لســالفِ عهــدنا؟		أو عهـدنا الحـالي، فـنحن عبيـدُهُ؟
حتـى الجمـادُ يـرفُّ في حلـلٍ لـه		والنبــتُ يــرقص وشــيُه وجديــدُهُ
ونفوسُـنا كالصـخر لـيس يسوسـهُ		نغـمٌ، ولــيس لــه بعيــدٍ عيــدُهُ
صَلدتْ من الجبروتِ حتى أصبحتْ		كـالوهمِ في الضـعف المديـدِ مديدُهُ!

*****

غَنِّــي عصــافيرَ الربيــع، وإنمــا		كـلُّ امـرئٍ منّـا الأصـمُّ شـريدُهُ
غَنِّــي ولا تــتلفَّتي لنفوســنا		فــالفقرُ حاكمنــا ونحــن جنــودُهُ
وُهِبَــتْ لــه والظلــمُ زكّانــا فمــا		يُجـدي الفقـيرَ مـن الربيـع وُجـودُهُ

دُنيـا الفنـون هـو الربيـعُ، وحالُنـا ... دنيـا الهـوان، ولِلْـهوانِ شـهودُهُ
ديسـتْ كرامتُنـا ومـات رجاؤنـا ... أتـرى يكـون مـن الربيـعِ مُعيدُهُ؟
هيهـات! والـنفسُ العليلـةُ جَذْبـةٌ ... إن الربيـعَ ربيعُهـا تجديـدُهُ
هيهـات إنْ لم تنـتفضْ لحياتهـا ... وتَثُـرْ علـى مَـوْتٍ تُشَـدُّ قيـودُهُ
والشـعبُ لم يَقْتُلـهُ مِـن ظُلامِـه ... إلاّ التهيُّـبُ، فالكفـاحُ خلـودُهُ!

خطيب مصر

(نظمت لمناسبة الخطبة الاجتماعية الرائعة التي ألقاها الوطني الكبير السيد مكرم عبيد في افتتاح نادي المحامين بالقاهرة)

خطيبَ (الوفد) أنتَ خطيبُ مِصـرَ ... وشـاعرُها المُبجَّـلُ والمُفـدَّى
بـودّي لـو أصـونُكَ عـن جهـادٍ ... تسـوءُ بـه السياسـةُ مَـنْ تصـدَّى
وأن ألقـاكَ مُصلـحَ مصـر فيمـا ... نـداؤك فيـه يُنقِـذُ مَـنْ تَـرَدَّى
سـئمتُ مِـن السياسـة فهـي جُـرمٌ ... علـى الأخـلاقِ تُبْقـي الحُـرَّ عَبْـدَا
خطبـتَ فكنـتَ أحكـمَ مَـنْ تنـادى ... بمكرمـةٍ وأشـرفَ مَـنْ تعَـدَّى
تُحـاربُ عثـرةَ الأخـلاقِ فينـا ... وتهتـفُ بالـذي تلقـاه أهْـدَى
لعمـري ذاك أجـدى مـن جهـودٍ ... تُطـيحُ بهـا السياسـةُ مَـنْ تحَـدَّي

إلى الشاكين

شكوتُ كما تشكون مِنْ زُعمائنا وقد كثروا لكنْ مآثرُهُمْ قلَّتْ
فهلاً شَكوْنا مِنْ تهاوُنِ أمةٍ! وهَلْ هي خافتْ في المعارك أم ملَّتْ؟
أيُنتقَدُ القُوَّادُ والجندُ محجمٌ عن الحربِ؟ أم هذي موازيننا اختلتْ؟
عرَفْتُ الرجالَ الرائدينَ مكارماً فإنْ لُمْتُهُمْ فالعيبُ مِنْ بيئةٍ ضلتْ
إذا خُذِلَ (الوفدُ) المثلُ أمّةً فلا عجبٌ في أمةٍ بعده اعتلتْ
فكونوا جميعاً وَحدةً أيَّ وَحدَةٍ وإلاّ فذوقوا الويلَ من وَحدةٍ ولَّتْ!

غمرة الموت

فوقَ هذا العبابِ، في ظلمةِ الليْـ ـلِ، أُقضّي الحياةَ لهفانَ حائرْ
لم يَزدْني الضياءُ مِنْ طَلعةِ البدْ رِ سوى ثورةٍ على كل ثائرْ
فكأنَّ الضياءَ أرواحُ مَوْتي جُمعتْ في السّماءِ بعد المقابرْ
وإذا بالضياء ميتٌ، وحسبي أن أرى الموتَ غامراً كلَّ غامرْ!

*****

يا حياتي! أيهزأُ القدرُ العا تي بكلّ القوى وكلّ المصائرْ
أم ترى أنتِ وحدَكِ الحسرةُ النشْـ ـوَى فتفننين دائماً في المخاطرْ؟!
ضحكَ الناسُ مِن شعوري وقالوا إنما هذه هواجسُ شاعرْ
بينما مِن صميمِ دنيايَ شعري ولكم ضللتْ حكيماً وساحرْ!

قصة الدنيا

لِمَـنْ هـذه الـدُّنيا وهـذي المغـانمُ؟ أللخيرِ؟ إنَّ الخيرَ في الناسِ غارمُ
إذا أقبلـتْ دُنيـاكَ لا تغـتررْ بهـا وإنْ ظلمـتْ لم يَبـقَ غـيرَكَ ظـالمُ
أتطلـبُ منهـا أن تجـدِّدَ خَلْقَهـا وتحلـمُ؟ إنَّ الشـرَّ مـا أنـتَ حـالمُ
خُذِ العُدَّةَ الكبرى لها غيرَ واهمٍ فلـيس غبينـاً غـيرُ مَـنْ هـو واهـمُ
لقـد مُـزِجَ الشـرُّ الـذي أنـتَ تتقـي مع الخير، حتى حار حَبرٌ وعالمُ
ولـو فُصِـلاَ مـا كـان دينٌ ولا دُنـىً فبينهمـا مـوجُ الـورى مـتلاطمُ
وقـد جُمِعَـا كالكهربـاءِ: فسـالبٌ مطيـعٌ، وعـاتٍ موجبُ الطبـع راغـمُ
إذا افترقـا ماتـا، فـدنياكَ عَيشُـها حياتهمـا، والعـدلُ كـالظلمِ هـائمُ
وأيـنَ وأيـنَ الصـيرفيُّ مخلِّصـاً فيُغـنَمَ إبريـزٌ ويُطـرَحَ غاشـمُ[1]
وأيـنَ جهـودٌ الكيميـاءِ فإننـا نعيشُ بجوٍّ خيرهُ المحضُ جارمُ؟!
لقـد حيَّـر الألبـابَ كنـهُ وجُودِنـا كمـا حـار في تفكيرهِ الـرَّثِّ نـائمُ!

رغوة العصور

١- الأصل للشاعر الإنجليزي اللورد بيرون

Between two worlds life hovers like a star,
Twixt night and morn, upon the horizon's verge.
How little do we know that which we are!

---

[1] الغاشم: المعدن الخام.

How less what we may be! The eternal scurge
Of time and tide rolls on, bears afar
Our bubbles; as the old burst, new emerge;
Lash'd from the foam of ages....

٢- الترجمة المرسلة لصاحب الديوان

ما بين دُنيا ودُنيا وبين صبحٍ وليلٍ ... نرى الحياةَ كنجمٍ في حافةِ الأفق رفًّا
ما أصغرَ العلمَ منا بمن نكون وجوداً ... وأصغرَ العلمَ عنه بما سنمضي إليهِ!
المَدُّ والجَزْرُ يمضي والدهرَ في جيشانِ ... وقد حُمِلنا بعيداً في موجهِ كالزَّبَدْ
وكلما انهدَّ فانٍ منها تجلَّى سِوَاهُ ... مُجَدَّداً ومَسُوطاً في رغوةِ للعصُورْ!

رسالة الشاعر

مَرْحباً بالنشيدِ بعدَ النشيدِ ... في مَعانٍ مِن الزمانِ المديدِ
ومعانٍ تُزَفُّ للزَّمَنِ الآ ... تي... ألسنا له جُدودَ الجدودِ؟
هاتِ يا صاحبي أغانيكَ ألوا ... ناً فإنّا بحاجةٍ للمزيدِ
هاتِ مِنْ كلِّ لوعةٍ وغرامٍ ... خمرةً عُطِّرَتْ بوردِ الخدودِ
إنّما نحنُ في قيودٍ وفقرٍ ... لشعورٍ يفكنا مِن قيودِ
لسريِّ الأشعار مِنْ كلِّ ناي ... وأغاني فردوسِنا المفقود
نحن نحيا وليس فينا الذي يَحْـ ... ـيَا قريراً كبعضِ هذا الوجودِ
جمعتنا الآلامُ دونَ حُدودٍ ... وسُجِنَّا بعالَمٍ ذي حُدُودِ
فالتفتنا كما تلفَّتتْ الدُّنْـ ... ـيا إلى الشاعرِ النبيِّ الشهيدِ

لــــيس إلاَّهُ يفهـــمُ النُّـــورَ والظِّـلَّ ومَعناهـا بماضـي العهـودِ
وابتسـامَ الأشـجان في نظرة الفَجْـ ـرِ وإن كـــان في شـــعورِ الوليــدِ
وأنــينَ الغـروب في الشـفق الـدا مـي وإن لاحَ رائعــاً مــن بعيــدِ
واخـــتلاجَ الآلام في كـــلِّ شـــيءٍ فـــاتنٍ مِـــن جمالـــهِ المعبـــودِ
صُــورٌ حولنـــا لصـــفوٍ وبـــثٍّ في حنـــوٍّ يُخـــالُ مثـــلَ الصـــدودِ
فـإذا الشـعرُ مَـن يترجـم عنهـا عازفـاً للـورى أمـاني الخلـودِ
وإذا الشـــاعرُ الـــذي يُحســـن الفـــنَّ حـــريٌّ بمجـــدنا المنشـــودِ

رجوع الكروان

(نظمها الشاعر في السحر وقد أيقظه غناء الكروان الشجي)

أتعـودُ بعـدَ الشـيبِ يـا كروانـي؟ أتـرى الكهولـةَ كالشـبابِ الثـاني؟
هيهـاتَ! لم تُبـقِ السـنونُ لعاشـقٍ مثلـي سـوى الأصـداءِ مـن ألحـاني
كنـتَ الرسـول[1] إلى جميـل حنانهـا فمضـيتَ ثـم مَضـتْ بكـلّ حنـانِ
وتسـمّعتْ أُذنـي إليـكَ فلـم تفـز أبـداً بغـيرِ صـدىً بعيـدٍ عـانِ!
والآنَ بعـــدَ كهـــولتي في عُـــزلتي تــأتي برجــع نشــيدِها الفرحــانِ
وتلـحّ إلحـاحَ المبشّـرِ بـالهوى فالحُـبُّ فـوقَ منـازلِ الأديـانِ!
أهـلاً بمنقـذيَ الحبيـبِ! وهـل درَى أنــي علــى الإنقــاذِ جِــدُّ مُعــانِ؟
لم يبــقَ للقلـــب المـــذاب بقيـــةٌ تحيـــا وقـــد أُلقيـــتُ في الـــنيرانِ
إلاّ حيـــاةُ الـــذكرياتِ وكلُّهـــا أشـجانُ ذي حَـرَقٍ علـى أشـجانِ

---

[1] أنظر أنشودة "الكروان الرسول" في ديوان (زينب).

قدْ جِئْتَ مِن بَعد الأوانِ وإنْ أبى ... زُهدي، وعَقَّ تَجمُّلي تحناني
وكأنما الحبُّ النقيّ حياتُه ... أبقى من الإنسانِ والأزمانِ
ردِّدْ إذنْ وحيَ الغرامِ مدلجلاً ... حيّاً كشدوِ شبابها الفتّانِ
كانت تغرّد لي وكان نشيدُها ... جمَّ العطورِ منوَّعَ الألوانِ
تمشي الطبيعةُ في خلالِ حروفهِ ... بمشاعرٍ ومَشاهدٍ ومَعاني
فأعِدْ لوجداني وقد أيقظتَهُ ... تلك الحياةَ تُعِدْ شبابي الثاني!

إلى الزعيم الأكبر

(حيا بها الشاعر دولة مصطفى النحاس باشا)

خبرتُ زعاماتِ البلادِ فلم أجدْ ... سِواكَ على دينِ الوفاءِ يقيمُ
تَصونُ إخاءَ الشعب رغمَ تَنابذٍ ... وما كلَّ يومٍ للبلادِ زعيمُ
وإنّي الذي يُشجيهِ والخطبُ داهمٌ ... تَفرُّقُ أحزابٍ تَظلُّ تَهيمُ
كأنا خُصومٌ لا تآلُفَ بيننا ... مدَى الدهرِ أو أن الفلاحَ خصيمُ
ولكنْ دَمي يَهديه والليلُ قاتمٌ ... وفاؤُكَ: فهو النُّورُ، وهو عميمُ
سَكنَّا إلى نجواه في حَيرَةِ الأسى ... إذا ما تجنَّى باطشٌ ولئيمُ
وكم قد سألنا الحاكمين انتصافَهم ... فما كان منهم منصفٌ وحكيمُ[1]
سألناهمو باسم المودّة تارةً ... وباسم جلالِ الحُكمِ وهو عظيمُ
وباسم أماني العلم والعصرُ نيرٌ ... وما العلمُ للعصرِ المنيرِ غريمُ
وباسمِ صداقاتِ الأُخوّةِ والعُلى ... بعهدٍ كريمٍ ما سلاه كريمُ

[1] يشير الشاعر بصفة خاصة إلى ظلامته التي بثها إلى دولة صدقي باشا.

فما لمحوا مِن زفرةِ الحقِّ شُعلةً ... وعشنا وعاشوا والظلامُ بهيمُ
ودالت حكوماتٌ وما زلتَ حاكماً ... وأنت قَصِيٌّ عنه وهو يتيمُ
يتيمٌ، يتيمٌ – حينما الحُكمُ ما له ... نصيرٌ من الشعبِ الأبيِّ – عديمُ
فبجَّلْتُ فيكَ النُّبلَ... يا ما أقلَّه ... بدُنيا جَناها مجرمٌ ووخيمُ
وقدَّسْتُ فيك الحُبَّ للشعبِ بينما ... تجنَّى عليهِ فاسقٌ ولئيمُ
وردَّدْتُ أمداحي وإن كُنَّ نقمةً ... عليَّ بعهدٍ ليس فيه رحيمُ
ولكنما دِينُ الإباءِ سجيَّتي ... وإني على دِينِ الإباءِ أقيمُ

النافذة المغلقة

(منقولة عن الأغنية الإيطالية الشهيرة وقد ترجمها نثراً
لصاحب الديوان الأديب محمد أمين حسّونة)

إمنحوني أيّها الخِلاَّنُ عُذراً ... ليس لي ذنبٌ بغلقِ النافذهْ
ليس لي ذنبٌ، فكم قد ملأَتْها ... بغرامي أغنياتي الآخذهْ!
إنها الآنَ إلى الشارع تمضي ... وهي مِن غيركِ تَفْنى يا جميلهْ
هي تَفنى دونَ إشراقِكِ إنْ لم ... تَسمعيني ليلةَ الحُبِّ الظليلهْ
لِمَ لَمْ تنفتحي مِنْ بَعدِ غلقٍ ... أيُّها النافذةُ المخفيُّ فيها
وَجدُ قلبي المُشعَلِ المجنونِ سُكراً ... مِنْ غرامي في همومٍ يَشتهيها؟
بلِّغيها أنني عبدُ هَوَاها ... أنني ما زلتُ نشوانَ محِبّا
إنْ تشأ خَدْعي فلي بعدُ يدٌ ... لانتقامي لم تهَبْ حُسناً وحُبَّا
أصدقائي وأعزَّائي! وداعاً ... بعد ما قد ماتتْ الأوتارُ كسرَا
فمحالٌ مرةً أُخرى لمثلي ... عَزْفُها مذ طارَ ذاك الحسنُ طيرَا

أتركــوني هـــا هنــا في عُــزلتي! ودَعُــوني أُنشــدُ اللحــنَ الأخـيرْ
رافعـــاً صـــوتي قويـــاً داويـــاً وهــو كــالموتِ لمعبــودي الحقــيرْ!
قطَّعـــــتْ قلــــبي بوحشــــيَّتها فاسمحي نافذةَ الحبِّ اسمحي لـي
بغنــــائي لــــكِ أنــــتِ المنتهــــى إن يَــدُمْ روحُ شــبابٍ لــي مُنيلــي
نُــــورَ قلــــبي!.... نــــارَ حُبِّــــي!

موسيقى المعاني

عجبــتُ لمــن تــرَنَّحَ مــن رنــينٍ ويجهــلُ أيــنَ موســيقى المعــاني
ولا عجــبٌ، فكــم لُــبٌّ أصَــمٌّ ولــيسَ الفــنُّ حيلــةَ تَرْجُمــانِ
وهــذا الكــونُ أنظمــةٌ تناهــتْ هواتفُهــــا بأنظمــــةِ الأغــــاني
تحــفُّ بنــا مواكــبَ ســاحراتٍ وكــم متخلِّــفٍ في المهرجــانِ
يخــالُ وُجــودَه صــمتاً عميقــاً وأنّ وجــودَه في الأســرِ عــاني
ومــا الحركــاتُ والســكناتُ إلاَّ أناشــــيدٌ منوَّعــــةُ البيــــانِ
ومــا تلــك الشــموسُ ومــا إليهــا ســوى الأصداءِ مـن شـعر الزمـانِ
قبســنا مِــنْ ملاحتهــا وصُــغنا عواطفَنــا كأنجمهــا الحســانِ
وصــيَّرنا القــريضَ عُبــابَ كــونٍ يَعِــجُّ وموجُــهُ كالــدهرِ بــاني
يُصــافح أعمــقَ الأعمــاق وحيــاً ويصــعدُ بــالعواطفِ والجنــانِ
وينــدمج النشــيدُ بــه كيانــاً وكــم بــين المظــاهرِ والكيــانِ
فــإن يُدركــه مســمعُ عبقــريٌّ تبــيّنَ فيــه روعــةَ الافتتــانِ
وإنْ لم يَلْــقَ غــيرَ ســماعِ قــومٍ نفوسُــهمو هــوانٌ في هــوانِ
فغايتــهُ الضــياعُ، وإن تــولَّى ليخلــدَ في الطلاقــةِ كالأمــاني!

الربّات الراقصات

يحيين أبناء (رع)

رَقَصْنَ، ورقصةُ الربَّاتِ معنىً مِنَ الإلهامِ يَجهلُه التمنّي
تتثَّنَيْنَ انسياباً واجتذاباً فأنطقْنَ التجاذبَ والتَّثنّي
وغنَّينَ الحياةَ جديدَ لحنٍ فصيّرنَ الحياةَ جديدَ لحْنِ
وقد ركع الإلهُ (خنومُ) عبداً يطبِّلُ والجمالُ له يُغنّي
تراهُ شبيهَ مذهولٍ قريرٍ على ظنٍّ يداعبُه وظنِّ
ونافخةٍ بمزمارٍ عجيبٍ يبذُّ عجائبَ الوترِ المرنِّ
فتُخلَقُ منه موسيقى خيالٍ وأخرى للخوالج قبلَ أذْنِ
لبسْنَ من الثيابِ فُنونَ وهمٍ فكلٌّ جسمُها أحلامُ فنِّ
شُكولُ اللّونِ كالشفقِ المرجَّى وكم علَقَ الرجاءُ ببعضِ لونِ
وأمواجُ الحياةِ بهنّ نشوى كأمواجِ الصباحِ المطمئنِّ
سريعاتُ التجاوُبِ للأغاني وفتنتهنَّ تجعلُهُ التَّأنّي
وهذي العُمْدُ والأصباغُ فيها تُشارفُها بروحٍ قبلَ عينِ
وهذي الأرضُ ملمسُها خِداعٌ كلمسِ الحبِّ أو لمسِ التجنّي
تنكّر حسنُهن، وكم إلهٍ تنكَّر مثلهنَّ بكلِّ حسنِ
وهبنَ(رَعاً) قداستَهنَّ لمّا سحرنَ بنيهِ بالرقّصِ المغنّي!

المسرح الأكبر

(إلى الصديق الشاعر خليل شيوب صدى رثائه لبنية عزيزة لديه)

أخـــي في الحـــبِّ والأدبِ ... عـــزاءً مِـــن أبٍ لأبِ
عـــزاءً لـــيس يُنصـــفني ... فما شـــعري وما أدبـــي
وهـــذا القلـــبُ يَضـــربني ... كمـــوجٍ ســـاخطٍ لجـــبٍ؟
قـــرأتُ ســـطورَكَ اللّهْفَـــى ... فـــوالهفي! وواحربَـــي!
أنـــا ألحـــاني علـــى ولـــدي ... حُنُـــوَّكَ أنـــتَ في كُـــرَبِ
أنـــا البـــاكي علـــى زمـــنٍ ... مَآســـيهِ مِـــنَ اللَّعِـــبِ!

*****

مصَـــابُكَ لســـتَ تَحملُـــهُ ... وحيـــداً خـــائضَ اللَّهَـــبِ
فكـــم مِـــن شـــاعرٍ - مثلـــي ... بنـــارٍ - جِـــدٍّ ملتهـــبِ
يَـــرَى الأرزاءَ راقصـــةً ... علـــى الأيـــامِ كالحبَـــبِ
ويَاْتـــي الـــدَّهرَ كالجبَـــا ... رِ بـــالأَرزاءِ في طـــرَبِ
خليلُـــكَ يـــا (خليـــلُ) بمـــا ... تُعانيـــهِ، فمـــا بـــكَ بـــي!

*****

هـــي الـــدنيا عـــدالتُها ... فنـــونُ اللـــؤمِ والكـــذبِ
تعزّزنـــا وتقهرُنـــا ... وتـــدفعُنا إلى العطَـــبِ
وتزرعُنـــا وتحصـــدُنا ... بـــلا معنـــىً ولا ســـببِ
كـــأنّ الفـــنَّ خِـــدْعَتُها ... بمـــا تجـــني، فلـــم تَعِـــبِ!
فـــنحنُ شـــخوصُ مَســـرَحِهَا ... وكـــم مِـــنْ مَشـــهدٍ عجـــبِ!
ملايـــينُ الشـــخوصِ بـــه ... تســـاوَوْا في مَـــدَى الحِقَـــبِ
فمـــا حَـــيٌّ بمشـــهودٍ ... ومـــا ميـــتٌ بمحتجـــبِ!

سفينة الشمس

(نظمها الشاعر لمناسبة زيارته صحبة الأستاذ سليم حسن وأعضاء "المجمع المصري للثقافة العلمية" سفينة الشمس المقدَّسة في جيزة الهرم الرابع بالجيزة)

سـفينةَ الشـمسِ قـد أُخفيـتِ في الظلَـمِ — كما اختفى القدرُ المعبودُ في القِدَمِ
نُسِـبْتِ للعـالم السـفليِّ ناقلـةً — شمسَ الغُروبِ على بحرٍ من العدَمِ
في كلِّ ليلٍ تعـاني الشَّـمْسُ ميتـةً — أو شـبهَ ميتـةٍ مـا جـلَّ مِـنْ ألمِ
حتـى تعـودَ إلى الـدنيا مجـدَّدةً — مـع الصباحِ كمولـودٍ مِـن الحُلُـمِ

*****

حتى الشموسُ لها الأعداءُ قد رصدوا — حسـابَها فتعـاني مِـن حسـابهمِ
تجتـازُ فيـكِ مـن الـويلاتِ أظلمَهـا — كمـا يُعـاني الـورى بـالموت والهَرَمِ
ومـا تـزالُ، وكـلُّ النـاسِ أمثلـةٌ — منها، وما اختلفوا عن سالفِ الأممِ

*****

سـفينةَ الشـمسِ قـد جئنـا على لَهَـفٍ — إليكِ قبلَ وُفودِ الشمس في الظلَمِ
تُحِـسُّ فيـكِ بـأنوارٍ محجَّبـةٍ — كمـا نُحِـسُّ بـألوانٍ مـن الألمِ
وذلك البحرُ – بحرُ الموتِ – مضطربٌ — لا يسـتقرّ كجنـدٍ جـدٍّ منهـزمِ
أشـيمهُ بشـعورٍ لسـتُ أعرفُـه — كأنَّـه لـيس مِـنْ حِـسٍّ ولا كلِـمِ
والرّمـلُ كـالمَوْجِ زخّـارٌ ومحتـدمٌ — وإنْ بـدا غـيرَ زخّـارٍ ومحتـدمِ
علـى سُكونٍ كـأنَّ السُّـخرَ يَشـمَلُهُ — وحالُـه حـالُ صـخّابٍ ومبتسـمِ
والـدهرُ يَسـبحُ فيـه بـين منـتظمٍ — للحادثـاتِ وجمـعٍ غـير منـتظمِ
كأنمـا هـو يُلْقِـي بـالرَّذاذِ علـى — وَجهي ويوقظ وجداني من الصَّممِ
فأشـهدُ العـالمَ السـفليَّ محتشـداً — حـولي بمختلـفِ الأسيادِ والخـدمِ
وأرقـبُ الأمـسَ في أقصـى مَصـارعهِ — مجـدَّداً والغـدَ المنظـورَ عـن أَمَـمِ

والموجُ يَهمسُ بالأحداثِ أجمعها	وكلُّها بين مغرورٍ ومنحطمِ
قد عمِّرتْ وهي أشلاءٌ مبعثرةٌ	كما تعمَّرُ أشلاءٌ من الرِّممِ
كأنما الخوفُ في الأنهارِ حنَّطَها	فلم تَمُتْ رغمَ هذا الموتِ من قدمِ
تجري حيالي وأخشى مِنْ مَشاهدِها	وكلُّها كالضحايا خُضِّبَتْ بدمِ
والماءُ كالوهم لا شيءٌ، وأعجبُه	رَذاذُهُ كشرارٍ جِدٌّ مضطرمِ
لولا رعايةُ (هاتورٍ) لأحرقَنَا	وكم لهاتور مِن برٍّ ومِن نِعَمِ!

*****

سفينةَ الشمسِ نمضي الآن في أسفٍ	على فراقكِ بعدَ العطفِ والكرمِ
يَبُذُّ عمرُكِ عُمرَ الشمسِ دائرةً	كأنّ عمرَكِ عُمرُ الخلقِ كلِّهمِ!

ضحية الكهرمان

(شاهد صاحب الديوان ذبابة من نوع منقرض في حجر من الكهرمان)

يا بنتَ آلافِ السّنين سجينةً	مَضَتْ القرونُ وما عرفتِ فكاكا
هي عَثرةٌ لكِ في مَسيلٍ خادعٍ	حتى تَجمَّدَ للحياةِ شِراكا
فحفظْتِ تُحْفَةَ جَوْهرٍ لم تُعْتَقي	وتَخذتِ فيه عزيزةً مَأواكِ
وبقيتِ ماثلةً بنوعِكِ بيننا	فكأنما يحيا على مَرْآكِ
وحَييتِ مبّتةً كتحفةِ عالَمٍ	حَيٍّ، ونحن نعيش كالأمواتِ
بلعَ المحيطُ الدهرُ عالَمَ نوعِنا	ولسوف يَجمدُ بَعْدُ دونَ حياةْ!

أهلاً أبو قردان

أهــلاً (أبــو قــردانْ) ... يــا منقــذَ الفــلاَّحْ!
كِلاكمــا قــد هــانْ ... واســتمرأ الأتــراحْ
إنْ قــدَّروك الآنْ ... لم يَعرفــوا قَــدْرَهْ
لم يَفهمــوا الإنســانْ ... إنْ يفهمــوا غــيرَهْ
تَعــيشُ بــين الحقــولْ ... مستأصــلاً للضَّــرَرْ
بنــاقرٍ لا يَحُــولْ ... ونــاظرٍ مِــنْ شَــرَرْ
وقــد لبســتَ البيــاضْ ... في صــورةِ الناســكِ
وتــارةً مثــلَ قــاضْ ... يَقْضــي علــى الهالــكِ
تُتــابعُ الحرْثــا ... وتَلقــطُ الديــدانْ
وتــرفضُ النَّكْثــا ... بالعهــدِ للإنســانْ
تَلــوحُ كالوســنانْ ... والحــالمِ العابــدْ
لكنــكَ اليقظــانْ ... والباحــثُ الســاجدْ
في صُــفْرَةِ البرتقــالْ ... رجــلاكَ والمنقــارْ
كلاهمــا في جمــالْ ... نَــراه أبْهــى شِــعارْ
شِــعارُنا للنُّضَــارْ ... شِــعارنا للغِنَــى
والــرِّيْشُ ريــشُ النهــارْ ... لــو صــار طــيراً لنــا!
عِــشْ يــا صــديقاً يكــدُّ ... دليلَنــا في الحيــاهْ
يرجــوكَ عــانٍ وعَبــدُ ... فأنــتَ بِــرُّ الإلــهْ!

مناحة الفن

(رثاء المثال محمود مختار)

روائعَ الفنّ! ماتَ الفنُّ والعيدُ ... وماتتْ اليومَ في الجوِّ الأناشيدُ[1]
أنتِ اليتيمةُ والأعمامُ[2] شأنُهمو ... شأنُ اليتيمِ، فلا عَونٌ ولا عيدُ
ماتَ الذي رُوحُ مصرٍ في تَفنُّنهِ ... حتى تجلَّتْ بنجواهُ الجلاميدُ
الجاعلُ الصخرَ حيّاً في أناملهِ ... ونبضُه بشعورِ الفنِّ مشهودُ
والخالقُ المثلَ الأعلى وإنْ خُبئتْ ... رُموزُهُ، وكأنَّ الكشفَ تبديدُ
والمُبدعُ الحُسْنَ أعضاءً وأنسجةً ... تَشِفُّ، فهي مَعانٍ وهي تجسيدُ
رزءٌ له يخرسُ الإفصاحُ مِنْ وَلَهٍ ... فعادَ يُنطقُهُ حُبٌّ وتمجيدُ
أنا الطليقُ بأصفادٍ.... فواعجباً! ... وكم شجانيَ تحريرٌ وتصفيدُ!
إنّ التجاوبَ إشراكٌ وإنْ بَعُدَتْ ... أسبابهُ.... ليس في التبعيدِ تبعيدُ
لئِن رثيتُ فشِعري مِنْ مَناهلهِ ... والشعرُ كالنحتِ إحساسٌ وتخليدُ
ما بالُ شِعري وما بالي بلا أمَلٍ ... كأنما التهمتْ تأميلنا البيدُ؟!
كأنما في صحارى الدَّهرِ غيبتُه[3] ... كما تحجَّبَ مكنوزٌ ومعبودُ
واحسرتاه! فقد ضاعتْ بضيعتهِ[4] ... مِن ذلك السرِّ آياتٌ وتشييدُ
وقد تعثّر أحْجَانا وأحْصَفُنا ... كالأدعياءِ، فما التسديدُ تسديدُ
وليس كلُّ غِنانا عند حسرتنا ... إلاّ الخصاصةُ، والتفنيدُ توكيدُ
كأنما روحهُ أرواحُنا، فمضتْ ... دنيا من الفنِّ، فالموجودُ مفقودُ!
والهفةَ الأدب العالي بملهمهِ! ... مَضَى الجمالُ، فهل تُغني الأغاريدُ؟!

---

[1] إشارة إلى الربيع.
[2] إشارة إلى الفنانين الاخرين.
[3] أي الأمل.
[4] الفقيد المرثي.

أيقتلُ الدَّرَنُ[1] العاتي مجدِّدَنا ... بالفنِّ، والفنُّ إحياءٌ وتجديدُ؟!
لَن تعيشُ (عروسُ النيل)[2] بعد أبٍ ... العيشُ مِنْ بَعدِهِ ذُلٌّ وتشريدُ
ترَى الرشاقةَ فيها كلُّها حَزَنٌ ... تَوَدُّ لو يَفتديهِ الحسنُ والجُودُ
مثَّالُ (مِصرَ) بمعناها وروعتها ... فاليومُ للأمسِ مِرآةٌ وترديدُ

*****

مشيتُ في الموكبِ المصدوعِ منْصَدِعاً ... وقلبُ (نهضةِ مصرٍ) منه مفؤودُ
والنعشُ كالهيكل المرفوعِ حفَّ به ... مِنَ المناجينَ إيمانٌ وتأييدُ
سِرْنا ولسنا عديداً بينما طفحَتْ ... نفوسُنا بأسىً يَعدوه تحديدُ
كأننا نحن (مصرٌ) رغمَ غيبتها ... أو أننا للأسى الصخّابِ تمهيدُ
أسىً سيشمل (وادي النيل) أجمعهُ ... وقد أناختْ به أيامُه السُّود
أسىً ولا كالأسى، فالفَنُّ ميتَتُهُ ... أقسى من الموتِ، لو في الموتِ محمودُ!

*****

يا مُرْعِشَ الحجرِ البسّامِ في صُوَرٍ ... من الأنوثةِ!... هذا الصخرُ محسودُ!
وآسرَ النظرةِ العَجْلى بلا أمَدٍ ... الموتُ كالناسِ مأسورٌ ومجدودُ!
أينَ التي زِدتَها وحياً وتكرمةً ... وكيف لم تزدحم في المأتمِ الغِيدُ؟
وكيف لم ينتظمنَ الناسَ في حرقٍ ... وتلك (طِيبةُ) أحزانٌ وتسهيدُ؟
و (الرمسيومُ) كأرماسٍ بها دُفِنَتْ ... خواطرٌ لك خانتها المواعيدُ؟
أين التي قَدُّها المشوقُ ثورتُهُ ... في فنِّكَ الحيِّ إثراءٌ وتعييدُ؟
ونَهْدُها ذلك الوثّابُ مِنْ حَجَرٍ ... وجيدُها صَخرُكَ الفتانُ لا الجيدُ؟
أحرَى الأنامِ بأحزانٍ وتعزيةٍ ... منّا، فهل ردَّها أو صدَّها العِيدُ[3]

---

[1] مرض الفقيد سبع سنوات بالدرن (السلال) حتى قضى عليه في آلام مبرحة.
[2] أشهر تماثيل مختار، وقد اشترته الحكومة الفرنسية ووضعته في متحف قصر التويليري بباريس.
[3] دفن الفقيد في اليوم الثالث من أيام عيد الأضحى، ولم تشترك بنات مصر في جنازته مع أن مختاراً وقف فنه على تمجيد المرأة المصريه.

لو تحمل النعشَ زكّاها وقدّسَها ... كأنما هو تكريسٌ وتعميدُ
مُتَّ الشهيدَ لمغزَاها وفتنتها ... وذاك حبُّكَ تُغنيهِ الأسانيدُ
ولو رُفِعْتَ شهيداً فوقَ هامتِها ... فمن سِوَى الفَنِّ جبَّارٌ وصنديدُ؟
رُوحٌ كروحِكَ غلاَّباً ومنهزماً ... هو الكميُّ، ومَنْ عاداهُ رعديدُ
وهو الحريُّ بمجدِ الحبِّ إن عطلَتْ ... دُنيا الأنامِ وخانتهُ التقاليدُ

داء البيئة

مَباهجَ النّيلِ ما للنيلِ مضطرماً ... كأنما هو في الصحراءِ كالآلِ؟!
نظرتُهُ بفؤادٍ كلهُ حَرَقٌ ... فزاد حرقةَ قلبٍ ثائرٍ بالِ
لم يبقَ لي مِن حياةٍ كلّها ظمأٌ ... إلاَّ أعاصيرُ آلامي وأهوالي
ولا مِنَ الحلْمِ إلاّ ما يؤرّقني ... ولا مِن الحُسْنِ إلاَّ روعةُ البالِ!

*****

أسيرُ وحدي بأثقالٍ مروِّعةٍ ... وليس يُدركُ غيري كُنْهَ أثقالي
أنا الشريدُ ونفسي كلها شَممٌ ... وعِزَّةٌ بين تشريدي وأحمالي
لا أستطيعُ فكاكاً مِنْ مَطالبها ... وما مَطالبُها في حَظّها العالي
لكنما حَظُّها في حَظِّ بيئتها ... ومجدِ أمَّتها المأمولِ والحالي

*****

وجاحِدٍ طالما أوليتُه ثِقتي ... ولا أقولُ جهادي الجمَّ أو مالي
فليس ثمةَ أغلى لامرئٍ فَطِنٍ ... منها، وما كلُّ غالٍ دونَها غالِ
لم ألقَ منه سوى هجوي مكافأةً ... أو التطاولِ في أوهامِ مختالِ
أبا الجحودِ! وكمْ تُغني أبوّتهُ ... عن عَمِّهِ الأحمقِ المغرورِ والخالِ!

يا سائلَ الناسِ إنصافاً وغابِنَهُمْ ... وناصحَ الناس وهو المفسدُ القالي!
عُـدْ للـذين تغـذَّيتمْ سواسـيةً ... بالغـدْرِ في غُنيـةٍ عـن كـل دجَّـالِ
كَم تصخبون وكم تشكون بيئتَكم ... يـا ويحَهـا بيئـةً مـنكمْ بـإذلالِ!
كـدنا نسـامحُ دنيانـا فقـد خُـدِعَتْ ... فـيكم، وقـد وُضِعَتْ منكم بـأغلالِ!
أنـتم أسـاتيذُها الشـاكونَ ضـلَّتَها ... فيـا لـدُنيَا تُعـاني خُبْـثَ ضُـلَّالِ!
ويـا لآلامنـا اللـهفى! فقـد وئِـدَتْ ... مِـنْ غَـدْرِ أمثـالكمْ آمـالُ أجيـالِ!

عيد الحياة

(شم النسيم)

عيدَ الحيـاةِ! أمنـكَ بعـضُ حيـاتي ... في بيئـةٍ خُلِقَـتْ مِـن الأمـواتِ؟
الكـونُ يَنبضُ بالشـعورِ وهـا أرى ... فَـرحَ الوجـودِ بمبـدَعِ الآيـاتِ
والميـتُ يُبْعَـثُ في جديـدٍ معجـبٍ ... فكأنمـا الماضـي البعيـدُ الآتـي!
فَـرَحُ الطبيعـةِ فيـه فرْحَـةُ خـالقٍ ... ببنيـهِ، لا فَـرحُ الزمـانِ العـاتي
رقصـوا جميعـاً في تَحـرُّرِ نعمـة ... حتـى الجمـادُ لـه حبـورٌ ذاتـي
وتمثَّلـوا البَـيْضَ المحلَّـى رمـزَهم ... لهـوى الحيـاةِ وغايـةِ اللَّـذاتِ
حاكـتْ بشـائرهُ التغـزّلَ بينمـا ... سـبقَ الهوى فجرى إلى الغايـاتِ!
عِيـدٌ لمصـر، ومصـرُ في إعجازهـا ... أمُّ العجائـبِ في عجيـبِ صـفاتِ
طبعتْ صباحتُها الشعوبَ بما اشتهتْ ... في الحـبِّ والأعيـادِ والخطـراتِ
فنسـيمُها عيـدُ الربيـعِ، ويومُـه ... يـوم الحيـاةِ لعـالَمٍ أشـتاتِ!

*****

اليـومَ يُخْصِـبُ كـلُّ مَعْنـىً حافـلٍ ... بالشـعرِ خصبَ الجدْبِ والفلـواتِ
وتُبَـثُّ في الأحيـاءِ نشـوةُ عيشـهم ... ونـرَى المـواتَ يَلـوحُ غيـرَ مـواتِ

ونـرى الطبيعـةَ بـين لهـوِ طفولـةٍ		جَـذلى وبـين أنوثـةِ الخطـواتِ
ونَـرَى الحيـاةَ تقـومُ بـين تجـاربٍ		شـتَّى ولكـنْ كلُّهـا لحيـاةِ
الميـتُ منهـا لا يمـوت وإنمـا		يَهـبُ الحيـاةَ سـواه عنـد ممـاتِ
وشـعرتُ وحـدي أنـني فيِ عُـزلتي		عن وصل مَنْ أهـوى فقدتُ حياتي
و الميـتُ لـيس لـه شـعورٌ بينمـا		أقسـى الممـات الحِسُّ بـالأمواتِ!

الهدهد في القرية

(ذكريات ريفية)

مَرْحبـاً بالهدهـدِ الـوافي الأبَـرّ		مَـلأَ القريـةَ حُسْـناً وخَطَـرْ!
عَـدَّ كـلَّ النـاسِ أتباعـاً لـه		غيرَ أهلِ الشعرِ أو أهلِ الصُّوَرْ!
جـاءني منـه رسـولٌ كلُّـهُ		فيِ شُعاعِ الشمسِ نُورٌ ما استقرّ
حائمـاً حـولي، وفيِ ترحيبـهِ		مِنْ نُهى الشمسِ ومِنْ مَعنى المطرْ
جُمِـعَ الأصبـاغُ فيِ زينتـهِ		مِنْ حُلى القوس[1] ومِنْ وحيِ السَّحرْ
ثـم ولَّـى مُنبئـاً رِفقتَـهُ		فـإذا هُـمْ مِلْءُ فِكـري والنَّظـرْ
لابسـو التيجـانِ أبهـى زينـةً		مِـنْ نضـارٍ هـو أضـغاثُ البَشـرْ
عـن (سـليمانَ) لهـم حِكمـتُهمْ		حينمـا عـافوا الغُـرور المحتَقـر[2]
وأبـوا تيجـانَ تـبرٍ مرهـقٍ		فـإذا التيجـانُ ريـشٌ وشَـعَرْ!

*****

مَرْحبـاً بـالفَنِّ فيِ أعلامـهِ		بـين آدابٍ غـوالٍ وصُـوَرْ

---

[1] قوس قزح.
[2] إشارة إلى قصة الهدهد وسيدنا سليمان.

كـــلُّ فـــردٍ منكمـــو مُهجَتـــهُ وحُـــلاه مِـــنْ ضـــياءٍ وزَهـــرْ
تُنفقـــون العُمـــرَ في البحـــثِ، فكـــم تشـــتكي مـــنكم حقـــولٌ وحَجـــرْ
دائمـــي التنقيـــبِ حتـــى جِلســـةٌ لكمـــو في الشـــمسِ مـــا فيهـــا مَقَـــرّ
كـــلُّ مـــا حولكمـــو فيـــه وَطَـــرْ بينمـــا لـــيس لكـــمْ فيـــه وَطَـــرْ
صُـــورَةُ الفنَّـــانِ في أخلاقـــهِ كلمـــا نـــالَ أمانيـــه نَفـــرْ

*****

مَرْحبـــاً يـــا هُدهـــدي! حســـبي إذا زُرْتُ هـــذا الريـــفَ مَـــرآكَ الأبـــرّ
نحـــن صـــنوانِ بـــرُوحٍ ودَمٍ وحنَـــانٍ وأمـــانٍ وذِكـــرْ
غـــير أنـــي رهـــنُ جســـمٍ آســـرٍ بينمـــا أنـــتَ عزيـــزٌ مـــا أُسِـــرْ
وأنـــا البـــاكي علـــى عُمـــرٍ مَضـــى بينمـــا تضـــحك مِـــن معنـــى العُمُـــرْ!
لـــك ديـــنٌ أوحـــديٌّ خالـــدٌ حينمـــا المـــؤمنُ منّـــا قـــد كفَـــرْ!

إلى زينب

ودَّعْـــتِني توديـــعَ حُلْـــمٍ خـــاطفٍ ورَحَلْـــتِ – للبلـــدِ الجميـــلِ – رواءَ
مَـــنْ حـــدَّثَ القلـــبَ الغيـــورَ فإنـــه ضَـــرْبَ الضـــلوعَ تَطلُّعـــاً وإبـــاءَ؟
لم أَدرِ مِـــنْ أرَقـــي ولوعـــةِ وحشـــتي مَعْنـــىً إلى أن فسَّـــرَ الأنبـــاءَ
يـــا غُـــربتي وأنـــا المقـــيمُ بمـــوئلٍ كالســـجن ألفتُـــه تزيـــد جفـــاءَ!
ودّعـــتِني في غـــيرِ توديـــعٍ ســـوى وهـــمٍ يـــردّدُهُ الصـــديقُ عـــزاءَ
فلعـــلَّ صـــوتَكِ كـــان مـــلءَ أشـــعةٍ لطفـــتْ فردّدهـــا الصـــباحُ ضـــياءَ!
قبَّلْتُهـــا وشـــممتُهـــا فكأنهـــا نجـــوى الجمـــالِ لخـــاطري تـــتراءى!

*****

يا حظَّ شاطئ (أفروديت)[1] بفتنةٍ تَهبُ الخلودَ وتُلهِمُ الشعراءَ
وقفَ الزمانُ على الرّمالُ مُشارفاً عينيك وهو يحذّر الأحياءَ
كتبَ الحوادثَ في الرمالِ وقائعاً وكتبتِ أحداثَ الغرامِ سواءَ
وقتلتما أغلى المنى ونشرتما لهباً تناول أنفساً وسماءَ
وجرى الهوى فوقَ القلوب كما جرى فوقَ العُبابِ فجيعةً ودماءَ
مَرأىً هو الهولُ الحبيب، ومن يعش في غيره لم يعرف الشهداءَ!

*****

ناري! وريحاني! وأنسَ شبيبتي وكهولتي! مَنْ لي سِواكِ رجاءَ؟
مضت السنونُ الجانياتُ كأنها لمحاتُ أخيلةٍ تَطيبُ جلاءَ
لم أشكها إلاَّ وقلبي عَبْدُها يَستعذبُ الحرمانَ والإشقاءَ
عيناكِ لم أذق السلافَ سواهما فَحَييتُ في سكري صباحَ مساءَ
ما الهمُّ؟ ما الهجرُ المبرّح إن أعشْ لهما، كما شاء الغرامُ وشاءَا؟
عُوِّدتُ أشجانَ الصموتِ ومهجتي كالبحرِ يحجبُ صمتُه الأنواءَ
كم مرةٍ ألقاكِ فيها لم أبُحْ بالوجدِ وهو يحزُّ قلبيَ داءَ
ألقاكِ والحُبُّ الدفينُ معذِّبي رغمَ اللقاءِ فلا أراه لقاءَ
وأغَصُّ بالحالينِ غصّةَ شاعرٍ قد لوَّنوا بأساءَهِ نعماءَ
وَثورُ حسنُكِ بالحنانِ جوارحاً وخوالجاً فإخالها بُخلاءَ
فإذا رحلتِ الآن جدَّ بخيلةٍ فلتحشدْ الدنيا ليَ الأعداءَ
لا شيء بعد الهجر نار جهنمٍ فالهجرُ أقسى شُعلةً وقضاءَ!

*****

طِيبي ربوعَ الرّمل! طيبي وانعمي! وتَنفّسي منها الهوَى أنداءَ!

---

[1] شاطئ الإسكندرية.

لطفتْ كنوّار الربيعِ نضارةً وصفتْ كناصعةِ الثلوجِ نقاءَ
جمعتْ ملاحتُها الفصولَ صباحةً وحرارةً وتقلُّباً ووفاءَ
حتى تكاد تطيبُ قسوةُ هجرِها طِيبَ الوصالِ تمنّعاً ورضاءَ
وكأنما الدنيا ترفُّ بأسرها مِنْ روحها فيسرّ ما قد ساءَ
طيبي ربوعَ الرملِ واستوحي بها فنَّ الجمالِ وجسِّمي الإغراءَ
وتأهبي للعاشقين بنشوةٍ حتى يَروْا مجدَ السماء الماءَ!

*****

مضتْ السنونُ وكنتُ طفلاً لاهياً أهفو إليكِ وكم أذوبُ حياءَ
وأقمتِ في الرّملِ العزيزِ قريرةً وأنا البعيدُ أتابعُ الأصداءَ
والآنَ عادَ الدهرُ عودةَ ساخرٍ يُشجي القريرَ ويَقتلُ السرّاءَ
فإذا عَناءُ الطفل عاد مناحةً لفؤادِ مَبكيٍّ يَعافُ بُكاءَ
يستقبلُ الأتراحَ في أغلالهِ متبسّماً متقطّعاً أشلاءَ
وكأنّ (أوزيريس) أوفرُ في الرّدى حظاً وأبلغُ في المماتِ نداءَ
والبحرُ يسكبُ نائياً تهدارُه في مِسمعيَّ اللهفةَ الخرساءَ
فأعيدُها بينَ الغيومِ تألُّقاً وأذيبُها بين الصخورِ غناءَ!

مصر هبة النيل

(استيحاء اللوحة الفنية الرائعة للمثال المصري أدوار زكي خليل، وقد «مثلتْ مصر بشكل جبّار جميل متناسق الأعضاء مفتول العضلات وهو خارج من بين أمواج النيل الذي ينساب إلى اليسار بين المعابد والآثار التي تقابله عند دخوله إلى مصر عند معبد أبي سمبل وتظل تزين ضفافه من طيبة والكرنك إلى أبي الهول وأهرام الجيزة، هذا عن مصر الفرعونية، أما عن مصر الحديثة فقد خصص لها الركن الأعلى إلى اليمين

من لوحته فمثّل زراعة القطن والريّ والقوافل والصناعات القروية الوطنية والسواقي وغيرها. وهناك زهرتان تزينان اللوحة إحداهما زهرة اللوتس رمز مصر الفرعونية، والأخرى زهرة القطن رمز ثروة مصر الزراعية الحديثة).

يا سُورةَ الفنِّ في منحوتِ آثارِ ... كَرُمْتِ للفن معبوداً وللدَّارِ
ما أروعَ (النيلَ) جبَّاراً وطلعتهُ ... كروحهِ آيةٌ مِنْ رَوْعِ جبَّارِ
أو أنها رُوحُ (مصرٍ) لا يُعادِلُها ... بأسٌ، وقد بَسَقَتْ من مائهِ الجاري
لاحَتْ بجلسةِ معتزٍّ بدولتهِ ... في سؤددٍ مِنْ عناياتٍ وأقدارِ
ينسابُ في دعةٍ، لكنها دعةٌ ... فيها سماحةُ غلاّبٍ وقهّارِ
والماءُ يَنصبُّ كالتاريخ منبسطاً ... للقارئين ويُشجي الشاعرَ القاري
تَفيضُ أمواجُهُ جيَّاشةً أبداً ... بالفتْح لا شُعُثاً أنضاءَ أسفارِ
بين المعابدِ والآثارِ زاخرةً ... يا طالما عُبِدَتْ في ظِلِّ آثارِ
لدى (أبي سمبلٍ) مَسنُودُ ساعدِها ... ورأسُها بين أزهارٍ وأزهارِ
وتلك أعضاؤُها أعضاءُ مملكةٍ ... غنَّاء ما بين جنّاتٍ وأمصارِ
ما بين (طيبة) ناجتْنا روائعُها ... و(الكرنكِ)الفخْمِ في وحْيٍ وإضمارِ
وبين (بلهيب) و (الأهرامِ) رافعةً ... رُؤوسَها آخذاتِ الدهرِ بالثارِ
شتَّى المفاتنِ تُشجينا وتُلهمنا ... وكلُّها في المعاني آيُ أبكارِ
مختارةٌ من عصورٍ للعُلى غبرَتْ ... وكلُّ عصرٍ لمصرَ شِبْهُ مختارِ
فيها الحياةُ دواماً جِدُّ كامنةٍ ... كالنارِ في النورِ أو كالنورِ في النارِ
تألَّقتْ رغمَ أستارٍ وأستارِ ... وطُهِّرتْ رغمَ أوزارٍ وأوزارِ
وأشرقتْ مصرُ بالريفِ السعيدِ بها ... فالرّيفُ كالنيلِ حُرٌّ وابنُ أحرارِ
هذي صناعاتُه، هذي سوائمُهُ ... جميعُها شِبْهُ أُلّافٍ وسُمَّارِ
عاشتْ مِنَ الزمنِ الخالي تُحدِّثنا ... عن الخُلودِ لأحيَاءٍ وأشعارِ

عاشتْ فأنضَرَتْ القطنَ الذي غرست … (مصرُ الحديثةُ) كالأضواءِ للساري
كأنما القطنُ ينمو قبلَ تُرْبتهِ … بالذكرِ مِنْ مُهَجٍ صِينتْ عن العارِ
واللُّوتَسُ الخالدُ المحبوبُ زاملَهُ … كيما تُجمَّعُ آصالٌ بأسحارِ
وكيْ ترَى (مصرُ) في مَرْأيْهما صُوَراً … للمجدِ ما بين أحلامٍ وأوطارِ
وكي تَرَى وحدةَ التاريخِ ماثلةً … ووحدةَ الفنِّ في نبتٍ وأحجارِ!

* * * * *

يا (مصرُ)يا هِبَةَ (النيلِ) القرير بها … كما تَقرُّ به في جُودهِ الباري!
خُلقتِ مِن مائهِ المعسولِ حاليةً … معشوقةً بين صَوَّاغٍ وعطّارِ
كأنما الجنةُ الموعودُ نِعمتُها … سبقتِها أنتِ للعُبَّادِ لا الشاري
فكنتِ أمَّ جِنانِ الخلدِ في طَرَفٍ … و(النيلُ) خيرَ أبٍ ناهٍ وأمّارِ!

البنّاء الأعظم

في عصرِكَ الذَّهبيِّ مَنْ لي أن أرَى … (مصرَ) العزيزةَ قُوَّةً وبناءَ؟
لمْ تَألُ سعياً في سبيلِ كمالها … حتى سمتْ فتَصدَّعَتْ أجزاءَ
لا خيرَ في الجُهدِ العظيمِ إذا انتهى … بالهَدْمِ أو لم يُنصفْ البناءَ
دَبَّ الشقاقُ بها، وكم مِن منعةٍ … جعلَ الشقاقُ إباءَها استخذاءَ
كالطَّوْدِ أو كالصَّرْحِ في تصديعهِ … مَعنى الفناءِ وإنْ سمَا وأفاءَ!

* * * * *

مَنْ لي وقد بلغ الشّقاقُ صميمَنا … بالمنصفِ الآباءَ والأبناءَ
في وَحدةٍ قُدسيةٍ عُلويةٍ … لا أن نُبَعْثَرَ هكذا أشلاءَ؟
مَنْ لي ومَنْ للشعبِ غيرك قائداً … أعلى وإن لم يعدمْ الزعماءَ

حتى نرى الصَّدْعَ المروّعَ منعةً ... ونرى الكرامة تصحب الكرماءَ؟

*****

مولايَ! كم مِنْ مادحٍ لكَ حينما ... أنتَ الغنيُّ عن المديح علاءَ
فاقبلْ رجائي فهو أنبلُ غايةً ... عن كلِّ مدْحٍ لا يبثُّ رجاءَ
واسمعْ لصوتِ الشعبِ من فمِ شاعرٍ ... يأبى رياءَ المادحين إباءَ
واسلم لمصر مؤلِّفاً وموحِّداً ... أبناءَها حتى يُروْا آباءَ

في ضاحية المطرية

دعاني الفجرُ دعوةَ مستقلٍّ ... بما أحياهُ مِنْ صُوَرِ المعاني
فقمتُ ملبّياً، وكأنَّ نفسي ... له سبقتْ بأجنحةِ الأماني!
أطوفُ على الحقولِ كأنّ فيها ... كنوزاً خُبِّئتْ عن كلّ رانِ
فأنهبُها ولم ألمسْ خبيئاً ... ويَجني اللَّحْظُ ما تَخْشى اليدانِ!
وأنظرُ للنخيل بوجدِ عانٍ ... كأنّ ظلالَه إنقاذُ عانِ
وأُرسلُ في الفضاءِ الطرفَ يجري ... وراءَ الطَّيرِ سبّاقَ الرّهانِ
أفتش عن سعادتهِ وأُلْقَى ... مِنَ الأصداءِ أفصحَ ترجمانِ
وأخطفُ سِرَّه مِنْ كلِّ لونٍ ... من الحبِّ المنزَّهِ عن مَكانِ
كأني حيث سرتُ وحيث أبقى ... تنفَّسَهُ شعوري أو جَناني
ولمّا فاض نورُ الشمس حَوْلي ... رأيتُ النورَ لا يَثنيه ثانِ
تغلغلَ في الضمائر والخفايا ... تغلغلَه بآبادِ الزمانِ!
ترى الذرَّاتِ ترقص فيه حَيرَى ... كرقصِ الموت في بحرِ الطعانِ!
مَشاهدُ للحياةِ، وكلُّ مَرأى ... مشاهدُ للفناءِ وللتَّفاني

روائعُها هي الحبُّ المُصَفَّى
ومِلءَ الحُبِّ أقسى الموتِ داني

تمرُّ مصارعُ الأحياءِ بَيْنَا
ترى الأمواتَ تُبْعَثُ في ثوانِ!

فأُفٍّ للتأمُّلِ يا حياتي!
وأهلاً بالغباءِ وبالجبانِ!

ولو أني وقد حكَّمتُ عقلي
أبى عقلي السعادةَ في الهَوَانِ

طُبِعْتُ على الكفاحِ كأنَّ سَلمى
كفاحي للعظائمِ غيرَ واني

وأحببتُ (الطبيعة) فهي أمِّي
يمجِّدها الهوى قبلَ اللسانِ

يمجِّدها وقد نثرت لشعري
أزاهرَ قد حكتْ قُبَلَ الغواني

تَعفُّ يَدايَ عن لَمْسٍ وآبى
على قدميَّ منثورَ الجُمانِ

جواهرُ للحياةِ فكلُّ زهرٍ
يضمّ من الحياةِ غِنَى البيانِ

فكيف وهذه الطرقاتُ شتى
جداولُ مِن أزاهرِها الحسانِ؟

عوالمُ تسكنُ التربَ المسجَي
لها من بعدِ صُحبتها الأغاني[1]

وترْضَى باصطباغ الماءِ حتى
إخالَ الماءَ فاضَ بلا أوانِ[2]!

وقد ضحكتْ لأخيلتي سماءٌ
بدمعِ اللهوِ مِنْ سُحْبٍ تراني!

ورفَّ الطحلبُ الثاوي قريراً
على ماءٍ يحنّ له حناني

قد احتقرتْه أنظارُ البرايا
وحيّته الفنون على احتضانِ

وجَمَّعَ عنده الأصباغَ شتى
تمنَّتها أفاريزُ الجِنَانِ

كأنَّ من الربيع حُلىً تناهتْ
فما تلقى المهينَ على امتهانِ!

---

[1] أغاني الطير وأهل السمر.
[2] تشكل الطرق المغطاة بالزهر حتى تخال عن بعد كأنها جداول ماء.

زمّج المطر

(من مشاهد النيل)

يا زُمَّجَ الماءِ[1] عَبرَ (النّيلِ) مَطْلَبُهُ
في حينِ مطْلَبُهُ أنْأَى عن الماءِ

حاكَتْ جناحيْكَ فوقَ الماءِ أشرعةٌ
بيضاءُ عنْ طُرفٍ في الأفقِ بيضاءِ

لِمَ انتقالُكَ في همٍّ وفي تَعَبٍ؟
ومِنْ حِمَى أيِّ قُطْرٍ أنتَ رحَّالُ؟

تَطيرُ كالسائحِ المحزونِ غايتُه
فوقَ الظنونِ، ولا صحبٌ ولا آلُ

كأنما الأفقُ فيه مِن مَفاتِنِه
ما صارُ يغنيكَ عن أرضٍ وعن ناسِ

تَطيرُ... يا قلَّما أرضٌ تَهشُّ لها
وشائقٌ بينَ وجدانٍ وإحساسِ

كأنا أنتَ روحُ (النيلِ) طائرةً
تَطوفُ مِن عالمِ المجهولِ والسّحرِ

نلقى معانيَهُ في الماءِ زاخرةً
ونحن أجهلُ مَنْ يَلقَى ومَنْ يدْري!

تمضي بلا وَجلٍ والماءُ مبتسمٌ
فهل تَضيعُ كما يمضي هَوَى الماءِ؟

للماءِ أحلامُهُ العظمى كأنَّ له
في البحرِ حظّينِ من موتٍ وإحياءِ!

وأنتَ هل لك عند التِّيهِ أخيلةٌ
أجْدى عليكَ مِن استقرارِكَ الهاني

تَهنيك مِنْ نَغَمِ الملاَّحِ أدعيةٌ
أم تحسبُ الزَّورقَ المُزْجيهِ كالعاني؟!

وأنتَ كالشاعرِ اللهفانِ في قَلَقٍ
لا ينتهي، وكذاك (النيلُ) في قَلَقِ

ملكتما الآن طرفي حينما هَمَستْ
نسائمُ الحبِّ بالمحجوبِ في الأُفُقِ!

دنا المساءُ وما أصفاهُ مِنْ زمنٍ
لِلْحُورِ في الماءِ والأجواءِ في سِحْرِ

دنا المساءُ وما أغنى ثلاثتنا[2]
بالشِّعْرِ في عالمٍ قد فاضَ بالشعرِ!

---

[1] هو ما يسميه الإنجليز white winged tern.

[2] يعني الشارع نفسه والطائر والنيل.

في السباق

يـــا للمَلاحــــةِ في السّـــبا   قِ وللتطلّـــــعِ في الســـباقِ
مِـــنْ كـــلِّ زِيٍّ خِلْتُـــهُ الفـــنَّ المُفصَّـــلَ للعنــاقِ
مـــا بـــين زركشـــةٍ وألـــوانٍ وأفـــوافٍ رقـــاقِ
تُغـــزَى بأنظـــارِ الرّفــا   قِ وقـــد تَعِـــزُّ علـــى الرّفـــاقِ
وتُـــرَى الســـواعِدُ كـــالنُّهو   دِ مـــنَ الأناقـــةِ في وثـــاقِ
مثـــلَ الأسـيرة، وهـــي تـــأ   ســـرُ باشـــتياقٍ واشـــتياقِ
دُنيـــا الطّـــراوةِ والتَّجَمُّـــلِ في ائـــتلافٍ وائـــتلاقِ
دُنيـــا مـــن التَّـــرفِ العجيـــبِ كأنـــه أحـــلامُ ســـاقي
تُسْـــقَى علـــى نظـــراتِ مفتـــونٍ بتأميـــلِ مُـــراقِ
وتَعـــيشُ للـــوهمِ الحبيـــبِ   ووَهمُهَـــا كـــالحقِّ بـــاقي
وكـــأنهنَّ مُعَرْبِـــدَاتٌ حـــين هُـــنَّ علـــى اتّســـاقِ
حتـــى الرّجـــالُ تحوّلـــوا بـــالوهمِ بـــين فنـــونِ راقـــي
فـــإذا الخشـــونةُ لا تَبـــينُ، فـــإن تَـــبِنْ فعلـــى نِفَـــاقِ
وإذا الجمَـــالُ مُـــؤَمَّرٌ   وإذا الخـــلافُ مِـــنَ الوفـــاقِ
وإذا السِّـــبَاقُ أحـــبُّ للفنّـــانِ في تلـــك المَرَاقـــي[1]
تَجْـــري العواطـــفُ فيـــه جَـــرْيَ الخيـــلِ في جُهـــدٍ مُطـــاقِ
متتابعـــاً متواصـــلاً   بـــين انســـيابٍ واصـــطفاقِ
حتـــى إذا خُـــتِمَ السّـــبا   قُ ذهـــينَ للكـــأسِ الـــدفاقِ
ولبـــثْنَ في رُوحِ الســـبا   ق... ألسـنَ مِـن خيـلِ السـباقِ؟!

---

[1] حيث يجلس النظارة.

تسبيحة

فيِ طَـــيٍّ وجـــداني إلهـــي شـــاملاً رُوحـــيَ كلَّـــهْ
لم أدرهِ إلاّ بنجـــــــــوايَ ونفســــــــي المســــــــتقلهْ[1]
مـــا قيمـــةُ الـــدنيا ومـــا الأخـــرى وفيِ الإلهـــامِ مِلَّـــهْ؟
حَسْـــبي ضـــميري فهـــو مِنْـــهُ، بالغـــاً أسمـــى محلَّـــهْ
مـــا عُمْـــرُهُ[2] عُمْـــري ولكـــنْ عُمْـــرُ آبـــارٍ مُطِلَّـــهْ
بـــل عُمْـــرُ غايـــاتِ الخلـــودِ الســـرمديِّ كمـــن أظلَّـــهْ[3]
مـــا الكـــونُ إلاّ بعـــض إحساســـي ولـــيس الكـــونُ أصـــلَهْ
وأنـــا الغَنِـــيُّ عـــن المباحِـــثِ، والغِـــنيُّ عـــن الأدلَّـــهْ
فمـــن الصَّـــميمِ إلى الصَّـــميمِ نـــداءُ نفســـي والجِبلَّـــهْ
لَـــمْ أَفْـــنَ إلاّ فيِ وُجُـــودٍ مـــا درى الإنســـانُ مِثْلَـــهْ
مـــا أعجـــبَ التشـــكيلَ فيِ الـــدنيا فينسَـــى المـــرءُ شـــكلَهْ!
فصـــميمهُ هُـــو كـــلُّ شـــيء وهْـــو لا يـــدركُ أهلَـــهْ!
وضـــميرهُ الأزلُ المقـــيمُ إذا أبـــاح المـــوتُ عقلَـــهْ
والحـــبُّ مِـــنْ رُوحِ الألوهـــةِ والمنِيَّـــةُ أن تَملَّـــهْ!

---

[1] المستقلة عن كيانه الإنساني.
[2] عمر الضمير.
[3] يريد الخالق الذي يرعاه.

أبولو ودفني

(دفني هي الحورية الحسناء التي أحبها أبولو إله الشعر،
وقد تبعها فلما أدركها استحالت إلى شجرة الغار)

أبــولــو:

يا حياةَ الفُنونِ! يا حُسنُ! مَهْلاَ! | لستُ للصَّدِّ يا مُمَلَّكُ أهلاَ
ها أنا عبدُكَ الذي يُنْشِدُ الشِّعْـ | ـرَ معانيكَ، فامنحْ الشعرَ وصْلاَ
أنا لهفانُ يا جمالُ، ولكنْ | لهفتي كالصلاةِ مَغزىً وأصْلاَ
لا تَخفْ يا جمالُ! لستُ سوى الحا | ني على سِرِّكَ المَصُونِ المُعَلَّى
كيف تَخشى تهافُتي؟ كيف تأبا | ني حبيباً؟ وهل تَرى الصَّدَّ سَهْلاَ؟
كلُّ إعجابيَ الذي أنتَ تَخْشَا | هُ ورُوحي عواطفٌ تَتملَّى
قد يراها الجُهَّالُ مَعْنىً سقيماً | ومِنَ الغَبْنِ أنْ تُطاوعَ جَهْلاَ
كم أباحوا الحرامَ باسمِ حلالٍ | وأباحوا عجائبَ الظُّلْمِ عَدْلاَ
لا تُصغِ يا جَمالَ (دَفْنِي) إليهمْ | أو تَذَرْ هذه العواطفَ قَتْلَى
هي دُنيا النِّفاقِ يا حُسْنُ لا تَرْ | ضَى عن الفنِّ مخلصاً مُستقِلاً
عابداً فيكَ عبقريَّتكَ العُظْـ | ـمَى، ومستوحياً سَناها الأجلاًّ
تَدَّعي لهفتي إباحيَّةَ الجا | ني وَتنْسَى لها خداعاً وخَتْلاَ
كلُّ شَوْقي إليكَ يا حُسْنُ ألحا | نٌ وأنتَ الخُلودُ نُوراً وظِلاًّ

كلُّ شَوْقي إليكَ مَعْنىً مِنَ الفنِّ عزيزٌ، و مِنْ جَنى النَّحْلِ أحْلَى

ليسَ فيه خشونةٌ أو ضلالٌ | بل هو (الذَّوْقُ) ما بَنى الكونَ قَبْلاَ
قاطفاً منكَ للوجُودِ نعيماً | في نشيدٍ مِنَ القداسةِ يُتْلَى

دفني:

لا تَـنَلْني إلاَّ لتتويجـك الفخـ ـم، وَدعْنِـي أحـولُ كالغـارِ شـكلاَ!
نحـنُ للفـنِّ، غـيرَ أنَّـا نُعـادَى كعـدوِّين أشـبعا الفـنَّ قَـتْلاَ
نحـنُ فِي عـالَمِ الحيـاةِ غريبـا نِ، فيـا بِئسَ أهلُهـا اليَـوْمَ أهْـلاَ!

الذروة

ضَجري زَلَّـتي وزُهـديَ مَرْبـأْ وَهُـدىً أرتجيـهِ أو أتفيَّـأْ
يـا إلهـي! دُنيـايَ حُسْـنٌ بـلا حَـدٍّ، إذا مـا عرفـتُ حُسْـنَكَ مَلجـأ
كم نقَدْنا ونحنُ فِي الجهْلِ حَيرَى لا نَـرى الحقَّ وهـو أسْنَى وأضـوَأ
ما اندمجْنا وما انطوَيْنا على الرُّو حِ، فلـم نُـدْرك الخلـودَ المُهيَّـأ
حُسـنُكَ الحـرُّ ماثـلٌ لنفـوسٍ قـد تنامـتْ إليـكَ نَشْـوَى لتهـدأ
فِي انسجامٍ يستشرف الحُبَّ فِي الكو نِ عميمـاً ونابضـاً يـتلألأ
مـا صـلاتي إلاَّ خشُـوعي لِنجْـوَا كَ وإفنـاءُ زلَّـةٍ تتهيَّـأ
مسـتمِدّاً مِنْ عقلـيَ البـاطنِ العِلْـ ـمَ بمـا فِي الوجودِ عُقْبَـى ومَنشـأ
نَبـعُ إلهامـكَ الـذي يتنـاهَى لمحـيطِ الألوهـةِ المُسْـتَمْرَأ
فـإذا بـي مِـنْ رُوحِـكَ الخالـدِ السَّـامي قريـبٌ ومِـنْ فيُوضِـك أمْـلأ
عرفَـتْ عنـدها مثـاليَ نَفْسـي ومِثـالَ الإنسـانِ رُوحـاً ومَبـدأ
وحيـاةَ الآبـادِ حتـى كـأنـي ذرْوَةَ الكـونِ مُشْـرِفاً أتبَـوَّأ!

ربيع الأدب

(ألقيت في حفلة تكريم الدكتور زكي مبارك بمسرح الهمبرا بالقاهرة

يوم الأحد ٢٩ أبريل سنة ١٩٢٤

شــدَا أدبُ الربيــعِ بكــلِّ لحــنٍ   تشــرَّبَهُ الحبيــبُ مــن الحبيــبِ
فهــل لــي أن أُســاهم في نشــيدٍ   يُــزَفُّ إلى العصــاميِّ الأديــبِ؟
لقــد جمــعَ الــودادُ لنــا قلوبــاً   كمــا جُمِــعَ الربيــعُ مــن القلــوبِ!

*****

أخــي في حُبِّــكَ الأدبَ المُعلَّــى   جهــودُكَ أنــتَ تُغْــني عــن خطيــبِ
لهــا عَبَــقُ الأصــالةِ وهــي بكــرٌ   حَصَــانٌ لا تخــافُ مــن الرقيــبِ
تَحــدَّثْنا مَلاحتُهــا وســادتْ   بــرُوحٍ مــن تكبُّرهــا الأريــبِ
تُنــافحُ عــن مَحاســنها وتــأبى   معانــدةَ المكــابرِ والحســيبِ
يجاذبُهــا جمــالُ الرِّيــفِ طــوراً   وكــم في الريــفِ مــن حُسْــنٍ وطيــبِ
وآنــاً روعــةُ الأَسْــفَارِ فيمــا   يزينُــهُ التغــرُّبُ للغريــبِ
وحينــاً آيــةُ العُصُــرِ الخــوالي   يَلــوحُ بهــا البعيــدُ مــع القريــبِ
مَفــاتنُ للفنــونِ، وكــلُّ فَــنٍّ   يُســاغ كأنَّــه حُلــوُ النَّســيبِ
وكــم خَلْــفَ التبسُّــمِ مــن عنــاءٍ   وخَلْــفَ اللَّهْــو مــن ألمٍ صَــبيبِ
جهــودٌ كلــها قربــانُ مَجْــدٍ   ونعْــمَ المجــدُ بالجُهْــدِ الخضــيبِ
كأنــك قــد كتبــتَ دمــاءَ قلــبٍ   فنلــتَ بمــا بــذلتَ هــوى قلــوبِ
فمــن هــذا الــذي يُغضِــي جفــاءً   لمــا أبــدعتَ مِــنْ أثــرِ حبيــبِ؟
ومَــنْ ينســى كفاحــكَ يــا أبــيٌّ   لمصــر بــذلك اليــومِ العصــيبِ[1]
ومصــرُ تنــوءُ بالجهــلِ المســجِّي   لهــا، وتنــوءُ بــالظلمِ العجيــبِ؟

---

[1] إشارة إلى جهوده في الثورة المصرية سنة ١٩١٩م.

كفاحُـــكَ للتَّنَـــوُرِ في عـــذابٍ كفاحُـــكَ للتحـــرُّرِ في لهيـــبِ!
فزكّتـــكَ المعـــاركُ وهـــي كُثْـــرٌ وحَسْـــبُ الفَـــتْحِ تزكيـــةُ الخطـــوبِ
وحَسْـــبُ الجيـــلِ أنـــك مِـــن بنيـــهِ لنمدحَـــه علـــى رغـــم الـــذُّنوبِ
كأنَّـــا إذْ نكـــرِّمُ فيـــكَ فضـــلاً نكـــرِّم منجـــبَ[1] الرجـــلِ النجيـــبِ
فعِـــشْ رجـــلَ المـــآثرِ في زمـــانٍ مـــريضٍ عَـــقَّ إحســـانَ الطبيـــبِ
فمثلـــك مَـــنْ يُعزِّينـــا ويُحيـــي خصيبَ الفضلِ في الوادي الخصيبِ

أوزريس والتابوت

كـأنَّ (سِـتَ) الخـؤونَ وقـد تمنَّـى مـمـاتَ أخيـهِ رغـمَ حِمَـى الأُلوهـهْ
زعـيمٌ منـه قـد عُـرِفَ التجنِّـي أصـيلاً في الأُلوهـةِ والأنـامِ
وأنَّ العـدلَ في الـدنيا طريـدٌ طريـدٌ في حِمَـى الـذِّممِ النزيهـهْ
وأنَّ الكـونَ يملـؤُهُ ضَـبابٌ فضـلَّ الخلْـقُ في مِثْـلِ الزِّحـامِ
وهـاموا في اصـطدامٍ واصـطدامِ!

*****

أعـدَّ لـه مُخادَعَـةً عجيبـاً هـو التـابوتُ في مَلْهـىً لدَيْـهِ
وقـال: وَهَبْتُـهُ لمـن اصـطفاهُ إذا مـا لاءَمَ التـابوتُ حَجْمَـهْ
فخـودِعَ (أوزريـسُ) مِـنَ احتفـاءٍ وعنـد رُقـادِهِ قَفَلـوا عليْـهِ[2]
وألقَـوْهُ بمجـرى (النيـلِ) غَـدْراً فمـاتَ، وقـدَّسَ التيَّـارُ جِسْـمَهْ
وقُـدِّسَ مـاؤهُ فهـوى وضَـمَّهْ!

*****

---

[1] الجيـل.
[2] أرجعوا عليه الغطاء.

تأمَّلْــــهُ المعـــزَّزَ والمُضَــــحَّى ودُنيــا المَجْــدِ تخدعُــهُ خِــدَاعا
وهاتيــكَ المَــرَاوحُ والجــوَاري وهاتيــكَ الكــؤوسُ وحاملُوهـــا
ونـــاظرةُ النجـــومِ وكـــلُّ رَسْـــمٍ يُطِـــلُّ عليـــه أو يَثِـــبُ ابتـــدَاعا
برهبـــةِ لحظـــةٍ كـــالحظِّ حَـــيرَى ويَـــأبى أن يُحـــرَّرَ خالقوهـــا

فقـــد خلـــقَ (الممـــاتَ) بهـــا ذَوُوهَـــا!

الكون الهاتف

(مهداة إلى أديب الطبيعة الصديق مصطفى عبد اللطيف السحرتي)

سماعاً! فهذا الكونُ بالحُبِّ هـاتفُ وكـم فيـهِ مَسْـحُورٌ أسِيرٌ وطـائفُ
سماعاً! سماعاً! وانفضِ الهمَّ والشَّجَى وعُمراً مضـى، فـالهمُّ كـالعمرِ زائـفُ
وجمِّـعْ بهـذا اللحـن نفسـاً شـتيتةً وجـدِّدْ وجـازِفْ، فالحيـاةُ تُجـازِفُ!

*****

يمامــةَ صُــبحي المسـتعزِّ بنـوره كلانـــا مُصـــيخٌ للتَّحيـــةِ عـــارفُ
كـذا فلـيكنْ شَـدْوُ الغـرامِ مرجَّعـاً مَديـداً كمـا يشـكو المحبـةَ تـالفُ
فَعَـنْ أيِّ دهـرٍ سـالفٍ فيـكِ حُرقـةٌ وأيُّ غـرامٍ غـائبٌ عنـكِ عـازفُ؟
سمعتُكِ حتى كان لحنُكِ كالصَّدى مِنَ الـزَّمَنِ المفقـودِ أحيـاهُ خـاطفُ!
أتـى والربيـعَ الطفلَ حتـى كأنمـا تَغـذَّى بـه وهـو الجنينُ المشـارفُ[1]
فجـاءَ لنـا كـاللحنِ سـحراً وروعـةً فمهما نَصِفْهُ لا يَفِ الوصفَ واصفُ
تَقَـدَّسَ حتـى مـا أكـاد أظنُّــهُ أمـامي، وحتـى مـا تحسَّـاه راشـفُ
وأُنسيتُ نفسي في اندماجي بنوره وأطيافِـه، والنـورُ كـالطيفِ واجـفُ

---

[1] الربيـــع.

لقد ملكتْها رعشةٌ مِن حبُورِها ... وماج بها جوٌّ من الحبِّ عاصفُ
فأغمضْتُ عيني في ذُهولٍ ونشوةٍ ... كأني بهذا الحلمِ راضٍ وآسفُ!

*****

ويا مَلعباً[1] تأبى العصافيرُ غيرَهُ ... وكلٌّ بأسرارِ الطبيعةِ عازفُ
أعندكَ للَّهْفانِ سلوى جديدةٌ؟ ... فعندكَ تُرْجَى بل تُنالُ العوارفُ
سواء تقمَّصْتَ الحياةَ التي خلَتْ ... أم الزمنَ الآتي وفيه الطرائفُ
فإنكَ للآباد أشْجى رُموزِها ... وخلفَ أغانيها قرونٌ هواتفُ
وأُغمضُ عيني والأزاهرُ شعلةٌ ... أمامي كأني قبلَ صيفيَ صائفُ
فأَستروحُ اللذاتِ في غمضةِ المُنَى ... وأَلْقَى فصولَ العامِ فيما أشارفُ!

أيزيس والطفل الأمير

(لمَّا غدر سِت set بأخيه أوزيريس Osiris ودفنه حيّاً في التابوت أمر بإلقاء التابوت في النيل فحمله التيارُ إلى أن بلغ شاطئ ببلوس Byblos فاستوعبه جذع شجرة. وقد أعجب ملك ذلك القطر بتلك الشجرة الرائعة الجمال فقطعها واتَّخذ من جذعها عموداً من أعمدة قصره، وهكذا بقي تابوت أوزيريس وشردت باحثةً عن تابوته إلى أن بلغت ببلوس، وثمة استراحت إلى جانب نافورة. فرأتها وصيفات الملكة وتحدثن إليها، فكلمتهنَّ بلطفٍ ساحرٍ وعطَّرتهنَّ أنفاسُها، حتى إذا عُدْنَ إلى الملكة دهشت لما فاح من عطر هنَّ العجيب، فحدَّثنها عن هذه الحسناء الغريبة التي وفدت على المدينة. وقد أدَّى هذا بالملكة إلى دعوتها إلى قصرها حيث اختيرت مربية لأحد الأطفال الأمراء، وكان هذا الطفل يتغذَّى بمجرَّد مصّ إصبعها نظراً لقوتها الآلهية الخارقة.... وفي الأبيات الآتية تصوير للموقف المرسوم في اللوحة الملوَّنة من ريشة إفلين بول Evelyn Paul).

*****

[1] ملعب الطبيعة.

هل تَرَى (إيزيسَ) والطفلُ الأميرْ في حِمَاها كشذا الزَّهرِ النضيرْ؟
حملتْــه وهـو في اطمئنانــهِ كقرارِ الحُبِّ في طُهْرِ الضميرْ
نشوةُ الصُّبحِ على هندامها وانكسارُ النورِ في القلبِ الكسيرْ
يُلمَحُ الحزنُ على وجنتها لمحةَ الأسرِ على وجهِ الأسيرْ
والجواري رانياتٌ حولها كزهورٍ في صلاةٍ حولَ نُورْ
ومَعاني الملكِ في ألوانها زاهياتٌ وأفاويحُ العطورْ
كلُّ لونٍ رائعٍ مِن ملبسٍ ونقوشٍ هو لونٌ مِن شُعورْ
كلُّ عطرٍ ذائعٍ إلهامُهُ شائعٌ كالفنِّ في رسمِ القديرْ
وقفتْ في حسرةٍ من غُرْبةٍ غربةِ التشريدِ والثّكلِ الخطيرْ
في حنانٍ لاذعٍ إنْ شابَهُ ذلك الحزنُ فنُورٌ من سعيرْ
قدمت (ببلوسَ) تبغي زوجَها في خفيِّ النعش بالقصر الكبيرْ
وارتضتْ في القصر تغدو مرضعاً تُرضعُ الرحمةَ للطفل الأميرْ
تُرضعُ الرحمةَ من إصبعها وتذيقُ الحبَّ في الوجد الطَّهورْ
وتُضحِّي في ارتقابٍ وأسىً تضحياتِ الشمس عن قتلَى الدُّهورْ
وكأنَّ العبدَ إذْ يرنو إلى نُورِها كالليل في الحُلمِ الأخيرْ
صُورةُ اللوعةِ في عصرٍ له حُرمةُ الفَنِّ ومرآةُ العُصورْ!

إلى ناجي الشاعر

(تحية لمناسبة صدور ديوانه "وراء الغمام")

تَغنَّى بهذا الشعرِ قبلَ وُجودنا وفي بَدْءِ خلق الكونِ شاعرُه الأسمَى
فصرنا نَرَى فيه نشيدَ ألوهةٍ ونلمحُ فيه روحَ آياتهِ العظمى

مفـاتنُ سِـحْرُ العبقريـةِ بعضُـها ... فمـاذا وراءَ العبقريـةِ لا يُسْـمَى!؟
حبيبـةُ قلـبي: كلمـا ذاقَ ظامئـاً ... سُلافتها يستصـغر الـروحَ والجِسْمَا
يـرَى أنَّـه مَعْنـىً سـوى مـا أحسَّـهُ ... ولكنه مَعْنىً شأَى الحدْسَ والفَهْما
كـأني يتـيمٌ إنْ حُرِمْتُـكَ شـاعراً ... وفي صُحبتي إيَّاكَ لا أعرفُ اليُتْمَا
كـأني غريـبٌ في وجـودٍ معـذِّبٍ ... وعندكَ ألقى عالَمَ الحُبِّ والنعْمَى
عواطـفُ تُـزْري بالزَّمـانِ، وعُمْرُهـا ... هـو الكـونُ: لا نـدري لغايتـهِ عِلْمَـا
لَئِنْ عُـدَّ حُـبي مـن جنـونٍ ونشـوةٍ ... فللفنِّ حُمَّى لن تُقاسَ بها الحُمَّى!

عبـد الجمـال

مـا لـي وللأحـلامِ مـا لـي ... وأنـا المعـذَّبُ بالخيـالِ؟!
عبـدُ الجمـالِ ومـا أرى ... عبداً سـوى عَبْدِ الجمالِ
فكـأنّني رَهْـنُ القـرُو ... نِ الزاخـراتِ بكـلِّ غـالِ
متلـهّفٌ متطلـعٌ ... بـين التـوجُّس والسـؤالِ
أتصـيَّدُ الخطـراتِ مـن ... دنيـا الغرائـبِ والمحـالِ
وفـؤاديَ الظمـآنُ يَخْـ ... ـفُقُ بـالحنينِ وبالضـلالِ
يهفـو إلى خـافي الجمـال ... مـن الأشـعة والظـلالِ
فكأنّـه طـيرٌ حبيـ ... سٌ حَـنَّ للـوطن المـوالي
وطـنُ الجمـالِ بـلا حـدو ... دٍ في نماذجـهِ الغـوالي
فـيراه بـالطبع الأصيـ ... ـلِ وحيث لم يخطر ببالِ
حتـى لتبكيـه المنـا ... زِلُ مِـنْ عنـاءٍ والمعـالي

جـــابَ الوجـــودَ بأســـرهِ		بـــين افتتـــانٍ وابتهـــالِ
وكـــأنَّ كـــلَّ جمالـــهِ		وَهْـمٌ مـن الإحســانِ خــالِ
أو أنَّـــــه روحُ الـــــدَّلا		لِ يضـيع فيٍ نغَـمِ الـدَّلالِ
فـــإذا المتَّـــعُ كالمعـــذّ		بِ والوصـالُ كـلاَ وَ صَـالِ!

إيزيس تغادر ببلوس

(كانت أيزيس تُرْضِع باصبعها الطفلَ الأميرَ أثناء قيامها بتربيته بالقصر الملكي في ببلوس. وكان من عادتها كلّ ليلة – حينما يذهب الجميع إلى مضاجعهم – أن تجمل كُتَلَ الخشب وتشعل النيرانَ ثم تُلقي بالطفل وسطها وإذا ذاك تتحوّل أيزيس إلى سنونو وتزقزق في لوعةٍ راثيةٍ زوجَها الفقيد... وقد نقلتْ وصيفاتُ الملكة إليها إشاعاتِ هذه الوقائع الغريبة، فصممتْ الملكة على مراقبة مربية ابنها لترى مَبلغ هذه الإشاعات من الصحة، وعلى ذلك اختبأت الملكة في البهو الكبير حتى إذا أقبل الليل جاءت أيزيس والطفل الأمير وفعلت أيزيس ما نُقل للملكة، وحينئذ هرعت الملكة إلى الطفل صارخةً وأنقذته من اللهيب... فما كان من أيزيس إلاّ أن وبّختها بعنفٍ قائلةً لها إنها بصنيعها هذا قد حرمت طفلها الأمير حظَّ الخلود! وثمة أعلنت أيزيسُ عن شخصيتها وتمنَّت على الملكة أن تعطيها العمود الشجريَّ الحاوي تابوت زوجها وجثمانه في القصر الملكي، فاجيبت أيزيس إلى طلبها واستخرجت هذا التابوت وعادت به إلى مصر. وبقيَ العمودُ الشجريُّ الذي كان يحتويه مقدَّساً في ببلوس. واللوحة الفنّية تمثلها في بدء عودتها إلى مصر).

*****

فيِ وفـاءِ الحُـبِّ والحُـزْنِ الجميـلْ		أشـرقتْ (أيـزيسُ) كالبـدرِ العليـلْ
وعليهــا الشّـــفُّ فيِ ظُلمتـــهِ		ظلمـــةُ الأحـــزانِ للحـــبِّ القتيـــلْ
نزلـــتْ باســـطةً ســـاعدَها		بسـطةَ الإيمـانِ والصـبرِ الجميـلْ

وكــــأنَّ الجســـــرَ إذْ يحملُهـــــا بعدَ طولِ اليأسِ جِسرُ المستحيلْ
نزلـــتْ والمركـــبُ الرّانـــي لهـــا عاشـقٌ يَســتلهمُ الحُســنَ النبيـلْ
يحمـــلُ التـــابوتَ قـــد كلَّلـــه زَهـرُ اللـوتسِ في حِـرْصِ البخيـلْ
كلـــها تهفـــو إليهـــا مثلمـــا قـد هفـتْ في نشـوةِ الفجـرِ البليـلْ
وكـــأنَّ اللـــوتسَ الصَّـــبَّارَ مَـــنْ يحمـل التـابوتُ في صـبرٍ طويـلْ!

*****

وقَـــفَ الجُنْـــدُ وفي طلعـــتهمْ أســرَةُ المُلـكِ يُحيُّـون سَـنَاهَا
حَيَّـــرتْهُم روعـــةٌ مِـــنْ حُســـنها خَفضـتْ إذْ رَفعـتْ تلـك الجباهـا
وتـــراءَى صَـــدْرُها العريـــانُ في صـورةِ الرحمـةِ غـذَّاها أسـاها
مَشـــهدُ اللَّوعـــةِ والحُـــبِّ كمـــا يَـتراءَى الوجـدُ والحـبُّ إلهـا
جمـــعَ المـــوتُ وفيّـــاً – بعـــد مـــا غـدرَ المـوتُ – هـواهُ وهَواهـا
كـــم قلـــوبٍ خفقـــت في خَفْقِهـــا ودُمُـوعٍ لم تكـن دمـعَ سِـوَاها
وشَـــجىً للبحـــرِ في أمواجـــهِ وكـأنَّ البحـرَ أشْـجاهُ شَـجاها
تَصـــرخُ اللَّوعـــةُ في كـــلِّ الـــذي حولهـا، لكنَّمـا الصـمتُ صَـدَاها!

على قبر المثال مختار

(ألقيت في اجتماع الفنانين على قبره يوم ١٠ مايو سنة ١٩٢٤)

مختـــارُ! يـــا ابـــنَ الفـــنِّ، والفـــنُّ حَـــيٌّ علـــى الآبـــادِ خَـــلاَّقُ
هـــل خانَـــه أم خانَـــك الـــزمنُ فلقيـتَ حتفـكَ بـينَ مَـنْ لاقُـوا؟!
جئنـــا نحـــجُّ إليـــك في لَهَـــفٍ نحـــن الـــذين نعـــيشُ للفـــنِّ

جئنا وكلٌّ غيرُ معترفٍ ... بالموتِ أو بالناسِ والزمنِ!
أيضمّ هذا القبرُ معجزةً ... للعبقريةِ بين أرماسِ؟
حاشا! فأنت تعيش أخيلةً ... في عالم الإبداعِ لا الناسِ
في عالمٍ نحن خلقناهُ ... بالحبِّ والإيمانِ والذهنِ
الكونُ رمزٌ أنت معناهُ ... لا شيءَ غيرُ العالم الفني!
يا قبرُ لستَ سوى الشهيدِ على ... دُنيا الأسى، دنيا العداواتِ
يا مَلجأً يثبُ الغريقُ إلى ... مَأواه من أحياءِ أمواتِ!
بحرُ الفناءِ هو الذي نحيا ... فيه بأجسامٍ مِنَ العدَمِ
أمواجُهُ أحداثُ مَنْ نشقَى ... بخداعِهِمْ، والموتُ في الألمِ
آويتَ جثماناً لذي خطرٍ ... غابَ الضحيةَ بين مَنْ جهلوا
كم أنتَ ذا عِبَرٍ لمعتبرٍ ... لكنْ تَوَلَّى العقلُ والأملُ!
غَرِقَا كما غَرِقَتْ عواطفُنا ... في هذه الأمواجِ والتيهِ
ما الناسُ؟ كم منهم مَتالفُنا ... في كلِّ حرمانٍ وتسفيهِ!
يا قبرُ! قد أودعْتَ مَفخرةً ... لكنَّها بعضٌ من الكلِّ
ما ماتَ مَنْ نَلقاهُ مَأثرَةً ... في هذه الأنوارِ والظلِّ!
مختارُ! هذي الأرضُ حافلةٌ[1] ... إن كان جسمُكَ ماتَ مغبونَا
أممٌ على أممٍ مقاتلةٌ ... فيها، فساوى الحيُّ مدفونَا
جئنا إلى مَثوى رُفاتك، لا ... مَثواكَ أنتَ فلستَ محدودَا
مِثلَ الأثير تعيشُ منتقلاً ... صُوَراً، وتحيا الدهرَ مشهودَا
يا ليتَ بين الجمع فاتنةً ... لتصوغَ فيكَ الشعرَ والحُبَّا
قد كنتَ في دُنياكَ عاطفةً ... وخلقْتَ قلباً عاشقاً قَلْبَا

---

[1] محتفية بجسمه.

تلــك النمـــاذجُ كلُّهـــا فِــتَنٌ ... وتَفــــنـنٌ لمليحــــةِ الـــوادي
مـــا بالُنـــا قـــد صـــدَّنا شـــجنٌ ... عنهـــا، وأيـــن جمالُهـــا الهـــادي؟
خلَّــدْتَها أضـــعافَ مـــا خلـــدتْ ... بجمالهـــا، يـــا ليتهـــا تـــدري!
يـــا ليتهـــا وافـــتْ هنـــا وشـــدتْ ... شـــعراً لهـــا، لا اليـــأسَ في شـــعري!
مختـــارُ! هـــذا الصـــخرُ نَشْـــهَدُهُ ... صُـــوَراً مِـــن الإعجـــازِ في المَعْنَـــى
يـــا ناحتـــاً مـــا بـــات يَعبـــدُهُ ... شـــانيك، مثلُـــكَ لـــيسَ مَـــنْ يَفْنَـــى!

لـــذة الهـــدوء

لم أدرِهـــا في حيـــاتي لـــذةً أبـــداً ... كأنمـــا في هُـــدوئي غايـــةُ الأَجَـــلِ!
أُعـــاركُ الـــدَّهرَ مـــن يـــومٍ وُلِـــدْتُ بـــه ... فلســـتُ أذكـــرُ إلاّ الجُهْـــدَ في عَمَلـــي
حتـــى الطفولـــةُ أعـــداءٌ أُحاربُهـــا ... من السَّقام[1] وحتى الوهمُ في أملي
أنـــا الكـــدودُ المُعـــاني غـــيرَ مُـــتَّهَمٍ ... إلاّ لـــدى رَجـــلٍ مـــا كـــان بالرَّجـــلِ!
سخرتُ مِن بيئتي والعزمُ يحفزني ... فـــوق الصـــعاب إزاءَ المطلـــبِ الجلَـــلِ
وقـــد تَمرَّسْـــتُ بالآفـــاتِ أُرضـــخها ... بالصبرِ والحزمِ لا بالخَتلِ والحِيَلِ
حتى تركتُ خصيمي يائساً وَجِلاً ... مِنْ هِمَّةٍ إنْ شكتْ لم تَشْكُ مِنْ وَجلِ
أُوتيـــتُ مـــن قُـــوَّةٍ في الـــنفسِ غالبـــةٍ ... مـــا صَـــغَّر الـــدهرَ في لهـــوي وفي جَـــدَلي
وقد صبرتُ على الأحداث مضطلعاً ... بالخطبِ، حتى كأنَّ الخطبَ يبْسِمُ لي!
أقولهـــا قولـــةً في الحـــقِّ صـــائبةً ... لمـــن يظلّـــون في جهـــلٍ وفي خَبَـــلِ:
مهمـــا صـــنعتم فمـــا الأحـــداثُ بالغـــةٌ ... مني وما صدماتُ الغَدْرِ مِنْ شُغُلي

---

[1] يشير إلى اعتلال صحته الطويل في طفولته.

وإنَّ لـــي ثقـــةً شمـــاءَ صـــارمةً ... بغـايتي مـن حيـاةِ النَّفْـعِ لا العِلَـلِ
فليس يخضد مِن عزمي، ولا تَلفي ... ولـيس يبليـه مَـوْتي لـو هـوايَ بُلِـي
فـإنَّ روحــيَ معنــى لا حــدودَ لــه ... يَغزُو الـسَّحابَ ويعدو قمَّةَ الجبلِ
ويـترك اليأسَ فيمن أحكموا تلفي ... وقـد خلعـتُ علـيهم رحمـةَ البَطَـلِ!

الوحـــدة

وَحــدَةٌ تفجــع النفُــوسَ الحزينــهْ ... حيـث يَبْقَـى الحـزينُ يَرْعَـى حنينَـهْ
لم تُطِقْهــا فوسَّــدتْ رأسَــها العــا ... نــي وأخفَـتْ عيونَهــا المسـكينهْ
وبكـــتْ والبُكـــاءُ هـــذا دمـــاءٌ ... لجـراح المنـى الغـوالي الثخينــهْ
وارتمـــتْ دونَ مَلْــبسٍ غــيرَ هــمٍّ ... يجعـلُ الـنفسَ عنـده كالسـجينهْ
رقــدتْ في شــجىً وليســت تُبــالي ... راحــةَ الجســمِ أو تُبــالي أنينَــهْ
مثــلَ مــا بَعثــرتْ رســائلَ حُــبٍّ ... بُعثــرتْ قُربَهــا الـدُّموعُ الثمينــهْ
كلُّهــا ذكريــاتُ مــاضٍ عزيــزٍ ... قتلتهــا يــدُ الشُّــجونِ الدَّفينــهْ
والضــياءُ الــذي يفــيضُ عليهــا ... كضــياءِ الممــاتِ جَــمُّ السـكينهْ
والجمــالُ الــذي يُعــاني غبينــاً ... هـــو كَفَّـــارةٌ لـــدُنيا غبينـــهْ
هــو يَشــقى لنــا، وَأنفسُــنا اللَّهْــ ... ــفَى بمــا قــد جَنَـتْ عليـهِ رهينــهْ
نَـــتملاَّهُ في الحيـــاةِ وفي الرَّسْـــ ... ـــم، كأنّـــا نَـــئنُّ صِـــدْقاً أنينَـــهْ
لــت أنَّــا نطــاردُ الوحـدةَ الكُبْــ ... ــرَى ونُقْصـي عـن الهمـوم جبينَـهْ
كـلُّ نفـسٍ تَطيبُ في لوعـة الحُســ ... ـــنِ فليســـتْ إذنْ عليـــه أمينـــهْ!

*****

كــلُّ هــمٍّ يهــونُ في الــدهرِ إلاّ ... وحـدةً تسـحق الأمـاني الكمينـهْ

وأمَضُّ الشَّجَى عذابٌ دفينٌ   للجمالِ الذي نُقدِّسُ دينَهْ
وأشَقُّ الأسى أسَى الفنِّ والـ   ـفنَّانِ في لوعةِ المعاني المهينهْ!

الجنة الأرضية

جَنَّةٌ للخيالِ في كنَفِ الدَّوْ   حِ حبَتْها السَّماءُ بالحُسْنِ شتَّى
فوقَ دُنيا القبورِ تزخرُ بالوَحْـ   ـيِ وبالحُبِّ قد أبَى الموتَ مَوْتَا
شَخَصَ الملهمون نحو ذُراها   وإليها يحجُّ مَوْتَى ومَوْتَى
والسَّرابُ الرّقراقُ يُزْجِي إليها   أتقياءَ الأَنامِ مِنْ كلِّ مَأتَى
سُيِّجَتْ بالملائكِ الزُّهرِ والزَّهرِ وبالحُلْمِ لا يرى الصمْتَ صَمْتَا
خلقتها الأوهامُ لكنها عاشَتْ على الدهرِ، وهو قد عاش مَيْتَا!

*****

جَنَّةٌ تملأ الأنوثةُ مَعنا   ها فيبدو النعيمُ ذاك المعنى
سكنتْ في الجمالِ والناسُ صَرْعا   ها، وعادتْ لهم ثواباً وفنَّا
في نظيمٍ مِنَ النماذجِ حالٍ   كمعينٍ غَمْرٍ يشوقُ العَيْنَا
وثيابٍ نقيَّةٍ مِن بياضٍ   وكأنَّ الضياءَ فيها استكنَّا
وجُسومٍ رشيقةٍ في حنانٍ   كالأماني إذا تحرَّرن عنَّا
جَنَّةٌ كلُّها عجيبٌ ولكن   كلُّ ما أبدعتْه عنَّا ومنَّا[1]

---

[1] إشارة إلى أنها لم تخرج من أخيلتها عن مألوف الحياة ولم تتعد الأهواء الأرضية.

الحسن المشتعل

إذا اشتعَلَ الحُسْنُ أردَى الحياةَ ولم تُغْتَنَمْ منه آثارُهُ
كما عاشَ في نارِهِ (المشتري) وعاشَتْ تُناجيهِ أقمارُهُ
وفي الأرضِ من قبلِ خَلْقِ الأنام جمالٌ تُحاربنا نارُهُ
نَحومُ عليه فنُفْنِي الرَّجاءَ ويحيا الجمالُ وأشعارُهُ!

منطقة الخطر

حبيبٌ إلينا عِقابُ الجمالِ ففي قُرْبِهِ يُستطابُ الخطر[١]
ولو أننا قد لقينَا المماتَ فبعضُ المماتِ مماتُ القمرْ
تُبعثَرُ أفئدةٌ حوله كما بُعْثِرَ الحبُّ ملءَ الشررْ
تموتُ ولكنَّها لا تموتُ فإنَّ الجمالَ ضمينُ العُمُرْ!

عمر الأرض

ثلاثةُ آلافِ الملايين[٢] لم تكن بعمركِ بل يا أرضُ عُمْرُكِ وجداني
لقد كان مِنْ قَبْلِ الثرى فيك ماثلاً وقد جاء مِن كونٍ كأصلكِ نُوراني
ولم يَرْضَ إلاَّ أن يكون محرَّراً عن الشمسِ في معنى كحسنكِ فتَّانِ
فما زال حتى جانبَ الشمسَ مُعلناً وُجودَكِ في رسْمٍ كرسمِكِ فنَّانِ
وغنَّى بشعرِ الحُبِّ والفكرِ مثلما تَغنَّيْتِ في هذا الفضاءِ لكيوانِ[٣]

---

[1] إشارة إلى الظاهرة الفلكية المعروفة التي أثبتها العلامة روش حول الشموس والأجرام السماوية.
[2] يقدر عمر الأرض نتيجة التحليل العلمي للصخور بنحو ثلاثة آلاف مليون سنة.
[3] كيوان: زحل الذي يعد والمشتري أكبر السيارات حجماً وبهاء.

الإشعاع

وما زلتُ رغمَ الشَّيْبِ بالحبِّ خافقاً   فؤادي، وهل لي أن ألومَ فؤادي؟
ينوءُ مِن الإشعاعِ للحسْنِ مثلما   ينوءُ بسرٍّ للملاحة عادي[1]
وكم ضغطَ الإشعاعُ[2] ضغطَ مسوَّدٍ   وأسرفَ حتى في حياةِ جمادِ
فكيف ألومُ القلبَ والقلبُ بضعةٌ   من الحُسْنِ، أو أنسى وجُودَ فؤادي؟

النظام الشمسي

أيُّ شمسٍ تلكَ التي هدَّتْ الشَّمـ   ـسَ فأحيَتْ شمْسينِ في مَعْنَيَيْنِ[3]؟
هَرَبتْ بعد جُرمها فإذا الجُر   مُ حياةٌ تموج في بيئتينِ:
بيئةُ الشمسِ جَدَّةُ الخلق في المَنْـ   ـشأ في نُورِهَا النّضاري اللجَيْني
وسِواها مِنْ نَسْلها وهي كالشمـ   ـسِ وإن أُطفئَتْ على غيرِ غَبنِ
قُسِّمت للجمالِ تقسيمَ إنصا   فٍ وحُسْنٍ مُنَوَّعٍ مطمَئنٍّ

*****

أيُّ شمسٍ تلك التي هَدَّتْ الشمـ   ـسَ فأحيتْ شمسين في معنيينِ
غيرَ روحِ عزيزةٍ كُنْتِها أنـ   ـتِ، واكِنْ رجعتِ إلهامَ فَنٍّ؟
نُدرةٌ للوجودِ هذي وإعجا   زُ إلـهٍ بكوننا مُفْتَنٌّ
كلُّ سيارةٍ مِنَ الشمسِ أحلا   مُ جمالٍ بقلبها مستكنٌّ
غيرَ أنَّ الأرضَ الفقيرةَ أغنا   ها وقد عُدْتِ بعد طولِ التمنّي
فجعلتِ الحياةَ معنىً جديداً   وجعلتِ الوجودَ هذا المُغَنّي!

---

[1] عادي: معتدي.
[2] يشير إلى رأي الأستاذ رس جن عن قوة الإشعاع وضغطه للعظيم وأثر ذلك في الفلكيات.
[3] في هذه الأبيات تصوير شعري مجمل لنظرية جينز في تكوين النظام الشمسي.

الطاووس

فِـدىً لعينيْـكَ مـا تهـواهُ عينـانِ ... مِـن الملاحـة في ذا العـالم الفـاني
فِـدىً لصـدرِكَ مـلءُ العـين زُرقتُـه ... وحـيُ السـماءِ بأصبـاغٍ وألـوانِ
فِدىً لريشكَ ما في الزَّهْـرِ من مُلَـحٍ ... عنـد الربيـعِ ومـا في نقـشِ فنَّـانِ
فِـدىً لِقُنْزُعـةٍ زانتـكَ فِتنتُهـا ... مـا للمفـاتن في ترصيـعِ تيجـانِ
فِـدىً لرعشـتِكَ الخـلاَّبِ مَنظرُهـا ... مِنْ رعشةِ الحُورِ أحلامي وإيماني
فِـدىً لمـا أنـتَ باسـمِ الفـنِّ تُعلِنُـهُ ... مِـنْ عـالمِ الزَّهْـوِ في ذيـلٍ وأردانِ!

*****

يـا جـائلاً مارحـاً لكـنْ علـى شَـمَمٍ ... وعِـزَّةٍ قلَّمـا تُلْفَـى لإنسـانِ
وفي رشـاقةِ فنَّـانٍ علـى قلـقٍ ... جـمِّ التعـابيرِ في محسـودِ إتقـانِ
تعالَ! إني أنا الراجيكَ في شغَفٍ ... بمـا تمثلـه مِـن رُوحِ هيمـانِ
فيكَ الهوى جائشٌ والذَّيلُ منتفضٌ ... والنـورُ يسـقط منـه فـوقَ بُسـتانِ
وفـاخرُ الـريشِ كنـزٌ لا تُنافِسُـهُ ... كنوزُ (كسرى) ولا دنيا (سليمانِ)
والشـمْسُ بـين تَعـلاَّتٍ تُغازِلُـهُ ... وضَـوْءُها بـين حيرانٍ ونشـوانِ
وأنـتَ تختـالُ دوَّاراً وتُعجزنـا ... في نُبلِكَ الفذِّ عن وَصْفٍ وقُربانِ
تعـالَ! يـا جامعـاً دُنيـا منوَّعـةً ... مِنْ كلِّ مَعْنىً غريبِ السحر محْسانِ
تعـالَ أنـتَ إلى صـدري! فـإنَّ بـه ... إلى الفنـون حنانـاً فـوق تحنـاني
إلى الطبيعـةِ في مـا أنـتَ تَحجبُـه ... وأنـتَ تُعلنُـه في غـير إعـلانِ
كأنمـا كـلُّ مـا تُبديـهِ مِـنْ عَجَـبٍ ... شـتى الرُّموزِ بَدَتْ مِنْ عـالمٍ ثـاني
إنَّ رعايـاكَ! أهـلُ الفـنِّ مُـذْ خُلقـوا ... لم يَعرفـوا غـيرَهُ مَعْنـىً لأوطـانِ
ومهجتي مهجةُ الفنَّان إن شخصتْ ... إليـكَ تشـخصْ إلى إحسـانِ ديَّـانِ

عبد الله الأنصاري

(رثاء أستاذ من أساتذتي الذين غذوني يحب الأدب العربي وقد تلوتها على قبره في يوم الجمعة ٨ يونيه سنة ١٩٢٤م).

أيها الراحلُ عنَّا في غِنىً   عن وداعٍ، وقفةً تُرضي الوَداعا
نحن أهلوكَ جميعاً، كلُّنا   يعرف الحزنَ دفيناً ومُشاعا
لم نودّع فيكَ إنساناً مضَى   بل دفنَّا العِلْمَ والفنَّ الصَّناعا
أنا بعضٌ منكَ في إلهامهِ   فلتدعْني أنظمْ الحزنَ ابتداعا
أنتَ ممَّن أظمأوني أدباً   بينما الناسُ يردُّون الخِداعا
متعةُ الرُّوحِ التي قد أمنتْ   بكَ لا مُتْعَةُ مَنْ يُرْضِي السَّماعا
فوقَ موجِ الدهرِ تمضي باحثاً   مثلَ مَنْ وَلَّوْا ومَنْ جاءوا تباعا
إنْ يخنكَ الدَّهرُ والناسُ معاً   فلقد رِيعُوا وتأبَى أن تُراعا
كنتَ مَعْنىً للتسامي ذائعاً   كالأثيرِ الحرّ ملءَ الكونِ ذاعا
كم تَتبَّعنا مَراميكَ التي   ألهمتنا المجدَ خُلقاً واتِّباعا
علمتنا الفنَّ حُبّاً وغِنىً   فاقتبسنا الفنَّ رُوحاً وشعاعا
وجعلنا الأرضَ أسمَى منزلاً   وأبينا أن نراها تَتداعَى
وعرفنا "الذَّوقَ" شعراً صافياً   كم ترنحنا به ساعاً فساعا
إيهِ أستاذي الذي قدَّستُه   قدرَ ما أرهقني النَّعْيُ التياعا
علِمَ اللهُ فؤادي ثاكلٌ   رُبَّ ثكلٍ لم يكن إلاَّ التماعا
ونظيمي ليسَ إلاَّ حرَقي   رُبَّ نُورٍ كان للنار قِناعا
مَنْ مُعيدي لزمانٍ كنتَ لي   فيه عمّاً وأخاً بَرّاً وباعا
مُعْجَباً تزْهُو بما أنظمهُ   وتَراعِي منه لحناً لا يُراعَى
وأنا تلميذُكَ الوافي الذي   يجمع الحسنَ الذي تاهَ وضاعا؟

مَنْ مُعيدي؟ آهِ من دنيا الأسَى! هيَّأت لي الآنَ والموتَ اجتماعا
فتلاقيْنا على قبرِكَ في مأتمٍ ضاقَ عن الحزنِ اتساعا
وتعثرتُ بشجوٍ لم يكن في اتِّزانٍ غير ما كان اندفاعا
فأنا الآن بكلّي لوعةٌ تسكب الشعرَ دماعاً ودماعا
وأنا الراثيكَ أرثي مُهجتي وزماناً كنتَ لي الخلَّ المُطَاعا
وأنا الباكيكَ أبكي صادقاً هذه الدنيا كما أبكي اليرَاعا!

في المحكمة الشرعية

يا ليتني في فُضُولي لم أُطِعْ قدمي! يا ليتني! كم أعاني الانَ مِنْ ألَمِ
إنْ أنْسى لن أنسَ سُوقاً لا تُباع بها غيرُ الكراماتِ والأخلاقِ والذِّممِ
حيثُ النساءُ ضحايا في جوانبها وفي مَسَالكها في ذلةِ الرِّمَمِ
حيثُ السماسرةُ المرهوبُ جانبهُم ما بين بائسةٍ تُدْمَى ومُتَّهَمِ
يُضاعِفون مِن الويلاتِ أسقَمها ويُؤْجَرونَ على الويلاتِ والسَّقَمِ
في كلِّ ركنٍ صراخٌ لا مثيلَ لهُ وفي التراب عزيزُ الوعد والقَسَمِ
وكلُّ طفلٍ يتيمٍ دُونَ ميتمةٍ لكنه في شقاءٍ صورةُ اليَتَمِ
وللذُّباب ألاعيبٌ مُنوَّعةٌ عليه لا ينتهي منها إلى سأمِ
والخبزُ غطَّتْه دون الأدْمِ أتربةٌ كأنما هي ألوانٌ من الأُدُمِ
والمرضعاتُ بأثداءٍ مجعَّدةٍ مِن سَوْرةِ الجوع والأحزانِ والألمِ
دارُ العويل ودارُ المشجياتِ، وما أقْسَى العويلَ بدارِ العدْلِ في الظُّلَمِ
ممَّنْ يطالبن بالقُوتِ الضئيلِ وما يَنلْنَ إلاَّ صُنوفَ اللَّوْمِ والتُّهمِ

يَلُحْـنَ أشـباهَ أشْـباحٍ مكفَّنـةٍ		وكـلُّ رانٍ إلى أكفـانهنَّ عمـي
ويَنـتهينَ إلى ظُلْـمٍ علـى ظُلَـمٍ		يـا أمـةً لم تَـزل مـن أعـرقِ الأمَـمِ

الهواجس

تُـداعبنا الهـواجسُ كـلَّ حـينٍ		كـأنَّ لهـا مِـن الهُرْمُـونِ[1] داعِ
خفايـا الـنفسِ أغـربُ في خفـاءٍ		مـن الغُـددِ السـجينةِ في ابتـداعِ
تَحكَّـمُ في الجُسـومِ وهـنَّ أَسْـرَى		وتَحْكُـمُ في الـدوافعِ والـدواعي
وتلـك هـواجسُ الأحـلامِ فينـا		لهـا الأثـرُ العميـقُ علـى الطبـاعِ

*****

لقـد عـابوا خيـالَ الشـعرِ حتـى		تمـادَى في الملامـةِ كـلُّ نـاعي
فهـل علمـوا نُفـوسَ ذويـهِ قـبلاً		وهـنَّ مـع النجُـومِ علـى اندفـاعِ
وهـل فهمـوا خـواطرَهم بعهـدٍ		تولَّتهـا الأشـعةُ بالرّضـاعِ
وهـل عرفـوا أمـانيَهم وفيهـا		أواهـلُ ذلـك الرَّحْـبِ المُضـاعِ[2]
غـدا هـذا الخيـال الحُـرُّ روحـاً		كـروحِ الكـونِ والحـقِّ المشـاعِ
فـألْهَمَ كـلَّ ذهـنٍ عبقـريٍّ		ومـزَّقَ مـا تكـاثفَ مِـن قنـاعِ
ولـولا ذلـك الإلهـامُ ماتَـتْ		عـزائمُ للحيـاةِ بـلا انتفـاعِ
فمـا كـان الخيـالُ سـوى سـبيلٍ		إلى الفَـنِّ السَّـماويِّ الصـناعِ
يمهّـد لابتـداعٍ وابتـداعٍ		ولـيس خداعُـه مثـلَ الخـداعِ
ويكشـف عـن خفايـا الكـونِ حتـى		لتظهـرَ للعيـانِ وللسَّـماعِ!

---

[1] الهرمون هو الإفراز الداخلي للغدة السجينة أي الصماء مثل الغدة الدرقية والغدة النُخاميّة والهرمونات عظيمة الأثر في تنظيم حياة الإنسان.

[2] الرحب المضاع: الفضاء الكوني الشاسع الخاوي بطبيعته.

وراء الغمام

(ألقاها الممثل الفنان إبراهيم الجزار في حفلة تكريم الدكتور إبراهيم ناجي
يوم الجمعة ١٥ يونيه سنة ١٩٢٤ لمناسبة صدور ديوانه "وراء الغمام")

نـاجي! تناجيـكَ الحيـاةُ بسـرِّها
فتبـوحُ أنـت بسـرِّها أشْـعارَا

مـا سِرُّها إلاَّ الجمـال مـع الهوى
فتلاقيــا فيمــا نَظمْــتَ وثــارَا

يــا شـاعرَ اللَّهَفـاتِ فُجِّـرَ دمعُـه
وزفـيرُه حتــى تــدفَّقَ نــارَا

مــا كنــتَ إلاَّ للحيــاةِ مجاريــاً
فــإذا بشـعرِكَ كالحيـاةِ يُجـارَى

نـاجي! يَعيـبُ الشَّـانئون ومـا أرى
إلاَّ السـموَّ بمـا نظمْـتَ شـعارا

مَـلأتْ عواطفُـكَ الوجـودَ فأطلعـتْ
أصــداؤها الأضــواءَ والأزهــارا

دانــتْ بـدينِ الحـبِّ وهـو إلهُنـا
لــولاه لاصـطدمَ الوجـودُ وبـارا

فوهبْتَ للدنيا الحزينـةِ ما اشـتَهتْ
بيـد العـزاء ومـا اشـتهيتَ مـرارا

يـا آسِـيَ القلـبِ الجـريحِ بجرحـهِ
ومطهِّــراً بدموعــهِ الأطهــارا

كــم في دُموعِــكَ قُــوَّةٌ علويــةٌ
نَبْـعُ الحيـاةِ بهـا يَفيضُ مُثـارا

كــم في أنينِــكَ غضــبةٌ قدســيةٌ
تحمـي الخيـارَ وتـزعج الأشـرارا

أيَعيـبُ شِـعرَكَ حاسـدٌ بأصـالةٍ
وسـواكَ يُمْـدَحُ إن أعـادَ مُعـارا؟

هيهـاتَ! والـدُّنيا تَفيـضُ محبَّـةً
وصـدىً لحبـك سـاحراً جبَّـارَا

هيهـاتَ! مـا هـذي الأزاهـرُ كلـها
إلاَّ الغــرامُ مصــوَّراً أنــوارا

مــا هــذه الأجْـرامُ في دورانهــا
إلاَّ الغــرامُ الخــالق السـحَّارا

مــا كـلُّ مـا في عيشـنا وخيالنـا
إلاَّه منتظمــاً لنــا قهَّــارا

وأراكَ أنــتَ رسـوله وحبيبَــه
تستأسِــرُ الأفــلاكَ والأطيــارا

جمعــتْ مواهبُـكَ المواهـبَ مثلمـا
جمـع الوجـودُ بروحـهِ الأدهـارا

فبـدتْ لأحـلامِ الكـبيرِ كـبيرةً
وبـدتْ لأحـلامِ الصـغيرِ صِـغارا

*****

ناجي! همومُكَ كالغمام تراكمتْ ... وسناكَ مِنْ خلفِ الغمامِ توارى
فبعثتَ شعركَ كالسهام رشيقةً ... والبرقُ يلمع إثرها مدرارا
وجذبتَنا جذبَ الحبيبِ حبيبَه ... فتناجيا وتساقيا الأشعارا
وتناسيا الدنيا وما في أهلها ... مِن عابثين وماكرينَ حيارى
ظنّوا الجُنونَ بنا وليس سواهمو ... أهلُ الجنون، فإن أبوْا فسكارى!
إنَّا لنُكبر فيكَ أنفسَ ما نَعِي ... في الكونِ حين تفوتنا إكبارا

قران الزعيم

(تهنئة ودية أرسلها صاحب الديوان يوم ١٢ يونيه سنة ١٩٢٤
إلى الزعيم الأكبر صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا)

تُهنِّيكَ الزعامةُ في قرانٍ ... وكم مِن فرحةٍ حَوْلَ الزَّعيمِ
وحسبي حين أُزْجِي تهنئاتي ... هوايَ يُزَفُّ للعمِّ الحميمِ
عرفْتُ له المكارمَ في زمانٍ ... عريقِ اللُّؤمِ داسَ على الكريمِ
فعاش مبرَّءاً مِنْ كلِّ ذامٍ ... إذا الدنيا تغنَّتْ بالذَّميمِ
تهاوَى الحاكمونَ وأنْتَ باقٍ ... على شرفٍ بمنهجكَ الحكيمِ
لمصر تعيش مَفْدِيّاً تُفدِّي ... عظائمَها بإيثارِ العظيمِ
وكم في مصر مِن عَلَمٍ عليمٍ ... وليس على الشدائدِ بالعليمِ
تناسَى الشعبَ حين بقيتَ فَرْداً ... تُراعيهِ بإيمانِ الرَّحيمِ
ففرحتُه بعُرْسِكَ في وفاءٍ ... كسُكْرِ الرَّوْضِ بالطَّلِّ العميمِ
مدَحتُك قبلُ[1] ثمَّ أُعيدُ مَدْحي ... بأنفاسٍ مِن الوُدِّ الصميمِ

---

[1] أنظر (مختارات وحي العام).

وقد وزنَ الرجالُ حجايَ حتَّى
غدا حُكمي يُقدِّسُه غريمي

فلستُ بمن يُجرِّحُ لي شعورٌ
ولا حُكْمٌ لإيماني السَّليمِ

وعندكَ مِن أُلوفِ النَّحْلِ عنِّي
صدىً حيٌّ[1] لتكريمِ الزَّعيمِ

أحلام الظلام

ولمَّا حان توديعي ولاحتْ
على النورِ الموشَّى بالظَّلامِ

تحفُّ بنا الرياحينُ اللَّواتي
ترفُّ من ابتسامٍ لابتسامِ

ويحجبنا السكونُ بلا حجابٍ
ويفضحنا الحنينُ على احتشامِ

وقفْتُ كوقفةِ الدُّنيا إذا ما
أطاح بها السَّلامُ إلى الحِمامِ

وما هي غيرُ لحظةِ مستعزٍّ
ولكنْ قلبُه دامٍ ودامِ

ويجري النُّورُ في لونٍ عجيبٍ
على وجنتانا جَرْيَ المُدَامِ

فنسكر في صُموتِ اليأسِ حتى
كأنَّ اليأسَ من سُكرِ الغرامِ

ويَغلبها الحياءُ وفيه مَعْنىً
حَفِيٌّ بالتَّواضعِ والتسامي

فأرقبُها على لَهَفٍ كأني
أُطبَّبُ بالسهامِ من السهامِ

وأشربُ حسرتي الكبرى دواءً
وإن كان الدواءُ من الضرامِ

وهلْ غيرُ العذابِ شفاءُ روحي
أنا العاني بلا أملٍ أمامي؟

وقفنا لحظةً هي كلُّ عيشي
وموتي في السَّلامِ بلا سلامِ

ففرَّقنَا الزمانُ بلا وداعٍ
سوى اللهفاتِ أشْرِبَهَا هُيَامي

كأنَّ تناسيَ التوديعِ أوْلى
بدُنْيَا الهمِّ يا دُنيا الأنامِ!

[1] إشارة إلى اشتغال دولته بتربية النحل، وهو عضو برابطة مملكة النحل.

الأشعة الكونية

(مهداة إلى الصديق فؤاد صروف محرر المقتطف وصاحب كتاب فتوحات العلم الحديث)

مِنْ أينَ مَصْدَرُكِ الكريمُ الباني ... يا مَأْمَلَ الأحياءِ والإنسانِ؟
مِنْ أينَ طاقتُكِ التي لا تنتهي؟ ... مِنْ أين حينَ الكونُ فانٍ فانِ؟
أتُرى الحقائقُ كالرُّموزِ فليس في ... مَعْنَى الفناءِ سوى الوجود الثاني؟
أمِنَ الخواءِ أتيتِ مَنْحَ عناصرٍ ... تُبْنَى فكنتِ لها شهودَ عيانِ؟
أمْ مِن غناءِ الأيْدرُجِينِ محوَّلاً ... فيعود في النِّترونِ ذاك الياني؟
أمْ مِن صميمِ الشمسِ بنتَ كهاربٍ ... صُدِمَتْ بذرَّات الهواءِ الجاني؟
وتُحيط بالأرض الحنونِ كأنها ... رُسُلٌ جَزينَ حنانَها بحنانِ
وفدَتْ مِن الأمِّ التي في بُعدِها ... لم تَنسَها أبداً مَدَى الأزمانِ
أعْجَزْتِ آياتِ الأشعَّةِ قُوَّةً ... وسَخرتِ مِنْ رأيٍ ومِنْ بُرهانِ
وطفقتِ جائلةً كروحٍ حُرَّةٍ ... هي فوقَ أرواحِ الورى والجانِ
ذُخْرُ الملايينِ السنينِ ورُبَّما ... حملتْ طيوفَ مَشاعِرٍ ومَعانِ!

*****

مِنْ أينَ مَصْدَرُكِ الكريمُ الباني ... يا مَأْمَلَ الأحياءِ والإنسانِ؟
مِنْ نَفْحِ خلَّاقِ الحياةِ فروحُه ... روحُ الحياةِ وشُعلةُ الإيمانِ
ليستْ رحابُ الكونِ غيرَ رحابهِ ... والكونُ غيرَ فُتونهِ الفنَّانِ
جعلَ التفجُّرَ مَبدأً لفنونهِ ... كتفجُّرِ الأطيافِ بالألوانِ
فإذا انبثاقُ الكونِ يومٌ أوَّلٌ ... وإذا المجرَّةُ منه يومٌ ثاني
وإذا نظامُ الشمسِ يومٌ ثالثٌ ... خلقتْه صدفةُ ساحرٍ فتَّانِ
وإذا الحياةُ قصيدةٌ علويةٌ ... من هذه الأيامِ والأوْزانِ
وإذا خيالُ الشعرِ يُلهم وحده ... مَعناكِ بل معنى الخلودِ الساني
وإذا العزاءُ لنا وجودُكِ بينما ... لولاكِ لم تُغنِ الوجودَ أماني!

وحي الصحراء

(١) (مهداة إلى الدكتور أبو شادي محرر أبولو)

شِعري تـألَّقْ للطبيب الشـادي
فنشـيدُه مجـدٌ لـه إنشـادي

إنَّ اليـنابيعَ الـتي فاضـتَ بمـا
أشـجاه مِن شـعرٍ يـذيب فـؤادي

قد ألهمتْ روحي العزيزَ من المنى
فأبيـتُ إلا أن أطيـعَ عنـادي

وطفقتُ حيرى — والمعاني جمةٌ —
فـيمن أُسَـلِّمه زمـامَ قيـادي

فـإذا إلـهُ الشـعرِ يهـبط هاتفـاً:
هيَّا إلى السحرِ الجميلِ الشادي!

ووجدتُ في الصحراء رجعَ مشاعري
بغموضها، ومِن الغموض البادي

والرمـلُ منبسـطٌ إلى أن يلتقـي
بـالأُفقِ بـين تَهلـلٍ وتهـادي

والشـمْسُ تبكـي لوعـةً وكأنهـا
محزونـةٌ لفـراق هـذا الـوادي

والأرضُ تشـجي والنسـائمُ حلـوةٌ
تهـدي السـلامَ لـرائحٍ ولغـادِ

وتقـول: يـا مَـنْ بالجديـدِ ترنَمـوا
هـلاَّ ذكـرتم لـي قـديمَ ودادي؟

والآنَ والأُفـقُ البعيـدُ قـد انـبرى
يرنـو إلـيَّ بقسـوةِ النُّقَّـادِ

أرسلتُ مِنْ قلبي تحيـةَ مَـنْ رأتْ
هـذي الطبيعـةَ عِـزَّةَ الزُّهَّـادِ

وَتصَـوَّفَتْ في عـالَمٍ لا يَنتهـي
حتـى علـى الآبـادِ والآبـادِ!

حكمت ش...

(الآنسة حكمت شبارة)

(٢) (مهداة إلى الآنسة الشاعرة حكمت شبارة)

إلى العزيـزة (حِكمـتْ ش...)
أُهـدي تحيـةَ إعجـابي

الفَـنُّ عنـد غـيرُ غـبينْ
فـالفَنُّ حليـةُ أربـابِ

أَهْـدَيْتِ لـي وَحْـيَ الصَّـحراءْ
وهـو الحيـاةُ لأحلامـي

يظمـــا بنجـــواه الشُّـــعراءْ — وبـــه ارتـــوَى رُوحـــيَ الظـــامي
دُنيـــا مـــن الفـــنِّ الفتَّـــانْ — بـــين العبوســـةِ والبشـــرِ
تَستأســـرُ الحـــرَّ الفنَّـــانْ — بالسِّـــحرِ في أَثـــرِ السِّـــحْرِ
دُنيـــا تَقَلُّبُهـــا يُـــوحي — للشـــعرِ ألوانـــاً شـــتَّى
جريحُهـــا غـــيرُ جـــريحِ — ومَيْتُهـــا غـــيرُ المَـــوْتَى!
رَسْـــمتِها لـــي لوْعـــاتِ — مِـــن ذلـــك الشـــفقِ المخضـــوبْ
والأرضُ بـــين ســـعاداتِ — منهـــا وبـــين دمـــاءِ قلـــوبْ
وفُتِّنِـــي يـــا مَـــنْ بَهَـــرَتْ — بِشِـــعْرِهَا الحـــيِّ الوضَّـــاءْ
دُنيـــا التصَـــوُّفِ مـــا سَـــحرتْ — إلاَّ خيالـــكِ والصـــحراءْ
أمَّـــا أنـــا فعلـــى فقـــري — بـــاقٍ وفي عجـــزي أمضـــي
مَـــنْ لـــي بروحـــكِ في شـــعري — حتـــى أبـــينَ عـــن الأرضِ؟!

الجواهر المجنحة

(وحي دراسة عن الحشرات والطيور الزاهية)

أغنيـــتِ هـــذا الجـــوَّ مثـــلَ العبـــادْ — مِـــنْ كـــلِّ لـــونٍ عســـجديٍّ مُـــنيرْ
أغنيتـــهِ بـــالطيْشِ قبـــلَ الرَّشـــادْ — في عـــالمِ الحـــبِّ الشَّـــرُودِ الغريـــرْ
مـــا هـــذه الأصـــباغُ يـــا طـــائراتْ؟ — يـــا راشـــفاتِ الشَّـــهْدِ! يـــا ســـاحراتْ!
هـــل تلـــك أحـــلامُ المُنـــى المـــاثلاتْ — للحـــسِّ، أم تلـــك رمـــوزُ الحيـــاةْ؟
أشـــباهُ زَهْـــرٍ أو ثِمَـــارٍ تُـــرامْ — مـــا اخترْتِـــهِ مِـــنْ كـــلِّ رسْـــمٍ حبيـــبْ
أوْحَـــى (كيوبيـــدُ) بهـــا، فـــالغرامْ — نلقـــاه في كـــلِّ مِثـــالٍ عجيـــبْ

نلقــاه هَرْمُــونَ[1] الجمــالِ البــديعْ
في ذروةِ المجــدِ لهــذا (الربيــعْ)

قــد جــاوزَ الــوهمَ بمــا يســتطيعْ
وأشــعلَ الجــوَّ بســحرٍ مَنيــعْ

جــواهرُ الحــبِّ، ومِــنْ رُوحِــهِ
تَطــيرُ في الجــوِّ عــزاءَ الفقــيرْ

فتــنْفَحُ الفنَّــانَ مِــنْ نَفْحِــهِ
وتُطْلِــقُ الفَــنَّ العزيــزَ الأســيرْ!

بلوطو

(السيار التاسع الذي تنبا به الأستاذ برسفال لول الأميركي بحسابه الدقيق
وكشف عنه كليد تمبو سنة ١٩٣٠)

يــا شــقيقاً لأرضِــنا كيــف أنــتَ؟
خَبَّأتْــكَ الشــجونُ حــينَ اختبــأتَ[2]

أبعــدتْكَ الأقــدارُ في خَلْقِهــا الدُّنْــ
يــا، ولكــنْ عــن شَــوْقِها[3] مــا بَعُــدْتَ

خَفَــتَ الضــوءُ والحــرارةُ إلاّ
لمحــاتِ الحــنينِ لَمَّــا لُمِحْــتَ

قَــدَّرَ العلــمُ وَحْيَهــا قبــلَ عــينٍ
تكشــفُ الغائــبَ المحجَّــبَ ثَبْتَــا

أمُّــكَ الشَّــمْسُ لم تَــزلْ تبعــث النُّــ
ـــورَ وإنْ صــارَ أغلــبُ النــورِ مَيْتَــا

وكفاهــا الحنــانُ في ذلــك البُعْــ
ـــدِ دلــيلاً علــى وفــاءٍ تَــأتَّى

لا أنــيسٌ لــديكَ إلاّ شــريدٌ:
قمــرٌ يــائسٌ رأى البــؤسَ شَــتَّى

قــد عرفنــاكَ، غــير أنَّــكَ في البُعْــ
ـــدِ غريــبٌ، وإنْ تكــنْ أنــتَ أنــتَ

---

[1] الهَرمون (بفتح الهاء): الانسجام الموسيقي.

[2] يبعد بلوطو عن الشمس بنحو ٤٥ ضعف بعد الأرض عنها أي بنحو ٤٢٠٠ مليون ميل. وعلى هذه المسافة لا يصله من نور الشمس وحرارتها إلا جزء من ألفي جزء مما يصلنا منهما – (راجع لأمثال هذه الشروح الفلكية كتاب "فتوحات العلم الحديث" لفؤاد صروف وكتابي The Universe Around Us و The Mysterious Universe للسير جيمز وأمثالها من التصانيف العلمية المبسطة).

[3] شوق الدنيا – بريد نظامنا الشمسي.

لَيْتَ شعري: أنحن في الوهم لا نَدْ ري وأنتَ الهنيءُ بُعْداً وصَمْتَا
أم تُرَى أنتَ في شجونٍ جِسامٍ تبعثُ النُّورَ لوعةً ثمَّ مَوْتَا؟!

ما وراء المجرّة

عوالمُ لا تُحصى ولا هي تُعْرَفُ ويا رُبَّما المجهولُ منها المُعَرَّفُ
تناهتْ تَناهتْ في الفضاءِ إلى مَدىً يُقصِّرُ عنه العالِمُ المتلهّفُ
فما قنصتْها بؤرةُ العلمِ مرةً وإنْ لم يَفُتْها الشاعرُ المتصَوِّفُ
رأى مِنْ وراءِ الكونِ آياتِ غيرهِ بلحظٍ مِن النُّورِ الإلهيِّ يَخطفُ
رأى النُّورَ أصداءَ الحياةِ وصوتَها ومِنْ رُوحِهِ الجذَّابِ للروحِ يرشفُ
مجاميعُ آلافِ النُّجومِ تبعثرتْ وهيهات عينُ الشعرِ عنهنَّ تطرفُ
بَدتْ شبهَ فوضى وهي شتَّى نظامُها ولكنْ من الأكوان ما ليسَ يُوصَفُ
نمتْ في ملايينِ السنينِ التي خلتْ من الغازِ كالأنواءِ تنمو فتعصفُ
نمتْ ونمتْ بين اتِّساعٍ حُدُودهُ حُدودٌ من الوهمِ الذي لا يُكيَّفُ
كأنَّ اتساعَ الكونِ فقّاعةٌ نمتْ ولكنها مهما نمتْ ليس تَتلفُ
ونخشى مماتَ الشَّمْسِ والشمسُ في غِنىً عن الخوفِ كم تُعْطِي و تَتخَوَّفُ
ونَسبُها في وقفةٍ وهي لم تزلْ على نشوةِ الجوَّالِ بالبحثِ تَكلفُ[1]
تدورُ كما دارت شموسٌ عديدةٌ يجاذبها مِن عالم الغيبِ مُلْحِفُ
تقاسمتِ السُّدْمُ العديدةُ حظَّها وفي أسرِها تزكو وتزهو وتَلطفُ
تَشتَّتَ هذا الكونُ حتى فضاؤُه ومِن خلفهِ عقلٌ دقيقٌ ومُنصِفُ

---

[1] المرجح أن الشمس تتحرك حول مركز "النظام المجرّي" بسرعة مائتي ميل في الثانية، ويستغرق اتمامها لدورة كاملة حوله مائتي مليون سنة.

كـأنَّ رحـابَ الكـونِ وجدانُ شـاعرٍ ... فكـلُّ فضـاءٍ فيـه حَـيٌّ مثقَّـفُ
وفيهـا "كُوَنْتَـاتُ"[1] الحيـاةِ أجنَّـةٌ ... وفيهـا مِـنَ الـذَّرَّاتِ مـا لا يُؤَلَّـفُ
ولكنَّمـا للشّـعرِ مِـنْ لِبنَاتِهـا ... عـوالمُ بـاللَّحْنِ السَّـماويِّ تعـزفُ
تخيَّلَهـا جَمْعـاً، وأبـدعَ غيرَهـا ... ومـا زالَ في إبداعـهِ الحُـرُّ يُسـرِفُ!

وحي الراديو

سمعنـاكَ سَـمْعَ الجـانِ في صَـوْتِ آدمٍ ... وقـد صـارتِ الأحفـادُ شِـيعةَ جَـانِ
تَعـدَّدَتِ الأوقـاتُ والوقـتُ واحـدٌ ... وكـم مِـنْ فـمٍ يَحكـي بـألفِ لسـانِ
وصُـغِّرَتِ الأرْضُ الـتي طالمـا أبَـتْ ... علـى النـاسِ إسـراءً بكـلِّ زمـانِ
لقد جُبْتَها في طرفةِ العينِ[2] فاتحاً ... وردَّدْتَ أصـداءً ببضْـعِ ثـوانِ
فمن أيِّ دنيا قـد أتـى ذلك الصَّدَى ... وهـل هـو والإنسـانُ يَلتقيـانِ؟
أَوَحْـيُ غُبـارِ الكـون مـا أنـتَ مُعْلِنٌ ... وإنْ كـان لم يُقْـرَنْ بـأيِّ بيـانِ؟
أم الـزمنُ الماضـي يُـردِّدُ نفسَـهُ ... وأصـداءَ مَوْتـاه لـوعظِ زمـاني؟
مُحالٌ مُحالٌ ضَيْعَةُ الرُّوحِ والحجا ... لقـد سـكنا الأمـواجَ مثـلَ مَعـاني
ومـا ذلـك الصـوتُ الجديـدُ بمعجزٍ ... إلى جنـبِ مـا لم يَسـتبِنْهُ جَنـاني
قد اكتظَّ هـذا الجـوُّ مِنْ كلِّ شـاردٍ ... ومِـنْ كـلِّ دانٍ وهـو لـيس بـدانِ
كـأنَّ أحاديـثَ الخليقـةِ مـا وَعَـى ... فيحجبهـا عنَّـا حِجـابَ غـواني
يخـافُ عليهـا مِـنْ تَبـذُّلِ عـالمٍ ... دنـيءٍ، ويـأبَى مَسَّـها بهـوانِ
كمـا يَشـتهي الفنـانُ كـلَّ مليحـةٍ ... تُصـانُ لأهـلِ الفَـنِّ أيَّ صِـيانِ

---

[1] هي مقادير الطاقة حسب نظرية بلانك.
[2] تدور الإشارة اللاسلكية حول الكرة الأرضية في ١/٧ ثانية فقط.

فليس سواهم يَفهم الحسْنَ فِكرةً ... ويَعبــــدُه في رحمــــةٍ وحَنــــانِ
أصَخْنَا إلى نجواكَ غَرْقَى خواطرٍ ... وأمواجُهـــا تَطْغَـــى بكـــلِّ مكـــانِ
ومِنْ خَلْفِها أمْوَاجُ أُخرى تكاثفَتْ ... تَكـــاثُفَ مَنْسِـــيٍّ مِـــن الحـــدثانِ
ولولاك خِلنا الصمتَ يغمرُ جوَّنا ... وقد بُثَّ فيه الصَّوْتُ بَثَّ دُخانِ
ولكنمـــا الألبـــابُ شتَّى كأنَّهـــا ... مَسَامِعُ شتَّى الحِسِّ والهيمَانِ[1]

مخلب الطاووس

في عِـــزَّةٍ مَحْسُـــودَةٍ مُتبخْتِـــراً ... يَمْشِي كما يَمْشِي الغرامُ المُلْهَمُ
طُبِعَـــتْ جلالتُـــهُ بلُطْـــفِ جَمالِـــهِ ... وحَمـــاهُ مِخْلَبُـــهُ القَـــوِيُّ المُـــرْغِمُ
فكأنَّمـــا هـــو أنـــتِ لـــولا أنَّـــهُ ... مـــا بـــات يَقْطُـــرُ مِـــنْ مَخالبـــهِ الـــدَّمُ
نَهْـــوَى أناملَـــكِ الرَّشـــيقةَ بينمـــا ... نَخْشَـــى أظافرَهـــا[2] الـــتي لا تَـــرْحَمُ
إنْ لم تَكُـــنْ تلـــك الـــدماءُ خِضـــابَها ... فخِضـــابُها بفتونِهـــا يَتَضـــرَّمُ!

الأثمار

يا شَمْسُ! لا تَأْسَيْ على نُورٍ مَضَى ... النـــورُ مَعْبُـــودٌ بكـــلِّ مَكـــانِ
مَـــلأَ الوجـــودَ وإنْ يكـــنْ مِـــنْ جُلِّـــه ... مـــا لا تَـــراهُ كعهـــدِ العيْنـــانِ
سكنَ المشـــاعرَ والعواطفَ وانتهَى ... لِقـــرارةِ الوجـــدانِ والإيمـــانِ

---

[1] راجع قصيدة "صائد الغنم".
[2] إشارة إلى عادة صبغ الأظافر باللون الأحمر، وقد تفشت بين الغانيات.

واستمتعَتْ صُوَرُ الحياةِ بِشَمِّهِ … وبطَعْمِهِ وبلونِهِ الفتَّانِ
ما كانت الأَثمارُ غيرَ مثالِهِ … أو كانت الأَثمارُ غيرَ مَعَانِ[1]
فبأيِّ موشورٍ وأيةِ حيلةٍ … جمَعَتْ فتونَ ضيائِكِ الفنَّانِ؟!
تَتمَوَّجُ الأصباغُ في قسماتِها … كتمَوُّجِ البَلُّورِ بالألوانِ
وأذُوقُها فأذوقُ طَعْمَ أشعَّةٍ … خُلِقَتْ حلاوتُها لكلِّ زمانِ
وأجرِّب الفنَّ السماويَّ الذي … جعلَ الحياةَ حليفةَ الدَّورانِ
كلُّ المشاعرِ وحدةٌ لخواطري … متبادلاتُ الحسِّ والعرفانِ[2]
فلِيَ الحياةُ تضاعفَتْ بفنونها … وبعُمْقِها وبلُطْفِهَا النُّوراني
وأعيشُها صُوَراً بكلِّ جوارحي … فكأنَّني أحيا بكونٍ ثانِ
وأذُوقُ مِنْ هذي الثِّمارِ مصدِّقاً … وكأنها رُسُلٌ إلى وجداني
ولقد أطيرُ إليكِ فوقَ خواطري … وأعُبُّ مِنْ ينبوعكِ المحسانِ
وأعيشُ في نورٍ شعاعاً صافياً … وأعودُ في نورٍ وفي نيرانِ!

المريخ ينتظر!

صدفنَا عن (القمرِ) المرتجِي … زيارتَنا في سهامٍ تَطير
وهلْ كان إلاّ ابننَا في الوجودِ … يَسيرُ مع الأرضِ أنَّى تَسِيرْ؟
فما بالُ (مرِّيخنا) العبقريّ … يُناديِ؟ أم السمعُ ضَلَّ النداءْ؟
وكم وهمَ العلماءُ الكبارُ … كما وهمَتْ لغةُ الكهرباءْ
لقد أصبحَ العِلْمُ شِعْرَ الخيالِ … كما أصْبَحَ الشِّعْرُ نَفْحَ العُلُومْ
لقد مُزِجَا بالعجيبِ المحالِ … وقد سَبَحا في مَجَالِ النجومْ!

---

[1] أنظر قصيدة "عرس الأصيل" بديوان (الشفق الباكي).
[2] راجع مقطوعة "اشتراك المشاعر" بديوان (أنين ورنين).

الصُّوفيّ

مُمْعِنُ الفِكْرِ يُشْبِهُ الدَّهرَ في النَّظْـ ـرَةِ للعـالَمِ الصَّـبيِّ الجديـدِ
حـين تلميـذهُ مُصـيخٌ إلى النَّجْـ ـوَى بِـرُوحٍ مـنَ الفُتُـونِ الفريـدِ
مُمْعِنُ الفكر، مشرقُ الوجهِ مِنْ ظُلْـ ـمةِ ليـلٍ لعـالَمٍ مفقـودِ
ومُشـيرٌ إلى الحقيقـةِ فهـي الـ ـفردُ للباحـثِ الحصيفِ العنيدِ
وكـأنَّ الكتـابَ تَحمـلُ يسْـرَا هُ رُمـوزٌ لا مَبحـثٌ للوجـودِ
قـالَ مـا قـالَ، وهـو يُمعـن إمعـا نـاً كمـنْ نـالَ رؤيـةَ المعبـودِ
وفتـاهُ الصَّـغيرُ يَتبـع بالخـا طـرِ حُلْمـاً إلى الكمـالِ البعيـدِ
جَمَّـعَ الحـبُّ للحقيقـةِ رُوحَيْـ ـنِ على الرَّغمِ مِن خِلافٍ شديدِ
وكـأنَّ الفتـى بملبسـهِ الأبْـ ـيَضِ في حالـةِ التجلـي السعيدِ
وكـأنَّ التأمُّـلَ الصـادقَ السَّـا حـرَ قربـانُ قلبـهِ الغِرِّيـدِ
وكـأنَّ الإلـهَ في هـذه اللَّحْـ ـظةِ في مَظْهَـرِ التَّنـاجي المجيـدِ
نَشـرَ الحـبُّ للألوهـةِ نُـوراً وظِـلالاً فواتنـاً للقصـيدِ
وكـأنَّ الإيجـازَ أبلـغُ في الوَصْـ ـفِ، ووَحْيُ الأصباغِ وَحْيُ النشيدِ

البداية والنهاية

مِنْ صَميمِ الضياءِ، مِنْ وَهَجِ النو رِ، ومِـنْ كهربائـهِ قـد خُلِقْنَـا
شـحنةُ الكهربـاءِ في عـالَمِ الـذَّرَّا تِ سـرُّ الحيـاةِ مَبْنـىً ومَعْنـى
كـلُّ شـيءٍ لـولاه مـا كـان شـيئاً فالضِّـياءُ الضِّـياءُ لُـبُّ الوجـودِ

لَبِنَـــاتُ الوجـــودِ منــــه، وفيـــه يَتنـــــاهى الفقيـــدُ كـــــالمولودِ
رَتَقـــاً[1] كانــت الحيـــاةُ، ولكـــنْ وُزِّعَـتْ بَعْـدُ في ألـوفِ الشَّـمائلْ
فـــإذا النـــورُ واضـــحاً وخَفِيّـــاً لم يَـــزَلْ سِـــرُّها بباقٍ وزائـــلْ
لم يـــزَلْ غايـــةً لكـــلِّ نظـــامٍ مثـــلَ مـــا كـــانَ للحيـــاةِ البدايـــهْ
صُـــوَرٌ مـــا لهـــا انتهـــاءٌ، وللنُّـــو رِ معـــاني بدايـــةٍ في النهايـــهْ
فاعذُرُوا الشاعرَ الذي قَدَّسَ النُّو رَ إذا مـــا رآهُ وحيـــاً مُقـــدَّسْ
أيُّ شـــيءٍ سِـــواهُ نَـــمَّ عـــن الخـــا لِـــقِ في مثـــلِ لُطفـــهِ أو تَلمَّـــسْ؟
فَمِـــنَ النُّـــورِ قـــد بـــدأنا، وللنـــو رِ سَنمْضِـــي كمـــا بَـــدَأْنا شُـــعاعَا
كـــلُّ مـــا في الوجـــودِ نُـــورٌ بـــأموا جِ تناهَـــتْ دقائقـــاً وابتـــداعَا

السيد

لروحـــــيَ في عِـــــزَّةِ المُســـــتقِلِّ حيـــاةٌ سَـمَتْ فـوق جسـمي وعَقْلـي
تَخَلَّـصَ مِـــنْ شـــهوةٍ كـــم تُلِـــحُّ ومِـــنْ خطـــراتِ الخيـــالِ المُـــزِلِّ
ومَـــــتَّعني بينمـــــا صـــــانني مِـــنَ القَهْـــرِ: قهـــرِ الغـــرورِ المُضِـــلِّ
فمـــا عشـــتُ عبـــداً لهـــذي الحيـــاةِ ومـــا عِفْتُهـــا بـــين زُهْـــدٍ وشُـــغْلِ
وكيـــــفَ وقلـــــبيَ مِـــــنْ قَلْبِهـــــا وإنْ خـــالفتْني بمـــرْأىً وشَـــكْلِ؟
تَوَحَّـــدَ رُوحـــــي بكـــــلِّ الوجـــــودِ فَرُوحـــيَ منـــهُ وفي الـــرُّوحِ أصْـــلي
لَـــئِنْ ثُـــرْتُ مِـــنْ ألـــمي المُســـتبدِّ فكـــم ثـــارَ خُلْـــقُ (الطبيعـــةِ) قبلـــي
وإنْ لم أثُـــرْ فهـــو طَبْـــعُ العنيـــدِ أعـــدُّ افتئـــاتَ المقـــاديرِ هَزْلـــي

[1] رتقا: كتلة منسدة.

وفي مُهجـتي رحمـةٌ لـن تغيـبَ		كعفــوِ الحلـيمِ لخصـمٍ وخِـلٍّ
شملـتُ بهـا جهـلَ أهـلِ الزَّمـانِ		فـرغم التبـاينِ هُـمْ بعـضُ أهلـي

بيت الأمة

طالـتْ علـى الحَصْـرِ السّـنونْ		والحَصْـرُ في شـرَفٍ يَهُـونْ
زُرْنــاكَ في تقديسِــنا		هيهــات تَمنعُــهُ العيــونْ[1]
أَنُصَــدُّ عنــكَ وأنــتَ أنــ		ــتَ مَبـاءَةُ الشـرفِ المصـونْ؟
ويُبــاحُ مــا أوْلى بــه الهَـدْ		مُ المــدمِّرُ والمَنُــونْ؟
يــا (مصــرُ) يــا أمَّ العظـا		ئـمِ! أيـن مـا يُرْضِـي (أمـونْ)؟
ثُــوري بوجــهِ الظّلْـمِ! ثُــو		ري! ولــيكنْ ثــأرُ القُــرونْ
(اذ راجــبُ) الــدِّينُ المقــدَّسُ كيــف يَجهلــهُ البَنُــونْ؟!
لا خــيرَ في أحلامِهــمْ		إن كُــنَّ أحــلامَ السُّــكونْ
لا خــيرَ في دُنيــا المــرا		حِ تَسُــفُّ أو دُنيــا البطــونْ
يــا بــئسَ عَهْــدٍ كــلُّ مــا		فيــه جُنــونٌ في جُنــونْ
كــم حُرقــةٍ في طــيِّ قلــ		ــبي مِــنْ مُعانــاةِ الشــجونْ
مــا زلــتُ أُطلقهــا وأنــ		ــفثُها كمــا تَــدْوِي الحصــونْ
لم أســـتطع كتمانَهــا		إنْ أســتطعْ غمـضَ الجفــونْ
مــا كنــتُ بالجــاني علــى		وطــني وإنْ زعــمَ الخــؤنْ
لا بــدَّ للشــعر الأبــيِّ		مــن القســاوةِ في اللحــون

---

[1] العيون: الجواسيس.

لا بُــدَّ مِــنْ تقريــع جيـــ ـــلِ مُغْفِـــلٍ عِظَـــم الشـــؤونْ

نســـيَ الكرامـــة وانتشـــى بـــين السفاســـفِ والمجـــونْ

*****

يـــا (بَيْـــتُ) إنْ طـــالَ الحصـــا رُ ســـلمتَ مِـــنْ ذُلٍّ وهُـــونْ

لا شـــيءَ حولـــكَ مـــا يَسُـــ ـــرُّ، وخـــيرُهُ شَـــرُّ الظُّنُـــونْ

إنْ كـــانَ دَيْنُـــكَ باقيـــاً فلقـــد تراكمـــتِ الـــديونْ

مـــنْ ذا يُـــوَفِي (سَـــعْدَ) مـــا حملتْـــه للخلـــدِ السُّـــنونْ؟

أمر مصر

(الخطاب موجَّه إلى صاحبة العصمة صفية هانم زغلول)

عانيـــتِ مـــا عانيـــتِ مِـــنْ إيـــلامِ حـــين الرجالُ ضحايا الاستســلامِ[1]

يـــا أمَّ مصـــر ويـــا صـــفيَّةَ سَـــعْدِها مَـــنْ ذا ســـواكِ أحَـــقُّ بالإقـــدامِ؟

تكفيـكِ غضـبة (مصـطفى) أو (مكـرمٍ) صـوتاً لمصـرَ، فمصـرُ ثـأْرٌ نـامي

هيهـــاتَ تَقبـــلُ للـــهَوادةِ ناعبـــاً مهمـــا تَـــذُقْ حَرَبـــاً[2] بكـــلِّ خصـــامِ

إنَّ الأُخُـــوَّةَ مِلَّـــةٌ محبوبـــةٌ أتُســـيءُ للـــوطنِ الجـــريحِ الـــدَّامي؟

أســفي! تُفرِّقُنـــا الهـــواجسُ هكـــذا في زَهْـــوِ مخـــدوعٍ وطـــيْشِ غـــلامِ

ينسون ماضي الذِّكريات وما بَنَى (ســـعدٌ) علـــى كتفيْـــهِ للأيـــامِ

أوْ لا، فما معنى الشِّقاق وقد جنَتْ مِصْـــرُ الأذى بتعـــدُّدِ الأَحـــزامِ؟

يـا بئسـتِ الأحـزابُ! بئسـتْ أينمـا وُجِـدَتْ بشـعبٍ ذاقَ حكـمَ لئـامِ!

---

[1] يشير إلى حركة الانشقاق الأخيرة في الوفد.

[2] حربا: هلاكا وويلا.

هيهـاتَ يُنقـذُه سـوى إقدامـهِ		ورجائِـهِ وإبائِـهِ البسَّـامِ
ولـديكِ مَنْبَعُها السَّـليمُ، وحسـبنا		أن نَسْـتَقِي مِـنْ ذلـكَ الإلهـامِ

ضريح سعد

(وهو الضريح الذي أبت حكومة صدقي باشا أن يخصص لجثمان سعد الطاهر)

مَرَرْتُ على الضريح فهاجَ دمعي		فهل سكنتْ مَشاعِرُهُ الضريحا؟
أحَـظُّ المومياءِ أجَـلُّ قـدراً		و (سعدٌ) أنقذَ الوطنَ الجريحا؟!
مررتُ على الضريح وكلُّ نفسي		شجونٌ في شجونٍ في شجونِ
على نُوَبِ الخصوماتِ اللواتي		أبَحْنَ كرامةَ الوطنِ الغبينِ
مَررْتُ على الضريح كأنَّ سمعي		تَلقَّى منه تبشيراً وحُبَّا
كأنَّ غداً تَقـدَّمَ فيـه يـومي		فبشَّرَ مُهجةً حَسْرَى وقلْبَا!

في الميدان

(الخطاب موجّه إلى صاحب الدولة الرئيس الجليل مصطفى النحاس باشا)

(يا مصطفى)! عِشْ رمزَ شعبكَ أبياً		رَغْمَ الأذى وتألُّبِ الأحزابِ
في الغَرْبِ ما كان التحزُّبُ ضَلَّةً		وبمصرَ نلمحُه بكلِّ خرابِ
فالوفدُ؟ ليس سوى تَجسُّمِ فِكرةٍ		عُلْيَا من الأجدادِ والأحقابِ
رُوحٌ مِنَ الشَّمَمِ العظيمِ مخلَّداً		بيدِ القرونِ لعزَّةٍ وصَوَابِ
يسمو على الأحزابِ في إيمانِهِ		بالحقِّ يرفعُه على الأربابِ
إنْ خانَه المتنطعون فحسبُهُ		مثلي يبجِّلُه وليس يُحابي

وأنــا الــذي يــأبى الهــوادةَ قَلْبُــه ... في الحقِّ، ليس خُصومُه بصحابي
لم أنــسَ لــومَ عِــداكَ في جــبروتهم ... وأنــا رهــينُ الــبطشِ والإرهــابِ
لم أنــسَ ســيدَهم وإنْ هــو عاتبــاً ... وضــعَ الصداقةَ موضــعَ الأنســابِ[1]
ضــحَّيتُ إنصــافي وقــد بلــغ المَدى ... ظُلمــي وصــرتُ مشــارفاً لخرابــي
ضـــحَّيتهُ في لــــذَّةٍ موصــــولةٍ ... لمّــا أمــضَّ الظــالمين جــوابي[2]
ضــحَّيتُه وكــأنَّ كــلَّ خســارتي ... غــنمٌ، فــإن سمــاءَهم لَترابــي
وبقيــتُ في همِّــي العميــقِ بنعمــةٍ ... وعَــددْتُ في الحرمــانِ كــلَّ طِلابــي!

المجاهد الكبير

(الخطاب موجّه إلى الوطني الكبير السيد مكرم عبيد)

ضَحكوا على لقب "المجاهد"، ليتهمْ ... ضَحكُوا على أحلامِهمْ وغُرورِهِمْ!
كــم ضــيَّعوا أمــلَ الــبلادِ بلــؤمهمْ ... كــم ضــيَّعوا خيراتهــا بشــرورهمْ
بــاعوا نفائســها وعــابوا عــاملاً ... صــان النفــائسَ هازئــاً بكــبيرهمْ
ووفَــى لســعدٍ ثــم آزرَ مصــطفى ... بوفائــهِ البــاقي علــى تقــديرهمْ
أولئــك النــاعين عــزَّةَ شــعبنا ... والمُنطــقِ الشــادين شــعرَ حبــورهم
غنَّتْــكَ ألْويــةُ السياســةِ بينمــا ... حُرِمَ الشُّداةُ مِن ابتداعِ أميرهــمْ[3]

---

[1] أنظر قصيدة "الزعامة" الموجّه إلى دولة صدقي باشا.

[2] يشير إلى استياء صدقي باشا من دفاعه عن الوفديين مما أدى إلى إهماله شكواه بالرغم من الصداقة العالية العائلية.

[3] إشارة إلى قدرته البيانية العظيمة وروحه الشعرية الممتازة.

المكنسة

(قالها الشاعر في ثورة ياس، والخطاب فيها موجه إلى الوطني النزيه
محمود فهمي بك وكيل وزارة الأشغال)

لم تبقَ مِكنسةٌ في الأرض صالحةٌ ... لكي تُطهِّرَ (مِصْرَ) مِنْ أعاديها
لقد يئسْتُ، وليس اليأسُ مِنْ خُلقي ... إنَّ الفسادَ عميمٌ في نواحيها
هذي الوزاراتُ صارت كلُّها بُؤَراً ... مِنَ الخبائثِ تُرديها وتُرديها
تَغلغلتْ في صميمِ الحُكْمِ هادمةً ... مثلَ الجراثيمِ تَعديهِ فتَعديها
لقد خبرتُ الرَّزايا مِنْ محامدها ... وقد سئمتُ المآسي مِنْ ملاهيها
وصار إحسانُ ظنِّي كلُّه جَزَعاً ... مما يجرِّحُ سمعي مِنْ مخازيها

*****

يا مُنصِفَ الحُكْمِ في طُهرٍ وفي شَمَمٍ ... مِثالُك الشَّهْمُ مَنْ يُرْجَى لراجيها
لو كان مثلك متبوعاً لما عُدِمتْ ... وسائلُ الحُكْمِ ما يسمو ببانيها
لكنْ بُلينا بأقوامٍ زعانفةٍ ... صاروا الأعالي وقد كانوا أدانيها
فأفسدوا الحكم إفساداً وإن ذهبتْ ... وزارةٌ وأتتْ أخرى تُعاديها
لا خيرَ في الحكم دون الشعب يَسندُه ... ولا بخيرٍ يُرَجَّى مِنْ أعاديها

التضحيات

قومي جموعَ التضحيات وحدِّثي ... عددَ السنين لجاهلٍ وطُفيلي!
لولا اعتلالُ (النيل) مِن أحزابهِ ... لم تَعْلُ صيحةُ فاسقٍ معتلٍّ
عِشنا إلى زمنٍ نرى ساداتهِ ... في غيرِ منزلةٍ وغيرِ محلٍّ
رُدِّي الجبانَ إلى ظلامٍ وجُودهِ ... وكفى مِن الصدقِ المنزَّهِ حَوْلي

عُمـــرٌ أبحـــتُ لمـــوطني ولأمَّـــتي ... بالبـــذلِ لا ينفـــكُّ شـــاهدَ عَـــدْلِ
لم أرْجُ يومـــاً أن أكافـــأَ بـــل مَـــدَى ... حظـــي ذيـــوعُ النـــورِ فـــيمن حَـــوْلِي

لو كنتُ...

لـــو كنـــتُ مِـــنْ أهـــلِ التحـــزُّب صَـــلَّةً ... لغنمـــتُ أضـــعافَ الـــذي أعطـــوني
لم أُعْـــطَ إلاَّ بعـــضَ حقِّـــي بينمـــا ... خُلِقَـــتْ حقـــوقٌ للخســـيسِ الـــدُّونِ
مُســـخَ الـــذَّكاءُ فبـــات كـــلُّ مُسَـــوَّرٍ ... بذكائـــهِ رمـــزاً لكـــلِّ جنـــونِ
ويَعـــيش مثلـــي في كفـــاحٍ دائـــمٍ ... مـــا بـــين حُسَّـــادٍ وبـــين عيُـــونِ[1]
ومِـــنَ العجائـــب أنَّ كـــلاًّ مـــادحي ... وأنـــا الغـــبينُ لهـــم وأيُّ غـــبينِ!
بِـــئسَ السِّياســـةُ لا تُناصـــرُ عالِمـــاً ... وتَهـــشُّ للجـــاني وللمـــأفونِ!

*****

أنَّـــى يحـــينُ لِمصـــرَ عهـــدُ رجائهـــا ... لا عهـــدُ أحـــزابٍ وعهـــدُ ديـــونِ؟
ومتـــى نكـــون بوَحـــدةٍ وبعـــزَّةٍ ... فنُعـــزَّ تـــاجَ (مِنـــاً) ورمـــزَ (أمـــونِ)؟
ومتـــى يكـــون العلـــمُ حُـــرّاً ســـيِّداً ... لا خُـــوعَ أضـــغانٍ وعبـــدَ بُطـــونِ؟
ومتـــى يُصـــانُ لمثـــلِ جهْـــدي حقُّـــه ... مِـــن كـــلِّ مُغتصِـــبٍ وكـــلِّ خـــؤونِ؟
لـــو كنـــتُ مَـــنْ يَرْضـــى الهـــوانَ لنفســـهِ ... لنعمـــتُ لكـــنْ في ظِـــلال الهُـــونِ
حســـبي إذنْ أنـــي أُقاســـمُ أُمَّـــتي ... هـــذي الشـــرورَ بحظِّـــيَ المغبـــونِ!

---

[1] عيون: جواسيس.

بأس الشعب

هو الشَّعْبُ ربُّ البَأس في كلِّ حالةٍ ... ولو حكمَ الشعبَ الوديعَ عظيمُ
مُحالٌ أنْ يسودَ خصيمُهُ ... وإنْ هو فَذٌّ حازمٌ وحكيمُ
سيُنصفُه[1] مَرُّ الزَّمان فإنّه[2] ... خبيرٌ بأهواءِ الحياةِ عليمُ
وليس العَتِيُّ الرَّأْيِ للنصرِ كافلاً ... إذا الحقُّ للرَّأْيِ العتِيِّ خصيمُ
لقد راح (محمودٌ) و(صدقي)[3] كمن مَضَوْا ... مع الظلمِ، فالظلمُ السخيفُ قديمُ
ولم يبقَ إلاَّ الشعبُ رغم وداعةٍ ... وعُدْمٍ، وما الشعبُ الأبيُّ عديمُ
فوا أسفي كم من ذكاءٍ مضيَّعٍ ... وكم من ذكيٍّ في الضلالِ يهيمُ!

غدر الرحيل

(قيلت في الموقف الوطني المشرِّف الذي وقفه القاضي عبد السلام ذهني بك)

عفاءً على دارٍ على أهلها تَجني ... إذا بات أهلُ الدارِ يرضون بالغبنِ
بني وطني! هذي حميَّةُ واحدٍ ... فأين إباءُ الشعب يهدمُ أو يبني؟
أتنسون ماضي سُخْطِكم أو إبائكم ... وكلكمو (سعْدٌ) وكلكمو (ذُهني)
لقد ثار في وجهِ "العدالة" عندما ... رآها مثالَ الظُّلم في كلِّ ما تجني
وقد حرَّموا للفردِ رِقّاً وحلَّلوا ... أذى الشعب في رقٍّ من الزُّور والمَيْنِ
بني وطني! ثُوروا على الضَّيْم مثلما ... أبيتُمْ إباءً سالفَ الضيم والهَوْنِ[4]

---

[1] أي الشعب.
[2] أي الزمان.
[3] محمد محمود باشا وإسماعيل صدقي باشا.
[4] الهَون (بفتح الهاء وسكون الواو): الاستسلام.

شُغِلْتُمْ بأنواع الخلاف التي جنتْ وأُنسيتمو غدْرَ الدخيل بعهديْنِ[1]

فلولاه لم نَعرفْ خلافاً ولا أذىً ولولاه لم نُرْهَقْ من الحكم والدَّيْنِ

ولو قد شُغِلْتُمْ بالذي هو كائدٌ عن الكيدِ مِنْ حِزبٍ لآخرَ مُفْتَنِّ

لساد الإخاءُ السَّمْحُ بين صفوفكم ونِلتُم مكان الشمْس لا منزلَ الغبنِ

في مكتبتي

(نكب صاحب الديوان بضياع الكثير من المؤلفات المستعارة من مكتبته)

أصدقائي[2] لكم كما ليَ عُذْرٌ في بُكاءِ الفقيدِ من أصدقائي

هذه هذه مَجالِسُها صا رتْ خلاءً مِنْ بَعْدِ ذاكَ الرُّواءِ

كتُبي أنتِ بعضُ نفسي فما كا نَ اختياري إيَّاكِ إلا رجائي

ما كتابٌ ينوبُ عن غيره إلاَّ زميلٌ ينوبُ عن زُملاءِ

كلُّ سِفْرٍ شخصيَّةٌ لا يُحاكيـ ـها تماماً تَشابُهُ الأسماءِ

كلُّ سِفْرٍ مِنْ بَعْدِ صُحبةِ نفسي هو منها جزءٌ مِنَ الأجزاءِ

ما سَمِيٌّ له وما تَوأمٌ يُر ضِي شُعُوري وما يُلَبِّي ندائي

إنَّ فَقدي يُحِسُّه الشاعرُ الحرُّ وإنْ غابَ عن هوى الجبناءِ

*****

أصدقائي وُجُوهُكم لائماتي في سُكوتِ القُضاةِ قبلَ القضاءِ

كلَّما زُرتكم تألمتُ حتى خِلتُكم كالغِلاظِ مِن أعدائي

بَعضَ عُذْرٍ وبَعْضَ صَفْحٍ إذا كا ن أجلُّ الذنوبِ عندي حيائي

قد تَعلَّمْتُ مِن دُروسِ حياتي كيف ماتَ الحياءُ في الأحياءِ!

---

[1] عهد سعد باشا وعهد النحاس باشا.

[2] الخطاب موجه إلى كتبه.

الزّارعون

(من قصيدة "القرية المهجورة" للشاعر الأرلندي أوليفر جولد سمث)

وَيْــــلٌ لأرضٍ هَـــوَتْ   فريســــةً للسَّـــقَامْ
حيــث الغِنَــى قــد نَمَــا   حيــث الرجــالُ الحُطَــامْ
يـــا رُبَّمـــا يُزْدَهَـــى   أو يُمْحَــقُ الأعيـــانْ
نفخـــةٌ خَلْقُهـــمْ[1]   كخلقِهــم كـــلَّ آنْ
لكنَّمـــا الزَّارعـــونْ   فَخْـــرُ الــبلادِ الجِــلادْ
إنْ هُـــدِّمُوا مَـــرَّةً   فمـــا لهــم مِــنْ مَعَــادْ!

ديانا وأكتيون

(كانت ديانا معدودةً في الأساطير الرومانية إلهةَ الحرب والقنص والقمر، كما كانت تُعدُّ مهيمنةً على الولادة. وكان كاهنها عبداً آبقاً لا ينال منصبه هذا إلاّ بمحاربة سلفه في ذلك المنصب محاربةً فرديةً وجهاً لوجهٍ. وكانت ديانا تُمجَّد في عيدها في مساء الثالث عشر من أغسطس إذ يكون بدرُ الصيف متجلّياً وإن استعمل عُبَّادُها المشاعلَ في حفلاتهم، وكان الحواملُ يَستعنَّ ببركتها ويبتهلن لها. وكان يُؤْذَنُ للعبيد في عيدها – الثالث عشر من أغسطس – بالراحة إشارة إلى منزلتها في الحرب ورعايةً لكاهنها.

أمَّا عن قصة ديانا وأكتيون فتتلخَّص في أنّ من عادة الرَّبة ديانا بعد انتهاء رحلتها الليلية في مركبتها القمرية أن تأخذ قوسَها وسهامَها وتذهب في صُحبة حوريَّاتها لصيد الحيوانات الآبدة في الغابة، وحدثَ في عصر يومٍ من أيام الصيف بعد أن تعبت ديانا وصاحباتها من مطاردة الصيد أن لجأن إلى إحدى البِرَك

---

[1] يريد نفخة من صاحب الديوان.

الجبلية الهادئة التي كثيراً ما اتَّجهن إليها للاستنقاع. وكانت المياهُ الشَّبِمةُ تتموَّجُ داعيةً لهنَّ، فلم يستطعن إلا تلبيتها بنزع ثياب الصيد القصيرة وغسل أعضائهنَّ الحارة. ولكن لسوء حظهنَّ لم يكنَّ وحدهنَّ حينئذ في تلك الجهة، إذ إن المصادفة قضت بوجود أكتيون الصياد الذي كان يطارد الوعلَ منذ الفجر، وقد أحسَّ بالظمأ والتعب فاتَّجه هو أيضاً إلى تلك البركة الجبلية المشهورة. وبينما كان يقترب إلى تلك البقعة المألوفة خُيِّلَ إلى أكتيون أنَّه سمعَ جلجلةَ ضحكاتٍ فضِّيةٍ، فأخذَ يتسلَّل نحوها بحذرٍ شديدٍ مُفْسِحاً بلطفٍ ما بين الشُّجيرات التي تعترضُه، فإذا به يرى مدهوشاً ديانا وصواحبَها. وفي تلك اللحظة كانت ديانا قد التفتتْ لتتحقَّقَ من سبب الحفيف الذي سمعتْه أذنُها المدرَّبةُ المرهَفةُ، فإذا بها أمام نظرة الإعجاب والدهشة من ذلك الصيَّاد الشاب! وحينئذٍ أخرسَها الحنقُ لرؤية بَشَرٍ لها على هذه الصورة، فألقت بحفنةٍ من الماء في وجه أكتيون مُهيبةً به في تَحدِّيها أن يذهبَ ويُعلنَ – إذا استطاع – أنه قد رأى ديانا عريانةً!... وما كادت قطراتُ الماء المتلألئة تلمسُ وجهَه حتى قفلَ لينفِّذ أمرَها، فإذا به يجد أنه قد استحال إلى أيِّلٍ ولم يبق من شخصه السابق سوى شعوره التَّعس بهذا التحوُّل!... وبينما هو في وقفةِ اليأسِ والرعبِ سمع أصوات كلابه، فازداد رعباً على رعبٍ وحاول الخلاصَ منها فإذا به يقع فريستها وإذا بها تقضي عليه بعد أن تحوَّل إلى صورة أيِّلٍ ولم يَعُدْ في صورة صاحبها[1]).

يا شَهيدَ (الجمالِ) يا سيِّدَ الصَّيْـ	ـدِ ستحيا الفريدَ في الشُّهَدَاءِ!
ما أَبى أن تراه، لكنَّه خا	فَ قُصُورَ الجمالِ في عَينِ رائي
حُرِّمَتْ رؤيةُ (الجمالِ) على غيْـ	ـرِ ذويهِ مِنْ أهلِ دُنيا الفنونْ
فذهبتَ الضحيةَ التي إنْ تَعُدْ بَعْـ	ـدُ ففي فتنةِ الورى والجنونْ!

*****

[1] أنظر كتاب (أساطير اليونان وروما) تأليف جوربر، وأمثاله من المؤلفات.

تُنفقُ الليلَ عند زورقها الفِضِّيِّ[1] في رحلةٍ (ديانا) الجميلهْ

فإذا ما أتى الصَّباحُ تولَّتْ[2] صَيْدَها بين باسقاتٍ ظليلهْ

بين أترابِها الغواني اللواتي تَحرسُ الحسنَ مِن شرورِ الحياةِ

سائراتٍ يجذبها ساحراتٍ في تَجَنٍ على المُنَى وافتئاتِ

لم يَنلْهنَّ في الطبيعةِ حَيٌّ بل وجانبنَ كلَّ طيفٍ وخاطرْ

غيرَ طيْفٍ ينبثّ في النور والظِّلِّ عجيبٍ من رُوحِ فَنٍّ وشاعرْ

وتولَّيْنَ مرَّةً بعد صَيْدٍ نحو إحدى الجداول الجبليَّهْ

فنزعْنَ الثِّيابَ في غيرِ خوف يَتبرَّدْنَ بالمياهِ الحفيَّهْ

وتَمتَّعْنَ في هدوءٍ وقد نا ل عناءُ الطرادِ منهنَّ قبلاَ

فإذا البركةُ التي جَمعتْهُنَّ فُتُونٌ على فُتُونٍ تَجلَّى

غير أنَّ الأقدارَ في هذه اللحـ ـظةِ خانتْ هدُوءَهنَّ الحبيبْ

فلقد سار (أكتيونُ) إليهنَّ وما كان عندها بالرقيبْ

سارَ نحو المياهِ والظمأُ الطَّا غِي مُلِحٌّ يَسوقُهُ كالشَّريدْ

حاسباً نفسَه الوحيدَ وما كا ن، ويا ليتَه الشريدُ الوحيدْ

عندها رانَ للصَّدَى ضحكاتٌ كأغاني الأَضْوَاءِ شَتَّى البيانِ

فمشى شطرَها على حذَرِ الصا ئدِ في فرطِ خِفَّةٍ واتِّزانِ

مُفْسِحاً بين ذلك الشجرِ اليا فعِ نهجاً فثارَ منه الحفيفْ

فإذا بالحفيفِ مُسْتَرْعِياً سَمْـ ـعَ (ديانا) كوقعِ ريحٍ عَصُوفْ

مَرَنَتْ أُذْنها، وقد جسَّمَ الصَّوْ تَ نفورٌ من الغريبِ الدَّخيلْ

أفسدَ الراحةَ التي نشَدَتْها ورأى جسمَها العزيزَ البليلْ

---

[1] القمر.

[2] تولت: لزمت.

فأبــتْ أن ينــالَ ذلــك إنســا نٌ إذا لم يكــن بــروحِ الألوهــهْ

أيـن هـذا مِـن ذلـك الصـائدِ الفِجِّ ولــو كـان ذا أمــانٍ نزيهــهْ؟

أدهشــتْه في هــذهِ اللحظــةِ الفِتْــ ــنةُ بالمشــهدِ العجيــبِ العجيــبِ

بينمـا أُغضِـبَتْ (ديانـا) وقـد ريـ ــعَتْ مـع الصـاحباتِ للمســتريبِ

فرَمَــتْ مِــلْءَ راحتيْهــا مِــنَ المــا ءِ عليـــه بلعنـــةٍ وتَحـــدِّي:

"سِرْ-إنْ اسْطَعْتَ-واخبرْ الناسَ عني"! فــإذا (أكتيــونُ) ممســوخُ صَـيْدِ!

حــالَ كالأيِّــلِ الــذي لفَظَتْــهُ رحمــةُ الكــونِ للأَســى والعــذابْ

وأتتْــهُ كِلابُــه وهــو في الــرَّوْ عِ فأمســى غنيمــةً للكــلابْ!

*****

يا شيهدَ (الجمـالِ) يا سيدَ الصَّيْـ ـدِ سـتحيا الفريـدَ في الشـهداءِ!

مــا أبَــى أن تــراه لَكنَّــه خــا فَ قُصـورَ الجمـالِ في عـينِ رائـي

حُرِّمَـتْ رؤيـةُ (الجمـالِ) علـى غيـ ـرِ ذويـهِ مـن أهـلِ دُنيـا الفنُـونْ

فـذهبتَ الضـحيةَ الـتي إنْ تَعُدْ بَعْـ ـدُ ففـي فتنـةِ الـورى والجنـونْ!

شعر النجوم

شِـعرُ الكواكـبِ والنجـومْ شِــعرٌ تَنُــوءُ بــه الفُهــومْ

جعلـتْ صـحائفَها القـرو نَ مِـنَ السَّـديمِ إلى السَّـديمْ

نُشِـرَتْ علـى هـذا الفضـا ءِ براحـــةِ الأزلِ القـــديمْ

فــإذا النظـيمُ مـنَ الأشـعَّةِ يَتْقُــبُ الليــلَ البهــيمْ

ويُســطِّرُ الــوحْيَ الفريــ ـدَ مـن الكواكـبِ والنجـومْ

ويُفسِّـرُ الموشـورُ مَعـ ـناها ومَغزاهـا السَّـليمْ
إلاَّ خــواطرَ لم تـــزلْ وقفاً علـى الشِّـعر الحميمْ
مَـلأَتْ نَوازعُهــا الطيـو فَ، وكلُّهــا شَـجَنٌ ألـيمْ
الراثيــاتُ مُنَــى الحيــا ةِ الباكيـاتُ خُطَـى النعـيمْ
كم حاولتْ[1] فـتحَ النجـو مِ فكـان مَصـرعُها الـوخيمْ
كـم فِي الفضـاءِ مَناحـةٌ والمــوتُ أخَّــاذٌ مُقــيمْ
قَتْلَــى الأشــعَّةِ كــالكوا كـبِ والنجـومِ بـلا رحـيمْ
والكــونُ تَملــؤُهُ العــوا طـفُ وهـو في قلـقِ اليتـيمْ
فأحسُّــها نــبضَ الأشعَّــ ــةِ في تَألُّقهــا العلــيمْ
وأجسُّـــها وأشمُّهــــا بمشــاعرِ الــدُّنيا الـرؤومْ
فــأرى بهــا جُـرْحَ الزَّمـا نِ وطعنــةَ الــدَّهرِ الأثـيمْ
وأرى الضــحايا بينهــا لجلالــةِ الــربِّ الحكـيمْ
الجاعــلِ المــوتَ الحيــاةَ فمـا الـرَّميمُ بهـا الـرَّميمْ
والكــونُ يَتَّســعُ اتِّســا عَ الـبرِّ والخُلُـقِ الحلـيمْ[2]
وســبيلهُ الرُّشــدُ القويــ ـمُ وحظُّـه المجـدُ القـويمْ

القرد والسمكة

أَمُشَـبِّهاً بـالقردِ مَـنْ هـو رَبُّـهُ فضــلاً، أبَيْـتُ لمثلـكَ التشـبيها
فــالقردُ جَــلَّ مِثالــهُ ووفــاؤُهُ عـن أن يكَـونَ لـه الخـؤونُ شـبيها!

---

[1] أي الحياة.
[2] إشارة إلى ظاهرة التمدُّد الكوني.

أعلمتَ أنكَ مثلُ أسماكٍ[1] لها ... قاعُ المحيطِ مَباءَةٌ وحياةُ
فإذا سمَتْ ماتتْ كأنَّ هوانَها ... عَيْشٌ، وغاياتِ السُّمُوِّ مماتُ؟!

تكريم الفاجر

ونادَى مُنادٍ "كرِّموا العلم، كرِّموا! ... فذلك للعلمِ الكريمِ زعيمُ"
وما كان إلاَّ فاجراً أيَّ فاجر ... وحسبُكَ منه في الفجورِ نظيمُ[2]
لقاء جاءَ فيه واصفاً لؤمَ نفسهِ ... ووصفُ لئيمٍ ما يقولُ لئيمُ
عَجزنا عن التصويرِ تلقاءَ مُعجزٍ ... لمرآتهِ فيما يرى ويرومُ
عَجزنا ورحَّبنا بطعنٍ وخِسَّةٍ ... فإنَّا بعهدٍ يزدريهِ كريمُ
وأضحكنا مَنْ خُودِعوا في مديحهِ ... وكم يَخدعُ الحُرَّ البريءَ أثيمُ
ولم أرَ جمعاً مثلَ هذا إذا الْتقَى ... تَشابه فيه عاقلٌ وبَهيمُ
كذا جَرتْ الدُّنيا فُنونَ مهازلٍ ... وأغلبُها للهازلينَ سقيمُ
وكلُّ امرئٍ في وُسْعِهِ حَبْسُ نفسهِ ... غنيّاً ولاقَى الناسَ فهو غريمُ

طرطوف

(مهداة إلى نقيب الدجالين)

(طرطوفُ) يا دجَّالَ (مصر) العبقريَّ بلا جدالْ
مَنْ لي بمُلييرَ العظيمَ مُصَوِّراً فيكَ الضَّلالْ؟

---

[1] تعيش بعض الأسماك الدنيئة في قاع المحيط ويقتلها الانتقال إلى أعلى، وكذلك حال بعض الآدميين إذا عاونهم المحسنون المصلحون على التسامي في المجتمع.

[2] وصف الفاجر نفسه بمنظومته الشاملة "الفاجر في المرآة".

إنْ تَرحمِ الدينَ البريءَ فعندكَ الأدبُ السِّتارْ
يا فاقدَ الأدبِ الصحيحِ وتأخذُ الأدبِ الشِّعارْ
خادَعتَنا زمناً كما خادعتَ أعلامَ الرِّجالْ
فكأنك الشيطانُ في خَتْلٍ إلى أقصى المحالْ
مَنْ ذا نلومُ وكلُّنا ذاكَ المغفَّلُ والسَّفيهْ
مِنْ بعد ما أضْحَى مِثالُكَ صورةَ البطلِ النَّزيهْ؟!
لولا محبَّةُ أرضِ (مصر) ونيلها الشَّبِمِ الكريمْ
لعَدَدْتُ هِجرتيَ البعيدةَ مِنْ نهاياتِ النعيمْ
أفسدتَ يا (طرطوفُ) دُنيا الناهلين مِن الأدبْ
حتى كأنَّ السُّمَّ في هذا المَعِينِ لمن شَرِبْ!

في الطريق الحزين

(نظمها صاحب الديوان وهو يجتاز قرية المطرية القديمة)

يا طريقي الحزينَ! عَرِّج على الغَرْ — سِ وسِرْ بينه بروحي وحِسِّي
في صميم الحقولِ سِرْ بي وخُذْني — مِنْ وجودٍ وهبتُه كلَّ يأسي
في جوارِ المياهِ تجري فترويِ — قبلَ رِيِّ الغراسِ قلبي ونفسي
في جوارِ النباتِ يَخفقُ مِنْ خَفْـ — ـقي ويُفْضِي بهمسهِ مثلَ هَمسِي
في جوارِ الأنيسِ مِنْ طيرها الأبـ — ـيض[1] جَسَّ الثرى حريصاً كجَسِّي
في جوارِ الأعشابِ يلمُسها الما — ءُ برفقٍ والنُّورُ في شبهِ لمسِ
في جوارِ النُّوَّارِ قَبَّلَهُ النَّحْـ — ـلُ بشوقِ المدلَّهِ المُتَحَسِّي

[1] يشير إلى أبي قردان.

فِي جِوارِ الأحلامِ فِي خُضْرَةِ الأَرْ ضِ وقد أينعتْ[1] بغرسٍ وغَرْسِ!

*****

يا طريقي الحزينَ! ما عالَمُ النا سِ لمثلي، فليس مثلي بأُنْسي!
أنا بعضٌ من الوجودِ الذي يَأْ بَى وجُوداً على فسادٍ ورِجْسِ
مِنْ أغاني الضياءِ، مِنْ طُهرهِ السا حرِ، مِنْ خَمرهِ كِياني وأُنسي
مِنْ نجومِ السَّماءِ والأرضِ أحلا مي ومِنْ رُوحها المشعشعِ كأسي
مِنْ معانٍ خفيَّةٍ نَشوتي الكبـ ـرى ومِن مُقبِلي البعيدِ وأمْسي
أسمعُ الصمتَ كالأغاني التي تُنْـ ـهَلُ فِي الجوِّ دونَ سمعٍ وحِسِ
قد حواها[2] كما حَوَى مِنْ قُرُونٍ خَلجاتِ النفوس من كلِّ جِنْسِ
أَقتنيها بنَشْقَةٍ ثم لا أرْ ضَى سوى كلِّ مستعزٍّ وقُدسي
مِنْ جمالِ الألوهةِ المتناهي فِي جمالِ الأثيرِ يُضْحِي ويُمْسِي

*****

يا طريقي الحزينَ! إني غريب والغريبُ الغريبُ رهنٌ لتعْسِ
ربَّما قدَّرَ الثرى ثمَّ إحسا سي إذا ما أباهُ أبناءُ جِنْسي
ربّما الذكرياتُ رفَّتْ عليه كرفيفِ النَّدَى الشفيقِ المؤسِّي
نَجِّني مِنْ تَعثُّري بين أشباحٍ ومِنْ نُقلتي لرمْسٍ ورَمْسِ
نَجِّني! إنَّ فِي الطبيعةِ نجوا يَ ففيها لُبِّي وشِعري وطِرْسي
فِي حِماها الفنَّانُ يُسمِعُهُ الخا لقُ ما كان فِي خَفاءٍ ولُبْسِ
فِي حِماها يعيشُ للشاعرِ الحُبُّ فُتُوناً مِن كلِّ نجمٍ وشمسِ
فِي حِماها أنامُ والعشبُ وجدا ني وقلبي زميلُ (عبَّادِ شمسِ)
وأناجي حتى الجنادبَ فِي زَهْـ ـوٍ، وفِي نشوةٍ أُوسِّدُ رأسي

---

[1] أي الأحلام.
[2] أي الجو.

والرّغـامَ الـذي يُحجَـب عـن غيـ ... ـري قرونـاً عزيـزةً رهْـنَ حَـبْسِ
رَقــدتي عنـدها كسـكرةِ فرحـا ... ن بـدنيا تختـال في صـفوِ عُـرْسِ
بينمـا العـالمُ المؤصَّـلُ في الغَـدْ ... رِ قريـرٌ بكـلِّ جـانٍ وجِـبْسِ!

الزعمــاء

عَفـواً لقسـوتيَ الـتي لا أبتغـي ... منها سوى الغاياتِ مِن إحسانكمْ
زِمَمُ الرجالِ لهـا المكانـةُ في العُلَـى ... ويَزيـدُها قَـدْراً مَـدَى إيمـانكمْ
وإذا الأمانـة لم تَسُـدْ فجميـعُ مـا ... حكتِ المواهـبُ سـخرياتُ زمـانكمْ
أغفلـتُ كـلَّ مُسَـوَّدٍ لم يَقـترِنْ ... حـظٌّ لــه بـالحظ في أوطـانكمْ
وجعلـتُ إكبـاري لمـن تقديسُـهُ ... للشـعبِ مَيَّـزَ شـانَه عـن شـانكمْ

مصر المنتجة

(أهديت إلى دولة النحاس باشا لمناسبة عنايته بالنهضة الاقتصادية)

شِعري! لكَ الإنصافُ غيرَ مُرائي ... فاهْـدِ الثَّنَـاءَ وكُـنْ أحـبَّ ثنـاءِ
أَهْـدِ الثنـاءَ إلى ممثّـلِ أمَّـةٍ ... بـالخُلقِ قبـلَ مكانـةٍ ونـداءِ
بلغَـتْ نزاهتُـهُ النزاهـةَ كلَّهـا ... حتـى يُعـابَ بخُلْقِـهِ الوضَّـاءِ
وبِحلمِـهِ حـين السِّياسـةُ مـا لهَـا ... إلاّ الـدَّهاءُ، ولم يكـنْ لـدهاءِ
(المصـطفى) المعتـزُّ مِـنْ إخلاصِـهِ ... بـين الـورى في الصَّحْبِ والأعداءِ
عَبَثـاً نُحـاولُ أنْ يكـونَ لمثلـهِ ... خُلُـقُ الـدُّهاةِ ومَـنْهَجُ اللؤمـاءِ
وكفـاهُ رمـزُ طهـارةٍ قدسـيَّةٍ ... هــي قـدوةٌ للشـعبِ والزُّعمـاءِ

كـم مِـنْ زعـيمٍ غَيْـرَهُ متعثـرٍ بذكائـــهِ المتذبـــذبِ الأَهـــواءِ
وكفـاهُ فخـراً صِـدْقُهُ ووفـاؤه في بيئـــةٍ لم تَكـــترثْ بوفـــاءِ
إنْ لِـيمَ كـان اللُّـوْمُ رمـزَ محبـةٍ وتَطَلُّـــعٍ في المحنـــةِ السَّـــوْداءِ

*****

أحسـنتَ يـا مَـنْ لا يُـرَدُّ نِـداؤُهُ في ذلـــك التَّشـــجيعِ والإنشـــاءِ
هـلْ (مصـرُ) إلاَّ أهلُهـا ونتاجُهـا وتراثُهـــا ومَكـــارمُ الأَنبـــاءِ
فـابنِ العظـائمَ بالفِعـالِ موفَّقـاً تَرفـــعْ لآتِيهـــا أجـــلَّ بنـــاءِ

رثاء شيخ العروبة

أحمد زكي باشا (نشرت يوم وفاته)

أيهـا المـوتُ لقـد هُنَّـا خِـداعًا قـد خطفْـتَ النبـلَ والفـنَّ الصـّناعًا
مـا مَلكنـا منـه حتـى موقفـاً لـوداعٍ.... كيـفَ حَرَّمْـتَ الوداعـا؟!

*****

بـانيَ الجـامعِ[1] لا يَرْضَـى لـه ما ارْتَضـى النـاسُ جمالاً وابتداعًا
أنتمـا مَجـدان حيـث اجتمعـا غمـرًا النـاسَ سـلاماً وشُـعاعا
رقـدةُ الخلـدِ الـتي ترقـدُها لم ينلـها النـاسُ مِـن قَبْـلُ سِـراعا[2]
نِلْتَهـا في خطـوةٍ لكنهـا خطـوةُ الجبَّـار فتحـاً وانـدفاعا
خَلْفهـا الأجيـالُ مِـنْ علـمٍ ومِـنْ أدبٍ حَـيٍّ ومجـدٍ مـا تَـداعَى
ذكريـاتٌ كنـتَ حـامي عِزِّهـا فرأيناهـا وقـد كانـت سَـماعا

---

[1] إشارة إلى الجامع الفني الذي بناه الفقيد ودفن فيه وكان يتفنن في زخرفته وإنشائه.
[2] إشارة إلى وفاته السريعة على أثر مرضه الذي لم يمهله غير يوم واحد.

مَـنْ لهـا اليـومَ سـوى ذكـراك في حُبِّنـا الجـمِّ فيُرعَـى وتُراعَـى[1]؟

كنـتَ تُسْـتَفْتَى فـتُفتي دائمـاً بالصـريح الحـقِّ علمـاً واتِّباعـا

تُنحبِـتُ الـدنيا لمـا تُنْضِـي بـه مِـن حـديثٍ يَغمـرُ الـدنيا اتِّسـاعا

رِيعـتْ الآنَ ولكـنْ روعـةً سـوف نحياهـا مـع الدُّنيا التياعـا

إنمـا العُـرْبُ لسـانٌ أيِّـدٌ وتـراثٌ كنـتَ واقيـهِ انصـداعا

شـيخُهم في كـلِّ أمـرٍ حـازبٍ تُنقـذُ البـرَّ إذا مـا البـرُّ ضـاعا

مـا أقـلَّ النـاسَ في رُوَّادهِـمْ حـين يفنـون مـع الجهـل صِـراعا

*****

يـا سَـميِّي وصـديقي! ليـت لـي في وفـائي أن أفي العلـمَ المضـاعا

ليـت لـي قـدرَ وفـائي قُـدرةً كشـعاع الشـمس جوَّابـاً مُشـاعا

علَّـني أُرضِـي المعـالي رائيـاً قبـل أن أُرضـيَ حُزنـي واليراعـا

إنمـا آثـارُك الحسـنى الـتي تُفحـمُ الـدهرَ كمـا تمحـو الدَّماعا

الشعر والوطن

تَنـادَى النـاظمون بمـا دعَـوْهُ عزيـزَ الشِّـعرِ للـوطنِ الغـبينِ

ولم يَـكُ غـيرَ تلفيـقٍ سـقيمٍ ووأدَ الشـعرِ للغـرضِ المهـينِ

إذا طغَـتْ السياسـةُ واسـتحلَّتْ نفـاقَ الشـعرِ للأحـزابِ مَبْـدَا

فـلا كنَّـا ولا كـان افتتـانٌ بـهِ، إذْ لـن يكـون الـذلُّ مَجْـدَا

وهـل شِـعرٌ بـلا قلـبٍ أبـيٍّ زعـيمٍ يَنصـحُ الحُـرَّ الزَّعيمـا

يقـول الحـقَّ موفـوراً عزيـزاً ولا يَخْشَـى صـديقاً أو خصـيما؟

---

[1] وتراعى: أي الذكريات.

لكـم عنَّفـتُ مَـنْ أحببـتُ، حُبّـاً بمصـر، وإنْ أُسِئْتُ لمحضِ حُبِّـي
فعشـتُ أنـا الـوفيَّ لخيرِ شـعبي وإنْ ضَـلَّ الـورى، ولعهـدِ قلـبي

عام الباذنجان!

(من مشاهد الريف الأليمة)

يـا مَـنْ تُجَفِّـفُ باذنجانَهـا جزَعـاً للعيْشِ... ما حَظُّ هذا العيْش في الذُّلِّ؟!
أصْبحْتِ يا بنتَ مصر جِدَّ مُجدبةٍ وجِـدَّ محْرومـةٍ مـا طـالَ مِـن ظِـلِّ
والمـالُ يُنفَـقُ في إيـذاءِ مضـطهَدٍ ولـيس يُنفَـقُ في تطبيـبِ معتـلِّ
هَـوَى رجالاتُنـا في مـا يدنِّسُـهم وذَهبِ الملوكِ الـذي قاسَيْتِ مِنْ حِمْلِ
وصِـرْتِ سـائمةً تُرْعَـى، ورُبَّتَمـا عانيْتِ في البؤسِ ما فاتتْهُ من ذُلِّ
هـذا كسـاؤُكِ أسمـالٌ ممزَّقـةٌ كأنمـا رُشِـقَتْ والحـظُّ بالنَّبْـلِ
وذا نَهـارُكِ مثـلُ الليـلِ في عَمَـهٍ ومـا الحيـاةُ وهـذا النّـورُ كالليْـلِ؟
وتلـكَ أسـرتُكِ المهـدومُ هيكلُهـا كأنمـا غُـذِّيَتْ بالصَّـابِ والخَـلِّ!
فـأين أيـن بنـو مِصـرَ الأُلى مَـدَحوا جهـودَكِ اليـومَ في إرهاقِـكِ الكلـي؟
نـاموا وخلُّـوا غِنَـى الفـلاّحِ مَسـغبةً فضيَّعوه وضـاعوا في مَدَى الذُّلِّ!

القُواد والجند

أمَّـتي! كـم نُشـبعُ القـوَّادَ لومَـا بينمـا نحـن علـى الـذُّلِّ نيـامْ!
كلُّنـا المـذنبُ! كـم نرسـلُ ذمَّـا وكأنَّـا أبريـاءٌ دونَ ذامْ!
أصْلِحُوا القُـوَّادَ نقـداً أصـلحوا إنمـا لا تُسـرفوا في لَـوْمِهِمْ

ربمــــا يَفلَـــــحُ مَــــنْ لا يَفلَــــحُ		لـــو تجنَّبـــتمْ دواعـــي هَــدْمِهِمْ
آو! كـــم يَعشـــقُ قلـــبي وَحْـــدةً		تُرجـــع الـــوادي إلى عـــزَّةِ أمـــسِ
لـــو عقلنـــا مـــا عرفنـــا شِـــدَّةً		هـــي كالميتـــةِ في أعمـــاقِ يـــأسِ
أمَّـــتي! إنَّـــا جميعـــاً إخـــوةٌ		وغريـــبُ النـــاسِ فينـــا الجبنـــاءْ
كيـــفَ لا تَـــدفع (مِصـــراً) نخـــوةٌ		تخطـفُ المجـدَ وتُحيـي الشـهداءْ؟!

لوعة الغروب

(في بور سعيد)

تَـــولَّى النهـــارُ بـــلا مُنقـــذٍ		حبيـــبٍ ولا مَأمـــلٍ يُنْتَظَـــرْ
وجارفـــتْ الشـــمْسُ قبـــلَ الغـــرو		بِ بـــآخرِ إشـــعاعِها المـــدَّخَرْ
فمـــا صـــدمَ المـــاءَ حتـــى هـــوَى		ومـــا عـــانَقَ المـــوجَ حتـــى احتضـــرْ
وغابـــتْ كمـــا غـــابَ سِـــرُّ الضـــميرِ		فمـــا كـــاد يُـــدرِكُ حتـــى اســـتترْ
ومـــا البحـــرُ إلاَّ خِضَـــمُّ الحيـــاةِ		ومـــا الشـــمسُ إلاَّ رســـولُ القـــدَرْ
لقـــد جُمِعَـــا في الخفـــاءِ العميـــقِ		وإن لُمِحَـــا في مَجـــالِ النظـــرْ
ونَـــمَّ الســـحابُ الحـــزينُ الشـــريدُ		عـــن الوجـــدِ في ســـاعةٍ مِـــن ضَجـــرْ
ولم يحمـــل الأُفْـــقُ مـــن صـــبغةٍ		ســـوى لوعـــةٍ لفـــؤادٍ شَـــعَرْ
أُحِـــسُّ بـــه نفحـــةً مِـــن جمـــالٍ		مَـــرُوعٍ علـــى لفحـــةٍ مِـــن شَـــرَرْ
قـــد اتَّفَقـــا في اجتـــذاب العيـــونِ		كمـــا اختلفـــا في فُنـــون الصُّـــوَرْ
وكانـــا صـــلاةَ ضَـــحايا الغـــروبِ		وبـــين ضَـــحاياهُ دهـــرٌ عَبَـــرْ
تجـــدِّدُها رَحمـــةٌ في السَّـــماءِ		وإنْ خفيَـــتْ عـــن شُـــعورِ البشـــرْ
ويَفـــرح في موتهـــا العاشـــقون		كـــأنَّ النهـــارَ حبيـــبٌ غَـــدَرْ

فماتـــت أشـــعتُه المحســـناتُ وإنْ بُعِثَـــتْ في ضـــياء القمـــرْ
وأنشــدتُ وحــدي رثــاءَ الجمــال وقــد غــرق النــاسُ بــين السَّــمَرْ

ملاك أم شيطان؟!

(الرسم للفنان الفرنسي ماناسيه)

الجمــالُ الجمــالُ في هــذه الدُّنــ ــيا هــو الخــالقُ الصريحُ المحجَّبْ
لســبتِ إلاَّ رمــوزَهُ لعيــونٍ لمحــتْ فيــكِ نُــورَهُ يَتوثَّــبْ
في مثـالِ الهـدوءِ جِلسـتُكِ الحسـ ـــناءُ لكنَّهـــا شـــعورٌ تَلـــهَّبْ
جُمِعَـتْ حولـكِ الطيـوفُ فكانـت كاجتماع الطيوفِ من حول كوكبْ
كــلُّ لــونٍ لــه مَعــانٍ دِقــاقٌ كمعــانٍ إلى الســماوات تُنْسَــبْ
أين أين الشيطان مِنْ ذلك الحُسْـ ـنِ ومنه الحياة في الكون تُسكَبْ؟
مــا نزعــتِ الســتارَ إلاَّ وفــاءً حينمــا الفــنُّ للجمــال تَعصَّــبْ
منـكِ نسـتافُ نشـوةَ الفـنِّ الـوا نــاً ومِــنْ نبعـكِ المقـدَّسِ نشـربْ
يــا لآيِ الإبــداعِ في ذلــك الجســ ــمِ فمنْــه الإيحــاءُ للشــعرِ يُطْلَــبْ
هــو شِــعرٌ ومِــنْ جَنــاه تَــداعَى صُــوَرٌ للخلــود لا تَتذبــذبْ
كــلُّ جــزءٍ لــه نشــيدٌ حبيــبٌ في هتــافٍ وفي خُفُــوتٍ مُحَبَّــبْ
جُمِعَــتْ كلُّهــا فكــنَّ عجيبــاً قــد حــواه تَصــوُّفٌ فيــكِ أعجــبْ!

*****

ذاك حُلْـمُ الجمـالِ نشـوانَ لا يَـدْ ري نفوســاً بحلمــهِ تَتعــذَّبْ
عَصَّــبَ الــرأسَ في جلالــةِ ســحرٍ لا يُــدانَى، وفي تَحَــدٍّ مــؤدَّبْ
وإذا الشَّــعْرُ في تَمَــوُّجِ مأســو رِ وفي رقصــةِ الطــروب المعــذَّبْ

وإذا وجهُـــكِ الحَيِـــيُّ أفانيـــ ـــنُ مـن الظَّفْـرِ والرَّجـاءِ المخيَّـبْ
وتـراءَى نهـداكِ كالحارسـيْ حُسْـ ـــنكِ في رَوْعَــةٍ تشــوقُ وتُرهَــبْ
وهمـا فتنـةٌ مِـنَ النَّسَـقِ الـزَّا هــي بإعجـازه العـتيِّ المُهـذَّبْ
لم يزدنـــي تـــأمُّلي فيـــكِ إلاَّ صُـــوَراً مـــن عبـادةٍ لا تُخَيَّـــبْ
أنعشَـتْ خـاطري وقـد ذابَ شِعراً في حنانٍ والـدَّهرُ بالناسِ يَصخبْ!

الطاووس الأبيض

أنتَ في الحُسْنِ مُضْمَرُ اللَّونِ والحِلـ ـــيةِ كـ النُّورِ يُضــمِرُ الألوانَـــا
إنْ يَعِبْـكَ الـذين لم يَشـعروا بَعْـ ـــدُ فيكفـــي اجتـــذابُكَ الفنَّانَـــا

وحي البحيرة

(نظمها الشاعر في الصباح الباكر في عودته بالقطار من بور سعيد
وقد لمح عن بعد قوارب الصيد في بحيرة المنزلة)

هــذي الأهِلَّــةُ[1] مــا لهـا مــذعورةً فتلـوح في الأُفْـقِ البعيـدِ حيـارَى؟!
جُمِعَـتْ وعزَّزَهـا السَّـحابُ كأنَّمـا تخشـى إذا اشـتعلَ النَّهـارُ النـارَا
وإذا الميـــاهُ مَلاعـــبٌ جِنِّيَّـــةٌ شَـتَّى وأعشــابُ الميـاه عَـذارى
وإذا المشـاهدُ في تَحـوُّلِ سـكرةٍ منــا، ونلمحهـا كـذاك سُـكارى
كالعـالَمِ المجهـولِ نخطـفُ حلمَـهُ بعـضَ الحظـوظِ وعندها يتـوارى!

*****

[1] إشارة إلى مرأى القوارب عن بعد.

يَثبُ الخيالُ بنا إلى أكنافِها ... ويثورُ في شَغَفٍ يظلّ مُثارَا
ويعودُ مدحوراً، فإنَّ رموزَها ... شأَتْ الخيالَ وفاتتْ الأسرارا
إن يدرِها أحدٌ فطيرٌ شاعرٌ ... قد أفحمَ الشُّعراءَ والأطيارا
يقتاتُ بالألوانِ قبلَ غِذائِهِ ... مُتَعاً وتشربُ روحهُ الأنوارا
يقضي الليالي عابداً متبتِّلاً ... يدعو النجومَ ويسألُ الأسحارا
ويَنوح للغرقى، فكم مِن نجمةٍ ... خُدِعَتْ وقد غرقتْ، ويطلبُ ثارا!
علقتْ به الثاراتُ حتى أنه ... ليعيشُ في عُمرٍ يراه مُعارا
وكذاك قلبي طارَ حولَ خيالها ... قلقاً يُراوِدُ حُسْنَها السَّحَّارا
يجري القطارُ ولا أحِسُّ به كما ... أحسستُ بالصمتِ البعيدِ جهارا
وكأنَّه مَرْأى الفناءِ محبَّباً ... بسكونه، وكأنه ما ثارا
تتناوبُ الخطراتُ ملءَ تناقضٍ ... لُبِّي كما تتناوبُ الأدهارا
تَجري وتَنتظمُ الوجودَ بأسره ... وترى البحيرةَ كنيةً وشعارا
هي مَسرحٌ تَخذَ الخفاءَ جمالَه ... فطناً وأرسلَ رغوُهُ الأشعارا
فجمعتُها بيدِ الأثيرِ ضراعةً ... للحسنِ حين الموجُ أنَّ مِرارا!

على حافة الترعة

(في ضاحية المطرية)

أمتعتُ بالماءِ المهفْهفِ ناظري ... وبه الظلالُ عن الغصونِ تَشفُّ
وكأنما هي في الحياةِ أصيلةٌ ... والأصلُ ظلٌّ في الهواءِ يَرِفُّ
سحرٌ تَكفَّلَ موجُه بوجودهِ ... وقد احتواه وما احتواه الطرفُ
ورشيقةُ الحشراتِ تلعب حوله ... وتطيرُ وهي من الحبورِ تخفُّ

دنيـا خيـالٍ والحقيقـةُ عنـدهاْ ما يُلـهم الـوهْمُ الحبيبُ ويصـفو
سـكنَ الغـرامُ بهـا فكـلُّ مليحـةٍ بحبيبهـا تَعتـزُّ أو تلتـفُّ
مِـنْ كـلِّ نَبْـتٍ لا يَجـلُّ وإنمـا الفـنُّ مجّـدَهُ ويَـأبى العُـرْفُ
مِـنْ كـلِّ طـائرةٍ بـزيٍّ بعوضـةٍ وحياتُهـا دنيـا عـداها[1] الوصـفُ
مِنْ كـلِّ غائصـةٍ يُحـاربُ عيشَـها عِلْـمٌ، ويَنصـرُها الجمـالُ فتطفـو
الفقـرُ يشـملهاْ جميعـاً بينمـا الفـنُّ يُكسـبها غِنـىً فتعِـفُّ
ونُحـسُّ نحـنُ بفقرنـا وخشـوعِنا فنظـلُّ نَنهـب حُسـنَها ونسـفُّ!

القلادة المحسودة

يـا ليـتني الجعـرانُ في الجيـدِ متوثِّبـاً في كـلِّ تنهيـدِ
مترنِّحـاً مِـنْ لُطفِهـا الغـالي واللطـفُ تَشـريدي وتَبديـدي
مُتسلسـلاً والقَيْـدُ لـي نِعَـمٌ فالحُسْـنُ تنعيمـي وتقييـدي
قـد صِيغَ مِـنْ ذَهَـبٍ ومـن حَجَـرٍ وكلاهمـا الفتَّـانُ للغيـدِ
وأنـا المَصـوغُ عواطفـاً كَرُمَـتْ أتـرى أنـالُ رعايـةَ الجيـدِ؟
فأنـامَ في حُلـمٍ علـى حُلـمٍ متيقّظـاً في كـلِّ تنهيـدِ!

---

[1] عداها: لم يدركها.

التعاون

(ألقيت في حفلة تكريم رجل التعاون والقلم الصديق الأديب محمد عبد الغفور يوم أول يوليه سنة ١٩٢٤ بمدينة زفتى، وقد أقامها ممثلو الجمعيات التعاونية والأدباء في منطقته)

أمحرّرَ الفلاحِ مِنْ أغلالِهِ ... الآن يُنشِدُكَ الوفاءَ جميلاَ
ذوَّقْتَهُ معنى التعاونِ باذلاً ... فاقبلْ تعاونَ حُبِّهِ مبذولاَ
كم مِنْ ليالٍ قد سَهِرتَ لنفعهِ ... حتى مَرِضتَ وما مَرِضتَ بخيلا
كالنيلِ يُعطي الخِصْبَ رغمَ رسُوبهِ ... وكفاكَ أنْ تُرْضِي أباكَ (النِّيلا)!

*****

(زفتى)! يفارقكِ الأبيُّ بروحهِ ... إلاَّ عليكِ مُساءَلاً وسَؤولا
الغَرْسُ قبَّل راحتيهِ بنضرةٍ ... والماءُ أشبعَ سعيَهُ تقبيلا
والجوُّ في خطراتهِ أنفاسُهُ ... تُوحي لأنفاسِ العُفَاةِ جليلا
المُنْقِذُ الفلاَّحَ يَعرفُ أصلَهُ ... هذا الثَّرَى وذَويهِ جيلاً جيلا
فيظلُّ يدأبُ كي يزيدَ شُعاعَهُ ... ألَقاً، وكي يَهَبَ السَّلامَ ظليلا

*****

(عبدَ الغفورِ) وأنتَ جَمُّ مواهبٍ ... كَرُمَتْ فما تتطلَّبُ التَّبجيلا
جاءتْ تُكرِّمُكَ المآثرُ حُرَّةً ... قبلَ الوُفودِ، وتلك أبلغُ قِيلا
وكأنَّ عُمْرَكَ نفحةٌ عُلويةٌ ... للشِّعرِ في زمنٍ نراه عليلا
فأثارَ خاطريَ الكليلَ، ومَنْ يَنَلْ ... وَحْياً كوحيكَ لن يكون كليلا
وبَعثْتُ شِعري كالصَّبيِّ لأَهلهِ ... فَرِحاً يعانقُ راحلاً وخليلا
يا ما أقلَّ الناس مِثْلَكَ قُدوةً ... ومودِّعيكَ الأوفياءَ مثيلا!

الحقول

(خواطر السفر)

أهـلاً سَـرِيَّاتِ الحقـولِ! أعـودُ في — شـغفي، ويـأبى لـي القطـارُ لقـاءَ!
ويَطـيرُ بـي هـذا البخـارُ كأنمـا — يخشـى علـيَّ الفتنـةَ العميـاءَ!
مـا بالُـه يَطـوي الفراسـخَ بينمـا — هـذا ابتسـامُكِ كالشموسِ أضـاءَ؟
بَعـثَ الرجـاءَ بكـلِّ زهـرٍ فـاقعٍ — للقطـن وضَّـاءً غِنـىً ورجـاءَ
والجـدولُ الجـاري يصـون ثـراءَه — أو يسـتحيلُ إذا رواه ثـراءَ
والفـالحون الزَّارعـون حيَالـه — أمـراءُ لـو لم يبلغـوا الأُجـراءَ
وقفـوا وقـوفَ الـذلِّ عند نضـاره — يتبـادلون الحسـرةَ الخرسـاءَ
في أمَّـةٍ هـم مجـدُها لـو أنهـا — رَشَـدَتْ ولم تَرفـعْ بهـا الجبنـاءَ
سـادَ الطغـامُ بهـا وهـانَ عزيزُهـا — وسمـا البنـاءُ وخانـتْ البنَّـاءَ
والشـعبُ مـا لم يسـتعزّ بذاتـهِ — بـات الغنـى والفقـرُ فيـه سـواءَ

الأشجار الشريدة

(صورة سريعة)

وَقفـتْ مُشـرَّدَةً إزاءَ (النيـلِ) — و(النيـلُ) في جَـدْواهُ غـيرُ بخيـلِ
لكنهـا تلقـى الهجـيرَ عَـذابَها — والمـاءُ لا يـروي ظمـاءَ ذليـلِ
وقفَـتْ مُشَـرَّدةً كصـورةِ أهلـها — متفـرِّقين علـى أسـىً وعويـلِ
وعويلُهـا لَفْـحُ الهجـيرِ، وذُلُّهـا — ظِـلٌّ مـن الأغصـانِ غـيرُ ظليـلِ

فرحة الألوان

(من مشهد فتاة ريفية ذات ملابس زاهية الألوان)

سِــيري بفرحــةِ لونــكِ الزَّاهــي إذا افتُقِــدَ السُّــرُورْ

لم يَبــقَ للريــفِ الجميــ ـــلِ سـوى الأشـعةِ لا الشـعورْ

سِــيري فــألوانُ الثيــا بِ غُرورُهــا أشــهى الغــرورْ

وإذا حكــتْ لــونَ الــدما ءِ فــأيُّ قلْــبٍ لا يثــورْ؟!

هــذي كنــوزٌ للحيــا ةِ وأهلُهــا أهــلُ القبــورْ

لم يَبْــقَ مِــنْ سَــلوى لهــم إلاَّ التَّــوهُّمُ في النشــورْ!

الأرز الطائش

(من إيحاء السفر من نافذة القطار)

الأرزُ مـاجَ علـى الحقـول فكأنَّــه قلــقُ المَلــولْ

مترنِّحــاً مترنِّحــاً وكأنمــا المــاءُ الشَّــمولْ

في خُضــرةٍ مصــفرَّةٍ فـاللونُ شمـسٌ لا تحـولْ

ونَضــارةٍ ذهبيَّــةٍ جُمِعَتْ لتُنْشَرَ في الأصيلْ

يُــرْوَى ويُــرْوَى وهــو لا يُـرْوَى مـن الظمـأ المهـولْ

ظمــأُ الحيــاةِ إلى الحيـاةِ ولـيس مـن ظمـأ الحقـولْ

متصــوِّفاً وهــو الجميــ ـلُ بكـلِّ مجهـولٍ جميـلْ

متلــهفاً متضــارباً متطلعــاً للمســتحيلْ

والأرضُ تــأبى طَيْشَــهُ وتــردّه ردَّ البخيــلْ!

بنات الشفق

(نظمت عند شاطئ استانلي)

لبسنَ الجمالَ جمالَ الشَّفَقْ ... ووزَّعْنَ أحلامَه في الغسَقْ
وسِرْنَ على خطراتِ النسيمِ ... فأفعمْنَهُ بالهوى والعبَقْ
عرايا تَصَوَّفْنَ بينَ الفنونِ ... وأشعَلْنَها في النُّهى والحَدَقْ
تَخطَّرنَ في صُوَرٍ مِن حنانٍ ... تشرَّبَها الموجُ بعدَ الأفُقْ
وأرسلنَ في كلِّ قلبٍ حياةً ... وهذي حياةٌ تحاكي الغَرَقْ
تَشبعتُ مِن سحرِها العبقريَ ... وأكذبُه في فتونٍ صدَقْ
فأنشقُ أنفاسَ هذه الحياةِ ... ويملأ روحيَ هذا الألَقْ
وأعبدُ أعضاءَهنَّ الغوالي ... كأنّيَ أعبدُ ربَّ الفَلَقْ
تمَوَّجْنَ في روعةٍ للجمالِ ... وفي لهفةٍ للأماني أدقّْ
وفي سُمْرةٍ من معاني الخمورِ ... وفي حُمْرةٍ من معاني الشَّفقْ
وفي جرأةٍ للجمالِ العزيزِ ... كأنا نقدِّسُهُ مِنْ فَرَقْ
تواءَمَ في كلِّ أجزائهِ ... وإنْ ثارَ بينَ الورى وافترقْ
نتابعهُ بعميقِ الخشوعِ ... ونغنم منه الهوى والأَرَقْ
ونعبدُه في حنينٍ يثورُ ... وفي شعرِ قلبٍ شَجيٍّ خَفَقْ
وفي لثماتٍ لنا في احتجابٍ ... تَراءى النسيمُ بها أو نطقْ
فيا مَعبدَ البحرِ عِشْ للجمالِ ... وعِشْ للغرام وصُنْ مَنْ عشِقْ!

الراقصة ببا

(سونيتة)

يـا (ببـا) يـا (ببـا) ... يـا فِـتنَ الصِّبا
يـا مُتَـعَ الهـوى ... يـا نُخـبَ المنـى
نهايـةُ الغِنـى ... سـناك لا الغِنـى
يـا رقصـةً حـوتْ ... مـا عـالَمٌ أبـى
للوعـةِ الصِّـبا!

إلى ناقد الجمال

(مهداة إلى الصديق الأديب حسن بهجت)

يا ناقدَ الحسنِ الأَصيلِ وما لـه ... رَدٌّ لأَحكـامٍ ولا لغـرامِ
آمنـتُ بالـذوقِ الـذي أبدعتَـهُ ... مِـن خـالصِ الإلهـامِ للإلهـامِ
هـاتِ الحديثَ عن الجمالِ فإنني ... لحـديثكَ الفـنيِّ أشْـوَقُ ظـامي
وَصِفْ العيونَ لنا وما حجَّبْنَهُ ... مِـنْ كـلِّ مَعنـىً فاتـكٍ بسَّـامِ
وَصِفْ الجوارحَ كلَّها في قُدرةٍ ... وَصْـفَ الهـوى والخـالقِ الرسَّـامِ
وَصِفْ الخوالجَ والعواطفَ والمنى ... واليـأسَ في الراقصـاتِ والأنغـامِ
وجميـعَ مـا تختـارُه وتُعـزّهُ ... ونمـاذجَ الأشـواقِ والأحـلامِ
صِـفْ ناقـداً ومحلّـلاً فلربَّمـا ... أشـبعتَ بالأوصـافِ كـلَّ غـرامِ!

قصائد الحقول

مُبْـدَعاتٌ فيهــا الـرويُّ مِـن المـا ... ءِ تــلالاً علــى الحَفـا في الحســانِ
والنبـاتُ السَّـرِيُّ والنـاسُ والحَـرْ ... ثُ وشـتى الحيـاةِ بَعْـضُ المعـاني
أتَملَّــى الــذي تَمثَّــلَ فيهــا ... كتملــي الفنَّــانِ للفنَّــانِ
ليتَ شِعري: أتلك مِنْ مُهجةِ الإنْـ ... ـسانِ شـاقتْ أم مُهجـةِ الـدَّيَّانِ؟!
ذاك شِـعرُ الحيـاةِ ألفاظُـهُ الخَلْـ ... ـقُ وأحداثُــه فنــونُ البيــانِ
وهـو بَعْـضٌ مِـنْ عـالَمٍ كـلُّ مـا فيـ ... ـهِ أناشـيدُ شـاعرٍ فتَّــانِ!

تصوّف الطبيعة

تصوَّفَتْ في فصولِ العامِ أجمعها ... حتى الربيعُ وحتى الصيفُ أرضاها
ففـي الربيـع مَعـانٍ مِـنْ تيقظهـا ... ومِنْ مُناجـاةِ مَنْ بالحبِّ ناجاهـا
ويجمـعُ الصَّـيْفُ ألوانـاً تُعـذِّبُها ... مِـنَ التَّحـرُّقِ في ترديـدِ نجواهـا
حـينَ الخريـفُ صـلاةٌ كلُّهـا لهـفٌ ... وكلُّهـا شـغفٌ مـا كـان لولاهـا
بينـا الشـتاءُ صـيامٌ، في تَجـرُّدِهِ ... أبهى التصوُّفِ، أسماهـا وأغناهـا!

*****

كلُّ الفصـولِ جمـالٌ في تَصَـوُّفِها ... لـو أنَّنـا قـد عرفنـا بَعْضَ مَعناهـا
رأيتُهـا مثـلَ (سـافو) في مَلاحتهـا ... يبـوح بالشِّـعر للأحيـاءِ مَرْآهـا
في زَهْوِهـا الحُلوِ أو في لَفْحِ غضبتها ... أو عنـد ثورتِهـا أو عنـد سُـكناها
هــي الجمــالُ بـألوانٍ منوَّعــةٍ ... وحسـبُنا مِـن مجاليـهِ محيَّاهـا!

المرأة العميقة

(كثيراً ما يقف الشاعر في الصباح الباكر عند ترعة المطرية ينتظر السيارة بينما يقرأ في الماء أمثال هذه المعاني)

أرِعشــةُ المــاء هــذي عواطـــفٌ للغـــديرِ؟
وخُضــرةُ المــاء هــذي رمـــزٌ لـــروحٍ قريـــرِ؟
تُقــيم فيــه المرائـــي حُلـــىً لغـــيرِ انتهـــاءِ
غِنـــىً لـــراءٍ ورائـــي في الأرضِ أو في السماءِ!
قــد مَسَّــها الحُــبُّ حتى صَــفَتْ صــفاءَ الحــنينِ
فلســتُ أعــرفُ نعتــاً لهــا يحــاكي حنــيني
قــرأتُ فيهــا المعــاني مِــن الســماءِ تُطِــلُّ
وكــلُّ مَعْنــىً أمــامي يَجِــلُّ عمَّــا يَجِــلُّ
لكــنْ أحــسُّ برُوحــي فيهــا المرائــي الخفيَّــهْ
كأنمــا المــاءُ يُــوحي رســـالةَ العبقريَّـــهْ
مــا ذا تَحجَّــبَ فيــهِ وطبعُـــه أن يبـــوحْ؟
حتــى علــى عاشــقيهِ يُخفــي شُــعورَ الصــريحْ
يــا مــاءُ كم فيكَ مَعْنَــى شــأى المعــاني العميقــهْ
أُحسُّـــه وهــو يَخْفــى كمــا تُحَــسُّ الحقيقــهْ

ذكرى ميت غمر

إنْ أنس ليلةَ (Bella Vesta)[1] حينما ... لاقَى الصباحُ الليلَ بين يَديْنا
هيهات أنْسَى رحلتي وتَمتُّعي ... في الليلِ عندكِ لا أبالي الأيْنا!
سِرنا إزاءَ الماءِ نطوي جِسْرَهُ ... والماءُ في عَجبٍ يسائل عنا!
فنصون في أسماعنا تَسْآلَه ... ونمّر نخطف منه مَعنىً مَعنى!
والليلُ كالصبِّ الكتوم فسِرُّه ... بادٍ وخافٍ: في دُجىً وشعاعِ
وكلاهما متمازجٌ متماثلٌ ... إلاَّ على الفنَّان والإبداعِ
سِرنا ووَحْيُ الليل يشملنا هُدىً ... ووساوسُ الغَرْسِ الحفيِّ الراني
وطويلُ أشرعةِ الزوارقِ بينما ... هُزَّتْ من النسماتِ والألحانِ
والماءُ في الرياح[2] ملءُ سكونهِ ... قلقٌ وعطفٌ في سماتِ الشاعرِ
تَخذَ الحقولَ جوارَه ندماءَه ... وتخذْنَه رمزاً لربٍّ قاهرِ
ونرى مصابيحَ الزَّوارقِ حالَها ... حالُ الطفولة في التَّوثُّبِ نورُها
المالحون حيَالها في فرحةٍ ... بشعورها وغناؤهم تصويرُها
حتى أتينا (ميتَ غمرَ)، دليلُنا ... نسماتُها وعبيرُها وضياؤُها
دنيا عواطفُها انتظمنَ حدائقاً ... وترِفُّ في صُحُفِ المياه سماؤُها
وحَنِيَّةُ القصْباءِ تَحسبُ عندها ... همساً ونلمحُ في المخابئ (موسى)
والنيلُ في رَوْعِ التَّقيِّ نسيمُه ... وكأنما أسرى النسائمَ (عيسى)
ولقد جلستُ إلى صباحةِ رفقةٍ ... جعلوا المساءَ منوَّراً مأثورا
فبكلِّ لفظٍ مِن محبتهم غنىً ... كالنورِ، والإيناسُ بزَّ النورا
حتى نسيتُ الوقتَ كيفَ أعدُّه ... بعضَ الوجودِ ونحن لا نرضاهُ؟

---

[1] بلافستا – من ملاهي الإسكندرية.
[2] الرياح التوفيقي، وقد صحبه الشاعر بالسيارة ليلا من بنها إلى ميت غمر.

ربطَ الهوى بين القلوب فكلُّ ما	عادى الهوى ننساه أو نأباهُ
وأتى النَّهارُ وكم حمَتْهُ أطايبٌ	غَنَّى بها المجدافُ والملاَّحُ
والنيلُ يدعونا فنَقْبَلُ جُودَه	وكأنما أمواجُه أفراحُ
فرحتْ بنا فَرَحَ الكريم بضَيفهِ	وتألَّقَ الزبدُ الوضيءُ عليها
وكأنَّه شِعرُ الحنان مرحِّباً	وكأنما كنا نحجُّ إليها!

في حمى الهدير

(جلسة في حديقة دهتورة عند قناطر زفتى)

ها هنا في حِمى الهديرْ	ووثبةِ الموجِ ثائرًا
نُطلقُ الشِّعرَ والشعورْ	ونجعل الروضَ شاعرًا!

*****

ها هنا والعشبُ جَمُّ الظلالْ	نسائل الربوةَ عن حُلْمِهَا
فلا نرى إلاّ معاني الجمالْ	تهفو مِن الأرضِ إلى أمِّها
والنيلُ يجري في ابتهاجٍ عجيبْ	ورعشةُ النورِ على صدره
يجري كما يجريَ الشَّرودُ الغريبْ	في سَكرةِ الجاري إلى قبره
بَعثِرْ الموجَ وسِرْ سَيْرَ ماءْ	يا نيلُ! لكنْ قفْ بروحِ الحبيبْ
ما أروعَ الحمرةَ مثلَ الدِّماءْ	في هذه اللهفةِ بين القلوبْ
يا راوياً تَهدارُهُ ما رَوَى	مِنْ سيرةِ الناس وسَيْرِ العصورْ
إن يُحجَزْ الماءُ ففيكَ انطوَى	من هذه الأسرارِ وَحْيُ الأثيرْ
يا نيلُ حرٌّ أنتَ مهما سَعَوْا	في حجزِكَ اليومَ فأنتَ الأبيّ
تفيضُ بالحبّ لمن قد رعَوْا	عهودَكَ الحرةَ فيضَ العتيّ

وهــذه الأشــجارُ مثلــي لهــا		في نظـرةٍ نحـوكَ نجْـوى الحَنـانْ
وهــذه الخُضْــرَةُ فِي سَــمْعِها		مِنْ صـوتِكَ الـدَّاوي مَعاني الأمانْ
روّيتَهــا بالصــوتِ أو بــالمُنى		مِـن قبـل مـاءٍ عسـجديٍّ مُـنيرْ
والراحلُ الماضي-كمن قدْ مضى-		قلـبي، فهـل يَغْنَـى بهـذا الهـديرْ؟

*****

هــا هنــا فِي حِمَــى الهــديرْ		ووثبـــةِ المـــوجِ ثـــائرًا
نُطلـــقُ الشِّـــعرَ والشـــعورْ		ونجعـــل الـــروضَ شـــاعرًا!

الصنوبر الكاذب

(في حديقة دهتورة عند قناطر زفتى)

عُدْ يا غُرابُ إليَّ! عُدْ! لا تَخْشَني!		كـلُّ الحنـانِ لـديَّ لـو حـادثتَني
هـذا الصـنوبرُ كـاذبٌ فِي وَهمهـمْ		أتـراكَ أنـتَ مثـيلَهم فِي فهمهـمْ؟
أخشـيتَني وخشـيتَهُ أم أنَّ مـا		تهـواه أنـتَ مـن الملاحـةِ قـد سمـا
وأنــا القنــوعُ وأمــةُ الغربــان		فِي ذوقهــا جـازتْ مَـدَى الفنَّـانِ؟
عُـدْ يـا غـرابُ! فللصّنوبرِ دعـوةٌ		مثلــي وللغـرسِ المهفْهـفِ لفتـةٌ
فــإذا أبيــتَ صــداقةَ الإنســانِ		فـانظر إلى الشـجرِ الصـديقِ الحـاني!

زفتى في الماء

(لمحة من شاطئ ميت غمر)

ألقتْ على (النيل) المُغازِلِ ضَوْءَها		والضَّــوْءُ فـوقَ حنانـهِ مبهـوتُ
لكنَّمــا يحيــا علــى تَحنانــهِ		وســواه فِي المـاءِ العَتِـيِّ يمـوتُ

وتلوحُ أخيلةُ الضياءِ غرائباً ... فيهنَّ (أوزيريسُ) والتابوتُ
و(النيلُ) حيٌّ كائنٌ فشرابُهُ ... في الذكرياتِ وفي الأشعَّةِ قُوتُ
أرسلتُ أحلامي إليهِ سوائلاً ... فرجعنَ لي شعراً عليه حييتُ!

رثاء هند نبرج

(توفّيَ زعيم الأمة الألمانية وقائدها الأعلى في الثاني من أغسطس سنة ١٩٢٤)

يا شهيداً في (تننبرج) أفاءْ[1] ... هكذا المجدُ ووَحْيُ الشهداءْ!
عشْتَ للشعب ومتَّ المرتجَى ... باذلَ النَّفْسِ شُعاعاً ومَضاءْ
ليس مَنْ يَمضي شهيداً في الوغى ... فوقَ مَنْ يمضي شهيداً في البِناءْ
ليس مَنْ يحفظ حقّ الأَقوياءْ ... مثلَ مَنْ يُرجِعُ حقَّ الضعفاءْ
نَمْ هنيئاً أيها الشيخُ الذي ... جَدَّدَ الشعبَ شباباً ودماءْ
نَمْ هنيئاً! ذاك حقٌّ نِلْتَه ... بالخطيرِ النَّصْرِ بَدءاً وانتهاءْ
واسعَ الحيلةِ منقضّاً بها ... فإذا الباغي هباءٌ في هباءْ
نَمْ هنيئاً إنْ يكُ الموتُ وَغىً ... فخلودُ الذكرِ حربٌ للفناءْ
نَمْ بتُرْبٍ ناضرٍ قدَّسْتَهُ ... بالضَّحايا البُسَلاءِ السُّعَدَاءْ
كلُّ شبرٍ منه ذكرٌ رائعٌ ... ومَعانٍ مِنْ تَفانٍ وفِدَاءْ
ضمَّخَتْهُ عزَّةٌ روحيَّةٌ ... ودماءٌ نَذْرُها فوقَ الدِّماءْ
شرَفُ الأوطان جيشاً مُزْبِداً ... وإباءُ الضَّيْمِ في يوم الإباءْ
حينما حاصرتَ جيشاً مُزْبِداً ... بين نارَيْنِ لأجنادٍ وماءْ

[1] أفاء: رجع، وتننبرج هي القرية التي دفن فيها الفقيد والتي كانت أصل شهرته إذ تركز فيها القتال بين الروس والألمان في بروسيا الشرقية.

حينمـا غَطَّـى الـبحيراتِ اللظـى … وتـَـراءَى شُـعلةً نفـسُ الهـواءْ
والعَــدُوُّ الضَّــخْمُ فِي مصــيدةٍ … فاتــتْ اليــأسَ ولم تَعْـدُ الرَّجـاءْ
لم يَجِـدْ فِي الأرضِ أدْنَـى مَهـربٍ … وتَنـاءتْ عنْــه آســبابُ السَّــماءْ
وهَــوَى فِي الأَسْــرِ لا عــن ضَـلَّةٍ … أو غَبَــاءٍ، وهــو فِي أســرِ الـذكاءْ
إنمــا صــادتْهُ مِــن أحلامــهِ … قُــوَّةٌ فَــوْقَ القِــوَى والأَقْويــاءْ
قُــوَّةُ الإخــلاصِ فِي تضــحيةٍ … عنـد مـا أحـدقَ بالشـعبِ الـبلاءْ
قُــوَّةٌ تَعريفُهــا أسْــمَى مَــدىً … مِــنْ تعــاريفِ التَّفــاني والفِـداءْ!

*****

يــا دفينــاً فِي (تَننــبرجَ) أفــاءْ … هكـذا المجْـدُ ووَحْـيُ الشُّـهَداءْ!
بَطَــلُ الحــرْبِ جريئــاً فاتحــاً … يمــلأُ الرُّعْــبُ لــذكراه الفضــاءْ
والأَجَــلُّ الشَّــهْمُ فِي كســرتهِ … يجعــلُ التسـليمَ كـالفتْحِ سـواءْ
شــامخُ الــرأْسِ يُفَــدِّي تاجَــهُ … ويَصــونُ الشَّـعْبَ صَـوْنَ الأمَنـاءْ
يـا عظـيمَ الخُلْـقِ سَـلْماً ووَغـىً … وعــديمَ المِثْــلِ فِي يــومِ الوفــاءْ
لم يُغــالِ الشَّــعْبُ فِي تكرمــةٍ … أو بقربــانٍ لحــبٍّ ووفــاءْ
كيــف والــنَّفْسُ الــتي بــدَّدْتَها … هــي أسمــى مِـن بـرُوجٍ وبنـاءْ[١]؟
نَعْشُــكَ الهــادئُ مــا أشــبهَهُ … بسـكونِ الـدَّهرِ مِـنْ بَعْـدِ القضـاءْ
حاطَــهُ مِــنْ كــلِّ ذكــرٍ أثــرٌ … نــاطقٌ قبــلَ البرايــا بالثنــاءْ
دائــمُ الرهبــةِ مِــن شخصــكَ فِي … حــرمِ الخلــدِ ومحــرابِ البقــاءْ
دائــمُ الرَّوْعــةِ فِي تقديســهِ … وكــأنَّ الحــبَّ هــالاتُ الضِّـياءْ!

*****

يــا دفينــاً فِي (تننــبرجَ) أفــاءْ … هكـذا المجْـدُ ووَحْـيُ الشـهَداءْ!

---

[١] إشارة إلى النصب التذكاري العظيم في تننبرج وإلى بروجه الثمانية.

لكَ في الموتِ الذي كنتَ تَشاءْ — مِنْ وفاءٍ، ولك الحيُّ النِّداءْ
ولكَ المجدُ الذي أطلعْتَهُ — لشعوبِ الأرضِ نوراً يُستضاءْ
مُعجزُ القرنِ الذي لم يحتفلْ — أهلُهُ إلاّ ببطشٍ أو رياءْ
جئتَهُ المنقذَ مِن أدوائهِ — بالعظيمِ الخُلْقِ حيَّ الكبرياءْ
آو! مَنْ لي أن أرى في وطني — هذه العِزَّةَ في يومِ العزاءْ
نحن صرعى مأْتمٍ في مأْتمٍ — حرَّم الذُّلُّ به حتى البكاءْ
بينما شعبُكَ في لوعتهِ — رافعُ الهامةِ محسودُ اللواءْ
ما زعيمٌ أنجبتْهُ أمَّةٌ — مثلَ مَنْ أنجبَ فيها الزُّعماءْ
إيهِ (هند نبرجُ)! هذي غايةٌ: — عِظَمُ الموتِ ووَحْيُ العظماءْ!

الواز وأبيلارد*

Héloise & Abélard

(قصة الحب الخالد)

كان (أبيلارد) من أشهر فلاسفة المسيحية في القرن الثاني عشر للميلاد وبلغ مركز أسقف كنيسة (نوتردام دي باري) في شبابه بفضل معارفه وذكائه الخارق كما كان معلماً محبوباً ساحراً، فانتُخِبَ معلماً للآنسة الحسناء (إلواز) قريبة الأسقف (فُلبير) ومَن ثمة بدأ الحُبُّ ينشأ بين (أبيلارد) و (إلواز) حتى بلغ غاية العشق والشهوة، ففُصِلَ بينهما ونال (أبيلارد) من التَّعدّي الوحشيّ عليه ما ناله بإغراء (فُلبير).. وأخيراً صار (أبيلارد) راهباً كما ترهَّبتْ (إلواز) وعانى (أبيلارد) الكثيرَ من الاضطهاد ومات شقياً، وعاشت (إلواز) بعده سنين في عذاب الحبّ

* تجد تفاصيل هذه القصة في كتاب (Personality) تأليف ماجوري بارستو جرينبي، ص ١٣٤.

الغبين. وبعد وفاتهما بزمنٍ جمعَ الأبرارُ رفاتهما براً بذكراهما في مدفنٍ واحدٍ، وهما الآن مدفونان بمقابر (بير لاشيز) بباريس.

أيُّ مَعْنَى مِنَ الجمالْ   أيُّ مَعْنىً مِنَ الهوى
لم يخافا مِنَ المُحَالْ   حين خَافَا مِنَ النَّوَى

في نعيمٍ مِنَ الألمْ
وحياةٍ مِنَ العَدَمْ؟!

نَشَدَا جوهرَ الحياهْ   فإذا الحُبُّ صائنُهْ
نشَدَاهُ بلا انتباهْ   حين نادتْ مَفاتنُهْ

نافذاتٍ إلى الصَّمَمْ
دافقاتٍ مِن النَّغَمْ!

ما رعَى الحُبُّ فيلسوفْ   إنَّ للحبِّ دِينَهْ
لا ولا العالَمَ السَّخيفْ   وهو يُرْضِي جُنونَهْ

بَلْ دَعا الحبُّ عابديهْ
دعوةَ الخالقِ النَّزيهْ

قد هوَى الأسقفُ العظيمْ   فتسامَى وقد هَوَى
إيهِ (إلوازُ)! هل غريمْ   مُرْشِدٌ ضَلَّ ما ارْعَوى

وضلالُ الهوى هُدَى
وهُدَى غيرِهِ سُدًى؟!

كُنْتِ تلميذةَ العُلومْ   ثم أستاذةَ الغرامْ
فتساقيتُما النعيمْ   وتناسيتُما الأنامْ

في وُجودٍ حَواكما

لم يَنَلْـــــــهُ سِــــــواكما!

تُرْتُمـــا ثـــورةَ الغـــرامْ وأتـــى بعـــدَها اللَّهَـــبْ

لم تخافـــا مِـــن الحـــرامْ هـــل حـ ـ ـرامٌ لِمَـــنْ أَحـــبْ؟

وأبَـــى الـــدَّهرُ مـــا أَبـــى

مِـــنْ وصـــالٍ ومِـــنْ صِـــبًا

فـــإذا الحـــربُ مُعلنَـــهْ ويـــلَ حـــربٍ لعاشـــقينْ

لـــيس للـــدَّهرِ مِـــنْ سِـــنَهْ عـــن حبيـــبينِ صـــادقيْنْ

سُـــنَّةُ الـــدَّهر دائمـــا

ســـادَ في الحـــبِّ ظالمـــا!

أيهـــا الـــدَّيرُ مَرْحبـــا إنْ غـــدا الحُـــبُّ كالشَّـــريدْ

مَلجـــأُ الحُـــبِّ إنْ أبـــى عـــالَمُ الأســـرِ والعبيـــدْ

عِـــزَّةَ الحـــبِّ في الـــثُّرَى

وهـــو مَـــنْ ألهـــمَ الـــورَى!

فُرِّقـــا بَعْـــدَ نِعمـــةٍ في وصـــالٍ هـــو الحيـــاةْ

فتـــداوَى بنقمـــةٍ والتـــداوي مـــن الممـــاتْ

في اعتـــزالٍ كلاهمـــا

نـــالَ مـــا نـــالَ مِنهُمَـــا

وَعـــدَتْ قســـوةُ الأنـــامْ وعَـــدَتْ قســـوةُ الـــزَّمَنْ

و (أبـــيلاردُ) في الرَّغـــامْ حـــين (إلـــوازُ) في المِحَـــنْ

وإذا المـــوتُ راحـــمُ

وإذا المـــوتُ ظـــالمُ!

مـــاتَ والمـــوتُ في العـــذابْ		في اضـــطهارٍ علـــى اضـــطهادْ
شـــابهَ الوصـــلَ لا العقـــابْ		إنْ يصـــنْ ذكـــرُهُ الـــودادْ

فـــإذا المـــوتُ مَغْنَمُـــهْ
وإذا العـــيْشُ مأْتَمُـــهْ!

ومَضـــتْ بعـــدَهُ السُّـــنونْ		في حماهـــا نشـــيدُهُ
حـــين (إلـــوازُ) في جُنُـــونْ		دائمـــاً تَســـتعيدُهُ

مِـــنْ أناشـــيدَ للنَّهَـــرْ
في حَنـــانٍ مِـــن القمـــرْ!

وإذا المـــوتُ مُشـــفِقَا		جاءَهـــا بَعْـــدُ قائـــدا
مـــا رأتْـــه مُنافِقـــاً		أو رأتْـــه مُعانـــدا

هـــو أصْـــفَى مِـــن البَشَـــرْ
هـــو أحْنَـــى مِـــن القـــدَرْ!

فـــإذا الحُـــبُّ في الثَّـــرَى		قِصَّـــةٌ جِـــدُّ خالـــدَهْ
قـــد عَـــراهُ الـــذي عَـــرَى		وثَـــوَى الحســـنُ عابـــدَهْ

رغـــم دُنيـــا معانِـــدَهْ
بَقِيَـــا وهـــي بائـــدهْ!

رقـــدَا رغـــمَ فرقـــةٍ		رقـــدةَ المـــوتِ في حنـــانْ
حِقبـــةً بعـــد حِقبـــةٍ		فـــإذا المُـــذْنِبُ الزَّمـــانْ

يُنْصِـــفُ الحُسْـــنَ والهـــوى
مثـــلَ مَـــنْ تـــابَ أو هَـــوَى!

وإذا طـــاهرُ الرُّفـــاتْ		يُجْمَـــعُ الآنَ في المـــاتْ

بعـــد أنْ ذاقَ في الحيـــاةْ　　كـــلَّ لـــونٍ مِـــن الشَّـــتاتْ

ذاك قـــبرٌ مُقـــدَّسُ

كـــلُّ مـــا فيـــه يُخْـــرَسُ!

رقَـــدَا الآنَ في وصـــالْ　　رقـــدةَ الحـــبِّ والجمـــالْ

واســـتباحَا مِـــن المحـــالْ　　كـــلَّ غـــالٍ وكـــلَّ غـــالْ

ثُـــمَّ نـــالا مِـــن الـــدُّموعْ

كـــلَّ شِـــعرٍ لنـــا يَضُـــوعْ!

نصير العمال

(إلى الشريف عباس حليم في سجنه)

مهمـا اضْطُهِدْتَ فثِقْ بأنـكَ غايـةٌ　　للحـــبِّ، لا لإســـاءةِ الأعـــداءِ

عـــادَوْكَ للشـــرفِ الرَّفيـــعِ وإنَّمـــا　　هـــو وحـــده البـــاقي علـــى الأنـــواءِ

يـــا خـــادمَ العمـــالِ حسبُكَ رُتبـــةً　　في النـــاسِ هـــذا البـــرُّ بالضُـــعفاءِ

بِئسَ السياسـةُ! بِئسَ! كيف تَعيبُ مـا　　أوْلى بـــه الإكـــرامُ في الكرمـــاءِ؟!

إنْ حرَّمَـــتْ لقـــبَ "النبيـــلِ" فإنَّمـــا　　أنـــتَ العظـــيمُ النبـــلِ في النـــبلاءِ

أو أودعـــوكَ الســـجنَ فهـــو مَثابـــةٌ　　مِـــنْ وصـــمةِ الجـــبروتِ للشـــرَفاءِ

ولســـوفَ ترفـــعُ رأسَكَ العـــالي غداً　　في حـــينِ تُخفَـــضُ أرؤسُ "الرؤســـاءِ"

هـــذي الجنايـــةُ مِـــنْ تَفـــرُّقِ أمـــةٍ　　شَـــقِيَت مرافِقُهـــا مِـــن الزُّعمـــاءِ

مـا ضـرّهم لـو ناصـروا (الوفـدَ) الـذي　　مـــا زال مَطْلَـــعَ عِـــزَّةٍ ورجـــاءِ؟

مـــا ضـــرَّهم؟ وهـــل التفـــرُّقُ والهـــوى　　إلاَّ مَهـــاوي الـــذُّلِّ دون مـــراءِ؟

بئسَ السياســةُ! تَقتلُ الخـيرَ الـذي　　يُحيـــي الإخـــاءَ، فمـــاتَ كـــلُّ إخـــاءِ!

نور الشمس

تناولتُه الإعجازَ مِن صُنْعِ خالقي ... ألم يكُ بَعْضَ الشمسِ منذ دقائقِ[1]؟
تفجَّرَ منها كالينابيعِ دافقاً[2] ... وفاض بموجٍ كالعواصفِ خافقِ
وأفعَمنا: لم نَدْرِ هل هو طاقةٌ ... تسيلُ أم الذَّرّاتُ من سهم راشقِ[3]؟
يُقبِّلنا في الصُّبحِ تقبيلَ وامقٍ ... وعند غُروبِ الشمسِ في رَوْعِ عاشقِ
ويَضربُنا في لَفْحةِ الظهرِ جانياً ... كأنَّا تلقَّينا أراجيفَ حانقِ
وهل كان نُورُ الشمسِ مُرّاً وسائغاً ... سِوَى جوهرِ الدُّنيا ورمزِ الحقائقِ؟

قطار الفن

(خواطر شعرية نظمها صاحب الديوان في قطار البحر يوم ١٨ أغسطس سنة ١٩٢٤
وقد نعته بقطار الفن لما فيه من نماذج الجمال الكثيرة وأهل الفن
وكان في صحبته الشاعران الدكتور زكي مبارك وعبد العزيز عتيق)

سِرْ يا قطارُ مجازفاً ومُغامراً ... أو طِرْ فحظُّكَ أن تكون الطائرا[4]
حُمِّلْتَ ألوانَ الجمالِ، ومَنْ يَنلْ ... ما قد حَملتَ يَطِرْ جريئاً قادرا
هذي الحقولُ تَلفَّتتْ لك بغتةً ... متعجباتٍ كالسحابِ شواعرا
يَرقصنَ في وَهَجِ الأشعةِ مثلما ... ماجَ الهواءُ عواطفاً وخواطرا

---

[1] تبلغنا أشعة الشمس بعد فراقها في نحو ثماني دقائق، وقد كانت قبل ذلك جزءاً من كتلة الشمس فهي تحمل معها شيئاً من تلك الكتلة.

[2] تشع الشمس من مادتها يومياً ما متوسطه ٣٦٠ ألف مليون طن.

[3] إشارة إلى الخلاف بين العلماء في دراسة الأشعة: أهي طاقة وحدتها (كم) أو هي (مادة) وحدتها (ذرة) أم هي جامعة للصفتين؟

[4] من عادة قطار البحر أن لا يقف إلا في محطة من المحطات بين القاهرة والاسكندرية وأن يسير بسرعة فائقة.

وتمـرُّ بالشَّـجرِ الـذي في وثبـهِ وهـو الأسـيرُ نَـرَى المقيَّـدَ آسـرا
والنيـلُ تعـبرُه كعـبرِ عـواطفي بحـرَ الحيـاةِ وقـد تمَـرَّد زاخـرا
قـد جـاءَ بـالفيضِ الكـريم مبكّـراً وكأنمـا قـد خـاض حربـاً ظـافرا
وكأنمـا مصـرُ الشـقية في الأسـى والبـؤس قـد ناحـتْ فعجَّـل بـاكرا[١]
مُـتَلاطِمَ الأمـواجِ، مُشـتعلَ الهـوى متوثِّبــاً، متجمعــاً، متطــايرا
والنخـلُ تـروي مـا يُـثير شـجونَه فـترى الميـاهَ الـداميات ثـوائرا
والأرزُ زاهـى اللّـونِ، لكـنْ زهـوهُ كممثِّــلٍ طـربٍ يهـزّ السـامرا
وَتـدلَّتْ الصفصـافُ حـين شعورُها في المـاءِ غرقـى تسـتثير الشـاعرا
والجـدولُ الآسـي يـئنّ لفقـدها وكأنَّمــا لـم يـأتِ ذنبـاً غـادرا
صُـوَرُ الحيـاةِ الصـامتاتُ، وكلّهـا عبَّــرنَ أفئــدةً وكــنَّ مَشــاعرا
وخطفـنَ مِـن وَحْـي الجمـالِ مُصاحبي والنُّـورُ كـم سـرقَ الملاحـةَ ساحرا
سِـرْ يـا قطـارُ ولا تقـفْ! مـا وقفـةٌ لـكَ حـين تحمـلُ للحيـاة ذخـائرا؟!
سِـرْ يـا قطـارُ إلى الشـواطئ فاتحـاً واحـمِ الجمـالَ العبقـريَّ الثـائرا
قـد صـرتَ بـالفنِّ الجميـلِ مقدَّسـاً وغـدوتَ بالحسـنِ المقـدَّسِ قـاهرا

حرب الشاطئ

(استيحاء شاطئ استانلي)

أوَ مَـا لهـذي الحـربِ مِـنْ آخـرْ؟ يـا عابثـاً بالشـطِّ! يـا سـاخرْ!
أوَ مـا سمعـتَ الصـخرَ في فَـرَقٍ مستسـلماً كالفـارسِ العـاثرْ؟
أوَ مَـا رأيـتَ الرمـلَ منصـرماً مثـل الأسـارى في يـدِ القـاهرْ؟

[1] وافى فيض النيل في هذا العام مبكراً.

هـــذي جنـــودُكَ في تَـــدفقِها جيشـــان مكســـورٌ علـــى كاســـرْ
جَرْحَـــى العنـــاءِ دِماؤهـــا زَبَـــدٌ لا يســـتقرّ وجُرْحُهـــا غـــائرْ
تَتْـــرَى صـــفوفاً في حماســـتها تكبـــو ومنهـــا الصـــاخبُ الثـــائرْ
وتخالطـــتْ فكأنهـــا فِـــرَقٌ مَهزُومُهـــا في حَلبـــةِ الظـــافرْ
والشـــمسُ تُرســـل مِـــنْ أشـــعَّتها حربـــاً علـــى إقـــدامِها الجـــائرْ
فنـــرى اللـــهيبَ علـــى الميـــاهِ جَـــرَى جـــريَ الأســـى في ثـــورةِ الخـــاطرْ
والسُّـــحْبُ في جـــزعٍ تُراقبُهـــا فكأنهـــا مَـــرأىً لهـــا طـــائرْ
والنـــاسُ بـــين المـــوج في مَـــرحٍ لا يشـــعرون بروحـــهِ الحـــائرْ
والحســـنُ عـــن نجـــواه في شُـــغُلٍ فحروبُـــهُ كوفائـــهِ الغـــادرْ
طافـــتْ نماذجُـــه فمـــا تركـــتْ إلاّ فـــؤاداً في الهـــوى صـــاغرْ
وَتجـــرَّدَتْ مِـــن كـــلِّ مَلبســـها إلاّ ملابـــس روحِهـــا الســـاحرْ
يـــا بحـــرُ! يـــا مَـــرأى الحيـــاةِ ويـــا حَـــرْبَ الحيـــاةِ حييـــتَ للشـــاعرْ!

المَهَلْهَلة

هَلْهَلْـــتِ مَلبسَـــكِ الجميـــلَ كأنمـــا هـــو مَلْـــبَسُ المأســـورةِ المتوجِّعَـــهْ
كتفـــاكِ قـــد عَرِيـــا كـــأنَّ مـــوكَّلاً بالأســـرِ مـــزَّقَ مـــا لبســـتِ ومزَّعَـــهْ
فـــإذا نظـــرتُ إليـــكِ ثـــارتْ رحمـــتي ومحـــبتي وغـــدتْ بحســـنكِ مودَعَـــهْ
وفُتِنْـــتُ بالحســـنِ الـــذي أبدعتـــهِ في زيِّ عربيـــدٍ يقـــدِّسُ مُبْدِعَـــهْ!

الراية السوداء

رِفِّـي علـى الشـاطئ في تحـذيرِ مَـنْ أمُّـوا الميـاهْ
رِفِّـي وإنْ كـان احتشـادُ المـوجِ يكفـي روعـةً
أمَّـا علـى الشـا لئ والحـبُّ عـتيٌّ كالعُتـاهْ
مَـنْ ذا يصـون النـاسَ مِـنْ بلـوى مَـدَاهُ سـاعةً؟

*****

طاحـتْ بنـا أمواجـهُ تطغـى كمـا يطغـى الخضـمّ
وتتابعـت منَّـا ضـحاياهُ فهانـتْ كالرمـالْ
بحـرٌ ولكـن عُمْـره عُمْـرُ العواطـف والأمـمْ
قـد بـزَّ في إيغالـه الجبَّـارِ آيـاتِ الخيـالْ!

المسافر

مِنْ بينِ جَوْنِ السَّحابْ ... أطـلَّ وجـهُ القمـرْ
كـأنهنَّ الصِّـعابْ ... لمـؤمنٍ في سـفرْ
سِرْ يـا مـلاكَ السَّماءْ ... ولا تُبـالِ الصِّـعابْ
ففيـكَ رُوحُ الرَّجـاءْ ... وإنْ تَسِـرْ في عـذابْ
مـا نُـورُكَ الحـيُّ إلاَّ ... رَجْـعُ الهـوى مِـن قلـوبْ
تَرْعـاكَ نُـوراً وظـلاًّ ... كمـا تُراعـي الحبيـبْ
فَسِـرْ ولا نَبتـئسْ ... وكُـن لنـا بَلْسَـما
فكلُّنـا قـد يَـئسْ ... لـو لم يُنـاجِ السَّـما

فيضان النهر المقدّس

(نظمت عند "كازينو الحمام" بالجيزة في أصيل يوم ٤ سبتمبر سنة ١٩٢٤)

(النيلُ) – يا لَلنيلِ، وهو مُوافٍ حَرْبٌ على الأحبابِ والألّافِ!
أوْفَى على الجُزُرِ الغريقةِ ضاحكاً وقضى على الشطّ الودودِ العافي
فإذا الغِراسُ شهيدةٌ وشهيدةٌ وإذا الضِّفافُ غَدوْنَ غيرَ ضفاف
والموجُ مصطفقٌ كخفقِ قلوبنا في الرَّوعِ أخفاهنَّ ليس بخاف
متوثِّباً وَثْبَ الخَيالِ مقيّداً بحقائقِ الزَّمنِ العتيِّ الجافي
متجلبباً مِن سُمرةٍ ذهبيةٍ جُمِعَتْ من الآصالِ والأطيافِ
في فرحةِ الشيخِ الوقورِ شُخوصُهُ وبرعشةِ المتمرّدِ المتلافِ
جاءتْ أساطيرُ الجمال بمائهِ مِنْ مَنبعِ الجناتِ لا الأعرافِ
فتقدّستْ نفحاتُه حتى سرى هذا النسيمُ بروحهِ الرفّافِ
الملهمِ النوتيَّ في إنشاده شعراً من الآبادِ دونَ قواف
مَزجَ الرويَّ به تموُّجُ مائِهِ والبحرَ وقعُ وثُوبهِ الهتّافِ
وحيٌّ يسير إلى الجداول عند ما تشدو نواعيرٌ لها بزفافِ
وتَئنُّ كالشادوفِ أنةَ عاشقٍ وافٍ وقد بات الحبيبُ يوافي[1]
هو عُرسُ هذا (النيل)، في تجديدهِ عرسٌ لأحلامٍ لها ألفافِ
عُرْسٌ تُباركُه القرونُ حفيّةً وتَحفُّهُ الأربابُ في آلاف
وترى (الطبيعةَ) كالمصوِّر عنده نقشته في الأفقِ الحنونِ الصافي
حتى بدا سِحْرُ الغُروبِ كسحره في غير إغراقٍ ولا إسفافِ
ومضَتْ مَشاعِرُنا بلهفةِ شاعرٍ في الأُفقِ طائرةً كطيرٍ وافٍ
وعلى خيالاتِ المياه كأنها تُصغي إلى فيضانِها الرجّافِ

---

[1] أنة اللهفة من المحب الوافي إلى حبيبه الموافي بعد جفاء.

وتُبادلُ الأحقابَ نجواها مِن الـ أحداقِ والأسماعِ والآنافِ
حتى نعيشَ العابدين بعالَمٍ للنيلِ من سحرٍ ومن أطيافِ

على رمل الشاطئ

الموجُ على الشطِّ تَوالَى كاللهفةِ للنَّزِقِ العاثرْ
والماءُ هديرٌ يَتعالى كاللوعةِ في رُوح الشاعرْ
والعشبُ على الصخر تَجلّى كالتوبةِ من قلب الكافرْ
صورٌ للحسُ ممثّلة فأذاها كالمعنى الساحرْ
باللّمسِ تُحَسُّ فإنْ لُمِسَتْ غابت في المهجةِ والخاطرْ
غابت أو عادت في صُوَرٍ أخرى في ذاكرةِ الذاكرْ
والحسنُ على الرملِ ترامَى كخيالِ الأصباحِ الباكرْ
أتملاّه وكأنّ به ألحاناً مِن صُبحٍ آسرْ
حُبِسَتْ فيه فإذا صدحَتْ صدحَتْ في إيحاءٍ ساهرْ
وكأنَّ النظرةَ تَسْقيني خمراً مِنْ مَعْنَاهُ الطاهرْ
فإذا الأجسامُ مقدَّسةٌ كمعاني الصوفيّ الحائرْ
تُشتاقُ ولكنْ عِزَّتُهَا خُلِقَتْ للنظرةِ لا الناظرْ
تَهْوى الأهواءُ مبعثرةً وتُثلَّمُ كالضَّوْءِ الخائرْ
ويطوف الناسُ بكعبتهِ وهو المستأنسُ والنافرْ
بالَى العُبَّادَ وما بالَى فصلاتُهمو قلَقٌ زاخرْ
وصلاةُ البحرِ صلاتُهمو كم يَشفى البحرُ بلا عاذرْ

جذبتْــــهُ إلى الحســـنِ مَعَـــانِ والشـــطُّ بـــه لاوٍ غـــادرْ
ويَبُـــثُّ الزفـــرةَ في زبَـــدٍ يَفْنَـــى كالشـــوقِ المتنـــاجرْ
وإذا الســـاعاتُ تمـــرّ سُـــدىً إلاَّ للفنَّـــانِ المـــاهرْ!

لفتة الوداع

(عند شاطئ استانلي في ٩ سبتمبر سنة ١٩٢٤)

حـــانَ الـــوداعُ فنـــاجِ مـــا سَـــمحَ الجمـــالُ بـــه وَصَـــلُ
يـــا قلـــبُ مـــا بَعْـــدَ الـــودا عِ ســـوى أســـى العـيشِ المـلُّ
خُـــذْ مـــا اســـتطعتَ مِـــن الأشـــعّةِ في التأمُّـــلِ والتَّمَلـــي
ومـــن انســـجام الحســـن في نـــور علـــى ظـــلٍّ وظـــلُّ
ومـــن الغـــروب، وشمسُـــه وهَـــجٌ علـــى وهـــجٍ أجـــلُّ
والسُّـــحبُ تســـبحُ فوقهـــا في قُرصـــها النـــاريِّ مثلـــي
حتـــى تغيـــبَ وعنـــدها أهـــوِي إلى شـــجني المُضِـــلُّ
أهـــوِي كمـــا تهـــوي إلى الـــ ـــبحرِ العظـــيمِ المســـتقلُّ
متلاطمـــا بـُــالموج في ظُلَـــمٍ علـــى ظُلَـــمٍ وذُلُّ
خُـــذْ يـــا فـــؤادي وادّخـــرْ كالنّمـــل مـــن حُســـنٍ ودَلُّ
فالحســـنُ زادي والبعـــا دُ رفيـــقُ حرمـــاني وليلـــي
هـــذي كنـــوزٌ لا تُحَـــدُّ وكلُّهـــا بُعثـــرنَ حـــولي
خُـــذْ وادَّخـــرْ منهـــا! لعلـــي أســـتجمّ بهـــا! لعلـــي!

البشبيشي الشاعر[1]

(إلى صديقي الأديب الكبير محمود البشبيشي)

يا صديقي الذي تَجلّى بألوانٍ مِن النبْلِ في مَعاني الأديب
ما عَزائي الوفيُّ في خَطْبكَ المُدْمى قُلوباً في فَقْدِ هذا الحبيب؟
أسْرَةُ الشّعرِ بيتُكم وابنُكَ الرَّاحلُ مِنْ نفحةِ الخيالِ العجيب
كان رمزاً للشّعرِ في عيشهِ الحُرِّ وفي رُوحهِ الجميلِ الخصيب
أيُّ لحْنٍ يَرثيهِ إلاَّ حنانٌ مِن أبٍ للأبِ العظيمِ الأريب؟
فاضَ مِنْ مُهجتي كما فاضَ بركانٌ بذوبٍ من الحميمِ اللهيب
شَدَّ هذا الحنانُ مِن مُهجةِ الشاعرِ في موقفِ الوداعِ الرهيب
صُنْتُه عنكَ... إنَّ مَحْضَ عزائي ووفائي لونٌ من التَّعذيب
وسألتُ الشموسَ أن تُرسلَ النورَ مُعيداً لقلبكَ المسلوب
وسألتُ الحياةَ في كلِّ شيءٍ أنْ تُغنِّي نشيدَ هذا المغيب
وتميطَ اللّثامَ عن ذلك الخافي مِن الحُسْنِ في رحيبِ الغيوب
لِتَشيمَ النعيمَ في مُلكهِ الحافلِ بالحُبِّ لا الأسى والنحيب
في سماءٍ من صُحبةِ (الشاعرِ الأسمَى)[2] وفي حُسنهِ النضيرِ القشيب
حيث يُوحي لنا بما يَبعثُ الرَّحمةَ والحُبَّ في الفؤادِ الجديب
ويُغَنِّي لنا بأسمى عزاءٍ لبكاءِ الصِّبا ونوحِ المشيب

---

[1] هو الشاعر الكبير النابه محمد أبو الفتح البشبيشي وقد توفي في ١٥ سبتمبر ١٩٣٤.

[2] الخالق سبحانه وتعالى.

غول الحرب

ألا تَستحي يا حاصدَ الناسِ بعد ما حصدتَ ملايينـاً حصـادَ خـرابِ؟
ألا تستحي؟ لكنْ لمن أنت تَستحي إذا النـاسُ ألقَـوْا حظَّهـم لكـلابِ؟!
لقـد تركـوا دُنيـاهمو رهـنَ عُصبةٍ[1] تُهيِّــئُ للتَّــدميرِ كــلَّ ســبيلِ
ومـا فقهـوا أنّ الحيـاةَ فُنونُهـا فنـونُ سـلامٍ لا فنـونُ عويـلِ
ولولاهمــو كــان التعــاونُ مِلَّــةً تُقَـدَّسُ والإنســانُ ســيِّدَ نفســهِ
ولم نَبْـقَ أشـباهَ الضـواري كأننـا أعـادٍ، فكـلٌّ في أحابيـلِ رَمْسِـهِ!

خراب الفلاح

(مرفوعة إلى الشريف عباس حليم)

مَــنْ ذا سِــواه المُعــاني ونحــن أهــلُ المَغَــاني؟
إذا شــكونا فعَــدْلٌ فكلُّنــا شِــبْهُ جــاني
يــا للضــرائبِ باتــتْ هــي الخــرابُ الثــاني
كأنمــا مــا كفــاهُ عَــيْشٌ عــديمُ الأمــاني
عَـيْشٌ؟ وهـل ثَـمَّ عَـيْشٌ علـى رَدىً وامتهـانِ؟
أبنـاءُ (مصـر) المواضـي مِـنَ البعيـدِ الزَّمـانِ
هــذي القــذارةُ رَمْــزٌ لهــم بكــلِّ مكــانِ
هــذي البيــوتُ قبــورٌ تمــوتُ فيهــا الأغــاني
أمَّــا الطعــامُ فــوَهْمٌ أمَّــا الكســاءُ ففــانِ

---

[1] عصابة أصحاب المصانع الحربية ومن إليها.

والكلُّ شِبهُ مريضٍ ... يُسامُ خسفَ الجبانِ
وما لهم مِنْ صديقٍ ... وما لهمْ مِنْ ضمانِ
فيا نبيلَ المساعي ... لأنتَ أكرمُ باني
كم عاملٍ في هوانٍ ... أغثتَهُ مِنْ هوانِ
فانقذْ أخاهُ وحقِّقْ ... رجاءَ شعبٍ يُعاني

رسَّامة الآثار

(إلى الآنسة الشاعرة جميلة العلايلي في منفاها باسوان)

رسَّامةَ الآثارِ تَفتنها الدّمى ... أترى فَتنتِ روائعَ الآثارِ؟
وافتْ رسائلُكِ العزيزةُ بالهدى ... والوَحْي مِنْ ملكوتها الجبَّارِ
قد كنتِ طائرةً بنشوة ساحرٍ ... جازَ السَّماءَ لعالمٍ سحَّارِ
والآنَ في شكواكِ عُدْتِ قريرةً ... في جيرةٍ تسمو بروحِ الجارِ
فإذا اكتئابُكِ كالغمامِ مصفقٌ ... وإذا قَرارُكِ صارَ غيرَ قرارِ
روحٌ كروحكِ كالشموسِ تَعدَّدتْ ... وتَغيبُ إدراكاً عن الأبصارِ
لا بِدعَ إنْ شاقتكِ أطيافُ السَّنَى ... ما بينَ آثارٍ وبين صحارى
عكستْ بمرآها السِنينَ وما طوتْ ... مِن رائعِ الأحداثِ والأسرارِ
وحَنَتْ على (أنسِ الوجود) كأنما ... تحنو على معبودها المختارِ
الهيكلِ البسَّامِ بين حريقهِ ... عند الغروبِ وبين دَمْعٍ جارِ
فيه الحنينُ مع الأنينِ تجاوَبا ... كتجاوبِ الآصالِ والأسحارِ
غرقَ الجمالُ شهيدَها في عَثرةٍ ... ولوَ انَّهُ حَيٌّ على الأدهارِ

ويُخـــال (أوزيــريسُ) في إيحائـــهِ　　قــد عـــاد رغــمَ عـــدوِّه الغـــدَّارِ
و(سِتُ)الخؤونُ على الصخور بذلّةٍ　　جـــاثٍ وتلطمُـــــه يـــدُ التيَّـــارِ
ودمـوعُ (إيـزيسٍ[1]) يُحـاولُ طُهْرُهـا　　تطهـــيرَه فيظــلُّ رهـــنَ العـــارِ
مـا شـئتِ عنـدكِ مِـنْ فُنُـونٍ حُـرَّةٍ　　للشــعرِ مـــا يُزْهَـــى علـــى الأشـــعارِ
فلئنْ نُفيتِ – وللسياسةِ غَدْرُها –　　فـــالنفيُ بعــضُ كرامــةِ الأحــرارِ
إنَّـــا ســواســيةٌ بمـــا نَشْــقَى بــه　　وكأنَّنـــا هَـــدَفٌ لـــدى الأقـــدارِ
لم يَبْـقَ مِـن صُـوَرِ العـزاءِ لمثلنـا　　إلاّ عـــزاءُ النفـــي والأســـفارِ
إنـــي بمنفـــىً هائـــلٍ مِـــن عُـــزلتي　　وكـــذاك أنـــتِ بلـــوعتي وبنـــاري
لا ســلمَ للقلـــب الأبـــيِّ وحولـــه　　دُنيـــا مِـــن الأقـــذارِ والأكـــدارِ
لا ســـلمَ إلاَّ في مخادعـــةِ المُنَـــى　　بـــالفنِّ نُسْـــدِلُهُ علـــى الأوغـــارِ[2]
فلقد طغَى الشرُّ العميمُ وأصبحتْ　　(مصـــرُ) الحزينـــةُ دولـــةَ الأشـــرار

سؤال النحلة

جـــاءتْ تُســـائلُ نحلـــتي الســـمراءُ: "أيـــن الزَّعفـــرانْ؟
أيـــن افتتـــانُ النَّـــرجسِ الغَـــضِّ وأيـــن العَيْسَـــلانْ؟
أينـــتْ حُلَـــى السِّـــيراسِ والسُّـــنْبُلِ، أحـــلامُ الحســـانْ[3]؟
أينـــتْ جواهرُهـــا؟ وهـــل ضـــاعتْ كمـــا ضـــاعَ الزَّمـــانْ؟"
فأجبتُهـــا: "يـــا نحلـــتي للزَّهـــرِ أعمـــارٌ تُصـــانْ

---

[1] ماء النيل – وست هو أخ أوزيريس وقاتله بخدعته المشهورة.
[2] الأوغار: الأحقاد والأضغان.
[3] الزعفران crocus، والعيسلان hyacinth، والسيراس daffodil، والسنبل (التوليب) tulip، وجميعها من أزهار النحل الشائعة.

عُمْــــرٌ لنصــــرتِه وعُمْــــرٌ في البُـــذُورِ علـــى أوانْ
وســــواهما عُمْــــرٌ لأخيلــــةِ الفُنــــونِ وللبيــــانْ
وَلأَنْــــتِ شــــاعرةُ الشــــواعرِ والخــــبيرةُ بالجِنــــانْ
وَلأَنْــــتِ أدْرَى مِــــنْ خيــــالي بالجمــــالِ والافتنــــانْ
فتمتَّلــــى مِثلــــي الربيــــعَ وجــــوَّه السَّــــلِسَ اللّيــــانْ
وتَمتَّعــــي.في الحلْــــمِ بــــالزَّهرِ الــــذي رَلّــــى، وبــــانْ
الآنَ يَحيــــا عِطْــــرُهُ في الــــذكرِ مِــــنْ بَعْــــدِ البنــــانْ
والآن داعــــبَ تِــــبرُهُ تِــــبرَ الأشــــعَّةِ في أمــــانْ
هــــو مِــــلْءُ أنظــــارِ الفنــــونِ وإنْ يَغِــــبْ دونَ العيــــانْ
فتأمَّليــــهِ، تــــأمَّلي! وتنــــاولي منــــهُ الجُمَــــانْ
وتَرنَّمــــي وكأنَّمــــا عــــادَ الربيــــعُ المُسْــــتَلانْ
خــــيرٌ لنــــا دُنيــــا الخيــــالِ تَعــــفُّ عــــن دُنيــــا الهَــــوانْ
ومِــــنَ ابتهاجــــكِ وابتهــــاجي قــــد تُصــــاغُ قصــــيدتانْ
أنــــا عــــازفٌ بِهمــــا كعزفــــكِ إنْ أســــاءَ لنــــا الجبــــانْ!"

يوم في سنتريس

(مهداة إلى الصديق الدكتور زكي مبارك ذكرى زيارتنا لسنتريس
يوم الجمعة ١٩ سبتمبر سنة ١٩٢٤)

يــا يــومَ إينــاســي الــذي لم يَنْفَــدِ ... مــا زلــتَ في خَلَــدي وإنْ لم تُخْلَــدِ
بـل أنـتَ في الخُلْـدِ الأتمِّ مُشعشَـعاً ... في الــذكرياتِ موزَّعــاً في المَشــهدِ
نشـوانُ مِـنْ لقيـاكَ، لم أبـرحْ كمـا ... لاقيتُ أُنسَـكَ في سَـناكَ السَّرْمدي

جعلَ الصديقُ بكَ الضيافةَ نعمةً ... لا تنتهـي، ومَـآثراً للمفتـدي
خُلِقَتْ مِن الإحسانِ حتى أنني ... أُنسيتُ ما يَجني الزَّمانُ المعتدي

*****

يا يومَ إيناسي الذي لم يَنفَدِ ... ما زلتَ في خَلَدي وإنْ لم تُخْلَدِ
جئنـاكَ أشباهَ العُفاةِ هوايةً ... للحسنِ، لا كالبائسين القُصَّدِ
فإذاهُ[1] يُنْهَلُ فيكَ بين مُذَوَّبٍ ... شَبِمٍ، ويُلمَسُ فيكَ بين مُجَسَّدِ
والحُسْنُ أكرمُ ما يكون لكارمٍ ... والحسنُ أبخلُ ما يكون لمجتدي
مَثَلَتْ معاني الصفوِ في قسماتهِ ... وجرَى الهوى جرْيَ المعاني الشُّرَّدِ
ما نالها إلاّ التصوُّفُ وحده ... بنهى الإلهِ العبقريِّ الأَوحدِ
هذي (الطبيعةُ) في جلالةِ مُلكها ... إنَّ الجلالةَ بالسذاجةِ تَبتدي
بَسمتْ إليَّ فكان في بسماتها ... مِن عالمِ المجهول آيةُ مُوجِدي
بَسمتْ ورتَّلتْ الحياةُ نشيدَها ... وكأنني بنشيدِها في مَعْبدِ
أنَّى التفتُّ فُتِنْتُ مِنْ أطيافها ... ولمحتُ ملءَ الغيبِ ما لم يُوجَدِ
وأُصيخُ للذُّرةِ التي وَقفتْ كما ... وقَفتْ جنودُ الدَّهْرِ للمتمرِّدِ
فتنمُّ عن أسرارهِ في صَمْتِهَا ... وتحنُّ مثلي للخفيِّ المُبْعَدِ
وأراقبُ الريَّاحَ[2] يزخرُ مَوجُهُ ... بالذكريات وبالحنينِ إلى الغدِ
ونَمُرُّ في الطُّرُقِ الوديعة صانها ... مِنْ شامخِ الأشجارِ كلُّ مجَنَّدِ
والجدولُ الجاري كمرآةٍ لها ... وبهِ من الآبادِ ما اشتاقتْ يدي
غسلتْ عَذارَى الريفِ جيرةَ شَطِّهِ ... حُللاً كأصباغِ الخريفِ العسجدي
متضاحكاتٍ والخريرُ كأنّه ... أصداءُ فرحتهنَّ في الماء الصَّدي[3]

---

[1] أي الحسن.
[2] رياح المنوفيّة.
[3] الظمآن إليهن.

ونـزورُ سـاقيةَ الصَّـديقِ وعنـدها | لـلــذكرياتِ مَـدامعٌ لم تُعْهَـد
ونَـرى الصـبابةَ في النـواحِ وطالما | بـالأمْسِ غنـتْ بالنشـيدِ المُسْـعِدِ
ونمصُّ مِنْ قَصَبٍ يطيب لنـا كما | تلـهو الطفولـةُ في رضـىً متجـدِّدِ
ونـزورُ مِـنْ تلـك المنـازلِ وادعـاً | لكنمـا خلقتْـه عِـزَّةُ سَـيِّدِ
ونَـرى الجمـالَ كأنمـا إفصـاحُهُ | عـينُ الغمـوضِ لباحـثٍ متفقّـدِ
نَدريـهِ بـالحسِّ الخَفـيِّ وإنْ يكـنْ | مـلءَ النـواظرِ والمسـامعِ واليـدِ
نَدريـهِ مِـنْ رُوحِ البصـيرةِ قبـل أن | يُـدْرَى بلحـظٍ عاشـقٍ متـودِّدِ
فـإذا الجمـالُ هـو الحيـاةُ، وسِرُّه | هَـدْيُ الموفَّـقِ أو ضَـلالُ المُلحِـدِ
وإذا الألوهـةُ لا تَلـوحُ لجاحـدٍ | وتَلـوحُ للمتلـهِّفِ المتعبِّـدِ!

*****

يـا يـومَ إيناسـي الـذي لم يَنْفَـدِ | مـا زلـتَ في خَلَـدي وإن لم تُخْلَـدِ
حَفَلَتْ بمجدِكَ (سِنتريسُ) وعيَّدتْ | في كـل مـا يهـواه قلـبُ مُعَيِّـدِ
قـد جئـتَ مِنْ وطنِ الجمـالِ مفوَّقاً | بأشـيـةٍ ومنمَّقـاً بزبرجـد
فـإذا بأهليهـا غَنُـوا عـن كـلِّ مـا | يُغني سوى شرفِ النُّهى والمحتِدِ
حتـى النبـاتُ لـه ازدهـاءُ مُسـوَّدٍ | ولـوَ انَّـهُ يَلقـى عنـاءَ مُسـوَّدِ
والبركـةُ الخضـراءُ آسِـنُ مائهـا | في عِـزَّةٍ مِـن شـوقنا المـتردِّدِ
ومِن الدُّيوكِ على السطوحِ مؤذِّنٌ | وكأنمـا هـو في صَـلاةِ المهتـدي
ومِـن السـوائمِ مـا يُجَـلُّ فُتونُـه | بـالمنظرِ الحـالي وبالعُشْـبِ النَّـدي
حتـى رجعنـا في غِنـىً لم يَنْفَـدِ | مـلءَ العواطـفِ والنُّهـى متعـدِّدِ
لم تَفتقـده[1] وإن نكـنْ نُؤنـا بـه | كأحـبَّ مـا يَطغـى الهوى بمصـفَّدِ
سـكنتْ إلى الرَّيَّـاحِ غـيرَ أسـيرة | بينـا انطلقنـا في هَـوَى المُسـتعبَدِ

---

[1] بريد سنتريس.

واللَيلُ كالمسحورِ حيث تُقِلُّنا	سيَّارةٌ طارتْ كطيرٍ ممرَّدِ
تتراقَصُ الأشباحُ في أفيائِهِ	ما بين عَزَّافٍ وبين مُغرِّدِ
ومنسَّقُ اللبْخِ المهيبِ برهبةٍ	هي كالتأمُّلِ للأبيِّ الأيِّدِ
وتعودُ ألوانُ المفاتنِ بعدَ ما	ذهبَ الغروبُ بها ذهابَ مُبدِّدِ
فكأنَّها بُعِثَتْ مِنَ الأبَدِ الذي	طاحتْ إليهِ على الخيالِ المُزبِدِ
وكأنَّها غمرتْ جميعَ كياننا	فَرَجَعْتُ في حُلْمي بأروعِ سُؤْدَدِ
حُلْمٌ طوَى صُحُفَ الدُّهُورِ ولم يَدَعْ	عندَ الطبيعةِ ما استَسرَّ بجلمَدِ
أو ما تَحجَّبَ كالظُّنُونِ بخاطرٍ	للكونِ في هذا الأثيرِ المُفْرَدِ[1]
حُلْمٌ هُوَ الفنُّ الجميلُ وإنْ يكُنْ	إبهامَ إحساسٍ بِرُوحٍ مُخلَّدِ
والناسُ تَرقبُنا فتلمحُ نَشْوَةً	كبرى فتتبعُها ظنونُ الحُسَّدِ
وكأننا عُدنا نُبشِّرُ بالهوَى	والحُسْنِ في دنيا العُقوقِ لتهتَدي

*****

يا يومَ إيناسي الذي لم يَنْفَدِ	ما زلتَ في خَلَدي وإنْ لم تُخلَدِ!

في مولد السيدة زينب

ضَحكنا للهمومِ وقلتُ: هيَّا	نُضِلُّ همومنا بين الزّحامِ!
فسرنا في مواكبَ حاشداتٍ	تَدَفَّقُ كالظلامِ على الظلامِ
ولا يُجدي عليها النُّورُ إلاَّ	كما تُجدي تهاويلُ المنامِ
فودَّعْنا التنفُّسَ حين سِرْنا	فكيفَ إذنْ بتوديعِ الكلامِ؟!
وأظمأَنا الزّحامُ فما شَربنا	سوى فرطِ الأوامِ على الأوامِ

---

[1] المفرد: المستقل المتحرر.

وكنـا قـد نسـينا السُّـحبَ حتـى رأينـا البـدرَ يَسـبحُ في الغمـامِ
ويَشـرب راحَـه، ولكـم شَـربنا مِـن الأضـواءِ راحَ المسـتهامِ
ولكـنْ هـذه سـاعاتُ وهـمٍ تخلَّـتْ عـن تَعـلاّتِ الغـرامِ
وقـد ثـار الغبـارُ فصـار مَعْنـىً لغـيرِ السـلمِ في مثـلِ القَتـامِ
ونحـن نسـيرُ إعجـازاً كأنـا خُلِقْنـا للزحـامِ بـلا عظـامِ
نسـيرُ ويـدفع التيّـارُ دفعـاً جُسـوماً في موائجـهِ الجسـامِ
كـأنَّ (النيـل) فـاض فكـان خَلقـاً وكـان حُطامُـهُ صُـوَرَ الطَّغـامِ
وكـم مِـنهم ولـيٌّ في ثيـابٍ مضـمَّخةٍ بـألوانِ الحـرامِ
يَشُـقُّ الجمـعَ مَزهُـوّاً قريـراً ولـيس سِـواهُ مـن أهـلِ "المقـامِ"
كـأنَّ مَعـالمَ الزينـاتِ قامـتْ تتوّجـهُ علـى المُهَـجِ الـدَّوامي
يُبـاركُ كـلَّ مكلـومٍ عليـلٍ ومِـنْ أمثالـهِ عِلـلُ الكـلامِ
وتُلْـثَمُ راحتـاه، ولـيس أوْلى بلثمهمـا سـوى حَـدِّ الحُسـامِ
مَهـازلُ في المواسـمِ صـارخاتٌ كـأنَّ الرُّشـدَ نُهْـزَةُ الانتقـامِ
إذا راجـتْ بهـا الأسـواقُ كانـت رواجـاً للرذيلـةِ والتعـامي
مَواكـبُ مـا لهـا عَقـلٌ وإلاّ فـأحلامٌ تنـوءُ بالاصـطدامِ
كـأنَّ البعْـثَ أخرجَهـا مَرايـا لأنـواعِ الخصـومةِ والوئـامِ
نَسـيرُ ويَزخـرُ الميـدانُ حتـى ليزخـرُ بـالكرامِ وباللئـامِ
قد انسجموا على صُوَرِ اضطرابٍ فسـاءت في اضـطرابٍ وانسـجامِ
وألـوانُ الطعـامِ تفـوحُ حتـى تُخـالَ سِـلاحَ أعـداءِ السـلامِ
"فللأحشـاءِ" مـا شـاء المنـادي تهاويـلُ الدعايـةِ للحِمـامِ
"ولـلأرْزِ" المفلفـلِ في صَـوانٍ صِـياحٌ جَـرَّ أنـواعَ الخصـامِ
"وللحلـوى" علـى العربـاتِ نجـوَى لشـوقِ الأمِّ أو شـوقِ الغـلامِ

تمـوجُ الطُّـرْقُ بـالآلافِ مَوْجـاً ... نشـاوَى أو ضـحايا للسـقامِ
فلـيس بهـم لمبتسـمٍ مكـانٌ ... فـإن يَبْسِـمْ تَعَثَّـرَ في ابتسـامِ
وتَنـبحُ بيـنهم بـالزُّمرِ شَـتَّى ... مِـن العربـاتِ أو قُطـرِ الـترامِ
كـأنَّ الحشـدَ أرهقهـا جُنُونـاً ... فلـم تعبـأ بمعنـى الاحتشـامِ
تَعلَّـقَ كـلُّ منكـوبٍ عليهـا ... فمـا لاحـوا بهـا مُثُـلَ الأنـامِ
وطبَّـلَ غيرُهـم والـرَّقْصُ يَـدْوي ... وأعـلامُ المشـايخ في احتـدامِ
وأمـواجُ الجمـوع تُصَـبُّ صَـبّاً ... إلى حَـرَمِ الزِّيـارةِ في عُـرامِ
وأخـرى في تَـدَفُّقِها حيـارَى ... وقـد أوْدَى بهـا عَبَـثُ الحرامـي
وهـذا القِـرْدُ يلعـبُ في سـرورٍ ... كـأنَّ سـرورَهُ سُـكرُ المـدامِ
وهـذا البهلـوانُ الطفـلُ يَمشـي ... علـى رأسٍ تـدحرجَ في الرَّغـامِ
وهـذي الطفلـةُ الحسـناءُ تلـهو ... بـرقْصٍ للأنوثـةِ في اضـطرامِ
مَفاتِنُهـا بعيْنيهـا تـراءتْ ... فكيـف إذا رأت دَوْرَ اللثـامِ؟!
وكـم مِـنْ باعـةٍ سـرحوا وكـانوا ... شُـكولَ النـابغينَ مِـنَ اللئـامِ
وكـم فـوقَ الحوانيـتِ ابتهـاجٌ ... بأضـواءٍ كأوسمـةٍ سَـوامي
وعنـد الجـامع المعبـودِ شـتَّى ... مِـن الزِّينـاتِ مشـرقةُ النظـامِ
يَضـيع جمالُهـا وكـأنَّ مَـرْأى ... مَفاتِنهـا حُطـامٌ في حُطـامِ
كمـرْأى الجـائعين وقـد تهـاوَوْا ... علـى قِصَـعِ الـدَّنيءِ مِـنَ الطعـامِ
ومَـرْأى كـلِّ فـلاَّحٍ شَـرودٍ ... فمـا يـدري الـوراءَ مِـنَ الأمـامِ
ومَـرْأى كـلِّ غانيـةٍ لعـوبٍ ... أحـقّ مِـنَ المهـارةِ باللجـامِ
ومَـرْأى كـلِّ راضـعةٍ وبـاكٍ ... وسـاقي الشّـربِ كـالموتِ الـزُّؤامِ
ومَـرْأى كـلِّ شـحَّاذٍ أصـيلٍ ... يَلـوحُ بعـزَّةِ البطـلِ الهُمـامِ
ومَـرْأى اللاَّعـبين وإنَّ مـنهم ... لأحـلامَ الطفولـةِ كـلَّ عـامِ

ومَــرْأى التــائهينَ ولــيسَ فــيهمْ سِــوايَ أضــلَّ في هــذا الزِّحــامِ!

رثاء الشابي

أبا القاسم الشابي! أبا القاسم الشابي! مَكانُـكَ في الأُخـرى مَكانـةُ أربـابِ
أبَـى الخـالقُ الفنَّانُ جَلَّتْ فُنونُـه لمثلِـكَ إلاَّ الخُلْـدَ في دارِ أحبـابِ
ومـا المبـدعُ الفنَّـانُ إلاّ أشـعَّةٌ مِـنَ اللهِ لم تَرجـعْ كرجعـةِ غُيَّـابِ
سَقتنا رحيقَ الفنِّ صِرْفاً وودَّعَتْ فـأين مُـذَابُ النُّـورِ يمـلأُ أكـوابي؟
وأين الجمالُ العذْبُ ألحانَ شاعرٍ خوالجُهـا للفـنِّ أسـبابُ أسـبابِ؟
وأيـن الـذي يَـدري خفايـا نُفُوسِـنا علـى البُعْـدِ وصَّـافَ الحياةِ بإسـهابِ؟
وأيـنِ الـذي آياتُـهُ في تَصدـوُّفِ فـواتنُ أقطـابِ تَفـانَوْا وأقطـابِ؟
مَضَتْ ومضى! يا هَوْلَ مأساةِ عالَمٍ عجائبـهُ[1] كـادت تُقَـوِّضُ إعجـابي
كـأنَّ جمـالَ الفجـرِ لَمّـا تركتَـهُ[2] تَشـكَّلَ في روحٍ كروحِـكَ وثَّـابِ
فعلَّمـني نَـوْحَ الخريـفِ ووَجْـدَهُ وأسهبَ في معنى مِن الشِّعرِ خلاَّبِ
وأشـبعني حُزْنـاً عميقـاً مجـدَّداً بأصـباغهِ الحسـرى وإنْ نِلْـنَ تَرْحـابي
ونـاولني هــذا الرثــاءَ أشـعَّةً حبيســةَ ألفــاظٍ، طليقــةَ آرابِ
تُبشِّـر بالحـبِّ الأريـجِ، وحظُّهـا جمالٌ من الأحلامِ والفكرِ والدَّابِ
لهـا لهفـةٌ مثلـي، وكم عند لهفـتي مِـنَ الأدبِ المعبـودِ غايـةُ أنسـابِ
فكـلٌّ عـن البـاقين يَبكـي بكـاءَهم وكـلٌّ لـه دمـعٌ دفـينٌ بتسـكابِ
تَغلغلَ فيـه الشَّـجْوُ صِـرْفاً كأنمـا يفـيض بـوحيٍ مِـن غنائـكَ مُنسـابِ

---

[1] عجائبه: غرائب شذوذه ونقائضه.

[2] توفي الفقيد في فجر اليوم التاسع من شهر أكتوبر سنة ١٩٣٤.

أنوبُ عن الرَّاثين مِثلي ولم أنُبْ | كذلك مَنْ نابُوا فليسوا بنُوَّابِ
تَنَوَّعَتْ الأحزانُ فيمن حياتُهُ | وإنجابُه أنواعُ حُزنٍ وإنجابِ
وما الفقدُ للفنِّ الجميلِ بهيِّنٍ | فمن عُمْرِهِ عُمْرٌ لدُنيا وأحقابِ

*****

أتاني كتابُ الودِّ عنكَ وطيُّهُ | نَعِيُّكَ! يا للَرَّوْعِ ينسفُ أعصابي!
أيُفرحني دهري ويُحزنني معاً؟! | نعم! هو جانٍ لا يُبالي بإغضابِ
لقد هدَمَ الدُّولاتِ مِنْ قَبلُ هازئاً | ولم يَخشَ مِنْ خصمٍ وغضبةِ حَسَّابِ
وقد عاندَ الآمالَ حتى تعثَّرتْ | فلم يبق للدنيا سوى الأمل الكابي
وما (تونسُ) الخضراءُ بعدكَ جنَّةٌ | ولا نجمُكَ الخابي سوى نجمِها الخابي
ولكنَّ للشعرِ العظيمِ على المدى | مِنَ الثأرِ ما يقضي على عسفِهِ الآبي!

*****

صديقي! صديقي! أيُّ حزنٍ ينالني | وأيُّ شجونٍ تستهينُ بأرهابي؟
كأنَّ أغاني الكونِ قد غالها الثرى | فطاحتْ كما طاحت أناشيدُ ألبابِ!
ألستَ الذي ناجَى الطبيعةَ كلَّها | وترجمها سحراً سَرِيّاً لآدابِ!
ألستَ الذي غنَّى الأنوثةَ كلَّ ما | يُعبِّرُ عن أسمى الصلاةِ بمحرابِ؟
ألستَ الذي قد عاشَ في الناسِ ساخطاً | وفي الفنِّ مسروراً وحيداً بأوصابِ؟
ألستَ الذي قد ماتَ في غُربةِ الضَّنى | وبَشَّرَ بالعوْدِ القريبِ لمرتابِ[1]؟
وما حجَّبتهُ عن رُؤَى الحكمةِ الورى | إذا خذلَ الأحلامَ سَطوَةُ حُجَّابِ؟

*****

رحلتَ صديقي بعد ما جئتَ مُوصياً | بشعرِكَ، فارحلْ غيرَ خاشٍ وهيَّابِ!
أنا حارسُ الفنِّ الذي أنتَ ربُّهُ | وهيهات خِذلاني مواهبَ وهَّابِ
ولكنَّ لي فيما نظمتَ مَدامعاً | قصائدُ لم تُعلن – وإن أعلنتَ – ما بي

[1] كانت هذه آخر كلماته عند وفاته.

تَلُـــوحُ بأثنــــاءِ الســــطورِ لشـــاعرِ فرُوحـيَ مِـن نفسـي وأرواحِ أترابـي

الرحيق الإلهي

فِي غـادتي، فِي زَهرتــي، فِي نَحلـتي وبكــلّ حُســنٍ كالحنــانِ لُمهجَــتي
خَمـرُ الأُنوثـةِ: نشــوتي بـل فتــنتي وعبــادتي، فعبــادتي مِــنْ فِتــنتي
شملَـتْ مَعانيهــا خــواطرَ نِعْمــتي وشــأَتْ تعــاريفَ الجمــالِ للــذَّتي
مــا بــينَ إبهــامٍ وبــينَ إبانــةِ

يا بني القبط!

يا بني القبط! يا بني مصر! هل مِصْـ ـرُ ســوى الفَــنِّ فِي جــلالٍ أبــيّ
إنْ يَفُــتْكم تقديســهُ الــدائمُ العَهْــ ـدِ فلستمْ مِنْ مصـرَ فِي أيِّ شـيّ
أمــةُ الفــنِّ والحضــارةِ والحكــ ـمةِ والعلــم والطُمــوحِ العَــتيّ
مِــنْ بنيهــا أنــتم، فكيــف غفلــتمْ يــا بنيهــا عــن رُوحِهــا الفَنِّــيّ
أيــن آثــارُكمْ ســوى بعــضِ مــاضٍ جمعتْــه يــدُ الشـريفِ السَّــريّ[1]
كيــف لا تنهضــون بــالأدبِ الغــا لــي وبــالفنِّ مِــنْ دفــينٍ وحَــيّ
كلُّكــمْ مُشــرقُ الــذكاءِ فعُــودوا بشــموسٍ مِــنْ أمسِــنا العُلْــويّ
أينَ أينَ التصويرُ واللَّحنُ والشِّعْـ ـرُ وإنصــافُ مجــدِنا العبقــريّ؟
قــدْ قَنعــتمْ بزخــرفِ العيــشِ حتــى قــد نســيتم نــداءَه الروحــيّ

---

[1] مرقص سميكة باشا مؤسس (المتحف القبطي).

هذه وحشةُ (الكنيسةِ) تُشجي أين ألحانُ عصرِها الذهبيّ؟
كيف تَبقى عديمةً مِن غِنى الفنْ وهل غيرهُ الوضيءُ الغنيّ؟
زُرْتُها أشتهي هناءً لروحي بشعورِ المُنَزَّهِ الصوفيّ
فإذا بي أعودُ في ألمِ الحَسْـ ـرَةِ مِنْ حالها الشجيِّ الشقيّ
كلُّ لحْنٍ يموتُ فيها قبيلَ الـ ـعَزْفِ حتى وإن يكنْ كالدَّوِيّ
ومضَتْ مِثلَهُ فنونٌ غوالٍ مُذْ تولَّتْ عن سِحْرِها القبطيّ
فانهَضوا غفلةَ القرونِ وهبُّوا للجمالِ المقدَّسِ السَّرمديّ
أنصِفُوا أمسَكمْ فليس سوى الفنِّ جمالٌ أو عزةٌ مِن نَبيّ!

بيت العنكبوت

قال لي العنكبوتُ: "يا صاحبي الشا عرَ لم تَدرِ أيَّ فنٍّ بنَيْتُ
أنتَ مَنْ يَدَّعي الضآلةَ والضَّعـ ـفَ لبيتي، والبيتُ بالفنِّ بيتُ
أينَ هذا مِنْ شعركم أيها النا سُ وما فيهِ مِنْ غُرورٍ ووَهْمِ؟
قد خلَقْتُمْ مِنَ الخيالِ بيوتاً وأنا مِنْ صميمِ ذاتي وجسمي
ليس للفنِّ مِنْ نصيبٍ لديكم وهو عندي اللبابُ في كلِّ شيِّ
تضربونَ الأمثالَ بالضعفِ عندي وهو حِذْقُ المهندسِ العبقريِّ
كم عجيبٍ فيما بَنَيْتُ جديرٍ باقتداءٍ لو أنكم تُبصرونْ
قد هزأتمْ بحكمتي وأنا الغا فرُ في ضحكتي لمن يهزأونْ!"

في معرض الأزهار

كلُّ زَهْرٍ كأنَّه الشَّمْسُ في القَدْ ... رِ وفي سِرِّهِ العميق الخفيّ
عَرَضُوهُ كأنما الناسُ أهلو ... هُ ولكنَّهم بجهلٍ وغَيِّ!
أيُّ بأسٍ لنا على مُهجَةِ الشَّمْـ ... ـسِ أو النَّجْمِ عند رَصدٍ ورَسْمِ؟
ذاك شأنُ الأزْهارِ! ليست مَبانيـ ... ـها سِوى الرَّمْزِ للجمالِ الأتمِّ
وقفَ الناسُ مُعجبين، ولي وَحْـ ... ـدي صَلاةٌ خفيَّةٌ في ضميري
أتملَّى الجمالَ في صُورةٍ جا ... زتْ حُدوداً للفهمِ أو للشُّعُورِ!

الطبيعة والناس

لا تَعجبوا... حُبّي (الطبيعةَ) وَحْدَها ... قد صانَ مِنْ حُبي لهذا الناسِ[1]
هي مَلجأي، كم في الحياة روايةٌ ... كروايةِ (الحلاّج) و (الدَّبَّاسِ)!
أُعطي تَعاليمي السَّخيَّةَ في غِنىً ... عن مَدْحِ كلِّ مُقدِّرٍ تعليمي
فيعودُ مَنْ عَشقُوا الجُحودَ بذمِّها ... متنكرينَ كحالِ كلِّ لئيمِ
مُتظاهرينَ بحليتي وجواهري ... ومُفاخرينَ بكلِّ ما أعطيتُ!
يا للأنامِ وللضمائرِ! ما لها ... مَوْتَى؟ وكيف يَتيهُ فينا المَيْتُ؟!
سخرتْ بهم صُوَرُ (الطبيعةِ) عندما ... سرقوا فُنُونَ تَخيُّلي وبياني
وتَبجَّحوا كالمجرمين، فليتهم ... عرفوا حُقوقَ الفَنِّ للفنانِ
مِنْ كلِّ جِلفٍ خُلقُهُ كنعالِهِ ... متنوِّعُ الألوانِ والترقيعِ

---

[1] أنظر مقطوعة "حياتان" في ديوان (أنداء الفجر) – ص ٣٧، وقصيدة "الفتات الغريب" في ديوان (زينب)، وقصيدة "الطبيعة" في ديوان (مختارات وحي العام) ص – ٨٦.

كم نـال مِـنْ جَـدْوايَ فيِ تعـبيرهِ ... فهـوَى، وهـل يُرْجَـى ثبـاتُ رقيـعِ؟!
الأدعيـــاءُ المـــارقون، وكلُّهـــم ... غِـــرٌّ ولذَّتُـــهُ مـــعَ الأغـــرارِ
لا يَعـرفُ النُّـورَ العزيـزَ وإنْ يكـنْ ... كالببغـــاءِ يَشـــيدُ بـــالأنوارِ
هـذي النفـوسُ المظلمـاتُ، فمـا لهـا ... والنـــورِ؟ إنّ النُّـــورَ لا يَرْضَـــاها
ظَلِمَتْ من الخُبْثِ الأصيلِ فأصبحتْ ... فيهـا الأشـعةُ تسـتحيلُ دُجاهـا!
النُّـورُ؟ لـيس النُّـورُ إلاّ مُهجَـتي! ... أنـا مَـنْ شـدوتُ بـه سـنينَ حياتي
نَبضـتْ بـأمواجِ الضـياءِ عـواطفي ... وانســـابتْ الأمـــواجُ في ذرَّاتـــي
وطلاقـــةُ الفـــنِّ الـــتي لم يَنتصـــرْ ... غَـيري لمبـدئها وعـرَّفَ كنههـا
أيعيبُهـا الأحـلاسُ مَـنْ فُتِنُـوا بهـا ... قبلاً ومَنْ نهلوا وذاقوا حُسنها؟!
عِشـــنا إلى زمـــنٍ نـــرَى أمثـــالَهم ... ونَـرَى السـوائمَ بالفخـارِ تَصـيحُ
ونَـــرَى المـــآثرَ للجحُـــودِ غبينـــةً ... ونـرى الوفـاءَ يُـداسُ وهـو جـريحُ!

العيـــدان

(في ١٢ نوفمبر سنة ١٩٢٤ لمناسبة قيام الوزارة النسيمية)

كم صِحْتُ في قومي، وصَيحةُ مُهجتي ... فـــوقَ الهـــوى ونـــوازعِ الأحقـــادِ
كـم صِـحْتُ أدعـو للتوحُّـدِ حينمـا ... يتهـــا الكونَ تهالُـــكَ الأضـــدادِ
فَرُجِمْتُ حتى كدتُ أيأسُ مِنْ أسىً ... لـــولا تَوَثُّـــبُ مهجـــتي وفـــؤادي
وشُـتِمْتُ ممـن يجعلـونَ همـومَهم ... بَـذْرَ الخـلافِ وإن أفـادَ العـادي
فـاليومَ يَنقطـعُ النبـاحُ ويَعتلـي ... خُلُـقُ الرجـالِ وحكمـةُ القُـوَّادِ
ويُصـيخُ ربُّ العرشِ غيرَ محجَّبٍ ... عن شَعبهِ، ويسودُ صوتُ الوادي
ونـرَى البنـاءَ وقـد تَصَـدَّعَ عائـداً ... كمـــآثرِ الأمجـــادِ في الأجـــدادِ

لا خـــيرَ في بنيـــانِ قـــومٍ قـــائمٍ فـــوقَ الخـــلاف وفـــوقَ كـــلِّ عنـــادِ
لا خـيرَ في الأحـزابِ حـين رجاؤنـا عَهــدٌ لمصــرَ وللمليـكِ (فــؤادِ)

*****

مَــنْ مُبلــغُ الزعمــاء رُوحَ أخــوَّةٍ في يومنـــا المعـــدودِ في الأعيـــادِ
عيــدانِ: عيــدٌ للجهــادِ وللمنـــى وكلاهمـــا أحيـــاه طـــولُ جهـــادِ

العهد الجديد

(إلى صاحب الدولة محمد توفيق نسيم باشا لمناسبة فوزه الدستوري

يوم ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٢٤)

صُنْ عَرْشَ (مِصر) وصُنْ (لوادي النيل) حرّيـــةً تبقـــى بقـــاءَ (النيـــلِ)
يـــا مُنقـــذَ الـــوطنِ الجـــريحِ ببأســـهِ وبحذقِـــهِ المشـــهودِ والمكفـــولِ
هـــذا هـــو اليـــومُ الـــذي رجَّيتُـــهُ والشـــعبُ بـــين مصـــفِّدٍ وذليـــلِ
وزعيمـــهُ الأسمـــى[١] يُحجِّـــبُ صـــوتهُ وتحجِّـــب الأحـــزابُ صـــوتَ الجيـــلِ
عن صـاحبِ العرْشِ المُفدَّى حينما ضَـــلَّتْ صـــوالحنا بغـــيرِ دليـــلِ
كنْ أنتَ باسمِ الشعب واسم العرش مَنْ يُرْجَـــى رجـــاءَ مؤصَّـــلٍ ووكيـــلِ
كـــنْ مســـتبداً عـــادلاً، فكفـــى كفـــى أضـــغاثُ أحـــزابٍ وبطـــشُ دخيـــلِ
كـــن مســـتبداً عِـــادلاً واعمـــلْ علـــى تطهـــيرِ (مصـــرَ) بصـــدقِكَ المـــأمولِ
وأعِـــدْ لنـــا اليـــومَ المرجَّـــى عيـــدَهُ عيـــدٌ يبـــزّ ســـناه كـــلَّ مَثيـــلِ
وزعـــيمُ (مصـــر) الألمعـــيُّ زعيمُهـــا في نـــدوةِ التمثيـــل[٢] لا التمثيـــلِ[٣]

---

[1] مصطفى النحاس باشا.

[2] البرلمان الحقيقي.

[3] البرلمان المصطنع.

يا للسنينِ مَضتْ أمامَ تجاربٍ ضاعتْ ضياعَ مَهازلٍ وهزيلِ
ضاعتْ كما ضاعتْ جهودٌ حولها ومضتْ بكلِّ قتيلةٍ وقتيلِ
ما كان أولاها بمصرَ بنايةً وتضامناً نرعاهُ بالتبجيلِ
كم مِنْ مواهبَ سُخِّرَتْ لمقابحٍ ما كان أحراها بكلِّ جميلِ
تلك السنونُ فِدىً ويا بئسَ الفِدَى للحقِّ منتزعاً مِن التضليلِ
حتى تُشارفَ (مصرُ) عهدَ أخوَّةٍ وطهارةٍ كسماءِ (وادي النيلِ)

لبّوا نداء الوطن

(قيلت في تعزيز مشروع القرش)

لَبُّوا نِداءَ الوطنْ لَبُّوا نِداءَ الحياةْ
لكلِّ مَجْدٍ ثمنْ والمجدُ مَجْدُ البناةْ

*****

أبناءَ (مصر) اطرَحوا هذا الجمودَ السقيمْ!
هل يُرتَجى مَطمحٌ مِنْ غيرِ جُهدٍ عميمْ؟
لا شيءَ في الكونِ يحيا بغيرِ حزمٍ ودأبِ
ولا الممالكُ تُبْنَى إلا بعقلٍ وقلبِ
هَلُمَّ أبناءَ (مِصرًا) هَلُمَّ! بعضَ الزكاةْ
خُذُوا العظائمَ قهرًا بالجهدِ أخْذَ الدُّهاةْ
إنَّا بعصرٍ لئيمٍ يَثُورُ ذيه الأبيّ
وكلُّ باكٍ غريمٍ يدوسُه كلُّ حيّ
لن تُرجعُوا مجدَ(مِصرَ) إلاّ على التضحياتْ

لـن يعـرفَ الـدَّهرُ حُـرًّا   إلا عـــدُوَّ المـــاتْ

فكيـف "بـالقرش" يَغلـو؟   وكيــف يَســمو البنــاءْ؟

تَقـــدَّمُوا أو فخَلُّـــوا   هتـــافكمْ والرَّجـــاءْ

(الشمسُ) جادتْ عليكم   بـــالتبرِ تبـلَ الحـــنينْ

فكيـف ترضـون أنـتمْ   بكـــلِّ قـــولٍ ضـــنينْ؟!

و (النيـلُ) مِـنْ رُوحـهِ   ضَحَّى لـروحِ الـبلادْ

فـــأينَ مِـــنْ نفحـــهِ   ذاكَ الهتـــافُ المُعـــادْ؟!

*****

لبُّــوا نــداءَ الــوطنْ   لبُّــوا نــداءَ الحيـــاهْ

لكـــلِّ مَجْـــدٍ ثَمـــنْ   والمجــدُ مَجْــدُ البنـــاهْ

تحية المؤتمر الوطني

(نظَّم الوفد المصري مؤتمراً وطنياً عظيماً سيعقد بالقاهرة في مستهل سنة ١٩٢٥م
فرحب به مقدماً صاحب الديوان بهذه القصيدة)

لقــد ثبَـتَ الحَـقُّ حتـى انتصـرْ   وأذْعَـــنَ للمـــؤمنينَ القـــدَرْ

وعــادتْ (لمصـرَ) مَعــاني الحيــاةِ   ليــدوِي بهـــا بَعْثُنَـــا المنتظَـــرْ

تباركــتَ يــا عيـدَ هـذي الحيـاةِ   ويـا صـيحةَ الحـقِّ في (المـؤتمرْ)

لقـــد دفنتنـــا سِـــنينُ الظَّـــلامِ   وإنْ لم تَنـلْ مِـنْ كمـينِ الشَّـرَرْ

وقـد أرهقتْنـا العـوادي الجِسَـامُ   ومـرَّتْ مـرُورَ طيـوفِ الضَّـجرْ

وعــادت أغــاني الســلامِ الحبيـبِ   كــأنَّ الكفــاحَ خيــالٌ عَــبرْ

وكــم في العيــونِ دُمــوعٌ تَـرفُّ   بشـــكرٍ كمـــا رفَّ دَمـــعُ الزَّهَـــرْ

وكم فِي القلوبِ خُفوقٌ عميقٌ   كخفقِ الجناحِ لطيرٍ نفرْ
وقد غرَّدَ الآن طيرُ الخريفِ   كأنَّ الربيعَ السريَّ ابتدرْ
وقد زيَّنَ الأفْقَ مِنْ كلِّ لونٍ   جمالٌ، وقبلاً بكى واستعرْ
وأخلصَ (للنيل) صوتُ النسيمِ   وبالأمسِ بَثُّ الشكاةِ استترْ
وحتى المُنى بحفيفِ الشجرْ   وحتى الرِّضى بضياءِ القمرْ
وشاركنا (رمضانُ) الوسيمُ   بشتَّى الفنونِ وأبهى الصُّوَرْ
وما كان (للعيدِ) مَعْنىً لديهِ   فأصبحَ (للعيد) مَعْنىً أبرّ
تَطلَّعَ[1] فِي شوقِنا للجديدِ   وإنْ ذابَ عمرٌ له واندثرْ
وحتى المؤذِّنُ فِي لحنهِ   فتونٌ لحسنٍ غريبٍ أسَرْ
فلم نَدْرِ كالفجرِ إلاَّهُ شِعراً   وخمراً فأسرفَ حتى سَحرْ
كذلك حرّيةُ الناسِ نَبعٌ   يُروِّي النفوسَ ويُحيي الحجرْ
وتَبعثُ نفحتُها الميِّتينَ   وتُنقذُ نَشوَتُها المحتضَرْ
ويَصدحُ فِي نورِها كلُّ شيءٍ   وتَنْبضُ منها أماني البَشَرْ!

*****

لقد ثَبَتَ الحقُّ حتى انتصرْ   وأذعنَ للمؤمنينَ القَدَرْ
وعادتْ لمصرَ مَعاني الحياةِ   ليدْوِي بها بَعْثُنَا المُنتظَرْ
سئمنا تكاليفَ تلك السنينِ   وطولَ التَّقيَّةِ بعد الحذَرْ
سئمنا تفككَ خيرِ الرَّوابط   بينَ القُلوبِ وبينَ الأسَرْ
وما نالَ زُرَّاعَنا العاملين   وقد سكنوا فِي قبورِ المدَرْ[2]
وتسخيرَ أقوى الذكاءِ الأبيِّ   لكلِّ ظلومٍ خؤونٍ غدَرْ

1 أي شهر رمضان.
2 المدر: القرى.

كـأنَّ الزكـاةَ لِحُكـمِ الطغـاةِ
دوامُ الأسـى ودوامُ الخطـرْ

سـئمنا، سـئمنا... فيـا مَرْحبـاً
بوثبـةِ عهـدٍ جـريءٍ ثـأرْ

سيُنصِـفنا مِـنْ مَديـدِ السُّباتِ
كمـا أنصـفَ الأرضَ هطـلُ المطـرْ

سـيُرجعنا للإخـاءِ الحمـيمِ
فيغـدو الإخـاءُ بنـا المنتصِـرْ

وتشـدو (الطبيعـةُ) لحنـاً طريفـاً
مِـن الحُـبِّ في كـلِّ مَعنـىً عَطِـرْ

وتلمـحُ (مصـرٌ) رجـاءً جديـداً
لمجـدٍ جديـدٍ وعَهـدٍ نَضِـرْ!

*****

لقـد ثبـتَ الحـقُّ حتـى انتصَـرْ
وأذعـنَ للمـؤمنينَ القـدَرْ

وعـادتْ لمصـرَ مَعـاني الحيـاةِ
ليـدوِي بهـا بَعثُنـا المنتظَـرْ

تباركـتَ يـا عيـدَ هـذي الحيـاةِ
ويـا صـيحةَ الحـقِّ في (المـؤتمرْ)!

صيامٌ وصيامٌ

نصـومُ كأنّمـا (رمضـانُ) يـأبى
سـوى صَـوْمِ المَتـابِ مِـنَ الـذُّنُوبِ

فكـم مِـنْ صـائمٍ قـد كـان يُغْـرَى
بتمزيـقِ السـرائرِ والقلـوبِ

تَفَرَّقْنـا طـويلاً في حُـرُوبٍ
فلُطِّخْنـا بـأَوْزارِ الحُـرُوبِ

أدبـاؤنا

كـم جاهـلٍ فـيهمْ يَتيـهُ كأنَّمـا
حَـظُّ الجهالـةِ مِـنْ صـفاتِ نـبيِّ!

قنعـوا بـألوانِ الغُـرورِ فمـا لهـم
جَلَـدٌ علـى الأدبِ الرفيـعِ الحـيِّ

كـم يَرجمـونَ النـابهينَ ولـو دَرَوْا
نَثـروا الزُّهـورَ لفـاتحٍ وأبـيِّ

النــابهون؟! همُــو الحيــاة لجيلنــا وهمُــو الـدَّليلُ لعصــرِنا الـذَّهبيِّ
مَــنْ ذا يُحقِّــرُهمْ فَيَحْقِــرُ نَفْسَــهُ إلاَّ مُـــرَادِفُ جاهـــلٍ وغـــبيِّ؟!

الفــأر الطـائر

(الخفَــاش)

تُظَـــنُّ طَـــيراً هَـــوَاهُ للشـــاطئِ المجهـــولِ
وأنـــتَ تُشْـــبهُ فـــأراً في خِفَّـــةِ المخبـــولِ
طالــتْ يَــداكَ وهــذا بــينَ الأنــامِ الشَّـبيهْ
طالــتْ يــداهُ وأمْسَــى غِنَــاهُ سَـطْوَ السَّـفِيهْ
قــد قَــبَّحَ اللــؤمُ وَجْهَــهْ كمــا قَبُحْــتَ بوجهــكْ
وأفســدَ الخبــثُ طبعَــهْ كمــا خَبُثْــتَ بطبعــكْ
كمــا تعــيشُ يعــيشُ في الليـلِ بـينَ الخنـافسْ
يهْــوَى الخرائــبَ حتــى يعــافَ نُــورَ الفــرادسْ
وحيــثُ طــارَ نُعــاني مِنْــهُ المعــاني الكريهَــهْ
روائـــحٌ مُسْـــتقِمَاتٌ ومــا لهــا مِــنْ شـبيهَهْ
تنــام نومــاً عميقــاً مُعَلَّقـــاً رجليْـــكَ
وقــد تَمُــصُّ دمــاءً للنــاسِ هانــتْ لــديْكَ
لكنَّمــا أنــتَ تَنْــأى عـن الـدَّعاوى العريضَـهْ
وذا شَــبيهُكَ يحكــي هـوَى النفـوسِ المريضَـهْ
كنَّــا حســبناهُ طــيراً مِــنَ الطيــورِ السَّــرِيَّهْ
لكــنْ وجــدناه فــأراً مِـنَ الضُّـرُوبِ الزَّرِيَّـهْ!

وداع العام

ودَّعْـتَ مَشْـكوراً عزيـزاً شـاكرا وعَـدِمْتَ يـومَ قَـدِمْتَ حُـرّاً شـاكرَا
بل كُنْتَ في المَوْتى اللئامِ، ولم تجِدْ إلاّ لئيمـاً حامـداً لـك ذاكـرا
فـإذا المـاتُ قـد اسـتحالَ كرامـةً وغـدوتَ بـالتَّوْبِ المطهِّـرِ طـاهرا
يا عـامُ! عِشْ في الذِّكرياتِ مُخلَّداً وخُـذْ البديلَ عـن الزَّمـانِ الخـاطرا
وافخـرْ بأيـامٍ بـواقٍ عُمْرُهـا عُمْـرُ الشُّـهورِ بـل السِّـنينِ مـآثرا
كفَّـرْتَ عـن ماضـيكَ حتـى أنَّنـا صـرنا نَـرَى الشَّـاكيكَ غِـرّاً كـافرا
ولـئن وَرِثْـتَ مِـنَ المسـاوئ زاخـراً فلقـد وَهبْـتَ مِـنَ المحامـدِ زاخـرا
فَكَّـتْ يـداكَ قُيودَنـا وشُـجُونَنا القـاتلاتِ مَوَاهبـاً وضـمائرا
وغَدَتْ حقـوقُ الشـعْبِ عَيْنَ حُقُوقـهِ مِـنْ بَعْـدِ مـا كانـتْ رُؤىً ومَظـاهرا
فبـدَأْتَ عُمْـرَكَ كالخيـالِ وُجُـودُهُ لا شـيءُ، ثـم غَـدَوْتَ حيّـاً عـامرا
لا بِـدْعَ، هـل عَـيْشٌ بـلا حُرِّيَّـةٍ أوْ دونَهـا شَـعبٌ تَوَثَّـبَ قـادرا؟
بـل أيـن حَـظُّ المومياتِ رهينـةً للأَسْـرِ يَسْـكُنَّ الظَّـلامَ حفـائرا
كـلُّ الوجـودِ مَمَاتُـهُ بقيـودهِ والكـونُ كـانَ ومـا يَـزَالُ الـدَّائرا
تَخِـذَ النِّظـامَ العبقـريَّ دليلَـهُ ومَضَـى جريئـاً في الفضـاءِ مُغَامِرا
والنَّـاسُ ليسـوا غـيرَ بَعْضِ كيانـهِ حرِّيـةً وعناصِـراً ومَشـاعِرا
فتَلَـقَّ شُـكرانَ النُّفـوسِ طليقـةً عَـزَّتْ، وإيمـانَ النُّفـوسِ شَـوَاعِرا

مِـن السّمـاء

الطبعة الأولى

(ديسمبر ١٩٤٩ - نيويورك)

مــن السمــاء

قالــت (الأرضُ): "أيُّ عطـرٍ لــديكَ سَـــكَبْتهُ السَّـماءُ في راحتيــكَ؟
أيُّ شِـعرٍ لهــا فتُنــتَ بــه الآ نَ، ولم أُعطـــه ســـخيَّاً إليـــكَ؟
هـلْ عَلِمَـت الأربـاب فيهـا أسـارى مـــا تغنَّـــوا إلاّ بعَطفـــي عليـكَ؟
مــا جمـــال السـمـاء إلاّ جمـــالي أنـــا أودعتـــه قـــديماً لـــديكَ؟"
قلــتُ: "يــا أمُّ لم أبــدّل هيــامي أنـــتِ أمّـــي ومـــوئلي وغرامـــي
مــا عشـقت السـمـاء إلاّ هُروبــاً مـــن حيـــاة تعـــج بالآثـــامِ
أنــتِ مــن أنــتِ رحمــةً بالبرايــا وهمُـــو مَـن همُـو بهـذا الخصـامِ
الــدماءُ الــتي أبــاحوا دمـــائي والسـلامُ الـذي أراقـوا سـلامي"
قالت (الأرضُ): "ما الشموسُ العوالي في نجـــاء وإن تكـــن لا تبـــالي
في سـحيقِ الآبـاد يومـاً سـتخبو وتلاقـــي مآلهـــا مـــن مـــآلي
أنـت يـا شـاعري تجـازف بالحـبّ إذا دمـــتَ عبـــد هـــذا الخيـــالِ
لــن تلاقــي لــدى السـمـاء سـلاماً بـل نضـالاً يُـزري بهـذا النضـالِ"
وتناهيــتُ في السَّـمـاءِ بروحـــي وتراجعـــتُ مثخنـــاً بـــالجروحِ
وشـــهدتُ الصـــراعَ فيهـــا رهيبـــا والضـحايا مـع الزمـان الـذبيحِ
فتغنيـــتُ عائـــداً بالمآســـي وكـــأني أعـــودُ عـــودَ المسـيحِ
ولثمـــتُ الأرضَ الـــتي بـــاركتني وانطوينــا علــى فــؤادي الجــريحِ

(١٩٤٢)

على صخرة سيدي بشر

وحي بير مسعود

(الخطاب موجّه إلى البحر في هذا المصيف الشهير برمل الإسكندرية)

هَيمانُ مثلكَ يا صديقَ الشاعرِ ... أنظر تلهُّف ناظريَّ وخاطري!
أنا من علمتَ محبةً وتفانياً ... في كل معنى من نشيدكَ ساحرِ
أصغي إليه ولا أملُّ كأنما ... أُصغي إلى لحن الخلودِ العامرِ
عزفت به الأرباب من عَليائها ... قبل الوجود فكان روح الشاعرِ
نتقاسمُ الأحلامَ ملءَ خيالنا ... ونبادلُ الإِحساس بين مَشاعرِ
وتظل تشجيني بموجك راوياً ... قصصَ الحياةِ لساكنٍ ولعابرِ
ألتذُّ بالصوتِ الرخيمِ وإن يكن ... ذاك الرتيب كرجع حلمٍ غابرِ
لغة الجمالِ طلاقةً بل ثورةً ... والفنُّ يُعبَدُ في الجمالِ الثائرِ
هلْ كان قربي منك غير عبادةٍ ... أو كان صوتك غير صوت مقادرِ
أو لا، ففيمَ تأمُّلي وتفهُّمي ... نجواك وهي عميقةٌ بسرائري؟
وعلامَ أصحب كل موجٍ واثبٍ ... وأعدّ ذراتِ الندى المتناثرِ؟
وعلامَ أشغف بالصخور روانياً ... وكأنها نامت عروش قياصرِ؟
وكأنها عبدتك مثلي حرّةً ... فتألّهت بمظاهرٍ وضمائرِ
قد جئتُ سبَّاقَ الربيع وطالما ... أنشقتُ منكَ هوى الربيع الناضرِ
وضَممْتني بأشعةٍ فرحانةٍ ... مثلي كأنك بالأشعةِ آسري
حتى تناسيتُ الربيعَ وزهره ... وقطفت من معناك حلو أزاهري
ونسيتُ عندك للصلاة خُشوعَها ... لمّا رأيتك في ابتسامةِ ساخرِ
وجعلت من صور الصلاة دعابتي ... لك غير مكترثٍ وغير محاذرِ

حتى تُشاركنا الرمالُ وتنتشي هذي الصخورُ فنرتقي بالخاطرِ
متصوِّفينَ كأنّنا لم نفترق يوماً ولسنا من غريبِ عناصرِ!

(١٩٤٢)

رحلة الزمان

(وحي صورة فنية)

يا راجلاً لم ينلْ من جهده تعبٌ مجذِّفاً وله الأمواج أدهارُ
في ذلك القارب الرمزيّ عالمنا، الأمس والغد والمشهود حُضّارُ
تسوسُها جامعاً من رمز وحدتها للكون ما فصّلت للكون أقدارُ
تحيا الأنوثة فيه بالرجاء لنا وفي تأملها هديٌ وأنوارُ
تمثّل (المقبل) المرجوَّ ناظرةً إلى الأمام، فما تخفيه أستارُ
وهذه أختها في اللهو سادرةٌ تمثّل (الحاضرَ) الحاويه قيثارُ
كأنما قد سلَت من غيره وبدت نشوى فليس لها في الأمس تذكارُ
في حين أختٌ لها هيهات يشغلها إلاّ التذكّر معقودٌ له الغارُ
قد أسندت رأسها إذْ تستعيد منىً ضاعت كما ضاع أحلامٌ وأوطارُ
قد مجّدتها جميعاً وهي فانيةٌ كذلك (الأمس) مهما ساء يُختارُ

*****

يا راجلاً عبؤه عبءٌ يحيّرنا كم ملء رحلته همٌّ وأخطارُ
نراه لكن نرى السطحيَّ يشملنا وكم تحجب في التيَّار أغوارُ
لم تضرب الموج بالمجذاف معتبطاً[١] إلاّ وفي الموجِ للمجذاف آثارُ

[1] معتبطا: مجروحا.

يتلو روايتها الغادون في عصرٍ شتى وتخلد فوق الموج أسطارُ
كم من تجاريب قد دونتها حكما أو ثأر أهل العلى لو يؤخذ الثارُ
وكم تجاريب من طيش ومن نزق مثل الكواكب قبل الموج تنهارُ
تبدو على ذلك التيّار قصّتها وإن يكن طيها للنفس أسرارُ
وأنت حيٌ على الآباد، محتكمٌ على المقادير، وثّابٌ وجبّارُ
مجنَّحٌ ثم تأبى أن تطيرَ سدىً ودائبٌ ما له في الدأب أعمارُ

*****

من السماء رجعنا بعد رحلتنا وبينها من عصور الخلق نُظّارُ
فقلت للزمن الموموق: "يا زمني ألم تُشِبْكَ كشيبي اليوم أسفارُ؟
أما سئمتَ من الأجرامِ عابثةً ومن شموسٍ لها قصفٌ وأسمارُ
ومن تجاريب في الإبداع طائشة رهن الملايين لا تخبو بها النارُ؟"
فقال: "بل هي سلوى ملء بوتقتي وتلك للفن إلهام وأخبارُ
إنَّ كلينا قبسنا من محاسنها ومن محاسنها خلقٌ وأفكارُ
ومن تجاريبها دنيا أجدِّدها كما يجدِّدها لحن وأشعارُ!"

(١٩٤٢)

الجدول المسحور

على مقربة من ملروز في إيقوسيا يوجد جدول ماء متغلغل تحت الأعشاب والنباتات المشتجرة الزاحفة يدعى (بوجل بيرن) اشتهر إلى جانب جماله باسطورة ظريفة أوحت كما أوحى إلى صاحب الديوان بهذه القصيدة.

(ملروزُ) جدولك النؤومُ الحالمُ ما زال من حبّي عليه نسائمُ

الـذكريات زهـت بــه في عــالمي وهــو الــذي لا يزدهيــه العــالمُ
متحجِّـبٌ خلـف النبـات وتحتــه لكــن تــنمُّ علــى ســناه معــالمُ
فكأنمـــا دَعـــةُ الأنوثـــة روحُـــه تُخْفَــى فيفضــحها الحنـان النـاعمُ
جَالسْــتُه وكأنمـــا في صــحبتي بــين الجنــان مراشــفٌ ومباســـمُ
ومــن النبــات ســتائرٌ ســحريةٌ ومــن الأشــعة والظــلالِ مجــاثمُ
يـــا طالمـــا خاطبتــــه بتــــأملي فيجيــبني ذاك الخريــر الحــالمُ
وكـــأنني في حُلمِـــه مســـتغرقٌ وكــذاك يحلــم صــادحٌ أو بــاغمُ
كـل (الطبيعـة) حولنـا بسـكينةٍ نسـج الخشـوع لهـا الجمـال الدائمُ
وأنــام أرتشــف الخريــر مــدامتي ومتــى أنــام ولــي الخريــر منــادُ؟
أصحو على سُكري، و آبى هجره وإخالــه قــوتي، ومــا أنــا واهــمُ
قد كنت أنفق في اصطحاب سنائه مــن خــير أيــامي كــأني غــارمُ
فيعيــدها عمــراً جديــداً ضــافياً لهــواي فهــو مــزوّدٌ ومقاســـمُ
وكـــأن محـــراب الطبيعـــة كهفـــه[1] وكـــأنما أخفــت ســناه منــاجمُ

****

لم أنــس ليلــة جلســتي في قُربــه والبــدر يســكب نــوره في حبّــهِ
والصـيف في أنفاسِـه مـن عطـره وحـــي لبُلبُلـــهِ[2] القريـــرِ بقربـــهِ
يشـدو بصـوت كالضـياء صـفاؤه والمـــاء مهتـــزٌّ كهـــزة عشـــبهِ
في فرحـــةٍ مُثلـــى وفي تهليلـــةٍ للفـــنّ تَنْبـــع حـــرةً مـــن قلبـــهِ
ونقيـق عشّـاق الضـفادعِ مالـكٌ سمعـي، كـأن نشيدها مـن كَسبهِ
حفلـت جميعـاً بالحيـاة وبـالهوى مثلـي ولم تعـصِ الهـوى في شـربهِ

---

[1] كهفه: غوره.

[2] يعرف أيضا بالعندليب وبالمهر وفي الشعر الأنكليزي قصائد رائعة في وصف شدوه وسهره.

نتبـادلُ الأنخـاب بالـذكرِ الـتي ... نهبـت، ومـا بـرح الزمـان بنهبـهِ
حتـى رجعنـا نسـتعيد أحبَّهـا ... منـه ويغفـر أنسـنا مـن ذنبـهِ
بوليمـة للـروح قبـل مشـاعرِ ... سَكْرى، وكلُّ عاشـقٌ في صَـحبه
متبـاينِين موحّـدين، تصـوّفت ... ألبابنـا في الكـون فهـي بلبّـهِ
من علَّم النبت الضئيل عبادتي؟ ... بل عالم الحشرات من صلّى بهِ؟
لم نصطنع لغةً سوى إحساسنا ... بالحبّ، أو خمراً سوى من سكبهِ
فسكتُّ كالمشدوه وهي بجانبي ... في عتبهـا، وتصـوفي في عتبـه
فلثمتهـا وكـأن مـن لثمـي لهـا ... قربـان مـن أنهـى الصـلاة لربـهِ!

*****

قالـتْ فتـاتي: "هـلْ سمعتَ المـاءَ ... مـتمهلاً يـروي لنـا الأنبـاءَ
عمّـن مضـوا وتفيـأوا أزهـاره ... أو بـادلوه محبـةً ورجـاءَ؟"
فأصَـخْتُ للمـاءِ المثرثـر هامسـاً ... يسـتوقف الجنيَّـة الحسـناءَ
متـداولاً ذِكَـرا كـأنَّ لنـا بهـا ... عـبراً تُـثير الشـعرَ والشـعراءَ
قـال الطروبُ المـاءُ: "يـا حـوريَّتي ... كـم ذا جنيـتِ هنـا صباحَ مسـاءَ
مـاذا أصـاب فتـاكِ حـين دعوتُـه ... ليقبّـل الثغـر الجميـل فنـاءَ[1]؟"
قالـت: "تشـهّيتُ الجمـال بذاتـه ... لا أن يُـذال كمـا تـرى ويسـاءَ
وحرصـت أن يحيـا لـديَّ متوّجـاً ... في عـالم لم يَعبـد الفحشـاءَ
مـا نالـه سـحري بغـير محـبَّتي ... فهـو الأسـيرُ ومـا أراد نجـاءَ
كـان التحـدّي بعض إغرائـي لـه ... فهـوى يقـبلني فصـيدَ جـزاءَ
ومضـى تَبيعـي غائبـاً في عـالمٍ ... بالسـحر ينـبض روعـةً ورواءَ
ومنحتـه تفاحـةً مسـحورةً ... مَـنْ ذاقهـا لا يستسـيغُ ريـاءَ

---

[1] فناء: فسقط ونأى.

حتـى إذا مـا شـاء زورة أسلـه ... يومـاً رأى دنيـا الريـاء فبـاء[1]

وأبـى الأنـام وكـل مـا حفلـوا بـه ... ورأى الضـيـاء حيـالهم ظلمـاءَ!"

*****

قالت فتاتي وهـي في سُكر الهوى ... "أتـرى إذا قبّلـتني نلقـى النَّـوى؟

هل أنت تخشاها؟[2] فما لك صامتاً ... متـأملاً متوجِّسـاً كمـن ارعـوى؟

أتظـــنني جنّيــةً حوريـــةً ... فـرأيتني خطـراً ولا خطـر الهـوى؟"

فضـممتها ولثمتهـا ورضـيتها ... دنيـاي بـل أخـراي عن دنيا الـورى

وأجبتهـا: "هـل مـن نعـيم يشـتهى ... غـير النعـيم لمـن أحبـك وارتـوى

سـتجيء أعـوامٌ أعـيش بحـرقتي ... فدعي الظنون بل ادفنيها في الثرى،

ولتمنحـيني الآن مـا تهبينـه ... لمسـافرٍ لم يصـطحب غـير الجـوى

إنـي أرى آتـي السـنين مهـدّداً ... حظّي والملح فيه أقسـى مـا احتـوى

فهلـمَّ نسـخرْ مـن زمـانٍ حاقـدٍ ... مـن قبـل أن يسـعى بنـا أو بيننـا

كـم مـن غـرامٍ طـاهرٍ أودى بـه ... كعبيرِ هـذا الزهـر ضـاعَ مـع الهـوا"

فبكـتْ، فقهقهـت الميـاه لشـجوِها ... وتضـاحكَت أعشـابها بـين الحصـى

وسمعـت مـن حوريـة محبوسـة ... في طيِّـه أنّـات مَـن فقـد المُنـى

فعجبت من هـذي الميـاه وسـحرها ... ورجعـت ألثمهـا وأدّخِـرُ الغنـى

والآن مـن بعـد الفـراق ومـا جنـى ... أحنـو علـى ذاك الزمـان ومـا جنـي!

(١٩٤٢)

[1] فباء: فرجع إلي.

[2] أي النوى.

بجمـــاليون

مـن خيـالي جبلـتُ حُسـنكِ تمثـالاً فطافـت حيالـه الأنبيـاءُ
مشـرقاً مـن جمـالِ مـا علّمـوا حـين الـذي علّمـوا طـواه الفنـاءُ
سـجدوا مثـل سـجدتي لمحيـاكِ فمنـه تـألق الإِيحـاءُ
نظـرةٌ للألوهـة اسـتعبدتنا وعبيـد الجمـال هـم مـن أضـاءوا
وتخلّـوا عـن السـاء فـإن الأرض لمّـا سـكنتها تسـتضاءُ
بـل لـدن أبـدعتْ يـد الفنّ فيهـا رسـمك الـذي اشـتهته السـماءُ
أتمـلاّه في شـخوصـي وأحلامـي ومـن غـيره فـؤادي بـراءُ
يـا مثـاليتي الـتي لم تـدنّس بتشـابيه كلّهـا أهـواءُ
مـا تسـابيح مهجـتي فيـكِ إلاّ صـلواتٌ روحيـةٌ غنّـاءُ
لم تُعـرّف ولـن تعـرّف يومـاً لنفـوس لم يسـتثرها الضـياءُ
والضـياء الـذي تشـبعت منـه غـير دنيـا ضـياؤها ظلمـاءُ
والجمـال الـذي تغنيتُ فيـه غير مـا تـابع الـورى كيـف شـاءوا
كلمـا جئتُ مفصـحاً عنـه ردّتني إلى الصـمتِ نشـوةٌ خرسـاءُ
بـايع الأنبيـاءَ قلـبي بالحـب وعِبئـي مـن دونـه الأعبـاءُ
ففروضـي فروضـهم وعباداتي وحيـداً هـي الغنـى والجـزاءُ
وهـي همـتي ولـوعتي وشـجوني وهـي أنسـي ولـذّتي والرجـاءُ

*****

وتجليـتِ فتنـةً وأنـا الـابـدُ لا تسـتثيره الضوضـاءُ
وتخيّلـتِ أنـني ذلـك المغـرمُ يُصـبي خيالـه الإِغـراءُ
فتباعـدتُ، حينمـا أنـتِ للفـنِّ خيـالي المقـدّس الوضّـاءُ
لا التي يعشق الورى، وهي منهم، ويُباهي بوصفها الشعراءُ!

(١٩٤٢)

الزمن المريض

عزاء إلى شاعر صديق

قد كنتُ آملُ أن أراكَ بصحةٍ ... غَرِداً وفي دنيا من النعماءِ
لأحدّد الحبَّ القديم وإن يكن ... حبّي المؤصَّل في صميم بنائي
فإذا دموعك كاللهيب تصدّني ... ومن اللهيب لواعج الآباءِ
ريع الفؤاد وقد قرأتك باكياً ... هذا الصباحَ فما ملكتُ بكائي
لم أرثِ في دمعي شجونك وحدها ... بل كان للزمن المريض رثائي
عشنا نعالجه فخان وفاءَنا ... وجنى، وكم يجني على الشعراءِ
هذي ضريبته، وهذا عالمٌ ... العدلُ فيه مخاتِل ومرائي
لم ألق غير الفنّ ملجأ رحمةٍ ... وعزاء من يصبو لصدق عزاءِ
فالجأْ إليه مثابةً علويةً ... وتلقَّ فيه من العزاء وفائي

(١٩٤٢)

يأس

إني يئست، ومثلي غير مُتّهمٍ، ... من الأنام، ويأسي من أحاسنهم
إن أنصفوني فغَبنَي عين نِصْفَتِهم ... وفيم غبني وجهدي غير غابنهم؟
قد حِرْتُ ما بين تجريحٍ لعاقلهم ... كأن عاقلهم ندٌّ لماجنهم
وبين ميزانهم للحقِ في سَفَهٍ ... حتى تساقَطَ حقّي عند وازنهم!

(١٩٤٢)

إلى الفن

توديع للآنسة الفنانة فاطمة هنو قبيل التحاقها بمعهد الموسيقى بالقاهرة

إلى الفـنّ نجـواكِ يـا (فاطمـهْ)   إلى الفـنّ بسـمتكِ الحالِمـهْ
ستمضـينَ أحـوجَ مَـن ترتجيـكِ   عيـونٌ وأفئـدةٌ سـاهمهْ
لكـم نعمـتْ منـكِ بـالعبقري   مـن اللطـفِ والدعـةِ الباسمـهْ
ومـن نكَـتٍ بالمعـاني الـدقاقِ   حوافـلَ، والمُلَـحِ الدائمـهْ
أثيريـة الطَّبـع لا تسـتقرُّ   خـواطركِ الحـرَّة الهائمـهْ
كأنَّـك جوّالـةٌ فِي الوجـودِ   تصـيدين ألحانـه العائمـهْ
وتعطينهـا طرفـاً غاليـاتٍ   مـن الظـرف والصـور الناغمـهْ
سـنحرم في البعـد هـذا الرحيـق   فمـا الـزاد للأنفـس الصـائمهْ؟
ولسـتِ البخيلـة للأوفيـاءِ   فهـل تخـذلين المُنـى الغارمـهْ؟
سُـقينا التفـاؤل مـن وجنتيـكِ   بضـحكتك الحلـوة الناعمـهْ
ولمّـا نـزل بعـد مـن تابعبـكِ   نرجّيـكِ في الوحشـة القاتمـهْ
نرجّيـك مسـتذكرينَ الرشـاقة   والأنـسَ والحيلـةَ الواهِمـهْ
ونلقـاكِ بـين الأغـاني اللطـافِ   تُـدين عواطفنـا الناهمـهْ
ومـلء رؤى الشـعر حـول (الطبيـ   ـعةِ) وهـي بيقظتهـا نائمـهْ
لكـم كنـتِ ترعينهـا في الحقـولِ   وتسـتلهمين الـرؤى الجاثمـهْ
فعـودي لهـا بجديـدِ الغنـاءِ   تعـودي بآياتهـا الكارمـهْ
ولا تحسـبي الفـنّ رهـن السـماءِ   ففـي الأرض دولتـه قائمـهْ
نعـم، أمُّنـا الأرض مـن أبدعتـه   وطـار بأجنحـةٍ نادمـهْ
فـلا تجحـدي فنَّهـا أيـن كنـتِ   فأنـت الوفيَّـة يـا (فاطمـهْ)!

(١٩٤٢)

قصر ريجيا

تحية إلى الصديق الشاعر الموهوب مفيد الشوباشي حين آصدر كتابه عن أيام كليو باترا الأخيرة

يا (قصر ريجيا) أين أنتَ؟ وهل سلمتَ؟ وهل أمنتَ؟
فتّشْتُ عنكَ فلم أجدكَ، وجئتُ أستوحي فبنتَ
هذا (مفيدٌ) شعره المنثور ينثرُ ما كنزتَ
ويعيد ما استطبيته وإلى مفاخره حننتَ
وكأنه من ساكنيك وقد تحرك إذ سكنتَ
شهد الولائم و المجالس والمراقص مذ أذنتَ
وقياصر الرومان والمجد الذي كان وكنتَ
وعِراكَ (بطليموس) والثّأر القديم وما غنمتَ
وهوى (كلوبترا) وما فقد الهوى لمّا هويتَ
واليوم يوفي دَينه أدباً غنمنا بل غنمتَ
قصصاً من الفنّ الأصيل به فتنَّا إذ فتنتَ
يُتلى وكلٌ حاضرٌ عصر الفخامة فيكَ أنتَ
لا قارئٌ وصفاً لهُ يُطوى كأخبارٍ وموتى
فلأنتَ حيٌ بيننا جمُّ الشموخِ كما عُهدتَ
والشعبُ دفَّاقٌ حيالك هاتفاً حتى جُننتَ
ويقهقهُ المَرحُ الطليقُ وبعده الأحداثُ شتَّى
لو أنَّني حاولتُ في شعر تتبُّعها غُبنتَ
وأديبنا الخلّاق يرسمها فنلمسها وتؤتى
وكأنها ملك له، وكأن ما أوحى تأتّى

جمع الحقيقة والخيال فما اكتفينا واكتفيت!

(١٩٤٢)

خلائق اليوم

وحي صورة فنية للرسام الأنكليزي رسل فلنت عضو الأكاديمية في لندن

مظاهرُ فنٍ أم تهاويلُ ساحرٍ؟   لقد ملك الفنّانُ لبي وخاطري
ألمْ يودع الأصباغ فتنة عصره   كما أنطق الأصباغ روح المعاصرِ؟
وما اختار غير البحر معرض فنّه   فقد نبتت في البحر شتّى المشاعرِ
أبونا[1] الذي ربّى العصور فانجبت   له حيواتٍ من كريم العناصرِ
وقد نشر الإلهام إثر مسيرها   كأن من الإلهام زاد المسافرِ
رجعنا إليه[2] اليوم ظمأى لوحيه   وإن كان مذخوراً بصورة ساحرِ
وما الريشة الزهراء إلاّ عواطفاً   وإبداعَ خلاّقٍ ومزمار شاعرِ
فيرفضُ منها النور والظل عالَماً   جديداً كأشعار الربيع المباكرِ
نصاحبه حسّاً وفيّاً مجسّماً   وإن كان لم يبرح خيالاً لناظرِ
فيا لوحةً فيها الملاحة نفحةٌ   تعالى بها الفنّان عن طيش عابرِ
عرفناكَ معنىً عبقرياً نحربطه   بأفئدة ولهى ونجوى السرائرِ
تراءت به (حوّاء) في مُثُلٍ لها   منوعةٍ كالخمر عند المعاقرِ
ولكنها كالخمرُ أصلاً ونشوةً   وإن نُوّعت في الوصف أو في المظاهرِ
فنسكر من لهوٍ لها وتجرّدٍ   ومن ضجعة هزّت عروش قياصر
وما الزورق الثاوي قريراً بقربها   سوى (زورق الدهر) الغيور المغامرِ

(١-٢) أي البحر.

فلولا رضى (حوَّاء) ما ساخ ناجياً	ولا كان أستاذ العصور الغوابرِ
ولا خلَّد العمران رغم انتشائه	بسفك الدم الغالي ونشر المقابرِ
شربتُ مع (الدهر) الخيالات وحدنا	وسحنا إلى مهد العلى والعباقرِ
وعدنا فلم نظفر بعلمٍ مجدّدٍ	ولكننا عدنا بإيمان ثائرِ
وكانت لنا (حواءُ) في كل منزل	نزلناه معنى فوق معنى المقادرِ
كأنَّ ضياء الكون شعلة روحها	كأنَّ هواها غامرٌ كل غامرِ
وكل الذي يرجى سواها تعلّةٌ	من الوهم نجزيها ببسمة ساخرِ!
معانٍ تراءت في خيالي كومضةٍ	ولكنها زخرٌ لحيٍ وقاهرِ!

(١٩٤٢)

بطل العلمين

قيلت في أول يولية سنة ١٩٤٢ تحية للجنرال أوكنلك

إلى البطل الثاوي لدى (العلمَينِ)	أزفُّ من الأعجاب أهونَ دَيني
إلى المنقذ الآلاف وهو مجازفٌ	كأنّ مآل الحرب رهنُ يدينِ
تخطّى صفوف الموت بالموت هازئاً	وراجع مفقود الرجاء لعَيني
وأنذره العاديَ بشَرٍّ هزيمةٍ	فعانى سرابَ الطيش في (العلمين)!

*****

لقد سخرت منه التلال وردّدت	لها ضحكات السخر غضبى المدافعِ
وقد أقبل الفرسان كلٌّ لثأره	وكلٌّ بدباباته غير قانعِ
عزيزٌ عليهم أن يردّوا فراسخاً	وقد صبغوها في قديم المواقعِ
وقد أورثوها بالدماءِ شعورهم	كما أخصبوها بالهوى والمدامعِ

*****

إلى البطل الحرّ الذي لم يمت له يقين لدن ريعَ الرجالُ وماتوا
إلى العَلَم الصنديدِ يحرجه الردى فيسمو ولا يسمو إليه مماتُ
إلى من يَردّ الغرمَ غنماً موطّداً ومن قلبه قبل الحماةِ حُماةُ
تحيّة من يهوى البطولة فذّةً ومنها شعاعٌ للورى وحياةُ

(١٩٤٢)

نجوى العيد

قيلت باسم المؤتمر الطبي العربي الخامس برئاسة سعادة الدكتور علي إبراهيم باشا
في تحية حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا إثر حفلة الغداء التي
أقامها رفعته تكريماً لأعضاء المؤتمر بكازينو أتينوس بالإسكندرية
يوم الاثنين ٢١ ديسمبر سنة ١٩٤٢

لمن تُزفّ التهاني أيها العلَمُ؟ إليك أم للألى في فرحةٍ نعموا؟
نعم إليك، فما يُرضيك يُسعدنا وهكذا تزدهي أعلامها الأممَ
وليس أعلامها غير الآلى بذلوا كما بذلت ومن عانوا ومن خدموا
الواهبين من الأعلاق أنفُسَها عند الشدائد لا يلوي بهم ندمُ
العازفين عن الأطماع مغريةً وعن نداء الدنايا سمعُهم صممُ
إنّ الزعامة إقدامٌ وتضحيةٌ حين التخاذل في يسرٍ هو العدمُ
وليس (كالمصطفى) يسمو تواضعه إذا هوى في غرور الغاشم الصنمُ
اليوم يجمعنا حبٌّ توزّعه وكلنا طامعٌ: تُعطي ونقتسمُ
لمّا مددت يدَ الترحيب تكرمنا لم ندر كم من معان يسبغ الكرم
أهدى (عليٌّ) إلى علياك طاقتَه[1] وليس بعد الذي يهديه مغتنَمُ

---

[1] الطاقة: باقة الرياحين.

وما أقل الذي يهديه من كلمٍ ... وما أجلَّ الذي توحي به الكلمُ
يغضي ويطرق كالأرباب معتكفاً ... وذهنه عالمٌ هيهاتَ يُقتحمُ
وما (عليٌّ) سوى ذخرٍ لأمتهِ ... مَن علمه العلمُ أو من حكمه الحكمُ
جاء الإمام لأهل الطب ينهضهم ... وجاء من قسوة الأيام ينتقمُ
وحولَه جمْعنا يوفيك في شغفٍ ... أغلى الثناءِ على ما صنته لهموُ
وما يزيدُ ثناءٌ شأو رفعتكم ... لكن به تَتسامى مهجةٌ وفمُ!

*****

هذه (العروبةُ) في ناديك سامقةٌ ... وإن يرجِّي حجاك (العرب) و (العجم)
وهل (فلسطين) إلا (مصر)، أو عُرفت ... ربوعُ (لبنانَ) إلاّ (مصر) عندكمو؟
أو (العراق) بجنات تغازلها ... جنّات (سورية) الفيحاء؟ فهي همو
جميعها فلذاتٌ من أبوَّتكم ... وأهلها طالما رجّوك إذ حُرموا
جاءوا على سفرٍ مضنٍ فما تعبوا ... لمَّا طلعت تحيّيهم وتبتسمُ
وإن يكن زادهم علماً وتجربةً ... وهمةً لم تجز إيمانها الهممُ
ونصطفيك بإخلاص نعَزُّ له ... كما تَعزُّ به الأخلاق والشيم
كـ ، بين مؤتمرٍ ماضٍ ومؤتمرٍ ... بارٍ سقينا جميلَ الودّ بينهمو
ونافسونا فبزّونا بما بحثوا ... وزوَّدونا فأغنينا بما عَلموا

*****

(إسكندريةُ) رفت في مباهجها ... مثل العروس إذا خطّابها ازدحموا
بنت الحضارات لم تبرح معالمها ... قلائد الفن تُستوحى فتنتظمُ
والبحر يصغي كما تصغي مشاعرها ... والموج مصطفق حيناً ومحتدمُ
ألم يشارك هوانا أو عواطفنا؟ ... أو علَّه مثلنا للنور يغتنمُ
هذا مجالٌ خيال الشعر رائدهُ ... وأنت رائدُ آمالِ الألى حلموا
والحرب تستعبد الإنسان جا حة ... حتى ليُنسى الأسى والويل والألمُ

إنَّا احتشدنا لعلم نستعزُّ به ... حين الممالك أشلاءٌ هوت ودمُ
وحينما أرسل الطاغوت صيحته ... تفشي الدمار توالت عندكَ النعمُ
وحين كل جحيمٍ صارخ اجب ... يشوي الشعوب تعافى (النيل) و (الهرم)
هذي أنانية الدنيا تصرّجها ... لولا الأنانية الدنيا لما اختصموا
وأنت تضرب للإيثار أمثلةً ... وليس في منتهى الإيثار ما يصم
كأن سيرتك الزهراء معجزةٌ ... في عالمٍ ملؤه الأوزارُ والرمَمُ
لعل في يومنا فألاً لخير غدٍ ... حين السلامُ وحيث العدل والشمم
حيّت مدينتنا الغنّاء طلعتكم ... فإنّ أضواءها من حولكم نغمُ
واسترجعت من عصورٍ زهوَ جامعةٍ ... كانت تعمّ للأجيال من حكموا
فإن شكرنا على الترحيب يغمرنا ... فلا اللسان بمعوان ولا القلمُ!

*****

يا عهد (فاروق) هذا عهد أمتنا: ... عهد الولاء الذي ترقى له الذممُ
إنَّا أمنّا بظلٍّ من رعايته ... ففي رعايته عدلٌ لمن ظُلموا
والعدلُ ليس بعدلٍ في جلالته ... إن لم يعمّم وهذا عدله عَممُ
يا وارثاً عرش (بطليموس) مقتدراً ... ترفُ في ذكرك الآمال والعلَمُ
تيمَّنَتْ باسمك المحبوب نهضتنا ... كما انتشت حوله الآثار تلتئمُ
فكلّ فضلٍ جديد أنت معلنه ... له الأصالة في التاريخ والقِدَمُ
عمرٌ مديدٌ من الإبداعِ رنّقه ... أجدادك الغر من شادوا ومن فهموا
وزدته أنت تدعيماً وتزكيةً ... فمن مبادئك الدولات تدّعِمُ
إنّ الملوك ملوكٌ من شمائلهم ... قبل العروش وإن جلّت وإن عظموا!

(١٩٤٢)

تحية المليك

لمناسبة إهداء الدكتوراه الفخرية إلى الملك فاروق الأول بجامعة الإسكندرية وإثر افتتاح كلية الطب بهذه الجامعة

مولاي! رحَّبَت الثقافة وانتشت	بالمهرجان مدينة (الإسكندر)
خلعت ملاحتها على أفراحنا	وخلعتَ أنت وضاءةَ الأدب الثري
وتنافست صُوَرُ الطبيعة والورى	بمشاهدٍ لم تفتقر لمصورِ
ما كل يومٍ للثقافة موئلٌ	والعصرُ عصر تناحرٍ وتجبّرِ
هتفت لمقدمك القرونُ وردّدت	آمالها لمناظرٍ ومذكّرِ
وتألّق اليوم السعيد بشمسه	فكأنها سارت بموكب (قيصرِ)
إن كان حجَّبها الغمامُ هيبةً	فكذلك الحسناء للمتنظّرِ
إن كان داعبها الغمامُ بوكْفِه	فلقد تأدَّب عن هوى المستهترِ
وكأنما النسمات في هذي الرُّبى	تسري بإعجاب الربيع المبكرِ
وتردد الأنفاس من أنفاسنا	بحفاوةٍ لم تجتمع في منظرِ
بالفاتح الملك الأبيِّ وحسبهُ	بين الملوكِ حفاوةٌ لا تمتري
وشجاعةٌ حين الكوارث روّعت	فتراجعت في صدمةٍ وتعثرِ
وشمائلٌ في البر بين رعيةٍ	عشقته واستوحته للآتي السَّري
أين التفتَّ رأيت جمَّ متاحفٍ	وروائعٍ للمجد لم تتغيرِ
عاشت بإيمان العظائم واعتلت	كمنارة الأمس الرفيع النيّرِ[1]
إن كان عفّاها الزمان فإنها	خلدت بأعجب سيرة أو مظهرِ
والبحرُ حول سياجها متهافتٌ	والموج بين مجاوب ومثرثرِ

---

[1] منارة الإسكندرية – إحدى العجائب السبع للدنيا القديمة.

لغة الطفولة ما حكَاه وما حكَتْ ... والكلّ بين معمرٍ ومعمَرِ

يصغي إليها الشاعرون كأنهم ... أُخِذوا، وتستهوي الذي لم يشعرِ

لا الحرب هدَّتها ولا أيدي البلى ... بل عاش يصقلها الزمان المجتري

قد عاد يخدمها بذلة صاغرٍ ... فكأنها ثأرت وإن لم تثأرِ

وكأن حرمتها ديانة عالمٍ ... فتقدَّست عمَّن يبيع ويشتري

وأضفت أنت إلى جلالتها غنىً ... بجلالك، الحرِ النبيل الخيِّرِ

وبفتح (جامعةٍ) بيمنك عرّفت ... فزهت على فتح الوغى والعسكرِ

ولعل (دينو كرات)[1] بين جموعنا ... متخفياً في غبطة وتأثر

يصغي ويهتف مثلنا لمدينةٍ ... عاشت تجاوب حلمه في الأعصر

تجري الحياة بها فنوناً جمَّةً ... وترف أحلاماً وعزة جوهرِ

ولعلّ مدرسة (البطالسة) الأُلى ... بهروا الزمان تمثّلت للمبصرِ

وكأنما لَّما تقمّص روحنا ... أعلامها سرنا بموكب (سوتَرِ)[2]

*****

نُخب العلوم العاليات تسابقتْ ... في خَطْبِ بِشْرِ العاهل المستبشرِ

رفعت إليه تحيةً إعجابَها ... بهدية جازت ظنون مقدّرِ

والطبُّ لم يسعد بيوم حافلٍ ... أسنى وأجمل أو عبيرٍ مسكرِ

تلك الوثيقة عهدنا ووفاءنا ... في خدمة الفكر العظيم المثمرِ

أبهى وأكرم من خرائط دولةٍ ... تجتاح في حرب وغزوٍ مقفرِ

ولأنتَ أشرف من يجلّ رموزها ... ويزيد من إيحائها لمعبّرِ

تفنى الحروب بما جنته ودرنها ... تبقى الحياة لباحث ومفكّرِ

*****

---

[1] دينو كرات: هو المهندس الذي عهد إليه الإسكندر في تخطيط مدينة الإسكندرية.
[2] سوتر: هو بطليموس الأول الذي بدأت الإسكندرية تترعرع في عهده وكان مؤرخا جليلا عظيم البر بالعلم والعلماء.

مـولاي! غنَّـى الشـعر في أفيـائكم ... وتراقصـت ربَّاتُـه للمِزْهَـرِ
ولمحـتُ كوكبـةً بهـا أعلامـهُ ... يتزاحمـون لوحيـك المسـتأثرِ
هُرعـوا، وكـلُّ سـكندريّ خالـدٍ ... مـن ذلـك الأمـس النضـير المزهـرِ
تبعـوا (تيـو كـريتيس)[1] وهـو موقّـع ... لحـن الجمـال لشـاعر وشـويعرِ
فسـبقتهم كيمـا أفـوز بسـمعكم ... قبـل النجـوم، ولسـتُ بالمسـتغفرِ
وسـعت شمـائلكم محبـة شـعبكم ... مـن حاضـرٍ حـيٍّ ونـاءٍ مضـمرِ
فاسـلم مليـك (النيـل) رمـز فخـاره ... لا رمـزَ عصـرٍ ماثـلٍ، بـل أعصـرِ!

(١٩٤٣)

الموتى المشرّدون

وجهت إلى جلالة الملك فاروق الأول

مـولاي! حـبُّ الشـعب أعظـمُ ثـروةً ... لـكَ مـن كنـوزِ التـاجِ والسـلطانِ
كـن أنـت رائـده ووزّع أرضـه ... لبنيـه (كالفـاروق)[2] في الإحسـان
مـا شـأن آلاف الفـدادين[3] الـتي ... هـي كالمقـابر للسَّـواد العـاني؟!
ذهبـوا بأرجـاء الـبلاد تشـرداً ... وتكفّنـوا بمذلـةٍ وهـوانِ
وجمـيعهم مـوتى، وتلـك لحـودهم ... مـلء الضـياع الفخمـة العمـرانِ
تركـوا المقـابر صـاغرين فعيشـهم ... وممـاتهم بهـوانهم سـيَّانِ
وتجـاوبوا بـأنينهم وسَـقَامِهِم ... وجـراحهم في عـالم البهتـانِ

---

[1] تيو كريتيس: هو أول اثنين من فحول الشعراء السكندريين، وقد اشتهر بشعره في جمال الطبيعة.
[2] الخليفة العادل عمر بن الخطّاب.
[3] ضياع الإقطاعيين الذين يملكون على قلتهم معظم ثروة الأمة حينما الأغلبية الساحقة منها في حكم الموتى المشردين.

أنـت العظـيم، فـلا تـدع إخلاصـهم لـك يسـتباح بـلا هـدىً وأمـاني
بـل لا تـدعهم في الـورى أمثولـةً لتـدهور الإنسـان بالإنسـانِ!

(١٩٤٣)

الحنين

كـم يسـتبد الحـنين! أوّاه لـو تعلمـينْ
وكـم يـئنّ فـؤادي ومـا شـكوت الأنـينْ
وكـأنّ بـاقي عَـذابي فـروض نسـكٍ وديـنْ
كـأنّ طـول احتمـالي غُـنمٌ لقلـبي الغـبينْ
سـاءلتِ عـني ولكـن شـكّي يـرد الـيقينْ
وكلمـا زدت قربـاً بعـدتُ أو تبعـدينْ
ألقـاكِ نشـوانَ لكـن حزنـي بقلـبي دفـينْ
علـى جمـالٍ مُضـاعٍ مـا كـان للعـابثينْ
أوْلى بـه وحـيُ فـنٍّ ووحـيُ حـبٍّ أمـين
لكـم هتفـتِ بشـعري فبـات شِـعري الـثمين
وشـعَّ خمـراً حـلالاً مـن فيـك للظـامئينْ
أصـغي إليـكِ بحلمـي وأنـت حلمـي المـبينْ
في حـيرة لم تكيَّـف علـى امتحـان السـنينْ
أصـار فنّـي عزيـزاً في حـين حبّـي مهـينْ؟
أتحفلـين بشِـعري ولسـتِ بـي تحفلـينْ!؟

*****

وليلــةٍ مــن نعــيمٍ … أطعــتُ فيهــا الحــنينْ
وما ارتضيتُ شكوكي … ونهــي عقــلٍ رَصِــينْ
ومــا طُبعــتُ عليــه … مــن الحيــاء الكمــينْ
كأنَّمــا البــدرُ أوحــى … إلــيَّ مــا تشــتهينْ
فسـرت أنفـض همّـي … والنـور بـرء الحـزينْ
في موكبٍ من خيالي … يُخـصّ بالشـاعرينْ
كأنمــا فيــه ســارت … عواطــف الخــالقينْ
كـأنّ (فينـوس) غنَّـت … ملاحِــمَ العاشــقينْ
وذا (كيوبيــدُ) يرمـــي السـّــهامَ في اللاعــبينْ
فيضـحكون سُكارى … وكــلُّ قلــب طعــين
إن يبـدع النـور وهمـاً … فلســتُ في الــواهمينْ
تلـك الطيـور لـداتي … ولــيس فيهــا كــنينْ
إن يخذل الناس فنّي … فلــيس فيهــا ظــنينْ
قـد عـودتني احتفـاءً … كــإخوتي في الفنــون
كم شجعتني بعطفٍ … فكــان همّــي يهــونْ
كم صاحبتني لصفوٍ … والصـفو سِـرٌّ مصـونْ
وجَنَّـت جنَّـة أنسـي … كــأنّ أنســي رَهِــين
ومــا أردت فَكاكــاً … لــو إنمــا تــأذنينْ
لكـن جعلـتُ ابتهالي … تصــوُّفَ العابــدينْ
كـأن روحـي قصـيدٌ … يــذوب للملــهمين
كــأنَّ قلــبي المعنَّــى … قــد ردَّ للفــاتحينْ
ســاد التجــاوب فينــا … فلــم يعــد يســتكينْ

وقد تناولتُ كأسي ... من الغرام الضنينْ
كأنَّ (باخوسَ) أوحى ... بكلِّ ما تبذلينْ
من عالمٍ سرمديٍّ ... للحبِ أو للفنونْ
نروي ونحكي وننسى ... ونحن في الحالمينْ
وأنتِ أسنى وأبهى ... من كلّ ما تبدعينْ
حتى أذنتِ بلثمٍ ... لنور ذاك الجبينْ
فما لثمتكِ حتى ... سَموْتُ في الخالدينْ
وما تركتكِ إلاّ ... رجعتُ مثل السجينْ
مستسلماً في حنيني ... إلى عذاب الحنينْ

(١٩٤٣)

قبلة ميلادي

يا نشوة الحب القديم ولهفة الحب الجديد
جمعتكما في قبلةٍ سكرى غرامي وعهودي
أودعتها ما صانت الأحلام من عطر الخلود
وسكبتها راح الهوى ودماً من الشوق الشهيد
ثم استعدت خيالها لحناً تألق في نشيدي
ونظمتها شِعري الذي يحيا بأنفاس الورود
وخلقت أيّ هديةٍ منها لميلادي السعيد
وكأنما هي نغمة زُفَّت إلى سَمعِ الوجود
تستمتعُ الدنيا بها مثلي وتخلد في قصيدي

والكـون أحفـلُ بـالهوى للشـاعرِ الحـرِّ الفريـد
مــن عــالمٍ في صَـخْبه يعنـو لشـيطانٍ مريـد
مـا سـيَّر الأجـرام غـير الحـب في جذبٍ رشـيد
أو أبـدع الإعجـاز غـير جمالـه المـوحي البعيـد
فترسّـلي يـا فتـنتي بحنانـك العـذب الوليـد
ودعيـه يُزهـر نامـداً، لا ترهقيـه بـالقيود
ودعيـه يبلـغُ مِثـل تحنـاني وإيمـاني المجيـد
فيعـيش تـوأمَ مهجـتي في عـالم الحـبّ الرغيـد
لا يعرفـان الشـيبَ أو عمـراً سـوى الخلـد المديـد
وأعـود أسـتوحي وأحيـا بـين تقبيـل جديـد
لا شـارداً متعثـراً آوي إلى قلـبي الشـريد
مسـتمتعاً مـن حلـو سـاعاتي بعيـدٍ بعـد عيـد
ومخلّصـاً لـكِ آيـة الفنـان في الفـنّ النضـيد

(١٩٤٣)

الإسكندرية الفنانة

أنشدت في حفلة رابطة اللوتس بمدينة الإسكندرية التي أقيمت لتكريم أعضاء هيئة التدريس بجامعة فاروق الأول يوم ٢٥ مارس سنة ١٩٤٢

الفـنّ أنـتِ فجئـتُ أسـتوحيكِ — وعبـدتُ ألـوانَ الملاحـةِ فيـكِ
ونعمـت بـالنجوى فقربـك جنّـةٌ — خُصَّـتْ بـروح الفـن دون شـريكِ
تتهافـتُ الأجيـال حـول جَمالهـا — كتهافـتِ الأحـلام حـول مليـكِ

وتحـدّث الأطيـافُ في جنباتهـا | بروائـع الآيـات مـن بانيـكِ
عاشوا وعشـتُ مجاوبـاً لندائهم | بالحـب يحيـيني كمـا يحييـكِ
رقصَتْ محاسِنُك الوضاء أشعةً | وعواطفـاً لمـنعَّمٍ وضـريك[1]
عشقوك واعتزوا بحبك، واهتدوا | بسناك، واعتصموا بمجد أبيكِ
وعُبدتِ فاتنَـةَ الجميـعِ كأنمـا | خطـرت (كلوبـاترا) لمستوحيكِ
خطرت وموج البحر رفّافٌ لها | وتوشـحتْ بضـيائكِ المسبوكِ
وجلتْ على البحر الطروب مفاتناً | فـإذا بحورياتـه تحكيـكِ
عكَسَتْ ملاحتها صباحة (زينب) | وحكتْ دعابتهـا رشـاقة (بيكـي)
والجوُّ مـوَّارٌ[2] بأنغـام الهوى | وبكـل فـتح للغـرام وشـيكِ
وملاحِمُ الأربـابِ تعـزف فَوقَهـا | وتحـول أشـباحاً لمتّاليـكِ
فوضى من الفن الجميل تناثرت | وتجمعـت في دولـة وأريـكِ[3]
وتدللت بـالعبقري مـن الغنـى | لغوايـة (المجنونِ) و (المفلوكِ)
صـورٌ قداسَتُها الحيـاة بـذاتِها | نفحـتْ أسـاطير الغنـى المتروكِ
وأبـت لنـا إلاّ الخيـال رفيقنـا | ومن الخيال حقائق (الصعلوكِ)[4]
من ذا يحاكينا ويقدرُ ما حكت | شـفتاكِ مـن سِحرٍ لمستمعيكِ
ويرى ويعرف ما أصالة حبّنا | ولمَ ارتفعـتِ بسـوقةٍ وملـوك؟

*****

وافى (الربيـع) فتـاهَ كـلُّ مغـردٍ | وحلا الشروق، وطاب صوت الديكِ
وازداد مجـدك عـزة وجلالـةً | وطـلاوةً، فلعلّـه يكفيـكِ

---

[1] الضريك: الفقير السيئ الحال.

[2] موار: مائج – والإشارة في البيت السابق إلى اجتماع الجمال الشرقي والجمال الغربي بمدينة الإسكندرية.

[3] أريك (جمع أريكة): عروش.

[4] المجنون والمفلوك والصعلوك – إشارات إلى الغزليين البوهيميين من الشعراء.

وتسابق العلماء حولك مثلما
يتفنن الشعراء في ناديك

حفلوا بجامعةٍ رفعت منارها
بين الدياجرِ والدم المسفولِ

إن كرّمونا فهو تكريم لهم
وهمو أحق بمدحةٍ ترضيكِ

هذي خمائلهم وكلٌّ بلبلٌ
حلوُ البيانِ سقاه من يسقيكَ

شهدوا (لأفروديت)[1] أعراس الهوى
واسترجعوا ماضيه من ماضيكِ

وعفا (السربيومُ)[2] الذي غنّوا به
وبقيتِ أنت لنا ومن غنُّوكِ

وتدفقوا كالنبع سالَ جَداولاً
تروي كما يروي الهوى من فيكِ

وتفنَّنوا بمنى (الطبيعة) فانتشوا
لمّا انتشت وحَنت على أهليكِ

فلهم ثناء (الفنّ) قبل ثنائنا
و (الفنّ) كان ولم يزل واقيكِ

ولهم تحيات (الجمال)، فإنَّها
قد نُزهت عن عاطل وركيكِ

لغة الألوهة شأو من هتفوا بها[3]
لا مثل أشعاري لفنّانيكِ!

(١٩٤٣)

الفنّ الضائع

مهداة إلى فتاة المندرة برمل الإسكندرية

لمنْ تمنحينَ الحبّ دونيَ عن عَمْدِ؟
وماذا يرجّي الحبُّ من شاعر بعدي؟

وحسنك أولى أن يصانَ جمالُه
على الفنّ، حين الفن كالحسن للخلدِ

وما عالم الناس الذين تطاولوا
سوى عالم بين النفاية والكيدِ

ترفّعتِ عن أن تسكنيه فحاذري
وخلّي الهوى والحسنِ ديناً لمستهدي

---

[1] أفروديت: إلهة غانيات الإسكندرية.
[2] السربيوم: معبد الإسكندرية العظيم الذي هدمه البطريرك تيوفيلس.
[3] شأو: قدر – أي ما يجدر بهم.

ولا تتركي الأيام تنهب خاطري	وتعصف - ما شاءت - بحبّيَ أو وجدي
فإني تراثٌ للمَلاحَة والهوى،	فإن ضَاعَ لم يُسعدك غبنيَ أو فقدي
لئن كان من حق الجمال عبادتي	فمن حق مثلي أن يكلّل بالمجد
وأن يغمرُ الحبُّ الكريمَ فؤاده	جزاءً، وأن يعفَى من الشكّ والصدّ
مضى العام وانجاب (الربيعُ) عن المنى	ولو أن آلامي تباعَدْنَ عن عدّي
ولو أن أحلامي هي الهمّ والجوى	على عالمٍ بالتكلِ واليتم ممتدّ
تسربل بالظلمات وهي صواعقٌ	وماشى الخراب الهولَ في الزمن الرغد
فصارت به الجنَّات نار جهنمٍ	ويا ليتها! فالحرب تُعدي وتستعدي
ذكَرْتُكِ محزوناً جريحاً معذباً	كأني ألاقي الطعنَ في معركٍ وحدي
وقد كفكفَ الحاني (الربيعُ) مدامعي	وإن زالت النسمات — ما شئن — من وقدي
فأحسست بالسلوى تسلسلُ في دمي	تسلسلَ ماء النبع في الظامئ الوَرد
وقد ناله لفح الهجير بقسوةٍ	فعاد يفضُّ العطر في نفحٍ معتدّ
فهل لك أن تُصغي إليّ فربما	أنبتُ فؤادي في النشيد بلا عود
كما ذابَ عطر الورد في بسماته	وداعاً لمن يهوى وماتَ بلا حَمدٍ؟!

*****

ويا جارتي ما أبعد القُرب بيننا	وذلك خوفي صيّر القربَ كالبعد!
أناجيك في دقّات قلبيَ والهاً	كان فؤادي طائرٌ رفّ في القيد
يَحنُّ إلى من قاته وأفاءَه	ولو أنَّه في أسره ضائعُ الجهد
وأخشاكِ رغم الحبِ، لا عن ضلالةٍ	ولكن كخوف القانت الوالِه العبد
وكم تمتمتْ نفسي بشعرٍ محبَّبٍ	أغرده في خدرِكِ الساحرِ الوعد
فلما تلاقينا نسيت ضراعتي	ولم تبق لي إلاّ حشاشة منهَدّ
وقد حالتِ الأنفاس شِعريَ وحدها	وكم تحمل الأنفاس من قُبَلٍ عندي

إذا لم تترجم فيِ لُغى الحب فالهوى ... سيغفر ما أودى بشاعرك الفرد!

*****

بروحيَ من أحلام عمريَ ساعةٌ ... جلستُ وموجُ البحرِ مثليَ في زهدي

على الشاطئ المسحور أنَّتْ صخوره ... وغنَّت به الأمواه للحجرِ الصلد

أراقب عن بعدٍ جمالك ناشراً ... على الماء ألوان الرشاقةِ والصَّيد

فيغنم عشاقٌ دعابتك التي ... تَخاطَفها مثلَ الجواهرِ مستجدي

وأقنعُ بالحلم البعيد ووحدتي ... كأن حيائي قام دونك كالسدِّ

ولكن خيالي لم يذلله حائلٌ ... فنال من القدِّ المنعّم والخدِّ

وسابق موج البحر في وثباته ... وبزّ شعاع النور في اللهو والجدِّ

فكنتُ على بُعدي المنعّم ظافراً ... بما لم يَنلْ منك المقرّب والمسْدي

أتوا بالهدايا الحاليات رواقصاً ... وأخفيتُ قرباني من الطاهر الودِّ

ولم تلمحيني في تلاهيك حينما ... تحدثت الأَمواج للكثُبِ الجرْد

وقد نثرت فوق الرمال تحيةً ... من اللؤلؤ الغالي الذي جلَّ عن عقد

تلقفها شعري وكاد يصوغها ... لحسنك معنىً لا يقاسُ بما تُبدي

ولكن دنا العاتي الغُروبُ فلم أفِقْ ... من الحلم إلاّ بعد أن فاتني رُشدي

وقد ردَّد الموجُ الشجيُّ تأوهي ... وجاوبه في خطوهِ الحارسِ الجندي[1]

*****

يعيش على الوهم المجنّح شاعرٌ ... وكم باعه للوجدِ حيناً وللسُّهد

ويرضى بأدناه عزاء ونعمةً ... على حين لا يرضى بدنيا من السعد

له كبرياءُ المستهين بما يرى ... ووثبُ خيال المستعزّ بما يُسدي

لئن صاحبُ الحرمان يدميه نصْلُه ... لقد أثر التعذيبَ حرّاً على الضَّمْد

---

[1] حارس الشاطئ.

لئن أعرضت عنه الغواني لقد شَدت ... بتقديسه الربَّات في عالم فردِ
تَنزه عمَّن حاربوا الفنّ والهوى ... وأولهم من لو دَرَتْ قدّست عهدي
ولم تتكلفْ كل ما هو مُتلفي ... ولم تسقني الصابَ المموَّه بالشهدِ
ولم تتحدث عن نشيدي وروعتي ... بحبٍ وإعجابٍ كأنهما ضدّي!
ولم تدَّخر أنساً لمن عاش عابداً ... مَفاتنها ثم انتهى شبه مرتدٍّ

*****

لمن فِتَنُ الحسنِ الذي جلّ عن حدّ؟ ... لمن شُغف القلب الذي صِينَ عن ندٍّ؟
إذا لم يكُنْ هذا الجمالُ لشاعرٍ ... فما لي على فوضى التهافت من ردٍّ
حرامٌ ضياع الوردِ في غير أهلهِ ... وظلمٌ مماتُ النورِ والعطْرِ في اللحدِ!
ولست ألومُ الواردينَ تهافتوا ... ولكن ألوم الحسنَ يعبثُ بالوردِ
وما أفسد الإحسانَ إلاّ ابتذالُه ... ولا قُدّر الإحسان إلاّ على قيدِ
سيأتي زمان تندمين على هوىً ... أضعتِ، وربّ للحبّ ضاع من الأيدي!

*****

ولكنَّها أصغت إليّ بروحِها ... على النّأي، والإيحاء للروحِ قد يُعدي
كأن ولوعي زاجرٌ ليس ينتهي ... يحاورها باللطف حيناً وبالنقدِ
ويلقي حواليها الشباك رقيقةً ... فما كان من صيدِ الفراشةِ عن بدٍّ
فلما التقينا بعد هجرٍ وترحةٍ ... وكنتُ افتقدت الحبّ في القلق المردي
أعادته مبعوثاً وضيئاً مرفرفاً ... كما رفرفَ الفجرُ الوليدُ على المهدِ
فهل يستعيدُ الحب ماضي رجائه ... ويسمو على الحرمانِ والخوف والحقدِ
ويبني لنا مُلكاً يَعزُّ نوالُه ... على غير فنّانٍ طليقٍ من القيدِ
أم المُثُلُ الدنيا تهدّ مثالَهُ ... وترجعه نهباً لأيامه اللُّدِّ؟!

(١٩٤٣)

دمعة وابتسامة

١- كتاب خليل مطران بك

في [illegible] سنة ١٩٤٢

عزيزي النابغة الدكتور احمد زكي ابو شادي

جاءني كتابك وانا في شوق اليك هو شوق الاب البار الى ابنه الحبيب وشوق الصديق الصدوق الى من يوده بقلبه ويكبره بعقله وقد حرم لقاءه زمنا مديدا.

لقد اسدى الي الاستاذ احمد محرم معروفا يدا بانه ذكرني لديك وكان سببا في وصل ما انقطع عني من انبائك السارة فشكرا لشاعر العربية الفحل واديبها الكبير.

كتابك - وما احب كتابك - اعاد الى نفسي حلاوة ذكريات من ايام المرحوم والدك العظيم. ومن تلك الذكريات انك لم تكتب الي قط الا وقد اهديت شيئا نفيسا في رسالتك اليوم صفحة دواء ما كان احوجني اليه فاني استعدت به بعض ما افقدني مر السنين من النشاط فالفضل في ذلك عائد اليك وما اقل بجانبه الثناء عليك

لا تحرمني يا ابني الحبيب زيارتك ولو دقائق معدودة اذا جئت القاهرة وستلقى بهذه الزيارة قلبا في نبضاته نبضات قلب ابيك رحمه الله

تقبل ازكى تحياتي واصدق ودي ودم سعيدا معافى موفقا

المخلص

خليل مطران

(مصغر عن الأصل)

دمعة وابتسامة

٢- ردّ صاحب الديوان

دمعـــتي وابتســـامتي توأمـــانِ	وسُـــكوتي عـــذابُ روحٍ يُعـــاني
لدِ رَ قصفُ المدافعِ النيلَ حولي	وصـــفيرُ القنابـــل المتـــداني
والخـرابُ الـذي تطَـايرَ قُربـي	وصُـــراخُ الـــورى بكـل مكـانِ
وعويـلُ النسـاءِ حـولَ الضحايا	وبقايـــا المتـــاع والجـــدرانِ
والظـلامُ الـذي يكفّـن دنيـا	ي، وقـد عرّيـت علـى الأكفـانِ
لـيس هـذا، ولـيس ذا	ك، ولا الحرب بأهوالِها لنا كل آنِ
بـالتي تلجـم المحبَّ لـكَ البا	قـي على العهد في مدار الزمـانِ
إنمـا مُلجمـي تعـذّب وجداني	لأهلـي، لشـعبنا الغفـلانِ
الـذي لم يـزل علـى اللهو، مفتنـاً	ولـو ضـاع في افتتـانِ الجبـانِ!
يـا صـديقي ويـا إمـامي وعمّـي	ومـــلاذي كأنـــه ديّـــاني
عـش مديـداً بصـحةٍ وحبـورٍ	وأعرنـــا خوالِـــدَ الألحـــانِ
لـيس كُـتْبي ولـيس شخصـي سـوى بعضـي، فيكفيـك منتهـى إيمـاني!

(١٩٤٣)

مجدا

تحية للطفلة العزيزة كريمة الصديق الأستاذ الدكتور حنا برسوم

مجـدا يـا مجـدا	ســـتبلغين المجـــدا
تبسَّـمي يـا شـاعِره	إلى الحيـاة الزاهـره

واستقبلي الأعواما   النور والأنغاما
والأمل المستعذبا   وصفو أحلامِ الصبا
واستعجلي الأياما   واستبقي الأحلاما
لتدركي (مصباحا)[1]   أستاذنا المفراحا
وتنعمي بجلسةٍ   من أنسه أو زفّةٍ
كأنه (الرشيد)   مؤلّهٌ معبودُ
تحفُّه القيانُ   والحور والولدان
ويرتجى فيِ (المعهد)   إمام دين مفردِ
يوزّع الأنس لنا   كالشهد حلواً يجتنى
ولا يبالي بالورى   ولا بدنياهم درى
يحيا حياة الآلهه   لا عيش أرضٍ والهه
ويشرب الأنخابا   فيرقص الأربابا
فأسرعي يا طفلتي   إلى المجاني الحلوةِ
أبوك مثلي منعمُ   بفنّه ومغرمُ
وإن يكن مستأثرا   بسرّه مفاخرا

(١٩٤٣)

بسمة الأرض

مهداة إلى ابنتي العزيزة هُدى

بسمةُ الأرضِ لوجداني معانٍ كم أراها

---

[1] الدكتور عبد الغني مصباح – رجل الظرف والمرح.

كنَزْتُهـــا مهجـــتي الفرحـــى إذا فاتـــت ســـواها
والربيـــع الحلـــو يســـقيني ســـناها وجناهـــا
فأذاهـــا فيِ صـــميم الـــنفس تحيـــا فيِ رؤاهـــا
جسّـــمتا صَـــلواتي وحنـــاني لهواهـــا
مثلمـــا الصـــوفيُّ في وجدانـــه شـــام الإلهـــا!

*****

يـــا ابـــنتي، يـــا "طفلـــتي"، يـــا مـــن مســـرّاتي رضـــاها
إن شـــببتِ الآن فـــالأعوامُ فيِ ماضـــي مناهـــا
كلمـــا جـــاء ربيـــعٌ بهواهـــا نتلاهـــى
ذاكـــرين "الطفلـــة" الحلـــوة نـــوراً وانتباهـــا
وســـألنا أمنـــا (الأرضَ) رضـــاها ودُعاهـــا
فتجلّـــت فيِ ابتســـامٍ وأشـــاعته شـــذاها
وتقاســـمنـــا علـــى حبـــك دُنيـــا مـــن نـــداها!

(١٩٤٣)

عابر السبيل

(الربيع)

إِصـــدحي يـــا خـــواطري وامرحـــي يـــا مَشـــاعري
وارقصـــي رقـــص حـــرّة غالبـــتْ كـــلّ آســـرِ
كـــل حلـــمٍ عشـــقته عـــاد حيـــاً لنـــاظري
جـــاء فيِ موكـــب سمَـــا (بـــالربيع) المجـــاهرِ

لم يعـــد بعـــد خافيـــاً سـرُّه عـن سـرائري
لم تكـن روحـه سـوى روح فـنٍّ مسـامر
جـاء سمحـاً مغـرّداً سـاحراً أيَّ سـاحرِ
أشـرب النـور والهـوى مسـرفاً وهـو عـاذري
وهـو يعطـي كأنمـا ردَّ دينـاً لخـاطري
قلـت: مهـلاً! وإن أكـن ظامئـاً غـير صـابرِ
وادَّخـرْ بعضـه، عسـى يرتـوي منـه هـاجري
فينـاجي صـبابتي بهـوى منـه نـادرِ
نتلاقـى وخمـره بـين همـس الأزاهـرِ
قـال: مهـلاً!؟ ومـن أنـا غـير إحسـانِ عـابرِ؟!
لم تفـرّق سمـاحتي بـين عـان وقـادرِ
لم أسـوّف ولم أكـن بالبخيـل المحـاذر
لم أحاسـب مبـدداً خاطفـاً مـن جـواهري
أجلـبِ الفرحـة الـتي هـي دنيـا البشـائرِ
كـلُّ شـيءٍ مسَـسْـتُهُ مـاسَ في سمـتِ قـاهرِ
إن حـبي عِبـادةٌ لم تلـوث بكـافرِ
إن حظـي رِسـالةٌ ألّفـت كـل نـافرِ
إنّ عمـري هنيهـةٌ للمنـى والنـواظرِ
وهـو عمـر مجـدّدٌ في نهـى كـل شـاعرِ!

(١٩٤٣)

الوفـاء

(تحية حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا)

مغـاني (إسـكندرية) إن أضـاءت ... فمـن شـوقٍ إلى الحـرّ الـزعيمِ
لقـد حجبـوا نوافـذها[1] فشـعّت ... بتحنـان الحمـيمِ إلى الحمـيمِ
وحيّتـك (الطبيعـة) حـين حيّـت ... كـأنّ البـدر في عيـدٍ مقـيمِ
إذا عِيـبَ الجحـودُ فـأي عيـبٍ ... إذا غمرتـك بالحـبّ الصـميمِ
وإن عبـدتك منقـذها المفـدّى ... ولم تعبـأ بشـيطانٍ رجـيمِ؟

(١٩٤٣)

الصيف

عند شاطئ استانلي برمل الإسكندرية بعد غيبة أعوام

مـا للصـخور العاريـات تـدثّرت ... بالعشـب حـين الغانيات عـواري؟
فارقتهـا في رقصـةٍ وتجـرّدٍ ... والمـوجُ بـين معـانقٍ ومُـواري
ورجعـتُ أرقبهـا فلـم أرَ عنـدها ... إلاّ شـعور السـخر باسـتهتاري
لمَ يا صـخور وقـد وصـفتك قبلمـا ... حيّاك من، وَصَفوك من أشـعاري؟
إن كنـتِ زاهـدةً فـإني زاهـدٌ ... والزهـد لم يسـلم مـن الفجّـارِ
حـين التعبّـد والحنـانُ تلاقيـا ... في الفـنّ وانصـبّا مـع التيّـارِ
(الصـيف) أقبـل فـاخلعي لحنانـهِ ... مـا ألبسـتك يـد الشـتاء الضـاري
واسـتقبلي الأمـواج مثـل مشـوّقٍ ... قـد عـاد بعـد لـواعج الأسـفارِ

---

[1] إشارة إلى إظلام المدينة إبان الحرب الكبرى.

وتشـربّي الأضـواء فهـي ذخـيرةٌ ... ومـن الضـياء ذخـائرٌ وعـواري
هـذي الجسـوم العاريـات هياكـلٌ ... للحــبّ بــين النــار والأنــوارِ
لا تسـأمي نظـراً إليهـا إن وَفَـتْ ... للفــنّ واحتكمـت علــى الأنظــارِ
وتبتّلـت فيهـا العقـول وحوَّمـت ... فيهــا القلــوب بجنَّــةٍ مِعْطــارِ
وتخطَّرت و(الصيف) فرحـانٌ بهـا ... وكأنهـــا حوريـــة الأســـحارِ
أهـدى إلى الشـعراءِ مـن آلائـه ... مــا صُــنَّ للفنــان مــن أســرارِ
في كـل لـونٍ مـن ظـلالٍ حـرّةٍ ... مــا يســتهين بطــائشِ الثــوّارِ
أنـا مـا أثِمتُ بنظرتـي وتصـوُّفي ... في هـــذه الألـــوان والآثـــارِ
فـيمَ (الطبيعـة) إن جَحَـدْتُ بناتهـا؟ ... فـيم (الحيـاة) استسـلمت لإِسـارِ؟
فتسـمَّعتْ لتوسُّـلي، وتجاوبـت ... وتـــأمّلي، وتـــأثرت بحـــواري
وتلمسـت شمس الغـروب فأعتقـت ... مــن دَنّهــا المكنــوز للخمــارِ
حتـى إذا شـربتْ تـوهَّج لونُهـا ... بالنـارِ وارتفعـتْ علـى الأحجـارِ!

(١٩٤٣)

يوم الجامعة

حفاوة جامعة فاروق الأول بالرئيس الجليل مصطفى النحاس باشا وبرجال حكومته في الحفلةِ الختامية لعامها الدراسي الأول يوم ٧ مايو سنة ١٩٤٢

اليـومُ يـومُ تحيـةٍ وفخـارِ ... تاهــت مــآثره علــى "الآثــارِ"
حفَـل الـزعيمُ وصـحبه بندائـه ... ونـــداؤه كـــالنور والنـــوّارِ
والنُّـور كـان ولم يـزل في قدسـه ... للعلـم خـير لغـى وخـير شـعارِ
فـاعتزّ مـن إعـزازهم لندائـه ... وازداد إكبــاراً علــى إكبــارِ

كل الجوارح شاخصاتٌ نحوه ... في متعةٍ وتأملٍ وحوارِ
ودعا إليه العبقريُّ أديبنا ... (طه)[1] بوثبة خالق جبّارِ
فاستلهم المتوثبون شعورَه ... وأضاف (للأيام)[2] يوم فخارِ
وأنابه خُلقُ الوزيرِ ومن ترى ... (كنجيب)[3] في الأسماع والأبصار
يتساندان جراءة ورجاحةً ... في دفع مظلمة ورفع عثارِ
ويؤرخ الإصلاح من تاريخه ... فحياته كنزٌ من الأسفارِ
لمَ لا وهذي نفحةٌ من جهده ... وضّاءةٌ بالحبّ والإيثارِ؟
شرفت بها (الإسكندرية) مثلما ... شرُفت بسيرة جدّها المغوارِ
ما كان يجمل بي التغني باسمه ... وأنا الأبيّ على رضى الأقدارِ
وهو الذي قد ظلَّ عمراً ثائراً ... وأنا الطليق بموكب الثوّارِ
لكنّ تأدية الحقوق أمانةٌ ... وكذا الأمانةُ شيمةُ الأحرارِ!

*****

يا (مصطفى) اليومَ تجمعنا المنى ... منظومةً في حبّك المختارِ
باهت بحبك أمةٌ لا عصبةٌ ... فسما بجامعةٍ سمو منارِ
ما أنت تعشقه يعيش ويعتلي ... ولو انّه ملقىً من الأحجارِ
فإذا وهبت لنا رعاية ماجدٍ ... فلنا ازدهاء الكوكب السيّارِ
ولنا ضمانُ الخالدين وما لنا ... عن غاية الإحسان من أعذارِ
أثني عليك ولا أطيل فإنما ... أغلى الثناء يصان في إضماري
من كان ينعم بالمحبة حولَه ... أغنته عن مدحٍ وعن إزهارِ
من كان يقرن بالنزادة فضله ... أبداً فما أسماه عن أوطارِ

---

1 الدكتور طه حسين بك.
2 كتاب (الأيام) للدكتور طه حسين بك.
3 احمد نجيب الهلالي باشا.

من كان يعطي الشعب من إيمانه ... لبّاه في بذل وفي أخطارِ
كم خضت أشتات المعاركَ هازئاً ... ورجعت لم يمسُّكَ نقعُ غبارِ
تطأ الحوادث والصعابَ وترتقي ... هامَ الزمان مكللاً بالغارِ
ومصارعُ الأهواء تجتاح الورى ... ولطالما نزحوا مع التيّارِ
ولكم بكينا من هوَوا بغرورهم ... وصمدتَ أنتَ ودست صرعى العارِ
يا طالما علّمتنا ما ينبغي ... للعالِمِ المتعلّم الصبّارِ
واليومُ مجلى بعض ما أسديته ... واليومُ يجتنى الشهدُ للمشتارِ
إن جئتُ أنشد للولاءِ تحيتي ... فهي الوفاء أطلّ من أشعاري!

(١٩٤٣)

الخائن الجبّار

رفع صاحب الديوان هذه الأبيات إلى زعيم مصر مصطفى النحاس باشا
الذي يضم حزبه التقدمي "الوفد المصري" العديد من الإقطاعيين
كسائر الأحزاب المصرية الرئيسية

إلى خليفة (سعدٍ) في مآثره ... وفي محبة (مصرَ) ملء خاطره
دعاء قلبٍ وفيٍ لا يغيّره ... بُعدٌ وقربٌ، فماضيه كحاضره
لا يشتهي غير إعزازٍ لأمتهِ ... وكلُّ فخرٍ لها معنى مفاخره
ما بالها أصبحت نهباً لكابرها ... وهو ابنها المتمادي في كبائره
من علّم الخائن الجبار[1] يُرهِقُها ... وأنتَ للشعب حامٍ من جبابره
حتّام تُذعِنُ للإقطاعِ صاغرةً ... ومثل أنيابه دامي أظافره؟
لا يستوي أن تغيث الشعب من خطر ... وأن تبيح عديداً من مخاطره
ولا المباهاة في فقرٍ وفي مرضٍ ... على الجهالة في إغلالِ أسره!

---

[1] أي الإقطاع.

(١٩٤٣)

فن الجحود

تعـودت عرفـان الجميـلِ ولا أرى
مبالغتي في الحمد تُصغِر من دَيْني

كأني استطبتُ الفضل للناسِ كلهم
عليَّ وإن عاشوا على الغدرِ والمَينِ

وكم فاخروا بالسيئات وأسرفوا
جحوداً، وهاموا بالنكاية والغَبنِ

أحاول تعظيمَ الأيادي التي لهُمْ
وأصْغِرُ من فضلي عليهم وأستغني

كأن شعوري أن أراهم أكارماً،
وإن عجزوا، حظٌّ تمثَّل في عيني

فلم أرَ منهم غير إصغار نخوتي
وجازوا سموّي بالتحامل والمنِّ

لدن قدّسوا من سامهم كل نكبةٍ
ومَن بادلَ الإحسان بالكيدِ والطعنِ

كذلك حال الناس في كلّ بيئةٍ
وقد حسبوا أن الجحود من الفنّ!

(١٩٤٤)

حواء تندم!

جَثَتْ تُلهِمُ البحرَ أسرارها
ويلتهم البحر أنوارها

و(آدمْ) في قربها شاعرٌ
تناسى الجِنانَ وأنهارها

يغازلها لاعباً صاخباً
فيجني من اللهو أثمارها

ويقطف من أنسها للحياةِ
وتغنم من حبّهِ ثارها

وقد سقط الموج بعد الكلالِ
صريعاً فهيَّجَ تذكارها

وقد طاردته بناتُ البحارِ
فماتَ وفارقَ مِضْمارَها

ولم ترثه غير أهل الأشعة وهي تبدد أعمارها

فتسكبها في الحصى والرمالِ · وقد ذوّبت فوقها نارها

ويرجع مبعوثه للغرام · ويفنى متى نالَ أبكارها

وتبقى الرواية لا تنتهي · ولو أسدلَ الليلُ أستارها

وقد سبحت في المياه الصخور · عرائسُ تنشد أشعارها

فما بقيت برهة في مكانٍ · ولم تصحب الموج زوّارها

تراوغه وهي في رقْصِها · تمثّل للحبّ أدوارها

كأن (الطبيعة) لمّا انتشتْ · أفاضتْ على الكونِ أسرارها

وقد أسكرت كل ما حولها · فغنّى ومجّد خمّارها

فقبّل (آدمُ) حوّاءه · وألهم (حوّاء) أوطارَها

فقالت وقد ثمِلتْ من هوىً · كما عانقت باسمه جارها:

"ندمتُ وما ندمي للفراق · على جَنّةٍ جِزْتُ أسوارها

وأصبحت من بعدها حرّةً · وما حرّرت ثَمّ أطيارها

ولكن لأنيَ لم أجترئ · قديماً ونادمت أشجارها

فضيَّعتُ عمراً بها طائلاً · كأنيَ ساويْتُ أحجارها

وأين الجِنان – جِنان السماءِ · من الأرض تكرم من زارها؟!"

(١٩٤٤)

حوريات الماء

من وحي شاطئ استانلي برمل الإسكندرية

يا للهوى والغواني الساحليّاتِ · اللاعبات بلبّي المستحيّاتِ

الخاطراتِ أمامي في مغازلةٍ ... غنَّاءَ في طُرَفٍ للفنِّ أشتاتِ
عفن الملابس إلاّ ما تبوحُ لنا ... وسرن للفنّ آياتٍ وآياتِ
وللرشاقة لونٌ في تعثُّرها ... بل في تعثُّرها أحلى الرشاقاتِ
في موكبٍ من أمانٍ شبه ربَّات ... ومعرضٍ من معانٍ عبقرياتِ
تلقَّفَ الأدبُ المحروم مُتعتها ... نَبعَ الحياة لأنضاءٍ وأمواتِ
وأمعن النظر المشدوه محتسياً ... خمراً وناراً بلذَّات ولذاتِ
وتابعَ القلبُ دقاتٍ خَطَوْنَ بها ... دق النواقيس في مجلى العباداتِ
رفَّت أنوثتها في كل جارحةٍ ... ورفّ قلبي لها في طيّ آهاتي
لم تلفح الشمس هذا الجسم عابثةً ... إلاّ استحال إلى خمر وجنَّاتِ
وما تأمَّل لحظي في مفاتنها ... إلاّ وتاه سعيداً في ضلالاتي
يا نبعة الحسن واللون الرفيف به ... إن لم يخلد بأشعاري وآياتي
ولم يسجَّل بألحانٍ معطَّرةٍ ... من الحياة ولم يصقل بمرآتي
ولم أشمْه طويلاً في مناجاتي ... ولم أذقه شهيّاً من سلافاتي
ولم أطعّم ترانيمي بنفحته ... حتى أعيش بها في عمريَ الآتي
حتى أهيم كموج البحر منطلقاً ... وقد يزلُّ ولكن غير زلاّتي!

(١٩٤٤)

الأمواج

هدهدي بالهدير أيتها الأمواجُ قلباً إلى حماكِ اطمأنَّا
واسكبي الراحة الحبيبة فيه، أنتِ برءٌ لمثل قلبي المعنَّى
تغسلين الحصى، وتلك قلوبٌ بعثرت في الرمال حتى دُفنَّا

ثم جدَّدْتها نُشوراً وطهراً، ثم أشبعتها حناناً ولحنا
وأنا الخاسر الذي جاء يستجدي حياةً لديك هيهات تفنى
ما ترانيمك الشجية إلاّ ما تمنّى السلام لمّا تمنّى
تتجلّى كثورةٍ وهي أمنٌ، وأحبّ الثورات ما عاد أمنا
مهرجانٌ الضوءُ نشوانُ فيه وتغنّى الهوى به ما تغنّى
ما له مبدأ وليسَ انتهاءٌ لقلوبٍ تراه حسّاً ومعنى
كم رويت الغرام عن سالفِ الدهرِ وما زال ما تقصّين فنّا
وتمرين في ثوانٍ بأعمارٍ وتلقين بعد شيبك دفنا
وتَكرّين للصبى وتعودين بأسنى من الجمال وأسنى
ورتيبُ الحياة مهما يحاكي بعضُه بعضه تنوّع حسنا
هجرت مهجتي الحزينة دنيا كلُّ صفوٍ لها تقاضته دَينا
وانتهت حرةً إليكِ فما خاب لها مأملٌ ولم تلقَ مَيْنا
كلُّ ما قلته جميلٌ وصدقٌ لو أقمنا للصدقِ والحسنِ وزنا
ويحسبي أني أسيركِ كالضوء دَفوقُ الشعورِ أحيا وأغنى
حالم فيكِ لست أرضى لأحلامي بتفسير فيلسوفٍ تجنّى
أنا حيٌّ مستغرق في الهديرِ العذب لا يستعاض وحياً ولونا
وكأنّ الأرباب مثلي حَواليه أصاخوا وما اشتهوا عنه بينَا
فتمِلنا بما حكى واستعدنا، وحديثُ الأنام لغوٌ لدينا
وحياة الأرباب ليست تُعلّي ببيانِ الورى وليست تُدنّي!

(١٩٤٤)

معركة الحب

ولـي غـادة ألَّهتهـا الحيـاةُ ... وقـد أبـدعَ الحـبُّ تمثالهـا
حبيـتُ أقدِّسـها شـاعراً ... يغنِّـي بهـا ويغنِّـي لهـا
وينـأى وإن كـان في قربهـا ... كـأنَّ علـى النـأي إجلالهـا
يـداعبها وهـي إلهامـه ... ووحـي الروائـع إن قالهـا
وتغمـره بالرضـى تـارةً ... فيلقـى الجِنـانَ وسلسـالها
ولكنهـا حرَّمتهـا عليـهِ ... وإن حلّلـت دائمـا آلَهـا[1]
فينعم وهـو الكسـير الحـزين ... كـأنّ الحقـائق مـا خالهـا
فعـاش علـى الـوهم في نفسـه ... وهـدّأ بـالوهم بلبالهـا
وإن ضـاع في فنّـه مـا أضـاعت ... بحرمانـه العمـرَ آمالهـا!

*****

ويـوم أفـاء عليـه الشتـاءُ ... جمـالَ (الطبيعـة) فاستـألها
كـأنّ جميـع الفصـول استجابت ... نـداءً لـه ونـداءً لهـا
تـلألأت الشـمس في زَهوهـا ... بلاطفـت السـحبُ أطفالهـا[2]
وطنـت نسـائمه السـاحراتُ ... عـذارى تهدهـد أمثالهـا
فتـوقظ مـن زهـراتٍ نيـامٍ ... حِسـاناً تخيَّـرنَ سربالها
وتـرقص أعشـابها نشـوةً ... فتغتفـر الأرض إمحالهـا
وتـنعش حتـى الجمـاد النـؤوم ... فيزهـى ويعـرض إجمالهـا[3]
أجبـت (الطبيعـة) لمّـا دعـت ... وكانـت فتـاتيَ إقبالهـا

---

[1] آلها: سرابها.
[2] كناية عن أشعة الشمس.
[3] إجمالها: تجميلها.

حدَجْنــا إليهــا فلمــا مثّلنــا نســينا الحــروب وأهوالهــا
ولــو أن نفســي تعــاني الحــروبَ وكــم قطّــع الهــمّ أوصــالها
فينقــذها الفــنُّ بــالمعجزات وقــد أصــبح الفــنُّ مثّالهــا
يعالجهــا بــالهوى العبقــري ويرفــع بالســحر أحمالهــا
ويخلقهــا مــن جديــدٍ مــراراً ويــبني ويهــدم أطلالهــا
ويســعدها ببنــات الخيــالِ يحققــن في زورةٍ فالهــا
أطلنــا التأمــل والفلــكُ تجــري عــرائسَ تســحَبُ أذيالهــا[1]
ومــنْ حولنــا الغــنم الراتعــاتُ حــوى بالنــا مــا حــوى بالهــا
فلمــا رأيــت فتــاتي انتشــت وأصــبح حــالي إذن حالهــا
هويــتُ أعانقهــا شــاعراً وألثمهــا لــثم مــن نالهــا
ومــا الحســن إلاّ لأهــلِ الفنــونِ ومــا الحــبُّ إلاّ رســولاً لهــا!

(١٩٤٤)

قلبٌ لا يشيب

عــوّدتُ قلبــك يــا حبــيبي مــن أن يكــدَّر بالمشــيب
ذنــبي لــديك تلــهفي هــل ذاك ذنــبٌ يــا حبــيبي؟
مــا حــيلتي في قلــبيَ الــ ـظمآن للنبــع الحبيــب؟
تجــري الســنون ولم يــزل طفــلاً تنــزّه عــن مشــيب
يلــهو ويلعــب هائمــاً لكــن بــأحلام الأديــب

---

[1] من مشاهد ترعة المحمودية بجيرة الإسكندرية.

مـــن علّـــم القلـــب الصغيـــــر عبـادة الحســـن العجيـــب؟
وتبـــــتلاً كتبتُّـــــل الـــــــصوفيِّ ذاب علـــى الصـــليب؟
مَـ ــــرآك جنّتـــــه رصـــــو تـــــك لا حـــــنين العنـــدليب
أوَ لم تشـــــاهد حلمــــــه في يقظــــــةٍ كالمســـــتريب؟
يخشـــــى بُعـــادك حاســـــباً دقّـــــات قلبـــك في وجيـــب
مـــــتهللاً لـــــكَ، لا يمـــــلُّ مـــــن التطلـــــع كالغريـــب
يرنـــــو إليـــك بـــــروح منـــــدمج بروحـــك يـــا حبيبي
ويتمـــــتم الصـــــلوات كالـــــنائي بمجلســـك القريـــب
في كـــــل توديـــــع عـــــذا بٌ، بـــــل فنـــاءٌ في لهيـــب
مهمـــــا تجلـــــد موهمـــــاً أنّ الشـــروق مـــن المغيـــب
لـــــو تنصـــــف الأربـــابُ لم تتركــــه للوجـــد الرهيـــب
وهـــو الـــــذي خلقتـــــه رو حُ الفـــنِّ للفـــنِ الأريـــب
خلقتـــــه مـــــن نـــــورٍ ومـــــن شـــدوٍ ومـــن زهـــرٍ وطيـــب
أنـــــت المحاسَـــــبُ عنـــــه إن لجـــأ الغـــرامُ إلى حســـيب!

(١٩٤٤)

قبلة أعوام!

هـــذا حنـــيني إليـــكِ جمعْتـــه مـــن ســـنينْ
هـــل تخـــذلين لـــديكِ عزيـــزَ هـــذا الحـــنين؟
أهـــواكِ أهـــواك حتـــى أصـــبحتُ أخشـــى اللقـــاء

وبــات شِـعريَ صَـمتاً　　　وبــات صَـمتي دعــاء
أهــواك مــن كـل قلـبي　　　ومــن جــوارح نفســي
ومـــا ابتهلــتُ لربّــي　　　إلاّ تملّكـــت حسّـــي
وكنــت غايــة نعمــى　　　تألقــتِ في خيــالي
فمـــن أحبــك يومـــاً　　　لم يــرضَ غـير المحــالِ!

*****

يـا فــرحتي في شـجوني　　　ونعمـــتي في همـــومي
ونشـــوتي في جنـــوني　　　وجـــنّتي في جحيمـــي!
كـم يسـأم النـاس حسـناً　　　متـــى رعـــاهم بعطــف
وقـــد عبـــدتك فنّـــاً　　　فصـــار هجــرك حتفــي!
مـــا لــي ومـــا للأنـــام　　　وهـــم بخُلـــقِ العبيـــدْ
يـا مَـن خَلقــتِ غرامــي　　　فمـــا لـــه مـــن مبيـــد
وكلمـــا مـــرّ عـــامٌ　　　نمـــا غرامـــي شـــبابا
ولـــو حـــواني ظـــلامٌ　　　وخـــان غـــيري وشـــابا
هـــذا وصـــالك أحيـــا　　　مـــوتى الأمـــاني الضـحيّه
خلقـــت بالحـــب دنيـــا　　　للســـحرِ والعبقريّـــه
أســـائل (الحـــظ) عمّـــا　　　أباحـــه مـــن جناهـــا
وهـــل ســـأعرف يومـــا　　　كمـا - اشـتهيت - مـداها؟
فيضـــحك (الحـــظّ) لهـــواً　　　ولا يحـــير جوابـــا
أكـــان ذلـــك ســـهواً　　　أم عـــدّ حـــبيَ عابـــا؟
أســـائل (الحـــظّ) حتـــى　　　يـــبرّ بـــي أو يلـــين
حتـــى أجـــاب وأفتـــى　　　أنـــي مـــن الملـــهمين

وقال: دونك وعدي | أنجزته فتقدّم!
لم التساؤل عندي | وأنت بالحبِ أعلم؟!
هذا الجمال وفيٌّ | وأنت تشكو الطواف
فما الأبيُّ أبيٌّ | إلاّ على من يخاف!

*****

ومذ أجازت هُيامي | بنفحةٍ من وفاء
جعلت لثمي كلامي | فلم يمت في الهواء!
فحاسبتني عسيراً | لكن حساب الكريم
وبادلتني شعوراً | من الحنان المقيم
قبَّلتها وكأنّي | رشفت عمراً جديدا
ونلت مجداً لفنّي | وحزت كنزاً فريدا
قبَّلتها وهي سكرى | بنشوتي في يديَّ
وكان لثميَ سكرا | بدا على وجنتيَّ
لثمتها وهي ظمأى | مثلي، وتخفي الظماء
وما ارتويت لأنأى | لو كان يجدي ارتواء
تنفست عن عبيرٍ | عبير زهرٍ أسير
واستسلمت في كثيرٍ | من الدلالِ الكسير
وأغمضت دون عيني | لحظاً رفيق النعاس
هيهات تسديد ديني | لو أن ديني يقاس!
يا للشفاه اللواتي | نبضن بالحب شعرا
وهبتهنَّ حياتي | رشفاً أسيراً وحرًّا
ووسّدت في ذراعي | رأساً زها بالجمال

فكيـــف كيـــف امتنـــاعي عـــن السـلاف الحَـــلال؟!

(١٩٤٤)

أنانية الجمال

الصـبـا والجمــالُ يجتمعــانِ في محيّــاكِ روعـــةً للبيـــانِ
أتمــلاكِ ســاهماً شــارد اللــبِّ بــروحِ الصُّــوفيِ والفنــانِ
وأرى لــذتي بقربــك حرمــا ني، وبعض اللذات في الحرمان
وكــأنّ العــذاب أشـهى جـزاءً للمحــبِّ الــوفيّ والمتفــاني!

*****

إيــه يــا مــن لهــا غرامــيَ مهمــا يخلق الدهر أو تمُت بي الأماني
أنــت روحــي، وأيّ ذنــب لروحــي إن تناهــت بعــالم روحــاني
أنــت سـيّان في كيانــك جسـماً وشــعوراً مصــوَّراً لافتتــاني
وشــعور الفنــانِ دون حــدودٍ فعــلام القيــودُ في ميــداني؟
إن تمنَّعــتِ أيّ صــبٍ هــو الأحــ ــرى بحســنٍ منــوَّعِ الألــوانِ؟
وصــلاة الفنــان مــلءُ احتضــانِ الحســن لا في الصــدودِ والإمتهــانِ
كم معانٍ يوحي بِها الوصل للشا عرِ عزّت من قبل، بل كم أغاني!
إن تناءيــت أو تأبَّيــتِ ضيَّعــ ــتِ على الفنّ فنّ صبٍ يعاني
ليس شِعر الحرمان مهما تسامى مثــل شــعر التجــاوب الفتَّــانِ
والجمــال الــذي يقــدّس لا ينــ ــسى حقوق العبَّاد في كل آنِ!

*****

إلفــك العمــر يــا مــلاذي وإلهــا مــي ويــا مَــن غرامهــا ديــواني

كم أُضَحّي معذَّباً، كم تسرّيـ ـن، وكم تستطاب لي نيراني

لو قدَرتِ الذي أكنُّ من الحبّ لكنت ارتضيت ما أرضاني

إنما أنت في سمائك والربّات فوق الورى وفوق الزمانِ

لا تبالين إن تُضحّي قليلاً لحياة الورود والريحانِ

عذركِ الجمُّ أن صفوكِ شيءٌ غير صفوي، وشأنه غير شاني

لغةٌ عذبةُ الطفولة تنسى كل شيءٍ سوى رضاها الأناني

فاعذريني إذا لجأت إلى (الأر ضِ) وبادلتها وفياً حناني

شاكياً منكِ، سائلاً طبّها الشا في، وأين الشفاءُ للولهانِ؟!

(١٩٤٤)

غرام وانتقام

رثاء أسمهان

أيندثر الفنُّ!؟ يا للقدَر ويُجنى على الحسن حتى الحذر!؟

ويغرق في اليمِّ هذا الضياءُ وكم طافَ بالكونِ حتى عثر!

وكنّا نخاف حنينَ القلوبِ إليه، ونخشى وثوبَ النظر

كأنَّ الحياة التي ألّهتهُ أبت أن يشام بغير الصور

كأنّ الغناء الهوى والشباب وقد مثّلا سرّه المدّخر

فحيناً نكيفه باللحون وحيناً نكيفه بالشرر

فكيف تبدد؟! يا للممات يضيع الكنوز ويبقي الحفر!

*****

مُلقِّنةَ الفنّ أحلامه وتمثاله الرائع المبتكرْ!

وشـــادية بـــارقٌ الحنـــانِ وعـــذب البيـــان لحســـنٍ نفـــر!
وعـــاطرةً بـــأريجِ الغـــرامِ تمثّلـــها (الأرز) لمّـــا عطـــرْ!
وخـــاطرةً تشـــرئبُّ القلـــوبُ إليهـــا، ويصـــغي إليهـــا الـــوترْ!
يفـيض الـدلالُ عليهـا الجمـالَ أفـانين يهفـو إليهـا الزهـرْ
وينـتظم الحسـن مـا يشـتهيه خيـال المنـى ونعـيم البشـرْ
كـأنّ (الطبيعـة) منهـا استمدت بهـاء الفصـول ونـور البصـرْ
فمنهـا نضـارة شـدو الربيـع ومنهـا حـرارة صـيف خطـرْ
ومنهـا شـذوذُ الخريـف الشريدِ ينـوح ويضـحك بـين الشجرْ
ومنهـا جـواهر ثلـجِ الشـتاءِ ولهـو الريـاح ولحـن المطـرْ
فكيـف بَرِمْـتِ بهـا في الدبـورِ؟ وكيـف يكـون النعـيم الضجرْ؟
مفـاتن لم يمتلكهـا جمـالٌ سـواك، فلمـا احتواهـا اندثر
كـأن مواهبـك الرائعـاتِ بإعجازهـا تتحـدّى القـدرْ
كأنـك أنـتِ الـتي نشّـأتها ولم تتجـاوز حـدود الصِـغَرْ
فكيـف إذا حالفتهـا الحظـوظ وفـاض الغـدير وعـمّ الثمـرْ
ولم تبتـدرها عـوادي الزمـان فيطـوى الكتـاب ويُنهـى السـفرْ
فوالهفـة الفـنّ مـات العـزاءُ! ويـا لوعـة الحـبّ، مـات القمـرْ!

(١٩٤٥)

رثاء أحمد محرّم

وجّهه صاحب الديوان إلى عميد الشعر العربي خليل مطران بك

لم يبق في الناس من خيرٍ ومن أدبٍ ... فمن أعزّي إذن في شاعر العربِ؟
ومــن أرجّــي مثـيلاً في مناقبـه ... سوى (خليل) عميد الشعر والأدبِ؟
حفظتما اللغة الفصحى كصونكما ... مكارمَ الخُلقِ عن عاتٍ ومغتصبِ
وكنتمـا فرقَـديْ فـنٍّ وفلسـفةٍ ... علـى وشـائجَ لم تـوهَن ولم تغبِ
إن قطـع المـوت أسـباباً مؤصلةً ... فأنت واصل ما قد بتَّ من سببِ
لـك العـزاء أمـير الشـعر، سـيده ... يا عارف الفضل من دانٍ ومغتربِ
في الشاعر الفحل يستعلي الخميس به ... في نشوة النصر فوق الجحفل اللجبِ
المرسل الصيحةِ الكبرى مدويةً ... والمنقذ الحقَّ في شِعر من اللهبِ
جـمّ الإبـاء تـراه في تواضـعهِ ... كالشمس دانت وما دانت لمقتربِ
من يستهين بها يلقى خصاصته ... ومن يدين بها يغنى عن الذهبِ
ضـخم المروءة لم تقعـد نحافتـه ... بـه ولا جسمه الواهي عن السببِ
في كـل يـومٍ أياديـه مـردّدةٌ ... ولـو تقاصر عن جاه وعن نشبِ
وكـل حـينٍ لـه شـعر تتيـه بـه ... محافل الأدب العالي من الطربِ
فللحماسـة آيـاتٌ مغلّبـةٌ ... في ثورة الحق لا في سورة الغضبِ
وللروائـع في تـاريخ نهضـتنا ... ما صاغ من عجب أو ردَّ من صخبِ
وللتغـزل مـا جـادت أناملـه ... حتى استعاد (أبوللو) عصره الذهبي
وللتفلسـف في تحليـل مهجتـه ... خوالـد رنَّحـت أعطـاف مكتئبِ
يتلـو بدائعـه الـراوون في جذلٍ ... وينعمـونَ بمـا أسـدته للحقبِ
كأنمـا كـل بيـتٍ جـاء يـورثهم ... كنزاً من الدر أو فخراً من الحسبِ!

أمثــل هــذا يعفًــى ذكــره كســلاً	عن واجبٍ، أو يوفّى جد مقتضبِ
والشــهبُ تســقط أشــجاناً محرّقــةً	من النجوم ويَشجى بارق السحبِ؟
إن جــاز نســيانُ مــن لله نســبته	ومــن يمــدّ جمــال الكــون بالطُّنبِ
فــأيُّ معنـــى لـــدنيانا وزخرفهـــا	وللحقيقــة إن عــدّت مــن الكــذبِ؟

(١٩٤٦)

رثاء زوجتي

مـــاذا تفيـــدك لـــوعتي وبكـــائي؟	هـــذا فنـــاؤك مـــؤذن بفنـــائي!
أســديت عمــرك للحيــاة فمــا وفــت	ومضـــيت للأبـــرار والشـــهداءِ
لهفــي عليــكِ وقــد أتيــتُ مودّعــاً	فبكيــت فــوق جبينــك الوضّـــاءِ
زاد الممـــات جمالـــه وتنـــاثرت	مـــني الـــدموع عليــك كالأنـــداءِ
كانــت حشاشــتيَ المذابــة حرقــةً	وبقيـــة المكنـــوز مـــن نعمـــائي
فتـ نّحــت بفجــيعتي، وتضــوّعت	بســـريرتي، وتـــلألأت بوفـــائي
وروت محيّــاً كــان جنّــة نعمــتي	ومــلاذ تفكــيري ووحــي ذكــائي
وطرحـــتِ آلام الحيـــاة عزيـــزة	فبــدوتِ بــين سماحــةٍ وصــفاءِ
وأقبّــلُ الوجــهِ الحبيــبَ، وطالمــا	أودعـــتُ فيـــه صـــبابتي ورجـــائي
شمــل الســلامُ هــدوءَه، وتبــددتْ	غــيرُ الســنين، وزال بــرح الــداءِ
وأكــاد أنســى للممــات خشــوعه	لّمــا نســيت تجلــدي ومضــائي
كــم كنــت أعلــق بالخيــال توهُّمــاً	وأرى الشــفاء ولات حــين شــفاءِ
ويغـــالط القـــدرَ العـــتيَّ تفـــاؤلي	وأنـــا الخصـــيم لخدعـــةٍ وريـــاءِ
آبـ ـى اعترافـــاً بالمـ ـات كـــأنني	لّمـــا بكيتـــك قـــد أضـــلّ بكـــائي

أو أن هــذا المــوت حــقٌ ثابــتٌ ... إلاّ علــى الأحبــاب والخلصــاءِ

أو أن عيشــي أن أراكِ بجــانبي ... مهمــا هزلــتُ فــلا يهــدّ بنــائي

أعتــاض باللمحــات عــن أغنيــةٍ ... وعــن الحــديث العــذبِ بالإيمــاءِ

وأعــدّ أنفاســا وهبــتِ ذخيرتــي ... وحفيــف ألفــاظ همســت رخــائي

وأمــوّه الألم الــدفين وأتّقــي ... عِلمــاً بــه، وأصــدّه بغبــائي

وأكــاد أقســو في مجانبــةٍ لــه ... أو لــيس جســمك رمــز كــلّ نقــاءِ؟

متنزهــاً عــن كــل مــا شــان الــورى ... مترفعــاً عــن علّــةٍ وعفــاءِ

حتــى صــدمتُ، ولا كصــدمة شــاهق ... مــتحطمٍ بصــخوره الصــمّاءِ

فجُننتُ من حزنــي وعِفتُ حصافتــي ... ودفنــتُ كــلَّ رجــاحتي العميــاءِ!

*****

لهفــي عليــكِ زميلتــي في رحلتــي ... وشــريكتي في الصَّــفو والضــرّاءِ

لم أرضَ غــيري أن يســير مشــيّعاً ... أو أن تــوزّع حــرقتي وعنــائي

وكتمــت نعيــك، كــم أضــنُّ بــذكره ... وأحوطــه بنُهــايَ واســتيحائي

لبَّيــت رغبتــك الزكيــة دائمــاً ... ووعيتهــا نــبلاً ولطــف حيــاءِ

وجعلــتُ مأتمــك الرهيــبَ عــواطفي ... وبخلــتُ بالتنويــه والإفضــاءِ

حتــى تفجّــر بــي الأنــين ملاحمــاً ... وجــرى النظــيم بــأدمعي ودمــائي

مــا كنــت أحســب أن يومــك ســابقي ... أو أنَّ أيــام الحيــاة ورائــي

كنّــا نهيّــئ للرحيــل[1] متاعنــا ... وننســق الآمــال غــير بطــاءِ

ونهيــب بالــدنيا لتشــهد حظّنــا ... ونهــشّ للأيــام والأنبــاءِ

ونــردُّ عاديــة الأنــام تســامحاً ... مســتغفرين لجاحِــدٍ ومُرائــي

متســابقين لــنملأ الــدنيا ســنى ... بالحــبِ والإيثــارِ والإيحــاءِ

---

[1] الهجرة إلى أمريكا.

فـإذا رحيلـك للنـوى، ووداعنـا … للحـظ، والبـاقي الكليـم ذمـائي
غدَرتْ بـيَ الـدنيا، كـأني لم أصـغ … فيهـا الثنـاء، فمـا أفـاد ثنـائي
ووهبتهـا – كرمـاً – عزيـزَ مـواهبي … فجنـتْ علـيَّ شـهامتي وعطـائي
اليـوم أدرك أيَّ عـبء فـادحٍ … عـني رفعـت ومـا مـدى أعبـائي
كـم كنـت أحلـم بالهنـاءة والرضـى … لـكِ في نهايـة عمـرك المتنـائي
وأودّ مـن قلـبي بقـاءك بعـد مـا … أفنـى وأحسـب في هـواك بقـائي
وأعـدّ عمـرك وحـده عمـري ومـا … أرضـى سـواك مـن الحياة جزائـي
فتنـاثر الحلـم الجميـل وأقفـرت … دنيـاي مـن حلـمٍ ومـن أضـواءِ
وبقيـت وحـدي لا عـزاء أرومـه … والـذكريات تزيـد مـن برحـائي
يـا طالمـا ناجيتهـا في نشـوتي … واليـوم قـد أصـبحن مـن أعـدائي
مـا نعمـتي فيهـا وأنـت هـي الـتي … جعلـت بصـحبتها الأسـى نعمـائي؟

*****

يـا مـن فتنـتِ بكـل مـا هـو رائـعٌ … وخلقـتِ ألـوان الجمـال إزائـي
ورسمـتِ لـي دنيـا منوّعـة الشـذى … قدسـيَّة الألحـانِ والأصـداءِ
وبثثـت بـي حـب (الطبيعـة) فاغتـدت … أمّـي، أضـعت عزاءهـا وعزائـي
يـا مـن غنـاؤك شـدوها وحنينهـا … وصـداه في قلـبي الشـجيّ غنـائي
لمّـا سـكتِّ تقـاطرت عبراتهـا … واستسـلمت للّوعـة الخرسـاء
ومضـى الربيـع مـع الشتاء فلـم أجـد … إلاّ مظـاهر وحشـةٍ وخـلاءِ
تبكيـك أخلـص مـن وفـت لروائهـا … وتصـوَّفت بمروجهـا الغنـاءِ
ورأتْ بهـا الخـير اللبـاب فمـا شـكت … منهـا وناجتهـا أرقَّ نجـاءِ
وتناولـتْ ألـقَ النجـومِ فأترعـت … منـه رنـان الحـبِّ للشـعراءِ
كـم ألهمـتني مـن عيونـك صـورةً … جمعـت أحـب عواطـفٍ ومرائـي

وتبسّمٌ تتبسمُ الدنيا له — ويغيب عن معنى وعن خيلاءِ
ورشاقةٌ معسولةٌ ملحونةٌ — كقصيدةٍ خلابةٍ عصماءِ
كم كنت أهتف بالنشيدِ ولم يكن — إلاّ خطوطَ جمالك الوضّاءِ
تجري اليراعةُ في يدي مزهوّةً — بتغزّلي ويهزّني إملائي
مترنماً بالحب بين ولائمٍ — للزهر والأمواه والأضواءِ
وإخال في دعة المروج جِناننا — وأشيم في ألقِ الغدير سمائي
أيامَ كنّا والشبيبة والهوى — حُلفاء في أمنٍ من الغُرَماءِ
أيام كنا نستعيد ثراءنا — قُبلاً، ونضحك من غنى وثراءِ
أيام كنّا الحاكمين بأمرنا — الساكنينَ منازلَ الجوزاءِ
أيّام كنا ذاهلينَ عن الردى — نجري ونمرحُ في الربى الفيحاءِ
ونخوض موج البحر ملءَ دعابة — متعانقين على هدير الماءِ
متحمسينَ كأنما خمرُ الصبا — خمرُ الألوهة من أعزّ سماءِ
متلمسين بكل شيءٍ لذةً — ومطوّعين المستحيل النائي
وإذا غضبنا عاد حبُّك غافراً — وتعثرت شكواكِ عند ندائي
وفرحت بي فرَح الحبيب بإلفِهِ — قد عاد بعد مَخاطرٍ هوجاءِ
عشنا السنين كأنها أنشودةٌ — علويةٌ جلّت عن الضوضاءِ
متجددين، وإذا فقدتك لم يكن — فقدي لغير فتاتيَ الهيفاءِ
من رَامها أهل الفنون نموذجاً — للمبدعين ومن لها أهوائي
مَن صوتها الحلو الشجيُّ سلافتي — وحنانها العذب السخيُّ دوائي
مَن لم تدعْ غير البشاشة وحدها — تفشي خواطرها لنقد الرائي
مَن أشربت حبَّ الدعابة سمحةً — واستضحكت لمصاعب الأشياءِ
مَن لم تر الدنيا سوى تغريدةٍ — فأبت هواجسها أشد إباءِ

مَن لم تردد غير آمال الصبا ... لتردني لطلاقتي ورضائي
مَن عشتُ أفديها بكل جوارحي ... فإذا الفداء يهون و هي فدائي
مَن علمتني أن أقدس واجبي ... مهما شقيت فأستطيب شقائي
مَن لم تودّع في السقام وفاءها ... للناس حين مضوا بكل وفاءِ
مَن لم تفارقها الشجاعة مرةً ... حتى الممات، شجاعة العظماءِ
فمضت وخلّتني وحيداً عابراً ... قفر الحياة أنوءُ بالأنواءِ
هيمان، قربك وحده مستنفذي ... ظمآن، ليس سواك ريَّ ظمائي
أقتات بالحزن المبرّح راضياً ... وأعاف كلّ ملاحةٍ وسناء
وأضعت فنّي بعد موتك في الأسى ... وكأنما صورُ الجمال بلائي
مَن طالما ناجيتها متغزلاً ... غرداً، فمات بهاؤها وبهائي
كانت لروحي منك أنس مُدامة ... ومجال أشواقٍ ونبعَ صفاءِ
ومثلتِ أنت بكلِّ ما أحببتُه ... فالآن أين تهافتي ونجائي؟
أين ابتسامتك الشذيّة بالمُنى ... والنور حين أهيم في الظلماءِ؟
أين ابتداعك للحديث تفنُّناً ... وتسلسلاً يغني عن الندماءِ؟
أين اغتباطك بالمروءة والندى ... والعطف والغفران والإسداءِ؟
قُبرت كما غاب النهارُ أشعّةً ... وكأنما أشلاؤها أشلائي
وتُركت في دنيا القساوة والأذى ... متهالكاً أمشي على الرمضاءِ!

*****

قالو تبصَّر! إنّ حولك رفقةً ... منها، وحسبك صفوةُ الأبناءِ
ورثوا مكارم خُلقِها وسِماتها ... إرثاً تدلُّ به على الآباءِ!
يا ليتهم عرفوا شمول عواطفي ... ووفاء وجداني وصدق ولائي
شيمٌ شقيت بها، وما عفّ الورى ... فأثارهم شَممي وفرط إِبائي

وبقيت أسخر من جراحي هازئاً بفواجـــــــــعِ الآلام والأرزاءِ
مستلهماً مـن لم تـدعني مـرّةً في الحادثـاتِ أضيق بالأحياءِ
فـالآن بعـد ذهابهـا ومصـابها لم يغنني شممـي ولا استعلائي!

*****

تمضي الحوادث والسنونُ وتنقضي أمـمٌ علـى أمـمٍ صباحَ مساءِ
ويظـل قلبي هـيكلاً لـك خالـداً أبـداً يرتّـل لـوعتي ورثـائي!

(١٩٤٦)

وداع مصر

كتاب من أستاذي خليل مطران بك

القاهرة في ٧ مارس ١٩٤٦

عزيزي نابغة العلم والأدب الدكتور احمد زكي ابو شادي

بعد التحيات الوالدية والأشواق القلبية

تلقيت كتابك وقد سررت به كما أسر بكل ما يجيء منك

غير انني أسفت أسفا شديدا للظروف التي حرمتني ان ازورك في

القاهرة وأرجو ان ييسر لي زيارة الإسكندرية قبل ١١ ابريل الآتي

ولا يحول شيء بيننا هذه المرة قبل سفرك بالسلامة الى نيويورك وأتمنى

على الله ان تطول رحلتك الأمريكية وان تكون ثمرات هذا المجهود

الجديد لك خيرا وبركة لك ولأولادك التي تفتخر بهم ولمحبيك

والمعجبين بك وهم كثر

وفي الختام اقبلك شوقا وادعو الله ان يحفظك ويحفظ

اولادك في نعمة وصحة موفورة

المخلص

خليل مطران

وداع مصر

أهديت إلى أستاذي خليل مطران بك – ١٤ إبريل سنة ١٩٤٦

أودّع (النيل) فيِ توديع شاعره وقد أودّع نفسي في مشاعره
وما أقبَل طرساً[1] جاء يغمرني بالحبّ إلاّ وقلبي في خواطره
ولا أفارق أستاذاً تعهَّدني كما أفارق كنزاً من جواهره
ولا أباعد أوطاناً أقدّسها إلاّ وروحي رهينٌ عند شاعره
تباً لدنيا تديم الحُر مغترباً فيها، وأخرى تناءت عن سرائره
لامَ العذول، وما أقسى ملامته ولن ألوم عذولاً في دياجره
حسبي رضاؤك عن خلقي وعن أدبي وصدق عهدي بماضيه وحاضره
لن يعرف المرء إلاّ من أرومتهِ وليس يعرف تبر من ظواهره!

*****

(مطران) يا من أناديه بلا صفةٍ ففي اسمه كلُّ ما يغني كخاطرهِ
هذا نشيدي بلا وزنٍ وقافيةٍ وإن تسَلْسَلَ ألحاناً لآسره
أزجيه آخر ما أزجي[2] ويدفعني حبٌّ كحبك، مشدوهاً كحائره
إن حال سُقمك في يومِ شجيتُ به دون الوداع فسُقمي غير ظاهرهِ
هل عودة أم تناءٍ لا حدود له فغربة المرءِ أنأى من معابرهِ
وغربة الفكر في دار يمجّدها أقسى على الحرّ من فقدان ناظره
وهل أراك بيوم مسعد نضرٍ مضمّخ بزكيٍ من مجامره
تحرّرت فيه أذهانٌ مكبلةٌ وحطّم الشعبُ فيه عجل قاهره؟
لعلّ بضعة أعوامٍ سأرقبها تحالف الحظّ في تجديد زاهره

---

[1] كتاب خليل مطران بك إلى الشاعر بتاريخ ٣٠ مارس سنة ١٩٤٦.
[2] آخرة قصائد الشاعر قبل مبارحته مصر.

وعلّـــني حينمـــا ألقـــاك ثانيـــةً أراك باعــثَ شــعبٍ مــن مقــابرهِ!

*****

هل يعلم البحر من أفدي ومن خلقت حشاشــتي كمثــالٍ مــن مــآثرهِ؟
الملـهم الجيـل بعـد الجيـل ملحمـةً مـن السـموّ تجلّـت مـن شـعائرهِ
والواهــب العمــر للفنّــان ينزلــه منــازل الخلـد في أسمــى منــابره
إن كان يعلـم فليصـمت على ظمئي ولا يــراود فــؤادي مــن مزاهــرهِ
وليتَّـق الحـبّ في روحـي وفي مُثُلـي فمــا أبــالي الغــوالي مــن جزائـره
رقصـن في السـحَر الموهـوب أخيلـةً والبحــر يهــدر تحنانــاً نُســاحره
مــن خلَّـد المـوج آيــات مجـددةً وجــدد البحــر إعجــازاً لزائـره
أو لا، فمــا هــو بــالإغراء يجـذبني إلى الضــلال تهـادى في عســاكرهِ
ولـن أبـدّل مـن عزمـي وإن شـقيت نفسـي بمنفـاي في أقسـى مخـاطره
وكيـف تشـقى بـدنيا غـير صـاغرةٍ لم تقبـل الظلـم في شـتى مظـاهره؟
إن طـالبتني بجهـدٍ فـوق محتملـي بـذلت عمـري عزيـزاً عـن صـغائره
هــذا شــعوريَ والتوديــع أرقبــه كـأنمــــا أنــــا مولـــود بـــآخرهِ!

*****

يا (مصر) إن أنس لا أنس الهوى ثمِلاً علـى ضِـفافِك في شـتى عناصـره
رضـعتُ فيك حنـاني للجمـال، كمـا ركعــت فيــك لســاميه وطــاهره
لألبـــثنَّ وفيـــاً لا يغــــيره عـادي الخطـوب، أبيَّـاً في ضمـائره
لــئن أميــت كفــاحي في منابتــه فسـوف يحيـا كفـاحي في مهـاجره!

(١٩٤٦)

استقبال أمريكا

٢٨ أبريل سنة ١٩٤٦

أماناً أيها الوطن السعيدُ ... لقد دُفن َالردى ومضى الوعيدُ
فأمسي مأتمٌ لفراق أهلي ... ويومي الحُرّ في نجواك عيدُ
عرفتُك َملجأ الأحرارِ دوماً ... إذا ما حورب الحُرُّ الشريدُ
أقبّل تربك المعبود براً ... وألثم رايةً لكَ لا تبيدُ
ولو أني المخلّف في بلادي ... معالمُ حبُّها باقٍ أكيدُ
ولو أنّ الرجال بها استرقُّوا ... وفيك تحرّر السودُ العبيدُ
تضيّع مجدها الأسمى رياءً ... ومجدك دائماً حال وطيدُ
أردنا أن نقوّمها فأبت ... وعوقبنا، وصال المستفيدُ
وضحَّينا لعزتها فآذت ... كرامتنا، وبشّ لها الحسودُ
وعاث بها الدخيلُ فبجّلته ... وفدَّاها ابنها وهو الطريدُ
يحال العلم جهلاً في رباها ... وللظلاّمِ قد زفّ القصيدُ
وللتهريج سلطانٌ يرجَّى ... وللطاغوت يُستبقَ السجودُ
وأيسر من وداعتها اتّهامٌ ... يخصّ بشرّه البطل المجيدُ
إذا استشرى الفساد فكل خير ... يذمُّ، وكلُّ مذمومٍ حميدُ
لجأتُ إليكَ يا وطناً تغنَّى ... به الأحرارُ واعتزّ النشيدُ
فإنكَ منبري الحرُّ المرجَّى ... وبدء نهاي، بل عمرٌ جديدُ

(١٩٤٦)

هكذا حدث....

رثاء نسيب عريضه

ألقي في حفلة تأبينه بنزل تاورز في بروكلن مساء ١٥ مايو سنة ١٩٤٦

ما كان عمرك موهوباً لإنسانِ ولا لإحساسِ هذا العالم الفاني

ولا لأرضٍ وأوطانٍ حننتَ لها فالعبقرية لم تخلق لأوطانِ

والشاعرية لم تقصر منازلها على الحياة ولو من رسم فنَّانِ

بل كان عمركَ آياتٍ هتفتَ بها ولم تفسَّر بإنجيل وقرآنِ

ولم تكيَّف بأوصافٍ ننمقها ولم تقدّر بمقياسٍ وميزانِ

ولم تخصص، فحتى أنت كنت بها في نشوةٍ، بين مشدوهٍ وحيرانِ

ملء الزمان تناجينا وتسعدنا وتحمل النور ميراثاً لأزمانِ

وتبعث الوحي فينا وهو ينقلنا إلى عوالم من حسن وإحسانِ

تُشامُ بالروحِ أطيافاً وأخيلةً علويَّةً، وجناناً دون جنَّانِ

أكنَّ من صنعك الفنّان أم نشأت عن معجزات سمت عن خلق إنسانِ؟

لعل في مقبل الأجيال عارفها إن فات تعريفها روحي ووجداني!

*****

يا شاعر الهمسات الساميات بنا المبدعات لنا قدسيّ ألحانِ

كأنها صلواتٌ لا حدود لها يغنى الوجود بها من قلبك ألحاني

جمُّ التواضع، جمُّ العلمِ يسعده أن لا يميَّز في مدحٍ وشكرانِ

وليس يبخس إلاّ نفسه أدباً كأنّ أخلاقه أخلاقُ ديَّانِ

وليس يعرف غير الحب منقبةً ويحسب الزهو من أوزار شيطانِ

يحنو على الشعب في البلوى ويسعفه ويستثير شعور الغافل الواني

ويرفض الضيم حتى لو أتى ملك به، وكان رسالاتٍ لأديانِ

يـا حامـل العـبءِ في إيقـاظ أمَّتـه ... حملـت عبـئين بـل رزءيـن في آنِ
مـا بـزَّ آثـارك الغـراء مبتـدعٌ ... ولا بنـى فـوق مـا أعليتـه بـاني!

*****

تركتُ (مصرَ) وقلبي ذائبٌ حَرَقاً ... وجئـتُ أطفـئ لوعـاتي ونيرانـي
وكنت جانبت أطياف الربيـع بهـا ... وقلت حسبي بكم جنات (لبنان)
ومـذ وفـدتُ رأيـت الرَبـعَ مكتئبـاً ... كـأن أحزانـه مـن لـون أحزانـي
فـلا الجمـال قريـرٌ في مباهجـهِ ... ولا النسـيبُ علـى روضٍ وأفنـان
كـأنّ (آذار) عـاداه وباعـده ... ومـا رأت عينـه أفـراح (نيسـانِ)
مـا للبشاشـة قـد ماتـت بنضـرته ... وللأزاهـر مـا هشَّـت لبسـتاني؟
وللجداول قـد غصَّـت بحسـرتنا ... كأنهـا لم تكـن راحـاً لريحـانِ؟
وللنسـيم قتـيلاً بعـد عاصـفةٍ ... وللسـحائب في رعـدٍ وأدجـانِ؟
وللطيـور الـتي كانـت مغـردة ... تنقّـر العشـب في يـأسٍ وإذعـانِ؟
وللغـواطح لم يشـمخن في نظـري ... وللروائـع قـد خـيَّبن حسـباني؟
شـاهت جميعاً بعيني بعد ما حرمت ... لقـاء مـن عشـت أهـواه ويهـواني!

*****

جعلـتَ قلبـكَ قربانـاً وتقدمـةً ... للنـاس، والآن مـا حبّـي وقربـاني؟
ومـا رثـائيَ مَـن آثـارُهُ عمـمٌ ... وكـلُّ بيـتٍ لـه كنـزٌ لـديوانِ؟
أغنيت عن كل صيت من عوالمنا ... وعـن بكـاءٍ وتمجيـدٍ وعرفـانِ
وعشـت فينـا غريبـاً، فلتعـد ألقـاً ... لموطن الأصـل أو للموطن الثـاني
فأنت وحدك تدري الآن ما عجزت ... عنـه مواكـبُ أذهـانٍ وأذهـانِ
وحسـبنا ذكريـاتٌ منـك عـاطرةٌ ... وموحيـاتٌ بأنغـامٍ وألـوانِ
وخالـداتٌ مـن الإيمـانِ ناصـعةٌ ... تهـدي العـزاء وتسـمي كل إيمـانِ

*****

من مات موت شهيد لم يمت أبداً		وقد تُبدّلُ أبدانٌ بأبدانِ
ومن تكن نفسه شِعراً وفلسفةً		وبسمةً من أغاريدٍ وأوزانِ
يأبى الإسارِ، وإن وافى مجاملة		من الشموس، ويأبى العالم الفاني!

(١٩٤٦)

ذكرى المهرجان اللبناني الكبير

في ترنتن نيو جرزي سنة ١٩٤٦
(مهداة إلى جمعية النهضة اللبنانية)

أبناء (فينيقيا) عشتم لأجيالِ		مفاخرَ الفنِ والإقدامِ والمالِ
ما عابكم أنكم دنيا لأنفسكم		بل عاب حسادكم عجزٌ بأغلالِ
تفجَّر الحزم منكم في مراحلكم		تفجُّرَ النبعِ لم يُخلقْ لإذلالِ
كلاكما جائشٌ فاضتْ عواطفه		وسعيه فسما عن فنّ مثّالِ
كأنما (الأرز) من قدسيٍّ منبته		يمتد فيكم بآثارٍ وآجالِ
وتنتحي أمماً شتّى بواسقه		فتغتني أممٌ من بعد إقلالِ
كأنما كل فردٍ بينكم بطلٌ		والمجد لم يُدَّخَر إلاّ لأبطالِ

*****

يا مطرب المهرجان الحرّ قد طربت		مسامعُ الدهر فارفع لحنك العالي
مضت كوارثَ ذاقَ الدهرُ لوعَتها		إذْ جنَّت الأرض واستخذت لجهالِ
فليسمع اليوم ما أعددت من نغمٍ		يشفي الكلوم ويحيي المنزل الخالي
لا حسنُ غيرَ جمالِ الفنِ يُسعفنا		بعد الدموع بأحلامٍ وآمالِ
من مثل قومك في إنشاد شاعِرهم		أو عزفِ مزمارهم أو وحي موّالِ
في بسطةٍ كانسيابِ النهرِ متّئدا		أو وثبةٍ كجريءٍ فوق شلاّلِ

أنشد مديداً ولا تسأم فمنك هدىً | مثــل الأذان لحجَّـاجٍ ونـزّالِ
ويـا أماليـد (قاديشـا) وزينتـه | للرقص والشدو هذا المعرض الحالي
حيـث العواطـف ألـوانٌ منوّعـةٌ | تجمعت في هوى (لبنانها) الغالي!

*****

مـا أجمـل الحـب في دنيـا تآلفـه | حيـث الجمـال بأضـواء وأظـلالِ
حيث (الطبيعة) لم تبخل بزينتها | وحيـث كـل جـلالٍ دونهـا بـالِ
مـدّت موائـدها الفيحـاءَ فـاخرةً | وجمّعـت بـين ظبيـاتٍ وأشـبالِ
من الفواتن مـن أنطقـن في مـرحٍ | صـخورَ (لبنـانَ) ألحانـاً بسَلْسَـالِ
من الفوارس مـن زانـت مفـارقهم | غـرُّ الأكاليـلِ، أو ركّـابُ أهـوالِ
مـن أمَّـةٍ صـحف التـاريخ عـاطرةٌ | بـذكرها، وعزيـزٌ مجـدها الحـالي
حار الرواة بما أسدت وما صنعت | مدى القرون، وحار الباحث التالي
ولم تـزل سـيرةً للمجـد صـادحةً | ومضـرباً لأعاجيـبٍ وأمثـالِ
ألـيس مـن بدعِ الإقـدام مـا مثلت | في (المهرجـان) بآيـاتٍ وأعمـالِ؟
قد أرضخوا القدَر العاتي لهمَّتِهِمْ | ولم يبـالوا بألغـامٍ وأوجـالِ
وأطلعـوا بيننـا (لبنـان) في وطـنٍ | مـا كـان للمقدم السـامي بخـذّالِ
بينا شـعوبٌ تعـاني وهـي صـاغرةٌ | في الشرق موتين من ذلٍ وإمحال
مـنِ مبلـغٌ أمَّـتي سـرّ الحيـاة بكـم | فقد أضيعت بها في القيل والقال؟!

*****

يا وارثي من أضاعوا في مهارتهم | وفي جسـارتهم نهجـاً لأجيـالِ
لعـلَّ أعظـم إرثٍ في تضـامنكم | وفي تعـاونكم في غـير إدلالِ
لكُـمْ تُبعثـر أجيـالٌ بزلزلـةٍ | ولا يفـرقكم عـارٍ بزلـزالِ
طوبى لكم، وليكن هذا التراث غنى | فـوق الغنـى، لم يقـوّم بعـد بالمـالِ!

(١٩٤٦)

ثقتي بمآل الإنسانية

دستور لوحدة العالم

ترجمت هذه القصيدة إلى العربية تلبية لإدارة التعليم في نيو هيفن بولاية كنيتكت
للعرض في أسبوع هيئة الأمم المتحدة سنة ١٩٤٧
وللحفظ في متحف إدارة التعليم هذه

إنّي الأمين على السنين، الحاني	وأنا الوصيُّ على مدى الإنسانِ
ورهين أحلامٍ سمت بفتوحه	بينا هزائمه على جسماني
تلك الندوب على الجراح شهيدةٌ	وكذاك روعة بأسه الفتانِ
وعجيب لغزٍ للحياة مقدسٍ	لغز الألوهة والسنى الروحاني
عقلي تمثل في قياس نجومهِ	ونهاي في استيعاب غير الفاني
وعلى حياتي اليوم يتبع في غدٍ	حكم الذين تتبعوا إيماني
ومقالهم صدقاً: "حملت موفّقاً	إرث البرية عزَّ في الأثمانِ"
وإذا نما الإنسانُ في تأميلهِ	بنهايَ، أو بحجايَ، أو بجَناني
وازداد في معنى التفهُّم روحه	حرًّا فسوف يعيش في الأزمانِ
ولسوف تغدو السرمديَّة للورى	أقصى وأفسح من خلودٍ دانِ

(١٩٤٧)

عيد النيروز

١١ سبتمبر سنة ١٩٤٧

قُبَلٌ كأنفاس (الربيع) أبثها	شوقي إلى الوطن البعيد مزارا
وأراه في حضن (الخريف) بنضرةٍ	لا تستحيلُ بشاشةً ونَضارا

وأخصُّه بهواي رغم نكايةٍ ... تُعلي العبيد وتُسقط الأحرارا
وكأن منفاي السحيق مقرّبي ... أبداً إليه، وإن نأى وتوارى
وأغصُّ بالذكرى وليس بنافعي ... أن لا أغصَّ وأن أموت مِرارا
اخترت هذا العيد يوم تبتُّل ... وتخذت منه مثابةً وشِعارا
أو ليس رمزاً للحياة وموئلاً ... للناس، إن بطشَ الزمانُ وجارا؟
عيدٌ تلألأت (الطبيعة) بالمنى ... فيه، وألبست الجمالَ وقَارا
هبة من الأرباب كنا أهلها ... و(النيل) كان يزفّها أدهارا
غنَّت لنفحته المدائن وانتشت ... أمم وأسعد حوله الأحجارا
وازيّنت طرباً معابدُ (طيبة) ... وبدا (آمونُ) المنعم الجبَّارا
فِي عيده القدسيّ كنَّا أمةً ... لا تعرف الأحقاد والأوزارا
كنا نضحّي بالجواهر والحلى ... فرحاً ونعبد ماءه المشتارا
وتشرَّبتْ إكسيرَه أرواحُنا ... نعم الوجود، وأشربت أسرارا
حتى تبوأنا مكانة دولةٍ ... برَّت، ودانِ لها الزمان جَهارا
ما بالنا بتنا أصاغر عالمٍ ... نبذ الصغير، وما نزال حيارى؟
ألأننا فتنا شعائر وحدةٍ ... فتبدّدت عزماتنا استهتارا؟
ألأنّ أصداء المعابد لم تنل ... أُذناً، فمات زمانها وانهارا!
(أنسُ الوجود) قضى شهيد وفائه ... غرقاً وكان الضاحك الثرثارا
وهياكل شتى أطاح بها الأسى ... قبل البلى، فتحوّلت آثارا
هبُّوا بني وطني لأنبل غايةٍ ... ودعوا الصَّغار وجانبوا الأوغارا
وذ.وا الدخيل فكم يبث سمومه ... لينال من تدويخكم أوطارا
شغلت محافلكم بكل قضية ... إلاّ قضيتكم دجىً ونهارا

وتهاون الزعماء في ميراثكم وتنافسوا فيما يؤول[1] دمارا
هبوا وصونوا وحي ماضٍ ماجدٍ وكفى التطاحن وانبذوا الأغرارا
(النيل) باركّكم فرشّوا دوركم في عيده بمياهه إكبارا
وتعانقوا بمنى الإخاء، وهللوا لجلال (مصر)، ومجّدوه منارا!

(١٩٤٧)

في أتلنتيك ستي

لمن يهدر البحر الحبيب وقد مضت حياتي، ولم أستبقِ غير خيالي؟
وقد كان ايام الشباب معلّلي وكان نديمي لا نديم رمالِ
وأنفقت أيامي عليه فربّها من البشر أضعافاً بغير سؤالي
أيدعو إلى الذكرى عواطف شاعر تلاشت على تعنيه المتوالي؟
ولو بعثت، أنى له بشبابه؟ وأنّى له بالحب بعد زوالِ؟
أهذا هدير السحر في شاطئ الهوى فليس محالاً فيه أيُّ محالِ؟
تسمَّعته نشوان ألمس غابري كما لمس المخمور وهم ليالِ
وما كان بالإعجاز أو سكرة المنى فليس بسالٍ كلُّ من هو سالِ
وقد يكمن الفنان في قلب راهب كما يكمنُ الإشعاع طيّ جبالِ
فالفيت نفسي في الشباب مجدداً أعبُّ من النور الشهي حيالي
وأشربه ألوان أنس وبهجةٍ تعالت ولم تبخل برغم تعالِ
وهذي عروس الماء لم تدخَّر حلى على الليل، حتى الليل أزهر حالِ

---

[1] يؤول: يدبّر.

أعـدت لـدى البحـر الطـروب طريقنـا ... علـى جمـعِ ألـواح نَعمـنَ غـوالِ
(سـفينة نـوح) تلـك أم حلـم شـاعر ... تملّـك فيـه الحسـن كـل مجـالِ؟
وتغتـبط الآلاف فيهـا حبيسـة ... ولا تعـرف الأشـواق أيّ مـلالِ
تـروح وتغـدو، لا تـرى الوقـت عـابراً ... ولـيس سـواه بـالوجود يبـالي
ومـا تشـتهي أرضـاً تلـوذ بيبسـها ... كمـا اشـتاق (نـوح) في زمـان ضـلالِ
فكـلُّ الـذي تعطـاه صـفوٌ مـبرّأً ... وكـل الـذي تخشـاه حلـو دلالِ
تـدفّق فيهـا النـور مـن كـل جانـب ... إلى أن تـراءى بعضـه كظـلالِ
وعشَّـش فيهـا الحـبُّ حتـى كأنمـا ... تغـذّى وغـذّانا بكـلّ جمـالِ!

(١٩٤٧)

رثاء عبد المنعم رياض بك

ألقيت في حفلة تأبينه بنيويورك سنة ١٩٤٧

صـوتٌ مـن الغـرب نـاجى روحك السـامي ... وإن تعثّـر في حزنـي وآلامـي
جـازَ المحـيطَ علـى الأمـواج شـاردةً ... شـرودَ قلـبي وأحلامـي وأيـامي
أوفـى جريحـاً كجرحـى الحـرب منطلقـاً ... مـن القيـود، ولكـن مرهـقٌ دامِ
مـن مـوطن كنـت أحـرى مـن يعـزّ بـه ... إلى مـواطن إذلال وإرغـامِ
صِـيْنَتْ عـن الفكـر والتفكير صـاغرة ... كمـا تصـان توابيـتٌ بأختـامِ
لكـم سـعيت لكـي أبقيـك موئلنـا ... فخـاب سـعيي ولم ينقـذك إيلامـي
وفتّنـا بخضـمّ زاخـر لجـب ... وعـالم بخطايـا النـاس نوّام
وكنـت تمـزح في خـوفي وفي لهـفي ... بخـاطرٍ كرقيـق الزهـر بسّـام
أيـن الألى طالمـا أشـبعتهم نعمـاً ... ومـا اسـتحقوا، ومـا كـانوا لإنعـامِ؟

رفعت أرؤسهم في غير منزلةٍ ... شأن الكريم، فما اعتزّوا بإكرامِ
أين الوفاء، وما أرجوه في زمني ... من معشرٍ بين خفض النفسِ والهامِ؟
كم حاصروك لأهواءٍ ومنفعةٍ ... واليوم شق عليهم بعض إلمامِ
إن تُنس لم تُنس في قلبٍ يذوب أسى ... وإن تبلورَ في شعري وأنغامي
يشكو من الغيث من يشكو وفي حرقي ... لا يشتكي في وفاءٍ قلبيَ الظامي
أنّ الربيعُ أنيني في عواصفه ... وصاح بين تباريحي وأسقامي
وشاب أهواءه ما شاب خاطرتي ... من الكلال ولم يعمُر بأيّامِ
كأنما كل شيءٍ حالَ في نظري ... إلاّ مثالك في نبلٍ وإقدامِ
إلاّ نزاهتك القصوى لدى زمنٍ ... فيه النزيه غريمٌ بين أخصامِ
إلاّ وداعتك المثلى يدين لها ... من لا يدين لبرهانٍ وأحكامِ
إلاّ وفاؤك للعانين تسعفهم ... وكلهم من رعايا قلبك السامي
تولي الجميلَ وما تدريه مغتبطاً ... وشاكراً شكر مخدومٍ وخدامِ!

* * * * *

هل يعلم (النيل) أي الناس غيّبه ... ذاك الأثيم، وإن يُقرن بأعلامِ؟
وأيّ علمٍ وأخلاقٍ وتجربةٍ ... قد ضُيّعت حين إعياءٍ وإعدامِ؟
وأي فضلٍ وإيثارٍ وتضحيةٍ ... كنّ الفداء لأقوامٍ وأقوامِ؟
قسط النبوغ يجود النابغون به ... وقد يجاد بأرواحٍ لأنعامِ
عاشوا اغتراباً بدنياهم وما سلموا ... وجاوزوها على نارٍ وألغامِ
وكلّ فردٍ شقيّ بينهم بطلٌ ... وقد يمجد بالتجريح والذّامِ
أو لا، فبالترك يضنيهم ويقهرهم ... قهر الجفاف لجنّاتٍ وآجامِ
ماذا انتفاعك بالذكرى، وما انتفعت ... بك الحياة سوى في بعض أحلامِ؟!

* * * * *

مَن مُرجعي لزمانٍ كنت بهجته ... وكان مرآك إسعادي وإلهامي؟

جمّ السماحة، لا ينجاب عارفه
كأنما هو موكولٌ بأيتامِ

المرءُ الفذّ لا تدمي مطاعنه
ولا تعاب بإسفافٍ وإيلامِ

والفاتح العضبُ لا تُنسى معاركه
كأنها غزوات بين أجرامِ

يصغي إليه الذي يعنو لحجته
كالصلد يعنو لغمر الجحفل الطامي

لم ينسَ أمراً إذا ما صال مقتحماً
إلا عواقب إجهادٍ وإقحامِ

إلاّ مكانته العظمى، فما هبطت
جهوده لمباهاةٍ وإعظامِ

كان المثال المرجّى في رجاحته
فأين أين المرجّى بين أصنامِ؟!

*****

(مدينة النور) لم تطفأ عليه أسىً
ولم ينكّس بها مفجوع أعلامِ

وما تنبّه تيار الحياة بها
ولا بكته، وما بالت بأوهامي

ولا المحافل أحياها وأبهجها
ريعت، ولا شاه غرس حولها نامِ

في كل مرأى جمال كنت أعبده
ولم يزل وحيَ صدّاح ورسامِ

لئن صدفت بحزني عن مفاتنها
فما تبالي بلوعاتي وإحجامي

كأنما لم تزل فيها بشاشته
وعذب أقواله في رجع أنغامِ

(١٩٤٧)

قطرات الندى

من وحي الخريف

وافى الخريف فوافت للندى صور
من الجمال على عشبٍ وأوراقِ

كأنما أودع العشاق أنفسهم
بها، فما كشفت يوماً لأحداقِ

تلألأ الحبُّ فيها وهي باسمةٌ
تبسُّم السحر في ألحاظ عشّاقِ

مـا للعناكـب قـد فـازت بحليتهـا ... وللحشـائش قـد رفَّـت بأشـواقي
ولم أزل في ظمـائي غـير مـدكرٍ ... ومـا يبـالي النـدى همـي وإخفـاقي؟!
إن داعبتهـا خيـوط الشـمس راقصـةً ... ذابـت نضـاراً حيـال اللؤلـؤ البـاقي
ولم يعـد مـن مرائيهـا سـوى حلـمٍ ... كأنَّمـا غيَّرتهـا فتنـة الراقـي!

*****

غـاب النـدى ونسـيم الصـبح يعلنـه ... سـراً أبـيحَ لوجـد الشـاعر الشـاكي
تـدري العناكب مـا يـروي كمـا نهمت ... كـلُّ (الطبيعـة) هـذا الصـامت الحـاكي
فـإن بكـت بـدموعٍ للنـدى نرفـت ... فقبلـها نرفـت في خـاطري البـاكي
كـم للنسـيم رسـلاتٍ منوعـةٍ ... يشـجى الوجـود لهـا أضعاف إدراكي
كأنمـا هـي ألغـازٌ ووسوسـةٌ ... علـى حـروبٍ، وحينـاً همـس نسَّـاك
تعنـو الغصـون صـلاةً في تجاوبهـا ... وفي تبتُّلـها تـودي بإشـراكي
فمـا أرى غـير دنيـا الحـب ماثلـةً ... فيمـا أرى بـين أنـداءٍ وأفـلاكٍ

(١٩٤٧)

بماذا سيموت؟

إن الطبيب يبذل غاية جهده، فلماذا نرتقب أكثر من هذا؟

(الاتشنج أو الرسم الحفري المعدني للفنان الإسباني جويا)

وطـني الحبيـبَ وُقِيـتَ شـرَّ الـداء ... وأغثـتَ مـن أهليـك في الجهـلاءِ
المـوت أبعـد عنـك حـين وبـاءٍ ... مـن رحمـة الجهـلاء والبلـهاءِ
مـاذا جنيـت لـيحكم القـدرُ الـذي ... أفتـى بمـا أفتـى مـن الأرزاءِ؟
أيـردّ عنـك الألمعـيُّ وطبُّـه ... وتمـوت بـين سـوائمٍ ووبـاءِ؟

أحنـو عليـك وإن نُفيـتُ، ولم أزل   صنواً، وقـد بتنـا مـن الشـهداءِ
ضاقت بنا الدنيا العريضة واغتدت   أحلامهـا أحـلام كـلّ مرائـي
وقـد انتهيت إلى فراشـك سـاكناً   للنـزع حـين أبَـوا علـيَّ فـدائي
هـل نـافعي كـل الـذي أغنـى بـه   حـولي وكـلُّ مشـاعر الأحيـاءِ
وأنـا أراك تـئن في أسـر الـردى   وتـثير لوعـة مهجـتي ووفـائي؟
وأنـا الغريـب موطّنـاً ومغرّبـاً   ومحرَّمـاً أن تسـتجيب نـدائي؟
سـأعيش في بعـدي رهينـك دائمـا   أرعـاك بـين تحسّـري ورجـائي
وأهيـب بالأبنـاء رغـم عـزوفهم   وخنـوعهم وعقـوقهم وبلائـي
فلعلّـه يومـاً يـثير شـجونهم   قبـل الفـوات، فـلا يـردُّ دعـائي
فتعـود للأحيـاء غـير مكبَّـلٍ   وتصـيخ للحكمـاء والعلمـاءِ
أقسـى مـن المـوت المدمّر حالـةٌ   تـدعو الرثـاء لنـا مـن الأعـداءِ
والعصر عصر العلم، من لم يستبق   لحمـاه ضـاع ومـات دون رثـاءِ!

(١٩٤٧)

الاحتمال

تجرَّعـتُ آلام البريـة مثلمـا   تجرعـتُ في قلـبي المآسـيَ حُوَّمـا
عُـلامَ اعتنـاقي للتفـاؤل حينمـا   فـؤادي ووجـداني بـه قـد تهـدَّما؟
وفـيمَ ولَـوعي بـالوداد أصـونه   وقـد ضُـرجت نفسـي بأسـهمه دَمـا؟
وإن لم تُضـرَّج بالصـغائر مـرّةً   وإن لم تـدنس بـالتزلُّف للـدُّمى[1]

---

[1] الدمى: الأصنام.

وما استمرأتْ نفسي الخصومةَ مرةً ... فلم تتَّخذها للمنافع سُلَّما
ولكنَّها تلقى العذاب مخلّصاً ... وتؤثره حظاً وتبغيه مَعْلَما
وتَشقى وما ترضى التقهقر موئلاً ... وتَرقى وما تسترحم الأرض والسما
تَرى ألم الأحرار سرّ وجودهم ... ومَن ذلك الحرُّ الذي ما تألما؟
طغى كلَّ يوم مأتمٌ بعد مأتمٍ ... ونفسيَ تأبى أن ترى الكون مأتما
وما نَدِمتْ يوماً على ما أصابها ... من الحيف مهما نوقت منه علقما
إذا عرف الأحرار حمل بلائهم ... فما عرف الأحرارُ بعد التندُّما
ومهما شكوا كانت شكاة قلوبهم ... وفاءً لمعنىً، أو رجاءً تَكَتَّما
وقد آمنوا بالحق يُنصر آخراً ... وإن دوخ الظلم البريَّة واحتمى
وما زلت تغزوني المآسي كأننا ... صحاب، وتهواني شراباً ومطعما
بلا كلفةٍ تحيا على برّ مُهجتي ... فآثرتُ أن أفنى وأن أتبسَّما

(١٩٤٧)

فنّي وحياتي

أمَّتي! ما زلتِ فنّي وحياتي ... فاصفحي، أو فاغمري باللعناتِ!
لم أقرّع، يائساً أو كارهاً[1] ... بل محبّاً ريع من عاتٍ وعاتِ
مشفقاً إذ جُرّع الناسُ الأذى ... غصصاً عدَّت أجلَّ الحسناتِ!
قد أباح (الفنُّ) أمساً مُرهقاً ... وأباح (الملكُ) إرهاق البناة[2]
حينما (اليومُ) كئيبٌ عاثرٌ ... تحت أقدام المذلّين الطغاةِ

---

[1] منصوب على الحالية، أي لم أعنف وأنا يائس أو كاره بل وأنا محب ذعر من ظلم الطغاة.
[2] إشارة إلى تقاليد مصر القديمة.

ليس هذا الظلم إلاّ غمرةً — للسُّداة[1] المستهينين الجُناةِ
ما حوى فيما حوى تبرئةً — أو خيالاً لمعاذير الحماةِ[2]
بل حوى العسف على ألوانهِ — ساخراً سخر المجانين الدُّهاةِ
أمَّتي! ما كان شعرٌ صغتهُ — في حياتي غير لمح من حياتي
ما عناني منه قلبي مرةً — أو ولوع الناس أو مدح الشداةِ
مثل آلافِ قلوبٍ أُحْرِقَتْ — في عذابٍ بين أفراحِ القضاةِ
كلُّ حسنٍ شاقني في غربتي — منك، إذ أُلهمت مُنك صلواتي
كلُّ آياتي التي أبدعتها — هي بعضٌ من سنا (مصر) الفتاة
أو دعائي شاملاً في حبّهِ — عالم الناس المساكين العفاةِ
وأبالي النَّفي إن يسَّر لي — بعض تبديدٍ لهذي الظلماتِ
وشقائي، لو غدا تضحيةً — ما شقائي من عديد التضحياتِ؟
وليهنَّأ من عداتي كلُّ من — خانني، ولينعموا يوم مماتي!

(١٩٤٧)

قلب والد

أهديت إلى ابنتي صفية

لا أرى للحياةِ كنهاً ومعنى — إن تخلت عن الهوى أو تجنَّى
وسعيدٌ من عاش يعتنق الحبَّ — ومن حاز ملكه مطمئنا
وأراني السعيد مهما تناهت — نوبٌ للزمان غدراً ومَيْنَا

---

[1] السداة: جمع وضعي للسادي – اي الملتذ بالتعذيب لمجرد التعذيب.
[2] المدافعون عن جبروت القرون السالفة.

أعرف الحب كيف عشت ملاذي وسلامي، وأملك الحبّ كونا

وتناهيتِ يا (صفية) في البرّ بقلبي فلم يعد بالمعنَى

أيّ ذكرى أخطها لك إلاّ دعوات بها فؤادي تغنَّى

منذ ما كنت طفلةً وأنا أشدو بما أرتجي وترجين منَّا

إن قلب الأب المحبّ لَدُنيا لم تكيَّف ولم تحدَّد بمعنى!

(١٩٤٧)

القلب الباكي

وحي باقة من الورد في عيد ميلاد الشاعر

هل يعلم الناس نجوى قلبيَ الباكي وما أعاني بأشواقي وأشواكي؟

ما نعمة الورد للمحزون آلمهُ عطر من الورد حاكى روحه الشاكي؟

إذا تبسَّم لم يظهر ببسمته إلاّ أساي، وإن يجهش فإبراكي

يلقى الشتاء لقائي، لا يدفّؤه ما هيأ الناس، منهوكاً كإنهاكي

كأنّ باقته تهدي إلى أملي عواطف الحب عانت غدر سفَّاك

كأنما عيد ميلادي يعانقها على وداعٍ بقايا حبّي الذاكي

هنَّ اغتربن الضحايا لا ذنوب لها كما اغتربت، فماتت موت نسَّاكِ

*****

يا (مصر) لولاك ما فارقت في حرقي أزكى الجنان، ولا عوقبت لولاكِ

أهواك في غربتي أضعاف ما سمحت به المقادير في قربي لأهواكِ

أبت عليّ كفاحي عندما أننت للغادرين، فعاثوا في حناياكِ

ما العيد عنديَ عيدٌ في مباهجهِ أنا الغريب، فعيدي يوم ألقاكِ

على سلامٍ وفي حرّية شملتْ ... لا أن أعود لأغلالٍ وأشراكِ
الثلج حوليَ أحنى في تحرّره ... على فؤاديَ من ضيمٍ بدنياكِ
والنفي أسعد أيامي إذا فرضوا ... ذلّ الجباه لمأفونٍ وأفّاكِ
يا رُبَّ مقتربٍ في حكم مغتربٍ ... وضاحك كلُّ ما في قلبه باكِ!

(١٩٤٨)

ربيع الحرّ

ربيعَ الحُرِّ أشرقْ يا ربيعي ... وثِبْ فرحاً مع الحَمَلِ الوديعِ
ولا تَحجب حياءً كالعذاري ... سناك أو صلاتك عن سميعِ
لقد نمَّ الأريج عليك لمّا ... أريق شفاعة الحب الصريعِ
ونمّ عليك همسٌ من غصونٍ ... ووسوسة البراعم في خشوعِ
وسقسقة الغرام تذوب لحناً ... بأمواج الضياء على الزروعِ
وآمال السلام وقد تراءت ... نجوماً في السماء وفي الربوعِ
وتحنانُ الجمادِ لكل حيٍّ ... يرفُّ بلهفة الطفل الرضيعِ
وأنداء الصباح مضمّخاتٍ ... بعطرِ الحسنِ في نسقٍ بديعِ
وآلاف الروائعِ سافراتٍ ... وإن خفيتْ عن الحسنِ الوضيعِ
يفيض الجوُّ سحراً عبقرياً ... تفرَّد بالأصالة والنزوعِ
كأن جميع آلهة المعاني ... حبَته كنوزهنَّ على الشيوعِ
كأن الكون يخفق في حبورٍ ... خُفوقَ الشعر في الروح الرفيعِ
تقدّس كلُّ شيءٍ في عيوني ... وقد ران الجمال على الجميعِ
فكيف إذا سفرت لنا فتياً ... بثوب العرس تخطر في الجموعِ؟

وكيــف إذا الأناشــيد الغــوالي ... أغــثن الــروح مــن ظمــإٍ وجــوعِ
ولقّـــنَّ العبـــادة كـــل قلـــبٍ ... وأطلعــن الشــموس مــن الشــموعِ؟

*****

ربيــع الحــرّ أشــرق يــا ربيعــي ... وثــب فرحــاً مــع الحمــل الوديــعِ
كلانــا كــان في عَنَــتٍ وضــيقٍ ... يعــاني الأســر في ســجن منيــعِ
وكنـــتَ معـــذَّباً شـــاهتْ نُهـــاه ... وكنـــتُ ضــحية القــدر الفظيــعِ
فعــدنا اليــوم يجمعنــا إخــاءٌ ... وأرض لم تســـخَّر للرقيـــعِ!

(١٩٤٨)

تحية وفاء

في عيد (الهدى) الخمسيني

"الشـتاء! الشـتاء!" صـاح بـيَ الجارُ كـأني في حاجـة للنـداءِ!
ونَـثيرُ النجـوم حـولي وقـد بـزَّ خيـالي وهـزَّ شـتى المرائـي
والضـياء الأصيلُ ران علـى الـدنيا سـناءً مجسَّـداً لا يُرائـي
فاتحـاً كـلَّ معقـلٍ حجبتـه عـن عيـون الـورى بـروجُ السـماءِ
لاهيـاً سـاخراً، وقـد خضـخض الـدنيا فزالـت معـالمِ الأشـياءِ
وغـزا الوقـت فـامّحى كـلُّ حـدٍ لنهـارٍ معـرَّفٍ أو مسـاءِ
وإذا بـي مشـرّداً وكـأني مـا شـهدتُ العمـران يومـاً إزائـي
وأخـوض الثلـوج شـبه غريـقٍ كبَّلتـه فـوادحُ الأعبـاءِ
شـاكراً حظّـي العظيم، وقـد شـلَّت جموعٌ، وشـلَّ نفس الهواء
ذاكـراً في حـرارة الـودِّ عيـداً يمَّحـى عنـده صـقيع الشـتاءِ

شغل القلب ذكره فتناسى ما عداه، مستغرقاً في الغناءِ
أيُّ عيدٍ هذا سوى عيد إقدامٍ وفكرٍ وهمة واعتلاء؟
هو عيد (الهدى) الأغرّ الموافي بمعاني الوفاء للأوفياءِ
ليس بدعاً وقد نعمت بها وقتاً حنيني الملحُّ أو خيلائي
هرعوا يحفلون بالعيد أفواجاً وزفّوا له تحايا الولاءِ
وتباروا في كل رمزٍ جميلٍ لم يُدنس من ريبة أو رياء
شرفٌ للجميع ما هيّأ (اليوبيل) من عزّةٍ لهم أو رجاءِ
ليس عمرُ الخمسين عمراً لأجيالٍ، ولكن لنهضةٍ زهراءِ
لم تزل في شبابها مبعث الوحي منيعاً على البلى والفناءِ
عززت حرمة اليراعة والرأي ومجد الصحافة الشمّاءِ
وتسامت منارةً لا تسامى، فقليل لها جزيل الوفاءِ

(١٩٤٨)

الألوهة والكون

كلُّ شيءٍ في الكون سحرٌ عجيبُ والغريبُ القصيّ فيه قريبُ
يجهد العلمُ باحثاً بينما وفّقَ من قبلُ واحتواه الأديبُ
هكذا كلُّ ذرّةٍ من كياني تحتوي العالم العظيم السّاني
أنا فانٍ وفي المدى غيرُ فانِ وكياني هذا الوجود الرحيبُ
والإله العظيم هذا الضياءُ ومعانيه أجملتها السماءُ
لا ابتداء له وليس انتهاءُ أو شروقٌ لوحيهِ أو غروبُ
كلُّ شيءٍ من حولنا يتحولْ ولو انَّ الخلودَ طبعٌ مؤصّلْ

سوف نحيا على ضروبٍ تشكّل ... بينما الأصل واحدٌ والضروبُ
لَبِناتُ الوجود موجٌ يدورُ ... قد تجلّى به الإله القديرُ
والجمال الذي به نستنيرُ ... غايةٌ للوجود لا تستريبُ
هو فنٌّ ثوى به الفنّانُ ... هو كونٌ أرواحه الأبدانُ
هو معنى ما فاته الإمعانُ ... وتناهى إليه شعرٌ حبيبُ
ما ابتهالي إلاّ ابتهالٌ لنفسي ... فأنا ملهمٌ جَناني وحسّي
وحناني إلى الإله وقبسي ... من سناه استجابة لا تخيبُ

(١٩٤٨)

حسني الزعيم

(بردى) أيلقى النطْعُ خير بنيكا ... ويموت من أحيا العظائم فيكا؟!
لهفي على شعب يباع ويشترى ... والبائعون المشترون بنوكا!
تُشجى العصور من المآسي حولهم ... وتعافُ عدّ طغاتها أهليكا
ماذا دهى الشعبَ العزيز وقد غدا ... صيداً لكلّ مغامرٍ مملوكا؟
يأبى النهوض كأنما أجداده ... حفروا الخنادق مَعْقِلاً مهتوكا
وتجنبوا رفع الصروح، وآثروا ... ذلاًّ، فصاروا الخامل الصعلوكا!
ماذا دهاه وكان موئل عزّةٍ ... لرجائنا، فأطاحه منهوكا؟
من شجّع الإجرام غير رضائه ... بالضيم يتبع سوقةً وملوكا؟
ساموه خسفاً لا يحدُّ، ودعّموا ... فوضى نرته الواهن المفلوكا
يا شعب! إن رمت المذلّة فاغتبط ... أو لا، فأين قصاص من نهبوكا؟
ليس العدوُّ ألدّ ممن عفّروا ... تلك الجباه تحكُّماً ورثوكا!

* * * * *

(حسني الزعيم)! كتبت ذكرك خالداً ... في المصلحين له، نماً مسفوكا

يا من ترفّع عن صغار خصومه ... تعب الخصيم وما أثار شكوكا

إن عُدّ مثلك خائناً لبلاده ... نِعم الخيانة للعظيم سلوكا

يا حافظ الحرمات، هذي غايةٌ ... للمتقين نكايةً وحلوكا

شتّان بين هوان ما أورثته ... وجلالك المزري بمن ورثوكا

الناس هم تلك الذئاب وخيرهم ... صلبوا (المسيح) ومجدوا المأفوكا

وقضوا على البطل الهُمام بإفكهم ... مذ عدّ للبطل الهُمام شريكا!

إن يهنأ اليوم الذئاب، ففي غدٍ ... سيروّعون من العقاب وشيكا!

*****

مهلاً زعيم المصلحين فربما ... ناب الممات فراح يستهديكا

ليرى الأواخر ما صنعت ويهتدوا ... وليُتْمِموا بوفاء من يفديكا

ماذا يريد الغادرون - وما دروا ... إلاّ الخيانة - بالنداء ركيكا؟

أنقذتهم، فإذا بهم في دأبهم ... مثل العقارب تبغض التحريكا!

وسبقت عصرك والنبوغ جنايةٌ ... وأبيت شعبك تائهاً منهوكا

أوسعت صدرك للعداة وهكذا ... أوسعت صدرك للرصاص ضحوكا

فارقد! لعلّ ثرى بلادٍ صنتها ... تحنو عليك حنوّ من عرفوكا!

(١٩٤٩)

غضبة الأحرار

إلى الصديق سلّوم مكرزل صاحب (الهدى) في عيد ميلاده

إنن لم يعد في القوس للصبر منزعُ ... ولم يبق غير الثأر للناس مفزعُ

وخيرٌ لهم أن يشبهوا الريح ثورة … عن الريح تستبكي كما تتوجعُ

وخير لهم أن يلثموا النطع والردى … عن الذل حين الحر للبغي يركع

حيينا إلى عهد به الجبن دولةٌ … وفيه الأبي الشهم عانٍ مضيَّع

وأصبح فيه اللص ينهب جهره … وأصبح رب الحق يرجو ويضرعُ

ولم يسعف الظلاَّم من جبروتهم … بأكثر ممن للأذاة تطوعوا

وواعجباً تسعى الضحايا لحتفها … وبالشرف المحيي لها ليس تقنعُ

ووا أسفاً للجهل يغلب أمةً … فلا الجيش يجديها ولا المال ينفع

وواضيعةَ الآمال في عهد شيعةٍ … تجافت وجافتها المكارم أجمعُ

كأن لها حظّاً بتدويخ شعبها … فمن يدها يسقى الردى ويجرَّعُ

وفي كل يوم نكبة بعد نكبة … تزعزعها، لو أنها لا تزعزع

فما هذه الأقدار تسحق أمة … وتترك جلّاداً لها يتمتعُ؟!

وذا الأمم استخذت ودانت لغيرها … فلا الوهم يغنيها ولا الزهو يرفع

يفوّت غنماً بعد غنم، ويدعي … مضللها أضعاف ما يتصنعُ!

*****

هنيئاً أبا الأحرار بالقدح نلته … وساماً، وقد هان الوسام المرصعُ

ستذكرك الأجيال خادم مبدأ … ويبنِ له الأجيال تعنو وتخشعُ!

(١٩٤٩)

الشاعر السامي

رثاء خليل مطران

إلهة الشعر! عاد الشاعر السامي … إلى عوالم لم تحصر بأجرامِ

إلى عوالمَ غنَّاها وأسكرها ... كأن أضواءها أصداء أنغامِ
إلى نهىً لم تُكيَّف في منازلها ... ولم تحدد بأنفاسٍ وأجسامِ
إلى منابع للإلهام صافية ... فاضت على الشمس والدنيا بأقسامِ
الأنبياء إلى عليائها انتسبوا ... والشاعرية في وحي وإلهامِ
إلى منارك، فاستعلت كواكبه ... ونحن في وهدة هانت وإظلامِ
تدور لا مُلجمٌ يملي مساربها ... ونحن ما بين إسراجٍ وإلجامِ
وتبعث الشعر في خفق أشعتها ... جمَّ الفصاحة أن يوصف بإبهامِ!

* * * * *

إلهة الشعر! عاد الشاعر السامي ... إلى عوالم لم تحصر بأجرامِ
لم ينزع الموت إكليلاً خصصت به ... ذاك الجبين، ولم يظفر بإغنامِ
وإن يكن قد أثار الهول في مهجٍ ... ويعثر الزهر من باك ومن دامِ
أسري به في بروج لا كواكبنا ... تدري مداها، ولا أرباب أحلامِ
وخلّف الفن مكبوتاً على وجل ... ألم يرزأ بفقد الكوكب (الرامي)؟
طار النعيُّ ويئس الطير روّعنا ... وهو الجريح بأحزاني وآلامي
ألقى علينا الأسى ثكلاً ومسغبةً ... مبدّداً نخر آمالي وأحلامي
زاد الهجير لهيباً فرط حرقتنا ... أليس حرقتنا أنفاس أيتامِ؟
كأنما لم يمت قبلاً بعلّته ... الفاتحون لدولاتٍ وأفهامِ
كأنما عيشه حامٍ لفكرتهم ... والفكر ليس له كالفكر من حامِ
ما أفدح الخطب للعانين ما نعموا ... فكلُّ جرح جديدٍ غير ملتامِ
وما أشقّ المآسي للشعوب متى ... تُدوولت بين إحياءٍ وإعدامِ!

* * * * *

هل يعلم الناس أي الناس قد فقدوا ... أم لا يزالون في نومٍ وأوهامِ؟
وهل بكت (بردى) و(النيل) واضطربا ... كالأرز من نوح أعلامٍ وأعلامِ؟

أصالةٌ من جلالٍ ليس يرفعه ... عالٍ من المدح أو دانٍ من الهام
من ساير النهضة الكبرى وهذّبها ... بالفن والرأي أعواماً بأعوامِ
وما تردّد في تكييف مبدئه ... ولا تذبذب في نقضٍ وإبرامِ
ولا تلعثم يوماً في رسالته ... ولا تعثَّر في تحطيم أصنامِ
كأنما رشده الصمصام في فرقٍ ... وشعره برء فأفاءٍ وتمتامِ
أجزت شجاعته الأحرار من خدع ... في عالم زاخر باللؤم لوّامِ
وفاض شؤبوبه ريّاً لمن عشقوا ... أنفاس (طيبة) أو ألحاظ آرامِ
وأشرفت بعلبك من خرائبها ... عرائس المجد في (لبنان) و (الشام)
ألبستها حللاً ما نال مشرقها ... أعراسُ (كسرى) ولا أفراحُ (بهرام)
ما (البحتري) من (الإيوان) موقفه ... وأنت في (بعلبك) العابد السامي؟
منازلٌ لك لم ينزل بساحتها ... إلا النبوغ، فما هانت لأقوامِ
شعر تشرّبه الأرواح صافيةً ... وتستقلُّ به، لا نظم نظّامِ
وشاعر لم يمهد قبله بهدى ... مثل (المسيح) أتى من بعد إظلامِ
جم المروءة، وافي الخُلق، نمته ... ليست دعية أحباب وأخصامِ
يغدو إليه ذوو الحاجات في لهف ... وينثنون وكلٌ جدّ مبسامِ
وما تعاظم يوماً في تفوقه ... بل في تواضعه آيات إعظامِ
كانت زعامته ركناً يلاذ به ... دون إدعاءٍ لأحزاب وأحزامِ
كالنور ليس لأرض أن تُخص به ... ولن يقاس بأبعاد وأرقامِ!
قد ضن بالفنّ إلا للبصير به ... كالكنز خُبّئ في حرزٍ بأختامِ
وصان تفكيره عن عرضِ مبتذلٍ ... كأنما هو حصنٌ بين آطامِ

والفكر كالدين حيّ في قداسته ... ملءَ العصور بآيات وآرام[1]
لا كالخرائب والأطلال يسكنها ... شبح الفناء وتستخذي لأبوام
ما عزّزت أمةٌ أودت بعزّته ... ولا اغتدت دونه في عدّ أنام
إذا تهاون شعبٌ في كرامته ... عزّ الأثيم عليه عند أدّام
وإن أسيء إلى الآسي يعالجه ... لم يرأم الجرح أو ينقذ بإرآم[2]
ما حاربت أمةٌ أخيارها ونجت ... أو أودعت أمرها أوهام رجّام
هذا هو الخالد الموهوب أرفعه ... عن أن تشير إليه أي إبهام!

*****

قنعتُ بالحظ في النجوى ومرتقبي ... نعمى حنانك في عودي وإكرامي
يا من أصاخ له قلبي فهذبني ... طفلاً وكهلاً، وأحيا كل أيامي
يا من سكنْتُ إليه العمر ملتجئا ... ضافي العزاء، فلم أعبأ بأخصامي
صحبته في خيالاتي، وفي مثلي ... وفي حياتي، وفي سعيي وإقدامي
ولم يزل... ما لهذا الموت يعصف بي ... كما يبعثر تأويلي وأحكامي؟
وما لبرهة عام كنت أرقبها ... حالت أبوداً ورنّتني لأحرامي؟
أولى به ساعة تنكيس أرؤسنا ... حزناً عليه وتنكيسٌ لأعلام
لا أن تخفّض للطاغوت صاغرة ... أو أن تطأطئ في بؤس وإعدام
لئن تجرد عن ألقاب مملكة ... زانت جباناً وما كانت لمقدام
فالذئب يمرح في ثوب لسيده ... وما يبدل غنماً ثوب ضرغام!

*****

لم يبق لي من عزاء غيرُ ما وهبتْ ... يمناكَ للخلد من آيات رسّام
ومن مزاميرَ جلّت في ترسُّلها ... وفي تسلسلها عن أي إدغام

---

[1] الآرام: النصُب التي يستهدى بها.
[2] الارآم: معالجة الجرح.

ومــن تســابيح مطــران أردّدهـــا كـأنـمــا هـــي مـــن أركـــان إسـلامي
ومـــن أغاريـــد للعشّـــاق أرشـــفها راح الشـبـاب فأنْسـى جـدب أيـامي
مـا الـراح في الخلد موعوداً بها أبدي أرضـى بجاماتهـا عـن هـذه الجـام
ومـن أهـازيج في معنـى وفي صُـوَرٍ هـي (الطبيعـة) في روحـي والمـامي
ومـــن عظـــاتٍ وأمثـــالٍ وفلســـفة جـاءت أناجيـل فـوق المـدح والـذّام
ومـــن تهاويـــل للتـــاريخ تســـردها فـنلمح الـدهر أحقابـاً بئيـام
ومـــن صـــنائع للمعـــروف ســـابغة ســاوت بـبرّ لمخـدوم وخـدّام
ومـن أحاديـث مـجّ الشـهد مبـدعها وإن تـــوارت بأزهــار وأكمــام
تـنمّ عـن عبقـريّ الفـنّ معجـزةً والفـنُّ كالحـب يحيـا جـدَّ نمّـام
ولا أنـيس سـوى الـذكرى لصـحبتنا وكـم تثـور علـى يأسـي وإحجـامي!

*****

رحلـتَ في زمـنٍ عـزَّ الحكـيم بـهِ والسـائس الحـرُّ، بلـه الشـاعر السـامي
عـن أمـةٍ حظهـا الشـكوى بـلا خطـر فمـا تثـور علـى أسـواط ظـلّام
يخشـى أفاضـلها الأوغـادَ إن سـعلوا ويركعـــون لأغـــرارٍ وأوغـــام
ويســخطون علـى مثلـي ليقظتـه إذ يمـدحون ويبكـي الشـانئ الرامـي!
لا يسـتقرون مـن روعٍ ومـن قلـق ولا يلبـون حتـى عـزم همّـام
إذا أردنـا لهـا اسـتقلالها نفـرت ومـا كرامـة ذي عـوزٍ لقـوّام؟
كـأنمـا نسـيَت تـاريخ عزتهـا ولـم تطـوّف بـأهرام وأهـرام!
قـالوا: قطيـعٌ مـن الأغنـام يشـبهها! يـا ليتهـا كقطيـع بـين أغنـام!
يصـطاد أرزاقهـا مـن لا أكـيّفهم وتسـتباح ركوبـاً عنـد إجـرام
ولا يقومهـا نصـحٌ ولا عـبرٌ ولا سـدُدٌ، وتهـوى لهـو هـدام
كـم خودعـت وصـروف الـدهر ضـاحكةٌ فخلّطـت بـين أحبـاب وأخصـام

ما بارم الحبل في أعواد مشنقةٍ ... كرافعٍ لبنود النصر برّامِ
فأثخنتها جراحات بلا عددٍ ... وأسلمتها لزلاّتٍ وأسقامِ
وما ينال وفيٌّ حين يرشدها ... إلاّ العقاب وإلاّ وطء أقدامِ
الهزل ما زال من أسمى شعائرها ... والجهل معبودها في ملكه النامي
أحرارها غرباءٌ لا تميزهم ... في حين تدنو لأوشابٍ وأعجامِ
لم تتعظ وصروف الدهر تلطمها ... ولم تزل رهن أنصاب وأزلام
وتقتل الوقت إسفافاً ومنقصةً ... وثأرها عند بطريق وحاخامِ
ولم أزل وأنا العاني بخدمتها ... شبيهها في ضلالاتي وإيهامي
أحنو عليها وإن جارت على أدبي ... وعاقبتني على برّي وإنعامي
وطاردتني إلى منفاي جانيةً ... وعدّدت صفو آثاري كآثامِ!

*****

من لي بقربك حيّاً ذائداً مِقَةً ... عني، وحارس وجدانٍ وأقلامِ
يؤرّخ الأدب العالي بسيرته ... وباسمه يهتف الوافي بأقسامِ؟
لبيك من صفوة الأحرار من عرفوا ... من أنت واغترفوا من بحرك الطامي
ومن أبوا أن يُعدُّوا في محبتهم ... بين المغالين، لو قيسوا بمستامِ
ومن يفدُّون أوطاناً نفخت بها ... روح الإباء فلم تذعن لهوّامِ
إن كانت اليوم نهباً بعد تضحيةٍ ... فلن تسامَ دواماً سوم أنعامِ!

*****

عسى الرياض التي ناجيتها شغفاً ... تبوح بالوحي للسامي وللظامي
عسى الرياح التي شاقتك ثائرةً ... تفك عنيَ أغلالي وأرغامي
عسى الهدير على الأمواج ينفحنا ... بلحنك الحر لم يقرن بإعجامِ
عسى ترانيم هذا الطل تمنحنا ... فرائداً منك في شؤبوبهِ الهامي
عسى المساء الذي غنيته صوراً ... من الجمال يغذّي حلو أنغامي

عسى الجداول في أبهى وداعتها
تسيل منك حناناً حول آكام

عسى المروج وراعي النحل يلثمها
ترفُّ بالشهد عطفاً بعد إجهام

عسى (الطبيعة) في أسنى مفاتنها
تجود لي بسناءٍ منك بسَّامِ

إنّي تأملت في حسنٍ أهيم به
رأيت لطفك في ذهني وتهيامي

في نشقةِ العطرِ أو في النور مختلجاً
في ثورة البحر، أو في رَوْعِ آجامِ

وفي مشاهدَ لا تحصى دقائقها
أنَّت وغنَّت على مزمار غنَّامِ

ورنَّحت كل عشبٍ في تصوّفه
كأننا أهل أشواق وأرحامِ

أزجي رثائي صلاةً أنت ملهمها
وإن تكن من حنايا قلبيَ الدامي!

(١٩٤٩)

الطلع والزهر

إلى الصديق الشاعر نعمه الحاج في مرضه بحمَّى الطلع

أيشكو من الطَّلع أندى الزَّهَرْ
ومن قهر اليأس فيمن قهرْ؟

سلمتَ لنا يا رسولَ الجمال
(يسوع) الهوى والهدى المنتظرْ

تؤانسك المهج الشاكرات
لك الأنس في شعرك المدّخرْ

وترعاك أطياف هذا الخريف
وقد رقصت فوق عزفِ المطرْ

ترتّل عنك نشيد السلام
فتمضي الرياح ويصغي الزّهرْ

وتهتف بالحب روح الوجود
فيهفو لها كلُّ شيء شعرْ[1]

وتورق عند حفيف الغصون
أمانٍ، ويبسم حتى الحجرْ

سلمتَ وعوفيتَ من كل ضرٍّ
وحالفك المستعز القدرْ

---

[1] شعر: قال الشعر.

وعشتَ تمجَّدُ في الخالدين ... وخَلقك دنيا تفوق البشرْ
ولا زلتَ مُنهِضَ شعبٍ أسيرٍ ... يناجي السماء ويَرضى الحُفَرْ
تملَّقه دائماً قاهروه ... وقد أورثوه صنوف الغِيَرْ
فأوهم في ذله عِزَّةً ... وهوَّن ما حوله من شررْ
أغثه وقم يا طريح الفراش ... قيام النبي أمام الخطرْ
وجلجل بصوتك في الخافقين ... ليؤمن بالحق من قد كفرْ
وكن كأخيك الشقي الصَّبور ... على برّه يستطيب الضررْ
يجود بأنفاسه الوافيات ... لأوطانه فيلاقي البطرْ
ويرجمه الطغمة الهازلون ... وقد خادعوا الشعب حتى انفطرْ[1]
إذا ما تنحَّى الهداة الأساة ... وخافوا مثالب غِرٍّ فجرْ
فيا ويل أمتهم في الهوانِ ... ويا ويلهم من زمانٍ أمرْ
سأرقب كتبك، شأن الحبيب ... يناجي النجوم ويرعى القمرْ
وفي كل سطرٍ أرى للحياة ... معانيَ تلهمني أو سِيَرْ
فعجل ببرئك يا ابن السماء ... فكم معجز لك قبلاً ظهرْ
حرامٌ سَقامُكَ يا من تقدّس ... عند الفنون بأسنى السُّوَرْ
حرامٌ فعد لنشيد الخلود ... وأسْمِعْ (أبولُّو) فتونَ الوترْ!

(١٩٤٩)

*****

[1] انفطر: انصدع.

جواب الصديق الشاعر نعمه الحاج

وُقيتَ الضنى وأمِنتَ الخطرْ ... وأبعدَ عنكَ الإلهُ الضررْ
وكل هزارٍ شدا في السطورِ ... فداً لك أو إن شدا في الشجرْ
أبا الشاديات الزكي الفؤاد ... تفرَّدت باللطف بين البشرْ
أتيت تؤانسني في الضنى ... وتبعد عني الأسى والضجرْ
بنفثة سحرٍ من المعجزات هزَّت فؤاديَ هزّ الوترْ
ومعجز أحمد فيما مضى ... ومعجز أحمد فيما حضرْ
شعورك ألهبَ فيّ الشعورَ ... بشِعرك يا خيرَ من قد شعرْ
وروحك جادتْ على مُهجتي ... بما جاد للظامئين المطرْ
برئتُ وزايل عزمي الخَورْ ... ولم يبق للطلع بي من أثرْ
وما من علاجٍ ولكنه ... دعاء الصديق الوفيّ الأبرْ
أخي وكتابك فيه الرُّقى ... وفيه العظات وفيه الدررْ
وفيه أرق النشيد حكَى ... أرقّ النسيم سرى في السحرْ
تنشقتُ منه عبير الورودِ ... ونشر الخزام ونفحِ الزهرْ
وطالعتُ فيه رُواء الربيع ... وما في الخريف سبى من صورْ
سجاياكَ تلكَ حلَتْ واللسان ... يقصّر مهما عليها شكرْ
إذا ما شقيت بخدمة شعبٍ ... تريه ألوفاً ويريك البطرْ
وتصبرُ صبر الكريم الحليم ... فما أنت أوّل حُرٍّ صبرْ
صرخنا إلى أن يئسنا كمن ... يخاطب حتى يلين الحجرْ
ومن غَرّه مظهرٌ في الورى ... فإني أرى دونه ما أستترْ
مُدالسةٌ ورياءٌ هناكَ ... وما اغترَّ من علّمته العبرْ

فمـــا زال للنعــراتِ النُّفُــوذ ... هــي المبتــدا عنــدهم والخبرْ
ولـــيس لأهليـــة المـــرء بـــل ... لمذهبـــه كـــان لفـــت النظـــرْ
وقـــد عجـــز العلـــم أن يقهـــر الـــ ... ـــخرافات فـــيهمُ فـــيمن قهـــرْ
يعيشـــون بـــالزيّ في عصـــرهم ... وأفكـــارهم في زمـــان غـــبرْ
ومـــن زاد بـــذخاً بتهريجـــه ... فـــذاك هـــو الســـيّد المعتـــبرْ
تـــرى مـــا يســـوؤك أنّـــي التفـــتّ ... وأمـــا المســـرُّ ففيمـــا نـــدرْ
قبـــورٌ مكلَّســـةٌ نَتْنُهـــا ... تـــوارى وزخرفهـــا قـــد ظهـــرْ
فـــلا أمـــلٌ مـــنهمُ يرتجـــى ... فســـلّم رجـــاك لأمـــر القـــدرْ
عســـى بعـــد أن يتـــولى القـــديم ... يحقـــق في مقبـــل منتظـــرْ
ويعتـــدل الغصـــن لكـــن إذا ... غـــدا حَطبـــاً وشـــدَدْتَ انكســـرْ

(١٩٤٩)

وادٍ وواد

إلى الصديق الشاعر الياس عساف صليبا ردّاً على قصيدة ودية كريمة

للفـــنّ قـــدّرت شِـــعرك الهـــادي ... وودّك المـــــزدري بأضـــــدادي
ولـــيس بـــي نقمـــةٌ علـــى أحـــدٍ ... فالكـــل عنـــدي مثـــال أولادي
وعظـــتهم مخلصـــاً فمـــا اتَّعظـــوا ... وأوقعـــوا في شـــباكِ صـــيّادِ
مـــن كـــلّ غـــرٍّ أو ســـائسٍ أشـــرٍ ... يشـــقي شـــعوباً بـــوهم أفـــرادِ
وعـــدتُ في نخـــوة أذكّـــرهم ... فـــأعلنوا جاحـــدين إلحـــادي
يـــا ليـــتني مخطـــئٌ، وليتهمـــو ... قـــد أحـــرزوا مـــا يســـرّ نقـــادي
فمـــا أبـــالي إلاّ بعـــزّتهم ... ولا أعـــاني مـــن قـــدح حسّـــادي

إذا انطوى خاطري على وطني   فذاك حبّي تراث أجدادي
وليس كرهاً لغيره أبداً   وأي كرهٍ لعاشق (الضاد)؟
صدقت! إني أعيش محترقاً   لهم بوادٍ، والجمع في وادِ
كأنهم أشرفوا على زمنٍ   ماضٍ، وليسوا بعهد روّادِ
كأنما (الذرّة) التي انفجرت   ليست بدنيا لهم بمرصادِ
كأنما جعجعاتُ طائشِهم   هزائمٌ ألحقت بقوّادِ
والهفتي إذْ غدتْ معاقِلهم   نهباً، وكانت أعزّ أطوادِ
والهفتي حين من يخاتلهم   يدنّى ويقصى المقوّم الفادي
بل لا يصير الذي يبصّرهم   إلاّ شهيداً لنارِ أحقادِ
هيهات أن يُبعثوا بضلّتهم   وهم مطايا تذلّ للحادي
وهم ضحايا أبت جهالتهم   أن يستعادوا من كفّ بدّادِ
لعلّ أحرارهم سواسيةً   يحيون يوماً لثأر أندادِ
وعلّ يوماً به تحرّرهم   يحين سمحاً بغير ميعادِ!

(١٩٤٩)

كابوس كئيب

أفاق من النوم مستنجدا   كمن حاصرته جيوش العدى
فصاحت به زوجه الواجفه   وقد أوقظت فجأة خائفه
"أجبني، أجبنيَ! ماذا دهاك؟   وماذا يروعك؟ ماذا احتواك؟"
فقال: "حلمت بأني مريض!   وأن جناحي كسير مهيض!"
فقالت: "هنيئاً بهذا السقام   فلولاه ما نلت هذا المقام

ومـــن قـــال إنـــك حـــرٌ معـــافي؟ فلـــو كنـــت عـــاداك كـــلٌ وجـــافي!
فـــنم مـــلء جفنـــك نـــوم الـــبريء كأنـــك طفـــلٌ غريـــرٌ هـــنيء
وطـــوبى لكابوســـك المســـتهام بـــك الليـــل دون جميـــع الأنـــام
لعـــلَّ بـــذلك فـــألاً جمـــيلا وحظّـــين أن تطلبـــا المســـتحيلا
لعلـــك تبلـــغ دســـت الـــوزاره فخـــلِ اعتلالـــك دومـــا شـــعاره!
وإيـــاك تبـــدو رشـــيداً صـــحيحا فتغـــدو طريـــداً شـــقيّاً جريحـــا!
كـــذلك شـــأن الـــورى والحيـــاه بـــدنيا تـــدين بـــذلّ الجبـــاه
ومـــا الثـــائر الحـــر فيهـــا الســـعيد ولكنـــه في عـــداد العبيـــد!
فـــنم يـــا حبـــيبي بغـــير اكـــتراث ســـتفنى النســـور ويبقـــى البغـــاث!"
فنـــام وغـــطّ غطـــيط الـــبعير ورنّ الـــنخير، وطـــنّ الشـــخير!

(١٩٤٩)

تقديس الفن

مهداة إلى الأستاذين الفنانين أدهم وسيف وانلي وإلى مدرستهما الفنية بثغر الإسكندرية

في سنة ١٩٠٧ لوحظ طفل يزور المتحف البريطاني بمدينة لندن تكراراً، واضعاً في كل زيارة باقة من الأزهار عند قاعدة تمثال إغريقي أحبه، وسرعان ما كان الحارس يزيلها متذمّرا من إصرار هذا الطفل المقدس للفن[1]

كالطفـــل أهـــدي إلى التمثـــال أزهـــارهْ فقـــدَّس (الفـــنّ) معنـــاه وآثـــارهْ
والنـــاس تعجـــب منـــه وهـــو مغتـــبطٌ ولـــيس يســـأم بالقربـــان تكـــراره
وحـــارس (الفـــنّ) مزهـــواً بمتحفـــه يزيلـــها آبيـــاً للطفـــل إصـــراره
تـــرى ولائـــيَ للـــذكرى يمجّـــدها قلـــبي، ويمنحُهـــا حبّـــي وأزهـــاره

[1] مجلة "أكاديمي" بتاريخ ٣١ أغسطس سنة ١٩٠٧.

وأيُّ نكرى تناجي (النيل) إن كملت فاتت متركم يوماً وأنواره؟
ولم تقبّل جمالاً في مفاتنكم ملء الفؤاد، وطيفاً مخلصاً زاره؟
إن أنس لا أنس أعياداً لنا سلفت في (معبد الفنّ) نسقى منه أسراره
في كل يوم أناجيها وأعبدُها فكيف حين تهيجُ اليوم تذكاره؟
وافت رسائلكم جذابةً صوراً والمرء يظهر فيما صاغ واختاره
فأي شعر يحاكي بعض رونقها إذا صببت فؤادي اليوم أشعاره؟
وأيُّ زهرٍ حريٌّ أن يكرّمها أن يغازلها إن بثَّ عطّاره؟
سئستقل بتقديسي روائعكم كذلك الطفل إذ لم يلق أنصاره
والفن ليس من الدهماء قوّته إن فات من حكماء الشعب أوتاره

(١٩٤٩)

إرتريا الجديدة

تحية ونشيد

إِرتريا إِرتريا! إلى الأمام سيري!
لا تذعني لدنيا تعنو إلى القديرِ!

*****

توحَّدي وضُمّي أبناءَكِ الأحرارا
ولتحفظي كالأمّ ولاءهم شعارا
بالعلم ثم العلم والخُلق ثم الخلْقِ
سيري مسير النجم في عالمٍ للحقِ
ولتبدعي الجنانا والنور والعرفانا

فترفعـــي الأوطانـــا وتســـعدي الإنســـانا

لا يرهـــب المحـــالا إلا الضـــعيف الـــواهي

فلتركـــبي الأهـــوالا إن شـــئت أن تبـــاهي

لا فخـــر بالجـــدود مهمـــا سمـــوا وســـادوا

الفخـــر أن تجيـــدي ودأبـــك الســـدادُ

يا بنت (نهر القاش)[1] يا أخت (مصر) الصغرى

مـــا كنـــتِ للنجاشـــي والعصـر يسـمي الحـرّا

بـل أنـت في العصـور مـن أنـت عنـد شـعبك

مفديّـــة بـــالحور[2] والكـــلُّ رهـــن حبّـــك

*****

إرتريـــا إرتريـــا! إلى الأمـــام ســـيري!

لا تـــذعني لـــدنيا تعنـــو إلى القـــديرِ!

(١٩٤٩)

الواحة والهجير

ردّ على كتاب من الصديق الشاعر نعمه الحاج

إلى الأديـبِ أديـبِ الـنفس والخلـقِ الشـاعر الفـذّ في لحـنٍ وفي عبـقِ

شـكري لـودٍّ كـريمٍ لسـت أعهـده إلاّ بأنـداء زاهـي الفجـر والشـفقِ

وفي (الطبيعـة) في شـتى مفاتنهـا تحنـو علـيَّ حنـو الأم في قلقـي

---

[1] أحد فروع (النيل) الصغرى.

[2] إشارة أيضا إلى أسطورة الفداء والقربان (للنيل) عند قدماء المصريين.

غنَّاء في صمتها أضعاف ما نطقت ... أنغام صدَّاحها بالحبّ والحرقِ
تشرَّبت روحها روحي وجاوبها ... قلبي وذهني بإيماني ومعتنقي
كذا كتابك إذ وفى بجنّته ... مجلى من اللطف للألباب والحَدَقِ
والناس بين حقيرٍ في مداركه ... وبين عانٍ من الأحقاد مختنق
لا يغنم الحرّ إذ يشقى ليسعدهم ... إلاّ ضروباً من التجريح والحمقِ
أهلاً بحبّك واساني وأسعدني ... في عالمٍ عاثرٍ بالمينِ والملقِ
كأنني واحةٌ يودي الهجير بها ... ووبلك المحض صوب العارض الغدق

(١٩٤٩)

رجع الصدى

جواب الصديق الشاعر نعمه الحاج

أهلاً بطلعة بنت الفجر والألقِ ... تزري بطلعة ذات الحلي والحلقِ
تُعزى لأحمد أنفاساً مطيَّبةً ... ورد الربيع ونشر المسك في العبق
يا مُرسلَ الشعرِ نفثُ السحرِ منطلقاً ... تركتني ولساني غير منطلقِ
من بحر فضلك وافتني بمؤتلقٍ ... وقلدتني – فناءت بالثنا عنقي
ذي منةٌ يا شقيق الروح منكَ إذا ... ضاق اللسان بها فالقلب لم يضق
إن تشكر الودّ–فضلٌ قد سبقت به ... لكن على الفضل شكري غير مستبقِ
حسناء روحك في مرآتها نضرت ... لمّا رأت ما استحبت فيَّ من خلق
وكنت أولى بهذا الشكر منك لذا ... إليك أرجعه قلباً على طبقِ
قلباً يعيد الولا ضعفيه متشحاً ... من الوفاء بثوبٍ نزهة الحدقِ
دع الأنام ولا تنزل لحمأتهم ... هم في الحضيض وأنت البدرُ في الأفقِ

جـاء المسـيحُ وجـاء الأنبيـاءُ ولم تجهـل أولئك مـا لاقـوا وذاك لقـي
فاسبح بروحك في جو القريض وعش للفـنّ في عـالم مـا فيـه غـير نقـي
(١٩٤٩)

النكبة

لم يُهـزمِ النَّـاسُ في حـربٍ مـع النَّـاس بـل في حـروب الهـوى والبـؤس واليـاسِ
لـيس الصـياح بمجـدٍ في مـآتمكم بـل التحـرر مـن عجـزٍ وأرجـاسِ
ولا المباهـاة بالتـاريخ تسـعفكم إذا قنعـتم بأوهـامٍ ووسـواسِ
همُّـوا بـني أمَّـتي! همُّـوا! فنكبـتكم ليسـت سـوى وزرَ أخـلاقٍ وسُـوّاسِ
همُّـوا ولا تتركـوا مـن بـاعكم سـفهاً يخـال مصـطنعاً للحـذقِ والبـاسِ
هيهـات مـا عصـرنا الـذريُّ منصـفكم مـع الخنـوع لعبـدانٍ وأنجـاسِ
هيهـات يسـلم إلاّ كـلُّ ذي شـرهٍ للعلـم يسـعفه في دعـم آسـاسِ
مـا للتناسـي المآسـي، وهـو علّـتكمِ لم يخلـق النصـر للمسـتهتر الناسـي
ولا لمـن حظُّـه ترديـد جعجعـةٍ ومـن يعـيش علـى خـوفٍ وإفـلاسِ
همُّـوا! فلـيس الغـد المأمول خـاذلكم في رجـع عـزتكم أو دفـع إيجـاسِ
همُّـوا لبنيـان مجـد مـن عظـائمكم تصـونه قبـل أجنـادٍ وأحـراسِ!
فـالحق أضـيعُ في أيـدٍ تداعبـه بـين الغـرور وبـين اللـهو والكـاسِ
والحـق أثبـتُ في أيـدٍ تقدّسـه ولا تسـاوم فيـه أي إحسـاسِ
إن كان نصحي لكم قد ساءَ أحمقكم فلـيس غـير شـعوري الملـهم الآسـي
مـا كنـت أبغض خـيراً سـوف يشـملنا لو صحَّ، لكن سئمت الحمق في الناسِ
وتـريهم خلـفَ أوهـامٍ مزوَّقـةٍ جنت عليهم، فمـاتوا ميتـة اليـاسِ!
(١٩٤٩)

نيويورك

نسيتُ الجِنان وسكّانها ... ومَن ألهموا الشعر إيمانها
وآثرت عاصمةً للكفاحِ ... وقد زانها منه ما زانها
كفاح التنافس في الخالدات ... تخذن الشوامخَ عنوانها
وقدَّسن مسترسلاً في الطموح ... أجاد، وأعلين إنسانها
تلألأ فيها ضمير الوجود ... وإن سوّد الدهر جدرانها
فللدين فيها مكان الخشوع ... وإن زعموا المالَ ديّانها
وللعلم فيها حياة الجموع ... وإن حسبوا اللهو ميزانها
وللطبِ آياته في سطوعٍ ... تضاعف بالشيب شبانها
وللفنّ منزلة في الذيوع ... كأن الهواء الذي صانها
ولِلّهو غايتهُ في الشيوع ... ولكن ليسعد سكانها
سمت بمتاحفها الغاليات ... قروناً تكرّر أقرانها
وشتّى معابدها الحاليات ... ترتّل للسلم ألحانها
وأبقى معاهدها المعجزات ... جعلن الحقيقة أوطانها
وأقوى معاملها الخالقات ... غرائب جاوزن حسبانها
وأزهى مسارحها الفاتنات ... بهرن الفنون وفنانها
سعدت بها رِغم هذا الكفاح ... ولولاه كنت كمن خانها
فأصبحت عاشقها المستعزّ ... بها والمرتّل فرقانها
أغنّي لها صلوات الشكور ... رأى في المصاعب إحسانها
وأمشي على الطرق الصاخبات ... فخوراً أنافس سلطانها
وأهوى حدائقها الحالمات ... قصائد زيَّنَّ ديوانها

كأن السناجيب[1] أطفالها ... جعلن الأراجيح أغصانها
كأنّ الغرانيت في أرضها ... صوامع حجّبن رهبانها
معابدُ لا معبدٌ للجمالِ ... يمسّ المطوّف أركانها
ومن حولها العشب جم الرفيف ... يجاوبُ بالعطف تحنانها
كأن الأزاهر يقظانة ... ملائك تحرس كثبانها
كأن الجنادب في شدوها ... ندامى تسامر ندمانها
كأنّ الطيور بتغريدها ... تلقّن للشعر أوزانها
كأن الأشعة رسل (الطبيعة) ... تحمل للنبت ألوانها
وتضفي على الصخر تحنانها ... وتلقي على الماء نشوانها
أطوف بها لاهياً ضاحكاً ... كأنيَ منتهبٌ حانها
وإن كان صفوي الذي لا يملّ ... عبادة من عزّ أوثانها
ومَن للوحوش بأقفاصها ... رأى أخوةً أسعدوا شانها
فما زارت مرة في شجىً ... ولا عرف الهمُّ خرسانها
وما شمخت ناطحات السحاب ... على السفن تمخر خلجانها
وإن سكنت فوق قطر تسير ... شياطين نافسن شيطانها
تسير بجوف الثرى كالبروق ... وقد تتجاوز إمكانها
حياة تكرّر فيها الحياة ... وهيهات نقدر أثمانها
وعمرٌ تجاوز عمر السنين ... ودين تشرَّب أديانها

(١٩٤٩)

[1] جمع السنجاب.

اللاجئون

خُرسٌ فمن عن ويلهم يتكلّم؟ ... ومعذَّبون لهم تُقامُ جهنَّمُ

جَنت السياسة مثلما جنت الوغى ... والظالمون الغاشمون عليهمو

وتشرّدوا لا يملكون وجودهم ... لو كان يُمتلك الوجودُ المبهمُ

ضاعت معاقِلهم، وضاعت قبلها ... أممٌ، وهان معززٌ ومنعَّمُ

ليس المقامُ مقام لوم شاملٍ ... ولعلَّ أول من يلامُ اللُّوَّمُ

إنَّ المقامَ مقامُ نبلٍ سابغٍ ... حتى يُغاثَ من الفناء المعدَمُ[1]

إنَّ المصيبة لا مثيل لرزئها ... فيما روى التاريخ أو ما يُعلمُ

ليفتّت الجلمود من أهوالها ... ويدوّم البحرُ الذي يسترحمُ

وتشقُّ أطباق السماء مناحةً ... والرعد في جبروته يتهدّمُ

والنّاس... ما للناس لم يتأثروا ... والأهل... ما للأهل لم يتندّموا

إن الكوارث مُفْصِحاتٍ حولهم ... تتطلب الإنجاد حين تلعثموا

هذا أوان التضحياتِ فما لهم ... ضنوا بأوهى الواجبات وأحجموا؟

المال مهما جلّ ليس ضريبةً ... تؤبى إذا ما هان للحرّ الدَّمُ

وإذا تخاذلت الشعوب وأنكرت ... من هم عماد حياتها لو تفهم

فمن المحال لها، وذلك حالها ... بعثٌ ولوعاد النبيُّ الملهمُ!

(١٩٤٩)

[1] المعدم: المسلوب الحياة.

عيسى

(واهب الحب والجمال)

يا مُعلن (الحق)! لم يُنصفك من جهلوا ... سيَّانِ لاسمك أو لله يُبتهلُ!
نورٌ من الله، ما ألهمتنا قبسٌ ... من الإله وما أسقيتنا نَهلُ
لُدنا بحبّك في الآلام طاغيةً ... وفي المآسي التي قد عقَّها الأملُ
كما دعوناك في الجلّى[1] لترشدنا ... إلى الصواب إذا ما حفّنا الزللُ
ألست إلهام هذا الكون أجمعه ... ومظهر الخير في الدنيا لمن عقلوا؟
ألست من حمل الآلام قاطبةً ... عن الأنام، وفدّاهم وإن جهلوا؟
لكلِ دينٍ نبيٌّ يُستغاث بهِ ... وأنت للناس والأديان من أملوا
يا صاحب المعجزات اليوم ما برحت ... بالمعجزات مآسي الناس تحتملُ
إنّا نناجيك، لا ينتابنا مللٌ ... وكيف ينتابنا في حبِّنا مللُ؟
ونفتديك، وإن فدّيتنا سلفاً ... بصون مبدئك الأسمى ونحتفلُ
المُسلمُ الحقُّ لا يألو[2] تشوّقه ... وعنده أنت أنت الفاتح البطلُ
هيهات يفتعل الإيمان مذهبه ... لو أن إيمان جُلِ الناس مُفتعلُ
مرَّت عصورٌ أمامي كنت أعرضها ... ومرَّ خلقٌ، ومرَّ النجح والفشلُ
وكلُّ ما ملك الإنسان مبتدعاً ... وكل جهدٍ وعت أيامه الأولُ
فلم أجد بينها "عهداً"[3] أعزَّ سنىً ... مما وهبتَ، ولو قامت به الدولُ
يا واهب الحبِّ ديناً والجمالِ غنى ... لولاهما شاهت الدنيا لمن كمُلوا
إذا تذبذب من عدُوك فاديَهم ... فما تذبذب لي قولٌ ولا عملُ!

(١٩٤٩)

---

[1] الجلى: الأمر الشديد والخطب العظيم.
[2] يألو: يقصّر ويبطئ.
[3] عهداً: ميثاقا.

شجرة عيد الميلاد

أختَ السلامِ! ربيبةَ الأعيادِ! طرحوك طرح نفايةٍ وبَدادِ[1]
لم يمهلوك كأن عرسك لم يكن عرساً، وحَليكِ كان رمز حدادِ
وعرفتِ قارعة الطريقِ مباءةً بعد الخشوعِ وفرحةِ العبَّادِ
كم حاصروك مهنئين وأنشدوا سوراً، وكم خصوك بالميلادِ
وتباركوا بك خاشعين، فما لهم نبذوك نبذَ ضلالةٍ وفسادِ؟
وكأنما لم تبقَ للذكرى يدٌ سلفت، ولم تمدد إليكِ أيادي
تطأ النعال من الفروعِ حزينةً كانت معارض زخرفٍ ميَّادِ
ويعافها الكلبُ الذي بوفائهِ ضُرِبَ المثالُ، ويستهين العادي
فتُسامُ من بعد المهانة والأذى ناراً، كأنَّ بها وباء عِبادِ!

*****

أحييتِ ميلاد (المسيح) وبعده كنتِ الضحية للمسيح الفادي

(١٩٤٩)

الصعود

أسفاً، أعودُ إلى (السمَّاء) كما أتيتُ بنبع فنّي
لم ألقَ في دنيا الأنامِ سوى المهازل والتجنّي
دنيا تقومُ على الدماء وبالدماءِ هوىً تغنّي
وتدورُ طاحنةً عقولَ النابهينَ وأيَّ طحنِ

---

[1] البداد: الفضلات المنبوذة.

ويسوسها البلهاء من غبنٍ تعانيه لغبنِ

ومن الخراب يهزُّها هزاً إلى ضغن وضغْنِ

(الأرضُ) كم شقيت بهم كشقاءِ موتور بأينِ[1]

وهبت لهم أسنى الكنوزِ فكافأوها بالتدّني

صلبوا (المسيح) وشرّدوا الأحرار بين الخافقين

وحياتهم نقضُ الحياة تسامُ في شكٍ ومين

كم أولعوا بالهدم والهدّام لا يسمو ليبني

ولو انهم عقلوا جنوا من نارهم جنّات عدنِ

فإلى (السّماء) أعودُ لم يُغنِ التأني والتمنّي

فحروبها أجدى وأوفى (للحياة) وكلّ فنٍّ

وسلامها أبقى وأنقى للوجود المطمئنِ

إن تعتبر منفاي بالمنفى أبرُّ إذن بذهني

ولعلَّ أمّي (الأرض) في الحالين في دهني وعيني!

(١٩٤٩)

[1] الموتور: من قتل له قتيل فلم يدركه بدمه – والأين: الإعياء.

من أناشيد الحياة

الوليد الجديد

تحية عام ١٩٥٢

أيُّهـــا العـــامُ الّـــذي وافـــى وفي الأنْفـــاسِ عِطْـــرُ
شـــاعراً يُنْشِـــدُ أحلامـــاً، ولِـــأحلامٍ سُـــكْرُ
مَرْحَبـــاً يـــا أيُّهـــا الشّـــادي الـــذي نَجْـــواهُ شِـــعْرُ
يـــا وليـــداً هَشَّـــتِ الـــدُّنيا لَـــهُ وافْـــترَّ ثَغْـــرُ
قَبَّلَتْـــهُ مِثْلَمـــا حَيّـــاهُ تَأميـــلٌ وفِكْـــرُ
أتـــرى تُنْصِـــفُ أهْليـــكَ، فَيَرْضـــى عَنْـــكَ حُـــرٌّ؟
أم تُـــرَى تَخْـــذُلُهُـــم يـــا عـــامُ إنْ بَشّـــوا وسُـــرّوا؟
يـــا وَليـــداً طُهْـــرُه البسّـــامُ لـــلأرواحِ سِـــحْرُ
لَيْتَنـــا نَضْـــمَنُ آتيـــكَ، وليـــتَ اليـــومَ دَهْـــرُ!
كُـــلُّ سِـــرٍّ هـــو مَهْـــرٌ للّـــذي عِنـــدك سِـــرٌّ
تَـــركَ النّـــاسَ أســـارى، ليـــتَ هـــذا الأسْـــرَ أسْـــرُ
إنَّـــه أقْســـى مِـــراراً، واحتمـــالُ اليـــأسِ مُـــرٌّ
فـــاتَهُمْ في القَلَـــقِ المُضْـــني إلى أنْ لاحَ فَجْـــرُ
فـــأتَوْكَ كالنَّشـــاوى حينَمـــا الأضْـــواءُ خَمْـــرُ
هَتَفـــوا إذْ دقَّـــتِ السَّـــاعةُ، واسْـــتَهْواكَ بِشْـــرُ
شـــاكِرينَ الحـــظَّ، والحـــظُّ خَـــؤونٌ كـــمْ يَغُـــرُّ
لا يُبـــالي إنْ أتـــاهُ الشُّـــكْرُ أمْ لمْ يـــأتِ شُـــكْرُ
هـــو كالصَّـــقْرِ ومـــا بـــالى رَفيـــفَ الطّيْـــرِ صَـــقْرُ
هـــو كالجَبَـــلِ الشّـــامِخِ لم يَعْبَـــأْ ولم يَهْـــزُزْهُ صَـــخْرُ

هــو كــالبَحْرِ الّــذي إنْ مــاجَ لا يثْنيــهِ قَطْــرُ
هــو مِثْــلُ القَيْصَــرِ العــاتي لَــهُ الأقْــوامُ خَــرّوا
هــو مِثْــلُ المَــرْجِ لم يُحْصَــرْ وفيــهِ الشَّــوكُ زَهْــرُ
هــو مِثْــلُ اللَّيــلِ لم يَسْــكُنْ وفيــهِ الــنَّجمُ جَمْــرُ
هــو كــالجَوِّ الّــذي يَضْــحَكُ وهــو المُكْفَهِــرُّ
هــو كالصَّــحْراءِ في التّيــه وفيهــا الأمْــنُ غَــدْرُ
كــلُّ هــذا وسِــواهُ هــو لِلْحَــظِّ مَقَــرُّ
أيُّ لــونٍ منْــه يــا عــامٌ بــه لِلحُلْــمِ وَكْــرُ؟
لا مَفَــرٌّ منْــه للأسْــرى الحَيــارى، لا مَفَــرُّ
قُــلْ! أجِــبْني يــا وليــداً كــلُّ وَحْــيٍ مِنــهُ طُهْــرُ
إنَّ مــا تَحْكيــهِ حــقٌّ، أهْــو بَعْــدَ اليــومِ نُكْــرُ؟
عَــلَّ إيمانــاً لنــا نَتْلــوهُ لا يَتْلــوهُ كُفْــرُ!

*****

إيــهِ يــا عيــدَ الأمــاني، وأمــاني النّــاسِ ذُخْــرُ
كُــنْ رحيمــاً بالبَرايــا؟ حَسْــبُهُمْ وِزْرٌ وَوِزْرُ
وجَحــيمٌ مِــنْ عَــداواتٍ، كــأنَّ الكــونَ قَبْــرُ
لا تَــدَعْهُمْ في ضَــلالِ الجَهْــلِ لم يَبْلُغْــهُ حَصْــرُ
ولْتُبــارِكْهُمْ كمــا بــارَكَ عيســى مَــنْ أضَــرّوا
عَلَّهــم يَغْــدونَ إخْوانــاً ويُفْــني الشَّــرَّ خَيْــرُ!

٢٩ كانون الأول/ديسمبر ١٩٥٢

قال لي الحبُّ

قالَ لي الحُبُّ: كيفَ تَعْزِفُ عنّي[1]؟   أحَسِبْتَ الحياةَ مَحْضَ التَّمنّي؟
قلْتُ: هيهاتَ أن أفوتَك طوْعاً   أنتَ كَنْزي، بل أنت روحي وفنّي
كلُّ ما تَشتهيهِ أُعطيهِ سَمْحاً   غيرَ بَيْعي استقلالَ قلْبي وذِهْني
أينَ تلكَ الّتي ائْتَمَنْتَ على الكنْـ   ـزِ لتَبْني لك الّذي عِشْتُ أبْني؟
الّتي تَعرفُ الجمالَ بشَدْوي   وتُغَنّي لكَ الّذي قدْ أُغنّي؟
والّتي تَنْشُدُ الصَّباحةَ والظُّرْ   فَ بفنّي ولا تُبالي بسِنّي؟
والّتي في الحُبورِ تَلْقى بقَلْبي   مَنْبَعاً زاخراً لَه فاضَ عنّي؟
والّتي في الهُموم تَلْقى هُمومي   باسماتٍ لها كأنْ لم تَنَلْني؟
والّتي إنْ سَقِمْتُ بَدَّدَتِ السُّقْـ   ـمَ بقلبي من عَطْفِها المُطمئنِّ؟
والّتي لا تَرى وفيّاً يُفَدّى   أو حَرِيّاً بها وعنّي يُغنّي؟
والّتي لا تَخونُ عهدَ ولائي   إنْ يَبِعْني الأنامُ[2] أو إنْ يَخُنّي؟
والّتي تَزْدَهي بما أنا مُسْدٍ   للوَرى حينَ أسرفوا في التَّجنّي؟
والّتي سُخْرُها بكُلّ زَنيمٍ[3]   راح يغتابُني وُلوعاً بطَعْني؟
والّتي تُرجِعُ السّهامَ ثِقاباً   أو هَشيماً وقد تَبَدَّتْ مِجَنّي[4]
والّتي وَحْيُها مِثاليّتي الكُبْـ   ـرى ووَحْيي جمالُها مِلءَ عيني؟
والّتي لا تَرى التَّجاوُبَ غَبْناً   لِسَناها وإن يكنْ مَحْضَ غَبْنِ
والّتي تَغْتَدي كتَوْأمِ نفسي   وتعالَتْ على سُؤالٍ ومَنِّ؟

---

[1] عزف عن: أعرض عن؛ (و.ف).
[2] الأنام: الناس؛ (و.ف).
[3] الزنيم: اللئيم؛ (و.ف).
[4] المِجنّ: كلّ ما يُتّقى به من السلاح.

إنْ تـراءتْ فـإنّني عنـدها أعطـي … جَميـــعَ الّـــذي تَمنَّتْـــهُ مِنّـــي
وإذا صِـرْتُ عبـدَها قُلْـتُ للدَّهْـ … ـرِ طَروبـاً: بـالله دَعْهـا ودَعْـني!

بدني وروحي

إنّــي بــريءٌ مِنـكَ يــا بَـدَني … فلسْـتُ فيـكَ بحـالٍ أيَّ مُـرتَهنِ
ولسْـتَ مِـرْآةَ روحـي في تصـوُّفها … وإن زَعَمْـتَ، وإن حاولـتَ يـا بَـدَني
ولستَ مُنْصِفَ حُسْنٍ ثائرٍ بدَمي … ولا غَرامـي، وقـد نـدّا[1] عـن الـزَّمَنِ
مهْمـا مُـدِحْتَ فمـا عبَّـرتَ مُكتمِلاً … عنِ الشّبابِ الّذي في الرّوحِ لم يَهِنِ
ولا عـنِ الشَّـوقِ جَيّاشـاً بـلا أمـلِ … ولا عـنِ الشّـعرِ فـوّاراً بـلا سَـنَنِ[2]
ظُلِمْتُ فيك ولـو حاوَلْـتَ تُنصِفُني … وبِنْـتُ عنْـك وإن عَـدّوكَ مِـنْ سَكَني
لَعَـلَّ جسْـميَ في نـورٍ أهـيمُ بـه … أو في حَنـانٍ ولحْـنٍ عانَقـا أُذُنـي
أمَّـا تعـاريفُ روحـي فهـي نائيـة … عنْ كلِّ فهمٍ وعن حدْس وعن فِطَنِ
كأنّهـا مِـنْ معـاني اللهِ قـدْ خُلِقَـتْ … فلـمْ تُكيَّـفْ ولم تَسْـكُنْ ولم تَـبِنِ
أو أنَّهـا بَعْـدُ لم تُخْلَـقْ وإن فُطِـرَتْ … أو أنَّهـا لم تَـزَلْ كالحُلْمِ في الوسَنِ!
لـو يَعْرِفُ الحُسـنُ إحْسـاني لأبـدَعَني … بعَطْفِـه فـوقَ مَعْنـى الـرّوحِ والبَـدَنِ

---

[1] نَدّا: نَفَرا وشَرَدا.
[2] السنن (ج سنّة): الطريق المعيّن.

حنان البنوّة

أرسلها صاحب الديوان إلى ابنته الأديبة الشاعرة صفيّة وقد تلقّى هدية تلفزيون منها في عيد ميلاده*

صَفيّةُ! في حَنانِكِ لي عَزاءٌ ... تَجَلّى حينَ ميلادي تَجَلّى
وكان الدَّمعُ يَقْطُرُ مِنْ فُؤادي ... فأُخْجِلَ مِنْ وفائِكِ واضْمَحَلاّ
ووافَتْني الهديَّةُ وهي تَحْكي ... مَشاهِدَ ما نَراهُ وما تَولّى
وتَصْدَحُ بالمُحبَّبِ مِنْ أغانٍ ... وبالرَّقَصاتِ آياً لن تُمَلاّ
جِهازٌ عُدَّ مُعجِزَةً، ولكنْ ... رأيْتُكِ أنتِ أبْدَعَ أوْ أحَلاّ
وإنْ كُنْتِ ابْنَتي، فالبِرُّ أضْحى ... حَراماً لن يُباحَ ولو أُجِلاّ
وصار يُعَدُّ مُعْجِزَةً، فإنّا ... فَقَدْناهُ خَيالاً قد تَدَلّى
أيَشْخَصُ بيننا والظُّلْمُ فاشٍ ... ويحسَبُهُ سَوادُ الناسِ عَدْلاَ؟
وأمْسى الحُبُّ مَحْضَ خُزَعْبَلاتٍ ... وكانَ الحُبُّ سُلْطاناً مُعَلّى
وصار النّاسُ أشْبَه بالضَّواري ... وما شَبِعَ الوَرى نَهْباً وَقَتْلا
حَنانُكِ يا صفيَّةُ فَلَّ حُزني ... على دُنيا تَعُدُّ الحُمْقَ عَقْلا
أضاعَتْ كُلَّ إيثاري، وسُرَّتْ ... بتَعْذيبي، وأضْحى الغَدْرُ سَهْلا
ولو عَقَلَ الوَرى حَرَصوا على أنْ ... يَكونوا كُلُّهُم للْحُبِّ أهْلا
فما دُنياهُمو إلاّ خَرابٌ ... ويَبْقى الحُبُّ بَعْدُ وما أظَلاّ
وتَفْنَى الأرضُ يومَ الشَّمْسُ تَمْضي ... ويَحْيَا الحُبُّ حُرّاً مُسْتَقِلاّ!
صَفيَّةُ! عِشْتِ للإحْسانِ رَمْزاً ... ولِلْحُبِّ المُقدَّسِ أيْنَ حَلاّ!

---

* كان ميلاد الشاعر في ٩ شباط/فبراير ١٨٩٢ ووفاته في ٢ نيسان/أبريل ١٩٥٥؛ (و.ف).

يا مُبرئ الناس!

أُصيبَ الأستاذ الصَّديق عيسى خليل صباغ بحمّى الملاريا في مصر فبعثَ إليه صاحب الديوان بهذه الأبيات الجامعة بين الدعاء لشفائه والتاهيل بعودته إلى أميركا

لـو كُنْـتُ كـالمُتنبّي في جَراءَتِـهِ ... وفي التّحـدّي لِحُسّـادٍ وأعـداءِ
لَطِرْتُ فـوقَ بِسـاطِ الـرّيحِ مُنْصَلِتاً ... سَـيْفاً يُمـزّقُ مـا آذاك مـن داءِ
قدْ سارَ وَصْفٌ لهُ في شِعْرِه مثلاً ... لِلْفَـنّ، والفنُّ عنْدي فـوقَ إنشـائي
يـا مُنْسـيَ النّـاسِ آلامـاً لِعِلّـتِهم ... عوفيتَ، واسلَمْ كعيسـى في سوَيْدائي
أَعُـدُّ سـاعاتِ قُـرْبٍ موشِـكٍ ثَمِـلاً ... كراهـبٍ بـينَ تَسـبيح وإصـغاءِ
إنّي على الحُبِّ قد نُشِّئْتُ، لا عِوضٌ ... عنْـه لِروحـيَ أو سِـرٌّ لإحْيـائي
ومـا الجَمـالُ سِـوى نِـدٍّ لِروْعَتِـهِ ... أو تَـوْأمٍ بـينَ أطْيـافٍ وأضْـواءِ
أهْـلاً بعَـوْدِكَ لِلأحْيـاءِ تُسْـعِدُهُمْ ... وتَنْشُـرُ النّـورَ فـيهم بعـدَ ظَلْمـاءِ
الحُبُّ والحُسْنُ في كَفّيكَ قَدْ رُفِعا ... للمُهْتَـدينَ، فمـا يَجزيـكَ إطرائـي!

نجلاء

إلى الصديق الأديب المهجري الكبير عبد المسيح حداد في فقد كريمته العزيزة نجلاء

أخـي عبـد المسَـيح فَـدَتْكَ نَفْسـي! ... يَعِـزُّ علـيَّ أن أهـبَ التَّأسّـي
لِمِثلِـكَ أيُّهـا الخِـلُّ المُرجّـى ... إذا الأحـداثُ فاتَتْنـا ليَـأسِ
ومـا أنـا باعـثٌ لـك مـن عَزائـي ... سِـوى ألمٍ تَملّـكَ كـلَّ نَفسـي
وسُـخْرٍ بـالوُجودِ ومـا تَغنّـى ... بـه اللاّهـونَ في أفيـاءِ رَمْـسِ[1]

---

[1] الرمس: القبر.

وذَ لْمَـــعُ فِي غَـــدٍ، وغـــدٌ تَـــولّى
كحاضِـرِنا ومـاتَ بِحِضْـنِ أمـسِ

ومــا وَهَــبَ الوجــودُ لنــا سُـروراً
سِـوى الأحـزانِ فِي أثـوابِ أُنـسِ

ومــا خُلْــدُ الحيــاةِ لنــا ولكــنْ
لِــذرّاتٍ سَــبَحْنَ بكــلِّ شَــمْسِ

فَنُحْ واسْخَرْ كسُخْري يا صَديقي
بــدُنْيانا وبــالعيش الأخَــسِّ

ومــا كــانَ انقِيــادُكَ غَيْـرَ فَقْـدي
لجَــوْهَرَةٍ تَضَــيَّعُ بعــد حَــبْسِ

أتــاني نَعْيُهــا وأنــا مــريضٌ
وأقــربُ عــوّدي حُزنــي ويَأْســي

أتــاني بَعْــدَ أن دُفِنَــتْ ففاضَــتْ
دُمــوعي مَــرّتَيْنِ لهــا ونَفْسِــي[1]

وأمَّــا أنــتَ أنْــتَ، فَيــا صَــديقي
رَجاحتُــك المَــلاذُ بكــلّ نَحْــسِ

وأنــتَ الفَيلســوفُ بِــلا مَــراءٍ
تَفُــكُّ الأسـرَ عــن عــانٍ وجِـبْسِ[2]

فــلا تَغْلُــلْ حِجــاكَ[3] بِمــا تُعــاني
ومــا عانَيْــتَ، وافــترِضِ التأسّــي!

الموحيات[4]

الموحيــاتُ حيــالي لا عِــدادَ لهــا
يا مَنْ نَقَدْتَ استجاباتي وعاداتي

إنَّ البعوضــةَ قــد تــوحي بنَشْــوتِها
لَمّــا تغنَّــتْ فُتونــاً مــن صَــباباتي

واا جُدْجُـدُ الهـانئُ المُغـرى بلَيْلَتِـهْ
تَفــيضُ آهاتُــه مــن نبــعِ آهــاتي

ونفحــةُ العِطْـرِ أشــواقٌ تُســاورني
كأنّمـــا مثَّلَـــتْ أمواجُـــهُ ذاتـــي

والجَلْمَدُ الصامتُ المقهورُ يهمِسُ لي
في الصّمتِ لهفانَ ألوانَ الشهيّاتِ

---

[1] ونفسي: ودمي.
[2] جبس: جبان.
[3] الحجى: العقل؛ (و.ف).
[4] هي، للتذكير، القصيدة التي يحتجّ الشاعر في تعريفه بأبياتٍ منها على من ينكر عليه إكثاره المزعوم؛ (و.ف).

والجَـدولُ، المُتـأنّي في تأمُّلِهِ خَواطري، مُفْعَمٌ مِثْلي بلَذّاتي
وباسمُ العُشبِ حولي في تَفاؤلِه رَغمَ الهجيرِ خَيالاتي ومِرْآتي
وما حواه الحَصى نَشوانَ مُؤْتَلِفاً كأنّما هو من تيجانِ ربّاتِ
حتّى الحُطامُ الّذي لا شيءَ يَعْدِلُه في بُؤسِه رُبّما أوحى تَعِلّاتي
هذي وتلكَ وآلافٌ تُماثِلُها عرائسٌ يتنافسْنَ بأبْياتي
لا تَحْتَقِرْها فقدْ تَنْشأ عَوالِمُها مَهْمَا ضَؤُلْنَ أعاجيبُ السّماواتِ
ولا تَقِسْ ما لفنّي في تأثّره بما يَهُزّكَ، أو خَمْري وجَنّاتي
كَمْ مِنْ أواصِرَ فيما أنتَ تُنكِرُهُ لِمُهْجَتي، كم أمانٍ، كمْ تحيّاتِ
الكونُ أجمعُه شعرٌ أفيضُ به وكلُّ ما فيه إيحاءٌ لآياتي
وربَّ شيءٍ تَظُنُّ الحسنَ جاوزَه أخُصُّه بحَناني أو عِباداتي!

عالمي

دَعوني مِن الدُّنْيا، مِن الأرْضِ والسَّما فإنّي خَلَقْتُ اليومَ كَوْناً مُجَسَّما
وأسْكَنْتُ فيه مِنْ شَواعِرِ مُهْجتي ثَوائِرَ لا تَرْضى النِّفاقَ المُلَثَّما
ولا عالَماً فيه الغَنيمةُ سُبَّةٌ وفيه أرى المجدَ المُعلّى مُهَدَّما
سأُهْرِقُ مَنْ أسْرى دِمائي تَحرُّراً وأُبْدِلُها من نَخْوتي الحِسَّ والدَّما
سأُبْدِعُ لي ناموسَ خُلْدٍ مُحتَّمٍ فقدْ سَئمتْ نَفْسي الفناءَ المُحتَّما
وأسخَرُ من أوضاعِ مَنْ قَدْ تَفَرَّدوا بهدْيِ الوَرى حتّى لقدْ نَشَروا العَمى
وكَمْ صيَّروا الإيمانَ والكفرَ لُعْبَةً وكَمْ حلَّلوا ما كانَ قبلاً مُحَرَّما
وعادوا إلى تَحْريمِه، ثمّ حَلّلوا دوالَيْكَ، حتّى ضَجَّتِ الأرضُ والسَّما

سـأنْبِذُهم نَبْـذاً لِقـاءَ جُنـونِهم فـإنَّ جُنوني صـارَ أحجى وأحكَمـا
وأمْشـي علـى كلِّ الّذي هَتَفوا بـه ومـا مَلَكـوا منْـه جِنانـاً ولا فَمـا
وأكسِـرُ أغـلالَ التّقاليـدِ كُلَّهـا ولا أرتَضـي غَيْـر التحـرُّرِ مَغْنَمـا
فمـا حَـدَّني عَقْـلٌ عَـتيٌّ ولا رُؤىً تُسـاوِرُني حتّـى وإنْ كُـنَّ أسْـلَما
تَحلَّيْتُ عن وَعْيي وأبدَعْتُ عالَمي بروحـي مـن الآبـاءِ نَشـوانَ مُغْرَمـا
فألفيْتُ في الأحـلامِ ظِـلَّ حَقـيقَتي ووَحْيـاً يُنـاجيني وإن عُـدَّ مُبْهَمـا!

الـواعظ

ألا فـانظُروا أيُّهـا السّـادرونْ قُبـورٌ، قبـورٌ، قبـورٌ، قبـورْ
مَضـى أهلُهـا واسـتحالَ النُّشـورْ وحـدَّثَكُمْ واعـظٌ في القُبـورْ
فهـلاّ استمعتُمْ لـوعظِ المَنـونْ؟
وهـلْ رُقَـمٌ هـذه أم تُـرابْ؟ تـرابٌ، تـرابٌ، تـرابٌ، تـرابْ
خـرابٌ، خـرابٌ، خـرابٌ، خـرابْ فـلا رِمَـمٌ بقيـتْ للحسـابْ
ولـفَّ الخـرابَ رداءُ السـكونْ!
ومـن عجـبٍ بعضُـها خالـداتْ كـأنَّ الـذي مـاتَ مـا كـان مـاتْ
كـأنّ المـماتَ حيـاةٌ حيـاةْ فقـدْ كـرَّسَ المـوتُ مَجْـداً وفـاتْ
فهـانَ، وفي المـوتِ مـا لا يَهـونْ!

فردوس الجحيم

أشِحْ بوجهِك عن فِكْري وعن نَظَري فربّمـا هُيّجـا كالصـاخبِ الشّـرَرِ
ولا تَقُلْ مصـرُ صـارتْ جنَّـةً أُنُفـاً صـانَتْ لـيَ الحُـبَّ في فردوسِـها العطرِ
فَمـا عرفْـتُ بهـا إلاّ زبانيَـةً في كلِّ عهدٍ، وحظّي عندَهم ضَرَري
ومـا أقـلَّ صـحابي في خمائِلِهـا ماتوا على الجمرِ أو عاشوا على الحذَرِ
كأنّمـا النّحْسُ غنّـى يـومَ مولِدِنا مَلاحِـمَ اليـأسِ والآلامِ والخَطَـرِ
ومـا أشـكُّ بـإخلاصٍ لقادتِهـا مَنْ أنْقَذوها من الطاغوتِ والخَوَرِ
لكـنْ أشـكُّ عَميمـاً في حَصـافتِهم فقدْ غدا صُنْعُهُمْ أُضْحوكَةَ القَدَرِ
العـازفينَ عـنِ الأحـرارِ شـرَّدَهُمْ يـأسٌ، وجَمَّعَهُـمْ تأنـانُ مُحْتَضَـرِ
والحاضنينَ عبيدَ الظلْمِ مَنْ كفَروا بـالحقِّ وافتخـروا بـالموقفِ القَـذِرِ
والحـالمينَ بـإعزازٍ لأُمَّـتِهم على أيادي لُصوصٍ بالغي الضَّررِ
والقـائلينَ ذوي الألبـابِ في عَمَـهٍ كأنَّمـا جُـرِّدوا مـن نِعمـةِ البَصَـرِ
والخـائفينَ الحَيـارى مِـنْ مُـؤامرةٍ وهُـمْ هُمـو وحـدَهَمْ إلْهـامُ مُـؤْتَمِرِ
والخـاذلينَ رجـالاً مهَّـدوا لَهُمـو بـالفكرِ والـرّوحِ والإيثـارِ للظّفَـرِ
والشّـاكرينَ سَـفيهاً ظـلّ خـائِنَهم وإنْ تشـدَّقَ بالأشـعارِ والسّـوَرِ
والصـافعينَ وفيّـاً بـاتَ يَمـدَحُهم من أجلِ مصـرَ، وشـهماً جلَّ عن وَطَرِ
والقـانعينَ بأطفـالٍ حيـالَهُمو أجـلُّ هـمٍّ لهـمْ في اللّهْـوِ والسَّمَرِ
هـذي وهـذي وهـذي كلُّهـا عِبَـرٌ لكـنَّهم غفِلـوا عـن هـذه العِبَـرِ
حتّـى لأخْشـى عليهمْ من عِمايَتِهم كـأنَّهم شـابهوا المغلـوبَ مـن أكَـرِ!

*****

يـا لائمـي المُتَجنّـي إنْ تَكُـنْ رَجُـلاً إجْعَلْ حديثَك عن ماضـيَّ واعتَبرِ
التّضحياتُ الغوالي مـلءُ سـاحتِهِ صُلِبْنَ مثلَ سِنينٍ ضِعْنَ من عُمُري

ما عابَني طَعْنُ مَنْ خانوا ومَنْ غَدَروا إن لم أخُنْ مبدئي أو لم تَخُنْ فِكري
في ذمَّةِ اللهِ ما أسْلَفْتُ من مُثُلٍ عُلْيا، وما لمْ أزلْ أُسديه من غُرَرِ
أنا الفقيرُ سِوى مِنْ خُلْقِ مُبتدرٍ إلى الصَّلاحِ، ومن إبداعِ مقتدرِ
إن فاتَني جُدَدُ الحكّام ما فَتِئَتْ مآثري كذُيولِ الشمسِ في أثَري
الخاسرونَ هُمو، حتّى وإنْ حُرِمَتْ نَفْسي الرؤى في سَماءِ النيل أو قَمَري
فإنَّ في النفْي تَطْهيراً أُحِسُّ به كأنَّما أنا قدّيسٌ لمنتظرِ
آثرتُه مُشْمَئِزّاً من حَماقَتِهم وإنْ خَلَقْتُ لهم غُفرانَ معتذرِ
وقدْ كَفاني يَراعي الحرُّ أو وَتَري مَجْداً يُرامُ، وأغنَتْ عالَمي صُوَري
كما نفضْتُ يدي منهمْ بلا أسفٍ وما نفضْتُ يدي من مصرَ أو نظري!

التّسامح

ما شَكاتي من الأنامِ عداءً أنا منهُمْ، فَما عدائي لنَفْسي؟
هي عتبُ المُحبِّ مَهْما قسا العتْـ ـبُ، فما يأسي الأليمُ بيأسِ
ليسَ سُخطي سِوى تَشوُّقِ وِجداني لإصلاحهمْ وإيثار حسّي
كَمْ سفيهٍ ينالُني وأنا الحا ني على روحِه بروحي وأُنسي
وعِقابي له يُلاحِقُه الصفْـ ـحُ، ويا رُبّما أُعاقبُ نَفْسي!

الشحّاذ

هـا هـو الشـحـاذُ لِصْـقَ البنْـكِ تَسْـتَجْري لُحونُـهْ
يضـربُ الأوتـارَ في عُنْـفٍ ويُبكيهـا جُنونُـهْ
سـاخطاً أو سـاخراً تَثْـأرُ في مقْـتٍ فُنونُـهْ
أشْـعَثَ الشَّـعْرِ سـقيمَ الوجْـهِ قـد ماتـتْ عُيونُـهْ
وعليـهِ مِـنْ ثيـابِ الـذُّلِّ والحِرمـانِ أسمـالٌ تَخونُـهْ!

*****

قلـتُ: "يـا هـذا لأنـتَ الفـنُّ فاسـعِدْني بصـورهْ
عَلِّـني أرسـمُ منهـا عالَمـاً تُخْفـي شُـعورَهْ"
فَتَمَلاّنـي كمَجْنـونٍ رأى مِثْلـي أجـيرَهْ
ضـاحكاً كالرّعـدِ لا يَعْبَـأُ بالـدُّنيا الحقـيرهْ
وتَمطّـى كَمَليـكٍ لم يَعُـدْ يَخشـى أسـيرَهْ!

*****

قلـتُ: "هـل ترضـى بـدولارٍ؟ أجِـبْني يـا صـديقي
ربّمـا نحـنُ خلـيلانِ بإحسـاسٍ وضـيقٍ!"
قـال: "هـذي رأسُ مـالي بـل هـي الكَنـزُ الحقيقـيِ!"
قلـتُ: "دولاران!" فـازورَّ كنـاجٍ مِـنْ نَهيـقِ!
قلـتُ: "مـاذا تبتغيـه"؟ فَمَضـى عـبرَ الطريـقِ!

إلى إيطاليا

إلى إيطاليا خِفّوا وطيروا ... هنالِك، لا هُنا، لَكُمو المَصيرُ
إلى فاروقَ حيثُ خَصَصْتُموهُ ... بتَسبيح هو النُّبْلُ الكبيرُ
شَقينا مِنكُمو عُمْراً طويلاً ... فَروحوا، عُمْرُكُمْ عُمْرٌ قَصيرُ
ولا تَتَواضَعوا بالطُّهْرِ دَعْوى ... فإنَّ الطُّهْرَ عُنْوانٌ حقيرُ
لَكَمْ حارَبْتُمو مِثْلي كأنّي ... أنا الجاني وكُلُّكُمو الطَّهورُ
وكَمْ مِنْ غُصَّةٍ مِنْ بَعْدِ أُخرى ... تَحَمَّلْنا وكُلُّكُمو فَخورُ
تَنافَسْتُمْ بألوانِ الدَّنايا ... كأنَّكُمو السَّواقي إذْ تَدورُ
وسَوَّدْتُمْ مَعالِمَنا سَفاهاً ... وقُلْتُمْ: هكَذا تَزْهو البُدورُ
وعاقبتُمْ لنا حِسّاً طَليقاً ... كأنَّ أخسَّ ما نَجْني الشُّعورُ
ولم تَرْضَوْا لنا رِزْقاً حَلالاً ... ورِزْقُكُمو الغَوايةُ والفُجورُ
ولم نَبْذُلْ لمصرَ الخَيْرَ إلاّ ... وأجمَعُكُمْ بنقمَتِهِ يَثورُ
إذا اعتَرَفَ الأباعِدُ والأعادي ... بقيمَتِنا فَقَدْ هَوَتِ النُّسورُ
أبَعْدَ جَميعِ ما أسْلَفْتُموهُ ... يُقالُ الآن: مَوْلانا الوزيرُ؟
ومَوْلانا الأديبُ الحُرُّ حقّاً ... ومِنْ آياتِهِ كَيْدٌ وزورُ؟
ومَوْلانا الّذي وَهَبَ البَرايا ... مَآثِره وأجْمَعُها غُرورُ؟
ومَوْلانا الّذي لم يَجْنِ ذَنْباً ... فليسَ لِمِثْلِهِ ذَنْبٌ صَغيرُ؟
ومَوْلانا الّذي يُرْجى مِثالاً ... لأُمَّتِهِ، ومَوْلانا الجَسورُ؟
ومَوْلانا الّذي جَعَلَ المَعالي ... تَحُجُّ إليهِ إذْ هو لا يَزورُ؟
لَعَمْري لَسْتُ أدري أيُّ حَظٍّ ... يُداعِبُنا، وما الرَّأْيُ الأخيرُ:
أعَيْنُ العَدْلِ يَحكُمُنا التَّعالي ... أمِ الإنصافُ يَحكُمُنا الحَميرُ؟!

ليالي القاهرة

في رثاء الدكتور إبراهيم ناجي

إذا ما ذُكِرتْ ليالي القاهرة الأدبية اتَّجهتِ الخواطرُ إلى الشاعر المصريِّ الموهوبِ الدكتور إبراهيم ناجي الذي أحياها بشعره الجميل في ديوانه الشائق، الذي يحمل هذا الاسم، وقد احتفى به الأدباءُ في أقطار العُروبة جمعاء.

وما من أديب عربيّ زار مصر إلاّ واشتاق لقاءَ هذا الأديب اللاّمع الجّمِّ المَرَحِ، النادرِ الطّراز، في ذكائِهِ وألمعيَّته وظرفه المتناهي، وفي ثقافته المنوَّعة الّتي شَمِلَتْ، بين ما جمعته، الطبّ وعِلمَ النفس وعلمَ الاجتماع والنقدَ الأدبيّ والقصَصَ.

كان القَدَرُ قاسياً في الخامس والعشرين من آذار/مارس ١٩٥٣ حينما اختطفَ الموتُ ناجي فجأة بالسكتةِ القلبيةِ في عيادته بين مَرْضاه، فَذَهَبَتْ بذَهابِهِ شخصيَّةٌ أدبيَّةٌ فذَّةٌ، وانطفأت شاعريةٌ أصيلةٌ عزيزةُ المِثال، إذ كانَ في طليعة الشُّعراء العاطفيّين الغنائيّين المجدّدين، وكان وكيلاً ثانياً لجمعيّة أبولّو الشعرية بمصر، إبّانَ رئاسةِ خليل مطران لها بعد وفاة رئيسها الأول أحمد شوقي.

وكان ناجي شاعراً مطبوعاً يحترم النَّغَمَ، ولكنّه لا يحترمُ التَّعمُّلَ، فأثمر وأنتجَ شعراً شهيّاً من الطرازِ الأوّل يتميّز بجمال الطبع ويتعالى على القيود والصّنعة.

وفي مقدِّمةِ المجلاّت الّتي اهتمّتْ بأدب ناجي مجلةُ الحديث الحلبية الشهيرة، وفي عددها الصادر بتاريخ كانون الثاني/يناير سنة ١٩٥٣، (وهو العددُ الأولُ من سنتها السابعة والعشرين)، نُخبٌ بديعةٌ من رباعيات ناجي نذكر منها قوله:

أرّقَني لِخَطِّ الأُفْقِ، وهو الّذي … يَرمُقُني بالمُقْلَةِ السّاخِرَهْ
وتَهْرُبُ الأنْجُمُ هذي وذي … ويَجثُمُ اللَّيْلُ على القاهرهْ!
ويَزْحَفُ الكونُ على خاطِري … كأنّه في مُقْلَةِ السّاهِرِ
مَدٌّ من الحُزْنِ بلا آخرِ … يَعُبُّ عَبَّ الأبَدِ الزّاخرِ!

وكأنّما كان يُحسُّ بدُنوّ أجَلِه حينَ قال:

الآن قَدْ مَزَّقَ عنّي القِناعْ ... مَوْتُ الأباطيلِ وزَحْفُ السَّناءْ
وبدَّدَ الوَهْمَ وفضَّ الخَلاءْ ... بَرْدُ المَنايا وشُحوبُ الفَناءْ!

هذا الشاعرُ النابغةُ الّذي ندَّخر له دراسةً بين شعراءِ العربِ المعاصرين، لا نملك إلاّ رثاءَه بهذه الدمعةِ الحارّة:

إسْألوا الشّاحِبَ القَمَرْ ... واسْألوا الدّامعَ الزَّهَرْ
واسْألوا النَّجْمَ حائراً ... واسْألوا الشَّمْسَ في حَذَرْ
واسْألوا النّورَ باهِتاً ... خائِفاً ما لَهُ مَقَرّْ
واسْألوا النَّهرَ واجماً ... كُلُّ مَوْجٍ له عَثَرْ
واسْألوا الحُبَّ بعدَ ما ... فاتَهُ القَوْسُ والوَتَرْ
واسْألوا الحُسْنَ خاشِعاً ... بعدَ ما تاهَ أو أمَرْ
إسْألوهم عنِ الّذي ... أرْعَشَ الرّوحَ والحَجَرْ
كيفَ قدْ غالَهُ الرَّدى ... فجأةً غادراً وفَرْ؟
أتُرى كُلُّ ذَنْبِهِ ... أنَّه شاعرٌ شَعَرْ؟
أنَّه شَعَّ أُنْسُهُ ... في مَجالِسِ السَّمَرْ؟
أنَّه نَغَّمَ الأسى ... أنَّه طارِدَ الضَّجَرْ؟
أنَّه أبْدَعَ المُنى ... مِثْلَما أبْدَعَ الصّوَرْ؟
أنَّه داعَبَ الهَوى ... والهَوى كلُّه خَطَرْ؟
أنَّه أنْقَذَ الوَرى ... مِنْ شُرورٍ ومِنْ شَرَرْ؟
أنَّه أسْكَرَ النُّهى ... وهو مِنْ هَمِّهِ سَكِرْ؟
أنَّه أنْضَرَ الرُّبى ... حينَما صَوَّحَ الشَّجَرْ؟

أنَّـــــه أنْــــتَجَ الجَنـــى		في دُنـــى النّحْـــلِ والبَشَـــرْ؟

أنَّـــــه صـــاغَ شِـــعْرَهُ		مِـــنْ دُمـــوعٍ ومِـــنْ فِكَـــرْ؟

انَّـــــه زَفَّ مُطْرِبـــــا		مـــا تَســامى ومـــا نَـــدَرْ؟

أنَّـــــه كـــانَ طِبُّـــــهُ		فَـــوْقَ طِـــبٍّ ومُخْتَبَـــرْ؟

أنَّـــــه عـــاشَ دائِمـــاً		ضـــاحِكاً يَهْـــزِمُ الكَـــدَرْ؟

أنَّـــــهُ كـــان شُـــعْلَةً		مِـــنْ ذَكـــاءٍ، وكَـــمْ بَهَـــرْ؟

لمْ تفُتْـــــه أصـــــالَةٌ		إنْ يَكُـــنْ فاتَـــهُ الـــوَطَرْ؟

*****

يـــا صَـــديقي، وكـــم زَهـــا		مِـــنْ وفـــائي، وكـــم فَخَـــرْ

نَعْيُـــكَ المُـــرُّ وَقْعُـــهُ		وَقْـــعُ طَـــوْدٍ إذا انْفَجَـــرْ

أيُّ ثـــأْرٍ لعاشِـــقٍ		فاتَـــه الحُـــبُّ إنْ ثَـــأرْ؟

لـــيسَ زُهْـــدي بحاضِـــري		لـــيسَ دَمْعـــي الّـــذي انهمـــرْ

لـــيس سُـــخْري بعـــالَمٍ		بعـــدَ فُقـــدانِ مـــا عَبَـــرْ

لـــيسَ هـــذا وغـــيرُه		في غَباواتِـــــهِ انتصـــــرْ

مِـــنْ فُـــؤادي الّـــذي هَـــوى		في جَحـــيمٍ مِـــن الغيَـــرْ

مِـــنْ تَبـــاريحِ ثَـــوْرَتي		حينَمـــا خـــاطِري اسْـــتَعَرْ

بالّـــذي يُرْجِـــعُ المُنـــى		واثبـــاتٍ مِـــن الحُفَـــرْ

لَيـــتَني – إيـــهِ صـــاحبي! –		لم يُطِـــلْ غُـــرْبَتي الحَـــذَرْ

لَيـــتَني كُنْـــتُ ســـابقاً		ليتَـــكَ الخالـــدُ الأبَـــرْ

راثيـــاً أنـــتَ، لا أنـــا		حظُنـــا في يـــدِ القـــدرْ

نحـــنُ في عـــالَمٍ بِـــهِ		أسْـــعَدُ النّـــاسِ مـــن غَفَـــرْ

كُلُّنـــا دونَ ذَرَّةٍ		مِـــنْ هَبـــاءٍ ومِـــنْ مَطَـــرْ

لمْ نُخَيَّـــــرْ، وإنّمــــــا   نَـــدَّعي الخُبْـــرَ والخَبَـــرْ
لـــيسَ لـــي غَيْـــرُ خَمْـــرَةٍ   مِـــنْ جِراحٍ ومِـــنْ عِبَـــرْ!

٣١ آذار / مارس ١٩٥٣

مِن العصفور الدّوريّ إلى العُقاب[1]

هَيّـــا إلى السَّـــماء! هَيّـــا!   وانْشُـــرْ جَناحَيْـــكَ كالشّـــراعْ!
نـــافِسِ الشَّـــمْسَ في عُلاهـــا!   لِـــمَ تَهْـــوي إلى البِقـــاعْ؟
يـــا مَليكـــاً عَلـــى الطُّيـــورِ   كيـــفَ مَرْقـــاكَ فَـــوْقَ غُصْـــنِ؟
لـــيسَ هـــذا الجُثـــومُ أهْـــلاً   لـــكَ في عِـــزَّةٍ وحُسْـــنِ
لِـــمَ تَرْنـــو إلى الثَّـــرى   عابِســـاً ســـاخِطَ النَّظَـــرْ
حينَمـــا فُسْـــحَةُ السَّـــما تَـــدْعو   راقِيـــاً عـــالَمَ البَشَـــرْ
حينَمـــا نَحْـــنُ قـــابعونَ ذُلاً   في هَشـــيمٍ وبَـــيْنَ عُشْـــبِ
فـــارْتَفِعْ يـــا مَليـــكُ وارْحَـــلْ   في مَعاليـــكَ بَـــيْنَ سُـــحْبِ
عِنْـــدَها، عِنْـــدَها ســـنُزْهى   يـــا صـــغارٌ بعِزَّتِـــكْ
نَمْـــدَحُ المَجْـــدَ فيـــكَ أنـــتَ   يـــا مَليكـــاً بَصْـــولَتِكْ
فاعطِنـــا نحـــنُ عاشِـــقيكَ   فُرْصَـــةً تَطْـــرُدُ الوَجَـــلْ
مِـــنْ عُيـــونٍ لنـــا أُهينَـــتْ   مَضَّـــها الخَـــوْفُ والخَجَـــلْ
وأجِـــزْ تَرْكَنـــا حِمانـــا   فهْـــو مَثْـــوىً لنـــا حَقـــيرْ

---

[1] هذه القصيدة نَظمَها السّردار بانيكار، (Sardar K.M. Panikkar)، سفير الهند بمصر فـي لغتـهِ الوطنيةِ، ثمّ تُرْجِمَتْ إلى الإنكليزية، ونقلها من الإنكليزية إلى العربية أحمد زكي أبـو شـادي تلبيـة لاقتراح الأديب المصريّ أحمد قاسم جودة رئيس تحرير مجلة صوت الشرق.

كَــيْ نُسَــلّى بِنــورِ شَــمْسٍ بَعْـــدَ عَـــيْشٍ لنـــا أســـيرْ
إنْسَـــنا – زُمْـــرَةَ الأدانـــي – فِي تَعاليــــــكَ للسَّـــــماءْ
فنَـــرى المَجْـــدَ يـــا مَليـــكُ أنْـــت ونُغَنّــــي لـــــكَ الثَّنــــاءْ!

١٦ آذار/مارس ١٩٥٣

حنين الأرض[1]

أعرفْـتِ الحـنينَ في الأرضِ للشـّمسِ مُقيمـاً يُحَـسُّ خَفْقـاً ونَبْضـا؟
أعَرَفْـتِ الحَـنينَ للقمَـرِ الـدّائرِ كالطِّفـلِ حولَهـا مـا تَقَضـى؟
هـيَ أُمّــي وذاكَ أوّلُ طفــلٍ أنْجَبَتْـــهُ ولمْ يَـــزَلْ غَضّـــا
شـابَ في البُعْـدِ عـنْ حِماهـا ولكـنْ لم تَكُـنْ قُرْبَـه الحَفـيَّ لِتَرْضـى
أيـنَ حظّـي منْهـا ومنْـكِ؟ أجيبـيني! فـإنّي أطـوفُ لهفـانَ أيضـا!

الجواب الفصيح

رثاء الشاعر الحائر

أمُســائِلَ القَبْـدَرِ العَـتيِّ مُحَيَّــراً عـــن أصْـــلِهِ ومَجالِـــه ومآلِـــهِ
اليـومَ يُغْنيـكَ الممـاتُ كمـا مَضـى مِـنْ قَبْـلُ بالخَيّـامِ[2] بعـدَ سُـؤالِهِ
فَتَـرى الطِّلاسِـمَ مُفْصِـحاتٍ مِثْلَمـا يَتَحَـدَّثُ الإشْـعاعُ خَلْـفَ ظِلالِـهِ

---

[1] هذا مثال من الشعر العلميّ الذي تتناوله العاطفة والخيالُ الأدبيُّ، والمعروف علمياً كما أثبت الدكتور جان بتيت (Dr. Jean Petit) من علماء جامعة كاليفورنيا بأنّ الأرض تنبض بتأثير التجـاذب مـع القمر والشمس، وقد يبلغ ارتفاع نبض الأرض ثمّ انخفاضه قدمين في بعض المواقع في خطّ الجانبية خلال دوران الأرض.

[2] الشاعر الحكيم الفارسي الشهير ؛ (و.ف).

وتَـرى الجَـداولَ مُتْرَعـاتٍ تَنْتَهـي لِبِجـارِهِ، وتُعيـدُ كُـلَّ نَوالِـهِ
وتَـرى الخَمائِـلَ راقِصـاتٍ للـرَّدى[1] رَقْصَ المُحِبِّ إذا احتَفى بِوِصالِهِ
سِـرْ في رِكـابِ المُحسِـنينَ مُخَلَّـداً بالعَـذْبِ والمـأنوسِ مِـنْ سَلْسـالِهِ
مـا كُنْـتَ تُعْشَـقُ في الحَيـاةِ كَكائِنٍ واليَـومَ تُعْشَـقُ ذائِبـاً بخَيالِـهِ
والنّـاسُ مِـنهُمْ مَـنْ يُحَـبُّ لِذاتِـهِ فهـيَ الجَـواهِرُ تُمَقَّـتُ بخِصـالِهِ
أشـعارُهم أرواحُهـم، وخَيـالُهم في كُـلِّ بيـتٍ عـامِرٍ بِخِلالِـهِ
وسِـواهُمُ المُسْـتَوْعِبونَ، جَمـالُهُمْ مِـرآةُ دُنْيـا الفَـنِّ، رَجْـعُ جَمالِـهِ
مـا كـانَ مَعْـدِنُهُمْ مُمَثِّـلَ شِـعْرِهِمْ فَصَـميمُهُ مِـرآةُ غَيْـرِ مِثالِـهِ
يَكْفيـكَ مـا أسْدَيْتَ مِـنْ أُنْـسٍ لنـا دونَ التَّسـاؤُلِ عَـنْ حُـدودِ كَمالِـهِ
وعَـنِ الكُـرومِ وكيـفَ كـانَ رَحيقُـهُ[2] ومَـدى الأصـالةِ فيـهِ واسـتِقلالِهِ
يَكفيـكَ تَرْديـدُ النِّـداءِ وحَوْلَنـا هـذي المَوائِـدُ لِلْوُجـودِ وآلِـهِ
هَشَّتْ أطايِبُها[3]، وكمْ صَدَفَ الوَرى عَنْهـا، وكُـلٌّ نـائحٌ بِخَبالِـهِ
ولَـوَ انَّهـمْ عَقَلـوا لطـافوا حَوْلَهـا ولَهَلَّلـوا لِلأُنْـسِ قَبْـلَ زَوالِـهِ
ولَشـارَكوها[4] في الحُبـورِ بصُـحْبَةٍ وتَرَنَّمـوا مَعَهـا بِشِـعْرِ الوالِـهِ
مـا هـذهِ الـدُّنْيا سِـوى أحْلامِنـا والحُلْـمُ مِثْـلُ أبٍ حَفـا بِعيالِـهِ!

*****

إذْهَـبْ إلى دُنْيـا الخَيـالِ، ودَعْ لنـا مـا افْتَنَّ شِعْرُكَ، شـامخاً بجَلالِهِ
وَدَعِ الجَمـالَ مُـردّداً أنفاسَـهُ عَبَـقُ الرَّبيـعِ يَشـيعُ في أذيالِـهِ
واتْـرُكْ تُراثَـكَ حَيْـرَةً وتَسـاؤلاً جـيلاً فجـيلاً، شاخِصـاً لِمُحالِـهِ!

[1] الرّدى: الموت؛ (و.ف).
[2] أي أنفاس شعره.
[3] أي محاسنها.
[4] الضمير عائد على الأنس؛ والمقصود بالكروم مصادرُ شعره الذي شبّه الشاعر أنسه بالرحيق المشبع بجمال الفنّ.

صديقي

صَديقي الّذي يَسْعى ليَسْتُرَ عَوْرَتي … ويُصلِحَني، لا جانياً راحَ فاضِحي
وليسَ الّذي يُغْضي أمامَ فَضائِلي … ويَعْتاضُ عنْها بادّعاءِ القَبائِحِ
كَمَنْ عابَ وَقْعَ الظّلِّ والنّورُ خَلْفَه … ومَنْ عابَ بِشْراً خَلْفَهُ دَمْعُ نائحِ

الشاعر القروي

تحية إلى رشيد سليم الخوري (١٨٨٧ – ١٩٨٤)، لمناسبة صدور ديوانه

الشّاعرُ القَرَويُّ في تَكْريمِنا … أسْمى وأكْرمُ من مَقامِ زَعيمِنا
عَلِقَتْ بِهِ آمالُنا، وتشبَّثَتْ … أحلامُنا، فاعتُدَّ رَمْزَ صَميمِنا
أُمَمُ العُروبةِ ذاتُه، فصِفاتُه … سِيَرُ البُطولةِ من عَريقِ كريمِنا
هو رائدُ الآتي ونَفْحَةُ أمْسِنا … والثائرُ العاتي على تَسْليمِنا
ما اعتزَّتِ الفُصحى بشِعْرٍ صاغَهُ … إلاّ اعتزازَ سَمائِنا وأديمِنا
أو تاهَتِ الأخلاقُ من أندائِهِ … إلاّ كَتيهِ النّورِ من تَكْريمِنا
أو بَشَّتِ الأديانُ عندَ عِظاتِهِ … إلاّ لِروحِ مسيحِنا وكَليمِنا
أو هزّتِ الألبابَ ثَوْرَةُ فَنِّهِ … إلاّ وأرضَخَهُ إلى تَعْليمِنا
القريةُ بِضْعَةٌ من شَخْصِهِ … والبِضْعَةُ الأسْمى مَدارُ حُلومِنا
ما كان ذاكَ الشِّعْرُ شعرَ فَصاحةٍ … عزَّتْ فحَسْبُ، ففيهِ كُلُّ نُجومِنا
وبِهِ الطّبيعةُ في جَميعِ فُصولِها … وبِهِ أحَبُّ عَبيرِنا ونَسيمِنا
وبِهِ تَشُبُّ لنا هُمومٌ جَمَّةٌ … وبِهِ الشّفاءُ ليَأْسِنا وهُمومِنا

مَنْ لم يَحُزْ ديوانَه فكأنَّه
حُرِمَ الجِنانَ، ففيهِ كلُّ نَعيمِنا

كم مُتْعَةٍ لي لا تُحَدُّ جَديدةٍ
وتَزيدُ جِدَّتُها بِبَعْثِ قَديمِنا

أُمَمَ العُروبةِ لو قَدَرْتِ مَكانَه
قدَّسْتِ مَجْدَ حَكيمِنا ونَديمِنا

مَنْ غَيَّر التاريخَ مِنْ إيحائهِ
وأثار نَخْوَتَنا بِرَغْمِ رَميمِنا

الأُمَّةُ الحُكَماءُ قَبْلَ جُنودِها
الخالقو الجنّاتِ رَغْمَ جَحيمِنا

ما قيمةُ الأجْنادِ لا يُزْجيهِمُ
شَرَفٌ ولا لَهَفٌ لِغَيْرِ تُخومِنا

ولَرُبَّ شاعِرِ أُمَّةٍ مَهْضومَةٍ
كرشيد عاش ضمينَ حقٍّ عديمِنا

هَيْهاتَ أعْدِلُ ثَروةً بتُراثِهِ
وأنا الفقيرُ ودونَ حَظٍّ عَليمِنا

فيمَ اعتذارُ النّابهينَ إذا نَسوا
للشِّعْرِ حقَّ إمامِنا وحَميمِنا؟

نِمْنا ونامَ الحاكِمونَ بأمْرِهم
والغاصِبونَ سَعَوا إلى تَنْويمِنا

حَتّى غَدَوْنا جاهِلِينَ رجالَنا
الماهِدينَ، ونَحْتَفي بخَصيمِنا

لا بِدْعَ إنْ جَلّى تَذَبْذُبُ رأيِنا
وغدا الشّعارُ لَنا صياحَ سَقيمِنا

واليومَ إذْ طَلَعَ الصّباحُ وإن يَكُنْ
فيه الضَّبابُ مُعَكِّراً لشَميمِنا

ولو انَّ ألوانَ الجَهالةِ لم تَزَلْ
شَرْعاً تَقَدَّسَ بَلْ ودينَ بهيمِنا

نَحْني الرّؤوسَ له وإنْ تَكُ قِلَّةً
عَزَّتْ ولكنّا هُداةُ عَميمِنا

ونَوَدُّ تَكْتَحِلُ العُيونُ بنوره
أبَداً، وإنْ يَكُ مائِلاً بفُهومِنا

سَيَجيءُ عَهْدٌ نَحْتَفي شَرَفاً بِهِ
كالشّمسِ والجَوْزاءِ غِبَّ غُيومِنا

ويُسابِقُ الأقوامُ بَعْضاً بَعْضُهُم
لِيُتَرْجِموا الآياتِ في تَقْويمِنا

شِعْرٌ كَهذا الشِّعْرِ ذُخْرٌ للوَرى
جَمْعاً وإن يُحْسَبْ تُراثَ زَعيمِنا!

طويل العمر

رُفعت إلى الملك عبد العزيز آل سعود لمناسبة عيد ميلاده
الموافق ٢٤ تشرين الثاني / نوفمبر سنة ١٩٥٢

وَددْتُ أُهْدي طويلَ العُمْرِ مِنْ أدبي ... في عيـدِه نَفْـحَ أضْـواءٍ وأنـداءِ
أبْقى على الدَّهْر منْ أموالِ دولته ... ولـنْ يُبَـزَّ بإشـعاعٍ وأشْـذاءِ
ولـن تُسـامى بشـعرٍ عبقريّتُـهُ ... كأنَّما فوقَ مَعْنى الوحي إيحائي
أصْغَتْ إلى شَدْوِهِ الأربابُ ساهمةً ... والأنْبيـاءُ وأعـلامُ الألِبّـاءِ
فلمْ أجِدْ غيرَ صدقِ النُّصْحِ يُسْعِفُني ... وأشْرَفُ النُّصْحِ لا يُجْزى بإصغاءِ
لكـنّني لا أزال الحُـرَّ مُعْتَمِـداً ... علَى وفائي وإخلاصي وآرائي
أُزْجي لكمْ من ضَميري في تَجاربِه ... عَبْرَ القُرونِ تَعالتْ فوقَ أهواءِ
مَعالِمَ الحقِّ لم تَخْذُلْ مُسائِلَها ... وخِبْرةً لم تزلْ ذُخري وإثرائي
كما نَصَحْتُ لكمْ من قَبلُ في شَغَفي ... بخيرِكم، فَكَبا صَوْتي وأصْدائي[1]
كأنّما كان تَبْصيري لكمْ سَفَهاً ... وحكمـةُ الحُـرِّ سُـمٌّ للأرقّـاءِ
في عيدِ ميلادِكَ الميمونِ أيُّ هُدىً ... يُرْجى سِوى طَرْدِ هذا الوغلِ الدّاءِ؟
وكيفَ يُطْرَدُ إذْ يَحْمي زبانيَةٌ ... هذا الأذى لِشَجى مَوْتى وأحياءِ؟
قدْ أصبحَ المُلْكُ فذّاً في دَعارتِهِ ... ورمزُهُ بينَ إجْرامٍ وفَحْشاءِ
منْ كُلِّ أرعنَ في عِرنينِهِ خَرَفٌ ... وكلِّ لصٍّ وسكّيرٍ وزنّاءِ
فاقوا الجَرادَ وباءً حينَما اتّفقوا ... على الخَرابِ لأموالٍ وأرجاءِ
حتّى بيثرب ضجَّ القبرُ من جزعٍ ... لأُمَّةٍ بعدَ نورٍ رهْنَ ظَلْماءِ

---

[1] كان الشاعر مندوبا للحكومة السعودية ثمّ مستشارا لها في هيئة الأمم المتحدة.

حتـى بمكـّة صـارَ البيتُ في دَنَـسٍ | مـن قـومِكُمْ بـينَ أبنـاءٍ وأحْبـاءٍ[1]
مُبَـدّدي المـالَ تَبْديـداً لسُـمْعَتِهِمْ | وقـاتِلي الشّـعْبَ في بُـؤْسٍ وأنْـواءِ
دونَ المعـارفِ قـد لاثَـتْ[2] مفـارِقَهم | أعـراضُ طـيشٍ وَزُهْـريٍّ وأقـذاءِ
حتّـى غَـدَوا هكـذا أعداءَ أنفسِـهم | وقَـوْمِهِمْ فـوقَ أدواءٍ وأعْــداءِ
يا وَيْحَهم جَعَلوا الإسلام سُخريةً | وظلمــةً بعــدَ أمْجـادٍ ولألاءِ
وهيّـؤوا ثـورةً كـبرى سَـتَلْحَقُهم | ومُلْكُكُـمْ إنْ بقيـتُمْ رَهْـنُ إغضـاءِ
مَـنْ يسـحقُ الحـقَّ يُحييه ويُشعِلُه | والحقُّ أفصحُ نُطْقاً وسطَ ضَوْضاءِ
وناشِـدو الحـقِّ يومـاً ظـافرونَ بـه | مَشَـوا على النـارِ أم سـاروا على الماءِ!

حَيْرَة وعتاب

لم يَفْجَعِ الدَّهْرُ أحْلامـي ويُرْهِقْهـا | إلاّ وعِنْـدي لـهُ مـن قَبْـلُ حُسْـبانُ
يـا مَـنْ خـذَلْتُمْ رَجـائي في مَـوَدّتِهِمْ | مهْمـا نُسـيتُ فمـا لـي اليومَ نَسْـيانُ
باركْـتُ تَطْهيرَكُـمْ أوطانَنـا سَـلَفاً | فـإنّ أغلـى عَـزاءِ المَـرءِ أوطـانُ
وإنْ حزِنْـتُ لِـرَهْطٍ لم يـزلْ لَهُمـو | شـأنٌ وخيرُهُمـو أفعـى وثُعبـانُ
يـا ليـتَكُم قـدْ جمعتُم كلَّ عزْمتِكُمْ | يومَ الحسابِ لِمَنْ زلّوا ومَنْ خانوا
ومـا احتَمَلْـتُمْ وُصـولِيّاً يُـراوِدُكم | غُـنْمُ الـدنيءِ لـه الأحـرارُ قُربـانُ
أتُهْمِلـونَ الألى قـد مَهَّـدوا زمَنـاً | لنَصـرِكم، وتُعـزّون الألى هـانوا؟
أتُغفِلـونَ عُقـولاً مــن مواهِبِهـا | شَعَّتْ وعزَّتْ وسـادتْ قبلُ أزمانُ؟
أتُكْرِمـونَ صِـغاراً كُـلُّ قيمَـتِهِمْ | زَيْـفٌ، ولـيسَ لهـم صِـدْقٌ وإيمـانُ؟
في مِثْلِ هـذا يَحارُ الفِكرُ في زمَـنٍ | قـدْ سـادَه الفكـرُ لمّـا اعتزَّ إنسـانُ!

---

[1] أحْباء: خاصّة ندماء الملك، والمفرد حباء.
[2] لاث: لطخ.

اعتدادي

بـاقٍ؟ نَعَـمْ أنـا في وَلائـي البـاقي — أحْيـا بـوحي جَنـانيَ[1] الخَـلاّقِ
سَتَسـيرُ أشـعاري مَسيرَ عَتيدَتي — وتَـدوسُ فـوقَ صَـغائرٍ ونِفـاقِ
مـا عـابَني طَعْـنُ الحقـيرِ، وربّمـا — جازيتُـه بـالجمِّ مـن إشْـفاقي
مَـنْ ذا يَحُـدُّ تـأمُّلي وتفـنُّني — ويَغُـضُّ مـنْ ألَقـي ومـنْ إشـراقي؟
فَنّـي لِفَنّـي كيـفَ كـانَ، ومَجْـدُه — مَجْـدُ السُّـموِّ إلى أعـزِّ طِبـاقِ
سيَعيشُ في الآبـادِ لَحْـنَ حقـائقٍ — أزليَّـةٍ، ويَـرِفُّ في الأحـداقِ
أنـا ذلـك البحـرُ الخِضَـمُّ وإنْ أكـنْ — بـوَداعَتي كالجَـدْولِ الرَّقْـراقِ
وَسِـعَ الجَنـادلَ[2] والحَيـاةَ عوالِمـاً — وأبـتْ عوالِمُـه حُـدودَ نِطـاقِ
وأبَيْـتُ رِقَّ النّـاسِ حتّـى إنْ نَمَـوْا — في الـرّقِّ، حـينَ اسْـتَمْرَؤوا استِرْقاقي
هيهـاتَ، لا أرْضَـى سِـوى حُـرّيّتي — ثَمَـنَ الحيـاةِ فمـنْ يَشُـدُّ وَثـاقي؟
لا مـاردٌ يومـاً ولا مُتَجَبِّـرٌ — بمُـذلّلي، بَـلْ لـنْ ينـالَ لَحـاقي
لـيسَ اعتِدادي عن غُرورٍ، إنْ يكنْ — طَبْعـي الغُـرورَ، ولـيسَ عـن إمْـلاقِ
بَـلْ عـنْ تَفَجُّـرِ رائـدِ إيمانـه — لا يَنْتَهـي، ويَزيـدُ بالإنفـاقِ
أبـداً يُـدافِعُ عـن مبادئِـهِ كَمـا — أبـداً يُـدافِعُ كُـلُّ حَـيٍّ بـاقِ!

---

[1] الجنان: القلب؛ (و.ف).
[2] ج جَنْدل: الصخر العظيم؛ (و.ف).

وطن الإنسانية

نظمها الشاعرُ في مناسبة مرور سبع سنواتٍ على هجرته إلى أميركا التي نعتَها بوطن الإنسانية

وَطَنُ الدّولارِ هذا؟ أمْ تُرى ... وَطَنٌ رَفّتْ عليه المَعْرِفَهْ؟
أُبْصِرُ الإنسانَ فيه، بَأسُهُ ... جاوزَ الأحْلامَ فيما فَلْسَفَهْ
حَقَّرَ الدّولارَ إذْ عَظَّمَهُ ... فَهْوَ عَبْدٌ خادِمٌ ما كَشَفَهْ
سَبَّحَتْ دُنْيا لَهُ، لكِنَّهُ ... ما تَدَنّى لِيَراهُ هَدَفَهْ
كُلُّ تَقْديرٍ حَباهُ إنَّما ... كانَ تَقْديراً لِما قَدْ خَلَّفَهْ
لم يُجاوِزْ عندَه واسِطةً ... لسُموٍّ عَدَّ فيه شَرَفَهْ
الحَضاراتُ أُذيبَتْ كُلُّها ... عِنْدَهُ في نَضْرَةٍ مُؤْتَلِفَهْ
ورُقِيُّ الفِكْرِ والرّوحِ مَعاً ... طابَعٌ فيه لِمَنْ قد عَرَفَهْ
يَقْدِرُ الأشياءَ قَدْراً صادِقاً ... ويَرى الوَقْتَ تُراثاً كَشَفَهْ
ويُري الإنسانَ حُرِّيَّتَهُ ... إنّ يُضِعْها فَهْوَ يَجْني تَلَفَهْ
جِئْتُهُ مُسْتَنْجِداً في نَكْبتي ... ودَمي شِعْري، فَقَلْبي نَزَفَهْ
تاركاً خَلْفي بِلاداً سامَها ... ذلكَ الطّاغوتُ دَهْراً جَنَفَهْ[1]
بَعْدَ ما حورِبْتُ في حُبّي لَها ... وكِفاحي عُدَّ طَيْشاً وسَفَهْ
فَتَلقّاني بِبِشْرٍ عامِرٍ ... ماسِحٍ دَمْعي وأهْدى أسَفَهْ
ناصِباً لي مَنْبَراً حُرّاً، كَما ... مَدَّ إعزازاً لِفِكْري كَنَفَهْ
مَرَّتِ السَّبْعُ السِّنينُ عِنْدَهُ ... وفُؤادي لَمْ يُخَفِّفْ لَهَفَهْ
كَصَغيرٍ نازِحٍ عن أُمِّهِ ... ليسَ يُنْسيهِ سِواها دَنَفَهْ

---

[1] الجَنَفُ: الإثم.

ذَنْبُـــهُ إيثـــارُهُ أُمَّتَـــهُ … وتَفانيـــهِ لهـــا مـــا اقْتَرَفَـــهْ
عُمْـــرُهُ في تَضْـــحياتٍ جَمَّـــةٍ … مَـــرَّ حتَّـــى لم يَجِـــدْ مَـــنْ نَصَـــفَهْ[1]

*****

أيُّ عَصْـــرٍ أنـــا فيـــه جائِـــلٌ؟ … كُـــلُّ عَصْـــرٍ قَبْلَـــهُ قـــدْ كَسَـــفَهْ
مِـــنْ عُلـــومٍ وفُنـــونٍ جَمَّـــةٍ … وعلـــى آدابـــهِ المُخْتَلِفَـــهْ
هـــذه الـــذِّروةُ في تاريخِـــهِ … حَيَّـــرَتْ كُـــلَّ بَيـــانٍ وَصَـــفَهْ
لم يَـــدَعْ شَـــيئاً بِـــلا إتقانِـــهِ … أوْ جَمـــالاً لم يُنِلْـــهُ شَـــغَفَهْ
وَطَـــنُ الإنْســـانِ مَهْمـــا عابَـــهُ … ناقِصـــو الأحْـــلامِ أوْ مَـــنْ قَذَفَـــهْ
وَطَـــنُ الإحْســـانِ في بِـــرٍّ لَـــهُ … شَـــمَلَ الـــدُّنْيا وأعْطـــى تَرَفَـــهْ
وطَـــنُ الأحـــرارِ لمْ يَرْتَـــعْ بِـــهِ … غاشِـــمٌ عَـــدَّ البَرايـــا خَزَفَـــهْ
إنْ يَنَلْـــهُ بعـــدَ هـــذا جاحِـــدٌ … بِعُقـــوقٍ لمْ يُبَـــدِّلْ أنَفَـــهْ
لَسْـــتُ أنســـى مِـــنْ أياديـــهِ عَلـــى … مُهْجَـــتي مَوْقِـــفَ حُـــرٍّ وَقَفَـــهْ
وكـــأنّي حـــاكِمٌ في أمْـــرِهِ … كُنْـــتُ لَمّـــا جِئْتُـــه مُكْتَشِـــفَهْ
وكـــأنّي رَغْـــمَ فَقْـــري بـــاذِخٌ … في غِنـــىً هيهـــاتَ أُحْصـــي طُرَفَـــهْ
مَعْنَوِيّـــاتُ الّـــذي أُغْنـــى بِـــهِ … لُؤْلُـــؤٌ حـــينَ أُجـــافي الصَّـــدَفَهْ
وحَيـــاتي فيـــه شِـــبْهُ عِـــوَضٍ … عَـــنْ نَعـــيمٍ كـــانَ دَهْـــري خَطَفَـــهْ
إنْ أعِـــشْ أو إنْ أمُـــتْ في نـــورِهِ … أنـــا حـــيٌّ لا أعـــاني السَّـــدَفَهْ[2]
ناقِـــدي مـــا كـــانَ إلاّ حاسِـــدي … أو غَـــبيٌّ مُسْـــتَطيبٌ خَرَفَـــهْ
أو حَقـــودٌ شِـــقْوَةُ النّـــاسِ لَـــهُ … نِعْمَـــةٌ، بـــاهى بـــألوانِ السَّـــفَهْ
لا أُباليـــهِ كَمـــا لمْ يَكْتَـــرِثْ … عـــالَمٌ حَـــولي لِخَلْـــطٍ ألِفَـــهْ
جاحِـــدُ الحـــقِّ لـــهُ الخُسْـــرُ، فَمـــا … يَخْسَـــرُ الحَـــقُّ جُحـــوداً حَذَفَـــهْ!

---

[1] نصفَهُ: خدَمَهُ.
[2] السَّدَفَة: الظلمة.

نجمتي الجديدة

يـــا نجمـــةً في الأُفُـــقْ بعـــالَمٍ لـــي جديـــدْ
تـــأمَّلي في الشَّـــفَقْ ففيـــه أمْســـي البَعيـــدْ
تَـــأمَّلي في الشَّـــفَقْ ففيـــهِ ذابَـــتْ هُمـــومي
وفيـــهِ قَلْـــبي احتَـــرَقْ وفيـــه ماتَـــتْ كُرومـــي
وأسْـــعِفي مِـــنْ سَـــناكِ بنَشْـــوةٍ لـــي تُعيـــدْ
مـــا ضـــاعَ قبـــلَ هـــواكِ مـــن الزّمـــانِ السَّـــعيدْ
رَشَـــفْتُ وحيَـــكِ نـــورا النـــورُ لُـــبُّ الخلـــودْ
وقـــد يُشَـــمُّ عَـــبيرا والعِطْـــرُ شِـــعْرُ الوجـــودْ
تَصَـــوَّفَتْ فيـــكِ روحـــي بكـــلِّ معنـــىً أراهْ
وقـــد ضُـــمِّدَتْ جُروحـــي بلَـــثْمِ تِلـــكَ الشِّـــفاهْ
يـــا نَجْمَـــتي لا تَغـــيبي عنّـــي فمـــا لـــي نَهـــارْ
هـــذي حَيـــاةُ الأديـــبِ في عـــالَمٍ مُنْهـــارْ
لـــولا حَنانُـــكِ ماتَـــتْ دُنْيـــايَ في كُـــلّ شـــيّ
وعفتُهـــا حـــينَ خانَـــتْ أنفاسُـــها كـــلَّ حـــيّ
لا تَكْتَفـــي برُجـــوعي إلى عـــوالِمِ حُبّـــي
ولا تَقـــولي دُمـــوعي ليْسَـــتْ دُعـــاءً لِرَبّـــي!

إرفعيني إلى سمائك!

إرْفَعـــيني إلى سَـــمائِكِ حتّـــى … لا أرى في الوجــودِ إلاّ الجَمـــالا!
أرْهَقَـــتْ عُـــزْلتي عُمْـــراً … رَغْـمَ إبـداعي السَّـنا والخيـالا
وتراءيـــتِ في سَـــمائِك إلهـــا … مـــاً وحُبّـــاً ونِعمـــةً تَـــتَلالا
فتعلّقْـــتُ بالأشـــعَّة مِـــنْ حـــو … لـــي وناشـــدْتُ حولَـــك الآمـــالا
سامَحَتْني الأرضُ الّتي كمْ حَبَتني … إذْ رأتْـــني بنَشْـــوَتي مُختـــالاَ
ســـامَحَتْ لَفْـــتَتي إليـــكِ، لأنّـــي … فيـــكِ آمنْـــتُ بالإلـــهِ تَعـــالى
واهـمٌ مَـنْ يَـرى الحيـاةَ بـلا حُـبٍّ … حَيـــاةً، ويضـــربُ الأمثـــالا
فمـــآلُ التّقشُّـــفِ المُتنـــاهي … كمـــآلِ الفُتـــونِ حـــالاً وحـــالا
لا قُيـودُ الـوَرى ولا العُـرْفُ يُجْـدي … إن أبـــى الحُـــبّ أو أرادَ المُحـــالا
إذْ تعالَـــتْ بـــيَ السُّـــنونُ فـــإنّي … كـــالنّبيّين دائمـــاً أتعـــالى
وكـأنّي كـالكَوْنِ مـا شـابَ بالرَّغْــ … ـمِ مـن الـدَّهرِ، إن يُشِـبْ أجيـالا
أيُّ فَـــنٍّ ســـأخْلُقُ الآن مـــن بَعْـــ … ـدِ بُلـــوغي بقربِـــكِ الإجـــلالا؟
قالَ لي الدهرُ: "سوفَ تـأتي بإعجا … زٍ، فَصَـبراً، وسـوفَ تَحْيـا مثـالا
سوفَ تُعْطي الوَرى الّذي أنتَ تُعْطي … مِنْ سناها، محقّقاً ما استحالا!"
أنـــا مَتّالُـــكِ المُغَنّـــي الّـــذي يَـــرْ … سُـــمُ ألحانَـــه، وإنْ قيـــلَ غـــالى
باتَ شِعْري وباتَ رَسْمي وما أجْـ … ـــهلُ مَعْنـــىً حَبَـــوْتِ أو تِمْثـــالا
ذاك فَنّـــي في ظِلِّـــك الضّـــا … حـــي ســـيَنْمو ومجـــدُه يَتَـــوالى
وإذا مُـــتُّ عـــاشَ يَسْـــخَرُ بـالمو … تِ قريـــراً ويُلْهِـــمُ الأجيـــالا

لا تحسبوه صديقي!

لا تَحْسَبوه صَديقي بعدَ خِذْلاني ... في العيش إنْ جاءَ بعدَ الموتِ يَرْعاني
وزَفَّ إكليلَ زهْرٍ ليسَ يَنْفَعُني ... كأنَّه حَجَرٌ من فوقِ أكْفاني
ما كان أولاهُ لَمَّا لجَّ بي مَرَضي ... لو زارني ورَعاني، ثُمّ عاداني
لا أن يُجانِبَني نَذْلاً ويَهْجُرَني ... والموتُ يَرْمُقُني في موقفِ الجاني
حَسِبْتُ أنّي أساوي بعضَ خردلةٍ ... لديه فانهالَ تَقْديري وحُسباني
وكان يُغْرِقُ إطراءً ويَذْكُرُني ... كأنّ ذِكْريَ تَسبيحٌ لِديّانِ
حتّى إذا الموتُ في أثوابِ مُمْتَحنٍ ... أتى تَهارَب من إحْساسِ إنسانِ
وفاتَني لأعاني أزمةً عَرَضَتْ ... كأنَّ موتي الذي قاسيتُ مَوْتانِ
فإنْ يكُن في شِفائي اليومَ مُعْجزةٌ ... فبعْضُها بعدَ هذا البعثِ سُلْواني
أنا الغنيُّ بِقَلْبي حينَ أرْخَصَني ... مَنْ كنتُ أُغْليه فاستغنى وألْقاني
وهو الفقيرُ بثَرْواتٍ يُجَمّعُها ... كأنَّها رَمْزُ إفلاسٍ لِخوّانِ
عَزَّ الوفاءُ فما يَبْقى أخو ثِقَة ... كأنَّها نِعْمَتي في هَمّ دَفّانِ
إنّي لأفقِدُ أحبابي وأدفنُهم ... إلاّ بَقاءَ خَيالٍ دونَ بُرهانِ!

الدّاعرة

كانَتْ بدايتُها خِتامَ زَعيمٍ ... ونِهايةِ الإجْلالِ والتَّكْريمِ
منْ كانَ رمزَ كفاحِنا وفَخارِنا ... أمْسى أثيماً بلْ وأيَّ أثيمِ
قالوا: تَخَلَّصْ من مَديحِكَ أمْسَه ... هيهاتَ! لستُ وإنْ هوى بلَئيمِ
ماضيه ماضي أُمَّتي فأمانَتي ... وكَرامتي ذِكْراهُ بالتَّعْظيمِ

والآنَ أذْرِفُ مَــــدْمَعي لرثائِــــه حَيّـــاً، فمـــا ألْقـــاه غـــيرَ رَمـــيمِ
وأعـــافُ ذكــرَ زنيمـــةٍ غـــالى بهـــا فَهَـــوى مـــن العَلْيـــاءِ أيَّ زَنـــيمِ!

سقوط الثّلج المفاجئ

رويدَكَ يا غازياً يَنْهَمِرْ
ويَرْجُمُنا دونَ إعلانِ حربٍ!
وكنّا ائْتَمَنّا أوانَ الربيعِ، فكيفَ انقضى؟ ثمّ كيفَ اعتذرْ؟
أباتَ الرَّبيعُ خَصيماً غَدَرْ؟

*****

وهذي البراعمُ ما ذَنْبُها؟
ونَحْلي العزيزاتُ ماذا جَنَتْ؟
وتلكَ الولائمُ كيفَ استحالتْ وضاعتْ كحُلْمٍ غريبٍ عجيبْ
فماتَ الجمالُ وولّى الغِنى؟

*****

كأنَّ الحياةَ وناموسَها
على رَغْمِ أحكامِه الوافيهْ
تنابذَتا في أوانِ السَّلامِ وقد خلَّفا الأنفُسَ العانيهْ
وسخريةً مرّةً جانيهْ!

صدّاحة الشرق

مهداة إلى الآنسة أم كلثوم وهي تستشفي بواشنطن العاصمة الأميركية

صـدّاحةَ الشـرّقِ مُـذْ أتَتْنـا ... نَجْـواكِ غَنّـى لنـا الأمـانُ
في النّـورِ، في العِطـرِ، رنَّحتْنـا ... أنفاسُـكِ العذبـةُ الحِسـانُ
لم تَمْنَحـي العاشـقينَ حُلْمـاً ... بـلْ فـوقَ مـا أمَّلـوا وكـانوا
الكـونُ مـن حَوْلِنـا أغـانٍ ... وكـلُّ نَجْـمٍ لنـا كَمـانُ[1]
كأنَّمـا السِّـحْرُ قـد حَبـاه ... بكـلِّ مـا يُبـدعُ الحنـانُ!

*****

يـا مَـنْ أتَـتْ تَسـتطِبُّ ميـناً ... عوفيـتِ والفـنُّ والبيـانُ
مـا كـانَ في قُرْبـكِ اغـترابٌ ... ولا عَنـاءُ الّـذين عـانوا
باللّـه جـودي علـى فُـؤادي ... بنَفْحـةٍ منـكِ تُسْـتَبانُ
وأنْشِـدي للْعَـزاءِ شِـعْراً ... في مِسْـمَعِ الخُلْـدِ قـدْ يُصـانُ:
عـاداني الـدّهرُ نِصْـفَ يـومٍ ... فانكشـفَ النـاسُ لـي وبـانوا
يـا أيُّهـا المُعْرِضـون عنّـا ... عـودوا، فقـدْ عـاودَ الزَّمـانُ!

جزيرة النّور

من وحي نيويورك

جزيـرةُ النّـور تُحَيّينـا ... وتنشُـرُ فَرْحَتَهـا فينـا
أضْـواؤُها أبْهَـجُ أشـعارِها ... وألوانُهـا تَحْكـي أغانينـا

[1] الكمان: القيثارة.

ما عابَها الصَّمْتُ، ففي صَمْتِها ... ما يُلْهِمُ الشَّدْوَ أفانينا
ساءَلْتُها لَمّا تأمَّلْتُها ... عنْ عِشْقها مِثْلي المجانينا
مَنْ أصْغَروا المالَ الّذي عنْدَها ... وأكْبَروا النّورَ المُناجينا
فاسْتَضْحكَتْ ثُمّ تَهادَتْ كما ... يَسْتَضْحِكُ الرَّوْضُ رَياحينا
وعَطَّرَتْني مثلَ تعطيرِها ... بالنّورِ أحلامَ المُحبّينا
دينٌ لأهْليها، ولمْ يَعْرِفوا ... مِن قَبْلُ إلاّهُ لَهُمْ دينا
لولاهُ، رَغْمَ كُنوزِ لهمْ ... كانوا عُفاةً بلْ مَساكينا
البَسْمَةُ مِلْءُ أساريرِهمْ ... فما تَرى الباكينَ باكينا
وإنْ تَنادَوْا بِشَكاةٍ لهمْ ... لم يُصْبحِ الشّاكونَ شاكينا
أنفاسُ هذا النّورِ لَمّا سَرَتْ ... حَوَّلَتِ العانينَ لاهينا
فَجَلْجَلَتْ فيهِ فُكاهاتُهُمْ ... كَأنَّهم باتوا فَراعينا
لا تَنْهَني عَنْ أيِّ مَجْلىً أرى الفِتْنَةَ فيه تُحَيِّينا
فإنَّني الشّاعرُ، مِنْ فَنِّهُ ... يَخْلُقُ لِلنّورِ مَوازينا
ويُسْبِغُ النِّعمةَ ممّا يَرى ... شَتّى على الخَلْقِ المُعانينا
هَشَّتْ لِيَ الأشْجارُ في نَشْوَةٍ ... والماءُ والطَّيْرُ مُغَنّينا
كأنَّما قدْ زِدتُ تَطْريبَها ... وأسْكَنْتُها شِعْري بَساتينا
وداعبَتْني السّامقاتُ الذُّرى ... بألْسُنٍ للنّورِ راوينا
وبعضُها مِنْ خَلْفِهِ جنّةٌ ... وبعضُه بالنّارِ يُغْوينا
فكانَ إحساسي بها أنَّها ... قدْ حَجَّبَتْ جِنّاً مَلاعينا
وأنَّهم مِثْلي بعِرْفانِهم ... لِلْحُسْنِ، لاهينَ مُصَلّينا
وإنَّما الدّنيا بآياتِها ... وخيرُها مِنْ صُنعِ أيْدينا!

أربعاء الرماد[1]

أربعـاءَ الرَّمـادِ يـا عيـدَ أحْزانـي ويـا رمـزَ حُرْقَـةِ الإنسـانِ
فيـكَ ذِكْـرى لنكبـةٍ ولنصـرٍ، ومَـزيجِ الإيمـانِ والكُفْـرانِ
لـيسَ هـذا الرَّمـادُ مِـنْ سَـعَفِ النخْـلِ رمـاداً وإنَّمـا وِجـداني
إنَّ ماضـيَّ ماثـلٌ فيـه والحاضـرَ أيضـاً ومُقْبلـي المُتَـداني
المسـيحُ النَّبيـلُ بـاركَ مـا فيـه مـن الوَجْـدِ والـرُّؤى والمَعـاني
أتركـوني يـا قـومُ أركـعُ في هَمّـي خُشـوعاً لهـذه الصُّلبانِ
إنْ أكـنْ مُسـلِماً فقلْـبي حَـوى العـالَمَ طُـرّاً كخـالِقِ الأكـوانِ
فلسـفاتُ الحيـاةِ ليسـتْ لـدينٍ واحـدٍ بـينَ سـائرِ الأديـانِ
إنّهـا الحِـسُّ بالمَآسـي وتفسـيرُ وُجـودٍ مـوزَّعٍ حَيْـرانِ
مِـنْ تُـرابٍ نَشَـأْتُ، ثُـمّ إلى التُّـرْبِ مـآلي كَئائـهٍ ظمـآنِ
وأنـا السـائحُ الشـريدُ الّـذي يَـنْعَمُ في بُؤْسِـهِ العـتيِّ المجـاني
ذكِّرونـي، نعـم هنـا ذكّرونـي بانتصـاري العظـيمِ ثُـمّ امْتِهـاني
وغُـرورِ الحيـاةِ والخلـقِ والـدُّنيا مُشـاعاً في روحِ هـذا الزّمـانِ
ليسَ يَبْقى سوى الجَمالِ، سوى الخيرِ، سوى الحبِّ في الوجودِ الأناني!

---

[1] أربعاءُ الرَّماد هو بدايةُ الصَّوم الكبير عند طوائفَ من المسيحيِّين الغربيّين. وفي هذا العيد الدينيّ تُعلَّمُ بالرّماد جباهُ الورعين الراكعين أمامَ المذبح رمزاً إلى الأربعين يوماً التي يقضيها المسيحيون في التوبة والصَّوم والزكاة، وإلى أنّ الإنسان يأتي من التّراب وإلى التُّراب يعود. ويُستَمدُّ الرّمادُ من حَرقِ سَعَفِ النخل الذي كان يوزّع في أحد الشعانين بالعام السابق على جمهور المصلّين المبتهجين بدخول السيّد المسيح بيتَ المقدس منتصراً، وكان ذلك قبل أن نُكِب بمحاكمته وصلبه. وفي هذه القصيدة الوجدانية يعلن الشاعر عن عواطفه وفلسفته إزاء هذه الفاجعة الإنسانية.

بعث المسيح

أُرقصي أيَّتُها الأضْواءُ بالحُلْمِ المُردَّدْ
وافْرَحي أيَّتُها النّارُ لإيمانٍ مُجَدَّدْ
قَدْ مَضى الصَّوْمُ وزالَ الصَّلْبُ كابوساً تبدَّدْ
والمسيحُ اليومَ في عَلْيائِهِ حُرٌّ مُسَوَّدْ
مَثَّلَ الحقَّ الّذي إنْ ظُنَّ به بَبْلى يَتَجَدَّدْ
مَثَّلَ الحُبَّ الّذي في الكونِ يَسْتَجْليهِ مَعْبَدْ
مَثَّلَ النُّبْلَ الّذي لولاهُ في الدَّهْرِ تَشَرَّدْ
مثَّلَ الإنسانَ في اللّهِ تَسامى وتوحَّدْ
ثارَ لِلْعَدْلِ فَخَرَّ الظُّلْمُ حينَ اغْتَرَّ وانهدّ
وارْتَضى الآلامَ أصْحاباً وعَدَّ الموتَ أخْلَدْ
وَدَّعَ الدُّنيا عَيوفَ النَّفْسِ بَيْنا الحظُّ عَرْبَدْ
حاملاً كُلَّ خَطايا النّاسِ كالصَّرْحِ المُمرَّدْ
صاعِداً نحوَ السماواتِ شِهاباً أوْ مُهَنَّدْ
فاتحاً مُلْكاً جَديداً ما تَناهى وهو يَمْتَدّ
بَشَّرَ الأملاكَ والأفلاكَ بالسِّلْمِ وعَبَّدْ
فإذا الأكْوانُ في الأضْواءِ تُهْدي النّورَ للغدْ
بَعْدَما زُلْزِلَتِ الأرضُ وقدْ كانَتْ تُهَدَّدْ
بعدَما أظلَمَتِ الدُّنيا وكانَ الضَّوْءُ أسْوَدْ
فتَهادي اليومَ يا دُنْيا بماسٍ أو بِعَسْجَدْ
عَيِّدي بينَ رُموزِ الحُبِّ مخضلاً مُهَدْهَدْ

واجْعَلي الأرْضَ أزاهيرَ لآمالٍ تُمَهَّدْ
عابقاتٍ بشَذى الفرْحَةِ كالسّحْرِ الموسَّدْ
عيّدي ما شِئْتِ، هذا العيدُ كاللّهِ مُمَجَّدْ
عَبَّتِ الأديانُ والآدابُ مِنْهُ تَتَزَوَّدْ
هذهِ الحَلْوى وهذا البيضُ أشعارٌ تُقَصَّدْ
والحَفيُّ الموكبُ السّاني لشَعْبٍ يَتَعَبَّدْ

*****

أيُّها الحُجّاجُ في القُدْسِ زُرافاتٍ تَأَوَّدْ[1]
أنا مِنْكمُ رَغْمَ بُعْدي في صَلاةٍ لا تُحَدَّدْ
عَرَفَتْ فلسفتي الرَّمْزَ كعِرْفاني "المُجرَّدْ"
وكأنّي قد حَضَرْتُ الصَّلْبَ والبعثَ المُسَدَّدْ
فَأَبَتْ لي غيرُ ألْحانيَ ما يُروى ويُسْرَدْ
إنَّها دَمْعي وأشْجاني وثأْرٌ يَتَوَقَّدْ
إنَّها حُبّي الّذي يَبْقى على الدَّهْرِ المُخَلَّدْ!

لنكلن

يا ابنَ الخَصاصةِ، حينَ تُحْسَبُ عِزَّةً وابنَ الكِفاحِ عَلى المَدى، قَهّارا
في ظُلْمةِ الكوخِ الحَقيرِ تَشَرَّبَتْ روحٌ لكَ النّورَ النَّبيلَ مِرارا
فنشأْتَ كالرّاعي الشّفيقِ على الورى تَسْتَلْهِمُ الآلامَ والأكْدارا

[1] تأوّدْ: تتأوّدُ: يثقل سيرها المتلاطم.

وكَدَحْتَ طِفلاً في الحُقولِ، وبعدَها   في اللّيلِ تَكدَحُ دارساً صبّارا
فإذا نُبوغُكَ في الطُّفولةِ ساطعٌ   مِثلَ الضُّحى نوراً أغرَّ ونارا
وإذا شبابُكَ في فَصاحةِ مِدْرَهٍ   بَهَرَ الكِبارَ ومُلِّكَ الإكْبارا
وبُعِثْتَ مَنْدوباً لِنَدْوَةِ أُمَّةٍ   قَدَرَتْ نُبوغاً فيكَ لا يَتَوارى
دافَعْتَ فيها عن كَرامةِ مَنْ هَوَوْا   في الرِّقّ واعتنقوا الأذى والعارا
نادَيْتَ: "لن تَبْقى الغَداةَ حُكومةٌ   ما لَمْ يكنْ أشياعُها أحْرارا
هيهاتَ غيرُ الحقِّ يَخْلُقُ قوّةً   هيهاتَ مَهْما يَخْلُبِ الأنظارا
فلْنُطْلِقِ الأسرى وهمْ أُخواننا   في الرِّقّ، قدْ وَجَدوا الحياةَ بَوارا"
وبلغْتَ أعلى مَنْصِبٍ قدْ زِدْتَهُ   فَخْراً، وزِدْتَ جَلالَه أعْمارا
لولا التَّعصُّبُ في الجُنوبِ أثاره   زُعَماؤُه في حُمْقِهِمْ إعْصارا
وأبَوْا سِوى الحَرْبِ الأثيمةِ وحدَها   ردّاً وغيرَ جُموحِهم أنصارا
فجعلْتَ تَحريرَ العَبيدِ سياسَةً   وتَخِذْتَ تَوْحيدَ البلادِ مَنارا
حتّى إذا انتصرَتْ جُيوشُك لم تَعُدْ   إلاّ زَعيمَ بلادِك الغَفّارا
وأخذْتَ تَبْني مِن جَديدٍ حظَّها   كالغَيْثِ يُطلِعُ في الرُّبى النُّوّارا
وبَدا الرَّجاءُ مِنَ الرَّمادِ كأنَّهُ   بَعْثٌ أعادَ خلائِقاً وديارا
فإذا القَضاءُ مُهيِّىءٌ لك مَصْرَعاً   - واهاً له - والنَّصرُ صار مُعارا
كلاّ، وكلاّ، ما قُتِلْتَ لميتَةٍ   بل للْخُلودِ مكرَّراً وجهارا
عَمَّدْتَ بالدّمِ أيُّها الفادي لنا   مُثُلاً على الأدهارِ سوفَ تُجارى
ما أنَّ مظلومٌ وضحّى ماجدٌ   إلاّ وكنْتَ له لَظىً وشَرارا
ورآكَ في أحْلامِهِ ويقينِهِ   أبداً، فهَمَّ يُصارِعُ الجَبّارا!

تحيّة الجمهوريّة المصريّة

١٨ حزيران / يونيه سنة ١٩٥٢

إنْ مصرُ عادتْ تقتفي مجدَها الأسمى — فيا قُبلي طيري لها واشبعي لثما
ويا فرحتي لا تكتفي بفريدةٍ — من الشِّعرِ، بل كوني لها الأمَلَ الجمّا
ورغّي حواليها رؤىً تستعيدُها — فُنوناً مِن الإلهامِ تُكسِبُها الحزما
شذى الشِّعرِ وحيَ السّيفِ في وثباتِهِ — كما أسكَنَ المَجْدَ المُرفرِفَ والنَّجما
وبشّرْ بالأحلامِ[1] حتّى تفتّقتْ — لِنشوتِها الأحلامُ[2] أضعافَها نُعمى
وأنجبْ فيا للحياةِ مَعانياً — ضِخاماً تعالَتْ، لا تُحدُّ وقد تُنمى
فيا مِعزفَ الأربابِ جلْجِلْ مُرحِّباً — بمصرَ، وبارِكْ أنتَ وثبتَها العُظمى
إذا الحُكمُ للجُمهورِ أصبحَ رائداً — أبى الحقُّ أن يَلقى به العارَ والظُّلما
وما العدلُ إلاّ للمُساواةِ وَحدَها — فإنْ هي ضاعَتْ صارَ ما دونَها إثما
فيا أُمّةَ النّيلِ المُباركِ حاذري — - وقدْ نِلتِ ما تهوَيْنَ - أن تخلُقي الضّيما
ولا تَقبَلي التَّفريقَ في أيّ مَظهرٍ — فمنْ يَقبَلِ التّفريقَ يَستأهلِ الرَّجما
وما كانَتِ الآثارُ أبقى على البلى — مِنْ العَدلِ، لو آثرتِهِ مَجدَكِ الضّخما
أُعيذُكِ مِنْ وهمٍ يصيرُ عقيدةً — فكمْ أُمّةٍ هانَتْ بإعزازِها الوَهما
أُعيذُ جمالاً[3] والزّعيمَ مُحمّداً[4] — بِحِذقِهِما مِنْ حَدِّ مَطْلَبِكِ الأسمى
قد انتزعا مِنْ قَبلُ حَظَّكِ عَنْوَةً — وما بَرِحا والدّهرُ كالطّائشِ الأعمى
تَجبَّرَ واستَعلى فردّاهُ صاغِراً — وقدْ كانَ كالمَحمومِ سكْرانَ بالحُمّى

---

[1] الرؤى.
[2] العقول.
[3] جمال عبد الناصر.
[4] محمد نجيب.

وهـا أنـتِ بالعَهْـدِ الجَديـدِ طليقـةٌ ... ومُنجبـةٌ أعـلامَ نَهْضَـتِكِ الشـُّمّا
ففـي كُـلِّ شِـبْرٍ مِـنْ ثَـراكِ خَميلـةٌ ... وقـدْ كانـتِ الـوَيْلاتُ تَغتالُـه قَضْـما
وفي كلِّ مَرْأىً مِنْ سمائِكِ كوكبٌ ... يَبُـلُّ بنـورٍ مِنْـهُ لوعـةَ مَـنْ يَظْمـا
وفي كُـلِّ رُكْـنٍ مِـنْ رُبوعِـكِ ملجـأٌ ... تَلـوذُ بـه خـيرُ المواهِـبِ أو تُحْمـى
وفي كُـلِّ ذِهْـنٍ مِـنْ بَنيـكِ بواعـثٌ ... ليُنْجِبَ حينَ الأمْسُ قدْ أَلِفَ العُقْما
وفي كُـلِّ قلْـبٍ نَشْـوةٌ عَلَويَّـةٌ ... فصـار إذا يَـأْتمُّ بـالخيرِ مُؤتَمّـا[1]
تَبَـدَّلتِ الأيّـامُ حتّـى كأنَّمـا ... بِنِعْمَتِهـا لَمّـا تَـزَلْ حَوْلَنـا حُلْمـا
كـأنَّ بَنانـاً للمسـيحِ لَمَسْـنها ... فبدَّدْنَ عنْها الذُّعْرَ والحُزْنَ والسُّقْما
فيـا مِصـرُ عَضّـي بالنَّواجذِ حُرَّةً ... على ما كَسَبْتِ اليومَ واغتنِمي اليَوْما
وهيّـا أعِـدّي لِلْغَـدِ المُرْتَجـى عُلـىً ... تَبُـزُّ بإِعْـجـازٍ لهـا كُـلَّ مـا تَمّـا
إخـاءً وتَنْظيمـاً وعِلْمـاً وهمَّـةً ... وفنّـاً تَهُـزُّ الغـافِلينَ أو الصُّمّا
ولا تَشْتَكي مِنْ لاعِجِ اليُتْمِ بعدَما ... أزَلْتِ بهذا النَّصْرِ مِنْ دَمِكِ اليُتْما
ألاَ في سبيلِ المَجْدِ ما قدْ غَنِمْتِهِ ... وها هو قدْ أضْحى لِكُلِّ الوَرى غُنْما
فإنّـكِ للأقـوامِ أُمْثولَـةُ الهُـدى ... وما خَصَّ شَعْباً يَستفيقُ ولا قَوْما
تَبـارَكَ ربّـي حـينَ يُنْصِـفُ أُمَّـةً ... تعافُ ذَليلَ العيشِ واليأسَ والنَّوْما
وتُـدرِكُ أنَّ الفهـمَ مِـنْ رأسِ مالِهـا ... وهل يُقْدَرُ الإنسانُ إنْ طلَّقَ الفَهْما؟
ولا تَسْـتَطيبُ المـوتَ طَوْعـاً لِمـارِدٍ ... وتَصْفَعُهُ إنْ ثـار واسْتَمْرَأَ اللُّؤْما
ولا تَرْتَضـي يَوْمـاً مُسـاوَمَةً لـه ... فمَنْ ساومَ الطُّغيانَ مُقترفٌ جُرْما
وخـانَ تُراثـاً للجُـدودِ مُقدَّسـاً ... كما خانَ عَهْداً لا يُكَيَّفُ أو يُسْمى!

*****

عَزيزٌ على مِثْلي البعادُ وقد زَهَتْ ... مَنائِرُكِ الزَّهْراءُ تَستقبلُ السِّلْما

[1] متبوعا أو إماما.

عَزيـزٌ وفي قَلْـبي حَنـانٌ مـؤرِّقٌ وحَسْبي، على رَغْمي، مُفارقَتي الأمّا
إذا جِئْتُ هذا اليومَ أُزْجي نَهائِئي فمِنْ قلبِ مَحْرومٍ تَهَلَّلَ إذْ يُدْمى
ولكنَّ نَفْسَ الحُرِّ نَفْسٌ عَجيبَةٌ تَعيشُ على الأضدادِ مهْما تكُنْ غُرْما
وقد تَرْفُضُ الشَّهْدَ السُّلافَ لِوهْمَةٍ وتَعْشَقُ موتَ النُّبْلِ إذْ تكرعُ السّمّا
فإنْ لمْ أزَلْ رَهْنَ التَّزَمُّتِ ثائِراً فَطَوْعُكِ قَلْبي المُسْتَعِزُّ بما ضَمّا!

جورج واشنطن

مُؤسِّسَ الدَّولَةِ المَرْهوبِ جانبُها ومَنْ شَأَتْ قِمَّةَ الدُّنْيا مَبانيها
ومَنْ تَظَلُّ المَعالي مِنْ مَبادِئِها وباقِياتُ المَزايا مِنْ مَعانيها
ومَنْ يَشيمُ بها الأحرارُ قُدْوَتَهُمْ ويَعْرِفونَ الأمانيَّ أمانيها
ومَنْ تَعيشُ بها الأجْواءُ أجْمَعُها مثلَ الشُّعوبِ الّتي قَدْ أُسْعِدَتْ فيها
كُلٌّ لَهُ مَنْزِلٌ حَيٌّ ومُؤْتَلِفٌ وعِزَّةٌ لم تَكُنْ وَهْماً وتَمْويها
حتّى الطُّيورُ تَغَنَّتْ في مَوائِلِها[1] بنَشْوَةٍ فَوْقَ ما أَوْحَتْ أغانيها
حتّى الوُحوشُ التي تُمْحى مَسارِحُها[2] مِنَ العَداءِ تهادَتْ في مَجاليها
حتّى الطّبيعةُ في أرجائِها سَكَنَتْ فيها الألوهَةُ ألْواناً لِرائيها
اليومَ ميلادُكَ الوَضّاءُ نَعْرِفُهُ وإنْ حُجِبْتَ بآثارٍ نُحَيِّيها
أبا البلادِ الّتي يَحْيا الجميلُ بها مُكَرَّرَ العِطْرِ يَجْري في أقاحيها
وفي الجميلِ المُحَلّى مِنْ بَواسِقِها وفي الطَّليقِ المُغَنّي مِنْ قَماريها
وفي جَميعِ نواحيها كأنَّ بها لِذِكْرِكَ السَّمْحِ تَقْديساً وتَأْليها

---

[1] موائل: Sanctuaries.
[2] مسارح: Roomaries؛ (كذا في الأصل ولعلها Roomages؛ و.ف).

وفي جَميعِ مباديها الّتي انتشرَتْ ... فَرَنَّحَتْ أُمماً شَتّى مباديها
يا مَنْ تَبَنَّتْكَ أخلاقٌ مُنَزَّهَةٌ ... عَنِ الصّغارِ فَتاهَتْ في تَبَنّيها
جَعَلْتَ سيرَتَك الغَرّاءَ رائِدَةً ... للرّائدينَ فعَبّوا مِنْ دَراريها
يا قائِدَ الثَّورَةِ الكُبْرى ومُنْميَها ... حتّى استحالتْ لَظىً أفْنى أعاديها
وآخِذَ النَّصْرِ والأيّامُ مُدْبِرةٌ ... والخَصمُ يُمْعِنُ تَحْقيراً وتَسْفيها
آمنْتَ بالحَقِّ حَتّى صِرْتَهُ رجُلاً ... وبالتُّقى فغدا ديناً لأهْليها
وإذْ نَجَتْ مِنْ أذى الطّاغوتِ ظافِرةً ... بعِزّها كُنْتَ رُبّاناً يُراعيها
ولمْ تَزَلْ يا أباً إنْ نامَ عنْ وَلَدٍ ... وأمُّهم لمْ يَناموا عنْه تَنْويها
حاشاك، فالموتُ للأحرارِ مُخْلِدُهُمْ ... وللمَبادِئِ مُعْليها ومُحْييها
وهكذا سيرةُ الأبطالِ مَلْحَمةٌ ... الخُلْدُ شاعِرُها والدَّهرُ راويها

قصيدة

أهْتَزُّ قُرْبَكِ كالزَّمانِ قَصيدةً ... يا ليتَ قَلْبَكِ كانَ يُدْرِكُ ما بيا
وتُنَضّدينَ قَصيدتي كمَشاعري ... في حينِ تَنتَفضُ الحُروفُ أغانيا
تَجْري أنامِلُكِ الرّشيقةُ فوقَها ... جَرْيَ النَّسائمِ مُنْعِشاتٍ باليا
يا نَبْعَ إلهامي المُنوَّرِ دائماً ... ماذا سكبْتِ بها غِنىً ومَعانيا؟
في كلِّ لفظٍ فوقَ ما حَمَّلْتُهُ ... وَوَهَبْتُهُ نَصًا وجاوَزَ روحيا
أتْلو سُطوري بَعْدَما دَبّجْتُها ... نَبَضاتِ قَلْبي المُرقصاتِ خياليا
الباسِماتِ وكُنَّ قَبْلُ بواكياً ... والآسياتِ وكُنَّ قَبْلُ دَواميا
والعاطراتِ من الجِنانِ وما أرى ... إلاّكِ يَنْفَحُها العَبيرَ الغاليا

والشّـاعِراتِ وكُـنَّ أمْـسِ جَوامِـداً ... والمُعْجِـزاتِ المُخْلِـداتِ الفانيـا
والراويـاتِ مِـن الرَّحيـقِ عَواطِفـاً ... نَشْـوى وأحْلامـاً تُجَـدِّدُ ماضـيا
هـذي قَصـيدتيَ الّـتي أنكَرْتُهـا ... مـن قَبْلُ عـادتْ لـي أحَبَّ رَجائيـا!

حنـين

مِنْ وحي يوم ٢٢ تموز / يوليه سنة ١٩٥٢

عيـدانِ: عيـدٌ تَحَـرُّرٍ وتَفـاؤُلٍ ... جَـمٌّ، وعيـدُ كَرامـةٍ لِـبلادي
بِهِمـا أتيـهُ وإنْ نُسـيتُ وأُهْمِلَـتْ ... صُحُفي، وأسْعَدُ رَغْمَ طولِ بعادي
شَـأنُ المُحِـبِّ إذا جَفـاهُ حَبيبُـهُ ... جَعَـلَ الحَـنينَ لـه عُطـورَ وِدادِ
أوّاهُ مِـنْ لَهَفـي، كَـأنَّ خَـواطِري ... حَـرْبٌ عَلَـيَّ وَلَسْـنَ مِـنْ أوْلادي
فـارَقْنني شَـوْقاً لِمِصـرَ، وَفُتْـنَني ... مِـنْ بعْـدِهِنَّ على البِعـادِ أُنـادي
مَن مُبْلِـغٌ وَطَـني الحبيبَ عَـواطفي ... شَـتّى تَزيـدُ وفاتَهـا تَعْـدادي
كالنَّبْـتِ أُغْفِـلَ فاسْـتُثيرَ تَطَلُّعـاً ... وَنَمـا، ولمْ يَقْتُلْـهُ غَـبْنُ أعـادي
ومِـنَ النّفـوسِ رَوِيَّـةٌ[1] مِـنْ مائِهـا ... والجَـذْبُ حَـوْلَ جُـذورِها مُتَمـادي
ومِـنَ النّفـوسِ فَقـيرةٌ لا تَغْـتَني ... أبَـداً، وإنْ روِيَـتْ فَهُـنَّ صَـوادي
ظَمَئـي إلى وَطَـني ظَمـاءُ مُعَـذَّبٍ ... فَـدّاهُ، لا مُسْـتَثمِرٍ مُتَمـادي
فارَقْتُـهُ لَمّـا حُرِمْـتُ وَفـاءَهُ ... ومُنِعْـتُ مِـنْ إرْشـادِهِ بِرَشـادي
وجَعَلْـتُ مِنْبَـريَ المُعَلّـى غُـرْبَتي ... مِثْـلَ المَنـارَةِ[2] فـوقَ كُـلِّ سـوادِ
في حـينِ غُـصَّ بِمـاكِرينَ تَذَبْـذَبوا ... عُمْـراً ومـا زالـوا مِـنَ الأسْـيادِ

---

[1] أي مُرْوِية لذاتها.
[2] إشارة إلى بناء المنارة في موضع خارج المدينة، فكلاهما، (أي الشاعر والمنارة)، مغتربٌ عنها.

حَسْبي تَرَعْرُعُهم لأوثِرَ غُرْبَتي
وشُموخُهُمْ لأعيشَ في الأصْفادِ

ما كُنْتُ مَنْ يَرْضى الإهانَةَ صاغِراً
ونُهايَ لي مَجْدٌ وقَلْبيَ زادي

سأعيشُ في استقلال روحي، نافياً
نَفْسي، إذا ما خانَني أنْدادي

وأفوتُ لِلتّاريخِ ذِكْري هادياً
إنْ فاتَ هذا الجيلَ حقُّ جِهادي!

*****

بوركْتِ جُمْهوريّةً لمْ تُمْتَهَنْ
ما بَيْنَ إقطاعٍ وبينَ فَسادِ

عُنْوانُها الشّورى، ولُبُّ لُبابِها
صَوْنُ الحُقوقِ وعِزَّةُ الأفْرادِ

أغْلى تُراثِكِ وَحْدَةٌ وَعَدالَةٌ
بِهِما نَمَتْ وسَمَتْ أعَزُّ بِلادِ

فَلْتَحْفِلي بِهِما، وبَعْدُ فَعَيِّدي
ما شِئْتِ، أو فَدَعي حُلى الأعْيادِ!

زفاف عيسى

من وحي بردجهامبتون في لونغ أيلند إلى الصديق الحبيب عيسى خليل صباغ

نُبِّئْتُ أنَّكَ عنْ قُرْبٍ سَتُسْعِدُنا
بيومِ عرسِكَ... إنّي جِدُّ منتظرِ!

وذي سُطورٌ على بُعدٍ أُحمِّلُها
شَوْقي إليكَ بيومٍ عاطرٍ مطرِ

حيثُ الأزاهيرُ حولي ليس يَنْقُصُها
إلاّ مُحيّاكَ سَمْحاً مالِياً نَظَري

وحيثُ في الطّلِّ أنغامٌ تُداعِبُني
كأنَّها من معاني شَدْوِكَ النَّضِرِ

وحيثُ بَكّرَتِ الأطيارُ شاديةً
والطلُّ يغمرُها بالحُبِّ والخَفَرِ

وحيثُ تبتهجُ الأشجارُ راقصةً
بالذّكرياتِ، ومنْ ألوانِها ذِكَري

وحيثُ في العُشْبِ عُبّادٌ تَصَوّفُهُم
سُجودُهُمْ في الحَصى والشَّوْكِ والحَجَرِ

وحيثُ رفّتْ فَراشاتٌ كآلهةٍ
يَبْحَثْنَ عن عالَمٍ للحبِّ مبتكَرِ

وحيثُما حشَراتٌ لا عِدادَ لها
نَأيْنَ عن صوَرِ العُدْوانِ والخَطَرِ

وَنُـــذْنَ بالغَيْـــثِ والأزهـــارِ آمنــةً
وقـدْ حُمـينَ بِمَـنْ نـاجينَ مـنْ شَـجَرِ
كأنَّمـــا هـــي أهْلوهـــا وأخْوتُهـــا
وإنْ شَـمَخْنَ ومـا شـاكَلْنَ للبَصَـرِ
كأنَّهـا هـي بعضـي حـينَ أرْمُقُهـا
تَهْفـو إلـيَّ ولم يَعْلَـقْ بهـا ضَـرَري
وحيثُمـا السـاحلُ الـدافي لزَوْرَتِـه
كنـزٌ مـن التِّبْـرِ أو كنـزٌ مـن الـدُّررِ
نَظَرْتُهـا كلُّهـا في خطْـفِ نـاظِرَتي
كأنَّهـا معْـرِضٌ قـدْ طـافَ بالصّـوَرِ
فقلْتُ يـا ليتَ عيسـى كـان ناظرَهـا
قُرْبي، وكانَ لساني اليومَ أو وَتَري
وإذْ حُرِمْتُكَ صاحَ الشِّعرُ في قَلَمي
لكـيْ أخُصَّـكَ بالجَيّـاشِ مـن فِكَـري
ومـن عواطـفِ قلـبٍ أنـتَ مُسْـعِدُه
في كـلِّ حـالٍ، وحاميـهِ مـن الغيَـرِ
يـا مـا أقَـلَّ الأُلى يَنْسَـوْنَ أنْفُسَـهُم
ويُسْعِدونَ الـوَرى إسْعادَ مَقتـدرِ!

٢٣ تموز/يوليه ١٩٥٩

يوم الجمعة

من وحي بردجهامبتون في لونغ أيلند

مهداة إلى الصديق الأستاذ الدكتور موشي برلمن

حَلِمْتُ أنَّكَ قـد أصـبحتَ مُعتـزِلاً
مثْلـي، ونَحْـنُ بحـقٍّ كعـبَ أحبـارِ
هنـا تُحـدِّثُ عـن ديـنٍ عَناكِبُنـا
كمـا يُحدِّثُ عنـه الجـدولُ الجـاري
ومـارحُ الطـيرِ غِرِّيـداً ومسـتمعاً
وواثـبُ العطـرِ مـن حـانوتِ عطّـارِ
ورهبـةُ الريـفِ في نبـتٍ وفي حَجَـرٍ
كمعبـدٍ مســتقرٍّ منــذُ أدهــارِ
كأنَّمـا كـلُّ ركْـنٍ فيـه صـومعَةٌ
رفَّـتْ أناجيلُهـا مـا بـينَ أشـجارِ
مـلءَ الأشـعّةِ أو ظـلٍّ لهـا نَضِـرٍ
وفي تَبَسُّـم أنـداءٍ وأزهـارِ
وفي هَـوى حَشَـراتٍ مِـنْ تبرُّجِهـا
كـلُّ المعـاني لعُشّـاقٍ وسُـمّارِ

هُنـــا تَوَحَّـــدَتِ الأديـــانُ صـــادقةً ... ولمْ تـــوزَّعْ لأنْجـــاسٍ وأطْهـــارِ
هُنـــا المحبَّـــةُ كنـــزٌ لا انتهـــاءَ لَـــهُ ... والفـــنُّ يَختـــالُ في لَحْـــنٍ وأشـــعارِ
هُنـــا الـــوَرى كلُّهـــم إيمـــانُهم عَمَـــمٌ ... ولا تُفـــرِّقُهم أهـــواءُ فُجّـــارِ
هُنـــا الحيـــاةُ حيـــاةٌ لا حُـــدودَ لهـــا ... وعُـــزْلتي هـــيَ تَسْـــبيحي وإيثـــاري
هُنـــا وَدِدْتُـــكَ في قُرْبـــي تُشـــارِكُني ... هـــذا الجمـــالَ زميلَـــيْنِ بأسْـــفارِ
قـــدِ اعتنَقْنـــا الهُـــدى، لكنْ تصـــوّفُنا ... بَـــزَّ التَّصَـــوُّفَ في آيـــاتِ "ذَكّـــارِ"
وفـــاتَ أوهـــامَ مَنْ هامـــوا ومـــن زَعَمـــوا ... أن الطَّبيعـــةَ خصَّـــتْهمْ بأسْـــرارِ
فـــنحنُ أبناؤُهـــا الأبـــرارُ أجمعُنـــا ... لَـــدى حِماهـــا ومـــا هامَـــتْ بمُختـــارِ
وكـــلُّ مَـــنْ جاءَهـــا أهـــلٌ لنِعْمَتِهـــا ... وكـــلُّ مـــن زارَهـــا كعـــبٌ لأحْبـــارِ

٢٤ تموز/يوليو ١٩٥٣

من وحي الطبيعة

في بردجهامبتن بلونغ أيلند من ولاية نيويورك
مهداة إلى الصديق الألمعي مصطفى عبد اللطيف السحرتي

دورٌ مـــن القِـــدَمِ الغـــالي مُجلَّلَـــةٌ ... تَبَعْثَـــرَتْ بـــينَ أشـــجارٍ وغيطـــانِ
أرْنـــو إليهـــا فتَعْـــدوني بنظْرتِهـــا ... إلى تَرَقْـــرُقِ غُـــدْرانٍ وشُـــطآنِ
وبَعْضُها صاحَبَ العُلّيقَ في شَغَفٍ ... كأنَّهـــا في عِنـــاقٍ لـــيسَ بالفـــاني
جلسْتُ في المَرْجِ كالمشدوهِ أرقبُها ... فلـــمْ تُعِرْنـــي التفاتـــاً بعـــدَ نِسْـــياني
أنـــا الغريـــبُ الّـــذي يَرْجـــو رِعايَتَهـــا ... فما لها شُغِلَتْ عن خَيْرِ حُسْباني؟
هـــلِ العصـــافيرُ والغِرْبـــانُ تُسْـــعِدُها ... ولـــيسَ تُسْـــعِدُها أشـــواقُ إنســـانِ؟

لا بِدْعَ إن كانَتِ الأسْلاكُ[1] حاشِدَةً   بهِنَّ في صَلَواتٍ مثْلَ رُهبانِ

والشمسُ تُضْفي سناءً من أشِعّتِها   كأنَّ إشعاعَها غُفْرانُ دَيّانِ

أم أنَّني فِي نُزوحي عن مَشاهِدِها   صارَ احتفائي بها أدْنى لنُكْرانِ

وصار أوْلى بها مَنْ رامَ أُلْفَتَها   فِي كُلِّ فصْلٍ ولمْ يَحْفِلْ بميزانِ؟

"حاذِرْ من الشَّمْسِ" قالوا "إنَّها خَطَرٌ   وإنَّ تَقْبيلَها إحراقُ نيرانِ!"

فقُلتُ: "يا حَبّذا! فالنارُ فِي لَهَفي   فما أُبالي إذا شبَّتْ بجُثْماني

لقد هجرتُ نيويوركَ لأعْبُدَها   فكيفَ أحْذَرُها في فرطِ إيماني؟

لم يَشْكُها شَجَرٌ أو طائِرٌ غَرِدٌ   ولا أزاهيرُ من ميراثِ نيسانِ

ولا اشتكَتْ حشراتٌ ثَمَّ راقصةٌ   كأنَّها الفنُّ والإشعاعُ في آنِ

فكيفَ أشكو وأخْشى من تَوهُّجِها   والشّمسُ روحي وإلهامي وجُسْماني؟

كأنَّما أختنتونُ حينَ مجَّدَها   قد نابَ عنّيَ في حُبّي وقُرْباني

كأنَّني البحرُ فِي مَوْجٍ يُغازِلُها   أو أنَّني العُشْبُ فِي أحلامِ نَعْسانِ!"

وأقبَلَتْ زُمَرٌ شتّى تُكَلِّمني   من الطُّيورِ، وقدْ جاوبْنَ ألْحاني

حتّى السكونُ الّذي حَوْلي له لُغَةٌ   تَرَدَّدَتْ في حَنايا كائِني الثّاني

حينَ السَّماءُ الّتي تاهَتْ بزُرْقَتِها   تُنافِسُ البَحْرَ في معْنىً وألْوانِ

مِنْ كُلِّ هذا وهذا أسْتَمِدُّ غِنىً   كأنَّما نظراتي لَوْحُ فَنّانِ

أعيشُ في وَسْطِها مِنْ بَعْضِ نَفْحَتِها   وقدْ نَسيتُ تباريحي وأشْجاني

كَما رَجَعْتُ إلى المَفْقودِ من عُمري   مُجَدَّداً في نَعيمٍ ناضرٍ ساني

وأملأُ العَيْنَ من ألوانِ خَمْرتِهِ   كأنَّني شاربٌ أكوابَ رِضْوانِ

حتّى إذا اللّيلُ وافى في سكينتِهِ   ودغدغَ البَدْرُ بالإشْعاعِ وِجْداني

نظمْتُ شِعْريَ هذا من مباهِجِهِ   ومنْ مباهِجِ يَوْمي الناعمِ الهاني

---

[1] أسلاك التليفون المنصوبة على العمد.

هديَّةَ، الروح من نُعمى يُعاشُ لها إلى صديقٍ أُراعيه ويَرْعاني
مَضَتْ سُنونٌ على يَوْمٍ لفُرقَتِنا ولمْ نُفَرَّقْ بأرواحٍ وأبدانِ
فإنّنا شُعراءٌ في تَصَوُّفِنا وقدْ سَمَوْنا على تَحْديد إمكانِ!

٧ تموز/يوليه ١٩٥٣

تمهّلْ يا قطار!

من وحي الريف في بردجهامبتون عند العودة إلى نيويورك
في الثامن والعشرين من تموز / يوليه ١٩٥٢

تَمَهَّلْ يا قِطارُ! علامَ تَجْري وأنتَ مُخلِّفٌ يَنْبوعَ شِعري؟
أتَحْسَبُ في المدينةِ أيَّ سِحْرٍ وهذا الرّيفُ يَنفُثُ كلَّ سحرِ؟
وهذا البحرُ يملَؤُه هديرٌ حَنونٌ مُشْبِهٌ هَمَساتِ فَجْرِ؟
وهاتيكَ السَّوائِمُ في إخاءٍ وأمْنٍ ها هنا تَلْهو وتَجْري؟
وكلُّ الناسِ في دَعَةٍ وبِشْرٍ وما عُرِفوا بمِقياسٍ وقَدْرِ؟
بُيوتُهُمو تُصانُ بغَيْرِ قفْلٍ وصفْوُهُمو يُشاعُ بغَيْرِ أجْرِ
أتُسرِعُ هكذا وتَفوتُ دُنيا تَفيضُ بكلِّ تَرحابٍ وبِشْرِ
وفيها الطَّيرُ صاحبُ فَلسفاتٍ وفيها كادَ يُنشِدُ كُلُّ صَخْرِ؟
وفيها الزَّهرُ رمزٌ لم يُكيَّفْ خِلافَ الزَّهرِ في أكنافِ مِصْرِ؟
وفيها تَعزِفُ الحشَراتُ شَتّى أغاريدَ الصَّبابَةِ دونَ سِرٍّ؟
وفيها الأرنبُ اللاّهي حكَتْهُ صَداقةُ كَلْبِنا اللاّهي لِهِرٍّ؟
وفيها تَنبُتُ الخُضرُ ابتهاجاً إذا أثمارُها رَفَّتْ بسُكْرِ؟
وفيها النّورُ تَملؤُه المَعاني فتغمرُ كلَّ وِجدانٍ وفِكْرِ؟

وغيهـا الليـلُ تملـؤه الأمـاني كواكـبُ لم تُحَـدَّ بـأيّ سَـيْرِ؟
وفيهـا الحُـبُّ ينضُـرُ في شَبابٍ وإنْ هـو ثـمَّ فـاتَ ربيـعَ عُمْـرِ؟
أتُسـرعُ هكَـذا عـنْ كـلِّ هـذا لعلَّـكَ أنـتَ تجهـلُ حـينَ تَـدْري!

٢٨ تموز/يوليه ١٩٥٣

أمّة الإسلام

أرْشَـدَ اللّـهُ أُمّـةَ الإسـلامِ إنْ تَـدُمْ في عِبـادةِ الأصْـنام
كلّمـا هزّهـا الصّـلاحُ لخَيْـرٍ نبذَتْـه بحُجّـةِ الإسـلامِ
أيُّ مَعْنـىً لكـلِّ هـذي الـدَّعاوى غـيرُ معنـى الـدَّمارِ والألْغـامِ
بَثَّهـا الجَهْـلُ والحَماقـةُ بَثّـاً في طَريـقِ الإصـلاحِ والإقـدام؟
لسـتُ أدري واللّـهِ أيُّهمـا أنكـى: أبَطْـشُ المسـتعمرِ المتعـامي
أو بنوهـا اللُّصـوصُ مَـنْ أوْغلـوا ظُلْمـاً وبـاهَوْا بالعَسْـفِ والإجـرامِ؟
أمْ مُلـوكٌ لهـا صَـعاليكُ في الخُلْـقِ، مَفاليـكُ في نُهـى الحُكّـامِ؟
لَسْـتُ عَبْـدَ الألقـابِ، سِـيّانِ عنْـدي ملـكٌ خَـسَّ أم رئـيسٌ حَرامـي
رُبَّمـا كـان مالـكُ العـرشِ فَـرْداً وادِعـاً مثْـلَ أصـدقِ الخُـدّامِ
والـذي عَـدَّهُ الجَمـاهيرُ مِـنْهُمْ طاغيـاً ناهبـاً حُقـوقَ الأنـامِ
مـا أبـاحَ الإسـلامُ صـولَةَ جَبّـارٍ ولا دَعـوَةً لغـيرِ السَّـلامِ
مـا أبـاحَ الإسـلامُ أن يُجْعَـلَ الـدّينُ سِـتاراً للكَيْـدِ أو للخِصـامِ
مـا أبـاحَ الإسـلامُ وهـو ضـياءُ الفِكْـرِ، تَصـويرَه نَصـيرَ الظّـلامِ
مـا أبـاحَ الإسـلامُ وهـو إمـامُ العقْـلِ، إلاّ الحِجـى وعـيشَ التَّسـامي
مـا أبـاحَ الإسـلامُ، مَـنْ ناصـرَ العِلْـمَ، حيـاةً للجهـلِ والأوهـامِ

مـــا أبـــاحَ الإســـلامُ، مَـــنْ قـــدَّسَ المـــرأةَ، حُســـبانَها مـــن الأنْعـــامِ
مـــا أبـــاحَ الإســـلامُ، مَـــنْ حـــرَّرَ الإنســـانَ، ذُلَّ الجبـــاهِ والأفهـــامِ
مـــا أبـــاحَ الإســـلامُ، داعـــي التـــآخي، عنْجهيّـــاتِ أهلِـــهِ الأقـــزامِ
مـــا أبـــاحَ الإســـلامُ وَصْـــمَةَ أهليـــهِ بضـــيمِ العبيـــدِ والأغنـــامِ
مـــا أبـــاحَ الإســـلامُ هَـــدْمَ تُـــراثٍ شَـــيَّدَتْهُ عَبـــاقرُ الأحْـــلامِ
بـــل أبـــاحَ الإسْـــلامُ أن يُشْـــنَقَ الهَـــدّامُ جهـــراً وشـــيعةُ الهَـــدّامِ!

الأخطبوط

مهداة إلى الأديب المصري الحرّ الأستاذ وديع فلسطين

الأخطبـــوط أراهُ بـــدَّلَ شَـــكْلَهُ ... كمُحيطِـهِ، ولقـدْ يُظـنُّ صُـخورا
ولســوفَ يَمتَصُّ الـدّماءَ مُضَـحّياً ... بغَريمــهِ ويَفوتُــهُ مَعْصــورا
يـا للزّعامـة حـينَ تَحْسَـبُ أنَّهـا ... تَلْهــو بــه وتظُنُّــه مَقْهــورا
وهـو الّـذي تَخِـذَتْ وُصـوليّاتُهُ ... حِـيَلاً لِتقتُـلَ مَـنْ يَنـامُ غُـرورا
حـينَ الّـذين يُنـافحونَ لِصَـوْنِها ... والماهِـدينَ لهـا أُذيقـوا الـزّورا
أو أُهْمِلـوا مِثْـلَ النُّفايـةِ، مـا لهـمْ ... أمَـلٌ يُـداعَبُ لـو غـدا مَنْشـورا
يـا أيُّهـا الزُّعمـاءُ لـيسَ بنـافعٍ ... إخلاصُـكم إنْ لم يكـنْ مَبْـرورا
هـل تُنْكِـرونَ الظلـمَ، ثـمّ بِعَهْـدِكم ... يَبْقـى الّـذي عـانى لكُـمْ مَنْكـورا
ويسـودُ فيـه الأُلعبـانُ وكـلُّ مَـنْ ... نَشَـرَ الظّـلامَ ومـن أمـاتَ النّورا؟
إنْ تَرْتَضـوا هـذا فحَسْـبي أنَّـني ... أبقـى بمَنْفـايَ السّـحيقِ شَـكورا
هيهـاتَ أرضـى أن أُسـاوِمَ مَـرّةً ... في الحـقّ أو أرضـى بـه مَـدْحورا
إنّ الإســاءَةَ مــن عَتِــيٍّ فــاجرٍ ... مــلأ الــبلادَ مَقابِحــاً وشُــرورا

نِـدُّ الإسـاءة مـن زَعـيمٍ صـالحٍ قتـلَ المواهِـبَ جاحِـداً مَغْـرورا
مَجْدُ البلادِ على المَدَى أحرارُها الماهِـدونَ الرّائِـدونَ عُصـورا
المُلْـهمونَ بفِكْـرهم تَحْريرَهـا والخـالقونَ لهـا مُنـىً وشُـعورا
فـإذا أُهينـوا أو أُذِلَّ تُـراثُهم لم يَحْـيَ مَجْـدٌ بَعْـدَهُمْ مَـذْكورا
بل، لُطِّخَتْ صُحُفُ الفَخارِ برحمةٍ تَبْقـى ويَحْسَـبُها الزّمـانُ فُجـورا

آيـة الجبـن

مهداة إلى الشعب المراكشي

قالها الشاعرُ في الانقلاب الاستعماري بمراكش ليلة عيد الأضحى ١٢٧٢ هـ

خَبَـرتُكمْ فوجـدْتُ الجُـبنَ آيـتَكُمْ حتّى الشُّجاعُ غدا بالجُبْنِ مَسْحورا!
مَنْ علّمَ الصَّفْوةَ الأبطالَ غفلَتَهم كـأنَّهم مـا أعـزّوا الحَـقَّ والنّـورا؟
كـ أنَّهم حـالَفوا الجَبّار وائْتَمـروا بمـا أرادَ، ومـا ردّوه مَـدْحورا؟
ليسَ الرِّجالُ سِوى مَعْنى عَقيدتِهِم فِعْلاً، ولَيْسوا حديثاً كان مَذْكورا
أتَشْمخونَ بماضيكُمْ، وحاضِرُكُمْ يَكادُ يَنْصُرُ في ضَعْفٍ له الزّورا؟
خَـذَلْتُمو نُخبـةَ الأحـرارِ في عَمَـهٍ فهلْ غدا الحُرُّ عندَ الحُرّ مَنْكورا؟
أتُصْـغِرونَ الأُلى ضَحَّوْا لمبدئِكمْ وتُكْبِـرونَ أثيمـاً كـانَ مَـأْجورا؟
الحـقُّ أبْلَـجُ، لا تَحميـهِ ذَبْذَبـةٌ وَمَـنْ تَخـافونَ إلاّ العُمْـيَ والعـورا
والمـارقينَ الأُلى سـادَ الطُّغـاةُ بهـمْ وكـانَ أوقحُهـم لهفـانَ مَـذْعورا؟
أتُـذعِنونَ لهـم شُـكراً وترضـيةً مِنْ بَعْدِ ما دمَّروا الأخلاقَ والدّورا؟
وهـل نسيتُمْ جِنايـاتٍ لهم قَصمَتْ ظُهورَنا، أم حَسِبْتُم وَهْمَكُم شورى؟
مَـنْ ناصـرَ الإثـمَ والأوهـامَ غايتُـه أن يُسْـتَباحَ وإنْ عَـدّوه مَنْصـورا

حِـلٌّ لِصـائِحكمْ زَهْـوٌ يُصـاحبُهُ		وأن يَظَـلَّ بـرَغمِ الجهـلِ مَغْـرورا
فالشَّـعبُ مـا زالَ ذاك الشّـعبَ في سَفَهٍ		قَدِ ارتضى أن يَظَلَّ الدّهرَ مأسورا
وأن يُصَـفّقَ للحُكّـامِ أجمَعِهِـم		خيراً وشَرّاً فيبقى الفضلُ مقبورا!

*****

عـلامَ تحـزنُ يـا قلـبي ومـا فَتِئَـتْ		دُنيـا الجُحـودِ تَـرُدُّ الحُـرَّ مَقْهـورا؟
ملءُ العُصورِ المآسي وهـي شاهدةٌ		أنَّ النُّبـوغَ نَبـيحٌ كـانَ مَأْسـورا!

إمـامنا عَرَفـة

كـم زَعـيمٍ مُسَـخّرٍ شَـرَفَهْ		بـاتَ أقْصـى خَلاصِـهِ تَلَفَـهْ
لم تَخُنْـهُ سَـلامَةٌ مِثْـلَ مـا خانَتْـهُ طِبـاعٌ بالغَـدْرِ مُؤتَلِفَـهْ
لا تَقولـوا تَـزينُ عُثْنونَـه[1] الطيبَـةُ بَـلْ خَبِّـروه مَـنْ نَتَفَـهْ!
لا تقولـوا الأعمـالُ رائِـدُها النّيّـاتُ يـا مَـنْ مَـدَحْتُمو خَرَفَـهْ
مَـنْ يَخُـنْ قَوْمَـهُ لِنَفْـعٍ يُرجّيـهِ فقـدْ بـاعَ خاسِـراً شَـرَفَهْ
مَـنْ يَقُـلْ بَرْبَـرٌ وعُـرْبٌ لتفريـقٍ يخُـنْ عَهْـدَ مُسْـلِمٍ حلَفَـهْ
لا تَقولـوا لم يَعْـرِفِ الحَـقَّ إذْ زَلَّ فهـذا إمامُنـا عَرَفَـهْ
يَعـرِفُ العَـدَّ للحَمـيرِ حَوالَيْـهِ كَمـا عَـدَّ فـاخِراً أُكُفَـهْ[2]
حاسِـباً سَـتْرَ عَوْرَتِـهِ المـالَ الّـذي في جُموعِـهِ خَصَـفَهْ[3]

---

[1] العثنون: اللحية؛ (و.ف).
[2] الأكف (لغة) بمعنى البرادع، والاستعمالُ هنا رمزيّ.
[3] إشارة إلى قوله تعالى عن آدم وحواء: ﴿يخصفان عليهما من ورق الجنة﴾ أي يلزقان بعضه ببعض ليسترا به عورتيهما.

الّـــذي يَـــذْبحُ الخِـــرافَ ضَـــحايا وهـــو أوْلى بـــذبحِ مَـــنْ عرَفَـــهْ[1]
أيُّ عيـدٍ هــذا الّـذي يُرْجِـعُ الشَّـعْبَ قُرونـاً فيَغْتَـدي تُحفَـهْ؟
أيُّ عَهْـدٍ هــذا الّـذي يجعـلُ الإسـلامَ إثْمـاً يَغُـضُّ مَـنْ كَشَـفَهْ؟
أيُّ حُكْـمٍ هــذا الّـذي نَصْـرُهُ الإقطـاعَ يُـوحي لخُبْثِـه صَـلَفَهْ؟
أيُّ مَعْنـىً لِصَـيْحَةِ النّـاس بالتَّمْـدينِ حـينَ البَـلاءُ مـا خَلَفَـهْ؟
أيُّ فَخْـرٍ تَرْجـو فرَنْسـا الّـتي ثـارَتْ علـى الظُّلْـمِ إنْ تُعِـدْ هَدَفَـهْ؟
أيُّ حَـقٍّ يَخُـصُّ مَـنْ يَهْضِـمُ الحـقَّ مُصـرّاً ويَـدَّعي دَنَفَـهْ؟
أيُّ صِـدْقٍ هــذا الّـذي أعْلَـنَ الكِـذْبُ تبنّيـهِ واشْـتَهى طَرَفَـهْ[2]
أيُّ رِقٍّ هــذا الّـذي غالَـبَ الـرّقَّ وقـدْ مَـدَّ خُبْـثُكُمْ سَـهَفَهْ[3]
أيُّ عَسْـفٍ هــذا الّـذي يَـدّعي التَّقْـوى ومـا زالَ فُجْـرُهُ لَطَفَـهْ؟
أيُّ بُـؤسٍ يَبُـزُّ بُؤْسـاً عَمـيمَ الإثْـمِ فيمـا بَغـى ومـا اقْتَرَفَـهْ؟
أيُّ حَمْـدٍ يُصـاغُ مِـنْ بَعْـدُ للعـاهِرِ يُشْـقي ولم يُسِـغْ أسَـفَهْ؟
قَـدْ أبـاحَ التَّعْـذيبَ شَـرْعاً، فـإنْ قَلَّـتْ ضَـحاياهُ زادَنـا لَهَفَـهْ!

*****

قيـلَ: "هَنِّـئْ بالعيـدِ والهِجْـرَةِ الشَّـعْبَ، وذَكِّـرْه ليَقْتَفـي سَـلَفَهْ:
الّـذي دَوَّخَ الجَزيـرةَ واعتَـزَّ كَمـا اعتَـزَّ شـاعِرٌ وَصَـفَهْ
الّـذي لَـمْ يَـزَلْ بأنـدلُسَ الخَضْـراءِ نَشـيدٌ لِمَجْـدِه عَزَفَـهْ
الّـذي نَسْـلُهُ يُـزَيّنُ إسْـبانيا كَمـا زانَ لُؤلُـؤٌ صَـدَفَهْ
الّـذي ذِكْـرُهُ أسـاطيرُ لِلْمَجْـدِ إذا ضـاعَ لم يُضِـعْ أنَفَـهْ
الّـذي تَفْخَـرُ الفُنـونُ بِمـا زانَ كمـا تَرْتَجـي حِمـىً كَنَفَـهْ

---

[1] أي لأنه أولى بأن يذبحه من يعرفه.
[2] طرفه: منتهاه.
[3] سَهَفَه: هلاكه.

الّـــذي قَـــدْ بَنـــى وشـــادَ، وكـــمْ جـــادَ، ومـــا عـــابَ مُنْصِـــفٌ سَـــرَفَهْ[1]
الّـــذي خَيْـــرُهُ يُكَفّـــرُ في التـــاريخِ عَـــنْ شَـــرٍّ كُـــلُّ مَـــنْ قَذَفَـــهْ
الّـــذي لَـــمْ تَـــزَلْ حَضـــارتُهُ سِـــحْراً وسِـــرّاً قَـــدْ فـــاتَ مُكْتَشِـــفَهْ
الّـــذي وَحْيُـــهُ رَحيـــقٌ مِـــنَ الخُلْـــدِ يَنـــالُ الجِنـــانَ مَـــنْ رَشَـــفَهْ
الّـــذي في خَرائِـــبِ ســـاهِماتٍ مِـــن عَلـــى الأطْلَـــسِ الّـــذي انتصـــفَهْ
الّـــذي أنْجَبَـــتْ بـــهِ مورِتانْيـــا حُـــرَّةً مِـــنْ أشـــاوِسَ طَرَفَـــهْ[2]
الّـــذي إنْ يَغِـــبْ بـــبطنِ الصَّـــحارى لم يُغَيِّـــبْ خفاؤُهـــا صُـــحُفَهْ
الّـــذي يَسْـــتَعِدُّ بالصَّـــبْرِ واليَقْظَـــةِ كـــالنّورِ ماحيـــاً سَـــدَفَهْ!"[3]

*****

قُلْـــتُ: "حَسْـــبي، والعيـــدُ يَنْضَـــحُ بالمأســـاةِ، لَعْـــني مُغـــامِراً كَسَـــفَهْ
ذاكَ أدْنـــى مِـــنْ أنّ يُلَطَّـــفَ أو يُنْعَـــتَ حتّـــى بَشَّـــرَ مـــا اقترفَـــهْ
ثُـــمَّ تَهْليلَـــةٌ لأزْكـــى الـــدَّمِ الجـــاري الّـــذي صـــانَ كُـــلَّ مَـــنْ نَزَفَـــهْ
عرفـــاتٌ يَميـــدُ لـــو أنَّـــهُ يَـــدْري وقَبْـــرٌ بيثْـــرِبٍ جَنَفَـــهْ[4]
جَنّبونـــا الأقـــوالَ في مَوْقِـــفٍ ضـــاعَ بـــه كُـــلُّ غافـــلٍ وَقَفَـــه
لـــيسَ إلاّ تَطْـــويحُ شَـــرٍّ رؤوسٍ يُشْـــعِرُ البغـــيَ كَوْنَهـــا خَرَفَـــهْ
لـــيسَ غـــيرُ السّـــلاحِ مـــا يَفْهَـــمُ الغاصِـــبُ سَـــكْرانَ عابـــداً تَرَفَـــهْ
لـــيسَ غـــيرُ الكِفـــاحِ في مَهْمَـــهِ الظُّلْـــمِ صَـــديقاً لبـــالغِ النَّصَـــفَهْ
لَـــيْسَ غـــيرُ الثَّـــوراتِ مـــا يُرْهِـــقُ المُسْـــتَعْمِرَ حتّـــى يَـــرى بهـــا جَدَفَـــهْ[5]

---

[1] السَّرَف: التعجّل والإسراف.
[2] طرفة: طائفة منه.
[3] السَّدف: الظلمة.
[4] الجنف: الإثم.
[5] الجدف: القبر.

قــد سَــئِمْنا منـــه دُمـــوعَ التَّماســـيحِ فـــأدْموهُ قَـــدْرَ مـــا ذَرَفَـــهْ!"

*****

أيُّهــا الغاضِــبُ الغَشــومُ رويــداً! رُبَّ سَــيْلٍ يَخــونُ مَــنْ جرَفَــهْ
مُضْــحِكاتٍ جَعَلْــتَ مــا أرخَــصَ الــدَّمعَ وصَــوَّرْتَ بُؤْسَــهُمْ غَطَفَــهْ[1]
والجَحــيمَ الّــذي تَلَظّــى سَــلاماً ومَجــاري دِمــائِهِمْ طُرَفَــهْ[2]
إنَّ يَــومَ الحِســابِ غَــيْرُ بعيــدٍ! لا تُحقِّــرْ مَــنْ يَــومُهُم عجَفَــهْ[3]
سُــنَّةُ الــدَّهْرِ أيُّهــا الأحْمَــقُ المَجنــونُ، يــا مَــنْ جُنونُــهُ احْتَرَفَــهْ
لَــيسَ قَتْــلُ الشُّــعوبِ سَــهْلاً، وكَــمْ شَــعْبٍ غَــبينٍ أدالَ مَــنْ خَسَــفَهْ
يُنْجِــبُ الشَّــعْبُ في المُلِمّــاتِ قِرْنــاً مُسْــتَميتاً يَهُــدُّ مَــنْ جزَفَــهْ[4]
ســاخِراً بالــدَّعِيِّ يَحْسِــبُ الاســتقلالَ يَهْــوي إذا الهَــوى حَذَفَــهْ
وسُــيوفُ الأنصــارِ تَلْمَــعُ في الشَّــمْسِ بَــلاءً لِســارِقٍ خَطَفَــهْ
ورَصــاصُ الأتْبــاعِ يَــزْأرُ كالرَّعْــدِ وقَــدْ مَــدَّ طــارِقٌ زَحَفَــهْ
إبْتَــدِرْهُ إنْ شِــئْتَ أوْ لا، فَحَــتْمٌ مَصْــرَعُ الظُّلْــمِ فَــوْقَ مــا سَــلَفَهْ!

بردجهامبتن (بولاية نيويورك) ٢٠ آب/أغسطس ١٩٥٣

---

[1] الغطف: سعة العيش.

[2] الطُرَف: المُلَح.

[3] العجف: الهُزالُ.

[4] من جَزَفَهُ: مَنْ نَهَبَه جُزافا، وأصلُ الكلمةِ من الفارسية.

الضحايا

لا الرَّمزُ يُغني ولا التَّصريحُ يُرضيني[1] وهذه أُممٌ حَولي تُقاضيني
مَكْدودةٌ[2] ما لها حَظٌّ يُراوِدُها ولا رجاءٌ بإنصافِ المَلايينِ
فيمَ التأدُّبُ في حَقِّ الأُلى نَهَبوا حَقَّ الشعوبِ، وكلٌّ شِبْهُ قارونِ؟
يَشْكونَ فقراً إذا ازدادوا غِنىً وغِنىً كأنَّهم في حِسابٍ للمجانينِ
وكُلَّ يومٍ ضَحايا لا عِدادَ لها مِنْ غَدْرِهم في جَحيمِ البؤسِ والهونِ[3]
أبعْدَ هذا نَصوغُ الشِّعرَ زَخرفةً لعَسْفِهم، ونُبيحُ اللَّهوَ بالدِّينِ؟
وما نُقَطِّعُ إلاّ لَحْمَ مَنْ عُصِروا مِن الضَّحايا وأرواحَ المَساكينِ
أقسمْتُ بعدَ تَجاريبي الّتي سَلَفَتْ وأنَّها مثْلُ كابوسٍ يُناديني
لأَبْذُلَنَّ الّذي أغْلَيْتُ من أدبي ناراً تُصَبُّ على رِجْسِ الشَّياطينِ
وأن أُثيرَ شُعوباً في اسْتنامَتِها جُرْمٌ، ولا جُرْمَ أشْرارٍ ملاعينِ
حتّى يعودَ لمجدِ العُربِ ما سطعَتْ به القُرونُ لأجدادٍ ميامينِ
حتّى نُطهِّرَ أرضاً طالَما عَبَقَتْ بها المآثرُ أضْعافَ الرَّياحينِ
وما أُبالي مَتى عادتْ لعِزَّتِها إذا رُجِمْتُ كأنّي في القَرابينِ!

محمد نجيب

أبا البلادِ الّذي تَسْمو البلادُ بهِ جاهاً وحِلْماً وتَصْريفاً وأحْكاما
بوركْتَ مِنْ ظالِمٍ لِلنَّفْسِ يُرْهِقُها كَيْما يُكافِحَ أشْراراً وظُلاّما

---

[1] يرضيني: يكفيني.
[2] المكدود: المغلوب؛ (و.ف).
[3] الهون: الخزي.

إن التَّقَشُّفَ لمّا بتَّ تُؤْثِرُهُ ... أضْحى غِنىً، وغدا نوراً وإلهاما
ما غرَّكَ البَذَخُ الضّافي إلى أجَلٍ ... إنَّ النَّزاهَةَ قدْ أوْلتْكَ ما داما
هيهاتَ يَبْلُغُ ما بُلِّغْتَ مُنْتَقِصٌ ... أنتَ الّذي جَعَلَ الأيّامَ أيّاما
أنْتَ الّذي عفْوُهُ من نُبْلِ شيمَتِه ... مَهْما أُسيءَ، ويَلْقى الطَّعنَ بَسّاما
أنتَ الّذي قدْ تَسامى حولَ عِفَّتِهِ ... شَعْبٌ، وأبدَعَ في الحِرمانِ إنْعاما
أنْتَ الّذي ما ادَّعى يَوْماً لِهِمَّتِهِ ... بَأْساً، وأشْبَعَنا حَزْماً وإقْداما
أنْتَ الّذي نَطَقتْ تلكَ الجِراحُ بِهِ ... حَثّاً لِمَنْ خافَ أو مَنْ خابَ إحْجاما
أنْتَ الّذي لا الرِّئاساتُ الّتي ازْدَهَرتْ ... خانَتْهُ يَوْماً، ولا أضْغاثُ مَنْ ناما
أنْتَ الّذي كُلُّ ما يَعْنيهِ واجِبُهُ ... ديناً ودُنيا وتحْقيقاً وأحلاما
أنْتَ الّذي يَرْهَبُ الطّاغوتُ حِكْمَتَهُ ... وإنْ يُحاصِرْهُ أسْيافاً وألغاما
أنْتَ الّذي قَدْ حَمَتْهُ مِنْ كَرامَتِهِ ... فَيالِقٌ حينَ يَحْمي السَّيْفُ أصْناما
أنْتَ الّذي أيْنَما قَدْ حَلَّ مَوْكِبُه ... حَلَّ التُّقى والهُدى بِرّاً وإسْلاما
حامى عن النّيلِ، والسّودانُ شاهِدُهُ ... فأيْنَ مَنْ بَزَّهُ لَوْ عَنْهُما حامى؟
فَخْرٌ لِمِصْرَ على الأدْهارِ سيرَتُهُ ... إنَّ الوَداعَةَ أسْمَتْ كُلَّ مَنْ سامى
يا مَنْ لهُ بَيْتُهُ غُنْيانُ مَمْلَكَةٍ ... ورَمْزُهُ الحَقُّ إحْساناً وإحكاما
ومَنْ لهُ العَدْلُ نِبْراسٌ، وأوَّلُهُ ... أنْ يَمْحوَ العَدْلُ أتراحاً وأسْقاما
وأنْ يُزيلَ جَهالاتٍ مُضَلِّلَةً ... ويَهْزِمَ الجوعَ مَهْما عَمَّ إجراما
وأن يُبَدِّدَ عُرْياً لا مَجالَ لَهُ ... والقُطْنُ يَنْشُرُ أثْواباً وأعْلاما
أُزْجي إليكَ تَحايا الشِّعْرِ أنْغاما ... وَوَصْفُهُ الحُرّ مَثّالاً ورَسّاما

بنو معروف

بَني مَعْروفَ جاحِدُكُمْ جَحودٌ … لآياتٍ تَسامَتْ فوقَ عُرْفِ
بكُمْ تُزْهى العُروبةُ إذْ تَراكُمْ … أعَزَّ خِصالِها لِلْمُسْتَشِفِّ
فَما بَرِحَتْ شَهامَتُكُمْ تُغَنّى … مَلاحِمَ للتَّتَبُّعِ والتَّقَفّي
وما انفكَّتْ محارِمُكُم شُعاعاً … مِنَ الأَلَقِ الإلهيِّ الأعَفِّ
وما زالتْ شَجاعتُكُم مَلاذاً … وحِصْناً يومَ إرهاقٍ وعَسْفِ
وأنَّ التَّضْحياتِ لكُمْ شِعارٌ … وأعظَمُها يُبالِغُ في التَّخَفّي
كذاكَ الشمسُ كمْ فاضَتْ حَياةً … وما مَنَّتْ وتُعْطي وهي تُخْفي
وهلْ جَبَلُ الدُّروزِ سِوى مَنارٍ … سَليلِ الشّمسِ في وَحْيٍ وعطْفِ؟
تُقَبِّلُهُ فتَمْنَحُهُ حَياةً … ويَلْثِمُها وَفيّاً خلفَ شَفِّ
وحينَ تَبادَلا حُبّاً بِحُبٍّ … وحينَ تَمازَجا رَشْفاً برَشْفِ
تمخَّضَ بالحَياةِ، حياةِ شَعْبٍ … أبيٍّ عَزَّ في جَبَلٍ ونَعْفِ
فَدَوَّتْ في العُصورِ مُزَمْجِراتٍ … دَويَّ السَّيْلِ للسَّهلِ المُسِفِّ
وخلَّتْنا على الأيّامِ نُغْني … بسيرتِهِ برغْمِ المُستخِفِّ
ذكَرتُ رِجالَهُ الأخيارَ حَوْلي … عَزاءً لي، ومِثْلي شِبْهُ مَنْفي
فَزادوني بسيرَتِهِمْ وُلوعاً … بإقْدامي، وبأْساً رَغْمَ ضُعْفي
كذلكَ نَخْوَةُ الأبطالِ منْهم … فكُلٌّ مُفْرَدٌ بمكانِ ألْفِ
وأمّا دينُهم فَنَدىً ونُبْلٌ … وجَمٌّ مُروءةٍ وجَفاءُ خُلْفِ
وحُرّيّاتُهُمْ قُدْسٌ مُعَلّىً … وقدْ ثاروا على غُلٍّ ورَسْفِ
وهُمْ في قِلَّةٍ أغْلى تُراثاً … وأروعُ من جَحافِلَ لا تُوَفّي
"وما سَلُّ المُهنَّدِ للتّوَقّي … كَسَلِّ المشرفيّةِ للتّشَفّي"

"أبـــاغي حَظّـــه بِقَنـــاً وخيـــلٍ كباغيـــهِ بمنـــوالٍ وحَـــفٍّ"

"ومـــا الجبـــلُ الوَقـــورُ لجاذبيـــهِ علـــى العِـــلاّتِ كـــالجُزْءِ الأخـــفِّ"[1]

لماذا الثورة اشتعلت؟

إلى الزعيم جمال عبد الناصر

لـــماذا الثَّـــوْرَةُ اشْـــتَعَلَتْ؟ لِمـــاذا؟ أوَهْـــمٌ أمْ أبـــى الجُـــبْنُ النَّفـــاذا؟

إذا ما اسْطَعْتَ تَسْقي الأرَض غَيْثاً فـــلا تَقْنَـــعْ بِسُـــقْياها الـــرَّذاذا

ولا تَـــدَعِ الجنـــادِبَ حاكِميهـــا كأنَّـــك لم تَجِـــدْ فيهـــا مَـــلاذا

أُعيـــذُك أنْ تُعيـــدَ الظُّلْـــمَ فينـــا ومِثْلُـــكَ مَـــنْ أعَـــزَّ ومَـــنْ أعـــاذا

فكـــمْ وَغْـــدٍ حيالَـــكَ مُشْـــرَئِبٌّ إلى الطـــاغوتِ في فِكْـــرٍ تَهـــاذى

يَـــدُسُّ ليُرْجِـــعَ الإفســـادَ حَتْمـــاً أهـــذا مَـــنْ تُحالِفُـــهُ؟ أهـــذا؟

ومـــا مِـــنْ ثـــورةٍ نَجَحَـــتْ جُزافـــاً فـــإنّ الـــنُّجْحَ يُتَّخَـــذُ اتِّخـــاذا

فيـــا مَثَـــلَ البُطولَـــةِ دونَ مَـــنٍّ ودونَ إســـاءَةٍ، وسِـــواه آذى

تَبَصَّـــرْ واضـــرِبِ الضَّـــرَباتِ بِكْـــراً مَعـــاذَ اللهِ أن تَنْســـى، مَعـــاذا

وطَهِّـــرْ مِصْـــرَ مـــن أرجـــاسِ جيـــلٍ تَعَلَّـــقَ بالخَساســـةِ واسْـــتَعاذا

ومـــا أدري المَشـــانِقُ ســـاخِراتٍ أحَـــقٌّ بهـــم أمِ النَّطْـــعُ المُحـــاذى؟

زَعـــانِفُ أرْهَقـــوا الأحـــرارَ دَهْـــراً فـــلا تَـــرْحَمْ، وإنْ تَـــكُ مُسْـــتَعاذا

وأقْـــزامٌ بآثـــامٍ تَعـــالَوْا لِمـــاذا أنـــتَ راحِمُهـــم؟ لِمـــاذا؟

١٣ تشرين الثاني/نومبر ١٩٥٣

---

[1] الأبيات الثلاثة الأخيرة مضمّنة من المعرّي في لزومياته.

ليس منّا![1]

"ليسَ مِنّا!" قال الحَسودُ المُعَنّى   "ليسَ مِنّا!" أعادَها: "لَيْسَ مِنّا!"

عَلِمَ اللّهُ أنَّني لستُ مَنْ يَرْغَبُ في مِثْلِكُم ولا مَنْ تَدَنّى

أيُّها السّارقُ الحَقيرُ الّذي يُزْهى بمَسْلوبِ غَيْرِهِ مُطْمَئِنّا

قَدْ أتَيْنا عَبْرَ المُحيطِ لنَلْقاكَ فكانَ البَلاءُ ما قَدْ رَأيْنا

قَدْ حَسِبناكَ ثَروةً أو تُراثاً فَوَجَدْنا، وشَرَّ ما قَدْ وَجَدْنا

الصَّغارَ الّذي تَدَهْوَرَ بالخُلْقِ، فشِمْنا الصَّغارَ مَعْنىً وعَيْنا

والغُرورَ الّذي تَضاحَكَ منْهُ كُلُّ غِرٍّ فقدْ شَأى المَيْنَ مَيْنا

والخَساساتِ، وهي أشْبَهُ بالأدواءِ طَعْماً وبالجِناياتِ لَوْنا

إنْ يَكُ الفَنُّ كُلَّ هذا فإنّي   لبَريءٌ ممّا تَعُدّونَ فَنّا

إنَّ أهْلي في كُلِّ أرضٍ بها الحَقُّ عَريقٌ وباسْمِهِ تَتَغَنّى

أينَ أنتمْ مِنْهُ؟ جَنيبٌ زَنيمٌ جاحِدٌ يُشْبِعُ المُعانينَ مَنّا

أينَ إحسانُكم؟ قُلامةُ ظُفْرٍ! أيُّها الحاسِبُ الإساءةَ دَيْنا

حَظُّكَ العُمْرَ في الدَّسائِسِ والوَعْظِ خَبيثاً، فبالخَبائِثِ تُعْنى

فلْتُهَنَّأْ بها، فإنَّكَ أوْلى بالمَخازي ودونَها لا تُهَنّا!

وأنا؟ ما أنا سِوى الشّاعِرِ المُلْهَمِ بالحُبِّ والجَمالِ المُغَنّى

ومِثاليَّتي تَناولَتِ الكَوْنَ فَغَنّى وبُدِّلَ الكَوْنُ كَوْنا

إي نَعَمْ، وهْوَ إنْ يُعَدَّ جَنيناً سادَ في الحِلْمِ قادِراً واستَكَنّا

سَتَراه الأجْيالُ في مُقْبِلِ الدَّهْرِ جِناناً في عَصْرِنا تُتَمَنّى

---

[1] عندما وصل أبو شادي إلى أميركا مهاجراً استقبلته مجلة السمير التي كان يصدرها الشاعر إيليا أبو ماضي بمقال عنوانه "ليس منّا"؛ (و.ف).

أتُراني مِنْ بَعْدِ هذا أُبالي بالحَسودِ الّذي من الحِقْدِ جُنّا؟
وأخافُ الهجاءَ يا أحقَرَ الخَلْقِ شُعوراً وأضألَ النّاسِ ذِهْنا
أهمَلَتْ شَأْنَكَ المَوازينُ يا فاجِرُ حَتّى عَدِمْتَ في النُّبْلِ وزْنا
شاعِرٌ نافَسَ التَّعالي، بما يَحْكي ويَحكي القُرودَ مَعْنىً ومَبْنى!

حزم الشباب

الشَّبابُ العزيزُ شِعْرٌ جَميلُ يَتَمشّى فيهِ المِثالُ النَّبيلُ
مِنْ نَشيدِ الإلهِ رَفَّ بأَحْلامٍ تَناهَتْ فكُلُّ مَعْنىً أصيلُ
لا تلوموهُ إنْ طاشَ فَلَكَمْ طاشَتْ نُجومُ وليسَ مِنْها ذَليلُ
قُوّةٌ لِلْحَياةِ، نورٌ ونارٌ، ألْهَما الكونَ فهوَ حُرٌّ جَليلُ
لا تَخَفْ يا شَبابُ! إنَّك بالحَزْمِ كَفيلٌ إذا أبى المُستحيلُ
لا تَخَفْ! ليسَ غيرَ روحِك ما يَبْقى وما قدْ عَداه ظِلٌّ يَحولُ
فَنيَتْ حينَ وَدَّعَتْكَ الأماني وَهَوَتْ حينَ باعَدَتْك الطُّلولُ
لَسْتُ لولاك مَنْ رأى العيشَ عَيشاً أنتَ روحي وليسَ عُمْري الطويلُ!

عفّة المختار

عَلِمَ اللّهُ عِرضُ غيريَ عِرْضي أنا حاميهِ، فهو كُلّي وبَعْضي
إنّ حُبّي الجمالَ حُبّيَ لِلْعِفّةِ، حُبَّ المختارِ، مِنْ غَيْرِ حَضٍّ
عجبَ الناسُ مِنْ وَلوعيَ بالطُّهْرِ ولم يَفْهَموا سمائيَ أرْضي
إشْهدي يا فُنونُ كيفَ تَسامَتْ صُوَرُ الحُبِّ في شُعوري وقَرْضي

واشْـهدي كيـفَ يَسْـتَعِزُّ بـيَ الحُسْـنُ لِخُلْقـي، فـالخُلْقُ ديـني وفَرْضـي
موحيـاتي مِنْـهُ، ومِنّـي لـه الـوَحْيُ، وفي نَظْرتـي إلى الحُسْـنِ غضّـي
أتَعـالى عليـهِ دونَ تعـالٍ،   وأُجافيـهِ وهـو خَفْقـي ونَبْضـي
أنـا عَبْـدٌ لـه، ولكِـنْ أمـيرٌ بعَفـافي ونَخْـوَتي، كيـفَ أمْضـي
ركَـضَ النّـاسُ خَلْفَـه في جُنـونٍ   وأبـى لـي حَتّـى خَيـاليَ رَكْضـي
أنـا نِـدٌّ[1] لَـهُ بروحـي وذِهْـني   لَسْتُ أُرضيه عامِداً حين أُرْضي
وأنـا مَنْزِلـي قَـرينٌ لـه دَوْمـاً   ومـا يسـتَطيعُ رَفْعـي وخَفْضـي
ليسَ مَدْحي ولا هِجائي بما يَعْني   وُجـودي ولـيسَ بَسْـطي وقبْضـي
إنّـني قَبَسَـةٌ مـن الألَـق الأسْـمى،   فمِـنْ وَمْضِـهِ الُمقـدَّسِ وَمْضـي
بعـد هـذا فلسـتُ أحسـبُ إطرائـي فخـاراً ولـيسَ بالُمسْـتَنَضّ[2]
بعـدَ هـذا فلسْـتُ أحسَـبُهُ عـاراً ولـوْ كـانَ كـالرَّدى الُمـنقَضّ
فَـوْقَ هـذا وفَـوْقَ ذاكَ اعْتِبـاري   واختياري وعِرْضُ غَيْري وعِرْضـي

النّـصر

تَرَفّـعْ عـن مُعـاداةِ الكَـريمِ   وعَـنْ بَـذْلِ الصَّـداقةِ لِلَّئـيمِ
كِـلا الأمـرَيْنِ مَنْقَصَـةٌ، وأسمـى   نقـاءُ العَيْشِ مِنْ مَعْنى الخَصيمِ
فـإنْ فُـرِضَ العَـداءُ عليْكَ فَرْضـاً   فَلُـذْ بمكـارِمِ الخُلُـقِ الكَـريمِ
أحَـبُّ إلـيَّ أنْ أشْـقى بخُلْقـي   عـنِ الإسْـفافِ في وَهْـمِ النَّعيمِ

---

[1] النّد: النظير؛ (و.ف).
[2] المستنضّ: المستنجَز (بفتح الجيم).

ومَنْ يحسَبْ جُنوني في اعتِزازي ... فما هو بالحَصيفِ ولا الحَكيمِ
ففي نَفْسي عوالِمُ لم تَخُنّي ... وما ضاعَتْ مع اللَّيلِ البهيمِ
فإنَّ من الألوهةِ في اعْتِزالي ... نَصيري أو دَليلي أو نَديمي
يَرِفُّ الشِّعرُ لي في كُلِّ شيءٍ ... رَفيفَ الشَّدْوِ في الصَّمْتِ المُقيمِ
وقد شَبِلَتْ فُنونُ تأمُّلاتي ... فُنونَ الكَونِ في سِحرٍ عَميمِ
وأيْسرُها خَريرُ الماءِ حَوْلي ... وتَغْريدُ الطُّيورِ مع النّسيمِ
وبَسْماتُ المُروجِ مُلَوِّحاتٍ ... بِنَشْوى الزَّهْرِ والنَّبْتِ الجَميمِ
وأنّاتُ السَّواقي وهي أشْجى ... وأبْلغُ مِنْ دُموعٍ لليَتيمِ
وموجُ البَحْرِ مُصطفقٌ عَتيٌّ ... كجَبّارٍ يُصفّقُ للخَديمِ
وألوانُ الرِّمالِ على الرَّوابي ... جَواهِرُ للغَنيِّ وللعَديمِ
ورَشُّ الماءِ للشَّلاّلِ حَتّى ... لَيَقْهَرُهُ كشَيْطانٍ رَجيمِ
وجيشُ النَّحْلِ حَوْلي في فُتوحٍ ... هي القُبُلاتُ للزَّهْرِ الوَسيمِ
وأنداءُ الحُقولِ مُشَعْشِعاتٍ ... بِخَمْرٍ في تَجَلّيها الحَميمِ
وأسرابُ السَّوائِمِ وهي تَرْعى ... كَحاكِمَةٍ على مُلْكٍ عَظيمِ
ولَمْحاتُ النُّجومِ وراءَ سُحْبٍ ... كسِتْرِ الجودِ مِنْ كفّ الكَريمِ
ووَحْيُ الشَّمْسِ وهي تَمُجُّ حُلْماً ... تَنَوَّعَ في النَّثيرِ وفي النَّظيمِ
فهذي كُلُّها من بعضِ صَحْبي ... وكَنْزي حينَ عيَّرَني خَصيمي
وأمّا غَيْرُها فأجَلُّ شأناً ... ولم يُدْرِكْه تَقْديرُ العَليمِ

رذاذ الربيع

يـا رذاذَ الرَّبيـعِ، يـا مُعْلِـنَ اليَقْظَـةِ لِلنَّبْـتِ وهـوَ نَشْـوانُ حـالِمْ
يَـرْقُصُ الحُـبُّ في يَـديْكَ عُطـوراً وَيَـرِفُّ الخَيـالُ نَجْـوى عَـوالِمْ
قُـبُلاتٌ نَثَرْتَهـا فَـوْقَ خـدَّيَّ كـأنّي نَجَـوْتُ مِـن سَـيْفِ ظـالِمْ
مَرْحَبـاً بالصَّـديقِ لم يَـنْسَ أحْزانـي ومنْهـا الظَّمـآنَ مثْـلَ البَـراعِمْ
ظَمَـأَ الشـوقِ للمَلاحَـةِ والـدِّفْـءِ وللنّـورِ بعـدَ تَعـذيبِ نـاقِمْ
سَقْبَسَـقَتْ حولَـكَ العَصـافيرُ بالفَرحـةِ شِـعراً كأنَّمـا أنـتَ حـاكِمْ
ألْمَعـيُّ الإيقـاعِ، في كـلِّ مـا تَحْكـي غِنـاءٌ وإنْ يَكُـنْ جِـدَّ نـاعِمْ
خَلَجـاتُ الفـؤادِ مِـنْ بَعْـضِ مـا فيـهِ ومـن بعْضِـهِ سَـميعٌ وفـاهِمْ
لُغَــةٌ أو رســالَةٌ لم تُمَيَّــزْ أو تُكَيَّـفْ لباحِـثٍ أو لعـالِمْ
إنَّمـا فَهْمُهـا لِمَـنْ أشْـعروا الكـونَ جَمـالاً وأُشْـعِروا قَلْـبَ راحِـمْ

وطني الأول

لَـحَّ الحَـنينُ إليـكَ حَتّـى خِلْـتُني وأنـا القَصـيُّ غَـدَوْتُ غـيرَ النّـائي
وإذا الفُصـولُ جَميعُهـا فَوّاحَـةٌ حَـوْلي بعِطـرِك تَسْـتَثيرُ رَجـائي
وإذا السَّـماءُ برَعْـدِها وبُروقِهـا زَرْقـاءُ مِثْـلَ سمائِـكَ الزرقـاءِ
وإذا الجَمـالُ بكـلِّ مَـرْأىً حَفَّـني يَفْتَـرُّ لـي بجَمالِـكَ الوَضّـاءِ
وإذا الحَيـاةُ وقَـدْ رَشَـفْتُ نَعيمَهـا ليْسَـتْ سِـواكَ بخـاطِري ودُعـائي
هـذي المَشـاهِدُ كيـفَ كُـنَّ شَـهيدةً لتَلَهُّفـي وتَبَسُّـمي وبُكـائي
مُزِجَـتْ بـأفْراحي وأتْراحـي مَعـاً فكأنَّهـا مِثْـلي مـن الشُّـهَداءِ

وإذا بَكَيْتُ بها فإنَّك دَمْعَتي ... وإذا شَدَوْتُ بها فأنتَ غِنائي
ما فاتَها منّي الوَفاءُ، وفاتَها ... أرْضي لديكَ وَجنّتي وسَمائي
عاثَ الطُّغاةُ مَدىً فما هادَنْتُهم ... ورحلْتُ أرشُقُهم بصِدقِ هِجائي
كانتْ فِعالي قُدوةً، وعواطِفي ... ناريّةً وأسَلْتُها كَدِمائي
ما تَضْحياتُ الماهِدينَ ضَئيلةً ... إلاّ لَدى الناسينَ والجُهَلاءِ
مَنْ لي بقُربِكَ لو مَلَكْتُ قيادةً ... للثائرينَ فكمْ أُضيعَ نِدائي
لجَعلْتُ مِصرَ إذنْ حفيدةَ جدَّةٍ ... غَنّى بها الشُّعراءُ للشُّعراء
سَبَقَتْ مَبادِئُها المَسيحَ بعدْلِها ... وشَأتْ بأخناتونَ كُلَّ ضياءِ
وَغَدا بها الوادي جِناناً حُرَّةً ... طَهُرَتْ من الأوشابِ والدَّهْماءِ
يَنْسابُ فيها النيلُ سَيْفاً مُصْلَتاً ... إلاّ على أحْبابِه الشرَفاءِ
رقصَتْ شواطِئُه بأشتاتِ المُنى ... والحُبُّ عابقةً بكلِّ عطاءِ
غنّى الغُرابُ بها، وكانَ غِناؤُها ... وَقْفاً على الشُّحرورِ والوَرْقاءِ
فيها المُساواةُ العَميقةُ زينَةٌ ... كالنّورِ في الأجْبالِ والأوداءِ
ما قيمةُ الإنسانِ إلاّ نَفْعُهُ ... وكذاكَ حُكْمُ عَظائِمِ الأشياءِ
والشَّمْسُ لولا نَفْعُها هانَتْ لنا ... بَلْ أصْبَحَتْ جَيْشاً من الأعداءِ!

*****

وطَنَ الصِّبا وعزيزَ أحلامِ الصِّبا ... ما زِلْتَ لي حُلْماً وحُلْوَ عَزاءِ
حُمِّلْتُ في شَيخوخَتي أعباءَ مَنْ ... قَبَعوا ومَنْ ناموا على الأقْذاءِ
وتَخِذْتُ لي مَنْفايَ مِنْبَرَ دَعْوةٍ ... للثّأرِ مِنْ ضَيْمٍ ومن أدواءِ
في موطنِ الأحرارِ، لم يُخْذَلْ به ... فَرْدٌ، ولم يُسْحَقْ على الغَبْراءِ
يَسْمو به إقدامُهُ فوقَ السُّهى ... ويُحوِّلُ الغبْراءَ كالجَوْزاءِ
أو يَفْلِقُ الذرّاتِ فهي جَهَنَّمٌ ... للغاشِمينَ وجنّةُ العُلَماءِ

صـارتْ شَجاعتُهُ مِثالاً يُحتَذى
وعَلَتْ مآربُه على الجُبنَاءِ

فإذا بَقيتُ به عَزيزاً آبياً
ورضيتُ من نَفْيي بكَنْزِ إبائي

فلِكَيْ أبرَّ بعَهْدِ إنسانيَّتي
وأكونَ رَمْزَ تَجاوُبٍ وإخاءِ

شهر النور (رمضان)

رَمَضانُ يا حُلو الشَّمائلِ يا سَميرَ الشّاعرِ
يا مَنْ تزيَّنَ بالنُّجومِ فواتناً كجَواهرِ
يا مَنْ تَفَنَّنَ في تَرَنُّمِهِ تَفَنُّنَ ساحرِ
يا مَنْ يَعافُ الشَّمْسَ إيثاراً لِنَجْوى السّاهرِ
يا مَنْ تلألأتِ المَوائدُ فيه مثلَ مَنائرِ
يا مَنْ تَبَسَّطَ في مَلاهيهِ تَبَسُّطَ قاهرِ
يا مَنْ تدَفّقَ بالمَواعظِ كالإلهِ الغافرِ
يا مَنْ تعلَّق بالطَّهارةِ مثلَ فجْرٍ طاهرِ
يا مَنْ أتى كالفِصْحِ بَينَ مدامِعٍ وبَشائِرِ
يا مَنْ يُعَدُّ أخا الفقيرِ أمامَ دَهْرٍ كافرِ
يِا مَنْ شَأى حُلْمَ الصِّغارِ بكلِّ حُلْمٍ طائرِ
ماذا ادّخَرْتَ وما أتَيْتَ به لِحَظِّ العاثِرِ؟
مِنْ كُلِّ فردٍ مُقْعَدٍ أو كُلِّ شَعْبٍ قاصِرِ
صاموا، وخيرُ الصّومِ من عَبَثٍ لهمْ وصَغائرِ
إنَّ الشُّعوبَ كَبيرةٌ ليستْ عبيدَ كبائِرِ

لا صـــامَ مَـــنْ جعـــلَ الصّـــيامَ ذَريعـــةً للفـــاجِرِ
لا صـــامَ كالتّمســـاحِ أفْطَـــرَ في شَـبَـهيَّةِ غـــادرِ
لا صـــامَ مَـــنْ لَـــمْ يَـــدْرِ فلســـفةَ الصّـــيامِ الثـــائرِ
المســـتهينِ بكُـــلّ وَضْـــعٍ جـــائرٍ أو مـــاكرِ
الخـــالقِ العَـــدْلَ المؤيَّـــدَ مِـــنْ عَديـــدِ مـــآثِرِ
بورِكْـــتَ شـــهرَ النّـــورِ تَغْـــزو اللّيـــلَ دونَ عَســـاكِرِ
مـــا بـــينَ أعـــراسٍ وألعـــابٍ ولهـــوٍ دائِـــرِ
ومُسَـــبِّحينَ مـــرتّلينَ إلى نُهـــىً ومنـــابرِ
ونَـــوافِحٍ عُلويَّـــةٍ ســـارَتْ كشِـــعْرٍ ســـائرِ
بوركْـــتَ ولْتَهْنَـــأْ بـــكَ الـــدُّنيا هنـــاءَةَ شـــاكِرِ
حَتّـــى إذا مـــا عُـــدْتَ جِئْـــتَ مـــع الخَمـــيسِ الظّـــافرِ
بالحُـــبِّ لا بالسَّـــيْفِ، فـــوقَ سَـــرائرٍ وبَصـــائرِ
وفَتَحْـــتَ للإســـلامِ كَنْـــزَ مـــآثِرٍ ومَفـــاخرِ
وأشَـــعْتَ أفراحـــاً مكـــانَ مَـــآتمٍ ومَقـــابرِ

حمّام العصافير

غَطَسَـــتْ فيـــه حـــينَ بَعْثَـــرَتِ المـــاءَ ورَشَّـــتْهُ كالضّـــياءِ المُـــنغَّمْ
أو رَذاذاً مـــنَ الحُبـــورِ تَـــراءى قَطَـــراتٍ فصـــارَ مَعْنـــىً تَجَسَّـــمْ
أتمَـــلاّه في مَـــزيجِ الأحاســـيسِ قَريـــراً بفَرحـــةٍ لم تُتَـــرْجَمْ
المَرائـــي الّـــتي حيـــاليَ بعضٌ مِـــنْ سَـــناها وبعْضُـــهُ لـــيسَ يُفْهَـــمْ

وأنـا واقِـفٌ أُراقِـب كالمَشْـدوهِ إحساسَـها العَجيـبَ المُـنعَّمْ
وكـأنّي منهـا علـى البُعـد ألْتَـذُّ بمـا لـذَّها وبـالوَهْمِ أنعَـمْ
سَقْسَـقاتٌ كـأنّ أوتـارَ قَلْـبي عَزَفَتْهـا لهـا حَنانـاً تبسَّـمْ
فاسـتثارتْ حَنـاجراً ناعِمـاتٍ لاعِبـاتٍ بكُـلِّ شِـعْرٍ يُتَمْـتَمْ
إعْبَثـي أيُّهـا العَصـافيرُ بالمـاءِ فأنـتِ الأطفـالُ تَلْهـو وتَغْـنَمْ
لا تَفِرّي مِنّـي فَمـا ذاك يُرْضـيني وروحـي بـكِ الحَفـيُّ المُتـيَّمْ
لَحَظـاتٌ كهـذي هـي مـن عُمْـري، وليسـتْ أعـوامَ عُمْـرٍ تَصَـرَّمْ!

يوم الأمّ

مِـنْ فُـؤادي يـا أُمُّ هـذي التَّحيَّـهْ هـيَ أسْـمى تَحيَّـةٍ أبديَّـهْ
خُلِقَـتْ والوُجـودُ مِـنَ نَفْحَـةِ اللّـهِ وبُثَّـتْ مـع الحَيـاةِ الوفيَّـهْ
أنـتِ رَمْـزٌ لهـا تـألَّقَ بالحُـبِّ عَـزاءً في لَوْعَـةٍ لِلْبَريَّـهْ
يُظْلِـمُ الكَـوْنُ حينَمـا بَسْـمَةٌ مِنْـكِ تُضـيءُ الوُجـودَ والألمعيَّـهْ
كُـلُّ حـيٍّ أرى وكُـلُّ جَمـادٍ يَتَغَـذّى مِـنْ روحِـكِ السَّـرمديَّهْ
رَفْرَفَـتْ فوقَـه فأنجَـبَ مـا شِـئْتِ وصـارَ الخَـرابُ دُنْيـا هَنيَّـهْ
إنَّمـا مـريمُ البَتـولُ مِثـالٌ لجَـلالٍ وُهِبْـتِ لِلبَشَـريَّهْ
كـلُّ مَـرْأىً لحُسْـنِكِ مَعْنـىً بـل مَعـانٍ شَـريفةٌ أرْيحيَّـهْ
ذكريـاتي وإن تطُـلْ ذكْريـاتٌ لِـدُيونٍ علـى فُـؤادي الضَّـحيَّهْ
لم أُحـاوِلْ تَسْـديدَها، ثـمّ هَيْهـاتَ فقـدْ كُنْـتِ كالشُّـعاعِ الضَّـحيَّهْ
مَـنْ يَفـي للشُّـعاعِ مِـنْ بعـدِ مـا ضَـحّى وأحْيـا المَـواتَ والعبقريَّـهْ؟

*****

قيلَ هذا يومٌ لحبِّكِ مذخورٌ، فما اليومُ جنْبَ عُمري هديَّهْ؟
لكِ خلَّصْتُهُ من الكَدرِ الشائعِ مِرْآةَ كُلِّ ما صُنْتِ فيَّهْ
إنْ أبى الموتُ أن تكوني بقُربي قد أبى الخُلْدُ أن تكوني قَصيَّهْ
كُلُّ أمٍّ تُعِزُّ أنْقاكِ فيها فهيَ أُمِّي، كأنَّها بي حَفيَّهْ
وأراني مُعَيِّداً إذْ أراني أعرفُ اليومَ سِرَّ نَفْسي الأبيَّهْ!

الرّموز

لعلَّ جَميعَ هذا الكونِ حَوْلي رُموزٌ خَلْفَها مَعْنى الإلهِ
أُتابِعُها فتُشْعِرُني جَديداً كأنَّ لها انتباهاً لانتِباهي
وتِلْكَ عِبادَتي الكُبْرى إذا ما عَبَدْتُ وليسَ تَمْتَمةَ الشّفاهِ
أُصَلّي للجَمالِ، ولا أُصلّي كَمَنْ جَعَلوا الصَّلاةَ مِنَ المَلاهي
فلا تَقْطَعْ عَليَّ تأمُّلاتي وإنْ طالَتْ فليسَ لها تَناهي
وخذْ عَنْها التَّصَوّفَ والتَّجَلّي فما كانا بتَعْفيرِ الجِباهِ
وما الربُّ المُذِلُّ الخَلْقَ ربّاً ولا المُتجبِّرُ العاتي المُباهي

ورد أيّار

أيّارُ كادَ يَذوبُ عِطْراً سابِغاً وجَمالَ ألوانٍ وجَمَّ حَنانِ
وأراكَ يا وَرْدَ الرَّبيعِ بِنَوْمَةٍ طالَتْ كأنَّكَ لم تَذُقْ إيماني
أتظُنُّ عَهْدَ أبيكَ عَهْداً غادِراً وتَخافُ ما يَأْتي به الحَدَثانِ

أوْ لا، فَفيمَ إذَنْ رُقادُكَ هاجِراً
للنّاسِ في الأكْمامِ والأرْدانِ

ولِمَنْ تَبَرَّجَتِ الطّبيعةُ بَعْدَما
أعْطَتْكَ عهدَ سَماحةٍ وأمانِ؟

أوَلَسْتَ فاتِنَها المَليكَ، وطالَما
جمَّلْتَها بنَفائِسِ التّيجانِ؟

أسْفِرْ جَواهِرَ نَمَّقَتْ أصْباغَها
أيْدي النُّجومِ ولَهْفَةُ الفنّانِ

ما زلتُ مُرْتَقِباً، فشِعْري لم يزلْ
ظَمآنَ مُفتقِراً إليكَ يُعاني

لم تُغْنِهِ هذي المَوائدُ كُلُّها
عن وَحْيِكَ المُتَحَجِّبِ الظّمآنِ

مِثْلي ظَمِئْتَ كأنَّنا غُرباءُ في الـ
ـدُّنيا عنِ الإلهامِ والإحسانِ

ما قدَّرَتْنا رَغْمَ تَقْديرٍ لَنا
أو أنْصَفَتْ بالرّيِّ للرّيّانِ

بي حُرقةُ الفنّانِ مثلَك قابِعاً
في خَلْوتي، وتَوثُّبُ الفنّانِ

فمَتى أراك إذَنْ تَهُمُّ مُمزّقاً
هذي السَّتائِرَ واثِباً لعَياني

حتّى أُرتِّلَ في سَناكَ تَحيَّةً
بالنّورِ عابقةً وبالألوانِ

أفْصِحْ ولا تَكُ مُبْهَماً كقَصيدَةٍ
مَطْويّةٍ بمَشاعرٍ وجَنانِ

أو كالأغاني في الغَديرِ تَسَتَّرَتْ
بالمَوْجِ فاحتجَبَتْ عنِ الإنسانِ

أو كالصَّبابةِ في القُلوبِ دفينةً
وتَنِمُّ عن خَطَراتِها العَيْنانِ

أو كالحَقيقَةِ حُجِّبَتْ بِعُزوفِنا
عَنْها وما خَفيَتْ عنِ الوِجْدانِ

أفْصِحْ فَيَنْتَفِضَ الرّبيعُ مُجَدَّداً
والحُبُّ والنُّعمى بكُلِّ مكانِ

أنا والنّجوم (صوفيّة)

غُضّي عُيونَكِ يا نُجومُ فإنّني
أرْنو إلى القُدْسيِّ من أضْواءِ

لَنْ تَكْشِفي سِرّي، ولو أُعطيتِهِ
ما كُنتِ كاشِفَةً مَدى إسْرائي

هـــذي صَـــلاتي لا أذانَ يَؤُمُّهـــا ... غَـرِداً، ولا الأجْـراسُ بالضَّوْضـاءِ
بُهِـتَ المَســاءُ لهـا كـأنَّ تـأمُّلي ... ألَـــقٌ وذَوْبَ نُهـــايَ في الظَّلْمـــاءِ
إنْ كُنْـتُ في الحُسْبانِ أحقَـرَ ذرّةٍ ... فأنـــا رُمـــوزُ عَـــوالمٍ وفضـــاءِ
غنّـى الأثـيرُ بِهـا ففـاضَ عواطِفـاً ... واهتـــزَّ بالإلْهـــامِ للشُّـــعراءِ
أصْـغي إليهـا يـا نُجـومُ فربَّمـا ... أُلْهِمْـتِ مـا ضُـيِّعْتِ مـن إيحـاءِ
أيـنَ الأُلوهـةُ؟ إنّهـا حَـوْلي ومـا ... خَفيَـتْ وإنْ عُـدَّتْ كحُلْـمِ نـاءِ
هـيَ في الحيـاةِ وكلٌّ مـا هـو كـائنٌ ... فجَميعُـــه حَـــيٌّ بـــلا اســـتثناءِ
وُجِدَتْ مـع الأزَلِ السّحيقِ قَصيدةً ... ناريَّـــةَ الأنْغـــامِ والأصْـــداءِ
لَسْنا سِوى مِنْ بعضِ تَفْعيلاتها ... أو أنَّنــا صُــوَرٌ لَهــا ومَــراءِ
كانَتْ وسـوفَ تَكونُ، ذلـكَ شـأنُها ... فعَـلامَ فَلْسَـفَتي وشَـحْذُ ذَكـائي
والخُلْدُ مِنْ طَبْعِ الوُجودِ تَسَلْسُلاً ... لا طَـــوْعُ أفـــرادٍ ولا أشـــياءِ
والموتُ مِنْ صوَرِ الحياةِ، فما مَضى ... حَـيٌّ بِـلا بَـدَلٍ ودونَ عطـاءِ
فَتَأمَّليهـا يـا نُجـومُ، وجُـدْ لهـا ... يـا عَقْـلُ بالإشـعاعِ غَيْـرَ مُرائـي
فلرُبَّمـا أصْـبَحْتَ وَحْـدَكَ هاديـاً ... لِـلأرْضِ إنْ أصْـغَتْ وللجَـوْزاءِ!

هذا الوجود

هـذا الوُجـودُ كمـا تَـراهُ فلمْ يكُـنْ ... إلآهُ في الماضـــي ورَهْــنَ الآتـــي
ولـئنْ تَعَـدَّدَ في مَظـاهِرِ كُنْهِـهِ ... فَصَـــميمُهُ مُتَوحّـــدُ اللَّبِنـــاتِ
بـاقٍ علـى الآبـادِ مِثْـلَ بقائِـه ... قَـبْلاً، وتلـكَ حَياتُـه كحَيـاتي
عُمْـري مَلايـينُ القُـرونِ وعَـدُّها ... دونـــي، وفي آياتِهـــا آيـــاتي
عُمْـري هـو الأزلُ الّـذي لا يَنْتَهـي ... حُسْـــبانُه أو يَنْتَهـــي لِصِـــفاتِ

فيــه الحَيــاةُ مــع المَمــاتِ تَبــادُلاً كــالتَّوْأمَينِ، فَمــا المَمــاتُ مَمــاتي
فــمَ التّحــدُّثُ عــن صِـفاتٍ مـا لهـا أصــلٌ سِــوى الأوهــامِ والعَثَــراتِ
الكــونُ لــيسَ سِــواهُ كــونٌ آخــرٌ إلاّ المَــدى المحجــوبُ عــن نَظَراتــي
كَفَــلَ الزَّمــانَ أبــوه إعْلانــاً لــه والعِلــمُ وَهْــوَ مُناصِــرٌ ومــواتي
والخَلْــقُ فيــه تَحــوُّلٌ وتَجَــدُّدٌ وتَعَــدُّدٌ بعوامِــلِ أشْـــتاتِ
هذي الألوهةُ في الصَّميمِ، فقلْ لِمَنْ في الــوَهْمِ فَلْسَــفَ جَهْلَــهُ بالــذّاتِ:
هَـوِّنْ عليْـكَ! فكُـلُّ مـا هـو كـائنٌ ويكــونُ، ماضيــهِ مَــدارُ الآتــي!

الضبــاب

بُسِطَ الضَّبابُ على الحُقولِ كأنَّـه كَــفٌّ لمــاردَ عــابسٍ قَتّــالِ
فَمَحـا بضَـرْبَتِه الجـداولَ والرُّبـى والغَــرْسَ دونَ تَمهُّــلٍ وسُــؤالِ
لم تَلْـقَ منْـه ولا مُحاكَمَـةُ امـرئٍ عــاتٍ فأسـرفَ بَطْشُــه المُتــوالي
قَتَــلَ الضّــياءَ كقتلِــهِ ألوانَهــا وأدالَ حُســـناً لم يَكُــنْ بِمُــدالِ
فكأنَّمــا الــدُّنيا تأجَّــلَ خَلْقُهــا وكأنَّمــا العَــدَمُ الفسـيحُ حيــالي
ومَضــى الضَّـبابُ إلى المَدينـةِ فاختفَـتْ مِثْــلَ اختِفــاءِ مَــدائِنِ الأطْفــالِ
أو أنَّهــا ظِــلُّ الخَيــالِ ظِلالُهــا فــإذا نُظِــرْنَ فهُــنَّ غــيرُ ظِــلالِ

*****

هــذا مَــآلي والضَّــبابُ يَحُفُّــني بــالحُزْنِ، لا أدري سِــواه مَــآلي
فكأنَّمــا أُسْــكِنْتُ كَهْفــاً مظلِمــاً مـا فيـه مـن صَحْبٍ سِوى إعْوالي
وكأنَّمــا انْطَــوَتِ الحيــاةُ بزَفْرَتــي وتَعثَّـــرَتْ مَنْهوكَـــةً بخَيـــالي
وكأنَّمــا وُئِــدَتْ قُبيــلَ فِطامِهــا مُتْلــي أوِ انْتَحَــرَتْ بهــا آمــالي

وكأنَّمــا قُتِـلَ العَــزاءُ مضــرَّجاً بــدَمي وبــالوهْمِ الحَبيــبِ الغــالي
وكأنَّمــا لِلْيَــأسِ مُلْــكٌ خالِــدٌ وكأنَّمـــا إقبالُـــه إقْبـــالي
وكأنَّمــا ضُــيِّعْتُ في دُنْيــا طَــوَتْ صــوَرَ الجمــالِ وروعــةَ المِثّــالِ
فـ اعْتَزَّ فيهــا القُــبْحُ غــيرَ مُنــافسٍ واغْتَــرَّ فيهــا المــوتُ غــيرَ مُبــالي

دمـــوعي

لا تَرْقُبــوا منّــي الــدُّموعَ رَخيصــةً أغْلــى الــدُّموعِ المُحْرِقــاتِ دُمــوعي
ليســَتْ علــى نَفْــسٍ تُــراقُ وإنّمــا هــي بعْضُ قُربــاني لِغَــوْثِ جُمــوعِ
نُثِـرَتْ شــواظاً لــيسَ يَـرحمُ ظالمــاً أو عابثـــاً، ويَبِـــرُّ بـــالمَفْجوعِ
كالجَحْفَـلِ اللَّجِـبِ الّـذي تعْنـو لَــهُ أُمَــمٌ ويَسْــخَرُ بالظّمــا والجــوعِ
شِـعْري دُمــوعي، وهْــو إنســانيَّتي وتَحَرُّقـــي لِمَـــواطِني وخُشـــوعي
يَنْســابُ في الغُــدْرانِ مِــنْ ألحانِــهِ ألَــقٌ، ويَعْبَــقُ ضــاحكاً لِــزُروعِ
ويَعــودُ بالأمَــلِ المُجانِــبِ راضــياً مِــنْ بَعْــدِ هِجْرَتِــهِ أعَــزَّ شَــفيعِ
ويَفـيضُ كالبُركــانِ في حِمَــمٍ لــه وَيْــلاً علــى المُتَجَبِّــرِ المَفْــزوعِ
شَخْصــيّتانِ لَــهُ تَوَحَّــدتا كَمــا يَتَوَحَّـــدُ المَنْظـــورُ بالمَسْـــموعِ
أو كالصَّــلابَةِ أودِعَــتْ في رِقَّــةٍ أو كالبُطولـــةِ في إهـــابِ وَديـــعِ
هــذي دُمــوعي لا مُيوعــةُ عــاجِزٍ غِــرٌّ، ولا بــاكٍ بُكــاءَ خَليـــعِ
هــذا قَريضــي ثَــوْرَةٌ لِمَــواطِني في بُؤْسِــها، وهِدابــةُ المَجْمــوعِ
هــو ثَـرْوةٌ لــي، حينَمــا هــو ثَـرْوَةٌ لِمَـــواطِني، ورِســـالتي ونُزوعـــي
فــاهْزَأْ بــهِ مــا شِئْتَ، أو فــانْعَمْ بــهِ يا شَعْبُ، فهو حُشاشَتي ودُموعي!

رشيد سليم الخوري

كان الشاعر جدَّ مَشوقٍ للقاء شاعرِ العُروبةِ الأكبر رشيد سليم الخوري خلال زيارته أميركا وإذ به يُفاجأ بنبأ اعتزامه العودة إلى البرازيل دون أن يعرّج على نيويورك، فكتب إليه مبادلاً وداعه.

أمودِّعي من قَبْلِ أنْ يَلْقاني … ماذا تَرَكْتَ لِحُلميَ الفَتَّانِ؟
لَيْلانِ[1] قد مَرّا مُرورَ جَحافلٍ … والآنَ أُحْرَمُ وَحْيَكَ النّوراني
حينَ الغُبارُ المُسْتَثارُ يَحُفُّ بي … والشّمسُ قد ضاعَتْ ضَياعَ هَوانِ
هَلاّ بقيتَ لِكَيْ أُمتّعَ ناظِري … زَمَناً؟ وكيفَ تغيبُ في نَيْسانِ؟
يا تاركَ الشّعرِ الوضيءِ ذَخيرةً … كُبْرى، وقد خلَّفْتَ ما أغناني
الشّعْرُ أنتَ وكُلّ ما أوْدَعْتَهُ … ديوانَكَ الحَيَّ المُعِزَّ زَماني
هيهاتَ يُغْني – رَغْمَ ذلكَ – شاعراً … يَهْوى بك المَثَلَ الرفيعَ السّاني
يا أوْحَدَ العَصْرِ الّذي إيمانُهُ … بالحَقّ أسْعَدَ دائِماً إيماني
يا مَنْ تَفَنَّنَ في ابتِداعِ عَوالِمٍ … شَتّى، وجَدَّدَ مِنْ نُهى الفَنّانِ
يا مَنْ رَأتْهُ العَبقريّةُ نِدَّها … في الخُلْقِ والآدابِ والإحسانِ
يا مَنْ شَأى[2] صوَرَ الحَياةِ مُصَوّراً … عَجَباً من الإحساسِ والوِجْدانِ
يا مَنْ أحبَّتْه الطّبيعةُ حُبَّها … لِلّهِ في مَلَكوتِهِ الرّوحاني
يا مَنْ يَرِفُّ النَّقْشُ نَفْضَ يَراعِهِ … بيَتيمَةِ الألْحانِ والألْوانِ
يا مَنْ مَآثِرُ نُبْلِهِ وشُموخِهِ … كَمَآثِرِ الأضْواءِ في لُبنانِ
يا مَنْ يُحرِّرُني مَتى ناجَيْتُهُ … وإذا بَرِمْتُ ببيئتي ناجاني
يا مَنْ يُخَفِّفُ مِنْ لواعِجِ حَسْرَتي … بِدُموعِهِ، ودُموعُهُ أوطاني

---

[1] إشارة إلى عهدين مظلمين عانى منهما الشاعر.
[2] شأى: رفع؛ (و.ف).

يا مَنْ خَواطِرُهُ تَزيدُ خَواطري ... أَلَقاً، ويَرْفَعُ حُبُّهُ إمْكاني
أُرْجي إليكَ تَحيَّةً مِنْ مُهْجَةٍ ... عَرَفَتْ بكَ الفَنّانَ في الإنسانِ
وأزفُّ أُغنيَةَ الوَداعِ، وإنَّها ... قُبَلٌ وأشْواقٌ لِحُلْمٍ ثانِ
إنْ كانَ هذا الجَوُّ يَخْلُقُ روحَنا ... فالحُبُّ يَخْنُقُهُ عُتُوُّ[1] أناني
عَمَّ الضَّبابُ معَ الغُبارِ مُخَلِّفاً ... رَهَقاً مِنَ الآلامِ والأحْزانِ
ما كانَ أوْلانا بِنُبْلِكَ بينَنا ... كيْما نَصُدَّ وَساوِسَ الشَّيْطانِ
العابِثِ الجاني على ألْبابِنا ... ومُمَرِّغِ الألبابِ أسْفَلُ جانِ
كَمْ مَوْقِفٍ للخُبْثِ يَرْقُصُ عِنْدَهُ ... ويَعَضُّ في الأعْراضِ كالثُّعْبانِ
ويَصولُ في سَرِقاتِهِ مُتَفَنِّناً ... كَتَفَنُّنِ الشَّغّورِ[2] في الرَّوَغانِ
يُطْريهِ أطفالٌ ويُطْري نَفْسَهُ ... وكِلاهُما نَوْعٌ مِنَ الهَذَيانِ
ما كُنْتُ أحْسَبُ أن أُعَمَّرَ كَيْ أرى ... هذي المَهازلَ من خِصالِ زماني
في مَوطنٍ لِلْعَقلِ أسْمى مَنْزِلٍ ... فيهِ، وفيهِ الخُلْقُ أعظمُ بانِ
مَنْ لي بمِثْلِكَ كالنَّبيِّ مُكرَّماً ... في مَوْطِنِ الإلهامِ والعِرْفانِ
يَتْلو الخَوالدَ مِنْ هُدى إنْجيلِهِ ... فَيَبَرُّ بالإنجيلِ والقُرآنِ
ويَهُزُّ آلافَ المَشاعرِ بعدَما ... ماتَتْ مِنَ التَّغْريرِ والبُهْتانِ
ويُطهِّرُ الجيلَ الجديدَ بِشِعْرِه ... مِنْ كُلِّ شَعْوَذَةٍ ومِنْ كُفْرانِ
يا مَنْ أودِّعُهُ ولسْتُ مودِّعاً ... مَنْ ظَلَّ يَشْغَلُ بي أعزَّ مَكانِ
وتَخونُنا الدُّنْيا وليسَ يَخونُه ... مِنّي سِوى دَمْعي وفَرْطِ حَناني

٢٠ كانون الأول/ديسمبر ١٩٥٣

---

[1] العتوّ: الاستكبار ومجاوزة الحدّ؛ (و.ف).
[2] الشغور: Hornet.

عند البركة

جلس الشاعر إلى حافّة البركة في المتنزّه المجاور لمنزله في ضاحية جاميكا بنيويورك يراقب البطّ السابح

يـا أيـدَ الـبَطِّ سَـبّاحاً بِـلا وَجَـلِ ... والمـاءُ يَـرقُصُ في ذيـلٍ لـه فيهـا
والنـورُ يَـرفُضُ أصـباغاً وزَرْكَشَـةً ... في الـرّيشِ والمـاءِ بـل آيـاً نُحَيّيهـا
أنـتَ المعلّـمُ للإنسـانِ أُلْفَتَـهُ ... بَعْـضٌ لـبعضٍ عِظـاتٌ في مَعانيهـا
وقـدْ تَفـوقُ جَمـالاً في تَناسُـقِها ... حُلـيٌّ لـديْكَ، وتَزْهـى في مَجاليهـا
مـا بـالُ خِلّـي الّـذي أهْفـو لطلعَتِـهِ ... يَـزْوَرُّ عَنّـي كـأنّي مَـنْ يُجافيهـا
وأنـتَ تُشـرِقُ إيمانـاً وفلسـفةً ... كأنَّمـا تَحْكُـمُ الـدّنيا ومـا فيهـا؟
أجاوَزَ البطُّ بعضَ الناسِ في خُلُقٍ ... حتّـى غـدا خَلْقُـه للنـاسِ تَسْـفيها؟
قـدْ طـارَ عنْهم فِراراً مـن جنايَتِهم ... ولمْ يَـزَلْ أُمَّـةً تُعْلـي مباديهـا
فَـلا يخـونُ فَريـقٌ منـه شـيعَتَه ... ولا المـودَّةُ تَلْقـى مَـنْ يُعاديهـا
والنـاسُ لَـذَّتُهمْ تَنْغيصُ بعْضِـهِمو ... بَعْضـاً وتَهْـديمُ دُنيـاهمْ وبانيهـا
مَتـى أراهـمْ ولـو كـالبَطِّ في حلـقٍ ... وكـالطّيورِ وفـاءً في تَعاليهـا؟
مَتى أراهـم – وتـأميلي بهـمْ أبداً – ... يُحْيـونَ مُعْجِـزَةً مـا زِلْـتُ راجيهـا؟
مَتى أرى الحُبَّ فيهمْ غَيْرَ مُضْطَهَدٍ ... أوِ المبـادئَ إعـزازاً لأهليهـا؟
يـا مَـنْ يَـدوسُ علـى حُبّي ويُزْهِقُـهُ ... وتلـكَ روحـيَ أرواحٌ لرائيهـا
هَـوّنْ عليْـكَ فـإنّي – غَيْـرَ مـتَّهمٍ – ... قدْ بِعْتُها – دونَ مَنٍّ – مِنْ أعاديها
ومـا طَلَبْـتُ لهـا مـالاً ولا عِوَضـاً ... ولا ثَنـاءً ولا ذِكْـرى تُناجيهـا

يا حامل الثّمر

من وحي الريف

يا حاملَ الثَّمَرِ الرَّفّافِ من جَذَلٍ إنَّ الثمارَ لها كالنّاسِ إحْساسُ
تُزْهى بجُهْدٍ نَبيلٍ كُنتَ باذِلَه وما يَئِسْتَ فلم يقربْ لها الياسُ
وتوَّجَتْ جُهْدَكَ الحيَّ الّذي اكْتَمَلَتْ فيه الأمانيُّ ياقوتٌ وألماسُ
وكلُّ جَوْهَرَةٍ عَصْماءَ ضاحكةٍ بالنّورِ، والنّورُ أفراحٌ وأعْراسُ
أمّا الخُضارُ ففي ألوانِهِ صورٌ للفَنّ ما حازها لوحٌ وقرطاسُ
لكِنَّما بَثَّها مُسْتَنْبِتاً شَغَفٌ بالنَّفْعِ، مُسْتَلْهِماً آياتِهِ الفاسُ
وحالَفَ الرّيَّ حَتّى أنْجَبا تُحَفاً للنّاظرينَ وحَتّى أُسْعِدَ الناسُ
فاهتزَّتِ الأرضُ شُكْراناً وقدْ بُعِثَتْ وشُكْرُها مِلءَ هذا النَّبْتِ أجْناسُ
هذا هو العيدُ يَعْتَزُّ الحَصادُ به كَما تُعَيِّدُ أقوامٌ وأغراسُ
شَتّانَ بينَ تُرابٍ باعثٍ مُهَجاً وآخَرٍ كُلُّهُ مَوْتٌ وأرماسُ
شَتّانَ بينَ صَحارى لا غَناءَ بها وبينَ جَنّاتِ عَدْنٍ عندَ مَنْ قاسوا
حَيْثُ الجَداوِلُ تَحْبو وهي راقصةٌ وحَوْلَها الأُنْسُ أزهارٌ وأنفاسُ
وحيثُ صارَ الحَصى في حَظِّهِ مَثَلاً للمُنْعَمينَ ولم يُرهِقْهُ وَسْواسُ
فكيفَ بالخَلْقِ مِن ناسٍ ومِنْ بُهُمٍ ومِنْ طُيورٍ وحيثُ الوَرْدُ والآسُ
وحيثُ زَغْرَدَتِ النُّعمى بوَفْرَتِها ماءً وكَرْماً ولم تَعْلَقْ بها الكاسُ
في كلِّ فاكهةٍ راحٌ مُعتَّقَةٌ بَريئَةٌ وبهنَّ الكوبُ والطاسُ
وفي النّدى سُبُحاتٌ من طَهارَتِها فَما تَشوبُ جَمالَ الريفِ أدْناسُ
وما النجومُ الّتي نامتْ بقُبَّتِها إلاّ على مَلَكوتِ الحُسنِ حُرّاسُ
هذا هو العيشُ لو يَدْريهِ مَنْ صَدَفوا وذا هو المَجْدُ لو يَدْريهِ مَنْ ساسوا

إلى لصّ الجزيرة

لِمـاذا أُعَـزّي بَـلْ لِمـاذا أُهَنّـىءُ ... وشَـعْبُكُمو للـذُّلِّ والظُّلْـمِ مَـوطِئ؟

إذا قيـلَ هـذا غـابرٌ مـاتَ عَهْدُهُ ... رأينـا جديـداً عَهْدُه الشُّـؤمُ أسْـوأُ

نَحـارُ بتَكْييـفٍ لـه ثـمّ حَيْرتـي ... تُجَـنُّ، فـلا أدري بِمـا اليـومَ أبـدأُ

فهـذي المَخـازي مـا لهـنَّ نِهايـةٌ ... وكُـلٌّ قريـرٌ عنـدَها يتفيَّـأُ

سِوى الشّـعبِ لم يُدرِكْ وُجوداً لذاتِهِ ... كـأنَّ المماتَ الصّرفَ أحْلـى وأهنـأُ

شِـعارُكُمو هـذا النِّفـاقُ مجـدّداً ... وفي صَخَبِ الأحداثِ حِصنٌ ومَرْفأُ

ويَقْتَـرِفُ الإجـرامَ غِـرٌّ مُسَـبِّحٌ ... وبـالخَمْرِ غِـرٌّ آثِـمٌ يَتَوَضَّـأُ

ويَبْـرأُ مـن هـذا وذلـكَ مُجـرِمٌ ... فمَنْ يا تُرى الجاني الّذي ليس يَبْرأُ؟

ألم يَبْـقَ بـينَ النّـاسِ شَـهْمٌ مُنَـزَّهٌ ... يُـدوّي لـه صـوتٌ، وبـالحقّ يَجْـرُؤُ؟

وهـلْ أصْـفَرَتْ أرضُ النُبـوّةِ كُلُّهـا ... وأرضُ الحِجـا عـن زاجـرٍ لـيسَ يَهْـدأُ؟

وهل باتَ أهْلُ الشِّعرِ أمْثالَ غيرِهم ... صَعاليكَ، كُـلٌّ للضّـلالِ يـوطّئ؟

ويَرْضَـوْنَ أمـداحاً هـيَ الـذَّمُّ عينُـه ... إذا عَقَـلَ الأحيـاءُ، بـل هـي أردأُ

تَفـوحُ نِفاقـاً كـلُّ حَـيٍّ يَمجُّـه ... ومنْـه ضِيـاءُ الحـقّ يَكْبـو ويَصْـدأُ

إذا لم يكـنْ هـذا ولا ذاكَ فَلْـتَكُنْ ... لصَيْحةِ شِعْري مـا يَهُـزُّ ويَفْقَـأُ

نَـذيراً وتَبْشـيراً، ووَعْظـاً وحِكمـةً ... وما كانَ نُصْحٌ مثلُ نُصحيَ يُرْجَـأُ

وإنّي الّذي قدْ أنظرُ الغيبَ شاخصاً ... أمـامي فأرْويـهِ ولا أتنبّـأُ

أقـولُ لكـمْ لا بـدَّ مـن هـدمِ مُلْكِكـمْ ... وإن كـانَ هـذا الهَدْمُ بـالغِشّ يُنْسَـأُ

لأنّكُمو خادعْتُمو القِسْطَ في الورى ... وكُلُّكُمـو في النَّهْـبِ غَرْثـانُ يُمْـرأُ

وفلسـفةُ الأقـدارِ لـيسَ لهـا وَنـىً ... إذا حكَمَـتْ، لكنّهـا تَتَهَيّـأُ

ومـا ظَمِـئَ الجبّـارُ إلاّ وهـدَّهُ ... عَـتيٌّ مـن الأحْـداثِ للعَـدْلِ أظمَـأُ

فإن تَبْتَغوا عُقْبى تَصونُ رؤوسَكم ... فهُبّوا إلى سَعْيٍ شريفٍ يوطِّئُ
ورُدّوا إلى الشَّعبِ السَّليبِ كُنوزَه ... وصونوا له عِرْضاً بكمْ صار يُهْرَأُ
وكونوا رَعايا بَيْنَهُ لا مواليا[1] ... فما كان مَوْلًى مَنْ يَخونُ ويَهْزَأُ
وإنّا بعَصْرٍ سيِّدُ الناسِ خادمٌ ... لِعِزَّتِهم، لا غاشمٌ راحَ يَنْتَأُ[2]
وما عِزَّةُ الإسلام في مَلَكيَّةٍ ... ولا روحُهُ إلاّ جلالٌ ومَرْبَأُ
فمَنْ خانَهُ خانَ النبيَّ مُحَمَّداً ... ومَنْ خانَهُ لا بُدَّ يَشْقى ويُرْزَأُ
ولا بُدَّ للإسلامِ مِنْ بعثِ ثَوْرَةٍ ... ومن أخْطَرِ الثَّوراتِ حُنْقٌ مُخَبَّأُ
وعندئذٍ تَغْدو الجَزيرةُ كُلُّها ... مَناراً لكلِّ الثائرينَ وتَربَأُ
فهلاَّ ادَّكَرْتُم واتَّعَظْتُم وعِنْدَكم ... صَحائِفُ للتاريخِ بالنُّذْرِ تُمْلأُ
ستَفْنى قُصورٌ شِدْتُموها وتَمَّحي ... حُصونٌ لكمْ في حينِ يَرسَخُ مبْدَأُ!

١٩٥٣

ربّ عيش يفرّ منه الحمام![3]

هتفَ العابثونَ بالسَّلمِ للسَّلْمِ ... كأنَّ السَّلامَ هذا الكلامُ
وأطاروا الرَّصاصَ يَردى به الخَلْقُ وقالوا الحَمامُ هذا الحِمامُ
قالَ لي ناصحي الصَّديقُ ابنُ صبّاغ: "تأمَّلْ! فللطُّغاةِ ابتسامُ
يُرْهِقونَ الشعوبَ قَتْلاً ... وتَعْذيباً ويشكونَ أنَّها لا تنامُ

---

[1] موالياً: أسياداً.

[2] ينتأ: ينتفخ.

[3] بلغت الجزائرَ في الثاني عشر من تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٤ حمامة على ساقها حلقة تشعر بأنها نزحت عن موسكو، فأوحتْ إلى الأستاذ عيسى خليل صبّاغ قوله "ربّ عيشٍ يفرّ منه الحمام" وأعجب الشاعر بهذه البداهة فضمّن تلك الخاطرة المموّهة بهذه الأبيات.

والشّــقاءُ الشّــقاءُ في قَــوْمِهم شــبَّ وأضْــحى أخَــفَّ منـــه الضِّـــرامُ
هَـــرَبَ الطـــيرُ حينَمـــا عَجَـــزَ الخلـــقُ ومـــاتَ النّبـــاتُ بـــلْ والرَّغـــامُ
رُبَّ عـــيشٍ أخَـــفُّ منـــه الحِمـــامُ   هـــو عـــيشٌ يَفِـــرُّ منـــه الحَمـــامُ"!

الطّلّ والعشب

أهدى الأديب المهجري الكبير الدكتور أبو علي خير الله (١٨٧٩ – ١٩٥٩)
الشاعر حين عاده في تشرين الأول / أكتوبر ١٩٥٢ في مستشفى مدتاون في
نيويورك باقة من الورد الأحمر فحيّا الشاعر مودته بهذه الأبيات

وفـــائي للصَّـــديق أبـــي علـــيٍّ   وفـــاءُ العُشْـــبِ للطَّـــلِ السَّـــريِّ[1]
شممْتُ عَـبيرَ وَرْدِكَ حـينَ سُـقْمي   فأنعَشَـــني كَـــوَحْيٍ مـــن نَـــبيٍّ
ومـــا زالَ الأريـــجُ خَـــدينَ أنْفـــي   وإلـــفَ دَمـــي كَمَعْنـــىً عبقـــريٍّ
يَواقيـــتٌ بِحُمْرَتِهـــا أضـــاءَتْ   فمَـــنْ مِثْلـــي بميراثـــي الغَـــنيِّ؟
كـــأنَّ ضـــياءها وشَـــذى حُلاهـــا   وقـــدْ مُزِجـــا تَفَـــنُّنُ جـــوهَريِّ؟
ولكـــنْ تلـــكَ أفئِـــدةٌ صِـــغارٌ   كِبـــارٌ في الرُّمـــوزِ وفي الـــرَّويِّ
تَـــرِفُّ بشَـــعْرِها فـــيرِفُّ قَلْـــبي   مُناجـــاةً لهـــا وإلى نَجِيّـــي
صَديقي مَنْ خَبِرْتُ هَـواه صِـدقاً   كَنَحْلـــي والرّحيـــقِ السُّـــكّريِّ
ومَـــنْ كانَـــتْ زيارتُـــهُ شِـــفاءً   تَنـــاثَرَ في الحَـــديثِ اللـــؤلئيِّ
ومَـــنْ كُمَّيْـــهِ في عَطْـــفٍ رَشـــيقٍ   وفي أنـــسٍ عَجيـــبٍ مُســـتَحيٍّ
يَفِـــرُّ العـــامُ بعـــدَ العـــامِ مِنّـــي   ويـــزدادُ اقـــترابُ أبـــي عَلـــيٍّ
كـــأنَّ حَنانَـــه عِـــوَضٌ لعُمْـــري   أجَـــلْ، وجَـــزاءُ تَسْـــبيحي التَّقـــيِّ

---

[1] السري: الجيد من كل شيء.

وجافى مَنْ مَحَضْتُ له وِدادي كأنَّ الهَجْرَ من حَظِّ الوفيِّ
وأنتَ بقيتَ لي الذُّخْرَ المُرَجّى تُجَمّلُ لي بِحُبِّكَ كُلَّ شَيٍّ
ولو أنّي صُلِبْتُ جَزاءَ صِدْقي وَدِدْتُ نِهايَتي مِثْلَ الوَلِيِّ!

٦ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٥٣

الخريف!

"الخريفَ! الخريفَ!" رَدَّدَتِ الأطيارُ نَشيداً مُرَقْرِقاً كالضيّاءْ
لستُ أدْري أكانَ يَصْحَبُه الخَوْفُ من البردِ أمْ حَواهُ الحَياءْ
كلُّ شيءٍ صافٍ وصاحٍ وبسّامٌ، كأنَّ الشَّبابَ في وَجْنَتَيْهِ
كلُّ شيءٍ قدْ نالَهُ البعثُ بعدَ الصَّيْفِ حُلْواً والشوقُ في مُقلَتَيْهِ
قد خَرَجْنا من الجَحيمِ مُعافينَ فَمَنْ ذا يَشتاقُ عهدَ الجَحيمْ؟
أيُّها المُشْتكي! تَنَعَّمْ قُبيلَ النفي شَريداً إلى الصّقيعِ العميمْ!
الوجودُ القَريرُ حولَك يَفْتَرُّ بتَسبيحِ عابدٍ في صَلاتِهِ
غَلَبَ الخوفَ جَمُّ إيمانهِ الحُلْوِ فزادَ الإيمانُ مَجْلى حياتِهِ
وإخالُ الأشجارَ في نَثْرِها الأوْراقَ تَعَرَّيْنَ قبلَ يومٍ عَميقْ
كالجمالِ الّذي تَهَيَّأ للنَّوْمِ طَويلاً مع الشتاءِ الصديقْ!
لا تُبالي ما بعدَ نَوْمَتِها الكُبرى ولم تكْتَرِثْ لِنُذْرِ الشّتاءْ
حَسْبُها اليومَ نَشْوَةٌ من حياةٍ لم تُنَغَّصْ، فما لها والفَناءْ؟

طابع البريد

خادمٌ آمِرٌ كفيلٌ بكُتْبي ما له موطنٌ وإنْ عاش قُربي
بيعَ كالعبيدِ حينَ يختمُهُ البائعُ بالضَّرْبِ، وهو طَوْعاً يُلَبِّي
يَتَزَيّا بما تَعَدَّدَ في الأزياءِ والرِّواياتِ عنْ كلِّ صوبِ
يَمتطي البحرَ والهواءَ كَما يركبُ طُرْقَ الحديدِ بلْ كلَّ ركْبِ
خَرَسَتْه الجُنودُ أنْفَسَ ما تَحْرُسُ رَمْزاً لسيِّدٍ مُسْتَتِبٍّ
ومِئاتُ الأتباعِ في كلِّ صِقعٍ، مَنْ يَخُنْه يوصَمْ بأقبحِ ذنبِ
كمْ مرارٍ قدْ قبَّلَتْه ثُغورٌ جاءَها راقصاً بقُبلاتِ حُبٍّ
كمْ مرارٍ جَرَتْ عليه دُموعٌ مِنْ شُجونٍ طفَحْنَ مِنْ ذَوْبِ قلْبِ
كمْ مرارٍ أُهينَ لَعْناً وتَمْزيقاً كَما جوزيَ المَسيحُ بصَلْبِ
وهو ذاك العفيفُ لا شيءَ يَرْضاهُ سِوى نَفْعِ غَيْرِه دونَ كسْبِ
جابَ كُلَّ الأقطارِ لا يشْتكي الأيْنَ وما زالَ بينَ سلْمٍ وحَرْبِ
ويُلاقي الأهوالَ غيرَ هَيوبٍ، وبه أُرِّخَتْ عظائمُ شَعْبِ
وهو في الحجمِ أصغرُ الناس طُرّاً، وهو في الشأْنِ شامخٌ مثلَ ربٍّ
يَتَبارى والمالُ في قَهْرِه الخَلْقَ وإنْ كانَ لم يُلوَّثْ بِعَيْبِ
وهو إنْ عِيبَ صارَ أعظمَ في القَدْرِ وأغْلى في عَيْنِ كُلِّ مُحِبٍّ
وإذا ماتَ لم يَمُتْ، وتَعالى شَأْنُهُ، واسْتحالَ كَنْزاً لِصَحْبِ!

مجلس قهوة

تُناديـنـا بنكْهَتِهـا، فَهيّـا ... نَعَـمْ هيّـا لِنَعْبُـدَها سَـوِيّا!

لَتَحْسُـدُها الأزاهِـرُ والـدَّوالي ... وتَعشَـقُ روحَـها، الـرّوحَ الشّـذيّا

نَماهـا الـزَّنجُ حَبّـاتٍ صِـغاراً ... كَحَبّـاتِ القُلـوبِ لظـىً وريّـا

وقـدْ خَلَصَـتْ طويَّتُهـا جَمـالاً ... فَـلا حَـرجٌ إذا اسـودَّ المُحَيّـا

إذا شُـمَّتْ تَفـوحُ بكُـلِّ قَلْـبٍ ... جَنـىً كالشَّـهْدِ مُبتسِـماً زَكيّـا

وإنْ رُشِـفَتْ تَطـوفُ بكُـلِّ ذِهْـنٍ ... وتُبْدِعُـهُ الطّـروبَ العبقريّـا

هلُمّـوا! إنَّ مَجْلِسَـها ربيـعٌ ... بـألوانِ المَلاحـةِ قـدْ تَزَيّـا

وفي أقـداحِها حَـبٌّ بـريءٌ ... كحـبِّ الطفـلِ يمـرحُ مسـتحيّا

كـأنَّ حُبابَهـا مـن ذِكريـاتٍ ... هَواتـفُ كالكَواكِـبِ والثُّرَيّـا

إذا مـا استوعِبَتْ رفعَتْ نُفوسـاً ... إلى مـا لـيسَ تَرْفَعُهـا الحُمَيّـا

كـأنَّ سَـوادَها أخْفـى نُجومـاً ... يُلاعِـبُ بَعْضُـها بَعْضـاً صَـبيّا

هَلُمّـوا نَقْتَـبِسْ مِنْهـا حُبـوراً ... يُشَعْشِـعُنا ونَلْثِمُـهُ نجيّـا

فمـا بَخُلَـتْ لنـا مـن قبـلُ يومـاً ... ببهْجتِهـا ولا جَفَـتِ النَّـديّا

وكـمْ عـادتْ لنـا عَـوْداً حَميـداً ... وكـم جـادتْ لنـا جـوداً سَـخيّا

ونُحْرِقُهـا ونَسْـحَقُها فتَزْكـو ... كـأنْ لم نرتكِـب أمـراً فَريّـا

ونُغْليهـا فترقـصُ في غَـرامٍ ... وتمنحُنـا الرحيـقَ الكوثريّـا

أدِرْهـا أيُّهـا السّـاقي أدِرْهـا ... وبـادِرْ، ربّمـا خلقَـتْ نَبيّـا

فَمِـنْ أحلامِهـا سُـوَرٌ وآيٌ ... وإلْهـامٌ نُطالِعُـهُ خَفيّـا

إذا مـا الـرّاحُ أغنَتْنـا بِـوَهمٍ ... وَجَـدْنا القهـوةَ الحـقَّ الغَنيّـا

ومـا حُلْـمُ النّيـامِ وإنْ تغـالى ... كحُلْـمِ الصَّـحوِ مُؤْتلقـاً سَـرِيّا

أدِرْهـــا كـــيْ أُغازِلَهـــا وَفيّـــا   كَمـــا أهْـــوى، وأتْرُكَهـــا وَفيّـــا!

تحيّة الزهر

إلى الصَّديقين العزيزين مارغريت عبد الأحد وزوجها الدكتور جان بينار في الرابع من تشرين الأول / أكتوبر ١٩٥٢ من مستشفى مدتلون بنيويورك حيث كان الشاعر مريضاً فاهديا إليه باقةً من الزهر تحيةً منهما

لَكُمـــا شَـــكَرْتُ تَحيَّـــةَ الزَّهْـــرِ   في باقـــةِ الألْـــوانِ والعِطْـــرِ
قـــدْ حَبَّبَـــتْ لـــي غائبـــاً سَـــقَمي   مُـــذ خَفَّفَـــتْ مِـــنْ نفْحِهـــا ألمـــي
وتحـــدَّثَتْ بحَنـــانِ إنســـانِ   إنْ غِبْـــتُ لا يســـلو وينســـاني
قرَّبْتُهـــا منّـــي فنـــادتني   ولـــو انَّهـــا قُطِفَـــتْ ونـــاجَتْني
وهـــي الجَريحـــةُ بعـــدَ مـــا قُصَّـــتْ   ولـــو انَّهـــا في زُخْـــرُفٍ رُصَّـــتْ
لكِنّنـــا بتَجـــاوُبٍ صِـــرْنا   صِـــنْوَينِ نَعـــرِفُ عُمْرَنـــا الفنّـــا
شَـــكرَتْكُما شُـــكْري وقـــد فرحـــتْ   بلقائنـــا وشَـــدَتْ بمـــا نَفَحَـــتْ
وأنـــا المُترجِـــمُ عـــنْ مَعانيهـــا   يـــا لَيْـــتَني أحْكـــي أغانيهـــا
صِـــرْنا كأنّـــا خالـــدانِ مَعـــا   والكـــونُ يَنفحُنـــا بمـــا جَمَعـــا
ولـــو انَّـــهُ خُلْـــدٌ لأحْـــلامِ   كَخُلُـــودِ أطْيـــافٍ وأنغـــام
أغْلـــى الهَـــدايا لَحْظَـــةُ الأُنْـــسِ   لَطُفَـــتْ كـذَوْبِ الـنفسِ في الـنفسِ
حتّـــى الفَنـــاءُ بهـــا لـــه مَعْنـــى   مُســـتعذَبٌ يَرْضـــاهُ مَـــنْ يَفْنـــى
فَلِمَـــنْ أفاضـــا الأُنْـــسَ ألوانـــا   شُـــكْراً وشُـــكْراً مِـــنْ حَنايانـــا

ثورة عليل

من مستشفى مدتلون في نيويورك إلى جريدة السائح النيويوركية

إنْ نالني السُّقْمُ لم يبلغْ بيَ الجَزَعُ ... ما قدْ يُعابُ ولم يَعبَثْ بيَ الفَزَعُ
وما جزعْتُ لنفسي مثلَما جَزِعَتْ ... نَفْسي لغَيْري وقد هانوا وما جَزِعوا
كمْ للعُروبةِ في نَفْسي ملَثِمُها ... والقاهرونَ لها جانٍ ومنتفعُ
الحاكمونَ بلا دينٍ ولا شَرَفٍ ... والغاصبونَ وأقصى نُبْلِهم طَمَعُ
والهازلونَ بتَهْريجٍ وقد خَلَقوا ... منه البُطولةَ ألواناً، وكم خَدَعوا
يا لائِمي مَنْ أدالوا عِزَّ أُمَّتِنا ... خَلّوا النفاقَ فأنتمْ في الأذى شَرَعُ
لولاكُمو ما استباحَ العِلْجُ عِزَّتَنا ... ولا استبدَّتْ بنا الأوهامُ والبِدَعُ
وما نزالُ، فكمْ من زُمْرَةٍ شَقِيَتْ ... دُستورُها الجهلُ أو دُستورُها الوَدَعُ
يوحي لها القاتُ والقنّابُ غَفْلَتَها ... فَما تُفيقُ، وما يَدْنو لها الهَلَعُ
وحولَها النّارُ بالعُدْوانِ صارِخةٌ ... كأنَّما ليسَ فيها اليومَ مُسْتَمِعُ
يا ليتَني مُستطيعٌ أن أُطَهِّرَها ... وأن أهُزَّ نياماً في الرَّدى قَبَعوا
وأن أُحكِّمَ سَيْفاً في أصاغِرِها ... الهادميها بما بثّوا وما جَمَعوا
وأنْ أُقطِّعَ أذْناباً لها مَرَنوا ... على الفُجورِ وقالوا فُجْرُهُمْ وَرَعُ
وأنْ أُثيرَ جَميعَ العُرْبِ قاطبةً ... كما يُثارُ إذا ما هُوجِمَ السَّبُعُ
إنّي لجِدُّ حزينٍ حينَ أرقبُها ... يودي بها الذِّئبُ أو يودي بها الضَّبُعُ
وحولَها للثَّعالي في بُطولتِهم ... ما لمْ يَعُدْ بَعْدَهُ لِلخُبْثِ مُتَّسَعُ
وكلُّ حوليَ في شِعرٍ أجودُ به ... كما أجودُ بأنفاسي لِمَنْ سَمِعوا

٤ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٥٤

مقبرة الإنسانية (اليمن السعيدة)[1]

"أفضل الجهاد كلمة حق تقال عند سلطان جائر"

حديث شريف

مَهْدُ الحَضارةِ للعُروبةِ كُلِّها ... كيفَ انتهيتِ إلى نِهايةِ ذُلِّها
قدْ كُنتِ سابقةَ القُرونِ بعلْمِها ... فَرَجَعْتِ في ذَيْلِ القُرونِ وجَهْلِها
عَجِبَتْ تَماثيلٌ رُفِعْنَ جَلالةً ... فَهَوَتْ لِما بَلَغَتْه خِسّةُ مِثْلِها
وكأنَّما في أمْسِها قدْ أُشعِرَتْ ... أفعالَهم فتحطَّمتْ مِن هَوْلِها
إنْ كانَ هذا وَحْيَ دينِ محمَّدٍ ... فعِبادةُ الأوثانِ نِعْمَةُ أهْلِها
حاشا، وحاشا، تلكَ نَكْبَةُ أُمّةٍ ... بالحاكمينَ القاتلينَ لنُبْلِها
مِنْ كلِّ سيفٍ قد تثلَّم مَجْدُهُ ... في الموبقاتِ ويَستعزُّ بفعلِها
أو كلِّ أبكَمَ صارَ يُحْسَبُ قاضياً ... والمومياءُ أجلُّ منه بأصْلِها
أو كلِّ زِنْديقٍ عَريقٍ، عابدٍ ... للمالِ يَحْتَرِفُ الدّعارةَ والِها
أو كلِّ مَنْ زَعَمَ الإمارةَ حينَما ... عينُ الحَقارةِ ما استباحَ مُؤَلِّها
أو كلِّ مندوبٍ تحشرجَ صوتُه ... مثلَ الجَنادبِ وهو دونَ أذلِّها
أو كلِّ مَنْ زعَمَ الإمامةَ بينَما ... حكَتِ الذُّبابَ بطَنِّها وبظلِّها
أو كلِّ مأفونٍ يَصيحُ مغالِطاً ... والسُّخْرُ يَتبعُ ما روى مُسْتَأْلِها
وطنٌ تجسَّمتِ العُروبةُ نكبةً ... فيه ولا نَكباتِ صورٍ وبعلِها
النّاطحاتُ بهِ شَمَخْنَ سوابقاً ... واليومَ تسحقُها الصُّروفُ بنَعْلِها
والهندساتُ وسَدُّ مأربَ خلَّفتْ ... لَهفى الخرائبِ في مَهانَةِ رَمْلِها
والسّامِقاتُ من المَدارس كلُّها ... دَرَسَتْ ولم يَكُ مِثْلُها من قَبْلِها
لا ظُلْمَ؛ ظُلْمُ الدَّهْرِ عدلٌ صارخٌ ... ما دامَ أهلُ الأرضِ نقمةَ عَدْلِها

---

[1] كذا في الأصل.

يـا مَنبتَ الكنديِّ[1]، يـا مَنْ يَنْتَمي — نُخَبُ الفَوارسِ والعقولِ لعقلِها
مَنْ أدهَشَتْ كِسرى بحكمةِ عَمْرِوها[2] — مـن أَنْجَبَتْ بلقيسَ صورةَ دَلِّها
مَنْ شَيَّدَتْ غمدانَ[3] من إلهامِها — وفُحولةُ الشُّعراءِ دونَ أقلِّها
مَنْ أطلعتْ صنعاءَ نَجْمَ حضارةٍ — عمَّتْ بأنفسِ روعةٍ وأجلِّها
مَنْ لا نَزالُ نَثارُ في آياتِها — إذْ تَغمرُ التاريخَ سيرةُ فَضْلِها
كيفَ استحلْتِ إلى مَباءةِ سوقةٍ — عَمِلوا على هَدْرِ الكرامةِ كلِّها؟
جَعَلوا البلادَ وأهْلَها كبهائمٍ — مَوْبوءةٍ حُبِسَتْ على إسْطَبْلِها
القاتُ تَمْضَغُهُ فَيَجْري سُمُّهُ — فيها، فتركعُ نشوةً لِمُذِلِّها
وإمامُنا يَحيى يُمَجِّدُ ويْلَهُ — شعراً، ويكنزُ تِبْرَهُ من ويلِها
أسفي، وما أسفي عليها وحدَها — بل للشعوبِ العالقاتِ بذَيْلِها
أُممُ العُروبةِ في الضَّجيجِ عريقةٌ — الفاخراتُ بخَيْلِها وبرِجْلِها
تَشْكو الطّغاةَ وحينَ تهملُ أختَها — في الغلِّ تُصْبِحُ من تَهَشُّ لِغِلِّها
إنَّ الحَوادثَ كلَّها عِبَرٌ لكُمْ — يـا غافلينَ عن الحياةِ وقولِها
تَتَسَتَّرونَ على الفضائحِ ضِلَّةً — ولَطالَما خانَتْ عُهودَ مُحِلِّها
فَتُمكِّنونَ لسارقٍ ولمارقٍ — جَعَلَتْهُما صَنعاءُ غايةَ شغلِها
ليتَ ابنَ خلدونٍ وتلكَ رُبوعُهُ — حَيٌّ ليُفصِحَ رأيَه عن خَتْلِها
أو ليتَ لي شِعْرَ الزبيريِّ الّذي — في النفيِ ناحَ لخطْبِها ولثكْلِها
أو ليتَ لي يوماً عواصِفَ أحمدٍ — وأبي فراسَ مُزمجِراً من أجلِها
وأبي العلاءِ العبقريِّ وغيرِهم — من أهلِها قَدْ أُتْرِعوا مِن نَهْلِها

---

[1] الفيلسوف الكندي.
[2] عمرو بن معد يكرب.
[3] قصر غمدان.

المُسْـــهِمينَ بعِلْمِهِـــمْ وبفَـــنِّهِمْ ... في رِفعــةِ الإنســـانِ أو في بــذلِها

أو ليـت لـــي كالشَّـــنْفَرى غضـباتِه ... أو كـامرىِ القـيسِ الوفـاءَ لنصلِها

أو شــأنَ مالــك[1] مــن سُــلالةِ حِمْيَـرٍ ... في الـدينِ والتقـوى لطُهـرِ محلِّهـا

أو وعــظَ نجـم الــدين[2] رَنَّ كأنَّــه ... قَــدَرٌ يُحــذِّرُ في حَماســةِ خِلِّهــا

أو بأسَ سَيْفِ الدولةِ العالي الذُّرى ... المســـتعزِّ بأصــلِه في ســـهلِها

ونُهى الفراهيدي[3] الّذي أحيا اللُّغى ... بعَروضِــهِ وبحِذقــهِ في شـــكلِها

وسـنا البهـاءِ[4] وكم يُداوي شِعرُهُ ... مَرْضـى النفـوسِ العانيـاتِ بِسُلِّها

وبـروجَ صِـرْواحَ الّـتي لَمّـا تَـزَلْ ... أطْلالُهــا تَــرْوي الخُلــودَ لطلِّهــا

وهَيــاكِلاً مــا زالَ علْقَمَــةٌ[5] بهــا ... يــوحي السّـيادَةَ والجَـلالَ لجلِّهـا

يــا ليــتَ لــي هــذا وذاك وبضــعةً ... مـن روح علقمـةَ الشـهير بِفَحْلِهـا

حتّـــى أهـــزَّ الســـادرين، لعلَّهـــم ... يتنبّهـــونَ إلى عواقِـــبِ قَتْلِهـــا

١٩٥٣

مذبحــة قبيــة

الفِتْنَــةُ الكُـبرى تُطِــلُّ قُرونُهـــا ... أمْ ديــرُ ياســينٍ أُعيـدَ جُنونُهـا؟

يــا وَصْـمَةَ الإنسـانِ مِـن وَحْشـيَّةٍ ... أقْسى الوُحوشِ لها تُراعُ عُيونُها!

---

[1] الإمام مالك بن أنس.

[2] هو محمد الميمني الملقب بنجم الدين القائل:

ولا تَحتقِــرْ كيــدَ الضّــعيفِ فرُبّمـا ... تموتُ الأفاعي مــن سُموم العقــاربِ

وقد هــدَّ قِـدماً عــرشَ بلقـيسَ هُدهُـدٌ ... وَخَــرّبَ حَفــرُ الفــار سَـدَّ مَــاربِ

[3] الخليل بن أحمد.

[4] البهاء زهير.

[5] الإله علقمة هو القمر.

صَفَرَ الخَرابُ لها بفَرْحةِ فاجرٍ / وإذا الدِّماءُ شَرابُها ومُجونُها
العُصْبَةُ الأنْذالُ لم يَتَوَرَّعوا؛ / عن كُلِّ ما لَطَخَ الوَغى ويَشينُها
باسمِ العدالةِ والحُقوقِ تَشَدَّقوا / وكأنَّما حامي الحُقوقِ خَؤونُها
وبكلِّ مَذْبحةٍ لهم تَهْليلةٌ / وبكلِّ مَجْزرَةٍ يُعيِّدُ دونُها
ويُمَثِّلونَ منَ المهازلِ للوَرى / صوَرَ المآسي القارحاتِ جُفونُها
كَبْشُ الفِداءُ هُمو، وأمّا مَنْ بَغَوْا / وَعَدَوْا عليهِمْ: فالوَغى وأتونُها
جَعَلوا المُروَّعَ جانياً، بل صوَّروا / جُثَثَ الضّحايا في الحُقولِ تَخونُها
كانَتْ لقومٍ في أمانِ بُيوتِهم / ناموا، فأينَ بُيوتُها وسُكونُها؟
ذَهَبَتْ بهم وبِحِلْمِهم، وتَبَعْثَرَتْ / أشْلاؤُهمْ ودِماؤهمْ وحَنينُها
أللّهَ في الباغي، وعِنْدي تَسْتَوي / كُلُّ الفِئاتِ وما يُسوِّغُ دينُها
فالبطْشُ ليسَ له حلالٌ مرَّةً / مهْما أحَلَّ الموبقاتِ خَدينُها
والظُّلْمُ ليسَ يُحَدُّ بَيْنَ خُطوبِهِ / مَنْ لَمْ يَصُدَّ خُطوبَهُ فمُعينُها
إيهاً بَني الأرجاسِ! أيَّةُ نصَفَةٍ[1] / تَرْجونَها وشُروركُم مَضْمونُها؟
كَثُرَتْ دَعاويكم كوَفْرَةِ خُبْثِكُمْ / والأبرياءُ طَعينُها ودَفينُها
مَنْ تَخْدَعونَ وتلكَ قبيةُ شاهدٌ / والدِّينَميتُ غَريمُها وقرينُها؟
هل هيئةُ الأُممِ الّتي قدْ كُفِّنَتْ / في المَهْدِ؟ أم أُسَرٌ يَمُضُّ أنينُها؟
أمْ هَلْ تُرى أُمَمُ العُروبَةِ بَعْدَما / زُرِئَتْ بكمْ، وبكمْ تُشَلُّ يَمينُها؟
أمْ صادقُ التاريخِ وهْو مُدَوِّنٌ / آثامَكُمْ إنْ فاتَكُمْ تَدْوينُها؟
قد كُنْتُ أرْجو العَدْلَ بعدَ تَفاهُمٍ / فإذا العَدالةُ تُسْتَباحُ حُصونُها
وإذا القَذائفُ وَحْدَها قدْ أصبحَتْ / لُسُنَ العَدالةِ، إنْ يُصِخْ مَفْتونُها
أوّاهُ منْ دولِ العُروبةِ كُلِّها / خابَتْ وضاعَ أُسودُها وعَرينُها

---

[1] النَّصَفَة: الإنصاف والعدل؛ (و.ف).

هيهاتَ تَنْهَضُ والتّعالي فوقَها | يتحكّمونَ، وما تُعِدُّ طَنينُها
صِهيونُ ليسَ بمَحْضِ خَصْمٍ واحدٍ | فبكُلِّ باطنِ دولةٍ "صِهْيونُها"
مَنْ ذا ألومُ إذا الجُناةُ أقاربٌ | وأباعدٌ وإذا اللُّصوصُ زبونُها؟
وإذا الدَّمُ الغالي يُذالُ ولمْ تَثُرْ | هِمَمٌ، وفي وَقْفِ الجُيوشِ سُجونُها؟

*****

أبطالُ قِبْيَةَ أنتُمو، وكَفاكُمو | فَخْراً بتَدْميرٍ لكُمْ تَمْدينُها
مَنْ كانَ في رَيْبٍ إزاءَ حَضارةٍ | شَقيَتْ بكُمْ فصنيعُكم تَأْبينُها
مَنْ ذا يُصوِّرُ بعدَ ذلك أنَّكُمْ | من أُمَّةٍ بالغارِ خُصَّ جَبينُها؟
إنَّ التسامحَ بعدَ ذاك جَريمةٌ | يا ضَيْعة الإنسانِ حينَ يَزينُها!

١٤ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٥٣

المولد النّبويّ

عيدُ المَلايينِ ازْدَهَتْ بجَلالِهِ | وَرَأَتْ جَمالَ حَياتِها بجَمالِهِ
عيدُ البَرِيَّةِ كُلِّها، إذْ كُلُّها | نَعِمَتْ بوَحْيِ ضِيائِهِ وظِلالِهِ
عيدُ الحَضارةِ، فالحَضارةُ لمْ تَكُنْ | إلاّ وَليدَ العَقْلِ في استقْلالِهِ
عيدُ المُساواةِ العَميمَةِ، أُنْبِتَتْ | في فَجْرِهِ، وتَعَلّقَتْ بهِلالِهِ
عيدُ الإخاءِ مَدى الزّمانِ وباسمِهِ | خُلِقَ الرّجالُ الشُّمُّ مِنْ أبْطالِهِ
عيدُ الهُدى والتَّضْحياتِ على الهُدى | لِتَحَرُّرِ الإنسانِ مِنْ أغلالِهِ
عيدُ الشَّرائعِ جُمِّعَتْ آياتُها | وَتَبلْوَرَتْ في نورِهِ وكَمالِهِ
عيدُ التَّشَبُّثِ بالحَقيقةِ وَحْدَها | والحَقُّ لا يَبْقى لَدى جُهّالِهِ
عيدُ التَّسامي، والتّسامي وَحْدَهُ | نَهْجُ الوُجودِ إلى سَعادةِ حالِهِ
عيدٌ إلى ميثاقِهِ مُتَحَرِّرٌ | يَدْعو، ومَلْهوفٌ لفَكِّ عِقالِهِ

عيدُ السَّلامِ، وربّما تَحْقيقُهُ جَعَلَ الدِّماءَ فِدىً وبَعْضَ نَوالِهِ
عيدُ النُّبوَّةِ: لِلْحَياةِ رِسالةٌ وبِها اسْتَعَزَّ وجَلَّ عَنْ أمْثالِهِ

*****

شَرَفاً إمامَ المُصْلِحينَ لأُمَّةٍ لَكَ نَنْتَمي، ولعالِمٍ بِكَ والِهِ
ألْهِمْ بمَوْلِدِكَ السَّنيِّ شُعوبَهُ حَتّى تُثارَ إلى عِظاتِ جَلالِهِ
يا أيُّها الأُمّيُّ، يا مَنْ عَقْلُهُ وَسِعَ العُلومَ كَواكِباً لِرِجالِهِ
ومَنِ اكْتَفى لِوُجودِهِ بِبَلاغِهِ لا زَهْوَ مَفْتونٍ يُدِلُّ بِمالِهِ
يا مَنْ تَعَلَّقَ بالتَقَشُّفِ خَلَّةً وأشاحَ عَنْ مُلْكٍ وعَنْ أمْوالِهِ
يا مَنْ تَماثَلَ حِلْمُهُ وإباؤُه لِلمُفْلِحينَ تَزينُ نُبْلَ خِلالِهِ
اليومَ غَضْبَتُكَ الشَّريفَةُ تُرْتَجى وكِفاحُهُ لِلْحَقِّ مِثْلَ عِيالِهِ
اليومَ أسْمَعُ مِنْكَ وَحْيَ رِسالةٍ لِلْحَقِّ مَأْسوراً لَدى خُذّالِهِ
هَيْهاتَ تَرْضى لِلأنامِ مَذَلَّةً يا مَنْ عَتَقْتَ العَبْدَ مِنْ إذْلالِهِ
والمُسلمونَ هُمُ الكُماةُ حَمِيَّةً الثائرونَ على العَتيِّ ونالِهِ[1]
وعلى اللُّصوصِ الغاصِبينَ، وغَدْرُهُم لا يَنْتَهي، كالتّيهِ[2] في أهْوالِهِ
جَعَلوا التَّبَجُّحَ كالوَباءِ شَريعَةً لِلظُّلْمِ، واحتَكَموا لِخُبْثِ مَقالِهِ
واسْتَعْبَدوا الأقْوامَ باستعمارِهِمْ وتَرَنَّموا بِصَلاحِهِ وفِعالِهِ
كالعَبْدِ يُرْهِقُ كُلَّ حُسْنٍ ناضِرٍ ويَمُنُّ بَعْدُ عليهِ باسمِ وِصالِهِ
والسُّقْمُ يوغِلُ في السَّليمِ فَيَغْتَدي نَهْباً لَهُ، فَيُعَدُّ مِنْ أفْضالِهِ
يا مَنْ أبى الإذعانَ دونَ حُقوقِهِ واستَعْذَبَ الآلامَ في آمالِهِ
أَرْجِعْ إلى الإسْلامِ عِزَّةَ أهْلِهِ باليَقْظَةِ الكُبْرى لِنَيْلِ مُحالِهِ

---

[1] ناله: ما يناله.
[2] التيه: القفر يضلّ فيه.

وأذِلْ مِـنَ المُـتَحَكِّمينَ بِحَظِّهِـمْ
والجَهْـلُ أوَّلُهُـمْ بِسُـمِّ نِبالِـهِ

ولْيَبْـقَ مَوْلِـدُكَ الأغَـرُّ مَنـارةً
لُمجاهِـدٍ مُسْـتَقتِلٍ[1] بِقِتالِـهِ

فـالعَيشُ مِنْ صُوَرِ المَماتِ لِصاغِرٍ
والمَـوْتُ لِلحُـرِّ الأبـيِّ كآلِـهِ

ولَكَـمْ جَنَـى الإسلامُ مِنْ أعْدائِهِ
مِثْـلَ الّـذي لاقـاهُ مِـنْ أقْيالِـهِ[2]

فـإلى الهُـداةِ رِضـاكَ في إقْبالِـهِ
وَعَلـى الطُّغـاةِ جَفـاكَ في زِلْزالِـهِ!

١٧ تشرين الأول / أكتوبر ١٩٥٣

الأقطـاب

عِصـابةٌ مِن لُصوصٍ أمْنُها خَطَرُ
قدْ ضَجَّ مِنْها وريعَ الجِنُّ والبَشَرُ

مـا لِلْعُروبـةِ لا تَمْضـي وتَسْحَقُها
هلْ نالَها اليأسُ أم هلْ نالَها الضَّجَرُ؟

أمِ اسـتنامَتْ إلى وَعْـدٍ تُزَوِّقُـهُ
مثلَ الفَقاقيعِ لا يَبْقى لها أثَرُ؟

لا نَفْعَ منْها وإنْ غنَّتْ بما وَعَدَتْ
فكُلُّ نَفْعٍ لَها في طَيِّهِ الضَّرَرُ

صنعاءُ أو جِدّةُ المَنْهوبُ جِدَّتُها
أو كَرْخُ بغْدادَ أشباهٌ بمَنْ غَدروا

معاقلُ المَجْدِ في الماضي قدِ احتُضِرَتْ
كأنّها لُعْبـةٌ قد ساقَها القَدَرُ

صُمُّ الجَلاميدِ أحْنى في مقابرِها
مِمَّنْ أضاعوا حُقوقَ الشّعبِ أو قَبَروا

والأجْنَبيُّ علـى عِلاّتِـهِ رَحِـمٌ
مَتى يُقاسُ بهم في شرّ ما أمَروا

مـا بينَ عـاتٍ وصُعلوكٍ بفِطْرتِهِ
ومُجْرمٍ لمْ يَعُدْ حَقٌّ ولا وَطَرُ

فَوْضى بها انْدَثَرَتْ أخْلاقُ مَنْ غَبِنوا
ومثلَها صـارَتِ الثّرواتُ تَنْدَثِرُ

الفقرُ والجهلُ والأمراضُ قاطِبةً
باتَتْ كُنوزاً لهمْ من بعدِ ما افْتَقَروا

---

[1] مستقتل: مستميت.
[2] أقياله: رؤساؤه وملوكه.

أبَعْدَ هذا نَصوغُ الشِّعْرَ في طَرَبٍ لِمَدْحِ حُكّامِهِم، لو أنَّهم شَعَروا؟
ألَيسَ في ضَرْبِ أعناقٍ لهم أمَلٌ للمُصلحينَ، وفي تَدْويخِهِم عِبَرُ؟
ألَيسَ في تَرْكِهِمْ كالعُثِّ مُرْزِئةٌ عَمَّتْ، فكَمْ دولةٍ تَعْنو وتُحتضرُ؟
لقدْ نَصَحْتُ فَعَدّوا النُّصْحَ لي سَفَهاً وكِدْتُ أبكي فعُدْتُ اليومَ أعْتذرُ
وما أُنادي سوى الشبّانِ في أُمَمٍ لم يَبْقَ فيها سواهُمْ بعْدُ مُدَّخَرُ
لعلَّهم يُشعِلونَ النّارَ صاخِبةً يومَ الحِسابِ فلا تُبقي ولا تَذَرُ
وعلَّهم بالدَّمِ الغالي لأُمَّتِهِم يَرْوونَ قُدْوةَ مَنْ ثاروا ومَنْ ثَأروا!

إلى فيصل الحكيم

وجّهت إلى الأمير فيصل آل سعود لمناسبة إسناد
ولاية العهد إليه في المملكة العربية السعودية

هلْ للأميرِ أعزَّ اللّهُ حِكْمَتَهُ أنْ يُنقِذَ الشّعبَ من ضَيْمٍ يُعانيهِ؟
والضَّيمُ ألوانُهُ شَتّى، وأظلَمُها أنْ يَشْعُرَ المَرْءُ أنَّ المَوْتَ يُغْنيهِ
يا فيصلَ الحُكْمِ هذي فُرصةٌ عرَضَتْ لِتَرْأبَ الصَّدْعَ في مَبْنىً وبانيهِ
فالشّعبُ لا بُدَّ من بَعْثٍ يحينُ له وسوفَ يَسْحَقُ حتْماً مُستغِلّيهِ
كنْ أنتَ قُدْوَتَه المُثْلى وزِدْه غِنىً ولا تَدَعْهُ شَريداً في دَياجيهِ
ووزِّعْ على الشّعبِ آلافاً له نُهِبَتْ قبلَ انتقامٍ وشيكٍ كامِنٍ فيهِ
أو لا، فيا هَوْلَ يومٍ قادمٍ خَطِرٍ جَهَنَّمٌ سَتُغَنّي وهي تَسْقيهِ!

إيـــزيـــس

الثّلج في الرّبيع

تَراقصْ كما شئتَ فوقَ الزُّروعْ
تُقبِّلكَ الأعْيُنُ
وتَلْقاكَ في ألَقٍ يَفْتِنُ
فَتَحْيا ابْتِساما
جَواهِرَ ما عوَّدَتْ أنْ تُضاما، فَتَأْبى النِّظاما
وَيَرْفَضُّ إشْعاعُها المونِقُ
خواطرَ لِلّهِ لا تُلْحَقُ
تُغذّي القُلوبْ
وتُحْيي الطُّيوبْ
كَلَهْوِ الرَّبيعْ
يُنمِّقُ للأرضِ عُمراً جديدْ
وكَمْ يَسْتَعيدْ
وَيضْمَنُ حُلْمَ العُفاةْ
فلا لوعةٌ تُرْهِقُ
وَلا بائِسٌ يُطرَقْ
كأنّا سَبَحْنا بنورِ القَمَرْ
وفيه اللُّجَيْنُ
طَهورٌ، نبيلٌ، سَخيّ
فَيُبْدِعُ أرْواحَنا
ويُبْدِعُ أفراحَنا

ويَقتلُ أتراحَنا
فَيَخْلُقُ دُنيا لَنا
تَرفُّ بكلّ الغِنى
وأثْمَنُهُ نورُها

نيويورك، ١٩٥٤

العـروبة

مهداةٌ إلى الرئيس جمال عبد الناصر

مِسْكينةٌ! إنَّ مَنْ خانوكِ أوْقَحُهُمْ ... أهْلوكِ، أو مَنْ تَراءَوْا شِبْهَ أهْليكِ
مِنْ كُلِّ عِلْجٍ حَقيرٍ يَدَّعي شَرَفاً ... وَهَمُّهُ دونَ هَمٍّ لِلْمفاليكِ
لا شَيْءَ غيرُ بَريقِ المالِ يَشْغَلُهُ ... ثُمَّ التّجارةُ في أمْجادِ ماضيكِ
وفي شَقائِكِ يَتْلو حَوْلَهُ سُوَراً ... مِنَ النِّفاقِ، وتَبْدو مِثْلَ فاديكِ
مُهَلْهِلاً كُلَّ شَهْمٍ لا تُراوِدُهُ ... إلاّ عظائمُ ماضيكِ وآتيكِ
وغامِزاً كُلَّ مَنْ آثارُهُ صُوَرٌ ... مِنْ تَضْحياتٍ بِتَشْويهٍ وتَشْكيكِ
حتّى يَنالَ مَكاناً في تَفَرُّدِهِ ... بالزّورِ ما بَيْنَ تَهْديمٍ وتَفكيكِ
يَبْغي الزَّعامَةَ صُعْلوكٌ بفِطْرتِهِ ... بِئْسَ الزَّعامَةُ في أيْدي الصَّعاليكِ
أمّا مُلوكُكِ – لا كانوا ولا مَلَكوا – ... فهمْ أخَسُّ مِثالٍ للمَماليكِ
باعوكِ دونَ جَزاءٍ في تَذَبْذُبِهِمْ ... إلاّ مَذَلَّتَهم أيّانَ باعوكِ
ومِثْلُهُمْ زُمْرَةُ الأقْطابِ، رائِدُهُمْ ... مِثْلَ الرَّحى طَحْنُ كَنْزٍ ماثِلٍ فيكِ
يُبَدِّدونَ القُوى تَبْديدَ مُتَّهَمٍ ... في العَقْلِ والخُلْقِ أوْ تبديدَ مَهْتوكِ
ويُطْمِعونَ الأعادي فيكِ عن سَفَهٍ ... حتّى يَعيثَ الأعادي في مَعاليكِ

صَهْ يا دَخيلُ عَلَيْنا، ليسَ تَعرِفُه إلاّ مَجالي التَّدنّي لا مَجاليكِ

حِرْباءَةٌ أنْتَ بَلْ قُلْ ثَعْلَبٌ أشِرٌ يَخْتالُ كالهِرِّ أو يَخْتالُ كالدّيكِ

إنّا سَئِمْنا الدَّعاوى: كَمْ حَمَتْ مَرَضاً وكَمْ حَمَتْ غَرَضاً بينَ الأضاحيكِ

لولا المَآسي الّتي عمَّتْ أمانِيَنا فأيْنَ أيْنَ الّذي أحْيا أمانيكِ؟

لَعَلَّ ذاك جَمالٌ في تَجَرُّدِهِ عَنِ المَطامحِ، إلاّ ما يُعَلّيكِ

سَما على مَنْكِبَيْهِ مَجْدُ أُمَّتِنا حينَ الخؤونُ المُرائي راحَ يَرْثيكِ!

٣ نيسان/أبريل ١٩٥٣

مِنْبَري

نظَمها الشاعر في الرابع عشر من نيسان / أبريل ١٩٥٤
لمناسبة مرور ثماني سنواتٍ على هجْرته من مصر العزيزة

مِنْبَري عالَمي وليسَ بأرْضٍ يَسْتَحِلُّ الطّاغوتُ فيها الدَّمارْ

إيهِ نَفْسي! اليَوْمَ ذِكْرى نُزوحي عَنْ رُباها، وعَنْ بَوارٍ وعارْ

خَنَقَتْني أوْ حاوَلَتْ ثُمَّ باهَتْ بِأذاتي تِلْكَ النُّفوسُ الصِّغارْ

ما أُبالي إلاّ بإسْداءِ رَأْيي وَانتشارٍ لَه وأيَّ انْتِشارْ

قَيَّدوني وحاصَروني وآذَوْ ني فأقْسَمْتُ أنْ أفُكَّ الحِصارْ

مِثْلَ صَقْرٍ مُكَبَّلٍ هَشَّمَ القَيْـ ـدَ ودَوّى بِصَيْحَةٍ، ثُمَّ طارْ

لم يُفَرِّقْ ما بَيْنَهُ وديارٍ أرْهَقَتْهُ، إنْ باعَدَتْهُ الدِّيارْ

بَل أثارَ الصَّيْحاتِ في كُلِّ أرضٍ فاستقلَّتْ بكُلِّ أرضٍ شِعارْ

إنَّني شاعرُ الكِنانةِ في البُعْـ ـدِ وفي القُرْبِ، كيفَ كانَ الجِوارْ

ما ثَماني السِّنّين إلاّ ثوانٍ مِنْ حَياتي ومِنْ وُجودي المُعارْ

إنَّ عُمْـريَ جُـهْـدي وفِكْـري وإيمـا نــي وحُبّــي، فَــإنَّ عُمْــري مَنــارْ
لا زَمـانٌ ولا مَكـانٌ يَحُـدّانِ وجُـو دي ولا دُجـــــىً أوْ نَهـــــارْ
أيْنَمـــا كُنْـــتُ صَـــيْحَتي صَـــيْحةُ النَّســـرِ وزَأري زَئـــيرُهُ المُســـتَثارْ
وقَصـيديَ اليَنْبـوعُ يَرْشـفُهُ الأحْـ ـرارُ ويَـرْوَوْنَ، وهْــو نــورٌ ونــارْ
لا تَسَـلْني عـن مَسْـكني، أيُّ دُنْيـا هــي أرْضــي إذا عَـداها الصِّـغارْ
لم أزَلْ بالوَفــاءِ والعَمَــلِ الحَــيّ كَــأنّيَ في مِصْــرَ أحْمــي الــذِّمارْ
بَيْنَمـا الجاحِـدونَ فيهـا سُـكارى أوْ حَيــارى، ويَنْشُــدونَ الفَخــارْ
مَبْدَئي لـنْ يَحـولَ مـا بَقـيَ الحُـبُّ وحُبّـــي لمصـــرَ حَـــيٌّ يُثـــارْ
وحيـــاتي جَميعُهـــا في كِفـــاحٍ آيَـــةٌ لا يَنـــالُ مِنْهـــا الغُبـــارْ
أيُّهـا النّـاعِقونَ حَـوْلي اسْـتَريحوا! هُـــزِمَ اللَّيْـــلُ إذْ أطَـلَّ النَّهـــارْ!

أين الربيع؟

تاخر الربيع طويلاً بل ضاع في عام ١٩٥٤ وقد استمر جو الشتاء مديداً في نيويورك فاوحى غيابه إلى الشاعر بهذه القصيدة

أينَ الربيـعُ؟ سـألتُ عنـهُ فلـم أجـدْ مــن ردَّ غَيْــرَ تَـدَفُّقِ الأمطــارِ
ولّــى ولم يحِضــرْ، فغــابَ كأنَّــه قـد عــاشَ في الأوهــامِ والأفكـارِ
قـالوا: هـي الـذّرّاتُ حـين تفجَّـرتْ نثــرتْ نظــامَ الجــوّ أيَّ نثــارِ
فغـدا الرّبيـعُ هـو الخريـفُ كأنَّمـا قـد جُـنَّ مـن مطـرٍ ومـن إعصـارِ
ومــن الرُّعــودِ تكلَّمــتْ كمــدافعٍ ذريّـــةٍ وتراشـــقتْ بالنّـــارِ
فتحجَّبــتْ أطيــارُه وتبرقَعــتْ أزهــارُه، وبكـى الغـديرُ الجـاري
وبكيــتُ في نَفْســي كــأنّي فاقــدٌ أهلــي وكــلَّ مجــالسِ السُّــمّارِ

وإذا أناخَ بنا السكونُ حَسِبْتُهُ ضوضاءَ من قلقٍ ومن إنذارِ
أين السماحةُ والهدوءُ تآلفا والأمْنَ فاحتكمتْ على الأبصارِ؟
أينَ الجَمالُ برقصهِ وبلهوهِ في النّورِ أبدعَ فاتنَ الأنوارِ؟
أينَ الصَّبايا النحلُ تجمعُ شهدَها كالصيرفيِّ وندِّهِ العطّارِ؟
أين الأزاهيرُ الّتي كمْ سابقتْ شَغَفي فما احتجبتْ عن الأنظارِ؟
أينَ المروجُ الحالياتُ عرائساً كعرائس الأحلام في آذارِ
أينَ العصافيرُ الّتي لم تكتملْ أعشاشُها بالحبّ والأسرارِ
ضاعتْ جميعاً كالطيوفِ إذا هَوَتْ واللَّحْنِ فَوْقَ مُقَطَّعِ الأوتارِ
إحْلَمْ بها يا قلبُ أوْ لا فانْسَها فَجميعُ ما وهبَ الربيعُ عواري
والعامَ ما عرفَ الحياةَ كأنَّه مَعْنىً حَواهُ الموتُ بالإضمارِ
الجود تَرَقُّبُ من سَماحةِ ميّتٍ ما كانَ غيرَ تعثُّرِ الأقدار

*****

أُخرى من السَّنواتِ أبدؤُها غداً[1] مُتهلّلاً كالورد في أيّارِ
إنْ عَقَّني وطني القديمُ فما هوى حُبّي لدى الوَطَنِ المعزّ شعاري
أو كانَ جافاني الربيعُ فعلَّه مرآةُ ما عانيتُ من تَذْكارِ
سأظلُّ عاماً ناظراً[2] لوداده حتّى يعودَ لنا من الأسفارِ
ولرُبّما يأتي رسولَ محبّةٍ مِنْ مصر بعد تمتّعٍ وتواري
فأرى الجنانَ به نوافحَ بالهوى وتفيضُ عن أشعارِها أشعاري

---

[1] نظم الشاعر هذه القصيدة في نهاية نيسان/أبريل ١٩٥٤، وفي مثل هذا اليوم من عام ١٩٤٦ نزل في أميركا.
[2] ناظرا: مرتقبا.

وحي عيد الفطر

الفِطْـرُ جـاءَ بآمـالٍ نُجـدِّدُها إنَّ الحَيـاةَ لآمـالٌ وتَجْديـدُ
لـولا التَّعلُّـقُ بالآمـالِ نَعبُـدُها لم يُكْرَمِ العيدُ، بلْ لمْ يُعْرَفِ العيدُ
صلّى مع الفَجْر مَنْ صلَّوْا فقبَّلهم وقبَّلَـتْني بِنَجْواهـا الأناشـيدُ
يا ليتَني كنتُ مِثْلَ الفجرِ عافيةً فـلا يَـردُّ صَـلاتي فيـه تَقْييـدُ
وأنْشَـقُ العِطْرَ في الأحلامِ وارفـةً كأنَّهـا مـن رِضـاءِ اللّـهِ تأييـدُ
وأنْظِـمُ الحُـبَّ مـن قلْـبي مُعلَّقَـةً وإنْ سَكَتُّ فَنَبْضُ القلْبِ توحيـدُ
أهـلاً بعيـدٍ رفيـقُ الحُـبِّ باركَـهُ وباركتْـهُ الأحاسـيسُ المواليـدُ
كأنَّمـا ليلـةُ القـدْرِ الّـتي سَلفَتْ قـد أنجبتْهـا وسـوَّتْها التقاليـدُ
سـألتُ ربّـيَ إيحـاءً ألـوذُ بـهِ فـإنَّ عُمـريَ تفكـيرٌ وتَسـهيدُ
فقالَ لي الوحْيُ عِشْ للنّاسِ أجْمَعِهمْ لـو أنَّ مُعْظَمَهُـمْ جـانٍ وعربيـدُ
واجعلْ من العيدِ مَبْداً يُسْتَعَزُّ بـه ففـي يديْـهِ إذا شـاؤوا المقاليـدُ
مَبْدا التَّطَلُّعِ للإصلاحِ يَشْمَلُهم كمـا تَطَلُّـعُ نحـوَ الواحـةِ البيـدُ
عيـدٌ أضـاءَ بـه الإسـلامُ أمثلـةً مـن الجَـلالِ، وفيـه النّـورُ تَغْريـدُ
عيدُ السَّلامِ وعيدُ الفطرِ قد جُمِعا مَدى العُصورِ، فإنَّ السِّلْمَ تَعييدُ
كـلُّ احتفـاءٍ بـه لِلسِّـلْم مَرْجِعُـهُ والسِّلْمُ كالحُبِّ لمْ يَعرِفْهُ تحديـدُ
مَنْ يعشقِ السّلْمَ حُرٌّ شامخٌ بَطَلٌ وعاشِقُ الحربِ رَغْمَ الزَّهْوِ رِعديدُ
فاسكُبْ علينا جمالاً أنْتَ مُبْدِعُـهُ يا عيدُ، وامْسَحْ دُموعَ الحُزْنِ يا عيدُ
وإنَّـني باسمِكَ الميمونِ في فَرَحـي أشْدو وأدْعو، كأنَّ الشدوَ تسديدُ
أدعـو بلاداً أطالَ الجهلُ نومتَهـا حتّـى تُفيـقَ فـإنّ النومَ تهديـدُ
وإنّمـا أُمـمُ الإسـلامُ مَبْـدَؤُها عِلْـمٌ وسَـعْيٌ وإصـلاحٌ وتخليـدُ

فإنْ تَفُتْها فما الإسلامُ مِاْتُها
وكُلُّ مَدحٍ لها نَوْحٌ وتعديدُ

وإنْ تُسابِقْ سِواها في مَآثِرِها
فلنْ يُساوِرَها ظُلْمٌ وتبديدُ

وسوف تُرْجَعُ للإسلامِ عِزَّتُهُ
كما تَسامَى بها المَوْتى الصَّناديدُ

أيار/مايو ١٩٥٤

موائد حزيران

إنْ نامَ أيّارُ عَنْ وَرْدٍ وُعِدْتُ بِهِ
فَهَلْ أنالُ حُقوقي مِنْ حَزيرانِ؟

إنَّ الوُرودَ مَعانٍ ليسَ يَعْرِفُها
إلاّ مُحِبٌّ وإلاّ قلبُ فَتّانِ

تَناوَبَ العِطْرُ والألْوانُ أمْثِلَةً
مِنَ النَّشيدِ لإحساسي ووِجْداني

وما غَنيتُ وحَوْلي مِنْ موائِدِها
غُنْمٌ، ومِنْ خَمْرِها ريٌّ لِظَمْآنِ

أشمُّها إذْ أراها شِعْرَ آلِهَةٍ
والعِطْرُ كالشِّعْرِ في اسْتِهْواءِ إنْسانِ

عَرائسُ الزَّهْرِ فاقَتْ في مُنافَسَةٍ
عرائسَ النّاسِ في حُسْنٍ وألْوانِ

أحنو عليها كَأنّي عاشِقٌ وأبٌ
أو أنَّها خُلِقَتْ مِنْ قَلْبيَ الحاني!

يوم العَلَم

الرابع عشر من حزيران/يونيه منذ ١٨٩٧ هو يوم العَلَم في أميركا، يوم الذكريات الوطنية المجيدة دفاعاً عن الحريات العامة وحقوق الإنسان..

حُيِّيتَ يا يومَ العَلَمْ
يا مَنْ تألَّقَ بالشَّمَمْ

يا مُسْتَعِزّاً بالنُّجومِ
تَبَسَّمَتْ لِمَنِ ابتسَمْ

يا مَنْ تَدَفَّقَ بالحياةِ
كأنَّها السَّيْلُ العَرِمْ

يـــا مَـــنْ يُـــذكّرنا بـــأنواعِ البُطولـــةِ والكَـــرَمْ
كيـــفَ الشـــجاعةُ والنّظـــامُ تآلفـــا بأســـاً أتَـــمْ
كيـــفَ السَّـــماحةُ بـــالنفوسِ أخَـــصُّ مـــا يـــبني الأُمَـــمْ
كيـــفَ التحـــرُّرُ والإخـــاءُ همـــا ذِراعـــا مَـــنْ حلَـــمْ
يـــا مَـــنْ تُرفْـــرفُ فيـــهِ آمـــالٌ تُغَـــذّي مَـــنْ حكَـــمْ
يـــا مَـــنْ تَســـيرُ بـــه المواكـــبُ كالقصـــائدِ والـــنَّغَمْ
يـــا مَـــنْ حَـــديثُ شِـــعارِه، فـــوقَ المـــواعظِ والقَلَـــمْ
يـــا مَـــنْ تَنـــالُ رُمـــوزُهُ، مِـــنْ كـــلّ جبّـــارٍ ظَلَـــمْ
يـــا مَـــنْ بـــه التـــاريخُ يَشـــمخُ فـــوقَ مَبْنـــاهُ الأشَـــمّ
يـــا مَـــنْ تضـــمَّخَ بالـــدموعِ وبالـــدماءِ بـــلا نَـــدَمْ
يـــا مَـــنْ حَبَتْـــه التضـــحياتُ بكـــلّ مجـــدٍ يُغْتَـــنَمْ
يـــا مَـــنْ تَســـاوَتْ فيـــه أفـــراحُ البريّـــةِ والألَمْ
يـــا مَـــنْ تَقَـــدَّسَ كـــلُّ مـــا فيـــه وَنـــوَّرَ والتـــأمْ
أشـــرقْ علـــى الـــدنيا شـــعارَ غـــدٍ أبـــيٍّ لم يَـــنَمْ
يَسْـــمو بـــه الإنســـانُ فـــوقَ صَـــغارِه، فـــوقَ العَـــدَمْ
ويَـــرى الحقيقـــةَ كَنْـــزَهُ والسَّـــلْمَ أشـــرفَ مُغْتَـــنَمْ
لا أنْ يُنـــالَ لِتُرَّهـــاتٍ هُـــنَّ نِعمَـــةُ مَـــنْ وَهَـــمْ
مـــا أجـــدرَ الإنســـانَ باســـتعلائِهِ فـــوقَ الـــرِّمَمْ
إنّ التنـــازعَ والحـــروبَ مَماتُـــهُ مهمـــا اعتصَـــمْ
والمـــوتُ لا يُحيـــي ولا يُجْـــدي ولـــو ســـكنَ الهَـــرَمْ
فَـــدُمِ المُـــذكّرَ للأُمَـــمْ وانشـــرْ عِظاتِـــكَ يـــا عَلَـــمْ!

١٧ حزيران/يونيو ١٩٥٤

أصدقائي

لي قِلَّةٌ في الأصْدِقاءِ حَسَبْتُهم ... فَوْقَ الجَواهِرِ لِلْبَخيلِ المُعْدِمِ
لم يَنْظُروا يَوْماً إليَّ بريبَةٍ[1] ... بَلْ بَجّلوُني كالنَّبيِّ المُلْهَمِ
مِنْهُمْ قَبَسْتُ أشِعَّتي، وإليْهمو ... عادَتْ مَفاخِرُها، وعُدْتُ إليْهِمِ
دارَ الزَّمانُ ولم يَدوروا حَوْلَهُ ... وتَجَمَّعوا حَوْلي وَحَوْلَ تَألُّمي
خَلَقوا ليَ الأفْراحَ مِنْ صُلْبِ الأسى ... حَتّى كَأنَّ الكارثاتِ تَنَعُّمي
لا مِنْهُمو مَنْ باعَ كَنْزَ مَوَدَّتي ... وكَأنَّه قد باعَ عِرْضي أو دَمي
تَخِذَ[2] النِّفاقَ طَعامَهُ وشَرابَهُ ... والكَيْدَ مِهْنَتَهُ، وبارَكَ مأْتَمي
ومَضَى يَمُنُّ عَلَيَّ بَعْدَ نِكايَةٍ ... ما لِلنِّكايةِ غَيْرُ فَرْطِ تَبَسُّمي
إنّي امْرُؤٌ أحْيا لأنَّ عَقيدتيَ ... تَحْيا، ولَسْتُ بِمَنْ يُدَنِّسُ مِرْقَمي
ولأنَّني فوقَ الظُّنونِ، وَمبْدَئي ... ما كانَ لِلرّاضينَ أو لِلّوَّمِ
وإذا طُعِنْتُ مِنَ الّذي أحْبَبْتُهُ ... فَعَلَيَّ وِزْري، لا عَرَفْتُ تَنَدُّمي
دُنْيا سَأقْطَعُها بِغَيْرِ تَرَحُّمٍ ... مِنْها، ولم أبْخَلْ لها بِتَرحُّمي!
يا مَنْ يَعيشُ مُشاغِباً، وحَياتُه ... خُدَعٌ على خُدعٍ[3]، وَجَمُّ تَوَهُّمِ
لا تَحْسَبَنّي بَعْدَ غَدْرِكَ وامِقاً ... إنَّ المَحَبَّةَ لا تَكونُ لأرْقَمِ
إنْ كانَ أعْماني تَوَدُّدُ ماكرٍ ... مُتَفَنِّنٍ، أوْ ساحِرٍ مُتَرَنِّمِ
فالحَقُّ يَأبى أن أضَيِّعَ رَحْمَتي ... والعَدْلُ يَأبى أن أُضَلَّلَ كالعَمي!

١٩ حزيران/يونيو ١٩٥٤

---

[1] الريبة: الشك؛ (و.ف).
[2] تَخِذَ: اتخذ؛ (و.ف).
[3] خُدَعٌ: جميع خُدعَةٍ، كظُلمَةٍ وظُلم، والخُدْعَةُ هي الخِداعُ.

أعياد حزيران

في شهر حزيران/يونيه من عام ١٨٦٨ أدخل التعديل الخامس عشر على الدستور الأميركي ضامناً نهائياً الحريات الشعبية الشاملة، وفي حزيران/يونيه من عام ١٩٥٢ أعلنت الجمهورية المصرية

طوبى ومَرْحى إذا الأحْرارُ جَمَّعَهُمْ — عيدٌ، وألَّفَهُمْ تحريرُ إنسانِ
لا مَجْدَ لِلأرْضِ إنْ دَبَّ العَبيدُ بها — وإنْ تُسَخَّرْ لأصنامٍ وأوثانِ
إنْ أَطْلَعَ الوَرْدَ هذا الشَّهْرُ مُزْدَهياً — فإنَّ أجْمَلَهُ تحريرُ عُبْدانِ
العالَمُ الحُرُّ حَيّاهُ ومَجَّدَهُ — وَحَفَّهُ بتراتيلٍ وقرآنِ
فاقَتْ بإخلاصها الواعي ورَهْبَتِها — آيَ التَّبَتُّلِ في تَسبيحِ رُهبانِ
إنَّ الأُخوَّةَ للإنسانِ حِلْيَتُهُ — قَبْلَ التَّضَلُّعِ من دينٍ وعِرْفانِ
إنَّ التَّحَرُّرَ للإنسانِ عِزَّتُهُ — قبلَ الجَلالةِ من مُلْكٍ وسُلطانِ
إنّ المُساواةَ للإنسانِ قيمتُهُ — قبلَ انتسابٍ لأجدادٍ وأوطانِ
في مِثْلِ ذا اليومِ ثارَ الحقُّ ثورتَه — شَوْقاً لِفكّ قيودِ البائِسِ العاني
فأصبَحَ الحقُّ بالجُمهورِ مُنْدَمِجاً — مِنْ بَعْدِ ما كانَ إرثَ الباطشِ الجاني
فأيّ نَجْوى إذَنْ تُزْجى لروعتهِ — أجلُّ من شُكْرِ أرواحٍ وأبدانِ؟
ومِنْ إطاعتِهِ، لا طوعَ عُمْيانِ، — بلْ طَوْعَ ذي بَصَرٍ حُرٍّ وإيمانِ؟
في كلِّ عامٍ نُحَيّي عيدَه شَغَفاً — كالفَيْضِ في شوقِ أنهارٍ وغُدرانِ
لَدُنْ يُجَدّدُ أرواحاً لنا فَنيَتْ — من الكفاحِ ومن ظُلْمٍ وبُهتانِ
أُنْسيتُ نيسانَ إذْ ماتَ الرَّبيعُ بهِ — لَمّا لَثَمْتُ الأماني في حَزيرانِ
كأنَّما خُلِقَتْ من نَوْحِ أفئدةٍ — كالنّورِ يُخْلَقُ من تَسْعيرِ نيرانِ
أو أنَّها بَعْدَ جَدْبٍ شِبْهُ فاكهةٍ — تألَّقَتْ طِفْلَةً في حِضْنِ بُسْتانِ
نَحْنو عليْها ونَرْجو أن تُزامِلَنا — مَعَ الحَياةِ لأزمانٍ وأزمانِ

وأنْ تَعُـمَّ شُـعوبَ النّـاسِ قاطبـةً مثـلَ الهـواءِ ومثـلَ النّـورِ في آنِ
بوركتَ يا عيدُ، ما أحياك أحياني ودُمْتَ يا عيدُ ذِكرى كُلِّ إنسانِ!

منـزلي

وَلـي مَنْـزِلٌ لَقَّنْتُـهُ سِـرَّ عُـزْلَتي فَباركَهـا، ثُـمَّ اسْـتَحالَ شِـعارا
وَمَـدَّ لَفيـفَ الكَـرْمِ حتّـى رأيتُـهُ سَـتائرَ غَنَّتْهـا الظّـلالُ مِـرارا
وحَفَّـتْ بـه الأشـجارُ مِلءَ حُنوِّهـا تُخَبِّئُـــهُ مهمـــا أطَـلَّ جَهـــارا
كـأنَّ لهـا فيـهِ كُنـوزاً ثمينـةً وليسـتْ سِوى حُبّـي لهنّ تـوارى
فيا مُسْتَحَمَّ الطَّير[1] إنْ تُفْشِ سِرَّنا عَـذَرْتُكَ، كَـمْ طـيرٍ لـديكَ تَبـارى
وأيُّ خَفــاءٍ نَســتطيعُ وهــذه حُلَيُّـكَ تَعْلـو في الهـواءِ نثـارا؟
وحانَ كُسوفُ الشَّمْسِ لكنّما أبَي لها الطّيرُ عُذراً حـين حـطَّ وطـارا
وراح يعـبُّ المـاءَ سـكرانَ بـالهوى كمـا عَـبَّ في عيـدِ الربيـعِ سُكارى
تَنَوّعـتِ الأحجـامُ مـن كـلِّ صِـبغةٍ جــواهرَ أو كـــالنور رفَّ وثـــارا
وبعثَـرتِ المـاءَ الضّـحوكَ للَهْوِهـا فردَّتْــه مجنونـــاً فطـــار شـــرارا
فيـا شمـسُ غـيبي أو أطِلّـي فإنّنـا نَـرى ضَـوْءَك الوهّـاجَ كـانَ مُعـارا
وقـد وحَّـدَتْنا في تصـوُّفِنا مُنـىً تَفـيضُ ضـياءً في القلـوبِ ونـارا

٣٠ حزيران/يونيه ١٩٥٤

---

[1] النافورة التي يستحمّ فيها الطير بحديقة الشاعر فيعرض منظراً جدّ شائقٍ بألوانه ورياضته.

يوم المعاد[1]

عيد الثورة المصرية

لم يَنْهَضِ الظُّلْمُ في يومٍ بإنسانِ فالظُّلْمُ والموتُ للإنسانِ سِيّانِ
وليس يُعْرَفُ عيدٌ في جَلالتِهِ أجَلُّ مِنْ عيدِ تَحريرِ لإنسانِ
فكيفَ بالعيدِ أحيا أمّةً رزَحَتْ تحتَ البَلاعَيْنِ مِنْ جَهْلٍ وَطُغْيانِ
كأنَّما كُلُّ ماضيها الّذي حَفَلَتْ به الشُّعوبُ خُرافاتٌ لِسَكْرانِ
فلا هياكلُ أخناتونَ قدْ نَهَضَتْ على ثَراها، ولا تَوْحيدُ أديانِ
وليسَ أُحْمُسُ مَنْسوباً لِوَثْبَتِها ولا تَجَلَّتْ بها آياتُ عِرْفانِ
ولاَ تَهادى بها التّمْدينُ مُنْبَسِطاً والنّيلَ ما بينَ إحْياءٍ وإحْسانِ
وَلا تَهافَتَ مَنْ راموا مَوَدَّتَها على مَنائِرَ جازَتْ كُلَّ حُسْبانِ
شَأْيِ الغُزاةُ فُنوناً مِنْ مَآثِرِها فما استطاعوا وأعْطَتْ كُلَّ فَنّانِ
وأوْغَلوا فَتَواروْا في مَقابِرِها تَواريَ السَّيْلِ في أعْماقِ كُثْبانِ
كأنَّما الفاطميّون الأُلى ابتَدَعوا لها الحَضارةَ كانوا أهْلَ بُهْتانِ
كأنَّما الأزهرُ المَعْمورُ فارقَها وبيعَ سُكّانُها في سوقِ عُبْدانِ
كأنَّما كُلُّ ما أعْطَتْ وما خَلَقَتْ لَغْوٌ، ويَصْدُقُ فيهِ الحاقدُ الشّاني
مَنْ شَوَّهَ المَجْدَ حتّى صار مَنْقَصَةً وأفسدَ الحَقَّ حتّى صارَ كالجاني؟
لا شَيْءَ غَيْرُ عُتوِّ الظُّلْمِ دانَ له مَنْ لا يَدينُ لأصْنامٍ وأوثانِ
كأنَّما أنكرَ الأديانَ أجْمَعَها مَنْ قَدَّسوها، فهانَتْ دونَ أثْمانِ
وباتَ كافورَ مَنْ كُنّا نُرَجّبُهُ وإنْ يكُنْ في أديمٍ أبيضٍ قاني
مَنْ سَخَّرَ الدّينَ عَبْداً في فَضائِحِهِ ولمْ يَزَلْ خَصْمَ إنجيلٍ وقُرْآنِ

---

[1] أذيعت هذه القصيدة من محطه صوت أميركا في الثالث والعشرين من تموز/يوليو ١٩٥٤.

مَن داسَ فوقَ رِقابِ الناسِ أجمعِهِمْ ... كأنَّهم حَشَراتٌ مَوْتُها داني
إلاّ فَريقاً مِنَ الأحْرارِ قد عَمِلوا ... لِلثَّأرِ ما بَيْنَ تشريدٍ وحِرمانِ
واستعذَبوا النَّفْيَ رغمَ البؤسِ يُرْهِقُهُمْ ... حتّى يُؤدّوا أماناتٍ لأوْطانِ
واسْتَمْرَؤوا الموتَ مِمَّنْ راحَ يَسْحَقُهُمْ ... كأنَّهم حَشَراتٌ مَوْتُها داني
واسْتُشْهِدوا في سَبيلِ النُّبلِ ليسَ لَهُمْ ... هَمٌّ يَمُتُّ لهذا العالَمِ الفاني
فِدىً لِمِصْرَ الّتي عَزَّ المَسيحُ بها ... طِفْلاً، وعادَ لها في دينِه السّاني
فِدىً لِمِصْرَ الّتي الإسلامُ باركَها ... كِنانَةِ اللّهِ ما دانَتْ لِكُفْرانِ
فِدىً لخيرِ مِثاليّاتِها، وفِدىً ... لجيلِها الواثِبِ المُستيقظِ الباني
حَتّى استجابَ لها الأحرارُ أجمعُهمْ ... والجَيشُ واحتَشَدوا في وَجْهِ شَيْطانِ
وخَرَّ مِنْ عَرْشِهِ المَنْهوكِ في وَجَلٍ ... كأنما هو مِنْ خوصٍ وعيدانِ
وراحَ شَرَّ طريدٍ مصرُ تَلْفُظُهُ ... لِلبحرِ مثلَ وَبيءٍ بينَ جِرْذانِ
يا ليتَ مِصْرَ الّتي قدْ خانَ نِعْمَتَها ... وارَتْهُ في إثْمِهِ مِنْ غَيْرِ أكْفانِ
وعلَّها اليومَ في ذِكْرى لِثَوْرَتِها ... لا تَكْتَفي بازدراءٍ أو بِنِسْيانِ
فالحقُّ تأييدُه في كَفِّ إيمانٍ ... والبَطْشُ تَبْديدهُ في كَفِّ نيرانِ!

*****

تَمّوزُ يا شَهْرَ أعيادٍ مُحَجَّلَةٍ ... وكُلُّ عيدٍ لَه عيدٌ لِوِجْداني
مَنْ لي بِزَوْرَةِ أوْطانٍ فُتِنْتُ بها ... وإنْ أكُنْ في رُبوعٍ مِثْلِ أوطاني
لأشْهَدَ الفَرْحَةَ العُظْمى وأنْشُرَها ... عِطْراً بشِعْريَ أو نوراً بألحاني
وأرسمَ اليومَ مَعْنى مَجْدِها الثّاني ... في فَخْمِ ألْوانِهِ لا فَخْمِ ألواني
وأرْقُبَ الكادحَ الفَلاّحَ مُمْتَلِكاً ... لأرْضِهِ، لا بَهيماً مِلْكَ أطيانِ
وأنْظُرَ المَجْلِسَ الشّوريَّ مُجْتَمِعاً ... في عِزَّةِ الحُرِّ لا في ذِلّةِ العاني
وكُلُّ أعْضائهِ زانوا مَقاعِدَهُمْ ... كما تَلألأُ أفكارٌ بأذْهانِ

قَدْ أقسَموا أنْ يَصونوا مِصرَ عنْ سَفَهٍ ... ويُبْلِغوهـا مكانـاً فـوقَ كيـوانِ
ويُسْـهِموا في حَضـاراتٍ مُنَوَّعَـةٍ ... لا في سَفاسِـفِ أوْهـامٍ وأضْـغانِ
وَيَجْعَلـوا الـدّينَ مَعْنـىً لا يُلَوِّنُـهُ ... إفْـكُ السِّياسـةِ أو تَسْـميمُ ثُعبانِ
إنْ كُنْتُ في البُعْدِ لم يَعْطِفْ سِوى حُلُمي ... علـى حَنيني، فهـذا الحُلْـمُ غُنْيـاني
أو كُنْتُ في البُعْدِ مَنْسيّاً فَما بَرِحَتْ ... روحي تُرَفْرِفُ في أصداءِ تَحْناني!

*****

أبْنـاءَ مِصْـرَ الّتي تَسْمو مَناقِبُهـا ... فـوقَ الفَـراعينِ في تَقْـديرِ أزمـانِ
مِثْـلَ الجَـواهرِ زادَ العُمْـرُ قيمَتَهـا ... أو كـالنُّجومِ بِعُمْـرٍ جِـدُّ نـوراني
اليـومَ مَبْـدَأُ عَهْـدٍ كُلُّـهُ هِمَـمٌ ... كـالنَّيِّراتِ أضـاءَتْ وَسْطَ إدْجـانِ
لا عُـذْرَ بَعْـدُ لِيَـأْسٍ قَـدْ يُسـاوِرُكُمْ ... فـإنَّكمْ أهـلُ هـذا المَـوْطِنِ الحـاني
الجيشُ أنتمْ وأنتمْ مِصْـرُ، لا مَلِـكٌ ... جـانٍ علـيكُم، ولا آثـامُ أعْـوانِ
وحَظُّكُـمْ بـينَ أعمـالٍ مُخَلَّـدَةٍ ... وتَضْـحياتٍ لأبْطـالٍ وشُـجْعانِ
رِسـالَتي قَبْـلُ كانَـتْ في إثـارَتِكُمْ ... كَمـا يُثـارُ شَـواظٌ طَـيَّ بُركـانِ
واليومَ غَنّى لكمْ شِعْري مَحامِدَكُمْ ... كَمـا تَغَنّـى بِنَفْحِ الزَّهْـرِ بُسْـتاني!

٢٣ تموز/يوليه سنة ١٩٥٤

الجـــلاء[1]

الجَـلاءُ! الجَـلاءُ! رَدَّدَتِ الأصْـداءُ بُشْـرى، ويـا لَهـا اليـومَ بُشْـرى
لم يَقُلْهـا فَـرْدٌ ولا الجَـيْشُ والشَّـعْبُ، ولكـنْ كـلُّ الّـذي عُـدَّ مِصْـرا

---

[1] بعد اثنتَين وسبعينَ سنة من الاحتلال الأجنبي عقدَتْ مصرُ وبريطانيا اتفاقية الجَلاء واهتزَّ الأثيرُ بالنبأ العظيم الذي احتفتْ به مصرُ أروعَ احتفاءٍ، فاهتاجتْ قريحة شاعرنا على الفوْر لنظم هـذه الأبيـاتِ الوجدانيةِ الراقصةِ التي وَجَّهَ خاتِمتَها إلى أزهار الخُزامى المعدودةِ رَمْزاً لِمصرَ؛ وقدِ انتظمتْ حديقتُهُ بعضَها.

مِــنْ ثَراهــا ومِــنْ سَــماها ومِــنْ كُــلِّ الّــذي أنْبَتَتْــهُ فَنّــاً وَفِكْــرا
في نَشــيدٍ مِثْــلِ المَــزاميرِ حُنْــوٍ رَنّــحَ الأنبيــاءَ مِــنْ قَبْــلُ دَهْــرا
سَــمِعَتْهُ الآثــارُ فاهتــاجَ فيهــا عِــزَّةٌ والنخيــلُ فــاهتزَّ فَخْــرا
وتَهــادى النّيــلُ الّــذي كــانَ مِــنْ قَبْــلُ أسـيراً إذْ أصْـبَحَ اليــومَ حُــرّا
والحُماةُ الأبْطالُ مَنْ طَرَدوا الهِكْسوسَ أضْحى لَهُمْ فُتوحاً ونَصْرا
وجُيــوشُ الكُمــاةِ مِــنْ عَهْــدِ رَمْسـيسَ أطَلّــوا مُهَلِّلــينَ وسَـكْرى
مــا رَأَتْهُــمْ عَــينٌ ولكــنْ رأتْهُــمْ مُهَــجٌ بالوَفــاءِ للأمْــسِ حَــرّى
وَرأتْهُــم أحْــلامُ جيــلٍ وجيــلٍ رَقَصَــتْ كالضّــياءِ لَحْنــاً وشِــعْرا
والخُزامــى الحييَّــةُ الّــتي مَثَّلَــتْ مصــرَ جَمــالاً وعَبَّــرَتْ عنــه عِطْــرا
أنْــتِ بَعْــضٌ منهــا نَزيلَــةَ بُسْــتاني، فَهَيّــا نُعَيِّــدِ اليــومَ جَهْــرا
ذاكَ دَمْعــي مِــنْ فَــرْحَتي نَثَرَتْــهُ مُهْجَــتي فارْشُــفيهِ حُبّــاً وشُــكْرا
إنْ نكُــنْ نَحْــنُ كــالغَريبَيْنِ لم نَبْــرَحْ بإيمانِهــا المُخَلَّــدِ أدْرى
غَمَرَتْنــا منهــا الحَيــاةُ علــى البُعْــدِ كــأنّ الأثــيرَ قــدْ حــالَ غَمْــرا
فانْتَشَــيْنا، وكُــلُّ عيــدٍ سَيُنْســى غَيْــرَ عيــدٍ لِفَــكِّ أسْــرى وأسْــرى!

٢٧ تموز/يوليه ١٩٥٤

عيد النّيروز[1]

ذِكْرى الأُباةِ ومَطْلَعَ الشُّهَداءِ ... هذا دُعاءُ المُفْلِحينَ دُعائي
عَبَّرْتُ عن أحرارِ مصرَ بِغُرْبَتي ... وَلَرُبَّ ناءٍ كانَ غيرَ النّائي
وجَعَلْتُ تَبْريكي مُشاطَرَةً لها ... بعَواطِفي ومَدامِعي ورَجائي
في فرْحَةِ ألنّيلُ هَلَّلَ مِثْلَنا ... لِسَنائها واختصَّها بوفاءِ
أوْفى وحَوْضُ النيّلِ أصبحَ كُلُّه ... حُرّاً ففاضَ بِحُبِّهِ المِعْطاءِ
الحُسْنُ في نظراتهِ كالخِصْبِ في ... خَطَراتهِ، كالوَحْيِ لِلشُّعراء
مَرَّتْ عُهودُ الحاكمينَ بأمرِهِمْ ... واليومَ بَعْثُ الحَقِّ والشُّهداءِ
مَنْ لم يُصَدِّقْني فذلكَ حَوْلَهُ ... جَمٌّ مِنَ الآياتِ والآلاءِ
الشَّعْبُ مَجَّدَها، وهذا جَيْشُهُ ... قد حاطَها بمَناعَةٍ وعلاءِ
أنّى نَظَرْتَ تَرى مَواكِبَ نُسِّقَتْ ... لِلْحُبِّ بينَ تَرنُّمٍ وضياءِ
وتَرى النّخيلَ على السَّماءِ زَواهِياً ... فالنِّيلُ فاقَ جَمالَ كُلِّ سَماءِ
تَتألَّقُ الآمالُ فوقَ نُضارِهِ ... كَتَألُّقِ الأحْلامِ في الصَّحْراءِ
وتَرى جُموعَ الفالِحينَ تَعرَّفوا ... أقْدارَهُمْ، فَغَدَوْا مِنَ الأُمراءِ
الفأسُ في يدِ كلِّ فَرْدٍ ماثِلٌ ... كالصَّولجانِ، وشامخٌ لِلرّائي
يا ليتَني في مصرَ ألْثِمُ تُربَها ... كالنّيلِ يَلْثِمُ شَطَّها بولاءِ

---

[1] النَّيروزُ هو بداية السنة المصرية القديمة التي ما تَزالُ معمولاً بها لدى جَمْهَرَةِ الشَّعْبِ المصريِّ أيِ الفلاحين، وتُعَدُّ أولَ تقويمٍ شَمسي دقيق في تاريخ العالم، وكنت مُتَّبعة حتّى بعدَ عهد محمد علي الكبير، إلى أن حلّتْ في مصر الرّقابةُ الأجنبيةُ. وفي سنة ٢٨٣ للميلاد وقتَ أنْ كانت مصرُ تحتَ حكم الرومانيين، وكانوا لا يزالون وثنيّين، بينما كان المصريون قد اعتنقوا الديانة المسيحية، اضطهدهم الأمبراطور إقلديانوسُ وسامهم العذابَ والقتلَ، واستشهدَ منهم عددٌ كبيرٌ جداً، ولذلك اعتبر الأقباطُ هذه السّنة سنةً تاريخية، وصاروا يؤرّخونَ حوادثهم من ذلك الوقت وسمّوها "سنة الشّهداء". وفي ١١ من أيلول/سبتمبر ١٩٥٤ تبتدئ سنة ١٦٧١ للشّهداء، ويكون دائماً الفرق ٢٨٣ سنة بين الميلادية والشّهداء. ويتّفق النيروز أو يكاد مع وفاء النّيل، ولذلك استوحاها الشّاعرُ كما استوحى أرواحَ الشهداء في هذه القصيدة الوطنية التي حيّا بها هذا العيد القومي.

حتّى أُجَدِّدَ مِنْ غِنى إكْسيرِهِ		عُمْري وَأرْشُفَ نِعْمَتي ورِوائي
فرحانَ كالطِّفْلِ الصّغيرِ تَجَمَّعَتْ		كُلُّ الكُنوزِ لِصَفْوِهِ في الماءِ
لِمَ لا ولِلنَّيْروزِ رَوْعَةُ ساحرٍ		قد جالَ بينَ عواطِفي ومَرائي؟

*****

أبناءَ مِصرَ المُخلصينَ تَسابَقوا		لأبيكُمو المُعْتَزِّ بالأبْناءِ
وخُذوا هَديَّةَ عيدِهِ ما نِلْتُمو		مِنْ نصْفَةٍ وتَحَرُّرٍ وإخاءِ
حتّى يُبارِكَها مُباركَةَ الهُدى		فتَزيدَ بينَ سَماحةٍ ونقاءِ
وتَصيرَ كالنّيلِ العزيزِ أبيكُمو		قُدُساً تَنَزَّهَ عن هَوىً ورياءِ
العيدُ هذا! عيدُ مِصْرَ بِأسْرِها		لا عيدُ طائفةٍ ولا أهْواءِ
غَنّى بِهِ الفَلاّحُ مثلَ زُروعِهِ		ودُموعِهِ في الحَقْلِ والأنْداءِ
يا ليتَ لي في كلِّ عامٍ وقفةً		كالحَجِّ بينكُمو، وليْتَ ثوائي
حتّى أُنافِسَ كُلَّ حُرٍّ مولَعٍ		بالنّيلِ، مبتدِعاً فُنونَ غِنائي
وأُلَقِّنَ الأحْفادَ ما لُقِّنْتُهُ		مِنْ قَبْلُ مِنْ سِرٍّ لِفَرْطِ إبائي
لا يعرِفُ الأحرارَ إلاّ مُسُّهمْ		في التَّضْحياتِ وقانِعٌ بِعَناءِ
فَلْتَحْيَ يا وَطني الأصيلَ مُنَعَّماً		بِتَتابُعِ الأعْيادِ كالأضْواءِ
ولْتَحْيَ جُمْهوريّةٌ أحْرَزْتَها		كالبَعْثِ بَعْدَ تَبَدُّدٍ وفَناءِ
تَرْقى الشُّعوبُ على سَواعِدِ أهْلِها		وتَهونُ تَحْتَ سَنابِكِ الدُّخَلاءِ

١٧ آب / أغسطس ١٩٥٤

باقة حبّ

وَدَّع بها الشاعرُ الدكتور عمادَ الدين إسماعيل الأستاذ بمعهد التربية قُبيل عودته إلى مِصرَ في العشرين من آب/أغسطس ١٩٥٤، وضَمَّنها تأمله في شبابِ مصرَ الجديدةِ وحنينَهُ إلى ربوع النيلِ

يا قاصداً مِصرَ في زَهْوٍ وفي جَذَلٍ ... هُنِّئْتَ، ما مصرُ إلاّ أُمُّ أوطانِ
أُمُّ الحَضارةِ، ما كانَتْ طُفولَتُها ... إلاّ مَفاخِرَ فَنّانٍ وإنسانِ
لكُلِّ فردٍ بلادٌ يَستعزُّ بها ... ومِصْرُ، مهما استقلَّ، الموطنُ الثاني
لها عُهودٌ على الدُّنيا مُوَثَّقَةٌ ... فطالَما حَبَتِ الدُّنيا بإحسانِ
أنتَ ابنُها البَرُّ لا تُنْسيكَ مَنزِلَةٌ ... حَقّاً عليْكَ، ولا كَرٌّ لأزْمانِ
ومَنْ يُعَدُّ عِماداً في تَخَصُّصِهِ ... وخالِقاً لِمَزايا جيلِها الباني
عَلِّمْ، وعَلِّمْ، فلا خيرٌ لأمّتنا ... إلاّ مِنَ العِلْمِ، إنَّ العِلْمَ نورانِ
والثِمْ ثَرى مصرَ عَنّي راكِعاً شَغَفاً ... وخُذْ فؤاديَ عَنّي بَعْضَ قُربانِي
عِلْمٌ كَعِلْمِكَ غَذّاني وأحْياني ... كَذاكَ خُلْقُكَ يَوْمَ اليَأْسِ أحْياني
وما أقولُ "وَداعاً" بلْ أقولُ "عُلىً" ... في مَوْطِنِ الشَّمْسِ ناجاني وناداني
يا مَنْ تَواضُعُهُ عُنْوانُ حِكْمَتِهِ ... وقَدْرُهُ فوقَ تقْديرٍ وعُنْوانِ
ومَنْ شُغِلْتُ طَويلاً عَنْ مجالِسِهِ ... لأنْتَ أدنى إلى قَلْبي مِنَ الدّاني
عَهْدٌ عليكَ: شَبابُ النّيلِ تُرْشِدُهُمْ ... لِلْحَقِّ إنْ خانَهُمْ تَدْجيلُ شَيْطانِ
إنَّ الشَّجاعةَ أسْمى ما اتَّصَفْتَ بِهِ ... فاصْدَعْ بها الباطِلَ المُسْتَأْسِدَ الجاني
لا خيرَ في العِلْمِ صارَ الجُبْنُ سَيِّدَهُ ... فالعِلْمُ بالعلمِ يَرْقى دونَ سُلْطانِ
هذي تَحيَّةُ مَهْجورٍ ومُغْتَرِبٍ ... وباقَةٌ مِنْ أحاسيسي وألحاني
لم ألْقَ غيرَكَ مَوْهوباً ليَرْفَعَها ... لمصرَ حينَ وفاءُ النّيلِ ناجاني
ولمْ أجِدْ نابغاً أوْلى بتَكْرِمَتي ... ولا مِثاليَّةً أوْلى بإيماني
فَعِشْ لقوْمِكَ، بَلْ للنّاسِ أجمعِهِمْ ... وعُدْ لِقَومِكَ ذُخْراً ليس بالفاني

وداع فرحات زيادة

ألقى الشّاعرُ هذه القصيدة شبه الارتجاليّة في حفلة توديع الأستاذ الأديب فرحات زيادة الذي استقال من إذاعة صوت أميركا في أيلول/سبتمبر سنة ١٩٥٤ ليتفرّغَ لتعليمِ العربيّة في جامعة برنستن

قالوا لنا: فَرحاتٌ سوف يَتركُنا ... فقلْتُ: يا قومُ! جاءَ الهَمُّ والكَدَرُ!

مَنْ ذا سِواهُ خَليقٌ أن يودّبَنا ... وأن يُعَلِّمَنا ما الخُبْرُ والخَبَرُ؟

وما "الجِرامَرُ" ألْغازاً وأُحْجيةً ... والفَرْقُ ما بينَ عَمْرٍو قال أو عُمَرُ؟

هيهاتَ! هيهاتَ! لم يَبْلُغْ مكانَتَهُ ... إلاّ حبيبٌ[1]، فكمْ عَزَّتْ لَهُ سوَرٌ

ويا لَهُ "سَيّداً للخلقِ" نَعْبُدُهُ ... كأنَّه الصَّنَمُ العُزّى أو الحَجَرُ

ولَسْتُ أُنكِرُ أنَّ الدِّسكَ[2] زيّنَهُ ... "الشَّمْسُ" والرائعُ "المرّيخُ" و "القَمَرُ"[3]

ثلاثةٌ فرحاتٌ راحَ يَخْلُقُهُمْ ... مِنْ بَعْدِ ما فَرِحوا بالموتِ أو قُبِروا!

يا راحلاً ولَهُ في ذِكْرِنا أثَرٌ ... بورِكْتَ كمْ حاضرٍ لم يُبْقِهُ أثَرُ

إلى مَباءَةِ دَرْسٍ أنتَ تَعْشَقُهُ ... ونحنُ نَدْرُسُ في قَيْظٍ ونُحْتَضَرُ

عَلِّمْ، وعَلِّمْ، وأنْجِبْ كُلَّ نافِعَةٍ ... فليسَ يَخْلُدُ إلاّ العِلْمُ والفِكَرُ

واسْعَدْ بِدُنْياكَ في بَحْثٍ وفي كُتُبٍ ... إنْ كانَ يُسْعِدُ مَنْ لم تُرْضِهِ الهَذَرُ!

أيلول/سبتمبر ١٩٥٤

---

[1] يعني القسمَ العربيّ في الإذاعة.

[2] هو الأديبُ الرَّصينُ حبيب مصابني، عُضو القسم العربي في إذاعة "صوت أميركا" وهو ينافس الأستاذ فرحات زيادة في وسامة البنية وفي الطموح ويتميّز عنه بشكوى الزّمان، وممّا اشتهر فيه قول صديقه الشاعر المتفكّه في عيد الأضحى (على لسان الأستاذ حبيب):

أيا كبشَ الفِداء فدتْكَ نفسي ... فإنّي ذلك الكبشُ الكئيبُ

يُرقّى الناسُ في voice of America ... ويَرقى فوقَ خازوقٍ حَبيبُ!

[3] ثلاثة آخرون من زملاء الشاعر في الإذاعة.

يوم العمل

عَرفناكَ يا يومُ عيدَ الحَياةِ، فإنَّ الحياةَ لمن يَعْمَلُ
كَذا عَلِمَتْ عِلْمَنا الكائناتُ وأسمى الكواكبِ والمِنْجَلُ
وفي الحَركاتِ صَميمُ الحَياةِ، إذا فاتَها الميّتُ المُهْمَلُ
نَثِبْ حَوْلَنا راقِصاً ضاحِكاً أيا عيدُ واحْفِلْ كَما نَحْفِلُ
فهذي الجُموعُ شُهودُ الكِفاحِ، رُموزُ السَّلامِ الّذي يُؤْمَلُ
لها العَمَلُ المُسْتَعِزُّ الشّعارُ، وإيمانُها: المَعْبَدُ المَعْمَلُ
فَفيهِ الإخاءُ وفيهِ الرّخاءُ وفيهِ الحَضارةُ تُسْتَكْمَلُ
وفي كلِّ عامٍ لنا وَقْفَةٌ تُذَكِّرُ بالحَجِّ أو مَحْفِلُ
نُحاسِبُ أنفُسَنا بينَما يُداعِبُنا المُقْبِلُ الأمْثَلُ
يَرى أنَّنا أُمَّةٌ لا تَنامُ على الضَّيْمِ أو قَدْرُها يُغْفَلُ
تَساوَتْ بها فُرَصُ العاملينَ ومنْها البَطالَةُ تُسْتَأصَلُ
وفيها التكافُؤُ أسمى المظاهِرِ والعَمَلُ المُثمرُ الأجْمَلُ
ومَنْ كانَ يَعْمَلُ فهو الأميرُ، ولا هكذا مُتْرَفٌ يَهْزِلُ
فيا عيدُ يا مَنْ سَبَقْتَ الخريفَ بِعَهْدِ الرَّبيعِ الّذي تَحْمِلُ
وَفيكَ الهُدوءُ وفيكَ التجدُّدُ والحزمُ والعزمُ والمَوْئِلُ
تَدَفُّقُ غِناءَ، تَدفُّقُ مَظاهرَ لِلصَّفْوِ والحُبِّ تُسْتَأْهَلُ
فإنّا رُعاةُ حُقوقِ الشعوبِ ولو بينَها المُرْهَقُ الأعْزَلُ
وما هي إلاَّ سنونٌ تُعَدُّ فَيَسْجُدُ للحقِّ مَنْ ضَلّلوا!
نَعيشُ بعَصْرٍ لهُ ثَوْرَةٌ على الضعفِ والجهلِ لا تُجْهَلُ
فيا أُممَ الشرقِ لا تيأسي فما عَزَّ دونَكِ مستقبلُ

هَلُمّـي مُجَنَّحَـةً بـالعُلومِ إلى الشـمسِ فالشّـمسُ لا تَنْـزِلُ
هَلُمّـي مُحَصَّـنةً بالعَدالـةِ للمجـدِ، فالمجـدُ لا يُبْـذَلُ
وحَسْـبُكِ مَوعظـةً يـومُ عيـدٍ تَسـاوى بـه النـاسُ واسـتأهلوا

*****

وسـوئِلْتُ أيـنَ قَصيدي المُحيّـي؟ ومـا مِثْـلُ شـعريَ مـا يُسْـأَلُ
تَـدَفّقَ كـالنَّبعِ فـوقَ الصَّـفاةِ إذا النبـعُ غازلَـهُ البلبـلُ
ففـي كُـلِّ مَـرْأىً حيـالي نَشـيدٌ وأهونُـهُ مـا شَـدا الجـدولُ
وأعظمُـهُ مـا حكـاهُ الأنـامُ قَصـائدَ كالحُـبِّ لا تَـذْبُلُ
فيـا عيـدُ فِـضْ بالأمـاني الحِسـانِ فـإنَّ الأمـانيَّ لا تُمْهَـلُ
ويـا عيـدُ رَتِّـلْ أحَـبَّ الأغـاني، أغـانيَ للحـقِّ لا تُغْفَـلُ!

أيلول/سبتمبر ١٩٥٤

وداع نيويورك

أُضَـحّي بِتَرْحـالي، ومِثْلـيَ مَـنْ ضَـحّى — إذا الواجـبُ المَحْتـومُ ناشَـدَ أوْ أوْحـى
وهيهاتَ أن أنسـى خُشـوعيَ لاثِمـاً — ثَـراكِ، كـأنّي مُذْنِبٌ يَطْلُبُ الصَّـفْحا
لَدُنْ جُـزْتُ آلافَ الفَراسـخِ ساخِطـاً — على الظُّلْمِ والظُّلّامِ، أُشْبِعُهُمْ قَدْحا
وهـانَ لَدَيَّ الصّيتُ والجـاهُ والغِنى — فَمِنْ غَيرِها قَلْبي تَنَسَّـمَ واسْتَوْحى
وقـدْ كُنْـتِ لـي بَيْتـاً ومِنْبَـرَ دَعْـوَةٍ — كَما كُنتِ لي نوراً شَأى صُبْحُهُ الصُّبْحا
سـنونٌ ثَمـانٍ أو تَزيـدُ عَرفتُهـا — كـأنَّ لهـا مِـنْ ألـفِ ليلـةٍ مُسْـتَوْحى
عَجائـبُ مِنْ صُنْعِ الحَضـارةِ جاوزَتْ — تَهاويلَ مَـنْ خـالوا عجائبَهـا مَزْحـا
وقد ضـاقَ ذَرْعاً مَنْ سَلَبْتِ نُعاسَهُمْ — فَلَيْلُـكِ نـورٌ مثـلَ عِلْمِـكِ لا يُمْحـى

ولكـنَّني آنسْـتُ فيـكِ سَـعادَتي ... ولم أنْسَ تَرْحيباً طَلَعْتِ به مَنْحا
كـأنّيَ مـن أهْليكِ بـلْ مِـنْ عُيـونِهمْ ... فـأمْطَرْتِني حُبّاً، وجَدَّدْتِ لـي نَفْحـا
فأنجبْـتُ آثـاري الرَّوائـعُ مِثْلَمـا ... تَجـاوبَ نحـلٌ والبَسـاتينَ والطَّلْحـا
ولـيسَ الأُلى خـالوكِ مَحْضَ جَهامَـةٍ ... بِمَـنْ عَرَفـوا مَجلـىً لِحُسْـنِكِ أو مَنْحـى
مُعَلِّمَـةَ الأحْـرارِ كيـفَ صُـمودُهُمْ ... وجاعلَـةً أحْلامهـم كُـلَّ مـا صَـحّا
يُـؤرِّقُ بُعْـدي عنْـكِ حَتّـى كـأنَّني ... إلى النَّفْـي أمْضـي، لا إلى جَنَّـةٍ فِيْحـا
فإنْ عِشْتُ في نُعْمى فلا زِلْتِ كعبةً ... تُـزَوِّدُ بالإيمـانِ مُهْجَـتِي الفَرْحـى
تَعَـوَّدْتِ مَـدْحَ الوافِـدينَ وقَـدْحَهُمْ ... جُزافـاً، ولكنّـي وَزَنْـتُ لـكِ المَـدْحا
وقـدْ صُـغْتُه حتّـى كـأنَّ عـواطِفي ... سَكَنَّ بـه، أو أنَّـهُ آيَـتي الفُصْـحى
تَمثَّـــلَ حُبّــاً بالغِــاً، وأمانيــاً ... أضَعْتُ، وسَفْحاً من دُموعيَ أو جُرْحـا
وقـدْ تُتْرَكُ الأمْصـارُ، لا عَـنْ تَجَنُّبٍ ... ولا عـنْ سُـلُوٍّ، شـأْنَ مَـنْ يَنْشُـدُ الرِّبْحـا
ولكنْ بِحُكْمِ الحَظِّ، فـالحظُّ كـالوَغى ... وفي عُنْفِها الهيجاءُ قدْ تَلِدُ الصُّلْحا
وتَرْكُـكِ أدْنـى للهَزيمـةِ بعـدَما ... بَلَغْـتُ بِـكِ النَّصْـرَ المُكَلَّـلَ والفَتْحـا
فهـل تُرْجِـعُ الأيّـامُ أيّـامَ أُنْسِـنا ... ولـو في قَصـيٍّ رُبَّمـا شِـمْتُهُ لَمْحـا؟
إذَنْ مـا أُبـالي بالمَسـافاتِ أسْـرَفَتْ ... عَواذِلَ، أو بالدَّهْرِ ضـايقَني نُصْحا
وسوفَ أُضَحّي الهَمَّ ذَبْحاً بلا ونىً ... وأكْفَـــرُهُ أوْلى بإنهائِــــهِ ذَبْحـــا!

*****

فيـا مَجْمَـعَ الأحْـرارِ مِـنْ كُـلِّ أُمَّـةٍ ... تَعـالَيْ بـلا حَصْرٍ، ولا تَسْـأمي كَدْحا
وَخَلّـــي وَداعـــي لا لِصَـــرْحٍ أقَمْتِـــهِ ... ولكـنْ لِروحٍ فيكِ قَدْ جاوَزَ الصَّـرْحا
لَـئِنْ شَـرَّدَتْني عَـنْ مَعاليـكِ حَيْرَتـي ... ورِزْقـي، فَقَلْبي عـالِقٌ بِكِ أو أضْحى!

١٠ أيلول/سبتمبر ١٩٥٤

فلسفتي[1]

شَرِبْتُ فَلسفتي مِنْ نَبْعِ آلامي ... وقَبْلَها عَبَّ مِنْهُ قَلْبيَ الدّامي
وما بَرِحْتُ أُغَنِّي زاخِراً أَبَداً ... كأَنَّ آلامَ قَلْبي لَسْنَ آلامي
كأَنَّ دَمعي أناشيدٌ قدِ احْتَبَسَتْ ... حتّى تُراقَ عَلى قُدْسيٍّ أَنْغامِ
أَنَّ المَسيحُ قُبَيْلَ الصَّلْبِ مِنْ حَرَقٍ ... كما أُعاني تَباريحي وإعْدامي
وإنْ حُسِدتُ، كأنَّ البُؤْسَ لي شَرَفٌ ... وكُلَّ أهْلِ الغِنى في البُؤْسِ خُدّامي
أنا الضَّعيفُ، ولكنّي العَتيُّ على ... نَفْسي، إذا النَّفْسُ لم تَعْبَأْ بأحكامي
إيّاكِ إيّاكِ يا نَفْسي مُهادَنَةً ... لِلظُّلْمِ، أو فاقْبَعي في سِجْنِ ظُلّامِ
مَعْنى الحَياةِ ابتِسامٌ لا يُفارِقُها ... وإنْ أُحيطَتْ بِجَدْبٍ غَيْرِ بَسّامِ
وهلْ أكونُ سِوى رَمْزٍ تَضِنُّ بهِ ... على الفَناءِ وإنْ أفْنَيْتُ أعْوامي؟
عابوا الحَقيقةَ في شِعْري، وما سَكَنَتْ ... سِوى الحَقيقةِ أسْمى شِعْريَ السّامي
ما سَفَّ يَوْماً، وإنْ يَجْهَلْهُ مَنْ جَهِلوا ... أنَّ الحَياةَ تَعالَتْ فوقَ أحْلامِ
وأنَّ وَجْدي وتَفْكيري وفَلْسَفَتي ... لَيْسَتْ سِوى مُثُلٍ مِنْ فَنِّ رَسّامِ
ذاقَ الخُلودَ بألْوانٍ مُجَنَّحَةٍ ... فَوْقَ النُّجومِ وفي ألْوانِ آكامِ
كُلُّ الطَّبيعَةِ مَعْبودٌ لِمُهْجَتِهِ ... تَشَكَّلَتْ حَوْلَ أطْيافٍ وإلْهامِ
تَمْتَدُّ خَفّاقَةً لا حَدَّ يَحْصُرُها ... كخَفْقِ قَلْبي على إحْساسيَ النّامي
أنا ابْنُها، لا يَنالُ الدَّهْرُ مِنْ أثَري ... ولَمْ يَنَلْ قَبْلُ مِنْ نورٍ وأجْرامِ
كمْ مِنْ صَغيرٍ تَرَدّى، في حَقارَتِهِ ... لِلنّاسِ، وهْوَ جَليلٌ شامِخٌ سامِ

---

[1] ودَّعَ الشاعرُ نيويورك بهذه القصيدة قُبَيْلَ انتقالهِ إلى واشنطن العاصمة الأميركية في منتصف أيلول/ سبتمبر سنةَ ١٩٥٤. وفي هذه القصيدة يُشير إلى استقباله نيويورك في بَدْءِ هجرته إلى أميركا سنة ١٩٤٦، وقد عبَّر عنه في قصيدةٍ تضمنها ديوانه المهجريّ الأوّلُ الموسومُ من السَّماء.
(وقد صدر الديوان المذكور في العام ١٩٤٨ عن مطبعة جريدة الهدى، نيويورك، في ١٦٠ صفحة متضمناً ما نشره أبو شادي بين ١٩٤٢ و ١٩٤٧ وهو بين مصر ونيويورك؛ و.ف).

كالبَذْرِ أو قَطْرَةٍ للبَحْرِ شارِدَةٍ … هيَ الوُجودُ تَناهَتْ فوق أنْسامِ
وَعَيْتُها فِي خَيالي، فَهْيَ فَلْسَفَتي … وإنْ تَعِزَّ على بُهْمٍ وأصْنامِ
تَطيرُ فِي فرَحْةٍ نَشْوى، ويَرْفَعُها … حُبُّ الحَياةِ إلى غاياتِ إقْدامِ
كأنَّها صائِدٌ رَدَّتْ حَماسَتُه … خَوْفَ المَماتِ بأدْغالٍ وآجامِ
أغْزو كَما غَزَتِ[1] الدُّنْيا، وإنْ فَشِلَتْ … وإنْ تَمَزَّقْتُ مِنْ غَدْرٍ لأخْصامي
حَسْبي التَّجارِبُ فِي دُنْيايَ أفهمُها … وإنْ تَدِقَّ ولمْ تُكْشَفْ لأفْهامِ
حَسْبي شُعوري بأنَّ الكَوْنَ أجْمَعَهُ … يَوْماً سَيُتْلى ويَجْري فوق أقْلامِ
حَسْبي على الرَّغْمِ مِنْ هَمٍّ ومِنْ نَصَبٍ … أنّي الطَّليقُ، ولمْ أرْضَخْ لإرْغامِ!

٢٧ أيلول/سبتمبر ١٩٥٤

فَنّي

شاعرَ الحُبِّ والجمالِ دَعَوْني … شاعرَ النّورِ عاطراً والتّغنّي
أنا راضٍ بِما دَعَوْني، ولكنْ … أتُرى الفَنُّ يَرْتَضي ما دَعَوْني
ما الوُجودُ الّذي تراءى خيالي … مِلْءُ ذِهْني، وإنّما بَعْضُ ذِهْني
لا عَرَفْتُ الحَياةَ إنْ كانَ فَنّي … ما بَدا لي ولستُ أخْلُقُ فَنّي
مَنَحَتْني إيزيسُ ما يَهَبُ الخِصْـ … ـبُ، وخِصْبي كالرّوحِ يُغْنى ويُغْني
أنا بعضٌ مِنَ الوُجودِ، ولكنْ … كُلُّ ما فِي الوُجودِ من بَعْضِ كَوْني
مَلأتْ مُهْجَتي الأثيرَ طُيوباً … وتَناهَتْ بكُلِّ ما نَدَّ[2] عَنّي
أُنظرِ الشَّمسَ، إنَّ فيها شُعوراً … كَشُعوري، وكُلَّ ما شَعَّ مِنّي

---

[1] أي القطرة أو البذرة الطائرة.
[2] ندَّ: انتشر وتفرّق.

وانظرِ النجمَ وهو يغمز للشمْـ ... ـس بشَوقٍ ولَوْعَةٍ لم تَفُتْني

وانظُرِ السُّحْبَ وهي تَمْضي نَشاوى ... باكياتٍ، وقدْ أصاخَتْ لِلَحْني

ضَمَّخَتْها أنفاسُ شِعْري فَحالَتْ ... في الأزاهيرِ بَيْنَ شَهْدٍ ومَنٍّ

سِنُّها مِنْ سِنِيَّ لو كُنْتَ تَدْري ... أنّ هذي الآبادَ رفّتْ بسِنّي

وشُعاعُ الأجْرامِ يَحْسُدُ وِجداني ... ونَفْسي كَكائنٍ لم تَسَعْني

أنا مَعْنىً مِن السَّلامِ، مِن النّورِ، ... مِن الحقِّ والعُلى، لا التّدنّي

ما اضطِهادي بِنائلٍ مِنْ جَناني ... لو رأيْتَ الضّياءَ يَعْنو لِغَبْنِ

جاحِدي يُعْلِنُ الهَزيمةَ لاقا ... ها، فما كان طَعْنُهُ فيَّ طَعْني

إنَّ روحي تَبَرُّ بالطائِشِ الها ... وي كأنّي مُسَدِّدٌ بَعْضَ دَيْني

ليسَ فَضْلُ الحَكيمِ أن يَنشرَ الحِكْـ ... ـمَةَ قولاً فَحَسْبُ مِنْ دونِ عَيْنِ

رَحْمَتي لا تَضِنُّ بالصَّفْحِ لِلآ ... ثِمِ إنْ خُصَّ مِنْ جُموعٍ بضَنٍّ

فَكَأنّي المَسيحُ فَدّى غَفوراً ... وتَسامى مِنْ بَعْدِ صَلْبٍ ودَفْنِ

وتَناهى مَبادِئاً هي أبْقى ... مِنْ خُلودِ العُلى ومِنْ أيِّ كَوْنِ

باذِلاً روحَه فتَنْمو وتَسْري ... سَرَيانَ الحَياةِ في غَيْرِ مَنٍّ

فَلْيَخُنّي الحُسّادُ بالعَيْبِ ما شاؤوا ... ولا عاشَ حاسِدٌ لم يَخُنّي

ولْيُغَنّوا نَقيضَ ما هُمْ عَلَيْه ... فبِحَسْبي أنّي أقولُ وأعْني

ولْيُنادوا بِنُبْلِهِمْ، وهو زورٌ ... وبِيَأسٍ لهُمْ شَبيهٍ بجُبْنِ

ولْيُباهوا الجُناةَ، لَسْتُ حَقوداً ... فأُجاري، ولا أثيماً فأجْني

ذاكَ صَدْري: هو السَّماحَةُ والرَّحْـ ... ـمَةُ للعالَمينَ رَغْمَ التّجَنّي!

١١ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٥٤

عاصفة ١٥ أكتوبر[1]

وَلْوِلي! وَلْوِلي! وصيحي وطيري   واقرَعي وامْنَعي بِعَصْفٍ مَسيري
واكْسِري الباسِقاتِ أو فاخلَعيها   كُلُّ هذا يُرى بِقَلْبي الكَسيرِ
أنا مُذْ جِئْتُ هذه الجَنَّةَ السَّمْـ   ـحَةَ ما زِلْتُ في عَذاب السَّعيرِ
أمْطري يا رياحُ، أو فاسكُبي النّا   رَ فإنّي ما عُدْتُ أخْشى مَصيري
ليسَ شَكْوى الزَّمانِ طَبْعي، ولكِنْ   هو سُخْري مِنْ فِعْلِ دَهرٍ حَقيرِ
ما نَثيرُ الأوْراقِ يُحْرَمُها الدَّوْ   حُ وقَصْفُ الأغْصانِ إلاّ نَظيري
ما سُقوطُ المِصْباحِ يَتْبَعُهُ المِصْـ   ـباحُ إلاّ كَثَوْرَتي في ضَميري
ما زَئيرُ الهَبوبِ[2] حولي سِوى وَجْـ   ـدي فأعْوِلْ يا وَجْدُ بَيْنَ الزئيرِ!
ما أُبالي مِنَ بَعْدِ مُعْتَرَكِ الأحْـ   ـداثِ في خاطِري جُنونَ المُغيرِ
لَيْلَةٌ تَنْقَضي، وعاصِفَةُ النَّفْـ   ـسِ تَناهَتْ بِظُلْمَةٍ للأسيرِ!
وَتَرامَيْتُ فوقَ سُلَّمِ داري   لا أُبالي بِصَرْخَةٍ للنَّذيرِ
ومُثارُ الحَصى تَدَفَّقَ حَوْلي   كَرَصاصٍ يَئِزُّ بينَ الصَّفيرِ
ثُمَّ لَمّا وَلَجْتُ داري أبى أهْـ   ـلي عَزاءً سِوى أمَرِّ النكيرِ!

١٥ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٥٤

---

[1] مَرَّتْ عاصِفَة هوجاء بواشنطن، العاصمة الأميركية، يوم الجمعة الخامسَ عشرَ من تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٥٤، فدفعت الشاعر إلى نظم هذه الأبيات الوصفية الوجدانية التي أوحتها له أيضاً أزمته النفسيّة من جرّاء خسارته الجمّة وتضحياته بنقله إلى واشنطن.

[2] الهَبوبُ (بفتح الهاء) من الرياح: المثيرة لِلغَبَرةِ.

لوعــة[1]

إلى الصَّديقِ خَفاجي في عَوالِمِـه   مـا بَـيْنَ شـاهِقِ أبْحـاثٍ وأسْفارِ
أبُثُّ مِنْ لَوْعتي ما فـاضَ عنْ كَلِمي   وإنْ تَحَجَّـبَ في مَكْنـوزِ إضْمـاري
تَجَمَّعَتْ غُصَصُ الدُّنيا، وما فَتِئَتْ،   حَرْبـاً علَـيَّ، وعـادَتْني لإيثـاري
فَـإنْ أعِشْ في جِنـانٍ كُلُّها عَجَـبٌ   فـإنَّ قَلْـبيَ بالتَّعْـذيبِ في النـارِ
قـد ضَيَّعَتْ عُصْبَةٌ للنَّقْلِ مَكْتَـبتي   يا عُصْبَةَ النَّقْلِ قدْ خُلِّدْتِ في العارِ!
وضيَّعَ النَّقْلُ رِزْقاً كـانَ لـي سنداً   كأنَّمـا الـدَّهْرُ مَشْـغولٌ بإفْقـاري
وضـيَّعَ الهَـمُّ نَـزْراً كـانَ عـافيَتي   فَمـا انْتَفَعْـتُ بِسُـكّانٍ ولا جـارِ
وصـارَ دَيْـني رفيقـاً لا يُفـارِقُني   وكـانَ وَدَّعَــهُ أو كـادَ إنْـذاري
وَإذْ عَرَضْـتُ لبيـعٍ كُـلَّ مـا مَلَكَـتْ   يَدي خُذِلْتُ كَما قَدْ ضَيَّعوا داري
أنـا المُعاقَبُ، لا ذنـبٌ جَنَيْتُ سِوى   بِـرّي، كـأنَّ عَظـيمَ الـذَّنْبِ آثـاري
وَمِنْ عَجيبٍ إذا مـا الحُـزْنُ يَغْمُرُني   لَطِمْتُــه مِثْـلَ سَــبّاحٍ بتَيّــارِ
لم أدرِ: هَـلْ جُـنَّ قَلْـبي في تَفاؤُلِـهِ   أمْ مـا دَرى خَطْبَـهُ أمْ أنَّـه الـدّاري؟
لقَدْ تمرَّسْتُ عُمْري بالأسى فغَدا   مِنّـي ومَـدَّ الأسـى عُمْري لأعْمـارِ!
لِمَنْ أُعَذَّبُ؟ مـا جَدْوايَ مِنْ زَمَني   ومـا حَيـاتي؟ ومَـنْ يَعْنيه إكْبـاري؟
لَـجَّ "المُراقِـبُ" في شَـطْبٍ لأفكـاري   مــا كــانَ أوْلاهُ تَثْقيفــاً بأفْكـاري
إنَّ الخيانَــةَ لِلأوْطــانِ أخْطَرهــا   حَجْرٌ على الحقِّ أو إرْهـاقُ أحْـرارِ
وتَـرْكُ مِثْلــي يُعـاني في تَحَرُّقِـهِ   عارٌ على الجيلِ، لا ذَنْبي ولا عاري!

١٨ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٥٤

---

[1] هذه قصيدة من صميم الشعر الوجدانيّ عَبَّرَ فيها الشّاعرُ عن لوعتهِ إزاءَ الأحـداثِ المختلفـةِ التـي اقترنتْ بنُقلتِهِ من نيويورك إلى واشنطن، ولا ذنبَ لإحداهما فيها، وإنّما هو عاملُ القدَر أو سوء الحظ الذي اعترضه، ومع ذلك ففي القصيدة من نغمة التفاؤل والتأمُّل الفلسفيّ والإشادة بحريّة الفكـر مـا يَستَرعي الانتباه، وقد وجّهها الشّاعرُ إلى صديقهِ العلاّمة الأديب الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي.

ميلاد الحرية

قيلت في المولد النبويّ الشريف يومَ الحادي عشر من ربيع الأول ١٣٧٤هـ، الموافق السابع من تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٤

مـا جـاءَ قبلَـكَ للتَّخْليـدِ إنسـانُ ... عَنـا لـهُ الظُّلـمُ والظُّـلاَّمُ أوْ دانـوا
أو دَوَّنَـتْ صُحُفُ التّاريخِ مُعْجِزَةً ... كمُعجزاتِـكَ فيهـا العقـلُ بُرْهـانُ
ألم تكُنْ أنتَ في صَحْراءَ موحِشَـةٍ ... الواحـةَ السَّمْحَةَ المُثْلى لمنْ عانوا؟
ألْـم تَكُـنْ أنـتَ في دَهْمـاءَ قاسـيَةٍ ... الـنَّجْمَ أضْـواؤُهُ هَـدْيٌ وعِرْفـانُ؟
ألمْ تَكُنْ أنتَ مُحْيي النّاسِ مُكْرِمَهُمْ ... مِنْ بَعْدِ ما أغْرَقوا في الموتِ أو هانوا؟
ألم تَكُـنْ أنـتَ للـدُّنْيا مُعَلِّمَهـا ... حـينَ الخُرافَـةُ أدْيـانٌ وسُـلْطانُ؟
ألمْ تَكُـنْ أنـتَ لِلأسْـرى مُحَـرِّرَهُمْ ... والأسْـرُ والـرِّقُّ مِثْـلَ الموتِ ألـوانُ؟
ألمْ تَكُـنْ أنـتَ لِلإنسـانِ حُجَّتَـهُ ... علـى الفَنـاءِ إذا الإنْسـانُ إنْسـانُ؟
يـا أيُّهـا البَطَـلُ الأُمّـيُّ عِـشْ أبَـداً ... ذِكْـراكَ عِطْـرٌ وأضْـواءٌ وألْحـانُ
إنَّ الزّمـانَ الّـذي نَـوَّرْتَ طَلْعَتَـهُ ... مِـنْ نـورِهِ سَـطَعتْ لِلخُلْـدِ أزمـانُ
لَـوْلا تَعاليمُـكَ اللاّتـي قَـدِ ازْدَهَـرَتْ ... مَـدى العُصـورِ لَعَـمَّ الأرْضَ طوفـانُ
والجَهْلُ أخْطَرُ مِنْ إعْصارِ كارِثَـةٍ ... فَمـا سِـواهُ لِـرُزْءِ النّـاسِ شَـيْطانُ!
مـيلادُكَ الحُـرُّ مـيلادٌ يفـوحُ شَـذىً ... كَمـا يَفـوحُ بِشِـعْرِ الحُـبِّ بُسْـتانُ
قـالوا: أتَـنْظِمُ شِـعْراً في مَحَبَّتِـهِ ... فالشِّـعْرُ للصّادِقِ الإحساسِ ميزانُ؟
وأيُّ شِـعْرٍ لِمثْلـي كَيْفَمـا عَظُمَـتْ ... رُمـوزُهُ في الّـذي نَجْـواهُ قُـرآنُ؟
مَنْ حَرَّرَ العَقلَ حينَ الناسُ أكثرُهُمْ ... دونَ البَهـائِمِ والأديـانُ أوثـانُ
مَنْ ثارَ في الناسِ لا تَخْشى عَقيدَتُهُ ... إلاّ الإلـهَ، فلـمْ يَرْدَعْـهُ طُغْيـانُ
مَنْ علَّمَ الناسَ مَعْنى السِّلْمِ في زَمَنٍ ... كـانَ الأعَـزُّ بـهِ بَطْـشٌ وعُـدْوانُ
مَنْ لَقَّنَ الحِكْمَةَ الشّوْرى بِسيرَتِهِ ... ووَزَّعَ الحُـبَّ، فالأعْـداءُ إخْـوانُ

مَنْ رامَ كُلَّ الوَرى أنْصارَ دَعْوَتِهِ ... عَلى المَدى، واصْطَفاهُمْ أينَما كانوا
مَنْ راضَ لِلنّاسِ أحْلاماً لِعِزَّتِهِمْ ... وبَعْضُ إلْهامِهِ السّامي "السُّبَرْمانُ"
ماذا أقولُ وشِعْري دونَ ما مَلَكَتْ ... نُهايَ[1] حينَ جميعُ الكَوْنِ آذانُ؟
حَسْبي قَليلي، فَنَزْري في جَواهِرِهِ ... مِنْ وَحْيِ مَنْ حُبُّهُ كَنْزٌ وديوانُ
فِي ظِلِّهِ كُلُّنا أبناءُ مِلَّتِهِ ... فما تَناءَتْ. برَغْمِ البُعْدِ، صُلْبانُ
وكُلُّنا بَومَ هذا العيدِ أُمَّتُهُ ... إنَّ العُروبَةَ إيمانٌ وأوطانُ

٢٥ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٥٤

توأمي

كادَ الخَريفُ يَموتُ مِثْلَ مَماتي ... بِتَساقُطِ الأوراقِ والآهاتِ
إنّي أخوهُ بِمُهْجَتي وبِلَوْعَتي ... زَفَراتُهُ تُشْتَقُّ مِنْ زَفَراتي
إنْ أرْثِهِ فَبِنَظْمِهِ وبِنَثْرِهِ ... أوْ أبْكِهِ فلَقَدْ بَكَيْتُ حَياتي
لَم يَدْرِهِ مَنْ أولِعوا بِبَهارِجٍ ... للصَّيْفِ يَمْرَحُ كالمَليكِ العاتي
إنْ عُدَّ نَسْلَ الصَّيْفِ لمْ يَعْلَقْ بِهِ ... عَيْبُ الإباحيِّ الحَقيرِ الذّاتِ
عَرَفَ التَّنَسُّكَ مُنْذُ يومِ وِلادةٍ ... فَكَأنَّهُ صوَرٌ لِوَحْيِ صَلاتي
واسْتَقْبَلَ الإعْصارَ غَيْرَ مُرَوَّعٍ ... وهْوَ الصَّريعُ الشَّيخُ بَيْنَ جُناةِ
تَخِذَ الكِفاحَ إلى النّهايَةِ مَبْدأً ... وأبى خُنوعَ المَوْتِ عنْدَ مَماتِ
إنْ كُنْتُ أُشْبِهُهُ فَتِلْكَ حَمِيَّتي ... رَغْمَ السَّقامِ وصُفْرَةِ الأمْواتِ
عِلَلٌ على عِلَلٍ أنوءُ بُرْزِئِها ... وأظَلُّ أسْخَرُ بالشِّتاءِ الآتي
إنْ كانَ في دَمْعِ الخريفِ مَدامِعي ... أوْ كانَ في أنّاتِهِ أنّاتي

---

[1] نُهاي: مَداركي.

فَوراءَها أنَفٌ لِكُلِّ دَنيَّةٍ ... ولَئِنْ هَطَلْنَ وصِحْنَ مَجْنوناتِ[1]
وَلَئِنْ نأتْ عنْه الحَرارةُ ما نَأى ... دِفءٌ تَحَجَّبَ في نُهى الذَّرّاتِ
والموتُ مِنْ صوَرِ الحَياةِ، ولُغْزُهُ ... لُغْزُ الوجودِ وآيَةُ الآياتِ
إنْ تَنْأَ يا خِلّي فَلَسْتُ بِراحِلٍ ... ما دُمْتَ تُحْيا في نُهايَ وذاتي
هَشَّتْ لِيَ الأغْصانُ وهْيَ جَريمَةٌ ... وتَطَلَّعَتْ لخُطايَ في الغاباتِ
فكأنَّما أنا مَنْ يُجَدِّدُ روحَها ... مِنْ روحِهِ بالعَطْفِ والبَسَماتِ
وكأنَّما أنا مَنْ يَمُدُّ جُذورَها ... بِشُعورِهِ فَتَعِزُّ دونَ حُماةِ
جَرْداءُ كالفَنِّ المجرَّدِ[2]، فَهْمُها ... قَدْ دَقَّ في كُنْهٍ وجَلَّ سِماتِ
إلاّ على نِدٍّ يُبادِلُها الهَوى ... فلُغاتُها مَوْصولةٌ بلُغاتي
سَكَتَتْ أهازيجُ الجَنادِبِ واكْتَفَتْ ... بِخُطايَ فَوْقَ العُشْبِ مُسْتَمِعاتِ
والنَّحْلُ تَأْوي لِلقَفيرِ هَنيئَةً ... حَتّى كَأنَّ الشَّهْدَ في نَظَراتي
لِلّهِ، كَمْ خَلَقَ التَّجاوُبُ صُحْبَةً ... حَتّى مَعَ الأشْجارِ والحَشَراتِ!

٣٠ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٥٤

استقبال واشنطن

الحُبُّ والحُسْنُ والأمانُ ... أعَزُّ ما يَمْنَحُ الزَّمانُ
أحَظِّيَ اليَوْمَ أنْ أراها ... تَعودُ أمْ فاتَها الأوانُ؟
مَشاهِدٌ قَدْ خَلَبْنَ لُبّي ... كأنَّما بَيْنَها رِهانُ
قَدْ أبْدَعَتْها بِلا شَبيهٍ ... العَبْقَرِيّاتُ لا المَرانُ

[1] أي المدامع والأنات.
[2] الفنّ المجرَّد: Abstract art.

فَكُلُّ شيءٍ بها طَريفٌ وبَعْضُ آياتِها الجِنانُ
والنّاسُ آدابُهمْ تَسامَتْ بها، فزَينوا بها وزانوا
وَسادَ أصْفى الهُدوءِ حَتّى كأنّما عِنْدَها يُصانُ
أتَيْتُها خائِفاً حَزيناً فَهَشَّ لي الحُبُّ والأمانُ
ونَقْسَقَتْ لي الغُصونُ شِعْراً كَأنَّما الدَّوْحُ مِهْرَجانُ
والجَوُّ في دِفْئِهِ عَطوفٌ كَأهْلِها دِفْؤُهُ حَنانُ
يُطِلُّ مِنْ نُصْبِها جَلالٌ وذِكْرَياتٌ لها بَيانُ
وكَمْ بها مُتْحَفٌ أثيرٌ يَفوحُ مِنْ مَجْدِهِ الدِّهانُ
وكَمْ بها نِعْمَةٌ ولكنْ هل يَجْذِبُ النِّعْمَةَ افْتِتانُ؟
أنّى تَلَفَّتُّ لم أجِدْني إلاّ رُؤىً فاتَها الحِسانُ
وكُلُّ ما في الحَياةِ يَلْهو كأنَّما الكُلُّ دونَ جُوانُ
إنْ يَحْرُقِ النّاسُ نَثْرَ رَوْضٍ في حينِ أوراقُهُ جُمانُ
فَتَبْلَهُ النّارُ بَدّدَتْني وما تَبَقّى هوَ الدُّخانُ!

١٥ أيلول/سبتمبر ١٩٥٤

رثاء الدكتور محمود عزمي

وقد توفي فجأة في نيويورك يوم الأربعاء ٢ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٤ حينما كان يدافع عن حقوق مصر في مجلس الأمن، وكان الفقيد صديقاً حميماً للشاعر منذ عهد التلمذة بالمدرسة التوفيقية بالقاهرة

عَزاءً بهذا الموتِ يا مَنْ فَدى مِصْرا ومَنْ عَيْشُهُ ذِكْرى ومَنْ موتُهُ ذِكْرى
صَديقَ الصِّبا! ماذا غَنِمْنا مِنَ الصِّبا وما عُمْرُنا إلاّ مَغارِمُنا تَتْرى
ولمْ يَبْقَ فينا مُنْصِفاً غيرُ ميتةٍ أنالَتْكَ مَجْداً لا يُباعُ ولا يُشْرى؟

سَقَطْتَ كجُنديٍّ شهيدٍ، مَماتُه … حياةٌ لَعَمْري حُرَّةٌ تُخْلِدُ الفِكْرا
ومُتَّ عَزيزاً في الدِّفاعِ لأمَّةٍ … أنابَتْكَ عَنْها في مُلِمّاتِها الكُبرى
إذا سَقَطَ الجُنديُّ في ساحَةِ الوَغى … فأيُّ قَصيدٍ بعدَ هذا بِهِ يُطْرى؟
كأنَّ مَماتاً ذُقْتَ أبْلَغُ حَجَّةً … وأوقَعُ في تَفْنيدِ مُتَّهِمٍ مِصْرا
ولو أنَّ ناراً مِنْ بيانِكَ أشْعَلَتْ … رُكاماً من الإسْفافِ خُصَّ بِهِ الأسْرى
فَيا مِدْرَهَ الأحْرارِ عُمْرُكَ كُلُّه … خِطابٌ مُدَوٍّ بالحَقيقةِ لا يُغْرى
فلَمْ تَدْرِ مَعْنى الجُبْنِ يوماً ولا الهَوى … ولمْ تَرْضَ يَوْماً في اتّباعِهِما عُذْرا
ولم تَهْوِ للطّاغوتِ يوماً مُصَلّياً … وكُنْتَ ليَ الخِلَّ المُدافِعَ والبَرّا
وأنْحى عَلَيَّ الصّاغِرونَ فَزِدْتَني … ولاءً، وقدْ كَفَّرْتَ مَنْ خَصَّ بي الكُفْرا
وبَجَّلْتَني حَتّى كأنّكَ تابِعي … ولَسْتَ الّذي صالَتْ مواهِبُهُ دَهْرا
سَجيَّةُ نَفْسٍ حُرَّةٍ ليسَ تَمْتَري … كَذاكَ النبيلُ الحُرُّ مَنْ يُكْرِمُ الحُرّا
ومَهْما اخْتَلَفْنا كُنْتَ تَرْفَعُ قُدْرَتي … إلى قَدْرِكَ العالي فَتَخْلُقُ لي قَدْرا
وما كُنْتَ مَنْ بالى الخَفافيشَ مَرَّةً … ولا الصَّقْرَ مُجْتاحاً ولا الجارِحَ النَّسْرا
ولكنّما بالَيْتَ بالحَقِّ وحدَه … ولمْ تَخْشَ دونَ الحَقِّ في شِدَّةٍ أمْرا
وأُشْغِلْتَ بالإنسان فرداً وأُمَّة … ويا لِجُهودٍ منكَ لَمْ تَعرِفِ الحَصْرا
وأُشْغِلْتَ بالفكْرِ النَّزيهِ مُحَرَّراً … وكلُّ الّذي جافاه صَوَّرْتَهُ نُكْرا
كأنَّ خَرابَ الكونِ رهنٌ بذلّةٍ … يُصابُ بها العقلُ الّذي عَزَّ واستَثْرى
حَرامٌ عَلى عَيْني الدّموعُ فإنَّها … شِفاءٌ وحُزْني قدْ يَموتُ ولا يَبْرا
حَرامٌ على شِعْري رِثاؤُكَ قادراً … فإنَّ الرِّثاءَ الفَخْمَ قدْ يَلِدُ الصَّبْرا
حَرامٌ على نَثْري البَيانُ وهذهِ … صَحائِفُكَ الشَّمّاءُ آيتُكَ الأُخْرى
لقد كُنْتُ مَنْ شَخَّصْتُ داءَكَ أوّلاً … فكُنْتُ كأنّي لاحِدٌ يَفْتَحُ القَبْرا
ومَرَّتْ سُنونٌ لالتياعي عَديدةٌ … وفي كُلِّ عامٍ كُنْتُ أسْتَبِقُ العُمْرا

إلى أنْ أتـى العـامُ الّذي رانَ نَصْرُه ولكنَّ حكْمَ الموتِ قَدْ صَحِبَ النَّصْرا!

٤ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٤

رثاء الزعيم الإيراني الحر الدكتور حسين فاطمي

وقد قُتل في العاشر من نشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٤ ؛
رمياً بالرصاص لمناداته بالحكم الجمهوري في إيران

نِعْمَ الرَّصـاصُ جَزاءَ خـادِمِ شَعْبِهِ ما دامَ يـوقِظُ مَـنْ وَنـوا عـن دَأْبِـهِ
أحُسَـيْنُ سـابقُكَ الحُسَـيْنُ، مَماتُـهُ هـو قُـدْوَةُ الأبْطـالِ لـو شُـغِلوا بِـهِ
الفـاطِميُّ غُـذيتَ أنْـتَ بِنُبْلِـهِ والألْمَعـيُّ شُـغِفْتَ أنْـتَ بِحُبِّـهِ
مـا كـانَ خَطْـبٌ فيـكَ إلاّ خَطْبَـهُ طهـرانُ سـاوتْ كَـرْبَلا في كَرْبِـهِ
قَتَلوكَ رَمْياً بالرَّصـاصِ، ولو دَرَوْا نَثَـروا عليـكَ الـوردَ نثـرَ مُحِبِّـهِ
يـا ابنَ الشـهيدِ، أو الحفيدَ لمجدِه طوبـاكَ، هـذا الشـاهُ شـاهُ برُعْبِهِ
الشّـاةُ أكـرمُ منْـه في نَفْـعٍ لهـا وهـيَ الضحيَّةُ، وهـو ذِلَّـةُ شَـعْبِهِ
عَصْـرُ المُلـوكِ مَضـى بكـلِّ عُيوبِـهِ فَعَـلامَ نُبْقـي مَـنْ يَتيـهُ بعَيْبِـهِ؟
هـي فتـرةٌ سَتَمُرُّ يُخْصِبُ مُصْلِحاً دَمُـكَ الزَّكـيُّ[1] قُرىً تَحِنُّ لِخِصْبِهِ
فتثورُ[2] كالسَّيلِ العَرَمْرَمِ صاخباً مُتَمـرِّداً لا يَنْتَهـي لمَصَبِّهِ
حتّـى تُصـابَ بـهِ[3] ديـارٌ جَمَّـةٌ يَتَبَخْتَـرُ الطّـاغوتُ ثَـمَّ بِخَبِّـهِ
فيُطهِّـرُ[4] الأرضَ الّـتي دَنِسَـتْ بـهِ[5] وبِحِزْبِـهِ وبِنَهْبِـهِ وبِسَـلْبِهِ

---

[1] أي القرى.
[2] الزّكي: الطاهر؛ (و.ف).
[3] أي السّيل، كناية عن الثورة.
[4] أي السّيل، كناية عن الثورة.
[5] أي دُنّست بالطاغوت.

كمْ في رُبوعِ الشَّرقِ من مُتَجبِّرٍ ... ذخَرتْ له الأيّامُ طَعْنَةَ قَلْبِهِ
ما ضاعَ عُمْرُكَ في تَجاربِهِ سُدىً ... يومَ الفِداءِ ولا انْتَهى منْ رأْبِهِ
هيهاتَ! ليسَ الرَّأْيُ وَهْماً فانياً ... حتّى ولو حَرَقوا بعالَمِ كُتْبِهِ
الرّأيُ أخْلَدُ من خُلودِ زَعيمِهِ ... والرأيُ أعظمُ من عَظائمِ رَبِّهِ
هيهاتَ! ما الحرّيّةُ الشّمّاءُ ما ... يُمْحى وإنْ يَطْغَ الغَشومُ بِحَرْبِهِ
يَمْضي ولا يَمْضي الشّهيدُ لحُبِّها ... بلْ يُستعادُ لقَتْلِهِ أو صَلْبِهِ
هيَ أمُّ هذي الأرضِ فاشْرَبْ نَخْبَها ... أنّى هَتَفْنا للشّهيدِ ونَخْبِهِ!

العمّ سام[1]

بُشْراكَ! هذا العَمُّ عيـ ... ـسى صارَ فينا العَمَّ سامْ!
أُنظُرْ إلى عُثْنونِهِ ... فلقدْ تَزايدَ واستقامْ
قدْ كانَ في حَزْمِ الشُّيو ... خِ فصارَ في زَهْوِ الغُلامْ
مَنْ ذا يُطاوِلُهُ، وهـ ... ـذي النّاطِحاتُ لهُ تُقامْ؟
اليومَ يَملِكُ كُلَّ شيءٍ حولَهُ مِلْكَ الهُيامْ
في مَوطِنٍ حُرٍّ بهِ الأحْرارُ خُدّامُ السَّلامْ
لا عَيْبَ فيهِ سوى سَما ... حَتِهِ الّتي تُغْري اللّئامْ
فيهِ المساواةُ العَميـ ... ـمَةُ مِلّةٌ ولهُ ذِمامْ
فُرَصُ النُّهوضِ تَكافَأتْ ... فيهِ كَذَرّاتِ الغَمامْ

[1] أُنْشِدَتْ في مَساء الجمعة السّابع عشر من كانون الأول/ديسمبر ١٩٥٤ في حفلةٍ تكريمية بمطعم شَهرزاد بواشنطن للصديق الأستاذ عيسى خليل صباغ، بعد أن صار مواطننا أميركيا، وقد حال مَرَضُ الشّاعر دونَ اشتراكِهِ شخصياً في الحفلة.

لا بِـــدْعَ إنْ جَـــذَبَ النُّجـــو مَ إليـــهِ واعتَنَـــقَ الـــدَّوامْ
واليـــومَ يَغْـــنمُ فَضْـــلَ عيـــ ـــسى الشـــامِخِ الحُـــرِّ الهُمـــامْ
كَـــمْ مَوقـــفٍ لِلْحـــقِّ نَـــذْ كُـــرُهُ لـــهُ عامـــاً فعـــامْ
كَـــمْ مِـــنْ نَصـــائِحَ بَثَّهـــا كـــالنّورِ يَخْتَـــرِقُ الظَّـــلامْ
فتنـــاوبوا أنْخابَـــهُ بالحُـــبِّ، لا وَهَـــجِ المُـــدامْ
إنَّ الكُـــؤوسَ مِـــنَ الـــوَلا ءِ أحَـــبُّ مِـــنْ راحٍ وجـــامْ
اليَـــوْمُ يَـــوْمُ الصَّـــفْوِ نَغْـــ ـــنَمُه، ومـــا الصَّـــفْوُ حَـــرامْ
مُتَضـــاحِكِينَ، مُهَلِّلـــينَ يَهُـــزُّ نَشْـــوتَنا الزِّحـــامْ
ولربَّمـــا أصْـــغى النِّيـــا مُ، فَلَـــمْ يَعُـــدْ فينـــا نيـــامْ
أنـــا بيـــنَكُم مَهْمَـــا نَأيْـــ ـــتُ إذا اســـتبدَّ بـــيَ السَّـــقامْ
شِـــعْري نَظـــيري، بَـــلْ أعَـــزُّ نُهـــايَ في شِـــعْري أقـــامْ
فتَقَبَّلـــوهُ بِـــرَغمِ عَجْـــ ـــزي أيُّهـــا الصَّـــحْبُ الكِـــرامْ
واسْـــتَلْهموا مِـــنْ شَـــهرزاد الحُـــبَّ قبـــلَ غِنـــى الطَّعـــامْ
فـــاليومَ عيســـى كالرّشـــيدِ وحَقُّـــه حَـــقُّ الغَـــرامْ!

أميـر السّـلام[1]

أللّـــهُ في الحُـبِّ ألحـانٌ وأضـواءُ واللّـــهُ في السَّـــلْمِ أزهـــارٌ وأنـــداءُ
حُيِّيـتَ يـا سَـلْمُ! هـذا يـومُ سـيِّدِهِ فَلْتَخْجَـلِ الحـربُ، ولتعتـزَّ ورْقـاءُ!

[1] لمناسبة عيد الميلاد في سنة ١٩٥٤ غُرسَت على جانبي "جادّة السلام" في واشنطن العاصمة الأميركية أشجارٌ مهداةٌ من أقطار شتّى، وتخلّفَ عددٌ من الأقطار الإسلامية، وأمّا الباكستان فوضعت في المكان المخصّص لها رمزَ جامع صغيراً، على اعتبار أنَّ الجامع هو عنوان السلام في الإسلام.

وَلْيَفْرَحِ العالمُ المنكوبُ عن سَفَهٍ فقدْ تعالتْ على الضّوضاءِ أشْذاءُ
إنّي أشُمُّ عُطوراً لا أُكيّفُها لكنْ يُكيّفُها للنَّفْسِ إيحاءُ
فَأينَ مَبْعثُها الرّوحيُّ يَشمُلُني فليسَ تُدركُه عينٌ وإصغاءُ؟
لعلَّ في الجامعِ المبرورِ تَذكِرةً فها هو الجامعُ المبرورُ وضّاءُ
مِنْ وَضْعِ أمْجدَ[1] عَنْ بِرٍّ بملَّتِهِ كذاكَ يصطحِبُ الأكفاءَ أكفاءُ
بِلادَ إقبالَ[2] لا فاتَتْكِ فلسفَةٌ تُعلي السَّلامَ، ولا نالتْكِ ضَرّاءُ
إنَّ السّلامَ هو الإسلامُ مِنْ قِدَمٍ كما رآهُ الألبّاءُ الأجِلاّءُ
ولَيسَ ألْيَقَ رَمْزاً في رسالتِهِ مِن جامعٍ حولَه الإيمانُ أضواءُ
في جادَةٍ أسْهَمَتْ في عُرْسِها أُمَمٌ وبوركَتْ، فإذا الظّلْماءُ لألاءُ
ما بالُ مصرَ تناسَتْ ثمَّ مَغْرِسَها وفي ثرى مصرَ لِلجنّاتِ أفياءُ؟
كأنَّما مَشَى نورُ المسيحِ بها ونورُه في جَميعِ الأرضِ مَشّاءُ
كأنَّما ما مَريَمُ العذراءُ ما سكَنَتْ بأرضِها وكأنّ الأرضَ جرداءُ
وأينَ ما وُهِبَ الأردنُّ مِنْ شَجَرٍ وفي بَساتينِهِ الأدواحُ غنّاءُ؟
وأينَ قُدْسيُّ أرضيهِ الّتي سَطَعَتْ أمالَها اليومَ في الإسراءِ إسراءُ؟
يا ليتَني المتنبّي الآنَ، صَولَتُهُ تَهُزُّ مَنْ أُذْنُهُ لِلْحقِّ صمّاءُ
حَتّى أُعلّمَ قَوْمي في تَوَجُّسِهِمْ أنَّ العُروبةَ كالإسلامِ زَهراءُ
أنَّ التسامُحَ أسنى ما يُشادُ بِهِ وما عَداهُ فللإسلامِ أعْداءُ
شَذا السّلامُ وأنفاسُ المَسيحِ بهِ فكُلُّ ما رفَّ أنغامٌ وأصْداءُ
وإنْ تكُنْ قدْ تَناهَتْ في مشاعرِنا مِن العواطفِ أطهارٌ وعَذْراءُ
فَهَلّلي يا بُروجاً طالَما هَتَفَتْ كما هَتَفْتُ، وناجاها الأرِقّاءُ

---

[1] السيّد أمجد علي، سفير الباكستان لدى الولايات المتحدة الأميركية.
[2] الفيلسوف محمد إقبال.

وحَرّرينا مِن الأحزانِ قاهرةً كما تَحرَّر مِنْ أسْدادِهِ الماءُ!

٢١ كانون الأول/ديسمبر ١٩٥٤

تعزية

إلى الأستاذ محمود أبو رية

قال الصديقُ وديعٌ[1] في سَوانِحِه[2]: "تَقْسو الحياةُ على الأخيار أرزاءَ"

وراحَ يذكرُ مَنْ آثارُهُ مُثُلٌ للمُحسنينَ، أسَرَّ الدَّهرُ أم ساءَ

مَنْ رَنَّقَ الأدبَ العالي بنفْحَتِهِ وحَظُّه مِنْ عُقوقِ الدَّهْر ما شاءَ

لم يكفِهِ الخطبُ في زَوجٍ وفي ولدٍ حتّى أراه جُحودَ النّاس أنواءَ

فيمَ التفجُّعُ والدُّنيا فواجعُها لا تَنْتَهي، وتُعيدُ الأمسَ أصداءَ؟

خَلِّ احتمالَكَ ثأراً من نِكايتِها واسْخَرْ بها حينما تُشقي الألبّاءَ!

*****

جِئنا إلى الكون في الذرّاتِ من قِدَمٍ ولم نُفارقْه أطيافاً وأضْواءَ

وليسَ يعرفُ منّا كُنْهَهُ أحدٌ وإنْ تَغَلْغَلَ في ماضيهِ مَشّاءَ

وإنْ عَرَفْنا عرَفْنا بعضَ أخْيِلةٍ كأنّما البَحْرُ ما نَلقاهُ أنداءَ

ليسَتْ نِقاطُ حُروفٍ لا نُكيّفُها قصيدةً راودتْنا اليومَ عَصماءَ

ولا المآسي الّتي غاضتْ مَدامعُنا من نارِها سَتَزيدُ الكونَ أشلاءَ

ساوى النّشوءُ دَماراً في مَسارحِهِ كما عرفْتَ، وساوى البؤسُ نَعْماءَ

وما شكوْتُ التياعاً، بل مُسايَرَةً للفنِّ، أجْتازُ أمواتاً وأحياءَ

---

[1] الأستاذ وديع فلسطين.

[2] مقالاته الشهيرة "سوانح" التي تظهر بجريدة الإنذار المنياوية بمصر. والإشارة هنا إلى مقالة الذي ظهر بعدد ٢٦ كانون الأول/ديسمبر ١٩٥٤.

فَسِرْ معي يا أديباً عَيْشُهُ حَرَقٌ في مَهْمَهِ العُمر مَغْمورَيْنِ أهواءَ

نَحْيا لَهيباً كأنّا شِبهُ آلهةٍ ونَغْتدي بانتهاءِ النارِ إيحاءَ!

٢٩ كانون الثاني/يناير ١٩٥٥

تعزية الشّاعر القروي في وفاة والدته

عَلَمَ الإباءِ وأحكَمَ الشُّعَراءِ هذا عَزاءُ الوامِقِينَ عَزائي

أطْلَعْتَهم في كُلّ أرضٍ أنْجُماً مِنْ وَحْيِكَ المتفنِّنِ الوضّاءِ

واليومَ ليسَ لهمْ سواكَ ملاذُهم مهما لَجأْتَ للوعةٍ وبُكاءِ

منكَ استمدَّ العارفونَ يقينَهم فلديْكَ مَلْجَؤُهُم وخَيْرُ عَزاءِ

يا مَنْ رأى مِثْلي المنيّةَ صورةً لِلعَيشِ لا تجزَعْ من الأرزاءِ[1]

وَلَوَ انَّ موتَ الأمِّ أفدحُ نكْبةٍ ويضِلُّ فيه تفلسفُ الحُكماءِ

أُمَمُ العروبةِ كلُّها مَحْزونةٌ لأساكَ يا مَنْ خَصَّها بوَفاءِ

وبَنى لها شُمَّ الخَوالدِ شعرُهُ بمعالمِ الإرشادِ والإيحاءِ

نِـ يمَ البُكاءُ وفي المنيّةِ رحمةٌ حينَ الظّلامُ مُفَوَّقٌ بضياءِ؟

أنّى نَظَرْتَ تَرى المَناحةَ حولَها الـ أعراسُ والأحبابَ في الأعْداءِ

ولئنْ شَقيتُ من الجُحودِ فإنّني آثرْتُ أنْ أحْيا معَ الشُّهَداءِ

فتلقَّ بَطْشَ الدَّهْرِ غيرَ مُروَّعٍ فالدَّهرُ معتنِقٌ لِكلِّ غباءِ

واجْرعْ كما جُرّعْتُ فرطَ جُحودِهِ واصبِرْ فحسبُكَ غايةُ العَلْياءِ

مَنْ كانَ مثلَكَ في سماءِ نُبوغِهِ يَسْمو على الأعْصارِ والأنواءِ

ويَرى الخُلودَ المَعْنويَّ كِفاءَهُ ويُحَقِّرُ التَّخْليدَ في الأعضاءِ

٨ شباط/فبراير ١٩٥٥

[1] الارزاء: المصائب.

رثاء سليمان نجيب

الأديب الممثل والسّينمائي الشهير، والمدير السابق للأوبرا المصريّة

أخي سُليمانُ هذي غُرْبتي بَلَغَتْ ... بي غُرْبَتَيْنِ، وزادَ الموتُ إقصائي
قدْ كُنْتُ أُشْجى لنأيي عنْكَ في أسفي ... يا لَيْتَني دُمْتُ ذاكَ الآسِفَ النّائي
ما لي سبيلٌ إلى لُقْيا فأنْشُدُها ... فَعالمُ الغَيْبِ مَحْفوفٌ بِظَلْماءِ
إلاّ على ذِكرياتٍ حَيَّةٍ أبداً ... من الطُّفولةِ لَم يَبْرَحْنَ تِلْقائي
عِشْنا سَوِيّاً أليفَيْ نعمَةٍ وهَوىً ... نَحْسو الشَّذى بينَ أزهارٍ وأضْواءِ
لم يَبْلُغِ الطَّيْر ما نِلْناهُ مِنْ مَرَحٍ ... ومِنْ طَلاقَةِ أحْلامٍ وأهواءِ
ولا ابتسامُ شَواطي النّيلِ ما بَلَغَتْ ... عُيونُنا مِنْ صَفاءٍ دونَ أقْذاءِ
ولا خَريرُ السَّواقي في تَعَثُّرِها ... تَعَثُّري ضاحِكاً في الطّينِ والماءِ
ولا اختِصامُ الوَرى والحَرْبُ[1] صاخِبَةٌ ... مِثْلَ اختصامٍ لَنا مِنْ غيرِ شَحْناءِ
ولا الأمانيُّ لِلدُّنْيا بأجْمَعِها ... ساوَتْ أمانيَّنا أو بَعْضَ إحْصائي
تلكَ السّنونُ الّتي مَرَّتْ على عَجَلٍ ... ذَخيرةٌ لم تَفُتْ لَحْظي وإصْغائي
أُحِسُّها وأُناجيها وأعْرِفُها ... كأنَّما هيَ مِنْ ذاتي وأعْضائي
يا خادِمَ المَسْرَحِ العالي بسيرَتِهِ ... هذي رِواياتُكَ العَصْماءُ لِلرّائي
قَدْ خُلِّدَتْ في المَرائي، فهي نابِضَةٌ ... بَينَ الوَرى، والمَرائي مِثْلُ أحْياءِ
مَنْ عاصَروكَ اسْتَقَلّوا في مَشاعِرِهِمْ ... عن عَرْضِها، فهيَ لنْ تُنْسى لِنُسّاءِ
ومَنْ يَجيئونَ حَيْثُ الضّادُ مُكْرَمَةٌ ... سيُكْرِمونَكَ إكْرامَ الألِبّاءِ

---

[1] الحرب الروسية اليابانية في مطلع القرن.

فَنٌّ كَفَنِّكَ لَنْ يَفْنى وإنْ بَعُدَتْ ... بِهِ السُّنونُ كَبُعْدٍ لِلأَحِبّاءِ
لم نَدْرِ أيُّهما أوْلى بِتَكْرِمَةٍ ... تأليفُكَ الحُرُّ في نَقْدٍ وَإيصاءِ
أمْ عَبْقَرِيَّةُ تَمْثيلٍ خُصِصْتَ بِهِ ... حَتّى تَعَدَّدَ في ألْوانِ إيحاءِ
يا مُصْلِحاً كُلُّ ما أهْدى لنا مَثَلٌ ... لِلْمُصْلِحينَ ودُسْتورُ الأطِبّاءِ
تَخِذْتَ بعدَ أبيكَ[1] الشَّهْمِ سيرَتَهُ ... شِعارَكَ الحَيَّ في تَنْويرِ دَهْماءِ
وفي التَّسامي بِمَنْ هانوا ومَنْ قَبَعوا ... في اللَّهْوِ حَتّى غَدَوْا أدْنى الأذِلّاءِ
إنّا افْتَقَدْناكَ في وقْتٍ أحَقُّ بِهِ ... مَنْ كانَ مِثْلَكَ يَحْمي كلَّ عَلْياءِ
مَنْ كانَ دونَ شَبيهٍ في مَناقِبِهِ ... حُلْوَ الفُكاهَةِ حَتّى لِلألِدّاءِ
ويَمْزِجُ الجِدَّ طَيَّ المَزْحِ تَحْسَبُهُ ... يَلْهو، وفيهِ أفانينٌ لإغْراءِ
نَمْ في ضَريحِكَ نومَ الأُنْسِ في سُرُرٍ ... مِنَ الضِّياءِ وفي ألْوانِ أشْذاءِ
واقبلْ دُموعي رِثائي فهوَ مِنْ مُهَجٍ ... شَتّى، وإنْ كُنَّ أزهاري وأنْدائي

واشنطن، ١٣ شباط/فبراير ١٩٥٥

"أبطال" غزّة

نُظِمَتْ لمناسبة الهُجوم الإسرائيلي الغادرِ على غَزّة في مَساءِ الثامن والعشرين من شباط/فبراير ١٩٥٥

"أبْطالَ" غَزَّةَ[2] بعْدَ قِبْيَةَ[3] هَلِّلوا ... إنَّ المَخازي المُوبِقاتِ فَخارُكُمْ
لا تُنْكِروها ما الّذي يَبْقى إذا ... أنكَرْتُموها وهْيَ بَعْدُ شِعارُكُمْ؟

[1] الزعيم الوطني والأديب الشاعر مصطفى نجيب.
[2] وجّه الشاعر هذا الخطابَ السّاخرَ إلى الصهيونيين المعتدين.
[3] للشّاعر قصيدة لاذعة عن مذبحة قبية.

ذَهَبَ السَّمَوْأَلُ والمروءةُ والنَّدى   وعَبَدْتُمو صِهْيونَ وهو نُضارُكُمْ[1]
وعَقَقْتُمو موسى كَسابِقِ عَهْدِكُمْ   فإذا الدَّنايا دينُكُمْ وعُقارُكُمْ
عارٌ على وطَني الشَّكاةُ، وحَقُّهُ   تأديبُكُمْ إذْ تُسْتَباحُ ديارُكُمْ
يا غاصِبينَ تَمَرَّغوا في رِجْسِهِمْ   أكَذا يَتيهُ بِرِجْسِكُمْ "أطْهارُكُمْ"؟
أنا لا ألومُكُمو كَلَوْمي أُمَّتي   بَلْ كُلَّ يَعْرُبَ حينَ جُنَّ حِمارُكُمْ[2]
رَفَضَ المَدافِعَ والذَّخائِرَ، فانْبَرَتْ   نيرانُها، ومَضى بها إعْصارُكُمْ
وبَنو العُروبَةِ بَيْنَ لَهْوٍ صارِخٍ   أو جَعْجَعاتٍ كُلُّها أنْصارُكُمْ
ولَهُمْ مِنَ الدُّخَلاءِ ألْفُ مُهَرِّجٍ   يَتَنافَسونَ، وبَيْنَهُمْ أصْهارُكُمْ
زَعَموا العُروبَةَ دينَهُمْ، واستَمرَؤوا   طَعْنَ الحُماةِ، لِكَيْ تُعَزَّ شِفارُكُمْ
مِسْكينَةٌ هذي العُروبَةُ! ما دَرَتْ   ما عارُها الباقي وما هوَ عارُكُمْ!

حمدت ربّي!

يَضْرِبُ الفَرنسيّون المَثَل بقصّة المسيو برشون على الجُحود المُتناهي، ويذكر المسلمون الحِكمة النبويّة الشّريفة، "إتقِّ شرَّ مَنْ أحْسَنْتَ إلَيْهِ"!

حَمِدْتُ رَبّي على ذَمّي، فَأكْثَرُهُ   مِمَّنْ وَهَبْتُ لَه حُبّي وإيثاري
فَراحَ يَخْتَرِعُ الأوْهامَ يَلْفَحُني   بها، ويَحْسَبُ أنّي بِتُّ في النّارِ
أبا العُقوقِ رُوَيْداً! لم تَنَلْ وَطَراً   سِوى اتّسامِكَ بالتّهريجِ والعارِ
ما شَكَّ يوماً بإيماني ولا عَمَلي   حُرٌّ نَبيلٌ، فَعَيْشي عَيْشُ أحْرارِ
وَهَبْتُ عُمْري لخيرِ النّاسِ قاطِبَةً   فصارَ عُمري المُرجّى بينَ أعْمارِ

[1] النضار: الذهب.

[2] يقصد بن غوريون وزيرَ الحربيّة الإسرائيلي المشغوفَ بالاعتداء على العرب، المتشبّع بمبادئ الطّغيان.

وما عرَفْتُ الدّنايا كيفما اتّسَمَتْ   يا مَنْ عَرَفْتَ الدّنايا بينَ فُجّارِ
ولا وُصِفْتُ بغَيرِ العَقلِ أبْذُلُهُ   وَعْظاً وفلسفةً في جَمٍّ أشْعاري
فكيفَ تُعْرِضُ عنّي ثم تَشْتُمُني   يا أيُّها الغِرُّ، يا مَنبوذَ أغْرارِ؟
سُقْراطُ ما عابَهُ مَنْ راحَ يَشْتُمُهُ   ومَنْ حَباهُ بتَلْفيقٍ وأوْضارِ
ومَنْ تَفَنَّنَ في تَجْريحِ ذِمَّتِهِ   أو نَعْتِهِ بِسَخافاتٍ وأضْرارِ
حَتَّى تولّى شَهيداً صارَ يَحْسُدُهُ   مَنْ رافَقوه بأدْهارٍ وأدْهارِ
لَئِنْ تَذَوَّقْتُ سُمّاً أنتَ واضِعُهُ   فيما طَهَوْتَ، فهذا السُّمُّ أزهاري
نَفْسي تُحيلُ الأذى نُعْمى وَيُخطِئُها   ألكائدونَ ولو لاذوا بأسْوارِ
إنّ الكَفيلُ بإشهارِ الّذي صَنَعَتْ   يَداكَ، يا صاغِراً يُغْنى بإصغاري
فذاكَ شَرُّ عِقابٍ للّذي حُقِرَتْ   جُهودُه، وتَهادى بينَ أشرارِ
ثُمَّ ادَّعى الطُّهْرَ في سَتْرٍ لِعَوْرَتِهِ   بِئْسَ الطَّهارةُ في مَجْموعِ أوزارِ
لا عِشْتُ إنْ كانَ نِبْراسي سِوى أدَبي   ومُهْجَتي وضَميري النّاصِعِ الواري
أنا المُعلِّمُ أجْيالاً مفاخِرُها   والرائدُ الحُرُّ في سَعْيي وآثاري
هل جُنَّتِ الأرْضُ حتّى صِرْتَ تحرُثُها   وكُنْتَ مُلْقىً عليْها بينَ أحجارِ؟
أمْ هلْ جُنِنْتُ بإحساني بلا سَبَبٍ   حَتّى لُدِغْتُ بمكّارٍ وغدّارِ؟
أصارَ مثلُك حقّاً مَنْ يُحاسِبُني؟   يا خَيْبَةَ الدَّهْرِ في إعْزازِ ثَرْثارِ!
وَضَيْعَةَ الحَقِّ بينَ العابثينَ بِهِ   كأنَّهُ زَهْرةٌ في رَغْوِ تَيّارِ
تَحْيا العُروبَةُ في قَوْلي وفي عَمَلي   وفي مِثاليَّتي العُلْيا لأبْرارِ
ولا تَعيشُ بأفّاكٍ ومُرْتَزِقٍ   وعاجزٍ هَمُّهُ ألْوانُ إتْجارِ
لَمَسْتُ مِنْ حَشَراتي كُلَّ مَرْحَمَةٍ   وما أنِسْتُ بها من صاحِبي الضّاري

١٥ آذار/مارس ١٩٥٥

نوّار الكرز في واشنطن[1]

تَمَهَّلْ أمامَ الماءِ حينَ ابتسامُهُ ... على الكَرَزِ البَسّامِ غيرَ مُرائي!
تَولّى صَقيعٌ كادَ يودي بِحُسْنِهِ ... وجَمَّدَ حتّى دَمْعَهُ كَرَجائي
تَخَيَّلْتُهُ في الحُلْمِ مَيْتاً مُجَرَّحاً ... ففاءَ، ولكنْ عالِقاً بِدِماءِ
وقد نَفَضَ الأكْفانَ بيضاً تَبَعْثَرَتْ ... وبُدِّلَ منْها حالِماتِ ضِياءِ
بَناتُ الهَوى والفَنِّ تُشْرِقُ بالمُنى ... كَما تُشْرِقُ الأطْيافُ لِلشُّعَراءِ
نَماها القَصِيُّ الشَّرْقُ ثُمَّ أتى بها ... شُعورُ إخاءٍ أوْ شُعورُ وَلاءِ
فَرَفَّتْ حَنيناً كالأشِعَّةِ عندَما ... تَحِنُّ إلى أصْلٍ لها وسَماءِ
ورَفَّتْ وَفاءً للدِّيارِ الّتي احتَفَتْ ... بها، وأعزَّتْها على النُّظَراءِ
وقد أشْعَلوا المِصْباحَ[2] رمزاً لعيدِها ... كَأنَّ بِهِ للعيدِ كَنْزَ ضِياءِ
لَئِنْ سَكَنَتْ هذي البُحيرةُ لم يكنْ ... سُكونٌ لها إلاّ سُكونَ حَياءِ
وفيها ضُروبٌ مِنْ عَواطِفَ لمْ تَكُنْ ... لِتَسْكُنَ بَلْ جاشَتْ بغَيْرِ نِداءِ
أتَسْمَعُها؟ إنّي لأسْمَعُ شِعْرَها ... أغانيَ مِنْ حُبٍّ لآخَرَ ناءِ
أتُبْصِرُها؟ إنّي لأُبْصِرُ بَعْضَها ... مَرائيَ تَجلوها فُنونُ مَرائي
وقد عُكِسَتْ في الماءِ فاهتاجَهُ الغِنى[3] ... فكانَ لَهيباً أو مُذابَ ذُكاءِ
لَئِنْ زارَها العُشّاقُ مِنْ كُلِّ بُقعةٍ ... فكمْ عاشقٍ في غُرْبَةٍ بعَنائي[4]
وأمّا العَصافيرُ اللَّواهي بِقُربِها ... فهُنَّ مَعاني رُفْقَةٍ وإخاءِ
تَلاهَتْ تَلاهي النَّحْلِ غَنَّتْ لِطَلْعِهِ ... على زُمَرِ الأزهارِ دونَ عَناءِ[5]

---

[1] تحتفي واشنطن العاصمة الأميركية في أواخر آذار/مارس من كلّ عام بتفتّح أكمام شجر الكرز الياباني، وقد أوحى منظرُهُ الشائق هذه القصيدة إلى الشاعر.

[2] المصباح الذي أوقده سفير اليابان بواشنطن إيذاناً بافتتاح هذا العيد.

[3] البحيرة الاصطناعية في واشنطن التي غُرست على حافتها بأشجار الكرز الياباني.

[4] بعنائي: بأسري، ومنه العاني بمعنى الأسير.

[5] عناء: مشقة.

فـأخْجلَني أنّــي المُقصِّــرُ بيْنَهــا وأنَّ غِنــائي لــيسَ فيــهِ غِنــائي!

٣٠ آذار/مارس ١٩٥٥

وحــدتي

وَحْـدَتي فيلســوفةٌ تَمْسَــحُ الــدَّمْعَ وتَـأْبى عَلَــيَّ حُزْنــاً ســقيما

عــانَقَتْني كأنَّمــا أنــا طِفْــلٌ وحَبَــتْني التَّــدليلَ والتَّكْريمــا

واحتــوتْني وهَدْهَـدَتْ حُزْنــيَ البـالغَ حتّـى اسـتحالَ حُزْنــي نَعيمـا

أيُّ حــزنٍ هــذا ومــا كُنْــتُ بالهــارِبِ منــه وقــدْ أراه النَّــديما؟

هـو روحــي الّـذي يثـورُ علـى الظُّلْـمِ ويَـأْبى الخُنـوعَ والتّسـليما

هــو قَلْـبي الّـذي يُرفـرفُ كـالطّيرِ علـى الحُـبِّ آسـياً أو رَحيمـا

هــو عَقْلــي الّــذي تمثّـلَ في النــاسِ وأهــدى لهـمْ رجـاءً مُقيمـا

هــو فنّــي الّــذي تَغَلْغَـلَ في الفـنّ وأعْطـى الحيـاةَ سـرّاً عَظيمـا

هــو ديـني الّـذي تَسـامى علـى الـدّينِ كمـا جـاوزَ العـبيرُ النَّسـيما

هــو كُـلّ الغِنــى وكُـلُّ وُجـودي يــا زمــاني فَلَــنْ تَرانــي العَـديما

الذّكريات المدلّلة

أيا ذِكرياتِ الأمسِ ترقُصْنَ في الرُّؤى تَعـالَيْ إلى حِضْـنِ الجَمـالِ تَعـالي

بَسَـطْتُ لـكِ الأرضَ المَريعـةَ[1] جنّـةً وقـد أزْهَـرَتْ فيهـا فُنونُ خَيـالي

وأبدعْتُ أفراحـاً لهـا، لـيس تَنْتَهـي أطايبُهــا مــن نَشْــوةٍ وجَمــالِ

[1] المريعة: المتنعّمة.

تيقّظَ فيها الصّيفُ من بَعدِ غفوةٍ وأطلعَ فيها الحُبُّ كُلَّ مُجالِ
وغنّتْ بها الأحلامُ حتّى تمثّلتْ شُخوصاً أغانيها الحسانُ حيالي
كأنَّ نُجومَ اللّيلِ في وَهَجِ الضُّحى أتَيْنَ إليْها في نَثيرِ لآلي
مباهجُ لم يظفرْ بها غيرُ شاعرٍ وغيرُ حَفيٍّ بالحياةِ موالي
تطوفُ بها كلُّ الأحاسيسِ مثلَما يُطوِّفُ حُجّاجٌ حيالَ مِثالِ
وما كُنْتُ في شرخِ الشبابِ مُبالياً بها، فلِماذا في المشيبِ أُبالي؟
فيا ذِكرياتِ الأمسِ عودي وجَدِّدي شَبابي بِسِحْرٍ كالشّبابِ مُغالي
فإنّ عَصا الأيّامِ تُرْهِقُ كاهِلي بتأْديبِها إيّايَ قبلَ زَوالي!

النّدوب

يا نُدوبي، تَصَبَّري يا نُدوبي! وتَناسَيْ هُمومَ أمْسي العَصيبِ
يا بناتِ الجِراحِ، أهْلوكِ أعْدائي وقد خَلَّفوكِ رَغْمَ المَشيبِ
في فُؤادي عَبَثْنَ، ثُمَّ بِنزهْني قد تَزاحَمْنَ في غِمارِ الحُروبِ
تَرَكَتْكِ الجِراحُ مِثْلي ضَحايا كاللّظى في السَّماءِ بعدَ المَغيبِ
إنَّ هذا اللّظى نُدوبُ جِراحٍ منْ حَبيبٍ، فالشّمسُ سِرُّ الحَبيبِ
وأنا والسَّماءُ شَخْصانِ قدْ با تا غَريمَيْنِ بعدَ طَعْنِ الغُروبِ
قدْ أُغَنّي، وما غِنائي سِوى دَمْـ ـعي، وحيناً دَمي سَرى في نَسيبي
وكأنّي المَصْدورُ أنْفُثُ في شِعْـ ـري حَياتي بكلِّ لحْنٍ خَضيبِ
وجِراحُ الأجْسامِ تُشْفى، وما تُشْـ ـفى جِراحٌ سَكَنَّ طَيَّ القُلوبِ

هاتي المشّ![1]

غَلَبَ الجوعُ فهاتي المشّ هاتي! ... لا تقولي اللّحمُ – إن أصبِرْ – سَياتي!
سادتي أوْلى به، مذْ نَهَبوا ... كُلَّ حقٍّ لي وعاثوا بحَياتي
لا تقولي الدّودُ قد أفسَدَهُ ... إنَّما الدّودُ وإنْ يُحقَرْ لِداتي[2]
حَقُّهُ العيشُ كحقّي، ما لَهُ ... أيُّ ذنبٍ غيرُ ذنبي أو أذاةْ
مَدَحوني مثلَما قدْ لَعَنوا ... قدْ تساوى المَدْحُ واللَّعْنُ لِذاتي
ليتَهُمْ قدْ أطْعَموني أو كَسَوْا ... رِمَّتي[3] قبلَ ارتقابٍ لِمَماتي
هذه الأمراضُ لمْ تَتْرُكْ سِوى ... رمقٍ داسَتْهُ أقدامُ الجُناةْ
أتُراني في غدٍ مُسترجِعاً ... قوَّتي أو طارحاً عنّي أناتي
ليتَني حتّى تُدوّي صَرْخَتي ... ويُجازى كُلُّ مأفونٍ وَعاتٍ
أسْرِعي! فالوَقْتُ قاسٍ صارمٌ ... إنَّ وَقْتَ العَبْدِ من وَقْتِ العُتاةْ!
أسْرِعي! لا تَحْلُمي واهمةً ... واتركيني في هُمومي يا فَتاتي!
ربَّما تُثْمِرُ يَوْماً حَنْظَلاً ... بلْ سُموماً للشّياطينِ الطُّغاةْ
كمْ نباتٍ ديسَ بالأقدامِ لم ... يقبلِ الدَّوْسَ حقيراً في النّباتِ
ومَضى مُسْتَشْرِياً يَقْضي على ... شامِخِ الأشْجارِ فذّاً في العُصاةْ
هذه حالي وذي فَلْسَفَتي ... وكِفاحي بَيْنَ صَبْرٍ وصَلاةْ
إن يكنْ جَهْلي وفَقْري حُجّةً ... لاضطهادي، فأمَرُّ الثأرِ آتٍ!

---

[1] وصفَ الشاعرُ في هذه القصيدة التي تمثّل لوناً من الأدب الواقعي، شعورَ الفلاح المضطهد في الأقطار المتخلفة بعد أن بلغ منه اليأس كل مبلغ. والمشّ هو الجبن المعتّق، وهو طعام الفقراء في مصر.

[2] لِداتي: أترابي.

[3] رمّتي: ما بلي من عظامي.

يــا سَـــلم

يـا سَـلْمُ خَيْـرٌ أن نَـراكَ مُزَعْزَعـاً ... مِـنْ أنْ نَـرى لِلْحَـرْبِ سـوقاً بينَنـا
يـا جاعِـلَ الـنّيرانِ جَنّـاتٍ لَنـا ... ومُطَهِّـرَ الإنسـانِ حَتّـى آمَنـا
لا تُلْقِنـا يَأْسـاً، وصَـبْراً، رُبَّمـا ... عَلَّمْتَنـا وَصَـقَلْتَنا فَخَلَقْتَنـا
إنْ كُنْـتَ نَرْجونـا الفِـداءَ فكُـنْ لَنـا ... بَعْضَ الفِدى، فَنَرى السَّعادةَ والغِنى
يـا نَفْحَـةَ الأربـابِ حـينَ تَجـاوَبوا ... والفَـنَّ فابْتَـدِعوا سَـناكَ فَهِمْنـا
إنْ تَبْـقَ حارِسَـنا رَفَعْـتَ نُفوسَـنا ... وإلى الحَضـيضِ نَـزِلُّ إمّـا فُتَّنـا
وَلَـئِنْ تَمـادى الأشْـقياءُ بِغَبْنِنـا ... فَكُـنِ المَـلاذَ ولا تُسَـوِّغْ غَبْنَنـا
إنْ نَحْنُ ضِعْنا ضِعْتَ أنْتَ وإنْ تَصُنْ ... آمالَنـا صـانَتْكَ كَنْـزاً يُقْتَنـى
ويَجـيءُ يَـوْمٌ لِلْحَيـاةِ مُقَـدَّسٌ ... فَتكـونُ مَعْبـودَ الحَيـاةِ المُعْلَنـا
لـولاكَ كانـتْ مِثْـلَ أشْـباحِ الـرَّدى ... بِجَهَـنَّمٍ، لا مِثْـلَ أطيـافِ المُنـى
فَأجِـبْ دُعـاءَ لِلْبَرِيَّـةِ شـامِلاً ... مَنْ قدْ أساءَ لَنـا ومَـنْ قَدْ أحْسَـنا

عيد الفصح

يَحتفي المسيحيّون الشرقيّون في العشرين من نيسان/أبريلَ بذكرى صُعود السيّد المسيح عليه السَّلام، فيحتفون ويحتفي العالَمُ معهم بتغلّبِ الحياة على الموت، والأملِ على اليأسِ، والخيرِ على الشرّ، وباعتزاز القيمِ الروحية. فهذا عيدُ الرجاءِ المتجدِّد، وأيّةُ قيمةٍ للبشرية وأيّةُ سعادةٍ لها بغير هذا الرجاءِ المجدَّدِ الّذي يوحي لها بالعملِ والابتسام؟

ومِن قديم اقترنَتْ فَرْحَةُ هذا العيد بينَ مظاهرها المتعدّدة الجميلة بأكلِ البَيْضِ الملوَّنِ، إذْ إنّ البَيْضَ عُدَّ تاريخياً رمزاً للبعث، كما أنَّ نيرانَ عيد الفِصحِ كانت رمزاً لانتصار الربيع على الشتاء. فلا غروَ إذا رتَّلَ المنشدونَ وهم فَرِحون في حفلاتهم:

يــا أمَــلْ! يــا أمَــلْ
يــا هَــوى مَــنْ عَمِــلْ
يــا حُلــىً للبطــلْ
يــا قــوىً في الجلــلَ
يــا دَواً لِلكَلَــلْ
يــا لظــىً لِلْكَسَــلْ
يــا عُلــى مَــنْ وَصَــلْ
يــا حِمــى مَــنْ فَشَــلْ
يــا شــذاً يــا قُبَــلْ
يــا سَــنىً للغَــزَلْ
يــا نَــدى مَــنْ نَهَــلْ
يــا فِــدىً كَــمْ قتَــلْ
يــا جَنــىً كالعَسَــلْ
يــا رَدىً للشَّــلَلْ
يــا هُــدىً لِلرُّسُــلْ
إنْ تَضِــعْ فالمِلَــلْ
والمُنــى والحيَــلْ
والــورَى والــدّوَلْ
مَوْتُهــا مُحْتَمَــلْ!

ويَقترنُ عيدُ الفصح بتوثُّب الربيع وتألُّق نجومه وفوح عبيره، وقد تبرّجت أزهارُه تَبَرُّجَ البَيْض بألوانهِ الزاهية، وما الربيعُ إلاّ الأملُ المتجدّدُ، إنَّه معنى عيد الفصح بعد غدر الشتاء بأعاصيره وجليده. وفي هذا العيد المجيد تكثر مواكبُ

البهجةِ وحفلاتُ الموسيقى والتزاورُ بين الأُسَرِ، ويتبارى الأطفالُ خاصّة في لبْسِ أحمل الأزياء البديعةِ الألوان، وكلُّها رموزٌ للتجدّد وللفرحة وللحيويَّة وللأمَلِ. يأتي الفصحُ بعد أُسبوعِ الآلام، فهو مكافأةٌ على الصَّبْرِ والعذاب. وهو بُشرى للمؤمنين الّذين يحتملونَ التضحية ويثقونَ بالعدلِ الإلهيِّ. هو داعٍ إلى الثباتِ على المبدأ الحقّ ولو اجتاز صاحبُهُ الموتَ لبلوغ هدفه الأسمى. وهذا الرمز الجليل حريٌّ بأن يؤمنَ به الأفرادَ والأُمَمُ على السواء.

وكما يأتي الربيعُ بهدوئِهِ العميقِ يأتي عيدُ الفصح وشعارُهُ السلامُ والمحبّةُ، والإخاءُ، وتاجُه الأملُ. وتزدحمُ الكنائسَ بالمصلّينَ الخاشعينَ كما ازدَحَمَتْ من قبلُ سفوحُ الجبالِ في أميركا عند الفجرِ يغمرُهمُ جميعاً في صلاتهم السّلامُ والمحبّة والإخاء، ويتطلّعون في السماء إلى إشراق الأمل.

هيئة الأمم

مِنْ هُمومِ الإنسانِ ثمّ أمانيهِ تألّفْتِ[1] هيكلاً لا ينامْ
يَتوالى الإشعاعُ منه على الرَّغْمِ من اليأسِ واحتِشادِ الظّلامْ
كُلّما أدْجَنَ الظلامُ تلألأتِ كما شعَّ فَرْقَدٌ مستهامْ
أنتِ أمُّ الجميعِ لو يَعقِلُ الناسُ ولو يُدركون ويلَ الخِصامْ
لائمٌ بعدَ لائمٍ لكِ منهم وعلى الرَّغم تَنشرينَ الوئامْ
كم أيادٍ[2] بذَلْتِها هي قد ضاعتْ ضَياعَ الإحسانِ بينَ اللِّئامْ
إنْ تُبالي بهمْ وإن تَنْهَريهمْ فهْو برٌّ بهمْ لأمٍّ تُلامْ
كلُّ ما أسلفوا ذُنوباً تناسَوْها وحُمِّلْتِها كإرثٍ مُقامْ

[1] بمعنى انشأتِ؛ (و.ف).
[2] اليد: المعروف؛ (و.ف).

عيّدي وانصري الحقيقةَ لا تخشي سواها ولو يُسَلُّ الحُسامْ
عيّدي فالأنامُ مَوْئِلُهم أنتِ وإن لَجَّ جُلُّهم بالخصامْ
عيّدي فالشعوبُ نحوَك ما زالتْ شُخوصاً نَواشِدَ الإلهامْ
عيّدي للأنامِ في كلِّ يومٍ، كيفما كنتِ، لا لِعامٍ وعامْ
عيّدي فالنجاحُ والفشلُ العارضُ سيّانِ إنْ خَلَقْتِ السلامْ

الاستقلال الأعرج أو الاستعمار المقنّع

إلى أحرار تونس

مقدّمة إلى الصديق الأديب الحرّ الأستاذ أبو القاسم محمّد كرّو

لا أرتضيهِ لكُمْ ولا أرضاكُمو — فحياةُ الاستقلالِ ما أحْياكُمو
هو خُطوةٌ عَرجاءُ مهْما حَبَّذَتْ — فَدَعوا المُحبِّذَ أن يكونَ سِواكُمو
إنَّ القُيودَ وإنْ تُفَكَّ ثَقيلةٌ — فلْتَطرحوها طَرْحَ مَنْ عاداكُمو
ودَعوا الرَّصاصَ يَنامُ عاماً واحداً — حتّى يُجلجِلَ بعدَ ذاكَ نِداكُمو
بعضُ السُّكونِ هو التأهُّبُ لِلْوغى — فتَنَظّروها فهيَ سوفَ تراكُمو
لا تحَسَبوا الضِّلّيلَ أصبحَ هادياً — لو يستطيعُ لهدَّكم ورثاكُمو
لكنّه احترفَ الدّعارة فاغْتدى — مَنْ تُبصرونَ كأنَّما آغناكُمو
لا غُنْمَ للأوطانِ حينَ عِداتُكُمْ — ساداتكُم، وإذا الفُتاتُ غِذاكُمو
أهلُ الحضارةِ من قديمٍ أنتُمو — فمَنِ الدعيُّ ليَستبيحَ عُلاكُمو؟
أيُقالُ إنَّكُمو محطُّ حِمايةٍ — لهوانِكُم؟ فَمَنِ الّذي أدناكُمو؟!
حاشا وربّي، أنّكم ساداتُهم — لو يُنْصِفونَ رِجالكُم ونِساكُمو
لا بدَّ في الغدِ من قيامِ جُموعِكُم — لِحسابِهم إنْ يومكُم أنْساكُمو

سـرقَ الغَشـومُ بلادَكُـم وإذا بـه صـارَ الوصـيَّ علـيكُمُ لأذاكُمـو!
أوَ أنْتمـو مَـنْ يَسـتنيمُ لمَكْـرِه حاشـا، وبـينَ جُموعكُم شُهداكُمو!

عيدُ السائح

تهنئة لجريدة السائح النيويوركية لصاحبها عبد المسيح حدّاد (١٨٩٠ – ١٩٦٣)

يا شعرُ! مَنْ تَرْجو وتَحْسَبُ أنَّه أوْلى بحُبِّكَ أو بعيدٍ باهرِ؟
وُلِدَتْ أزاهيرُ الرَّبيعِ بعيدِهِ فتَضمَّختْ منه بنفحٍ عاطرِ
وَمَشى الجَمالُ مواكباً بحُقولِهِ عَلويَّةً مِثلَ المَسيحِ الطّاهِرِ
جاءتْ عُقودُ سِنينِهِ بتُراثِها للعارفينَ بهِ عُقودَ جَواهِرِ
أنسيتَهُ يا شِعرُ؟ حاشا أن تُرى في الجاحدينَ لِماهِرٍ ولِماهِرِ
ضَحّى وضَحّى باسماً أو صابراً حتّى مَشى لِلصَّلْبِ أكْرمَ صابرِ
هيهاتَ تَنْسى! كيفَ تَنْسى مُبْدِعاً نَجْواه كالإيمانِ مِلْءَ خَواطرِ
مَنْ ساحَ في دُنْيا الفُنون ولَمْ يَزَلْ السّائحَ القَهّارَ غَيرَ مُفاخِرِ
مَنْ أبدعَ القِصَصَ العَجيبةَ مثْلَما خُلِقَتْ بإبداعِ الإلهِ القادِرِ
مَنْ سَلْسَلَ الإنْشاءَ سِمْفونيّةً أخّاذةً ومَلاحماً لِلسّاحِرِ
مَنْ أرْجَعَ التّاريخَ بينَ دُروسِهِ عِبَراً، وأوْقَفَهُ مكانَ الحاضِرِ
مَنْ علّمَ الآدابَ إنسانيّةً شَعَّتْ بإشراقِ الصَّباحِ لثائرِ
مَنْ لَقَّنَ الإيثارَ ديناً للوَرى كأخيهِ[1] واسْتَبَقا استباقَ الغافِرِ
مَنْ فلسفَ الشّعرَ الّذي غنّى به فَشَدَتْ جداولُه كبحرٍ زاخرِ

[1] فقيد الشعر ندرة حداد.

مَـنْ ظَـلَّ يُحْسَـبُ جِـدُّه ومُزاحُـهُ ... كـــالآيتَيْنِ لِمـــؤمنٍ ولكـــافرِ
عبـدَ المسـيحِ العبقـريَّ وحسـبُه ... في العبقريّــةِ خُلْـقُ شـهمٍ نــادرِ
أنّــا التَفَفْنــا حــولَ أمجــادٍ لــه ... مثـلَ التفـافِ السـفنِ حـولَ منـائِرِ
أو كالتفــافِ النَّحــلِ لَمّــا أولِعَـتْ ... بالشَّــهدِ حــولَ معاسِــلٍ لأزاهــرِ

*****

جِئْنــا نُعَيّــدُ شــاكرينَ، ورُبَّمــا ... يَـدْري جـلالَ العيدِ غَيرُ الشّـاكِرِ
والشَّمْسُ قد يَشْكو نُفوذَ شُعاعِها ... عــانٍ ويُصْــغِرُها حَليـفُ صـغائِرِ
الأربعــونَ ونيِّــفٌ مــن عُمْــرِهِ ... مثَلَّــثْ بهـذا العيـدِ مثـلَ بَشـائرِ
تـوحي الجَديـدَ لنـا وقَـبْلاً طالَمـا ... أوْحَــتْ، ولم تَبْـرَحْ كفُلْــكٍ دائــرِ
مَــنْ فاتَــهُ إبــداعُها قــدْ فاتَــه ... إشـعاعُها النفّــاذُ خلـفَ سـتائِرِ
أرثــي لــه أضـعافَ مـا يَرثـي لنـا ... ولَــئِنْ تَمــادى في رُقاعــةِ ســاخِرِ
فــالحقُّ لا تُخفيــهِ ضِـلّةُ ســاخِرِ ... كاللّــهِ لا تَنْفيــهِ غَضْـبَةُ فــاجِرِ!

في حديقة البلّور بواشنطن

وَقَفْنـا لَـدى الشّـلاّلِ وِقْفَـةَ عابـرٍ ... ففيــهِ لنــا نــورٌ وفيــه ضِــرامُ
تُغازِلُــهُ الشَّــمْسُ الحَيِيَّــةُ مِثْلَمــا ... تُغازِلُــهُ الأشْــجارُ حــينَ تَنــامُ
وهـذي نُجـومٌ أُطلِعَـتْ دونَ ليلِهـا ... وألْوانُهــا فَــوْقَ الغُصــونِ مُـدامُ
ومِنْ حَوْلِهـا الأدْغـالُ، لكنْ تَهَـذَّبَتْ ... فــلا رَيْبَــةٌ للنّــاظرينَ تُشــامُ
يُغَنّــي خَريــرُ المــاءِ عَـذْباً كأنَّمــا ... شَـدَتْ خَلْفَــهُ حــورٌ ورَفَّ سَــلامُ
وهـذي الظّـلالُ النّاعِسـاتُ تَثاءَبَـتْ ... وأسْــكَرَها للحــالمينَ غَــرامُ

نَسيتُ مُرورَ الوَقْتِ أوْ قَولَ صاحِبي ... فَما هو وَقْتٌ يَنْقَضي وكَلامُ؟
هُنا مَظْهَرُ الجَنّاتِ بلْ ذاكَ كُنْهُها[1] ... وعمّا عَداها في الحَياةِ يُصامُ
تَطَلَّعْتُ مَفْتوناً وحَولي أُمَّةٌ ... مِنَ النَّبْتِ، بل دُنْيا كَذاكَ تُقامُ
مَشاهِدُ شَتّى مِنْ أراضٍ قَصيّةٍ[2] ... يُجَمِّعُها للعارِفينَ نِظامُ
ويَشْمَلُها دِفءٌ[3]، وأحْسَبُ أنّها ... بأُلْفَتِها تَغْنى غِنىً وتُرامُ
تَلخَتْ وإنْ تُنْسَبْ إلى كُلِّ مَوطِنٍ ... وباعَدَها هَمٌّ وبانَ خِصامُ
فكيفَ بَنو الإنسانِ، وهو مُتَوَّجٌ ... كأنَّ ضِياءَ العَقْلِ فيهِ ظَلامُ؟!

عند الفسقيّة

قالوا طُيورٌ تُغالي في مَحبَّتِها! ... فقُلتُ! ما كُنَّ إلاّ بعْضَ أبنائي!
مَرِحْنَ حولي كالأطفالِ في لَعِبٍ[4] ... حتّى تحارَبْنَ في فَسقيّةِ الماءِ
وألْبسَتْ ريشَها الألوانَ أوسمةً ... كأنّما تَتَحدّى مَجْدَ أضْواءِ
يُبَعْثِرُ الماءُ دُرّاً في تنافُسِها ... كأنّها كرنَفالُ الفنِّ للرّائي
ويَغْضَبُ الماءُ حيناً في تبجُّحِها ... فيُسْتَثارُ كمَوجٍ فوقَ أنْواءِ
وكمْ تَعالتْ لنا أصواتُها هَرَجاً ... فأضحكَتْنا وشاقتْنا بإيماءِ
كأنّما صوَرُ التَّمثيلِ مَعْرِضُها ... ما بينَ وثْبٍ وتَرْتيلٍ وأزياءِ

---

[1] الكنه: جوهر الشيء؛ (و.ف).
[2] قصيّة: بعيدة؛ (و.ف).
[3] إشارة إلى التدفئة الصناعية للحديقة.
[4] تأثر الشاعر في مطلع هذه القصيدة بقول والدته أمينة نجيب في وصف عصفور:
إمرخ صغيرَ الطيور ... إمرخ هُنا! لا تُبال
إنّا نَعُدُّك منّا ... وواحِدَ الأطفال!
أنظر: محمد محمود، الشعر النسائي العصري وشهيرات نجومه، ص ٢٢١.

وأشربُ الشـايَ عن قُـربٍ أراقِبُها مُنعَّمـاً، وكـأنَّ الشّـايَ صَـهْبائي
تَرَكْـتُ ديـوانَ شِـعرٍ كُنـتُ أقـرؤه لَمّـا تسـامَتْ بألحـانٍ وأصْـداءِ
كـمْ شـاعرٍ بينَهـا في قولِـهِ عَجَـبٌ للمُلْهَمِـينَ فمـا يكفيـهِ إصـغائي
لا تَسْخَروا من وِدادي حينَ أرمُقُها وحِـينَ أعْشَـقُها مِـنْ دون أسْـماءِ
لكُـلِّ طـيرٍ مَعـانٍ وهـي كافيـةٌ لتَسْـتَقِلَّ بأشْـعاري وأهـوائي
أسْكَنْتُها في عُيوني وهـي شـارِدَةٌ كـالزّهرِ تَسْـكُنُهُ ذراتُ أنْـداءِ
وحوَّمَتْ حولَ سَمْعي حينَما صَمَتَتْ كأنّمـا الصـمتُ مقـرونٌ بإفشـاءِ
فهلْ أُغـالي إذا أخلَصْـتُها مِقَـتي؟ وهـل تُغـالي بتَجْديـدي وإحيـائي؟

الصّيف الشّريد

الصَّيفُ؟ أينَ هوَ الحَبيبُ؟ فما أرى وَهَجـاً يَـنِمُّ عليـه أو أحْلامـا؟
الجَـوُّ تَخْنُقُـهُ الـدُّموعُ لِوَحْشَـةٍ والشَّمْسُ أرْهَقَها الغَمامُ خِصاما!
مَـنْ صَـدَّهُ عنّـا ونَحْـنُ رَعيَّـةٌ؟ ولِـمَ اسْـتَبَدَّ بِنـا وكـانَ إمامـا؟
أيَجـيءُ مَوْعِـدُهُ بِسُـخْرٍ جـائِرٍ ويَكـونُ مَوْلِـدُهُ الأغَـرُّ ظَلامـا؟
لِمَـنِ الأزاهـيرُ الحِسـانُ تَبَرَّجَـتْ والنَّحْـلُ والحَشَـراتُ إذْ تَتَسـامى
وَلِمَـنْ تَعَطَّـرَتِ الطُّيـوفُ وهَوَّمَـتْ وتَجاوَبَـتْ بِنُفوسِـنا أنْغامـا؟
أمُشَـرَّدٌ عَنّـا وتلـكَ رُبوعُـهُ؟ فَعَـلامَ بَشَّـرَنا الرُّبـوعَ عَلامـا؟
نَهْفو إلى الدِّفءِ الجَميلِ فَلا نَرى، إلاّ الشِّـتاءَ السّـاخِرَ اللَّوّامـا
وكأنَّمـا هـذي المَنـاظِرُ كُلُّهـا وَهْـمٌ وتَمْثيـلٌ طَغـى وتَرامـى!

إسفندانتي[1] الحمراء

مَدَّ الخريفُ رواقاً مِنْ مباهِجِهِ … وَبَيْنَها نَثْرُ أطيافٍ وألوانِ
وهذه غادتي الحَمْراءُ راقِصَةً … كأنَّها وَحْدَها خُصَّتْ بِبُستاني
أوْ أنَّ أوراقَها لاحَتْ تُراودُني … بحُمرةِ الشَّمْسِ قبلَ المغربِ القاني
كأنَّها ما دَرَتْ ما اشتدَّ مِنْ مِحَني … أوْ - إنْ دَرَتْ - لَمْ تُشاطِرْ بعضَ أحزاني
شَقيقةَ الزَّهرِ في أصْباغِ فرحتِهِ … أحْسَنْتِ، حتّى وإنْ أحْسَسْتُ نِسياني
بُثّي مِن الفَرْحةِ الألوانَ زاهيةً … لفتنةِ الطَّيْرِ والإنسانِ في آنِ
ولا تُبالي عُزوفي، فهو عن مِقَةٍ … كأنَّما أنا أخْشى بَثَّ أشْجاني
وكان أوْلى بمثْلي في تَفَجُّعِهِ … صَبْرٌ على الضَّيقِ مهما الضّيقُ آذاني
أنا الَّذي علَّمَ المَكْلومَ بَهْجَتَهُ … فصارعَ الهَمَّ جيّاشاً بألحاني
رِفْقي إذَنْ في نُضارٍ رائعٍ بَهِجٍ … وحُمْرَةٍ مِنْ يَواقيتٍ ومَرْجانِ
بل مِنْ مَعانٍ تَخَيَّلْنا نفائِسَها … وما عَرَفْنا لها كُنْهاً بوِجدانِ
كأنَّها بَعْضُ أحلامٍ مجنَّحَةٍ … تَمَثَّلَتْ فوقَ أوْراقٍ وأغْصانِ
كأنَّها حُلْوُ إلْهامٍ يُداعِبُنا … لكِنَّهُ فَوْقَ إحْساسٍ لإنْسانِ
إلاّ التَّفاؤُلُ يَبْدو مِنْ مَخائِلِها … وإنْ سَما فَوْقَ تَكْييفي وحُسْباني
ولا تَعيبي الَّذي ما حُدَّ مِنْ نَظَري … إليكِ مِثْلَ غريبٍ جائعٍ عانِ
فإنَّ فيكِ من الصّوفيِّ فلسفَةً … وفيَّ مِنْ عابدٍ ما بَزَّ إيماني
وقد قَتَلْتِ سُلوّي عنكِ ساحِرةً … فلا تلومي إذَنْ قُرْبي وتَحناني!

١٣ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٤

---

[1] إسْفِنْدانة (Maple) من أجمل الأشجار الأميركيّة ومن أعظمها منافعَ. وقبل انتهاء الخريف تتّخِذُ أوراقها لوناً أحمرَ للناظرين وفتنةً للشّاعرين. ولعلَّ هذه القصيدةَ هي أولى ما نُظِمَ في موضوعها بالعربيّة.

الحقيقة الموزّعة

أنا مَنْ يُفَتِّشُ عن مَحاسِنِ ناقدي ... فأُذيعُها كمحاسِنِ لِجَناني
حُبُّ الجَمالِ أراه فوقَ خُصومةٍ ... وأرى الجمالَ موزَّعَ الإحسانِ!
وأرى الحَقيقةَ لا تُحَدُّ فما لنا ... نَهْوى التَّعَصُّبَ في غرورٍ جانِ؟
لِمَ لا نُفتّشُ في شُعورٍ مُخلِصٍ ... للحقِّ دونَ تَحَزُّبٍ وهَوانِ؟
ليستْ أنانيَةُ الحَياةِ جَميلةً ... كَلاّ ولا عَجْزَ الضّريرِ الواني
وإذا تَأمَّلْتَ الخِلافَ وَجَدْتَهُ ... يَحْوي بُذورَ الحَقِّ للإنسانِ

فهرس

رباعيات الخيّام عن عُمَريّات فيتزجرالدْ (١٩٣١)

أغاني أبي شادي

